A Study and Revision of

Imām ʻAbd al-ʻAzīz b.ʻAlī b. al-ʻIzz al-Baghdādī al-Bakrī al-Ḥanbalī al-Maqdisī

(جُنَّة الصابرين الأبرار، وجَنَّة المتوكلين الأخيار)

Junnat al-Ṣābirīn al-Abrār Wa Jannat al-Mutawakkilīn al-Akhyār

Adnan al-Hamwi al-Olabi

Submitted to the University of Wales in fulfilment of the requirements for the Degree of Doctor of Philosophy.

University of Wales, Lampeter
2003

كتـــــاب

جُنَّة الصابرين الأبرار، وجَنَّة المتوكلين الأخيار

تأليف: العبد الضعيف

عبد العزيز بن علي بن العز البغدادي البكري الحنبلي

قاضي القدس الشريف

نفعنا الله تعالى ببركاته، وبركات علومه في الدنيا والآخرة،

والمسلمين

(٧٧٠ ــ ٨٤٦ هـــ)

ملخص

عنوان هذه الرسالة العلمية: **(جُنْة الصابرين الأبرار، وجَنْة المتوكلين الأخيار)**

وهو مخطوط نفيس يقع في (٢٦٦) ورقة من القطع المتوسط كتب بخط مؤلفه الإمام عبد العزيز بن علي بن العز البغدادي البكري الحنبلي المقدسي (٧٧٠ ــ ٨٤٦) هـــ، قاضي القدس الشريف. ويوجد أصل هذا المخطوط في المجمع العلمي العربي بدمشق، كما توجد مصورة عنه في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي.

وقد أحصى المؤلف فيه جميع آيات الصبر والتوكل في القرآن الكريم، وتناولها شرحاً وتفسيراً، مستدلاً لذلك بالأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، ومستشهداً بوقائع السيرة النبوية وأحداثها، وكذا قصص الأنبياء والمرسلين، مبرزاً في ذلك قيمة الصبر والتوكل كموضوع أخلاقي، ومنهج سلوكي دعت إليه جميع الشرائع السماوية، وجاءت الشريعة الإسلامية الغراء به محوراً أساسياً من محاور دعوتها، وركناً رئيساً من ثوابت رسالتها. ويمكن أن يصنف الكتاب ضمن نوع التفسير الموضوعي، وهو دراسة شاملة بكر لم أجد من سبق فيها بحثاً وتصنيفاً.

وقد تضمن البحث قسمين أساسيين: الدراسة والتحقيق. أما الدراسة فجاءت في مقدمة وفصلين وخاتمة، استعرضت في المقدمة أهمية الموضوع، والباعث على اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهتني.

أما الفصل الأول فقد أفردته للتعريف بالمؤلف في مبحثين؛ الأول: عصر المؤلف، والثاني: حياة المؤلف.

وخصصت الفصل الثاني للتعريف بالمخطوط ودراسته ونقده في مبحثين؛ الأول: دراسة الكتاب، والثاني عملي في التحقيق. وجاءت خاتمة الدراسة فلخصت فيها النتائج والمقترحات والتوصيات. وقد ذيّلت قسم الدراسة بنماذج مختارة من لوحات المخطوط.

أما القسم الثاني من البحث فقد استقل بتحقيق النص تحقيقاً دقيقاً سلكت فيه المنهج العلمي الموضوعي من حيث ضبط النص، ووضع علامات الترقيم المعتمدة عند المحققين، وترقيم صفحاته، وكتابته حسب قواعد الإملاء الحديث، ثم عزو الآيات، وتخريج الأحاديث والآثار والأشعار أصولاً، وفصلت السور بعناوين بارزة، وشرحت غامض الألفاظ، وأثبت النص القرآني من المصحف الإمام بالرسم العثماني، كما عرّفت المصطلحات، وحققت المسائل الفقهية، وصححت الأخطاء النحوية، وترجمت لجُلِّ الأعلام والطوائف والبلدان والمشاهد، مع التعليق اللازم، والتوثيق المنهجي. وختمت تحقيقي بوضع الفهارس الفنية العامة.

٢/ب

/ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ شامل الصابرينَ برحمتِهِ المأمولَة، ومعطي المتوكلين ما لا يُهتدى إليه بحيلة. أحمده على مننه الجزيلة، ونعمه الجليلة، حمْدَ من آمن به فتعطَّف عليه بعوائده الجميلة. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة مَن نطق بها مخلصاً فحُبِيَ[١] بأكمل فضيلة. وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله، صاحبُ اللواءِ المعقودِ، والحوض[٢] المورودِ، والوسيلة.[٣] ﷺ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريَّتِهِ وعشيرتِهِ، أفضلِ صحبٍ وأشرفِ قبيلة.

اللهم وأطلق ألسنتنا من ضيق الحَصْرِ، وحقِّق يقينَ أطماعنا بالظفر والنصر، وارزقنا دليلاً من إغاثَتِك، وكفيلاً من عنايتك، ونوراً من هدايتك، وعلِّق قلوبنا بإحسان مقابلتك، واغمرنا بيُمن بركتك، واجمعنا على محبتك في دارِ كرامتك مع الذين/ أنعمتَ عليهم من النبيِّن والصدِّيقين والشهداءِ والصالحين وحسُنَ أولئك رفيقاً.

٣/أ

---

(١) حبا، حبواً: أي أعطاه بلا جزاء ولا مَنّ. انظر: القاموس المحيط، صفحة ١٦٤٢، مادة: (حبا).

(٢) إشارة وتضمين للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي حازم قال: " سمعت سهل بن سعد ﷺ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: ((أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعد أبداً. لَيرد عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسَمعتُه يزيد فيه. قال: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ : ٤٢/٨، رقم الحديث: ٧٠٥٠.

(٣) إشارة وتضمين للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه: ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة)) . انظر: صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن ولمن سمعه، ثم يصلِّي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة: ٢٨٨/١، رقم الحديث: ٣٨٤.

أمـــا بعد: فلما عُرِّف الصبرُ بـــ: **حبسِ النَّفْسِ على البلوى، وعَقْدِ اللسانِ عن الشكوى**[١]، جَعَلَهُ الشارعُ بمنزلة الرأسِ من الجسد.

وعُرِّف التوكلُ بـــ: **قَطْعِ الاستشرافِ باليأسِ من الناسِ، سوى الفردِ الصمدِ**[٢].

وكان أَلْيَقَ أحوالي يومئذٍ[٣] أن أصبرَ وأتوكلَ على الله، ثم أجمعَ فيهما رسالةً تكون جامعةً لمعانيهما، ورأيتُ الاشتغال بكلام الله أولى، فجمعتُ جَميعَ ما في القرآن من آيات الصبر والتوكل، وأضفتُ إليها من الآيات المشوِّقة إلى الجنة، وحورها، وولدانها، وسُرُرِها، وأكوابها، ونعيمها، على وجهٍ لو وقفتَ عليه لجذبك إلى عمل الحُسنى، المفضي بك إلى المقام الأسنى، في روضات الجنات التي هي دار الصابرين الأبرار، ومقرُّ المتوكلين من المصطفَين الأخيار. وأفسِّرها ــ إن

---

(١) كل صبر في القرآن محمود، إلا في مقامين: **الأول**: في قوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الفرقان: الآية: ٤٢]، ونزلت في أبي جهل واستهزائه بالنبي ﷺ واستفهامه على معنى التقرير والاحتقار، أي حبسنا أنفسنا على عبادتها. وتمام النص: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾ انظر: تفسير القرطبي: ٢٥/١٣ . **والثاني**: في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ ﴾ [سورة ص: الآية: ٦]. نزلت في مشركي مكة حين انطلقوا من عند رسول الله ﷺ بعد فشلهم في محاولة صده عن دعوته، وبعد حوارهم مع عمه أبي طالب لهذا الغرض دون جدوى، فقرروا المضيَّ على ما كانوا عليه، وعدم الدخول في دينه، والصبر على الآلهة، أي أن امشوا على عبادة آلهتكم. انظر: تفسير القرطبي: ١٠٠/١٥ . والصبر هو الحبس. يقال: صبره عنه يصبره، حبسه. والصبر في المصيبة، وأما في المحاربة فهو شجاعة، وفي إمساك النفس عن الفضول قناعة وعفة، وفي إمساك كلام الضمير كتمان. فاختلاف الأسامي باختلاف المواقع. والصُّبرة بالضم: ما جُمع من الطعام بلا كيل ولا وزن. والصبور هو الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه، وكذا الحليم. وشهر الصبر هو الصوم. ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٥]، أي ما أجرأهم، أو ما أعملهم بعمل أهلها. واصطبر للعبادة: كقولك للمحارب: اصطبر لقرنك. وأعظم الخطيئة صبر البلية [كما هو مستعمل في الجاهلية]. انظر: الكليات: ص: ٥٤٣، ٥٦٠ .

(٢) وكل: وكيل، اسم للتوكيل من وكله لكذا إذا فوَّض إليه ذلك. وهو إظهار العجز والاعتماد على الآخرين. والاسم: التكلان، وهو فعيل بمعنى مفعول، لأنه موكول إليه الأمر، أي مفوَّض إليه. وفي اصطلاح الفقهاء: عبارة عن إقامة الإنسان غيره مقام نفسه في تصرف معلوم. ويطلق على الجمع والمؤنث. وفي الحديث الشريف: ((من طلب القضاء وُكِلَ إلى نفسه (أي فُوِّض أمره إليه)، ومن أُجبر عليه نزل عليه ملك يسدده)). انظر: الكليات: ص: ٩٤٧ .

(٣) ارجع إلى قسم الدراسة من هذا الكتاب، الصفحات (٣٩ــ٦١) حيث البحث في سيرته وحياته الشخصية.

شاء الله تعالى ــ على وجه بديع، وأضيف الحديث ــ بعون الله تعالى ــ مَّما يليق بها من الأمثلة، وصلى الله على سيدنا (محمد وعلى آله وصحبه وسلم)[1] / ﴿ وَهُوَ ٣/ب

---

(١) نقص في الأوراق، ويبدو أنها تتضمن بداية فهرسة الآيات من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة يونس، وهي مفقودة، وسأثبتها من واقع ورودها وشرحها في الكتاب تسلسلاً:

لقد تناول المؤلف في مقدمة الكتاب الحديث عن فضل القرآن والاعتصام به، وفضل تفسيره، والأدب فيه، ورُتَب مفسريه، وحديث الأحرف السبعة، ثم الاستعاذة والبسملة. وفي سورة الحمد شرح آياتها كلَّها، واستعرض آيات الصبر والتوكل في سور القرآن؛ فبدء بسورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، الآيتان: [١٥٢ــ١٥٣] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ [الآية: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴿١٤٢﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٢٤٩]. وفي سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾ [الآيات: ١٧ــ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، [الآيات: ١٤٦ــ١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [الآية: ١٥٩]، قوله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [الآية: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ . وفي سورة النساء: قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾. وفي سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية: [١١]، وقوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾. وفي سورة الأنعام: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ [الآية: ٥٤]. وفي سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ [الآية: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ ﴾ [الآية: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾[الآية: ١٣٧]. وفي سورة الأنفال: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾. وفي سورة التوبة: قوله

رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[التوبة]. وفي سورة (يونس): ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ ﴾ [١٠٩] وقوله: ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [٧١]. وفي (هود): ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ . وقوله: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾. وقوله: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ ﴿١٢٣﴾ ﴾ . وفي سورة (يوسف): من أولها إلى قوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾ [١٨]، وقوله: ﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1] ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ ﴾ [٨٣]، وقوله: ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾ ... ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾. وفي (الرعد): ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ . وفي سورة (إبراهيم): ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾، ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾. وفي سورة (الحجر) من الآيات المتضمنة للصبر والنصر والظفر والثقة بالله قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾، وذكر ما أهلك الله به المستهزئين، فكفى الله أمرهم. وفي (النحل): ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ /، ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ

٤/أ

تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [الآيتان: ٢٥ــ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [الآية: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [الآية: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ . انتهى نقص فهرس الآيات من مقدمة الكتاب حسبما تتبعته من ثنايا الكتاب تسلسلاً.

(١) وردت في أصل المخطوط: (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وهو خطأ في النسخ. وقد ضبطته نسخاً من المصحف الشريف. ﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ . [سورة يوسف: الآية: ٦٧].

لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [١٢٧]. وفي سورة (بني إسرائيل): ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ ﴾ ... إلى آخرها. وفي (الكهف): ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ ﴾ [٢٨]، وقصة الخضر مع موسى عليهما السلام. وفي (مريم) من الآيات المتضمنة سعادة الدارين قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾، ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾.. [٥١]، ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾...[٥٤] ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾ [(١)]، وقصة إدريس. وفي سورة (طه): ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾ ، وقصة موسى مع فرعون على وجه لطيف، وقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[١٣٠]. وفي سورة (الأنبياء) ــ عليهم السلام ــ نذكر الصابرين من الأنبياء؛ كإبراهيم صبر على أذى نمروذ وقومه إذ قالوا: ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾، فأهلكهم الله وجعلها ﴿ بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾، وذكر داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث، وتسخير الجبال والطير يسبحن مع داود، وصبر أيوب،وإسماعيل، وذو الكفل، وذو[(٢)] النون وهو يونس بن متّى. وفي سورة (الحج): ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾[٣٥]، وقوله:/ ٤/ب ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾،[(٣)] إلى قوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾. وفي سورة (المؤمنين): ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾. وفي (النورِ): ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾، إذ النور ميراث الصبر. وفي (الفرقان): ﴿ أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ

---

(١) وردت في أصل المخطوط: (إنه كان مخلصاً) وهو خطأ في النسخ. وقد تم تثبيته نسخاً من المصحف الشريف. ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ . [سورة مريم: الآية: ٥٦].

(٢) وردت في أصل المخطوط: (وذا الكفل، وذا النون)، وهو خطأ صوابه: (وذو الكفل، وذو النون) على أنه مبتدأ مرفوع بالواو، لأنه من الأسماء الخمسة.

(٣) وردت في أصل المخطوط خطأ في النسخ: (إن الله قوي عزيز). وقد تم ضبطه حسب رسم المصحف الشريف. ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ . سورة الحج: الآية: ٣٩ .

رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾، وقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾[٧٥]. وفي سورة (الشعراء): ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾. وفي سورة (النمل) من الآيات المتضمنة لأنعُمِ الله ببركة الصبر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ... [١٥]، إلى آخر قصةِ بلقيس على وجه حسن. وفي سورة (القَصَصِ) من الآيات المتضمنة أن الجنة دار الصابرين الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً، وفيها ذكر قصة موسى وقرون، وصبر موسى على أذى قرون، وقوله: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾،(١) إلى آخر السورة. وفي سورة (العنكبوت) من الآيات المتضمنة للخروج من بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا / يمكنه تغير ذلك إلى بلدٍ يخلو فيه بعباد الله، وأن الجنة منزل الذين صبروا على الشدائد، قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ﴾، خوَّفهم بالموت لتهون عليهم هجرتهم، وقوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾. وفي سورة (الروم) من آيات النصر والصبر قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ ... ﴿٥﴾ ﴾، وذكر قصةِ فارس والروم، وقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ ﴾ أي: في نصرك وإظهارك على عدوك. وفي سورة (لقمان) من الآيات المتضمنة حُسنَ المعاشرة، واتباعَ سبيل أهل الإنابة إلى الله، وحُسنَ التلطُّف في تأديبِ الوالدِ ولدَه، وتعلُّمه العلم والصبر على الأذى، قوله تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ... ﴿١٥﴾ ﴾ .. الآيات، وقوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾، أي: صبّار على أمر الله، شكور لأنعمه. وفي (السجدة): ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ

٥/أ

---

(١) وردت في أصل المخطوط: (وما يلقَّاها إلا الصابرون). وقد ضبطتها من واقع رسم المصحف الشريف: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ . [سورة النمل: الآية: ٨٠].

أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾، فالإمامة والهداية ميراث الصبر./ أيضاً وفي سورة (الأحزاب) من الآيات المصرحةِ باتباع الكتاب والسنَّة، والأمر بالتوكل، وأن النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في نفوذ حكمه عليهم، وأن للمؤمنين أسوة حسنة برسول الله ــ عليه السلام ــ في صبرهم على ما يصيبهم، وذكرِ قصة الأحزاب، وقوله: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ الآيةَ، وفيها من الآيات المعلنةِ بفضل رسول الله ﷺ وجلالةِ قدره عند أهل سماواته وأرضه، قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ... ﴿٥٦﴾ ﴾ الآيةَ. وفي سورة (سبأ): قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾، وقصةِ سليمان، وتسخيرِ الجن له، وذكر وفاتِه، وقصةِ أهل سبأ. وفي سورة (الملائكة) من الآيات المتضمنة لخوف الله، وأن ورثة الكتاب هم أهل صفوته، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾. وفي سورة (يس) مما يشعر بفضل أهل الجنة وأنهم وأزواجهم فكهون فرحون طربون مشتغلون بافتضاض[1] الأبكار، وسماع الأوتار، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.. الآية. وفي سورة (الصافات) ــ وهم الملائكة ــ من الآيات المصرحةِ بحصولِ المراد ببركة الصبر من قصة الذبيح / قوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.. الآيات. وفي (ص): ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ... ﴿١٧﴾ ﴾، وحكم داود بين الخصمين، ومحنة سليمان، وصبر أيوب، وذكر ما مَنَّ الله عليهما، وعلى المصطفين الأخيار، وأمر النبي ﷺ أن يتأسَّى بهم في الصبر على أذى كفار قريش. وفي (الزمر) قوله ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ ... ﴾. إلى آخرها [٧٣]. وما في (الحوامين)[2] من آيات الصبر والتوكل،

٥/ب

٦/أ

---

(١) الافتضاض من الفضيض، وهو الكسر والتفريق. وفي حديث ذي الكفل: ((إنه لا يحل لك أن تفضَّ الخاتم..)) . وهو كناية عن الوطء. انظر: لسان العرب: ٢٠٧/٧ مادة: (فضض).

(٢) المقصود بها السور المفتتحة بـــ: (حم) ويشار إليها بآل حميم أو ذوات حاميم، ولا يقال حواميم ولا حوامين. قال الجوهري: وأما قول العامة: (الحواميم)، فليس من كلام العرب. قال ابن مسعود ﷺ: آل حاميم

كقوله في (المؤمن)[١]: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ... ﴿٧٧﴾ ﴾، أي: اصبر يا محمد على ما يجرعُك قومُك من الغَصَصِ[٢]، فإن وعد الله حق بنصرك، وقوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ... ﴿٧٧﴾ ﴾. وفي سورة (حم السجدة)[٣]: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ... ﴿٣٥﴾ ﴾، يعني: على نكد الدنيا. وفي سورة (الشورى): ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾. وفي سورة (الزخرف) وَعَد اللهُ عبادَه الصابرين المؤمنين بالجنة، ونفى عنهم خوف يوم القيامة في قوله: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾./ ٦/ب وفي سورة (الدخان) وعد الله الصابرين على التقوى بالحور العين في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ ﴾ الآيات. وفي (الجاثية): ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ.. ﴿٣٦﴾ ﴾، إلى آخرها. وفي سورة (الشريعة)[٤] ذكر قصة الجِنّ ووفودِهم على النبي ﷺ ، وذكر أولي

ديباج القرآن. وفي معناه قال الأزهري: قال بعضهم معناه: قُضِيَ ما هو كائن، وقال آخرون: هي من الحروف المعجمة، وعليه العمل. وفي حديث الجهاد: ((إذا بُيِّتُم فقولوا: حاميم لا ينصرون)). ويقال: (حم) اسم من أسماء الله أضيفت هذه السورة إليه، كما قيل: سور الله لفضلها وشرفها، وكما قيل: بيت الله. قال الكميت:

وجدنا لكم في آل حم آية تأوّلها منا تقيٌّ ومُعْرِبُ

وقد تُجعل اسماً للسورة ويدخل الإعراب عليها ويصرف. ويقال لها: العرائس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن لكل شيء لباباً ولباب القرآن حم، أو قال: الحواميم. انظر: البرهان للزركشي: ٣١٣/١، فضائل القرآن لأبي عبيد، لسان العرب: ١٥٠/١٢، القاموس المحيط: صفحة: ١٤١٩ مادة: (حمّ).

(١) تسمى سورة غافر، وسورة الطول، وسورة المؤمن، لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ . انظر: الإتقان: ١٥٦/١ .

(٢) الغَصَص: بفتح الميم مصدر قولك: غَصِصْت يا رجل تَغَصُّ فأنت غاصٌ بالطعام وغصَّان، وبالضم جمع غُصَص مفرده غُصَّة وهي الشجا. وتستعمل الغصة للطعام، والشرق للشراب، والشجا للعظم، والجرض للريق، قاله فقهاء اللغة. انظر: لسان العرب: ٦٠/٧، القاموس المحيط: صفحة رقم: ٨٠٦ مادة: (غصص).

(٣) تسمى فصلت، وسورة حم السجدة، وسورة المصابيح. انظر: الإتقان: ١٥٦/١ .

(٤) تسمى سورة الجاثية، وسورة الشريعة. انظر: البرهان: ٣٣٨/١ ، الإتقان: ١٥٦/١ .

العزم من الرسلِ. وفي سورة (محمد) ﷺ [١] وهي أول سُوَرِ المفصّل[٢] ذكرُ الجنةِ التي وُعِد المتقون، وقوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾. وفي سورة (الفتح): ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾.. الآيات، وذكر صلح الحديبية، وبيعة الرضوان، وقوله: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ.. ﴿٢٧﴾ ﴾ إلى آخرها. وفي (الحُجُرات): ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ.. ﴿٥﴾ ﴾ . وفي سورة (ق)[٣]: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ...﴿٣٩﴾ ﴾ إلى آخرها. وفي (الذاريات): ذكر المتقين الصابرين وما يلقون من النعيم المقيم بصبرهم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الآيات. وفي سورة (الطور): ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ... ﴿٤٨﴾ ﴾، وأول ما أعلن رسول الله ﷺ بالقراءةِ في سورة (النجم). ومعنى/ اقتربت الساعة أي القيامة، وكلُّ ما يُروى في عُمرِ الدنيا من الأحاديث فضعيف[٤]. ونزلت

٧/أ

---

(١) تسمى سورة محمد ﷺ ، وسورة القتال. انظر: البرهان: ٣٣٨/١ ، الإتقان: ١٥٦/١ .

(٢) قال العلماء: القرآن الكريم أربعة أقسام: الطول والمئون والمثاني والمفصل. جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: ((أعطيت السبع الطول مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفُضّلت بالمفصّل)). أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، وهو حديث غريب. فالسبع الطول: أولها البقرة، وآخرها براءة. وسميت طُولاً لطولها، وهي جمع طولى. وكانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة لأنهما نزلتا جميعاً في مغازي رسول الله ﷺ ، ولذلك لم يفصلوا بينهما.

والمئون: ما ولي السبع الطول. سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مئة آية، أو تقاربها، وهي إلى غافر.

والمثاني: ما ولي المئين لأنها ثنتها، أي كانت بعدها فهي لها ثوانٍ، والمئون لها أوائل. ويقال: هي السورة التي بها أقل من مئة آية، وقيل: لتثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر. وقد تطلق على القرآن كله، لأن الأنباء والقصص تثنى فيه. وقد تطلق على الفاتحة في قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

والمفصّل: ما ولي المثاني من قصار السور. سمي بذلك لكثرة الفصل بين سورها بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ فيه. وتبدأ سور المفصل من سورة (ق) في أرجح الأقوال، وآخره سورة الناس بلا نزاع. انظر: البرهان: ٣٠٧/١ ، الإتقان: ١٧٨/١ .

(٣) تسمى سورة (ق)، وسورة الباسقات. انظر: الإتقان: ١٥٦/١ .

(٤) أخرج الطبراني في المعجم الصغير بسنده إلى أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر، ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم، لا تسودُّ وجوههم، ولا تزرقُّ

سورةُ (الرحمن) يوم الحديبية، وفيها وَعَد من صبر وخاف مقام ربه بجنتين حورهما كالياقوت والمرجان. وسورة (الواقعة) أمانٌ من الفقر، من قرأها لم يفتقر أبداً. وفيها ذكر الصابرين السابقين إلى الخيرات في الدنيا، أولئك المقربون في النعيم في الآخرة. وقد ورد أن النبي ﷺ كان يقرأُ بالمسبحات قبل أن يرقد(١).

والمجادلة خولة بنت ثعلبة(٢) على الصحيح.

أعينهم، لا يُغلّون بالأغلال، ولا يقرنون الشياطين، ولا يضربون بالمقامع، ولا يطرحون في الأدراك. فمنهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها يوماً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثاً فيها مَن يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت، وذلك سبعة آلاف سنة..)). وذكر باقي الحديث من نوادر الأصول للحكيم الترمذي. وأخرج ابن عساكر بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((مَن قضى لأخيه المسلم حاجة في الله تعالى كتب الله له عمر الدنيا سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها)). وروى ابن عدي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧])). وأخرج الطبراني في الكبير بسنده إلى الضحاك بن رمل الجهني ﷺ قال: رأيت رؤيا فقصصتها على رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات، وأنت في أعلاها درجة، فقال رسول الله ﷺ: ((وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفاً آخر ألفها)). أخرجه البيهقي في الدلائل، وأورده السهيلي في الروض الأنف وقال: هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فقد روي موقوفاً عن ابن عباس ﷺ من طرق صحاح أنه قال: ((الدنيا سبعة أيام، كل يوم ألف سنة، وبعث رسول الله في آخرها)). وصحح أبو جعفر الطبري بهذا الأصل بآثاره. وقال ابن أبي القاسم في التفسير عن ابن عباس ﷺ قال: ((الدنيا جمعة من جمع الآخرة، سبعة آلاف سنة، فقد مضى منها ستة آلاف)). انظر: المعجم الصغير: ٢٠٧/٢ ، ٢٠٩/٢ .

(١) عن العرباض بن سارية ﷺ أن النبي ﷺ ((كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول: إن فيهن آية خير من ألف آية)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. أخرجه الترمذي في سننه: كتاب فضائل القرآن باب/ ٢١ رقم الحديث: ٢٩٢٤/٢٩٣٠، ٤٢٢/٤. وأخرجه أبو داود في سننه بلفظ: ((إن فيهن آية أفضل من ألف آية)). كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم: ٣٠٤/٥، رقم الحديث: ٥٠٥٧. والمراد بالمسبحات السور التي افتتحت بسبحان أو سبح أو يسبح، وهن سبع سور: الإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) خولة بنت ثعلبة بن أصرم، وقيل: خولة بنت مالك بن ثعلبة، ويقال: خولة بنت حكيم، ويقال: بنت وليج، ويقال: خويلة، وهي امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة، وفيها نزل صدر سورة المجادلة ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ حين ظاهر منها وقال: أنت عليَّ كظهر أمي. انظر: الإصابة: ٢٨٣/٤، رقم الترجمة: ٣٦١. وأسد الغابة: ٩٤/٦ ، رقم الترجمة: ٦٨٧٩ . والاستيعاب: ١٨٣٠/٤ .

وقيل: جميلة[١] امرأة أوس ابن الصامِت[٢] أخي عبادة بن الصامت. وفي سورة (الحشر): ذكر جلاء بني النضير، فأورث الله المؤمنين ديارهم وأموالهم بصبرهم وصدقهم مع رسول الله ﷺ. وفي سورة (الممتحنة) ذكر كتاب حاطب بن أبي بلتعة[٣] الصحابي ﷺ وهو ممن شهد بدراً، وبيعة الرضوان إلى أهل مكة، وإرساله مع سارة[٤] مولاة عمرو بن صيفيٍّ،[٥] وفيها من آيات التوكل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾ وفي سورة (الصف): وعد الله المؤمنين الصابرين بنصرٍ منه وفتح قريب، فقال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ

---

(١) جميلة، ويقال: خولة، وقيل: خويلة امرأة أوس. عن عائشة رضي الله عنها ((أن جميلة امرأة أوس بن الصامت كان به لمم ــ أي طرف من الجنون ــ، فإذا اشتد به ظاهر من امرأته، فأنزل الله عزَّ وجلَّ كفارة اليمين)). أخرجه أبو داود: كتاب الطلاق، باب في الظهار. وأخرجه ابن منده وأبو نعيم. وقال أبو نعيم: كذا قال: يعني ابن منده: جميلة. وإنما هي خويلة، فأوصل الواو بالياء فقال: جميلة. انظر: أسد الغابة: ٥٤/٦ رقم الترجمة: ٦٨٠٨ .

(٢) أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم الخزرجي أخو عبادة بن الصامت، شهد بدراً والمشاهد، وسكن البيت المقدس، وهو الذي ظاهر من امرأته، ووطئها قبل أن يكفِّر، ونزلت فيه آية الظهار. مات أيام عثمان بالرملة من أرض فلسطين، سنة أربع وثلاثين للهجرة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. أخرج الرواة قصته مع زوجته جميلة في أمر الظهار بأسانيد مرسلة. انظر: الإصابة: ٩٧/١، رقم الترجمة: ٣٤٢، وأسد الغابة: ١/ ٢٠٣، رقم الترجمة: ٣٠٨ .

(٣) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي من أهل اليمن، حليف بني أسد، وكنيته أبو عبد الله. يقال: إنه حالف الزبير في قصته في كتاب أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله ﷺ في الصحيحين، وفيه نزلت آية الممتحنة، واعتذر أنه لم يكن له في مكة عشيرة تدفع عنه أهله فقبل النبي ﷺ عذره. أرسله النبي ﷺ إلى المقوقس سنة ست، وبعث معه عائداً مارية القبطية هدية لرسول الله ﷺ وثلاثاً غيرها وهبهن لبعض صحبه. روى أربعة أحاديث بعضها في صحيح مسلم. مات سنة ثلاثين للهجرة، وله خمس وستون سنة. وصلى عليه عثمان. انظر: أسد الغابة: ٤٩١/١ ، رقم الترجمة: ١٠١١

(٤) سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب، أمَّنَها النبي ﷺ يوم الفتح. كذا في التجريد. وقيل: أم سارة. روى قتادة عن أنس أن أم سارة كانت مولاة لقريش، فأتت النبي ﷺ فشكت إليه الحاجة، ثم إن رجلاً بعث معها بكتاب إلى أهل مكة لتحفظ عياله، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾. [الممتحنة: ١] . انظر: أسد الغابة: ٣٤٦/٦، رقم الترجمة: ٧٥٤٢، تفسير ابن كثير: آية الممتحنة (١)، والإصابة: ٣٠١/١، رقم الترجمة: ١٥٣٨، والإصابة: ٣١٧/٤، رقم الترجمة: ٥١٧.

(٥) زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب. انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٤/ ٤٠ . وفي أسباب النزول للواحدي: ص: ٣٤٦ ، أنها مولاة أبي عمرو بن صهيب بن هشام.

ٱللَّهِ وَفَتۡحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ». / وفي (الجمعة) ساعة[١] لا يوافقها مسلمٌ يُصلِّي يسألُ الله خيراً إلا أعطاه، كذا ورد في الخبر، وهي آخر ساعات الجمعة،[٢] وقيل: هي الساعة التي خلق الله فيها آدم،[٣] ذكَرهُ عبد الله بن سلام ﷺ [٤]. وقال الإمام

٧/ب

---

(١) أخرج ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن سلام قال: قلت، ورسول الله جالس: إنا لنجد في كتاب الله في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلِّي يسأل الله فيها شيئاً إلا قضَى له حاجتَه. قال عبد الله: فأشار إليَّ رسول الله ﷺ : أوْ بعض ساعة. فقلت: صدقت، أوْ بعض ساعة. قلت: أيُّ ساعة هي؟ قال: هي آخر ساعات النهار. قلت: إنها ليست ساعةَ صلاةٍ، قال: ((بلى، إن العبد المؤمن إذا صلَّى، ثم جلس لا يَحبِسه إلا الصلاةُ فهو في الصلاة)). قال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. انظر: سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة: ١/٣٦٠ــ٣٦١، رقم الحديث: ١١٣٩. وأخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو القاسم ﷺ : ((إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلِّي يسأل الله خيراً إلا أعطاه الله إياه)). وقال بيده، قلنا: يقلِّلُها: يزهِّدها. إسناده صحيح. انظر: مسند أحمد: ٨/٧، رقم الحديث: ٧١٥١.

(٢) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: ((فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلِّي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه الله إياه))، وأشار بيده يقلِّلُها. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة: ١/٢٨٠، رقم الحديث: ٩٣٥. وفي رواية: وقال بيده، ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر، قلنا يزهِّدها. كتاب الطلاق، باب الإشارة إلى الطلاق والأمور: ٦/٥١٢، رقم الحديث: ٥٢٩٤. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه. قال: وهي ساعة خفيفة)). أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة: ٢/٥٨٣، رقم الحديث: ١٥/٨٥٢. ولمسلم أيضاً في تحديد وقتها ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة)). نفس الكتاب والباب: ٢/٥٨٤. رقم الحديث: ٨٥٣.

(٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: ((خلق الله عزَّ وجلَّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدوابَّ يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل)). انظر: صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام: ٤/٢١٤٩ ، رقم الحديث: ٢٧٨٩/٢٧ .

(٤) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف عليه السلام، كان حليفاً للخزرج من بني قينقاع، وكان اسمه الحصين، فغيَّره النبي ﷺ إلى عبد الله. روى عنه ابناه وغيرهما من الصحابة. أسلم أول الهجرة، وقيل: سنة ثمان. وروى له البخاري. وقف مدافعاً عن عثمان حين الفتنة، وأوصى معاذ بن جبل به لصبره في التماس العلم مستشهداً بقول النبي ﷺ فيه: ((إنه عاشر عشرة في الجنة)). مات بالمدينة سنة ٤٣هـ. انظر: الإصابة: ٢/٣١٢، رقم الترجمة: ٤٧٢٥، وأسد الغابة: ٣/١٥٩ ، رقم الترجمة: ٢٩٨٤ .

أحمد: أكثر الأحاديث أنها بعد العصر[١]. وفي سورة (المنافقين): قال عبد الله بن أبيّ المنافق: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ... ﴿٨﴾ ﴾، فبلغ عبدَ الله[٢] بنَ عبدِ اللهِ بن أبيّ ما كان من خبر أبيه، فأتى رسول اللهِ فقال: يا رسول الله بلغني أنك تُريد قتل أبي لِما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به حتى أحمل إليك رأسَهُ، فقال عليه السلام: ((بل نتلطَّف به، ونحسن عشرته مادام فينا، لا يتحدث الناس أن محمداً [ﷺ] يقتل أصحابه))[٣]. في سورة (التغابن) مدح الله الصابرين على المصائب بقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ... ﴿١١﴾ ﴾، وفيها تحريض المؤمنين على الصبر على دين الله، فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾. وفي سورة (الطلاق): ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾. وفي (المتحرم)[٤] ذِكرُ غيرة النساءِ، قال رسول الله ﷺ:/ ((كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام))[٥]. ٨/أ

---

(١) انظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: ٣٨٦/٢ .

(٢) عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ بن مالك بن الحارث الخزرجي، له شرف في الأنصار، ومن فضلاء الصحابة وخيارهم. وكان اسمه الحباب، وبه كان يكنى أبوه، فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبد الله. شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. وأضمر أبوه النفاق، بل ترأسه. وهو المعروف بابن أبيّ، وبابن سلول، وسلول امرأة من خزاعة، وهي أم أبيّ، حسد ابن أبيّ هذا النبي ﷺ وأخذته العزة حين هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ورجع الخزرج عن أمرهم في تتويج ابن أبيّ وتمليكه أمرهم. ولعبد الله مع أبيه موقف مشهور عقيب غزوة بني المصطلق نزلت فيه آيات سورة (المنافقون). واستأذن عبد الله النبي ﷺ الصلاة على أبيه حين مات، وطلب قميصه يكفنه فيه، فأعطاه القميص، وصلَّى عليه، ونزلت آية التوبة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ مؤيدة رأي عمر في ترك الصلاة عليه. أصيبت ثنية عبد الله يوم أحد، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ (ثنية) من ذهب. وقتل يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب شهيداً سنة ١٢ هـ. انظر: أسد الغابة: ١٩٢/٣، رقم الترجمة: ٣٠٣٦ .

(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ٣٠٣/٣ـ٣٠٥.

(٤) وهي سورة التحريم. وتسمى سورة المتحرم، وسورة (لِمَ تحرِّم)، وسورة النبي ﷺ . ذكره ابن عطية في تفسيره. انظر: الإتقان: ١٥٧/١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي موسى الأشعري ﷺ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة: ٥٩٢/٤، رقم الحديث: ٣٧٦٩، وكتاب الأطعمة، باب الثريد: ٥٥١/٦، رقم الحديث: ٥٤١٨.

وسورة (تبارك) ثلاثون آية شفعت لقارئها[١]. وفي سورة (نون): ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ... ﴿٤٨﴾ ﴾. و(الحاقةُ): الساعة، يقول الله لمن صبر في الدنيا على المكاره: طالما نظرتُ إليكم في الدنيا، وقد قلصت[٢] شفاهكم عن الأشربة، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وفي سورة (المعارج) قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾. وفي (المدثر): ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ ﴾، وأول يوم هبط جبريل بالوحي على رسول الله ﷺ يوم سبع وعشرين من رجب. وسورة (القيامة) نزلت في عمر[٣] بن ربيعة وهو يومئذٍ من كفار قريش. وفي سورة (هل أتى): ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ ﴾. وفي (المرسلات): ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾. وفي سورة (النبأ) ذكر الله للمتقين الصابرين موضع فوزهم ونزهتهم فقال: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ أي: إن للمتقين/ فوزاً وظفراً. و(النازعات) هم الملائكة، ذكر فيها أن الجنة مأوىَ الخائفين فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ

٨/ب

وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين: ١٨٨٦/٤ رقم الحديث: ٢٤٣١/٧٠.

(١) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾)). أخرجه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك: ٤٠٨/٤، رقم الحديث: ٢٩٠٠. وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة بلفظ: ((سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾)): ١٢٠/٢، رقم الحديث: ١٤٠٠. وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن (بلفظ رواية الترمذي): ٢/ ١٢٤٤، رقم الحديث: ٣٧٨٦.

(٢) قلصت الشفاه أي: انزوت وشمَّرت ونقصت. انظر: لسان العرب: ٨٠/٧ .

(٣) وردت في الأصل: (عمير) وهو خطأ في النسخ، والصواب: (عمر). وسورة القيامة نزلت في عمر بن ربيعة، وذلك أنه أتى النبي ﷺ فقال: حدثني عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد، ولم أؤمن به، أوَ يجمع الله هذه العظام؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة القيامة: الآية: ٣]. انظر: أسباب النزول للواحدي: ص: ٣٦٤.

هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١١﴾ ﴾. ونزلت سورة (عبس) في ابن أم مكتوم[١]. ومعنى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ ﴾ أي: كُوِّر ضوءُها[٢]. ومعنى الانفطار ظاهر[٣]. والمطفِّف: الذي لا يوفي الكيل، وفيها وصف الله الأبرار فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.. الآيات. وانشقاق السماءِ من علامات الساعة. والبروج الاثنا عشر، والأُخدودُ الشقُ المستطيلُ. و(الطارق): النجم. وكان النبي ﷺ يحب سورة (سبح اسم ربك الأعلى). وفي سورة (الغاشية) وصف الله وجوه المؤمنين الصابرين بالجمال والبهاءِ فقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾. والمراد بقوله: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ ﴾، أي: فجر يوم النحر، وفيها ذكر الله إرم ذات العماد[٤]، وما جرى عليه أمر شدَّاد ابن عاد. ولشرف مكة أقسم الله بها فقال: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ ﴾./ ٩/أ وضوء الشمس ونور القمر من نور الله، ولذلك أقسم بهما فقال: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ ﴾. وأقسم الله بالليل والنهار لعظمهما فقال: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾. و(الضُحَى) صدر النهار. وشرح صدره فملأه حكمة

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى النبي ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله رجال من عظماء المشركين، فجعل النبي ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخرين. ففي هذا أنزلت: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ ﴾ . انظر: أسباب النزول للواحدي: ص: ٣٦٥.

(٢) كوِّرت الشمس: جُمِع ضوءُها ولُفَّ كما تُلَفُّ العمامة، واضمحلَّت وذهبت. انظر: لسان العرب: ١٥٦/٥، مادة: (كور).

(٣) انفطرت: انشقت. انظر: لسان العرب: ٥٥/٥، مادة: (فطر).

(٤) إرم ذات العماد: أقوال عديدة في إرم، أشهرها أنها مدينة باليمن بناها شداد بن عاد ــ وكان جباراً ــ، وقصد بها مضاهاة الجنة التي وُصِفت له، ومكث في بنائها خمسمئة عام. وأرسل الله إليه هوداً يدعوه للإيمان بالله، فتمادى في الكفر والطغيان، وخرج إلى المدينة بعد انتهاء بنائها، وخلَّف على ملكه ابنه (مرثد)، وكان مؤمناً بهود عليه السلام، لكن الله أرسل على شداد صيحة من السماء حين انتهى إليها، فهلك هو وأصحابه، وأصبحت أثراً بعد عين. انظر: معجم البلدان: ١٥٥/١ .

وإيماناً. والتين دمشق[١]، والزيتون بيت المقدس. وسورة (القلم) أول ما نزل من القرآن[٢]، والقلم مطيَّةُ الفطنة. وسميت ليلة القدر لعظمها. وفي (لم يكن) أخبر الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾. والزلزلة تكون من شدة صوت إسرافيل. و(العاديات) الخيل، وقيل: الإبل. و(القارعة): القيامة. والمراد بقوله: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾ يعني: بالمال. و(العصر): الدهر. ونزلت سورة (الهمزة) في الأخنس بن شريق[٣]. وصاحب الفيل أبرهة الأشرم[٤]، وفيها ذكر قصته. وسورة (لإيلاف قريش) مرتبطة بما قبلها. ومعنى (أرأيتَ): هل عرفت. و(الكوثر) نهرٌ في الجنة حافتاه قبابُ اللؤلؤِ مجوّف[٥]. وسورة (الكافرين) براءة من الشرك[٦]. وسُمِّيَت سورة (النصر) لنصر النبي ﷺ على أعدائه. والتبُّ:

---

(١) التين اختلف فيه؛ قيل: مسجد دمشق، وقيل: هي نفسها، وقيل: الجبل الذي عندها. وقال القرطبي: هو مسجد أصحاب الكهف. والزيتون: هو مسجد بيت المقدس. وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم: هو تينكم الذي تأكلون، والزيتون الذي تعصرون. انظر: تفسير القرطبي: ٢٠/١١٠، تفسير ابن كثير: ٤/٥٢٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي: ١/٤، رقم الحديث: ٣ . وصحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بدء الوحي: رقم الحديث: ٢٥٢/١٦٠. وأسباب النزول للواحدي: الصفحات: ٩، ١٠، ٣٧٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٥٤٨.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٥٤٩ــ٥٥٣.

(٥) أخرج البخاري: عن أنس ﷺ قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: ((أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر)). انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب سورة ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ : ٦/٤٠٧، رقم الحديث: ٤٩٦٤،. وأخرج أحمد في مسنده عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، قال: فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك عزَّ وجلَّ قال: فضرب بيدي فإذا طينه المسك الأذخر، وإذا رضراضه اللؤلؤ)). انظر: مسند أحمد: ١١/١٧٧، رقم الحديث: ١٣٣٥٨. وإسناده صحيح.

(٦) روى الطبراني في المعجم الكبير عن جبلة بن حارثة أن النبي ﷺ قال: ((إذا أويت إلى فراشك فاقرأ : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ حتى تمرَّ بآخرها، فإنها براءة من الشرك)). وروي أيضاً عن نوفل والد فروة الأشجعي. وأخرج أحمد في مسنده عن الحارث بن جبلة قال: قلت يا رسول الله علِّمني شيئاً أقوله عند منامي قال: ((إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ فإنها براءة من الشرك)). جاء في إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي لابن حجر العسقلاني بعد سرد هذا الحديث برقم: ٢١٣٦ ما يلي: لم أجد هذا الحديث في المطبوع، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤/٥٦٠، في تفسير (الكافرون)، وعزاه للإمام أحمد، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٦/٤٠٥، وقال: وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الأوسط عن الحارث بن جبلة. وقال الطبراني عن جبلة بن حارثة، وهو أخو زيد بن حارثة. وهذا الحديث

الخُسران. ومن قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ عشر مرات بنى الله له بها قصراً في الجنة[١]. و(الفلق): الصبح[٢]، والغاسق: القمر إذا دخل في الخسوف[٣]. / ومعنى أعوذُ: ألوذ بك، وألجأُ إليك. ٩/ب

وهـــذا أوانُ شُـــروعي في طلب ما أشرتُ إليه في هذه المقدِمة، وعلى الله المعتمد في إخلاص النيةِ، وهو حسبي ونعم الوكيل. وسمَّيتُهُ:

(جُنَّةَ الصابرين الأبرار، وجَنَّةَ المتوكلين الأخيار).

رواه النسائي في اليوم والليلة برقم: ٣١٨٣ كما في تحفة الأشراف: ٤٠٨/٢ رقم الحديث: ٣١٨٣، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٨٧/٢ برقم: ٢١٥٩ من رواية جبلة بن حارثة الكلبي أخي زيد بن حارثة عن النبي ﷺ . انظر: إطراف المسند المعتلي: ٢٢١/٢، مسند الحارث بن جبلة، أو جبلة بن الحارث.

(١) أخرج أحمد في مسنده: عن معاذ بن أنس الجهني صاحب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((من قرأ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة. فقال عمر بن الخطاب ﷺ: إذاً أستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: الله أكثر وأطيب)): ٢٤٨/١٢، رقم الحديث: ١٥٥٤٧. وإسناده ضعيف. وأخرج الدارمي بسنده عن سعيد بن المسيب يقول: أن نبي الله ﷺ قال: ((من قرأ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ عشر مرات بُني له بها قصر في الجنة، ومن قرأ عشرين مرة بُني له بها قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بُني له بها ثلاثة قصور في الجنة. فقال عمر بن الخطاب ﷺ: والله يا رسول إذاً لتكثِرَنَّ قصورنا، فقال رسول الله ﷺ: الله أوسع من ذلك)) . انظر: سنن الدارمي كتاب فضائل القرآن، باب في فضل ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ : ٣٠٩/٢، رقم الحديث: ٣٤٢٤. وأخرجه ابن السني في عمل اليوم: صفحة: ٢٢١، رقم الحديث: ٦٨٧.

(٢) الفلق: الصبح ويقال: أبين من فَلَق الصبح وفرق الصبح. وفي الحديث: ((أنه كان يرى الرؤيا فتأتي مثل فَلَق الصبح)). أي: ضوئه وإنارته. انظر: لسان العرب ٣١٠/١٠.

(٣) هذا من معانيه، والغسق: هو ظلمة الليل. قال ابن قتيبة: الغاسق: القمر، سُمِّيَ به لأنه يُكْسَفُ فيَغْسِق، أي: يذهب ضوؤه ويسود ويظلم. وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ((أخذ رسول الله ﷺ بيدي لمّا طلع القمر ونظر إليه فقال: هذا الغاسق إذا وقب فتعوذي بالله من شره)). أي من شره إذا كسف. انظر: لسان العرب: ٢٨٩/١٠، مادة: (غسق).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

نتكلم عليها من وجوه:

الأولُ: فـــي فضـــلِ القـــرآن، الثاني: في الاعتصام به، الثالث: في فضل تفســـيره، الـــرابع: في الأدب فيه، ورُتَبِ مفسريه، الخامس: في قوله عليه الصلاة والســـلام: ((إن هـــذا القرآن أنزل على سبعةِ أحرف فاقرؤوا ما تيسَّر منه)) (١)، السادس: في الكلام على الاستعاذة، السابع: في الكلام على البسملة.

أما فضله: فقد نوَّه الرَّبُّ سبحانه وتعالى بذكره، فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣]، إلى غير ذلك من الآيات. وقال عليه الصلاة والسلام: ((ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قيل: فما النجاة منها يا رسول الله؟ قال كتاب الله، فيه نبأُ من قبلكم،/ وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو فصل ليس بالهزل، هو حبلُ اللهِ المتين، ونورُهُ المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب به الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا تملُّهُ الأتقياء. مَن عَلِمَ عِلْمَه سبق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عَدَل، ومن اعتصم به فقد هُدي إلى صراط مستقيم)) (٢).

أ/١٠

---

(١) أخرج البخاري بسنده إلى عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ((سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ عليَّ غير ما أقرأتَنيها. فقال له: أرسله، ثم قال له: اقرأ، فقرأ، قال: هكذا أُنزلت، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال لي: هكذا أُنزلت. إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا منه ما تيسَّر)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض: ١٢٧/٣. رقم الحديث: ٢٤١٩، ولَبَبْتُه بردائه: أي جعلته في عنقه وجررته به.

(٢) أخرج الترمذي بسنده عن الحارث قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليٍّ فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟

وعن أنس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] هي القرآن. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ((من قَرأ القُرآن فقد أُدرجتِ النبوة بين عينيه إلا أنه لا يوحى إليه)).[١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [المزمل: ٥] ، أي: علم معانيه، والعمل به وبحقوقه.

وأما فضل تفسيره: فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((الذي يقرأ ولا يُفسِّرُ كأعرابي يهذُّ الشعر)).[٢] قلتُ يريد أنَّهُ لا يفهم معناه، ولا يعمل بمقتضَاه، والله أعلم. وقال مجاهد: أحبُّ الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل[٣].

قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبَّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَق على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه. هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ [الجن: ١ــ٢]. من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم)). خذها إليك يا أعور. قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. انظر: سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن: ٥/ ١٥٨، رقم الحديث: ٢٩٠٦. ورواه الدارمي بلفظ: ((ستكون فتن، قلت: وما المخرج؟ قال: كتاب الله..)) الحديث. انظر: سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن: ٥٢٦/٢، رقم الحديث: ٣٣٣١

(١) لم أهتدِ إلى رواية ابن عباس هذه فيما بحثت. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة من جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحِدَّ مع من حدَّ، ولا يجهل مع من يجهل، وفي جوفه كلام الله)). أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضائل القرآن جملة: ٧٣٨/١، رقم الحديث: ٩/٢٠٢٨. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعن وكيع قال: حدثنا إسماعيل بن رافع عن رجل عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ((من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه. ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أُعطي أفضل مما أُعطي فقد عظَّم ما صغَّر الله، وصغَّر ما عظَّم الله، وليس لحامل القرآن أن يَسفه فيمن يسفَه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتدُّ فيمن يحتدُّ، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن)). أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً: ٤٦٧/١٠، رقم الحديث: ١٠٠٠٢. ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٢/ ٥٢٢، رقم الحديث: ٢٥٩٠ و: ٥٢٩/٢ ، رقم الحديث: ٢٦١٧ بألفاظ متقاربة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((الذي يقرأ القرآن ولا يفسِّر كالأعرابي الذي يهذُّ الشِّعرَ)). انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٦/١. والهذُّ: سرعة القراءة والقطع، يقال: هذَّ قراءته إذا أسرع فيها، وهذَّ الحديث سرده. انظر: القاموس المحيط: ص: ٤٣٤، مادة: (الهذّ).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٦/١.

وأمـــا الأدب فـــيه والـــنظر في معانيه: فيعمل بقوله عليه الصلاة والسلام: ((من قال في القُرآن برأيه فقد أخطأ)) [١] أي: بلا نظر في قول العلماءِ.

وأفضل المفسرين: عليٌّ، وابن عباسٍ، وابن مسعود، والحفظ عن ابن عباس أكـــثر من عليّ. وكان عليٌّ يَحمدُ تفسيرَ ابنِ عباسٍ ويحضُّ عليهِ. وقال ابن عباسٍ رضـــي الله عـــنهما: ((ما أخذتُ / منه فمن عليٍّ)). وكان ابن عباس رضي الله عـــنهما يُسمَّى ترجُمان القُرآن[٢]. ثُمَّ أبيٌّ، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

١٠/ب

---

(١) أخرج الترمذي في سننه بسنده عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)). رقم الحديث: ٢٩٥٢. قال أبو عيسى: هكذا رُوِيَ عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسَّر القرآن بغير علم. وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوَّأ مقعدَه من النار)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. رقم الحديث: ٢٩٥٠. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعدَه من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوَّأ مقعدَه من النار)) قال أبو عيسى هذا حديث حسن. حديث رقم: ٢٩٥١. أخرج هذه الأحاديث الثلاثة الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ١٨٣/٥. وأخرج أبو داود في سننه بسنده إلى جندب بن جنادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((من قال في كتاب الله عزَّ وجلَّ برأيه فأصاب فقد أخطأ)). كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم: ٣/ ٣٢٠، رقم الحديث: ٣٦٥٢. والرأي نوعان؛ إما أن يكون جارياً على كلام العرب، ومناسباً للدلائل الشرعية، وهو محمود ولا يمكن إهماله، أو مخالفاً لهما لا يجري عليهما، وهو مذموم يُرَدُّ ولا يقبل بحال. ومثلُ القرآن الحديثُ في امتناع تفسيره بالرأي الذي لا يرجِّع إلى الشرع ولا إلى كلام العرب. رُوِيَ عن أحمد أنه سئل عن حرف من الحديث فقال: سلوا أصحاب الغريب، فإني أكره أن أتكلَّم في قول رسول الله ﷺ بالظن. وسئل الأصمعي عن حديث رسول الله ((الجار أحقُّ بصقبه)) فقال: أنا لا أفسِّر حديث رسول الله، ولكن العرب تزعم أن الصقب اللزيق. انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٩/١

(٢) وذلك بشهادة النبي ﷺ له. عن مجاهد قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال لي رسول الله ﷺ : ((نِعْمَ ترجمان القرآن أنت)). أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٣١٦/١، وأخرج البيهقي في دلائل النبوة: ٦/ ١٩٢ــ١٩٣ عن ابن مسعود ﷺ قال: نِعْمَ ترجمان القرآن عبد الله بن عباس. وهو الذي يقول الرسول ﷺ فيه: ((اللهم فقِّهْه في الدين)). وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعْتُ له وَضوءاً. قال: مَن وَضَع هذا؟ فأُخبِرَ، فقال: ((اللهم فقِّهْه في الدين)) كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء: ٥٦/١، رقم الحديث: ١٤٣. وفي رواية أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي، أو على منكبي ــ شكَّ شعبة ــ، ثم قال: ((اللهم فقِّهْه في الدين، وعلِّمه التأويل)) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٥٣٤ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح. وفي سنن الترمذي: عن ابن

وجميع أقوال الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وغيرهم حسنَة، لأنهم عُدُولٌ بالنص الصريح(١)، وشاهَدوا التنزيل، فهم أعلم بالتأوِيلِ.

ومن التابعين: الحسنُ البصريُّ، ومجاهد، وابن جُبير، وعلقمة، وعكرمة، وتبعهم الناس(٢).

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: ((إن هذا القُرآن أنزل على سبعة أحرف))(٣): قال ابن شِهابٍ: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلالٍ ولا حرام(٤).

قلت(٥): والحكمة في ذلك عجز العرب الذين هم أفصح الخلق بعد الأنبياء عن الإتيان بمثله، كعجز الأطباء زمن عيسى، والسحرة زمن موسى، والله أعلم.

عباس ﷺ قال ضمَّني رسول الله ﷺ وقال: ((اللهم علِّمْه الحكمة)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح: حديث رقم: ٣٨٢٤، وفي الترمذي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكمة مرتين)). قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن عباس: ٥/٦٣٨، رقم الحديث: ٣٨٢٣. وفي رواية عند البغوي في معجم الصحابة: ((اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه تأويل الكتاب)). وقد تحققت إجابة دعوة النبي ﷺ فكان ابن عباس رضي الله عنهما بحرَ العلم وحَبْرَ الأمة، ورئيس المفسرين، وتَرجُمان القرآن. انظر: المحرر الوجيز: ١١/٣٠، ومناهل العرفان: ١/٤٨٣.

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه. قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد)). كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد: ٣/٢٠٩، رقم الحديث: ٢٦٥٢. وقوله: يضربوننا أي: ونحن صغار. على الشهادة والعهد أي: على قولنا: أشهد بالله، وعليَّ عهد الله ما كان كذا. وإنما كانوا يضربونهم لئلا يصير ذلك لهم عادة، فيحلفون في كل ما يصلح وما لا يصلح.

(٢) انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ١/٢٨ ــ ٣٢.

(٣) سبق تخريج الحديث في الصفحة: (١٩) من الكتاب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه، قال: حدثني حرملة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، حدثني عبد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما حدَّثه أن رسول الله ﷺ قال: ((أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف)). قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام. صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه. انظر: صحيح مسلم: ١/٥٦١، رقم الحديث: ٨١٩/٢٧٢.

(٥) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

وأما التعوّذ: فيحسُنُ[١] في غُرَّةِ الصلاةِ عند أحمد، والشافعي، وأبي حنيفة. وعـــند مالك يُتعوذ في النفل لا الفرض[٢]. ولفظها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قـــال ابن عباس رضي الله عنهما: ((أول ما نزل جبريل عليه السلام قال: قل يا محمـــد: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل: بسم الله الرحمن الرحـــيم))[٣]. وقـــال ابن القاسم[٤]: لفظها أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم / إن الله هو السميع العليم[٥]. وشيطان: فيعال، من شَطَنَ بَعُدَ. وقيل: من شاط يشيط، إذا هاج وأُحرق[٦]. والرجيم: المرجوم.

١١/أ

والقـــراء كلُّهـــم إلا حمـــزةَ يســـتعيذون، ثـــم يبسملون في أول الحمد[٧]، والمدنيُّون[٨] يفتتحون بالبسملة فقط.

وأما ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فورد أن الشيطان يصغر عند ذكرها حتى يصير أقل من ذُبابة[٩]. وقوله: ﴿ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ ﴾ [الإسراء: ٤٦]، أي: بسملت. وقال

---

(١) **الحكم الفقهي للاستعاذة** في الصلاة أنها سنة عند الحنفية والشافعية، وهو المذهب عند الحنابلة. وفي رواية عن أحمد أنها واجبة. انظر: حاشية ابن عابدين: ٤٤٣/١ ، والمجموع: ٣٢٤/٣ـ٣٢٥ ، والإنصاف: ١١٩/٢ .

(٢) الاستعاذة عند المالكية: جائزة في النفل، مكروهة في الفرض. انظر: حاشية الدسوقي: ٢٥١/١ .

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ ، قال: يا محمد قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد ﷺ بلسان جبريل، فأمره أن يتعوّذ بالله دون خلقه. انظر: تفسير الطبري: ٥٠/١ .

(٤) في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: روى سليمان بن سالم عن ابن القاسم، وفي بعض النسخ: عن أبي القاسم وهو المسيبي. : ٧٥/١ .

(٥) رواه الهذلي عن ابن كثير. انظر: النشر في القراءات العشر: ١٩٧/١، والمحرر الوجيز: ٧٥/١ .

(٦) انظر: لسان العرب: ٢٣٨/١٣ مادة: (شطن)، القاموس المحيط: ص: ٨٧١ مادة: (شاط).

(٧) انظر: الكشف لمكي: ١١/١، التبصرة لمكي: ص: ٢٤٥، النشر لابن الجزري: ١٩٩/١.

(٨) المدنيون: (عاصم وأهل الحرمين ونافع وأبو جعفر وابن كثير والكسائي). انظر: كتاب السبعة لابن مجاهد: ص: ٣٨٦.

(٩) أخرج أحمد في مسنده قال: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي ﷺ ، قال شعبة قال عاصم عن أبي تميمة عن رجل عن رديف النبي ﷺ قال عثر بالنبي ﷺ حمارُه فقلت: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ : ((لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاظم وقال:

عليه السلام: ((كيف تستفتح الصلاة يا جابر؟)) فحمدلَ[١]، فأمَرَه النبي ﷺ بالبسملة.[٢]

وهل هي آية من أول كل سورة، أو للفصل بين السورِ؟ خلاف بين العلماء، والأكثرون على أنها للفصل؛ منهم أحمد، ومالك، وأبو حنيفة. وعند الشافعي: هي آية من الفاتحة. قال ابن عباس: ((بها أول نزول جبريل، أمره فقالها محمد ﷺ، ثم قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ))[٣] الحديثَ.

وهي تسعة عشر حرفاً بعدد ملائكة النار، وبها قُوَّتُهم[٤].

بقوَّتِي صرعتُه، وإذا قلت: بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب)). المسند: رقم الحديث: ٢٠٤٧٠، وإسناده صحيح. وروى النسائي في اليوم والليلة من حديث خالد الحذاء عن أبي تميمة وهو الجمحي، فذكره وقال: ((إذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس الشيطان، فإنه يتعاظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوته صنعته، ولكن قل: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، فإنه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب)). انظر: المحرر الوجيز: ٧٩/١. وعمل اليوم والليلة: ص: ٥٥٨.

(١) حمدل: من الحمدلة. وهو لفظ منحوت من كلمتين أو أكثر، ويسمى في فقه اللغة بـ: (النحت)، وهو اشتقاق كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر تدل على معنى ما اشتقت منه. وتعني هنا: (الحمد لله رب العالمين)، ومثله: الحسبلة: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، وكذا البسملة: (بسم الله الرحمن الرحيم)، والحوقلة: (لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، ورجل عبشمي: أي: (منسوب إلى عبد شمس)، والدمعزة حكاية قول: (أدام الله عزك)، والجعفلة حكاية قول: (جُعلت فداءك)، وهكذا. انظر: فقه اللغة للثعالبي: ٦٥٧/٢.

(٢) عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((كيف تقرأ إذا قمت في الصلاة؟ قلت: أقرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، قال: قل: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾)). رواه الدارقطني في سننه: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ في الصلاة، والجهر بها: ٣٠٨/١، رقم الحديث: ٢٢. وقال في التعليق المغني على سنن الدارقطني: في سنده جهم بن عثمان، قال الذهبي عنه: جهم هذا لا يدري مَن ذا، وبعضهم وهاه. ورواه البيهقي في شعب الإيمان. انظر: المحرر الوجيز: ٧٩/١.

(٣) الخبر في تفسير الطبري: ٥٠/١ .

(٤) روى وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جُنَّة من كل واحد. فالبسملة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر] وهم يقولون في كل أفعالهم: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، فمن هنالك هي قوَّتهم، وببسم الله استضلعوا. انظر: تفسير القرطبي: ٩٢/١.

قال ابن عطية هذا من مُلَح[١] التفاسير[٢].

فالمجرور بها عند البصريين رفعٌ تقديره عندهم: ابتدائي ثابت. وظاهر مذهب سيبويه نُصِبَ بثابت، وعند الكوفيين تقديره ابتدأتُ بسم، فالمجرور عندهم نصب. والله أعلم[٣]./

١١/ب

وكسر الباء لتشبُّهِ عملها[٤]، أو لتفرُّدِ الاسم المنفرد بالجرِّ بها، أو لِتعذُّرِ اسميَّتِها، وحذف الألف لكثرة الاستعمال.

والاسم مأخوذ من السموِّ: العُلوِّ. والأصل سِمْوٌ، أو سُمْوٌ. وليس غرضنا بيان مذاهبهم هنا. فنقول: المسبَّحُ بها[٥] منزَّهٌ عن نقائص البشر، وعن الشبيه والعديل والنظير، كما قال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ [لقمان: ١١] ، ومن لا شبَه له فهو الربُّ الحق، والإله الأعلى. فلما كانت هذه الكلمة ــ أعني قولك بسم ــ بمعنى العلوِّ، والعلوُّ يعمُّ جميعَ معاني السُبُحات كُلِّها، وكانت سُبُحاتُه لا تُحصَى، ومدائحهُ لا يُحاطُ بها، قَرنه باسْمه العظيم الذي جميع الأسماء كُلِّها دالةٌ عليه، ومشيرة إليه.

---

(١) مُلَح: أي محاسن، وهو من المجاز. يقال: حدَّثته بالمُلَح، وفلان يتظرَّف ويتملَّح. قال الطرماخ يخاطب زوجته سليمة:

تملَّحُ ما اسطاعت ويغلب دونها هوىً لم يُنسِ مُلْحَةَ المتملِّح

انظر: أساس البلاغة: ص: ٦٠٢ ، والقاموس المحيط: ص: ٣١٠ ، مادة: (ملح).

(٢) انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ٨٢/١ .

(٣) انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ٨٣/١.

(٤) حُرِّكت الباء بالكسرة حيث هي حرف جرٍّ، والاسم بعدها مجرور بها، فناسب لفظُها مجرورةً عملَها، وهو جرُّ ما بعدها.

(٥) أي: ببسم الله الرحمن الرحيم.

ثم أمرنا أن نتبرك بها عند بدايةِ أمورنا، ونلوذَ بعصمتها عند الشُروع في جميع أقوالِنا[١]، وحكم على تاركها بالتفسيقِ[٢]، وعلى ما تُرك ذِكرُها عليه بالتحريم، بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((كل أمر لم يذكر اسم الله عليه فهو أجزم)).[٣] أي: فهو كاليد الجزماء[٤]، فكانت كلمة ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ جِماعاً لجميع السُبُحاتِ كلها، جَمَعَها/ رحمةً منه بنا، لنتوصل إلى تمجيده، والثناء بأيسرِ مؤونة، وأقل عمل. كفعله في أم القرآن؛ حيث جمع فيها ما تفرق في جميع القرآن من

١٢/أ

---

(١) اتفق الفقهاء على أن التسمية مشروعة لكل أمر ذي بال؛ عبادة أو غيرها. فتقال عند البدء في التلاوة، والأذكار، والركوب، ودخول المسجد والمنزل، وكذا الخروج، وعند إيقاد المصباح وإطفائه، وعند النوم، وفي أوائل الكتب، وعلى موضع الألم، وبين يدي جميع الأمور المهمة. وإن نسي التسمية أو تركها عمداً فلا شيء عليه، ويثاب إن فعل.

(٢) حكم التفسيق في حالة تعمد تركها عند الذبح، لورود النص بذلك. وقد ذهب السادة الحنفية والمالكية والحنابلة إلى وجوبها عند الذبح، وذهب السادة الشافعية إلى سنيَّتِهَا. انظر: حاشية ابن عابدين: ٥/١٩٠ـ ١٩٢، ٥/٣٠٠، وشرح الزرقاني: ٢/٧٣، وحاشية الدسوقي: ١/١٠٢، والمغني: ٨/٥٦٥، والمقنع: ٣/٥٤٠، ونهاية المحتاج: ٨/١١٢.

(٣) لم أهتدِ إلى هذه الروايه فيما بحثت. وهناك روايات متقاربة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم)). قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلاً. أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام: ٤/ ٢٦١، رقم الحديث: ٤٨٤٠. وعن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع)). أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح: ١/٦١٠، رقم الحديث: ١٨٩٤. وقال السندي فيه: الحديث قد حسنه ابن الصلاح والنووي، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك. وفي مجمع الزوائد: عن كعب بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أقطع أو أجذم))، باب الخطبة والقراءة فيها: ٢/١٨٨. ورواه الطبراني في الكبير: ١٩/٧٢ ، وفي سنده صدقة بن عبد الله ضعَّفه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم، ووثَّقه أبو حاتم ودحيم في رواية. وذكر النووي ألفاظاً أخرى: " بسم الله "، " بذكر الله " وردت في بعض طرق الحديث بأسانيد واهية. وعلى تقدير صحته فالرواية المشهورة فيه بلفظ: " بحمد لله ". أخرجه أحمد: ٢/٣٥٩، والنسائي برقم: ٤٩٤، والدارقطني: ١/٢٢٩. انظر: فتح الباري: ٨/٦٨ وصحيح ابن حبان: ١/١٧٣. أما حديث: ((كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع)). فقد عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى عبد القادر الرهاوي في الأربعين وضعَّفه. انظر: فيض القدير: ٥/١٣ .

(٤) الجزم: القطع، واليد الجزماء اليد المبتورة. انظر: لسان العرب: ١٢/٩٧. مادة: (جزم).

العلوم، وجمع علم أمِّ القرآن في إياك نعبد وإياك نستعين، وعلى هذا أجرى حكمَه في تيسير هذه العظائم في مواضع الحاجة إليها رأفةً منه ورحمة، فيكون قائل ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ على ما ذكرتُ واصفاً لله تعالى بما وصف به نفسه، وإن كان يعجِزُ عن بلوغ ذلك فهمُه، مثنياً على الله تعالى بما أثنى على نفسه، وإن كان لا يُحصيه عقلُه، ولا تدركه معرفتُه، والله أعلم.

و﴿ ٱللَّهُ ﴾ اسم خاص لا يُسمَّى به سواه البتةَ مجازاً ولا حقيقة، وهو عند أكثر أهل التحقيق لا اشتقاق له في اللغة، وكل ما يأتي بعدَهُ من الأسماء فهو معبِّر عنه. ولَهَ والألَهُ سبحانه هو المحبوبُ المطاعُ المعبود لا يقع على غيره بالتعريف حقيقةً ولا مجازاً بتةً. وأصله من وله يله ولهاً. والولَهُ ذهابُ كل شيء سوى ذكر من كان الوله من أجله[1]، والله أعلم.

وتفسير﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يأتي في الفاتحة إن شاء الله./ ١٢/ب

---

(١) الولْه: ذهاب العقل من الهوى. يقال: ولَّهَه الحبُّ إذا حيَّره. والولَهُ: الحزن، أو ذهاب العقل حزناً، والحيرة والخوف. انظر: الكليات: الصفحة: ٩٤٧. القاموس المحيط: الصفحة: ١٦٢١ .

الفاتحة

قـــال ابن عباس رضي الله عنهما: مكيَّة، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: ((وهي السبع المثاني))[١].

قلـــتُ: لتثبيـــتها فـــي كل ركعة، ولأن فرض الصلاة بمكة، وما عُرِف في الإسلام صلاةٌ بدونها.

وقـــال عطاء والزهري: هي مدنيَّة، بدليل تسميتها الفاتحة[٢]. والألف واللام في ﴿ ٱلْحَمْدُ ﴾ للحصر، ولام الجرِّ الذي في اسم ﴿ ٱللَّهِ ﴾ جلَّ ذِكْرُه للإضافةِ.

والحمد: هو الثناءُ على المحسنِ بجميل صفاته، وكلمة ﴿ ٱلْحَمْدُ ﴾ تدل على جميع معاني الصفات العُليا، والأسماء الحُسنى، له الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. وجميع الأسماء معبرةٌ عن اسمه ﴿ ٱللَّهِ ﴾ تبارك وتعالى، ومشيرة إليهِ، كما تقدم. فاشتملت هذه الجملة ــ أعني الحمد ــ على معنى التسبيح، والوحدانيَّة لجلاله سبحانه وتعالى، وما يأتي بعد ذلك من أسمائه وصفاته فإنما هي شرح لهذه الجملة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قلت: في معرفة الربوبيَّة معرفة العبوديَّة لأن من عرف نفسه فقد عرف ربَّهُ، وفي معرفة العالمين معرفة الملك والملكوت.

---

(١) أخرج البخاري بسنده إلى سعيد بن أبي المعلى ﷺ قال: ((كنت أصلِّي فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه، قلت: يا رسول الله إني كنت أصلِّي، قال: ألم يقل الله: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ ثم قال: ألا أعلِّمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: ألا أعلِّمك أعظم سورة من القرآن؟ قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)). كتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب: ٦/٤٢١، رقم الحديث: ٥٠٠٦.

(٢) الجمهور على أنها مكيَّة، لقوله تبارك وتعالى في سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝ ﴾. وسورة الحجر مكيَّة بلا خلاف، وهو مروي عن علي بن أبي طالب والحسن وأبي العالية وقتادة وأبي ميسرة. وعند مجاهد أنها مدنيَّة، وهو مروي عن أبي هريرة ومجاهد وعبيد بن عمير وعطاء الخراساني وفي قول لابن عباس أيضاً. انظر: زاد المسير: ١/٩، وأسباب النزول للواحدي: ص: ١٨.

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد[1]
وكلٌّ لآلائــه ذاكِـــرٌ وكلٌّ له شاكر حامد

/ وكلُّما جاء بعد ذلك من ذكر الموجودات علواً وسفلاً، ظاهراً وباطناً، فهو معبِّر عنها، وشارح لها. ١٣/أ

وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾؛ قلت: جميع الثناء حاصل في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ من طريق التصريح والتلويح. أما التصريح فظاهر، وأما التلويح ففي قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ في مفتتح كتابه بشارةٌ منه لعباده، وإعلامٌ منه أن رحمتَه أسبقُ من غضبه، كما قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾[الأنعام: ٥٤]، فهو بشارةُ المؤمنين الحامدين يوم القيامة. وفي الرحمن معنى الأمانة بالأمر المؤتمن عليه.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، يعني: يوم الجزاء[2] فعبَّر بهذه الجملة عن البعث والنشور، والوعد والوعيد، والجزاء العاجل والآجل.

وقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾، قلتُ: في ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ جِماعُ معنى الإخلاص، والتوبة، وأداءِ الأمانة، والتوجه إليه، وجميع أعمال الطاعة ظاهراً وباطناً. وفي قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ معنىً جامعاً للتبري من الحول والقوة. وفي هاتين الجملتين التنبيه على الميثاق الأول، وأخذِ العهد منهم[3]،

---

(١) البيت الأول من شعر أبي العتاهية. وقد ورد أنه جلس في دكان ورّاق، فأخذ كتاباً فكتب على ظهره على البديهة:

ألا إنَّنــا كلَّنــا بائـــــدُ وأيُّ بنـــي آدم خالدُ؟ وبدؤهم كان من ربهم وكلٌّ إلى ربِّه عائــدُ
فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ؟ ولله في كل تحريكة و في كل تسكينة شاهدُ
وفي كل شيءٍ لــه آيةٌ تدلُّ على أنه الواحــدُ

أما البيت الثاني فلم أقف عليه. انظر: ديوان أبي العتاهية: ص: ١٢٢. تحت عنوان: كلنا بائد.

(٢) قاله قتادة. انظر: تفسير البغوي: ١/١٤، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ١/١١٢.

(٣) في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآ... ﴾. [الأعراف: الآية: ١٧٢].

ومعرفة الربوبيَّة له سبحانه وتعالى، ومعرفة أنفسهم بالفقر والحاجة إليه./ وفي طلبهم المعونة منه معرفتهم إياه بالغنى المطلق له سبحانه وتعالى. ١٣/ب

وقوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾، قلت: في هذه الجملة إثبات أن هُداه هو الهُدى لا سواه، وأن صراطه هو الصراط المستقيم لا غيره، وأنه صراط عباده المنعم عليهم من الملائكة والنبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين. وفي ضمن هذه الجملة هي الأمانة والخلافة والخلة، فكانت هذه الجملة بمنزلة قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ﴾ [النمل: ٥٩]، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٢ ﴾[الصافات].

ثم قال تعالى: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ قلتُ: أنبأ بهذه الجملة أن لهُ عباداً غيرَ المنعم عليهم، فأشبه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ ﴾[التغابن: ٢]. وفيه تعريضٌ بالمعنى المؤتمن عليه، أي: لا يعرضُ لهم ما عرض لليهود والنصارى، فضلُّوا بذلك، واستوجبوا غضبَهُ، فكان ذلك من الجزاء العاجل تنبيهاً على الجزاء الآجل، المنفصل من الوعد والوعيد، فاجهد الجهد كله على تغزير مادةِ العلم والحلم، إذ لكل امرئٍ من الثواب والعقاب بقدر ما نوى، والله أعلم.

ثم قول العبد: آمين إقرار منه بأنه الأمين سبحانه/ وتعالى: وقد ورد أنه من أسماء الله عزَّ وجلَّ[1] كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: ((إذا قرأ العبد الفاتحة، فقال: الحمد لله رب العالمين، إلى قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾، ١٤/أ

---

(١) حكي عن الحسن رحمه الله أنه قال: آمين اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ. وكذا قاله مجاهد. قال الأزهري: وليس يصح. كما قاله عند أهل اللغة، أنه بمنزلة يا الله. وأضمر: استجب لي. قال: ولو كان كما قيل لرفع، إذا أُجرِيَ، ولم يكن منصوباً. وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((آمين، خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين)). قال أبو بكر: معناه أنه طابع الله على عباده، لأنه يدفع به عنهم الآفات والبلايا، فكان كخاتم الكتاب الذي يصونه، ويمنع من فساده، وإظهار ما فيه لمن يكره علمه به، ووقوفه على ما فيه. انظر: تفسير البغوي: ١/٣٠، ولسان العرب: ١٣/٢٧، مادة: (أمن).

قـــال الله عـــزَّ وجلَّ: هؤلاء بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل)).[١] فيقول العـــبد عـــند فراغه من سؤاله إياه مستنجزاً لوعده الصادق: (آمين)، أي: إنك أنت الأميـــن علـــى ذخائر عبادك عندك، المليء بما وعدتَ به عبدك، فقام قوله: آمين مقام هذه الجملة، فجعل له سبحانه وتعالى المغفرة لذنوبه، جزاءً لإخلاصه بعبادته، وانقطاعـــه إليه في مقامه ذلك، ولإيمانه أيضاً بوعد صادق خفي من قائل صادق، لأن وعد الكريم الصادق المعروف منه الوفاء دين عليه[٢].

وقولـــه عليه السلام: ((إذا قال الإمام: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾، قالت الملائكة في السماء: آمين، فمن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه))[٣] يعني: أن قـــول الملائكة: آمين أي: إنك أنت الأمين الحق على ما استودعك عبدك، فهو ثناء عليه، وضراعة إليه، وتعريض بالإنجاز لعباده.

فعليك أيها الحريص على نجاته من آفات الدنيا/ والآخرة بأداء الأمانة. ١٤/ب

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((من صلَّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجَّدني عبدي، وقال مرة: فوَّض إليَّ عبدي، فإذا قال: إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. قال سفيان: حدثني به العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، دخلت عليه وهو مريض في بيته، فسألته أنا عنه)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة: ٢٩٦/١، رقم الحديث: ٣٩٥/٣٨.

(٢) في المثل: (وعْدُ الكريم ألزمُ من دَين الغريم). انظر: مجمع الأمثال: ٤٥١/٢ .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين، فمن وافق قوله قول الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه)). كتاب تفسير القرآن، باب غير المغضوب عليهم ولا الضالين: ١٧٣/٥، رقم الحديث: ٤٤٧٥. وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا قال أحدكم: آمين، وقالت الملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه)). كتاب الأذان، باب فضل التأمين: ٢٣٥/١، رقم الحديث: ٧٨١. وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه. قال ابن شهاب: كان رسول الله ﷺ يقول: آمين)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين: ٣٠٧/١، رقم الحديث: ٤١٠/٧٢.

واعلـــم أن كـــلَّ عمـــل وُكِلَ إليك فعلُه لا يطَّلع عليه إلا اللهُ فهو من قبيل الأمانة، فاصدق في سعيك، وسارع في فكاك رهنك، وستقدُم على ما قدَّمت، وهذا نصحي لنفسي ولك. والله أعلم.

سورة البقرة

مدنية[١]، نزلت في مُدَدٍ، آخرها: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ .. ﴿٢٨١﴾ ﴾. قيل: هي أفضل سورِ القرآن[٢]. وفيها من آيات الصبر: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾. يعني: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر والصلاة، ليرضى عنكم ربكم. وكان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمرٌ فَزِعَ إلى الصلاة[٣]. ونُعِي لابن عباس أخوه (قُثَم)[٤] وهو مسافر فاسترجع[٥] بجنب الطريق، وعاد يتلو هذه الآية[٦].

قلت: الصبر على ثلاثة أقسام:

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي: ص: ١٨.

(٢) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان)). أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، رقم الحديث: ٧٨٠/٢١٢. وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: ((اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف. اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة)). صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم الحديث: ٨٠٤/٢٥٢.

(٣) أخرج أبو داود في سننه عن حذيفة ﷺ قال: ((كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلّى)). قال المنذري: ذكر بعضهم أنه رُوِي مرسلاً. كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل: ٧٧/٢، رقم الحديث: ١٣١٩.

(٤) قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ــ وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ثانية مَن أسلمن بعد خديجة ــ. كان يشبه النبي ﷺ ، وكان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ لأنه آخر مَن خرج من قبره ممن نزل فيه، قاله عليٌّ وابن عباس رضي الله عنهم. ولا يصح سماعه منه لحداثة سنه، حيث كان فوق الثمانية حين توفي رسول الله ﷺ . وقيل: لا صحبة له. خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان إلى سمرقند، واستشهد هناك، ولم يُعقِب. ولاّه عليٌّ ﷺ لما استخلف على مكة. انظر: أسد الغابة: ٨٥/٤، رقم الترجمة: ٤٢٧٣، والإصابة: ٢١٨/٣، رقم الترجمة: ٧٠٨٣.

(٥) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٦) ورد في الأثر: أن ابن عباس رضي الله عنهما نُعِي إليه أخوه قثم وهو في منزله، فاسترجع وأناخ عن الطريق، فصلى ركعتين فأطال فيهما الجلوس، ثم قام إلى راحلته وهو يقرأ: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾. انظر: أسد الغابة: ٨٦/٤ .

الأول: الصـــبر بمعنى الحبس، كما روي عن النبي ﷺ ((أنه نهى عن قتل شيء من الدواب صبراً))[1]، أي حبساً. وقد عرَّف بعضُهم الصبرَ فقال: هو حبس النفس على البلوى، وعقد اللسان عن الشكوى.

والثاني: الصبر بمعنى الإكراه، كقولهم: قُتِلَ فلانٌ صبراً / يعني: أكره نفسه على القتل. | ١٥/أ

والثالث: الصبر بمعنى الجرأة، كقوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [البقرة]، أي: فما أجرأهم على أفعال أهلها.

قلتُ: وقد يأتي الصبر بمعنى الدوام على الشيء، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أي: اثبتوا على دينكم ، وصابروا أعداءَكم، واثبتوا على قتالهم. إذا عُلِم هذا فصبر المؤمنين أيضاً على ثلاثةِ أقسامٍ:

ــ صبر على طاعة الله عزَّ وجلَّ.

ــ وصبر عن معاصيه.

ــ وصـــبر علـــى الصـــبر على طاعتهِ، وترك معصيتهِ، وهو أشدُّ وجوه الصبر، ولهذا قيل: والصبر مثل اسمه صبر[2].

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: ((أنه دخل على يحيى بن سعيد وغلام من بني يحيى رابطٌ دجاجةً يرميها، فمشى إليها ابن عمر حتى حلُّها ثم أقبل بها وبالغلام معه، فقال: ازجروا غلامكم عن أن يصبر هذا الطير للقتل، فإني سمعت النبي ﷺ نهى أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل)) كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة: ٥٨١/٦، رقم الحديث: ٥٥١٤. والمثلة: قتل أطراف الحيوان أو بعضها وهو حي، والمصبورة: الدابة التي تحبس وهي حية لتقتل بالرمي، والمجثمة: التي تربط وتجعل غرضاً للرمي. وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ يقول: ((نهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيءٌ من الدواب صبراً)). كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم: ١٥٥٠/٣، رقم الحديث: ١٩٥٩/٦٠.

(٢) هذه قطعة من عجز بيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وتمامه:

فأشجيت أيامي بصبرٍ حَلَوْنَ لي عواقبَه والصبرُ مثلُ اسمه صبرُ

انظر: ديوان أبي تمام: ص: ٤٠٠ .

يقولون لي اصبر وقد نأى بي صبري وصبري على صبري أمرٌ من الصبرِ[١]

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ [الكهف: ٢٨] ، أي: اثبت معهم، ودُمْ على صحبتهم.

ومن أسمائه تعالى: (الصبور)[٢]، يعني/ أنه دائم باقي بلا زوال، لا يخاف فوتَ من عصاه، بل يصبرُ على أذاهُ. وقيل معنى الصبور: المقتصّ[٣]. ١٥/ب

قلتُ: والصبر محمودٌ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : ((الصبر بمنزلة الرأس من الجسد)) [٤]، وفي خبر آخر: ((الصبر عند الصدمة الأولى)).[٥] أي:

---

(١) لم أهتدِ إلى قائله. والصَّبِر ــ بكسر الباء ــ عصارة شجر مُرٌّ. انظر: القاموس المحيط: ص: ٥٤١، مادة: (صبر)، ومنه قول الشاعر:

والصبر كالصبر مرٌّ في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل ويروى:

والصبر مثل اسمه في كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العسل

(٢) الصبور: هو الذي لا يُعاجِل العصاة بالانتقام، بل يعفو أو يؤخر. وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم. انظر: لسان العرب: ٤/٤٣٧، والقاموس المحيط: ص: ٥٤١. وفي الحديث القدسي: ((إني أنا الصبور)). وفي الحديث الشريف: ((لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عزَّ وجلَّ))، أي: الله تبارك وتعالى أشدُّ حلماً على فاعل ذلك، وترك معاقبته. انظر: لسان العرب: ٤/٧٣٩ مادة: (صبر). والصبور: المقتدر على الصبر، والصبور في صفة الله (الحليم). انظر: تهذيب اللغة: ١٢/١٧٣ .

(٣) أصبر: أي أقصّ، واصطبر: أي اقتصّ. انظر: لسان العرب: ٤/٤٤١، والقاموس المحيط: ص: ٥٤١. مادة: (قصص).

(٤) أخرج أحمد في مسنده عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ يحدث عن النبي ﷺ قال: ((إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس)). إسناده صحيح: ١٦/٤٥٤. رقم الحديث: ٢٢٧٧٥، ورواه ابن المبارك في الزهد برقم: ٢٤١، ٦٩٣، والطبراني في الكبير: ٦ /١٣١، برقم: ٥٧٤٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: صحيح، ورجال أحمد رجال الصحيحين، وهو بنحوه في الصحيحين: ٨/١٨٧.

(٥) أخرجه البخاري بسنده عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ في كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى: ٢/ ٣٩٦، رقم الحديث: ١٣٠٢.

عند قوة المصيبة[١]. والصدم: ضرب الشيء بمثله[٢]، ومنه الفارسان يتصادمان، فإن ماتا من ذلك وجب لكل واحد منهما على الآخر نصف ديته، وسقط نصفها[٣]. وعن علي ﷺ أنه قال لمن أصيب المصيبة: ((إن صبرتَ مضى أمر الله، وأنت مأجور، ،إن جَزِعتَ مضى أمر الله وأنت مأزور)). وقال ابن مسعود ﷺ: ((الإيمان نصفان؛ نصفه صبر، ونصفه شكر)). ثم تلا قوله: ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم]. ولذلك قيل لشهر رمضان: شهر الصبر[٤] لصبر الصائمين فيه عن شهواتهم. والله أعلم.

والصلاة هي الرحمة، وفي اللغة هي الدعاء[٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[البقرة]، يعني الصلاة[٦]، وقيل: الاستعانة[٧]، وقيل: العبادة، وقيل: إجابته عليه السلام. و(كبيرة) ثقيلة، ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾، يعني الذين تخشع قلوبهم لذكر الله.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾، الظن هنا بمعنى: اليقين. ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾، بالموت، وقيل: / بالحشر، والله أعلم.

١/١٦أ

---

(١) الصبر عند الصدمة الأولى: أي عند فورة المصيبة وحَمْوَتِهَا. قال شمر: يقول: من صبر تلك الساعة وتلقاها بالرضا فله الأجر. قال الجوهري: معناه أن كل ذي مَرْزِئَةٍ قُصاراه الصبر، ولكنه إنما يُحمد عند حِدَّتِها. انظر: لسان العرب: ٣٣٤/١٢.

(٢) الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله. انظر: لسان العرب: ٣٣٤/١٢.

(٣) انظر: مغني المحتاج: ٨٩/٤.

(٤) أخرج النسائي في سننه عن أبي عثمان أن أبا هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر)). كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على أبي عثمان في حديث أبي هريرة: ٢١٨/٤، رقم الحديث: ٢٤٠٨. وأخرجه أبو داود في سننه بلفظ: ((صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر..)). الحديث: كتاب الصيام، باب في صوم شهر المحرم: ٧٣٨/١ رقم الحديث: ٢٤٢٨، وابن ماجه بلفظ: ((صم شهر الصبر وثلاثة أيام بعده، وصم أشهر الحرم)): كتاب الصيام، باب صيام شهر الحرم: ١/ ٥٥٤، رقم الحديث: ١٧٤١ وأحمد بروايات عديدة منها: الحديث رقم: ٨٧٦٠.

(٥) قال ابن الأعرابي: الصلاة من الله رحمة، ومن المخلوقين الملائكة والإنس والجن القيام والركوع والسجود، والدعاء والتسبيح، والصلاة من الطير والهوام التسبيح. انظر: لسان العرب: ٤٦٤/١٤ــ٤٦٥.

(٦) قاله ابن عباس والحسن البصري ومجاهد والجمهور. انظر: زاد المسير: ٦٥/١ .

(٧) ذكره محمد بن قاسم النحوي. انظر: زاد المسير: ٦٥/١ .

وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ... ﴾، إلى قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾، أي: فاذكروني بالطاعة أذكركم بالأجرِ[١]، قاله ابن جبير.

وقيل: اذكروني في كل مورد، فتخافوا فتطيعوا.

وفي الحديث: ((اذكرني في الرخاء أذكرك في الشدة))،[٢] ((وإذا ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منه)).[٣] قال الربيع والسدي: الذكر باللسان. وروي: ((إذا ذكر الكافرُ اللهَ ذكره الله باللعنة والخلود في النار)).[٤] وللعصاة حظٌّ من ذلك.

﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾، أي: اشكروا لي نعمي، ولذا ثبتت نون (تكفرون)، ولو أريد الشرك لحذفت النون معه[٥].

---

(١) قال سعيد بن جبير: اذكروني بالطاعة، أذكركم بالثواب والمغفرة. انظر: تفسير البغوي: ١/١٧٨، المحرر الوجيز: ٢/٢٨.

(٢) لم أقف على هذا اللفظ. وقريب منه ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كنت رديف النبي ﷺ فقال: ((يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلى، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جفَّ القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلُّهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)): ٣/ ٢٤٦، رقم الحديث: ٢٨٠٩. إسناده صحيح.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)). كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران]: ٨/٥٢٨، رقم الحديث: ٧٤٠٥.

(٤) روى ابن أبي حاتم بسنده إلى مكحول الأزدي قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما: أرأيت قاتل النفس وشارب الخمر والزاني يذكر الله وقد قال الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فقال: إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت. انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ٢/٢٩.

(٥) المقصود بالكفر هنا كفر النعمة، لا كفر الإيمان، والنون في: (تكفرون) نون المتكلم (نون الوقاية التي تصحب ياء المتكلم). ولو كان نهياً عن الكفر ضد الإيمان لكان (ولا تكفروا). انظر: المحرر الوجيز: ٢/٢٩.

وقوله تعالـــى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾، يعني: مع الصابرين بالمعونة.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾، قال الناس لشهداء بدرٍ: ماتَ فلانٌ، فكره الله قولهم، فنزلت هذه الآية تسليةً لفقدهم،/ وليبيِّن شرفَ شهداءِ بدر بالرزق. وقد ورد: ((أن أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خُضرٍ تعلقُ من ثمر الجنة)).[1] وروي: ((في قُبَّةٍ خضراء)).[2] وروي: ((في قناديلَ من ذهبٍ)).[3] وروي: ((أن أرواح المؤمنين تتشكل بشكل أجسادهم)). قال الحسن البصريُّ في قوله تعالـــى:

١٦/ب

---

(١) أخرج الترمذي في سننه عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة، أو شجر الجنة)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء: ١٥١/٤، رقم الحديث: ١٦٤١. وأخرجه أحمد بسنده عن ابن كعب بن مالك عن أبيه يبلغ به النبي ﷺ يعني: ((أن أرواح الشهداء في طائر خضر تعلق من ثمر الجنة وقرئ على سفيان نسمة تعلق في ثمرة أو شجر الجنة)) المسند: ٤٥٥/١٨، رقم الحديث: ٢٧٠٤٤، وإسناده صحيح. وأخرجه الدارمي في سننه: عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء، ولولا عبد الله لم يحدثنا أحد، قال: ((أرواح الشهداء عند الله يوم القيامة في حواصل طير خضر لها قناديل معلَّقة بالعرش، تسرح في أي الجنة شاءوا، ثم ترجع إلى قناديلها، فيشرف عليهم ربهم فيقول: ألكم حاجة تريدون شيئاً؟ فيقولون: لا، إلا أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى)). كتاب الجهاد، باب أرواح الشهداء: ٢٧١/٢، رقم الحديث: ٢٤١٠.

(٢) أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((الشهداء على بارقِ نهرٍ بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً)). ٩٣/٣، رقم الحديث: ٢٣٩٠، إسناده: صحيح.

(٣) عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلِّغ إخواننا عنَّا أنَّا أحياء في الجنة نُرزَق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أُبلِّغهم عنكم، قال: فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾)). أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة: ١٥/٣، رقم الحديث: ٢٥٢٠. وأخرجه أحمد في مسنده، وفيه: ((فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا...)) الحديث، وإسناده صحيح: ٩٢/٣، برقم: ٢٣٨٨. وأخرجه مسلم والحاكم عن ابن مسعود ﷺ بلفظ متقارب. انظر: صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة: ١٥٠٢/٣ــ١٥٠٣، رقم الحديث: ١٨٨٧. والمستدرك: ٣٢٥/٢.

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾[النجم]: هي جنةٌ مخلوقة في السماء الآن تأوي إليها أرواح من مات على السنَّة من أمة محمد ﷺ، ذكره ابن عطية(١). والأكثرون على أنهم في الجنة، يقوِّيه قولُهُ عليه الصلاة والسلام لأم حارثة: ((إنه في الفردوس)).(٢) وقال مجاهد: هم خارج الجنة يعلقون من شجرها لا تشعرون لولانا(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾، يعني: ولنمتحننَّكم بالصبر. وحُرِّكت الواو لالتقاء الساكنين، وقيل لبناء الفعل. والأكثرون على أن المخاطب الأمة، قاله عطاء. وقيل: كفار قريش. والخوف في الحرب(٤)، والجوع في الجدب، وحاجة الآكل المُغرثِ يعني: خالي الجوف. ومنه قول حسان يمدح / عائشة رضي الله عنها: أ/١٧

حَصانٌ رزانٌ لا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصبِحُ غَرْثَاً مِن لُحُومِ الغَوَافِلِ(٥)

أي: خالية الجوف من غيبة الناس.

(ونقــصٌ): جائحــةٌ ومــوت وعاهــةٌ ونزع بركةٍ. وقيل: الجوع في أهبة الحرب، ونقص منهن(٦) بالقتلِ والسفك وتسليط العدوِّ.

---

(١) هي الجنة التي وعد الله بها المؤمن العالم. انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ١٤/٩٧.

(٢) أخرجه البخاري بسنده عن أنس ﷺ أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر، أصابه غرب سهم، فقالت: يا رسول الله قد علمت موقع حارثة من قلبي، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإلا سوف ترى ما أصنع، فقال لها: ((هبلتِ! أجنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى)). كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٧/٢٦٠، رقم الحديث: ٦٥٦٧.

(٣) انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية : ٢/٣١.

(٤) قال ابن عباس: خوف العدو. انظر: تفسير البغوي: ١/١٨١.

(٥) حَصَانٌ رَزَان ما تُزَنُّ بريبةٍ وتصبح غَرثى من لحومِ الغوافل

الحصان: العفيفة الرزان ذات الثبات والوقار والعفاف. تُزَنُّ: تُتَّهم. غرثى: جائعة، وفي المَثَل: غرثان فأربكوا له: أي: اصنعوا له طعاماً. الغوافل، جمعٌ مفرده غافلة: أي أنها لا ترتع في أعراض الناس. قاله حسان بن ثابت ﷺ ضمن قصيدة يعتذر فيها من الذي كان في شأن عائشة رضي الله عنها. والقصيدة في سيرة ابن هشام: ٢/٧٣٩، والروض الأنف: ٢/٢٢٤، وعيون الأثر: ٢/٣٠١. انظر: ديوان حسان بن ثابت: ١/٥١٠، ومجمع الأمثال للميداني: ٢/٦٧.

(٦) أي نقص من الأموال والأنفس والثمرات بالقتل والسفك..

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ على حلو العيش ومُرِّه، ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ... ﴿١٥٧﴾ ﴾، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ ملجأ للمصابين، وتوحيدٌ، وإقرارٌ بالبعث والعبودية. قال ابن جبير[1]: لم يعطهن غير نبيِّنا عليه الصلاة والسلام، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام قال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[يوسف: ٨٤]، واسترجع محمد ﷺ لطفي مصباحه، فقيل له: أمصيبة؟ قال: نعم. كلُّ ما آذى المؤمن فهو مصيبة[2].

و﴿ صَلَوَٰتٌ ﴾: رحمـــة. فإن قلت: الصلاة هي الرحمة، فما معنى التكرار؟ قلـــنا: اختلاف اللفظ[3]. قال أمير المؤمنين عمر ﷺ: نعم العدلان، ونعم العِلاوة[4]، يعني: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ ... ﴿١٧٧﴾ ﴾ ./

١٧/ب

قوله: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ ﴾ عطفٌ على ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾. التقدير: وَهُم. و ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ نُصِبَ بالمدح، و﴿ ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ الفقر، ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرضُ،[5] وقيل:

---

(١) أي سعيد بن جبير، قال: لم يعط هذه الكلمات نبيٌّ قبل نبينا ــ يعني الاسترجاع ــ، ولو عرفها يعقوب لما قال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤]. انظر: زاد المسير: ١٤١/١، المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٤/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢، تفسير البغوي: ١٨٢/١، المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٤/٢.

(٣) أي كرر الرحمة لمَّا اختلف اللفظ تأكيداً، وجميع الصلوات رحمة. انظر: تفسير البغوي: ١٨٢/١، المحرر الوجيز: ٣٤/٢.

(٤) قال عمر ﷺ: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَ�ٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة])) وعن ثابت قال: سمعت أنساً ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى)). أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى: ٣٩٦/٢، رقم الحديث: ١٣٠٢.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٢٠٥/١، المحرر الوجيز: ٨٢/٢.

البأسُ الحرب[١]. وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ ﴾ أي: في عهدهم. وكلُّ ما ينسب إلى خير وصلاح يضاف إلى الصدق، والله أعلم.

وقوله تعالـــى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾، ﴿ أَمْ ﴾ قد تجيء للابتداء بلا معادل، وقد تجيء فيما حُكي. قال السدي وغيره: نزلت هذه الآية في قصة الأحزاب، إذ حصروه وأصحابَه بالمدينة[٢]، وقيل: تسليةً للمهاجرين[٣]، ﴿ وَزُلْزِلُواْ ﴾، يعني: اضطربوا، وَ(زُلزِل) رُباعي عند سيبويه، وتضعيفٌ عند الزَّجَّاج[٤]، ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾ ابتداء آية، والأكثرون على أن الجميع آية، ﴿ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾ طلباً لا شكاية. وقيل: التقدير: حتى يقول الذين آمنوا ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ ؟ فيقول الرسول ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾، والله أعلم[٥].

وقوله/ سُبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ قلتُ الظنُّ هنا يقينٌ. قال

أ/١٨

---

(١) عن علي ﷺ قال: ((كنا إذا احمرَّ البأس ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه)) يعني إذا اشتد الحرب. انظر: مسند أحمد: ١٥٦/٣، رقم الحديث: ١٣٤٦. وإسناده صحيح.

(٢) وهو قول قتادة وأكثر المفسرين. انظر: تفسير البغوي: ٢٧٥/١، والمحرر الوجيز: ٢١٣/٢.

(٣) قال عطاء: نزلت الآية تسلية للمهاجرين، وتطييباً لخاطرهم، بعدما اشتد عليهم الضر، وأصبحت أموالهم بأيدي المشركين في مكة، وظهر النفاق في المدينة، وأظهر اليهود العداوة للرسول ﷺ . انظر: تفسير البغوي: ٢٧٥/١ .

(٤) معنى زلزلوا: خُوِّفوا وحُرِّكوا بما يؤذي، وأصل الزلزلة في اللغة من زلَّ الشيء عن مكانه. فإذا قلت: زلزلة فتأويله: كررت زلزلته من مكانه. وكل ما فيه ترجيع كررت فيه فاء التفعيل. تقول: أقلَّ فلان الشيء إذا رفعه من مكانه، فإذا كرر رفعه ورده قيل: قلقله. وكذا صلَّ وصلصل، وصرَّ وصرصر. فعلى هذا قياس هذا الباب. فالمعنى أنه يكرر عليهم التحريك بالخوف. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٨٥/١ .

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٢١٤/٢.

البراءُ: كُنَّا نتحدثُ أن المتجاوزين مع طالوت ثلاثمئة وبضعةَ عشرَ كالبدريِّنَ، وما جاز معَه إلا مؤمنٌ(١).

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يحسبون. وقوله: ﴿ مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ ﴾ أي: شهداء. قال الأكثرون: ما جاوزه مَن شَرِبَ فوقَ غَرْفَةٍ(٢)، فشرِبَ الكفارُ شرُبَ الهيم(٣)، والعُصاةُ دونَهُ. ثم انصرف ستة وسبعون ألفاً، فطمي(٤) الشاربُ، وصلُحَ التارك، وجالوت ملك العمالقة معه ثلاثةُ آلاف فارس، وكانَ داود يرعى غنماً، فمرَّ ليرى الحربَ، فناداهُ حجرٌ: يا داود خُذني فبي يقتلُ جالوت، ثم حجرٌ، ثم حجرٌ، فأودَعَهُنَّ مِخلاتَهُ(٥)، فطلب جالوت مبارزاً، فكعَّ الناس(٦)، فقال طالوت: من برز إليه فقتله زوَّجتُهُ بنتي، وحكَّمتُهُ في مالي، فبرز داود على فرس طالوت وبسلاحهِ ثم تركها، وبرز بمقلاعه(٧). وكان من أرمىَ الناس بمقلاعٍ، فقال جالوت هكذا تبارزني كأنِّي كلبٌ؟ قال: نعم، وأنتَ أهونُ. قال: لأَطْعَمَنَّك الطيرَ. والتأمتِ الحجارة، وأخذ فسمَّى الله تعالى ورمى، فخرَّ رأسُهُ، فجعله في مخلاتِهِ/ ثم حملوا فغلبوا بإذن الله، ثم

١٨/ب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بسنده: قال سمعت البراء ﷺ يقول: ((حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدراً أنهم كانوا عِدَّةَ أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعةَ عشرَ وثلاثمئة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن)) كتاب المغازي، باب عِدَّة أصحاب بدر: ٦/٥، رقم الحديث: ٣٩٥٧.

(٢) غرفة: بالفتح (الغَرفة): المرة الواحدة. وبالضم (الغُرفة): ما اغترف. والجمع غِرَاف. انظر: لسان العرب ٢٦٣/٩، مادة: (غرف).

(٣) الهيم: الإبل العِطَاش الظِّمَاء التي تمصُّ الماء مصَّاً ولا تروى، والإبل المِرَاض التي يصيبها داءٌ فلا تروى من الماء. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعة]. انظر: لسان العرب ٦٢٧/١٢، مادة: (هيم).

(٤) طمي: ارتفع وعلا وطال، وارتفع موج البحر، وطمى يطمي: إذا مرَّ مسرعاً. انظر: لسان العرب ١٥/ ١٥. مادة: (طمى).

(٥) ما وضع فيه الشيء. انظر: القاموس المحيط: صفحة: ١٢٥٣، مادة: (الخلا).

(٦) كعَّ: الكع والكاع: الضعيف العاجز الجبان، وهو الذي لا يمضي في عزم ولا حزم، والناكص على عقبيه. وفي الحديث: ((ما زالت قريش كاعَّة حتى مات أبو طالب، فلما مات اجترؤوا عليه)). انظر: لسان العرب ٣١٢/٨.

(٧) المقلاع: الذي يُرمى به الحجر. انظر: لسان العرب ٢٩٤/٨، مادة (قلع).

بصـــبرهم. وطلب داودُ الشرطَ فقيل: ملَّكَهُ، وقيل: غلب بني إسرائيل طالوتُ على ذلك، وقيل: خافَهُ طالوت فلزم جبلاً، فمات فملَّكُوه[1].

---

(١) انظر القصة في: تفسير البغوي: ٣/٣٤٩ــ٣٥٤، والمحرر الوجيز: ٢/٣٦٩ــ٣٧١.

بسم الله الرحمن الرحيم

آل عمران

مدنيَّة بإجماع. واسمُها في التوراة طيبة[١].

وفيها من آيات الصبر: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ...﴿١٩﴾ ﴾ يعني: ﴿ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ قولاً وفعلاً، ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ ﴾: المصلين الصبحَ جماعةً[٢]، وقيل: السحر قبل الفجر[٣]، وقيل: من ثلث الليلِ[٤]، ويقويهِ حديثُ النزول[٥]، ويقال: إلى بعد الفجر. وفي الشعر:

إذا غرَّدَ الطائرُ المستحر[٦]

---

(١) وتسمى: الزهراء، والأمان، والكنز، والمعينة، وسورة الاستغفار. ذكره أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ الموصلي النقاش، والذي صنف في التفسير والقراءات، وتوفي سنة: ٣٥١. انظر: البرهان للزركشي: ١/ ٢٦٩، وتفسير المحرر الوجيز: ٣/٣.

(٢) وهو قول زيد بن أسلم. انظر: تفسير البغوي: ٤٣٨/١، وتفسير المحرر الوجيز: ٥١/٢.

(٣) ذكره إبراهيم بن السري. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/١ .

(٤) قال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليل ثم يقول: يا نافع أسَحِرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم قعد وأخذ يستغفر الله، ويدعو حتى يصبح. قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا. انظر: تفسير البغوي: ٤٣٨/١.

(٥) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟)). كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله: ٥٦٠/٨، رقم الحديث: ٧٤٩٤. ومسلم في صحيحه بلفظ: (ينزل ربنا.. ومن يسألني.. ومن يستغفرني..): كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: ٥٢١/١، رقم الحديث: ٧٥٨/١٦٨. وفي روايات عند أحمد وابن ماجه: ((فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر)).

(٦) هذا عَجُزُ بيت لامرئ القيس، وتمامه:

يُعَلُّ بـــــه بَرْد أنيابهـــــا إذا طرَّب الطائر المستحِر

العلُّ: السقي، أو الشرب ثانية. البرد: الرقيق. استحر الطائر: إذا غرَّد أو طرَّب بسَحَر (أي: رفع صوته وصاح). والطائر المستحِر هنا هو الديك. والضمير في: به يعود على الشراب. انظر: شرح ديوان امرئ القيس: ص: ٩٦.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾: علم الله[١]، و﴿ قَآئِمَۢا ﴾: حالٌ، و﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾: العدلُ[٢]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ يعني: تصبكم أيها المؤمنون بظهوركم على عدوكم، أو غنيمةٍ تنالوها منهم، أو خصب في معاشكم. ﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾: تُحْزِنْهُم. ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ بإصابةِ سريةٍ، أو عدوٍّ منكم،/ أو اختلافٍ يكون بينكم، ونحوه ﴿ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ ﴾ على أذاهم ﴿ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ تخافوا ربَّكُم ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ أي: لا ينقُصكم ﴿ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرةِ[٣]: (لا يضِرْكم) بكسر الضاد والتخفيفِ وجزم على جواب الجَزاء، وقرأ الباقون[٤] بضم الضاد وتشديد الراءِ[٥]. فالأول: من ضار يضير، والثاني: من ضرَّ يَضرُّ. ويحتمل أن يكون رفعه على أنَّ (لا) بمعنى ليس، وتضمر فيه الفاء، تقديره: فليس يضركُم كيدهم شيئاً. ويحتمل أنه أراد الجزم، وأصله يضررركم، فأدغمت الراءُ في الراءِ، ونقلت ضمةُ الراء الأولى إلى الضاد، وضمت الثانيةُ إتباعاً، والله أعلم.

١٩/أ

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ أي:عالم.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ... ﴿١٢١﴾ ﴾. قال الحسن: هو يوم بدر. وقال مقاتل: هو يومُ الأحزاب[٦]. وقال الأكثرون: هو

---

(١) أي: أعلم الله عباده بهذا الأمر الحق وبيَّنه، وحكم به. انظر: تفسير البغوي: ٤٣٩/١، وتفسير المحرر الوجيز: ٥٢/٢.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٩٥/١، وتفسير البغوي: ٤٣٩/١، والمحرر الوجيز: ٥٤/٢.

(٣) هذه قراءة أبي عمرو وابن كثير ونافع: انظر: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص: ٢١٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكيّ: ٣٥٥/١، والتبصرة في القراءات لمكيّ: ص: ٤٦٣ــ٤٦٤.

(٤) وهم: ابن عامر والكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي) قرؤوا: (لا يضُرُّكم). انظر: كتاب السبعة: ص: ٢١٥، والكشف: ٣٥٥/١، والتبصرة: ص: ٤٦٣ــ٤٦٤.

(٥) ورُوِيَ عن حمزة مثل قراءة أبي عمرو (لا يَضِرْكُم). انظر: كتاب السبعة: ص: ٢١٥.

(٦) وذكره أيضاً الحسن البصري ومجاهد. انظر: زاد المسير: ٣٦٣/١ .

يومُ أحد. قال مجاهد وغيره[١]: غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشةَ ــ رضي الله عنها ــ فمشى على رجليه إلى أُحدٍ. وقال ابن إسحاق: نزل المشركون بأحد يوم الأربعاء، فلما سمع رسول الله ﷺ / بنزولهم استشار أصحابه، ودعا عبد الله بن ١٩/ب
أبيّ ابنِ سَلول، ولم يدعه قط قبلَها، فاستشاره فقال عبد الله بن أبيّ وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ إلا أصابَ منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنتَ فينا؟ فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مجلِسٍ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال والصبيان والنساء، وإن رجعوا رجعوا خائبين. فأعجب رسول الله ﷺ هذا الرأي. وقال بعض أصحابه: اخرج بنا يا رسول الله إلى هذه الأكلُبِ[٢]، لا يرون أنا قد جَبُنّا عنهم. وقال النبي ﷺ: إني قد رأيتُ في منامي بقراً، فأوَّلْتُها خيراً، ورأيتُ في ذُباب[٣] سيفي ثَلْمَاً، فأوَّلْتُهُا هزيمةً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأوَّلْتُها المدينة، فإن رأيتُم أن تُقيموا بالمدينة، وكان يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا في الأزقَّةِ، فلم يزالوا برسول الله ﷺ من أجل حرصهم على الشهادة، حتى دخل رسول الله ﷺ ولبس لأُمَتَهُ[٤]، فلما رَأوهُ لبس لأُمَتَهُ قالوا: بئس ما صنعنا، نُشير على رسول الله ﷺ، والوحي يأتيه، فقاموا فاعتذروا إليهِ وقالوا: اصنع ما رأيتَ، فقال عليه الصلاة والسلام: ما ينبغي لنبي أن يلبسَ لأمَتهُ/ فيضعها حتى يُقاتل. وكان قد أقام ٢٠/أ
المشركون بأحد الأربعاء، فخرج إليهم رسول الله ﷺ يوم الجمعة، بعد ما صلى

---

(١) وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن إسحاق، وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أحد، فجعل يصفُ أصحابه للقتال. قال ابن جرير: وهو أصح لقوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ . انظر: زاد المسير: ٣٦٣/١ .

(٢) جمع كلب: أكلب، وهو كل سَبُعٍ عَقور، وغلبت تسميته على النوع الناتج المعروف، وجمع الجمع: أكالب، والكثير كلاب. انظر: لسان العرب ٧٢٢/١.

(٣) ذُباب السيف: حدُّ طَرَفه الذي بين شفرتيه، والثلم: كسر حرف السيف. انظر: لسان العرب: ٣٨٣/١، ١٢ /٧٨.

(٤) اللأمة: السلاح والدرع. يقال: استلأم الرجل: أي: لبس اللأمة، وهي ما عنده من عدة: رُمْحٍ وبيضةٍ ومنفر وسيفٍ ونَبْلٍ. انظر: لسان العرب: ٥٣٢/١٢، مادة: (لأم).

بأصحابه الجمعةَ، فأصبح بالشعبِ[١] من أُحدٍ يوم السبت للنصف من شوال، سنة ثلاث من الهجرة، وكان من أمر أُحدٍ ما كان[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾. يعني: مواطنَ ومواضعَ للقتال. ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾. **يعني**: بالطائفتين بني سلمةَ من الخزرج، وبني حارثة من الأوس. و﴿ تَفْشَلَا ﴾ أي: تجبُنا، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحُدٍ في ألفِ رجلٍ، وقيل: في تسعمئةٍ وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشُرط[٣] انخذل عبد الله بن أبيّ بثُلُثِ الناس، ورجع بثلاثمئة، وقال: علام نقتلُ أنفسنَا وأولادنا؟ فتبعَهُ أبو جابر السُلمي، وقال: أنشدُكمُ الله في بيوتكم، وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أبيّ: لو نعلم قتالاً لاتَّبعناكُم، وهمَّت بنو سلمةَ وبنو حارثةَ بالانصراف مع عبد الله بن أبيّ، فعصمهم الله فلم ينصرفوا، فذكّرهم عظيم نعمته، فقال جلَّ ذكره: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ..﴾ الآية.﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ أي: ناصِرُهما وحافظهما. نزلت هذه الآية/ في بني سلمةَ، وبني حارثةَ، فأكرمهما الله بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾[٤]. ٢٠/ب

---

(١) الشَّعب (بضم الشين وكسرها): الطريق في الجبل، والجمع شعاب. وقال أبو منصور: ما انفرج بين جبلين فهو شعب. انظر: معجم البلدان: ٣٤٧/٣.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٥٣٩/١ــ٥٤٠، وسيرة ابن هشام: ٦٤/٣ــ١٧٧.

(٣) هكذا وردت في الأصل: (الشرط)، وهو خطأ في النسخ. والصواب: (الشوط)، وهو مكان بين أحد والمدينة. قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أُبي بن سلول بثلث الجيش، ورجع إلى المدينة. انظر: معجم البلدان: مادة: (شوط): ٣٧٢/٣، سيرة ابن هشام: ٦٨/٣.

(٤) انظر الخبر في سيرة ابن هشام: ٦٨/٣.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

اعلم أن بدراً موضعاً بين مكةَ والمدينة. فبدرٌ اسم الموضع[١]، وقيل: اسم بئرٍ هناك، وقيل: كانت بئراً لرجل اسمه بدر[٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ أي: قليلون في العدد، لأنهم كانوا ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً[٣]، فنصرهم الله مع قلَّتِهم، فذكَّرهُم مِنَنَهُ، إذ منَّ عليهم بالنصر والظَفَر.

قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، إذ بالشكر تدوم النعم.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ يعني أن الله تعالى أمدَّ رسولهُ والمؤمنين يوم بدر بألف من الملائكة، كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ... ﴿٩﴾ ﴾، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، كما قال تعالى:

﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾، فصبروا يوم بدر واتقوا، فأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كما وَعَدَ. قال الحسن البصري ــ رحمه الله ــ هذه الخمسة آلاف مددُ المسلمين إلى يوم القيامة. قلتُ: بشرط الصبر/ والتقوى، ولم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدرٍ، وفيما سوى ذلك يحضرون القتل ولا يُقاتلون[٤]. | ٢١/أ

---

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، يبعد عن المدينة سبعة بُرُد، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر، وقيل: بدر بن قريش، وهو احتفرها، وفيها كانت الوقعة المباركة التي أظهر الله بها الإسلام، وفرق بين الحق والباطل في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، ونسب إليها جميع من شهدها من الصحابة. انظر: معجم البلدان: ٢/٣٥٧ــ٣٥٨.

(٢) هذا قول الشعبي، وأنكر الآخرون عليه. انظر: زاد المسير: ١/٣٦٤، وتفسير البغوي: ١/٥٤٢، والمحرر الوجيز: ٢/٣٠٢.

(٣) أو أربعة عشر. انظر: المحرر الوجيز: ٢/٣٠٣.

(٤) قاله ابن عباس. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٣٩ــ٥٤٢، والمحرر الوجيز: ٣/٣٠٥.

قلتُ[١]: بلى، قاتل جبريلُ وميكائيلُ يوم أُحدٍ عن يمين رسول الله ﷺ أشد القتال، وعليهما ثياب بيض، كما في صحيح مسلم ــ رحمه الله ــ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [٢].

وقالت طائفة من المفسرين[٣]: وعد الله المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته، واتقوا محارمه، أن يمدَّهم في حروبهم كُلِّها بالملائكة، فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب، فأمدهم حتى حاصروا قُريظةَ والنضير.

وقال الضحاك: كان هذا يوم أُحدٍ وعدهم بالمدد إن صبروا، ولم يصبروا، فلم يُمدُّوا. والإمداد؛ ما كان على وجه القوة والإعانة، يقال فيه: أمدَّه يَمُدُّه إمداداً[٤]، وما كان على وجه الزيادة يقال: مدَّه مدّاً[٥].

وقيل: المدُّ في الشرِ[٦]، والإمداد في الخير[٧]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ قرأ ابن عامر بتشديد الزاي، والآخرون بالتخفيف[٨]. ثم قال: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ أي: تصبروا

---

(١) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٢) عن سعد ﷺ قال: ((رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين، عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام)). أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد: ١٨٠٢/٤، رقم الحديث: ٢٣٠٦/٤٦ وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: ((لقد رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره رجلين، عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد)). أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد: ١٨٠٢/٤، رقم الحديث: ٢٣٠٦/٤٧.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٥٤٣/١.

(٤) ومنه قوله تعالى: ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران]،

(٥) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ [لقمان:٢٧]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان: ٤٥].

(٦) قال تعالى: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾ [مريم]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥].

(٧) قال تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح].

(٨) انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٢١٥، والكشف: ٣٥٥/١.

لعدوِّكم، وتتقوا مخالفة نبيكم، ﴿ وَيَأْتُوكُم ﴾ ــ يعني: المشركين ــ ﴿ مِّن فَوْرِهِمْ ﴾،[١] أي: غضبهم[٢]، لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم يوم بدر، ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ يعني: معلمين./ ٢١/ب

قرأ ابن كثير وأبو عمرو[٣] بكسر الواو، والباقون[٤] بفتحها. فمن كسرها أراد أنهم سوَّموا خيلهم، ومن فتحها أراد أنهم سوَّموا أنفسهم[٥].

فقيل: كانت الملائكة على خيل بُلْقٍ[٦]، وعليهم عمائم صُفر، ذكره ابن الزبير[٧].

وقال عليٌّ وابن عباس ﷺ: كانت عمائمهم بيضاً قد أرسلوها بين أكتافهم. وقال قتادة والضحاك: كان قد علَّموا نواصي خيلهم بالعِهن[٨] وأذنابها.

---

(١) الفور: النهوض المسرع إلى الشيء، مأخوذ من فور القدر والماء، ونحوه. ومنه قولـــه تعالى: ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠]. انظر: تفسير المحرر الوجيز: ٣/٣١٠.

(٢) قاله مجاهد والضحاك وعكرمة وأبو صالح مولى أم هانئ. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٤٣، المحرر الوجيز: ٣/٣١٠.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: (مسوِّمين). انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٢١٦، والكشف: ١/٣٥٥، والتبصرة: ص: ٤٦٤.

(٤) وهم نافع وابن عامر وحمزة والكسائي، قرؤوا: (مسوَّمين). انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٢١٦ والكشف: ١/٣٥٥.

(٥) من إضافة الفعل إلى الملائكة، فأخبر أنهم سوَّموا الخيل انظر: الكشف: ١/٣٥٥.

(٦) بلق الدابة: سواد وبياض، أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. انظر: لسان العرب: ١٠/٢٥.

(٧) ذكره عروة بن الزبير: انظر: تفسير البغوي: ١/٥٤٤، والمحرر الوجيز: ٣/٣١٢.

(٨) العهن: الصوف المصبوغ ألواناً، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ [القارعة]. وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها فتلت هَدْيَ رسول الله ﷺ من عهن. والقطعة منه عِهنة، والجمع عُهُون. انظر: لسان العرب ١٣/٢٩٧.

وفي الخبر: أن النبي ﷺ قال: ((تسوَّموا فإن الملائكة قد سوَّمت بالصوف الأبيض قلانِسَهُم[١] ومغافرهُم[٢]))[٣]. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ يعني: ما جعل الله هذا إلا لتستبشروا، ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ ﴾ ، ولا تجزع من كثرة عدوكم، وقلة عددكم.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ يعني: لا تحيلوا بالنصـــر علـــى الملائكة والجند، فإن النصر من الله، فاستعينوا به، وتوكلوا عليه، لأن العزَّة والحكمة لله تعالى[٤].

قوله تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ... ﴿١٤٠﴾ ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بن عياش: (قُرْحٌ) بضم القاف، حيث جاء، وقرأ الباقون بالفتح[٥]، وهو بالفتح: الجراحةُ،/ وبالضم[٦] ألم الجراحة، قاله الفرَّاء[٧]. وقيل: معناهما واحدٌ[٨]، يعني: أن المسلمين نالوا من المشركين يوم بدر فقتلوا سبعين، وأسروا سبعين، ونال المشركون من المسلمين يوم أُحدٍ حتى جرحوا سبعين، وقتلوا خمسةً وسبعين. وقام أبو سفيان يوم أحد فقال: أفي القوم

٢٢/أ

---

(١) قلانس مفردها: قلنسوة وهي من ملابس الرؤوس معروفة، ومثلها العمائم. انظر: لسان العرب: ١٨١/٦.

(٢) المغافر: جمع مِغفر، ومِغفرة، وغِفارة، وهو زَرَدٌ ينسج من الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة، وقيل: هو حلَق يتقنَّع به المتسلِّح. قال ابن شميل: المغفر حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة، تُسبَغ على العنق فتقيه، وربما كان المغفر مثل القلنسوة، غير أنها أوسع، يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع، ثم يلبس البيضة فوقها. انظر: لسان العرب: ٢٦/٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٥٤٣/١ــ٥٤٤، والمحرر الوجيز: ٣١٢/٣. والحديث أخرجه ابن أبي شيبة وابن إسحاق وهو مرسل، وابن جرير الطبري وابن سعد من طرق. انظر تعليق ابن حجر على الكشاف: ٤١٢/١.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٥٤٤/١.

(٥) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالضم في جميعهن: (قُرْح)، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالفتح في: (قَرْح)، وكلُّهم أسكن الراء في: (قرْح). انظر: السبعة في القراءات: ص: ٢١٦، والكشف: ٣٥٦/١، والتبصرة: ص: ٤٦٤.

(٦) بالضم، أي: (قُرْح).

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣٤/١ .

(٨) قاله الزجاج. انظر: زاد المسير: ٣٧٤/١ .

محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يُجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه، فقال: أمَّا هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت يا عدوَّ الله، إن الذين عددت كلهم أحياء، وقد بقي لك ما يسؤك. قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال(١). وقال أمير المؤمنين عمر ﷺ لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ يعنـــي: إنما كانت هذه المداولة(٣) ليرى الله الذين آمنوا منكم فيميِّز المؤمن من الكافر، ويُكرِم قوماً بالشهادة(٤).

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ يعني: يطهر الذين آمنوا من الذنوب، ﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: يفنيهم. معناه: إن قتلوكم فهو تطهير لكم، وإن قتلتموهم فهو محقُهُم(٥).

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ / معناه: أحسبتم. ٢٢/ب

---

(١) سجال: مفردها: سجل: الدلو الضخمة المملوءة ماءً، فإذا فرغت فهي الدلو. وقالوا: الحرب سجال: أي سَجْلٌ منها على هؤلاء، وآخر على هؤلاء. ومعنى الحديث هنا: ((الحرب سجال))، أي إنا نُدَال عليه مرة، ويُدَال علينا أخرى. وقال ابن بري: أصل المساجلة أن يستقي ساقيان، فيُخرج كل واحد منهما في سَجْله مثلَ ما يُخرج الآخر، فأيُهما نكل فقد غُلِب. فضربته العرب مثلاً للمفاخرة. يقال: تساجلوا: أي تفاخروا. وإذا قيل: فلان يساجل فلاناً، فمعناه أنه يُخرجِ من الشرف مثلَ ما يخرجه الآخر، فأيهما نكل فقد غُلب. انظر: لسان العرب: ٣٢٦/١١، مادة: (سجل).

(٢) انظر الخبر في صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد: ٣٦/٥، رقم الحديث: ٤٠٤٣، وكتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه: ٣٥٢/٤، رقم الحديث: ٣٠٣٩.

(٣) المداولة: أي نجعل الدولة في وقت للكفار على المؤمنين إذا عصى المؤمنون، فأما إذا أطاعوا فهم منصورون. انظر: زاد المسير: ٣٧٤/١ .

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٥٥٥/١ــ٥٥٦.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٥٥٦/١.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ وذلك أن قوماً من المسلمين تمنَّوا يوماً كيوم بدر ليقاتلوا، وتمنِّيهم الموت أي: سبب الموت، وهو الجهاد. ﴿ مِن قَبْلِ ﴾ إن رأيتم أسبابه. قيل: المراد بالنظر بعد قوله: ﴿ فَقَد رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ إلى محمد ﷺ ، وقيل: ذَكَرَ النظرَ توكيداً[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ قرأ ابن كثير: (وكائن) بالمد والهمز[2]، وقرأ بتليِّن الهمزة أبو جعفر، وقرأ الباقون بالتشديد على وزن (كعيٍّ)[3]، ومعناه: وكم. وهي كاف التشبيه، ولم يقع التنوين صورةً في الخط إلاَّ في هذا الحرف.

ويقف بعض القراء: (وكأيي) بلا نون[4]، والأكثرون على الوقف بالنون[5].

أ/٢٣ وقرأ بضم القاف (قُتِلَ) ابنُ كثير ونافعُ وأهلُ/ البصرة[6].

---

(١) قاله الأخفش. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٥٦ـ٥٥٧، وزاد المسير: ١/٣٧٦، والمحرر الوجيز: ٣/٣٤٦.

(٢) أي بهمزة مكسورة بين النون والألف من غير ياء، على وزن: (كاعن). وهنا لا بد من المد الواجب المتصل لتحقق قاعدته. انظر: السبعة في القراءات: ص: ٢١٦، الكشف: ١/٣٥٧، التبصرة: ص: ٤٦٥.

(٣) أي بهمزة مفتوحة بعد الكاف، وبياء مشددة مكسورة، على وزن: (كَعَيِّنْ). انظر: السبعة في القراءات: ص: ٢١٦، والكشف: ١/٣٥٧، والتبصرة: ص: ٤٦٥.

(٤) فيما رواه ابن اليزيدي عن أبيه عن أبي عمرو، ورُوي أيضاً عن الكسائي. انظر: الكشف: ١/٣٥٧، والتبصرة: ص: ٤٦٥.

(٥) اتِّباعاً لخط المصحف الشريف، وهو العمل عليه في جميع القراءات. انظر: الكشف: ١/٣٥٧، والتبصرة: ص: ٤٦٥.

(٦) أهل البصرة أي: أبو عمرو. وقُتِل هنا من القتل. انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٢١٧، والكشف: ١/٣٥٩، والتبصرة: ص: ٤٦٥.

وقرأ الآخرون[١]: (قاتل). والربيون قيل: جموع كثيرة[٢]، وقيل ألوف[٣]، وقيل: الرِّبيَّة الواحدة عَشَرَة آلاف[٤]، وقيل: الرِّبيَّة الواحدة ألف[٥]، وقيل: الرَّبانيُّون الولاةُ، والربيُّون الرعية، وقيل: الرَّبَّاني الذي يعبد الربَّ.

﴿ فَمَا وَهَنُواْ ﴾ أي: فما جَبُنوا ﴿ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ ﴾ عن الجهاد بما أصابهم من ألم الجراحة،

﴿ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾ أي: وما جَبُنوا، ولكنهم صبروا على أمر ربهم، وطاعة نبيِّهم، وقتال عدوِّهم[٦]. ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾[٧] لا على مشاورتهم، بل بالله فاستعن، ﴿ .. إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

قلتُ[٨]: التوكل: قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين.

وقيل: التوكل: هو أن لا تعصيَ الله من أجل رزقك.

وقيل: أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله، ولا لعملك شاهداً غيره[٩].

---

(١) وهم: ابن عامر والكوفيون: (حمزة وعاصم والكسائي). وقائل هنا من القتال. انظر: السبعة في القراءات: ص: ٢١٧، والكشف: ١/٣٥٩، والتبصرة: ص: ٤٦٥.

(٢) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٦٢، والمحرر الوجيز: ٣/٣٦٠.

(٣) قاله ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٦٢، والمحرر الوجيز: ٣/٢٦٠.

(٤) قاله الكلبي. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٦٢، والمحرر الوجيز: ٣/٢٦٠.

(٥) قاله الضحاك. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٦٢، والمحرر الوجيز: ٣/٢٦٠.

(٦) قاله أبو العالية. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٦٢، والمحرر الوجيز: ٣/٢٦٠.

(٧) العزم: عقد القلب على الشيء ويريد أن يفعله. قاله ابن فارس. انظر: زاد المسير: ١/٣٩١ .

(٨) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٩) قال ابن عباس رضي الله عنهما: التوكل: الثقة بالله. وقال ابن فارس: هو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك. ويقال: فلان وَكَلَةٌ تُكَلَةٌ، أي: عاجز يكل أمره إلى غيره. وقال بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره. انظر: زاد المسير: ١/٣٦٣ــ٣٦٤ .

وفي الصحاح عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لو أنكم كنتم توكَّلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطيرَ تغدو خماصاً، وتروح بطاناً)).(١)(٢)

وقوله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾./ قال عكرمة ومقاتل: نزلت هذه الآية في أبي بكر ﷺ حين بعثه رسول الله ﷺ إلى فنحاص بن عازورا سيد بني قينقاع ليستمده، وكتب إليه كتاباً، وقال لأبي بكر ﷺ: لا تفتاتنَّ(٣) عليَّ بشيء حتى ترجع، فجاء أبو بكر ﷺ وهو متوشح بالسيف، وأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: احتاج ربكم إلى أن نَمُدَّهُ، فهمَّ أبو بكر ﷺ أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي ﷺ فكفَّ عنه، فنزلت هذه الآية(٤). وقيل(٥): نزلت في كعب بن الأشرف فإنه كان يهجو رسول الله ﷺ، ويسب المسلمين، ويذكر نساءهم بسوء، فأمر النبي ﷺ بقتله، فقال: من لي من ابن

٢٣/ب

---

(١) أخرج أحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)): ١/٢٥٢، رقم الحديث: ٢٠٥، وإسناده صحيح. وفي رواية: ((لو أنكم توكلتم..))، الحديث: ١/٣١٨، رقم: ٣٧٠، وإسناده صحيح. وفي رواية: ((لو أنكم كنتم توكلون..))، الحديث: ١/٣١٩، رقم الحديث: ٣٧٤، وإسناده صحيح. وأخرجه الترمذي في سننه بلفظ: ((لو أنكم كنتم توكلون على الله..))، الحديث بتمامه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه. كتاب الزهد، باب في التوكل على الله: ٤/٤٩٥، رقم الحديث: ٢٣٤٤. وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، بلفظ: ((لو أنكم توكلتم..)). الحديث: ٢/١٣٩٤، رقم الحديث: ٤١٦٤. ومعنى خماصاً: جياعاً. وبطاناً: ممتلئة الأجواف. وحق توكله: بأن لم يخطر ببالك مداخلة لغيره تعالى في الرزق أصلاً. لرزقكم كل يوم رزقاً جديداً، دون حاجة لحفظ المال. ولا ينافي هذا الأخذ بالأسباب والسعي في التحصيل، فالسعي معتاد في الطير.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ١/٥٧٣ــ٥٧٤ .

(٣) لا تفتاتنَّ عليَّ بشيء: أي: لا تعمل دون أمري. انظر: القاموس المحيط: ص: ٢٠١.

(٤) انظر: زاد المسير: ١/٤١٣ .

(٥) قاله الزهري. انظر: تفسير البغوي: ١/٥٩٨، وزاد المسير: ١/٤١٣ .

الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله، فانتدب له محمدُ بن مسلمة[١]، وسلكان بن سلامة أبو نائلة[٢]، وكان أخا كعب من الرضاعة، وعبَّاد بن بشر[٣]، والحارث بن أوسٍ[٤]، ﷺ ومشى معهم النبي ﷺ إلى بقيع الغرقدِ[٥]، ودعا لهم فقال: اللهم أعنهم، ثم رجع رسول الله ﷺ ، فأمكنهم الله من ابن الأشرف فقتلوه[٦].

وقوله تعالى:﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾ / يعني: اليهودَ والنصارى ومشركي العرب[٧]. ٢٤/أ

---

(١) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد أبو عبد الرحمن الأنصاري المدني حليف بني عبد الأشهل، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة، وهو ممن سُمِّي في الجاهلية محمداً. روى أحاديث عن النبي ﷺ، وشهد بدراً وما بعدها إلا تبوك، فقد تخلَّف بإذن. له ولأولاده صحبة، وهو ممن ذهب لقتل كعب بن الأشرف. استخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض الغزوات، وكان ممن اعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين، سكن المدينة ثم الربذة، ومات بالمدينة بعد قتل عثمان ﷺ سنة ست وأربعين هـ، وهو ابن سبع وسبعين سنة. انظر: الإصابة ٣٦٤/٣، رقم الترجمة: ٧٨٠٨.

(٢) سلطان بن سلامة بن وقش بن زغبة الأوسي الأنصاري، أخو سلمة بن سلامة، مشهور بأبي نائلة، ثبت ذكره في الصحيح في قصة قتل كعب بن الأشرف، وشهد أحداً، وكان شاعراً رامياً. انظر: الإصابة ١٩٤/٤، رقم الترجمة: ١١٤٦.

(٣) عباد بن بشر بن وقش بن زغبة، شهد بدراً، واستشهد باليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة، وكان ممن قتل كعب بن الأشرف. روى له أبو داود في الفضائل، وله ذكر في الصحيح من حديث أنس ﷺ أنه وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاءت عصا أحدهما، فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما. انظر: الإصابة ٢٥٤/٢، رقم الترجمة: ٤٤٥٥.

(٤) الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان الأوسي الأنصاري ابن أخي سعد بن معاذ سيد الأوس. شهد بدراً، واستشهد يوم أحد وهو ابن ثمان وعشرين، وشهد قتل كعب بن الأشرف، وثبت اسمه في صحيح البخاري من حديث جابر ﷺ أن محمد بن سلمة جاء معه برجلين أبي أقيس بن جابر والحارث بن أوس. انظر: الإصابة: ٢٧٣/١، رقم الترجمة: ١٣٧١.

(٥) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة. وأصل البقيع لغة: الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سُمِّيَ بقيع الغرقَد. والغرقد: كبار العَوسج. انظر: معجم البلدان: ٣٧٣/٢.

(٦) انظر الخبر في: سيرة ابن هشام: ٥٨/٣ــ٦٠، وتفسير البغوي: ٥٩٨/١ــ٥٩٩.

(٧) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٤١٣/١ .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ يعني: من خير الأمور[١]. قال عطاء: عزم الأمور حقيقة الإيمان[٢].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ قيل: معناه اصبروا على طاعة الله[٣]، وقيل: على أمر الله[٤]، وقيل: على فرائض الله[٥]، وقيل: اصبروا على الجهاد[٦]، وقيل: اصبروا على البلاء[٧]، ﴿ وَصَابِرُواْ ﴾ يعني: الكفار، ﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ المشركين. وأصل الرباط أن يربط كل فريق خيولهم، يعني: داوموا واثبتوا. ومنه: الرباط في الثغور.

وفي الحديث: عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: ((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، والرَّوحةُ يروحُها العبدُ في سبيل الله أو الغدوةُ خيرٌ من الدنيا وما عليها)).[٨] وفي حديث آخر: ((من مات مرابطاً أَمِنَ من الفتَّان)).[٩] وقيل: الرباط انتظار الصلاة، ذكره أبو سلمة بن عبد الرحمن.

قلتُ: يدل على هذا ما روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوءِ على

---

(١) الجمهور على أن الآية محكمة، وذهب قوم إلى أن الصبر المذكور فيها منسوخ بآية السيف. انظر: زاد المسير: ٤١٣/١ .

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٦٠٠/١ .

(٣) قاله قتادة. انظر: تفسير البغوي: ٦٠٩/١ .

(٤) قاله الضحاك ومقاتل بن سليمان. انظر: تفسير البغوي: ٦٠٩/١ .

(٥) قاله مقاتل بن حيان وسعيد بن جبير. انظر: زاد المسير: ٤٢٣/١، وتفسير البغوي: ٦٠٩/١ .

(٦) قاله ابن عباس وزيد بن أسلم. انظر: زاد المسير: ٤٢٣/١، وتفسير البغوي: ٦٠٩/١ .

(٧) قاله ابن عباس والكلبي. انظر: زاد المسير: ٤٢٣/١، وتفسير البغوي: ٦٠٩/١ .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله: ٣٠٤/٣، رقم الحديث: ٢٨٩٢ .

(٩) عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((من مات مرابطاً في سبيل الله أجرَى عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفُتَّان، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع)). أخرجه ابن ماجه. قال في الزوائد: إسناده صحيح، ومعبد بن عبد الله بن هشام ذكره ابن حيان في الثقات، ورجال الإسناد على شرط البخاري. انظر: سنن ابن ماجه: كتاب الجهاد، باب فضل الرباط في سبيل الله: ٩٢٤/٢، رقم الحديث: ٢٧٦٧ . والفُتَّان بالتشديد: جمع فاتن وقيل: بفتح وتشديد للمبالغة.

المكاره، وكثرة/ الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاةِ بعد الصلاةِ، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)).[١] ٢٤/ب

وقولـــه تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ قال بعض المتكلمين[٢]: اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء، ورابطوا في دار الأعداء، واتقوا إلَه الأرض والسماء، لعلكم تفلحون في دار البقاء[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ١٢٦/٨، رقم الحديث: ٨٠٠٨، وإسناده صحيح. وكذا النسائي في كتاب الطهارة باب: فرض الوضوء، باب الفضل في ذلك: ٨٩/١. وأخرجه مسلم: (بلفظ ألا أدلكم..) في كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره: ٢١٩/١، رقم الحديث: ٢٥١/٤١، ومالك بلفظ: (عند المكاره) كتاب قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليها: ١٦١/١، رقم الحديث: ٥٥.

(٢) قال الحسن وقتادة وابن جريج والضحاك: اصبروا على طاعة الله، واصبروا على دينكم، وصابروا أعداء الله، ورابطوا في سبيل الله. وقال محمد بن كعب القرظي: اصبروا على دينكم، وصابروا وعدي إياكم، ورابطوا أعداءكم. انظر: أحكام القرآن للجصاص الرازي: ٤٥/٢ .

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٦١٠/١ .

سورة النساء

مدنيَّة، وفيها من آيات الصبر والتوكل.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ يعني: أن نكاح الإماءِ عند عدم الطَّول لمن خشي العنتَ جائز. وأن تصبروا عن نكاحهن متعففين خير لكم حيثُ يُخلقُ الولدُ رقيقاً.

وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ يعني: يوضِّح لكم شرائع دينكم ، ومصالح أموركم. وقيل معناه: يبيِّن لكم أن الصبر عن نكاح الإماء خير لكم، ويهديكم بصبركم شرائع الذين من قبلكم في تحريم الأمات[1]، وجميع المحرمات. وقيل: يهديكم الملة الحنيفية، وهي ملةُ إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ يرجع بكم/ عن المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته. وقيل: يوفقكم للتوبة، والله عليم بمصالح عباده وأمر دينهم ودنياهم، حكيم فيما دبَّر من أمورهم[2]. ٢٥/أ

وقولـــه تعالـــى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ يعني: القرآن[3]. والبرهانُ محمد ﷺ [4].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ يعني: اعتصموا به من زيغ الشيطان.

---

(١) هكذا وردت في الأصل. ولعل الأصوب: (الأمهات)، إذ يقال في جمع الأم من غير الآدميين: (أمَّات) بغير هاء. وفي التهذيب: الأم في كلام العرب أصل كل شيء، واشتقاقه من الأم، ومنهم من جمع (أم) (أمات)، وزيدت الهاء في الأمهات لتكون فرقاً بين بنات آدم وسائر إناث الحيوان. والقرآن العزيز نزل بأمهات. أما جمع الأمَة فهو: إماء، آم، إموان، أموان. ذكره ابن منظور في اللسان. انظر: لسان العرب: ١٢/ ٣٠ مادة: (أمم)، تهذيب اللغة: ٤٧٥/٦ . مادة: (أمه).

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤٨/٢ .

(٣) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ١٥٨/٢ .

(٤) قاله سفيان الثوري. انظر: زاد المسير: ١٥٨/١ .

وقوله تعالى: ﴿ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ ﴾ يعني: الجنةَ، لأنها دار السعادة والبقاء. و(الصراط المستقيم) يعني: طريقاً موصلاً إلى الجنة[1]، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٢/١٩٥ .

سورة المائدة

مدنية[١] إلا قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ۝٣ ﴾ .. الآية[٢].

وفيها من آيات التوكل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ ﴾ قيل: نزلت هذه الآية حين أراد عمرو بن كعب بن الأشرف أن يطرح على رسول الله ﷺ صخرة من سطحٍ، فأمسك الله يده، فجاء جبريلُ فأخبر النبي ﷺ بذلك[٣].

وقيل:/ نزلت في بني ثعلبة وبني محارب حين كان النبي ﷺ في بعض غزواته ببطن نخلة[٤]، فقالوا: إن لهم صلاةً هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا وقعنا بهم، فنزلت[٥]. ٢٥/ب

وقيل: إن غورثَ بن الحارث أخذ سيف النبي ﷺ وجعل يهزُّه ويهمُّ به فيكفه الله، ثم قال: يا محمدُ ما تخافني؟ قال: لا، قال: لا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: يمنعني الله منك، فأغمد السيف ولم يقل له رسول الله ﷺ شيئاً، ولم يعاقبه[٦].

---

(١) قاله ابن عباس والضحاك. وقال مقاتل: نزلت نهاراً وكلها مكية. انظر: زاد المسير: ٢/١٦٠.

(٢) قال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ . وقيل: فيها من المكي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ والصحيح أن قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ . نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى مكة. انظر: زاد المسير: ٢/١٦٠.

(٣) قاله مجاهد وعكرمة. انظر: زاد المسير: ٢/١٨٢ .

(٤) بطن نخل: جمع نخلة: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة، بينهما الطرفُ على الطريق، وهو بعد أبرق العزّاف للقاصد إلى مكة. انظر: معجم البلدان: ١/٤٥٠ .

(٥) هذا قول قتادة. انظر: زاد المسير: ٢/١٨٢ .

(٦) أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى جابر ﷺ قال: ((كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ فجاء رجل من المشركين، وسيف النبي ﷺ معلَّق بالشجرة، فاخترطه فقال له: تخافني؟ فقال: لا، قال: فمَن يمنعك مني؟ قال: الله. فتهدده أصحاب النبي ﷺ وأقيمت الصلاة، فصلَّى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا، وصلَّى بالطائفة الأخرى ركعتين. وكان للنبي ﷺ أربع، وللقوم ركعتين. وقال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث، وقاتل فيها مُحَارِبَ خَصَفَة)). كتاب المغازي، باب

ولذلك ذكَّر الله نبيَّه والمؤمنين نعمَهُ عليهم وإحسانهم إليهم، وناهيك بها نعمة إذ حفظهم وعصم نبيَّنا من كيد من أراد به سوءاً حتى أكمل لهم دينهم وشرائعهم، وأعلا كلمتهم، فلله الحمد على نعمه التي لا تُحصى، ومِنَنِه التي لا تستقصى.

وقوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾.[1] وذلك أن عيسى عليه السلام علم أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على كفره، فقال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وأنت العادل فيهم، لأنك أوضحت لهم الحق فكفروا، ﴿ وَإِن تَغْفِرْ ﴾ لمن/ آمن منهم بعد كفره فذلك بفضلٍ منك، وأنت في مغفرتك عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك. ٢٦/أ

قلتُ[2]: إنما قال عيسى: ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ولم يقل: فإنك أنت الغفور الرحيم لأنه على غير سؤال المغفرة، وإنما هو على تسليم الأمر إلى مالكهم. وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ أقام ليلةً يردِّدُ هذه الآية: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾[3].

غزوة ذات الرقاع: ٥/٦٥، رقم الحديث: ٤١٣٦. وورد بألفاظ متقاربة في نفس الكتاب، وكتاب الجهاد والسير، باب من علَّق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب توكله على الله: ٤/٣١٠، رقم الحديث: ٤٢٣١. وانظر: أسباب النزول للواحدي: ص: ١٦٢، وزاد المسير: ٢/١٨٢.

(١) وردت الآية الأخيرة في أصل المخطوط بدون: (رضي الله عنهم ورضوا عنه). وتمَّ ضبطها من رسم المصحف الشريف. وهذا يؤكد أن الناسخ كان يعتمد على حفظ الذاكرة، دون التمكن من النص ذاته.

(٢) أي المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٣) لم أقف على هذه الرواية في سنن أبي داود. والحديث في مسند أحمد عن أبي ذر ﷺ قال: ((صلَّى رسول الله ﷺ ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها، ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها، قال: إني سألت ربي عزَّ وجلَّ الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله عزَّ وجلَّ شيئاً))، بإسناده حسن: ١٥/٤٩٢، رقم الحديث: ٢١٢٢٥. ورواه النسائي في السنن الكبرى: في كتاب

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ قرأ نافع (هذا يومَ) بالنصب على أنه ظرف لِقال، أو على أنه خبر، أي: هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يومَ ينفع الصادقين صدقهم. وقرأ الباقون بالرفع (يومُ) على الخبر، تقديره: يومُ القيامة ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا(١). ألا ترى أن إبليس قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ... ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، فصدق يومئذ، وكان في الدنيا كاذباً. وأما عيسى عليه السلام فصدق في الدنيا والآخرة، فنفعه.

وفي مسند الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ من حديث عبد الله بن عمروٍ أن رسول الله ﷺ قال: ((أربع خلالٍ إذا أعطيتَهُنَّ فلا يضرّك/ ما فاتك من الدنيا: حسنُ خليقةٍ، وعفاف طُعمةٍ، وصدقُ حديثٍ، وحفظ أمانةٍ))(٢). ٢٦/ب

واعلم أن الصادقين في الكتاب والسنَّةِ على **خمسة** أقسامٍ:

الأول: الصادقُ ربُّ العزَّةِ تبارك وتعالى، لأن صدقَه صفة أزليَّةٌ.

الثاني: الصادقون الأنبياء عليهم السلام، ومنه قوله تعالى: ﴿ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ ﴾ [الأحزاب: ٨] أي: يسألهم عن صدقهم في تبليغ الوحي والرسالة إلى قومهم، وكذا قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ يعني: النبيِّن ومن تبعهم على دينهم.

الافتتاح، باب ترديد الآية، وإسناده ضعيف: ١٧٧/٢، رقم الحديث: ١٠١٠. ورواه ابن ماجه عن أبي ذر ﷺ يقول: ((قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾)). قال في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل: ٤٢٩/١، رقم الحديث: ١٣٥٠.

(١) انظر: السبعة في القراءات: ص: ٢٥٠، والكشف: ٤٢٣/١، والتبصرة: ص: ٤٨٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طهر)). إسناده صحيح: ٢٠٩/٦، رقم الحديث: ٦٦٥٢.

الثالث: الصادقون المهاجرونَ خاصةً كما في سورة الحشر: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر:٨] أي: في طاعاتهم اللهَ والرسولَ.

الرابع: ذكرُ الصادقين في القرآن، والمراد به جميعُ المؤمنين كما في سورة الأحزاب: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٨].

الخامس: ذكر الصادقين في القرآن، والمراد به النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان/ وعلي والمهاجرون ﷺ أجمعين كما في سورة براءة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ يعني: النبي ﷺ ومن تبعه من أصحابه.

أ/٢٧

سورة الأنعام

مكيَّة. قال ابن عباس [ﷺ]: نزلت سورة الأنعام جملةً واحدةً ليلاً بمكةَ[١]، وحولها سبعون ألف ملك[٢]، فاختصت هذه السورة **بنوعين** من الفضيلة؛

أحدهما: نزولها جملةً واحدة.

والثاني: نزول سبعين ألفاً من الملائكة تحفُّها، ولهم ضجَّةٌ بالتسبيح.

والسبب في ذلك أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوَّة والمعاد وإبطال مذاهب الملحدين والمبطلين.

وفيها أُمِرَ النبي ﷺ أن يبدأ الذين نُهِيَ عن طردهم بالسلام فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الآية: ٥٤]، فكان النبي ﷺ إذا رآهم بعد ذلك بدأهم بالسلام، وقال: ((الحمد لله الذي جعل في أمتي/ من أمرني الله أن أبدأهم بالسلام))[٣]. ٢٧/ب

وقال أنس بن مالك ﷺ: جاء رجالٌ إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً عظيمةً فسكت عنهم، فنزلت هذه الآية[٤].

وقال عطاء: نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وجعفر، وعثمان بن مظعون[٥]،

---

(١) إلا ست آيات، وهي ذوات الأرقام: ٢٠ ، ٩١ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١٥١ .

(٢) روى يوسف بن مهران عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح. وعن ابن عباس ﷺ قال: أنزلت سورة الأنعام جميعاً بمكة، معها موكب من الملائكة يشيعونها. قد طبقوا ما بين السماء والأرض، لهم زجل ــ أي صوت رفيع عال ــ بالتسبيح، حتى كادت الأرض أن ترتج من زجلهم بالتسبيح ارتجاجاً، فلما سمع النبي ﷺ زجلهم بالتسبيح رعب من ذاك، فخرَّ ساجداً حتى أنزلت عليه بمكة. انظر: الدر المنثور ٣/٣ ، وزاد المسير: ٣/٣ .

(٣) قاله الحسن وعكرمة. انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٦ ، وزاد المسير: ٣٨/٣ .

(٤) انظر الخبر في تفسير الطبري: ٤٣٥/٦ .

(٥) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذاقة الجمحي أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى مع ابنه السائب، ورجع ودخل جوار الوليد بن المغيرة، وحاور لبيد في شِعره فصدَّقه في صدر بيته وكذَّبه في عجزه:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وأبي عبيدة[١]، ومصعب بن عُمير، وسالم، وأبي سلمة[٢]، والأرقم بن أبي الأرقم[٣]، وعمار، وبلال [ﷺ][٤]. وقال أبو سليمان الدمشقي: نزلت مبشرةً بإسلام عمر ﷺ فلما أسلم تلاها عليه رسول الله ﷺ [٥]

وقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ﴿٥٤﴾ ﴾ يعني: بَشِّرْه يا محمد بسعة رحمتي وقبول توبتي،[٦] والله أعلم.

فلطم عينه سفيه من الحاضرين. رد النبي ﷺ عليه التبتُّل، واستأذنه في الخصي لمشقة العزوبة عليه في المغازي، لكنه لم يرخص له، بل دعاه إلى الصوم. أول من مات من المهاجرين في المدينة بعد شهود بدر، وأول من دفن بالبقيع منهم، قبّله النبي ﷺ وهو ميت، يبكي وعيناه تذرفان، وحين توفي ابنه إبراهيم قال: أُلحق بسلفنا الصالح عثمان بن مطغون. انظر: الإصابة: ٤٥٧/٢، رقم الترجمة: ٥٤٥٥، وأسد الغابة: ٤٩٣/٣، رقم الترجمة: ٣٥٨٨.

(١) لعله أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية. واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح، اشتهر بكنيته والنسبة إلى جده. ولما دخل عمر الشام، ورأى عيش أبي عبيدة، وما عليه من الشدة، قال له: كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة. توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ. انظر: الإصابة: ٤/ ١٣١، رقم الترجمة: ٧٤٣، وأسد الغابة: ٢٠٧/٥، رقم الترجمة: ٦٠٧٧.

(٢) لعله أبو سلمة بن عبد الأسد هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، وأمه برة بتت عبد المطلب بن هاشم، فهو ابن عمة الرسول ﷺ . هاجر إلى الحبشة، ومعه امرأته أم سلمة، ثم عاد وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وجرح بأحد جريحاً. مات سنة ثلاث من الهجرة. انظر: الإصابة: ٩٤/٤، رقم الترجمة: ٥٥٨، وأسد الغابة: ١٥٣/٥، رقم الترجمة: ٥٩٧١.

(٣) الأرقم بن أبي الأرقم، واسمه عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا عبد الله، وأمه تماضر السهمية. قيل: أسلم بعد عشرة، وذكر الحاكم أنه سابع سبعة. وذكر البخاري له صحبة. وكانت داره على الصفا، يجلس فيها النبي ﷺ في الإسلام ــ حبسها ــ وحين تكامل المسلمون أربعين رجلاً بإسلام عمر خرجوا. روى له أحمد والحاكم وغيرهما. توفي سنة خمس وخمسين بعد أن شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها. وأقطعه النبي ﷺ داراً في المدينة. انظر: الإصابة: ٤٣/١، رقم الترجمة: ٧٣، وأسد الغابة: ٨٥/١، رقم الترجمة: ٧٠.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٣٦٥/٢ ، زاد المسير: ٣٨/٣ .

(٥) هذه الأقوال الأربعة ذكرها ابن الجوزي في تفسيره. انظر: زاد المسير: ٣٨/٣ .

(٦) انظر: الدر المنثور: ٢٦/٣ .

سورة الأعراف

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يعني: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم طائفتين ﴿ فَٱصْبِرُواْ ﴾ أيها المصدقون والمكذبون ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ بتعذيب أهل التكذيب والمعصية، وإنجاء[1] أهل التصديق والطاعة، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، لأنه عدل لا يجور في حكمه/ وقضائه. وفي ضمن هذا بشارةٌ للمؤمنين، ووعيدٌ للكافرين[2]. ٢٨/أ

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾: اعلم أن سحرةَ فرعون بصبرهم نالوا الإسلام والشهادة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((أصبحوا سحرةً، وأمسوا شُهداء))، ولما صبر بنو إسرائيل هداهُم الله بالاعتصام بأوثق أسباب النصر بقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ يعني: استعينوا بالله واصبروا على دينكم. وقيل: معناه اصبروا على ما يفعلُ بكم، كأنَّ موسى ــ عليه السلام ــ خاف عليهم الردة عند تعاظم الشدة. ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾ مُلكاً وخلقاً، واللام في ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ للعهدِ، أو للجنس. ﴿ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ قيل: العاقبةُ الجنةُ لمن اتقى، وقيل: العاقبةُ ههنا النصرُ والظَّفَرُ[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ ... ﴿١٣٧﴾ ﴾. يعني: بني إسرائيل يُستضعفون بالاستعباد والاستخدامِ./ قيل: يُريدُ بالأرض العموم. ٢٨/ب

---

(١) إنجاء: لعله نجاء. إذ مصدر الفعل نجا نجواً أو نجاة، يقال: نجا الرجل من الشر ينجو نجواً أو نجاة ونجاء. ويقال: أنجى إنجاءاً إذا جلس على الغائط فتغوط، وقد نجا الغائط نفسه ينجو. انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ١٩٨/١١ مادة: (نجا).

(٢) انظر: زاد المسير: ١٧٦/٣ .

(٣) انظر: زاد المسير: ١٨٨/٣ .

وقيل: أرض الشام. وقيل: مصر، وهذا أظهر[١]. و﴿ بَـٰرَكْنَا ﴾ يعني: بالماءِ والشجرِ والزرع وسعةِ الأرزاق.

وقوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ... ﴿١٣٧﴾ ﴾ يشبهُ قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [القصص]. معنى الآية: أن بالصبر على الطاعةِ يحصلُ الظفرُ والنصرُ كما قال ﷺ: ((واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسراً))[٢].

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣/١٩٣ .

(٢) أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كنت رديف النبي ﷺ فقال: ((يا غلام أو يا غليم ألا أعلِّمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلى، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)). رواه أحمد عن شيخه عبد الله بن يزيد المقرىء بثلاثة أسانيد، أحدها صحيح. انظر: مسند أحمد: ٣/٢٤٤، رقم الحديث: ٢٨٠٤.

سورة الأنفال

مدنيَّةٌ عند الأكثرين، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٣٠﴾ ﴾ فسببُها بمكة[1]، ولا خلاف أنها نزلت في بدر وغنائمه.

وفيها من آيات الصبر والتوكُلِ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ أي: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الصادقون في إيمانِهم،

ومعنى ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾/ خافت وفرِقت[2] من خشية الله، وإذا خافوا انقادوا للحق. | ٢٩/أ

ومعنى ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ أي: يقيناً وتصديقاً.

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: يفوِّضون إليه أمورهم، ويثقون به، ولا يرجون غيره، ولا يخافونَ سواه.

ومعنى قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ أي: يقيناً، فليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً، لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوماً مخصوصينَ على أوصاف مخصوصةٍ، وكل أحد لا تتحقق تلك الأوصاف فيه.

﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ قال عطاء: يعني درجاتِ الجنة يورَثونَها بأعمالهم[3].

---

(١) حكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فيها سبع آيات مكيات، أولها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠]. انظر: تفسير البغوي: ٥٩٣/٢، وزاد المسير: ٢٤١/٣.

(٢) فرِقت بكسر الراء: فزعت. انظر: القاموس المحيط: ص: ١١٨٣، مادة: (فرق).

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٤٤/٣ .

قال الربيع بن أنس: سبعون درجة، ما بين كل درجتين جري الفرس المضمَّر[١] سبعون سنة. ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم، ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ حسنٌ أُعِدَّ لهم في الجنة لم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر[٢].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

روينا في صحيح البخاري عن سالم أبي النضر[٣] مولى عمرو بن عبيد الله ــ وكان/ كاتباً له ــ قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى ﷺ [٤]، فقرأته أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لَقِيَ فيها العدوَّ وانتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: ((أيها الناس لا تتمنَّوا لقاء العدوِّ، وسلوا الله العافية، فإذا

٢٩/ب

---

(١) ضمَّر الخيل تضميراً: علفها القوت بعد السِّمَن. والفرس المضمَّر: الدقيق الحاجبين. انظر: القاموس المحيط: ص: ٥٥١، مادة: (ضمر).

(٢) يؤكد هذا المعنى رواياتٌ كثيرة صحيحة وردت في وصف الجنة، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عزَّ وجلَّ: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. مصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة])). انظر: صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: ٤/ ٢١٧٤، رقم الحديث: ٢٨٢٤.

(٣) ورد في أصل المخطوط: (سالم بن أبي النضر) وهو خطأ إذ سالم هو نفسه أبو النضر، وهو ابن أبي أمية الضمري المدني، مولى عمر بن عبيد بن معمر التيمي، وهو والد بَرْوان بن أبي النضر. قال البخاري: له نحو خمسين حديثاً، وثَّقه ابن حنبل وابن معين والعجلي والنسائي، وقال أبو حاتم: صالح ثقة حسن الحديث، روى له الجماعة، وقال ابن حجر: كان يرسل. ومات سنة ١٢٩ هـ. انظر: تهذيب الكمال: ١٠/١٢٧، رقم الترجمة: ٢١٤١.

(٤) عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي ابن أخي عبد الله بن أوفى، وأبوه أبو أوفى (علقمة). انظر: الإصابة: ٣/ ٥٨، رقم الترجمة: ٦١٦٦ .

لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم)). [١][٢]

وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: ومن يُسَلِّم أمره إلى الله ويثق به فإن الله قويٌّ يفعل بأعدائه ما يشاء[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ أي: إن مالوا إلى الصلح مِلْ إليها وصالحهم[٤].

---

(١) رواية البخاري: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية فقرأته، فإذا فيه: إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو..)) الحديث. انظر: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو: ٣٤٩/٤، رقم الحديث: ٣٠٢٤ .

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٦٣٨/٢ــ٦٣٩ .

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٦٤٢/٢ .

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٨٥/٣ .

وقال قتادة والحسن: هذه الآية منسوخة[١] بقوله: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة]،[٢] وتوكل: ثق بالله[٣].

وقوله: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يعني: بني قُريظةَ أهل خديعةٍ، فإن الله كافيك. هو الذي أيدك بالأنصار، وألَّف بين قلوبهم، أي: بين الأوس والخزرج، وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فصيَّرهم/ الله إخواناً في الإسلام. ٣٠/أ

---

(١) قال قتادة: نسخها: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] ، وقيل: نسخها: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [التوبة: ٢٩]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نسخها: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال: ٦١]، ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ [محمد: ٣٥]. وقيل: الآية محكمة غير منسوخة. ورجَّح الطبري عدم النسخ، وأن الآية محكمة، وكذا: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] محكمة. انظر: تفسير الطبري: ١٠/٣٤. وقال مكي في الإيضاح: فأما ما قاله قتادة ومَن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل. وقد دلَّلْنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه. فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخاً. وقول الله في براءة: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [٥] غير نافٍ حكم قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال: ٦١] لأن قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال: ٦١] إنما عُنِيَ به بنو قريظة، وكانوا يهوداً أهل كتاب، وقد أذن الله جلَّ ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم. وأما قوله: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] فإنما عُنِيَ به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم. فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أُنزِلت فيه. انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ص: ٢٥٩.

(٢) وردت الآية في أصل المخطوط بلفظ: (اقتلوا)، وقد أثبتُّها حسب الرسم العثماني في المصحف الشريف.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٢/٦٤٩ .

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ قال سعيد[١] بن جبير: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة[٢] وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر ﷺ فتمَّ به أربعون، فنزلت هذه الآية[٣]. وقيل: محل ﴿ مَن ﴾ خفضٌ عُطِفَ على الكاف، تقديره في قوله: ﴿ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ وحسب ﴿ مَن ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٤]. وقيل: رَفْعٌ عُطِفَ على اسم ﴿ ٱلله ﴾، معناه: حسبك الله ومتَّبِعُوك من المؤمنين[٥].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ ﴾ رجلاً ﴿ صَٰبِرُونَ ﴾ محتسِبُون، يقهروا ﴿ مِائَتَيۡنِ ﴾ من عدوهم.

وقوله: ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٞ ﴾ أي: صابرةٌ محتسبةٌ ﴿ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ أي: أن المشركين يقاتلون على غير احتسابٍ ولا طلبِ ثوابٍ، فلا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشيةَ أن يُقتلوا، وهذا خبرٌ بمعنى الأمر، وكان هذا يومَ بدر، فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين، فثقلت على المؤمنين، فخفف الله عنهم، فنزل: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ ﴾ أي: ضعفاً في الواحد عن قتال العشرة، وفي المئة عن قتال الألفِ.

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله مولاهم الكوفي. ثقة ثبت فقيه إمام حجة على المسلمين. من كبار التابعين، ومن الطبقة الثالثة، أخذ عن ابن عباس وأنس وغيرهما، وروايته عن عائشة وأبي موسى مرسلة. خرج على الأمويين مع ابن الأشعث؛ فظفر به الحجاج، فقتله صبراً في شعبان سنة ٩٥ هـ، ولم يكمل الخمسين. انظر: تهذيب الكمال: ٣٥٨/١٠، رقم الترجمة: ٢٢٤٥، وتهذيب التهذيب: ١١/٤.

(٢) وردت في الأصل: (ثلاث)، وهو خطأ. وصوابه: (ثلاثة) حيث تخالف المعدود.

(٣) رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا لا يحفظ، والسورة مدنية بإجماع، وقول مجاهد أصح، أي: (حسبك الله وحسب من اتبعك). انظر: زاد المسير: ٢٨٦/٣.

(٤) هذا قول أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال ابن زيد ومقاتل وآخرون. انظر: زاد المسير: ٢٨٦/٣ .

(٥) قاله مجاهد. وعن الشعبي كالقولين. وأجاز الفراء والزجاج الوجهين. انظر: زاد المسير: ٢٨٦/٣ .

وقوله: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾/ فَرَدَّ من العشرة إلى اثنين، فإن كان المسلمون على الشرط من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا. ٣٠/ب

وقال سفيان[١]: قال ابن شبرمة[٢]: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلَ هذا[٣]، والله أعلم

---

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي، من بني ثور بن عبد مناة، ولد في الكوفة سنة ٩٧ هـ، وهو من تابعي التابعين. كان رأساً في التقوى والزهد، أمير المؤمنين في الحديث. اشتهر مذهبه الفقهي فترة ثم انقرض. طلبه المنصور ثم المهدي ليلي الحكم، فتوارى منهما سنين، ومات بالبصرة مستخفياً سنة ١٦١ هـ. من مصنفاته: الجامع الكبير، الجامع الصغير، وهما في الحديث، وله كتاب في الفرائض. انظر: تاريخ بغداد: ١٥١/٩، والجواهر المضية: ٢٥٠/١، والأعلام: ١٠٤/٣.

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان، أبو شبرمة الضبي ـ نسبة إلى ضبة ـ، من أهل الكوفة. ولد سنة ٧٣ هـ. كان ثقة فقيهاً حازماً يشبه النسَّاك. ولي القضاء على السواد، وروى عن أنس والتابعين، وروى عنه عبد الملك وسعيد وابن المبارك وآخرون. توفي سنة ١٤٤ هـ. انظر: تهذيب التهذيب: ٢٥٠/٥، والعِبَر في خبر من غبر: ١٩٧/١، والأنساب: ٣٨٤/٨.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٦٤٩/٢ـ٦٥١ .

سورة براءة

مدنيةٌ بإجماعهم، إلا قولَه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ .. [الآيتين ١٢٨ــ١٢٩]، فإنهما نزلتا بمكة(١).

روى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب(٢) رضي الله عنه قال: آخر سورة نزلت براءة(٣). قيل: أول ما نزل منها: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴿٢٥﴾ ﴾،(٤) وقيل: أول ما نزل منها: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴿٤١﴾ ﴾،(٥) وقيل: أول ما نزل منها: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴿٤٠﴾ ﴾.(٦) ولها تسعة أسماء: سورة التوبة(٧)، وبراءة، وسورة العذاب(٨)، والمقشقشة(٩)، قاله ابن عمر(١٠)رضي الله عنهما، وسورة البحوثِ(١١)، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن

---

(١) قاله مقاتل. انظر: تفسير البغوي: ٣/٣ ، وزاد المسير: ٢٩٤/٣.

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الأوس الأنصاري، يكنى أبا عمارة، ويقال: أبا عمرو، له ولأبيه صحبة، يروي أحمد عنه أن النبي ﷺ استصغره وابن عمر يوم بدر، فردَّهما فلم يشهداها. وشهد أحداً وأربع عشرة غزوة غيرها، توفي في إمارة مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ، بعد أن شهد مع علي الجمل وصفين. وروى جملة من الأحاديث. انظر الإصابة: ١٤٧/١، رقم الترجمة: ٦١٨.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن البراء ﷺ قال: ((آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة)). كتاب تفسير القرآن، باب (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة): ٢٢٣/٥ رقم الحديث: ٤٦٠٥. والكلالة: مَن لم يرثه أب أو ابن، وهو مصدر من تَكَلَّله النسب، أي تطرَّفه، كأنه أخذ طرفيه من جهة الوالد والولد، وليس له فيهما أحد.

(٤) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/٣.

(٥) قاله أبو الضحى وأبو مالك. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/٣.

(٦) قاله مقاتل. وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/٣.

(٧) قاله حذيفة ﷺ وغيره. انظر: البرهان: ٢٦٩/١، المحرر الوجيز: ٢٩٦/١، وزاد المسير: ٢٩٤/٣.

(٨) قاله حذيفة ﷺ. انظر: البرهان للزركشي: ٢٦٩/١، والمحرر الوجيز: ٢٩٦/١، وزاد المسير: ٢٩٤/٣.

(٩) المقشقشة: معناه المبرئة من النفاق، مِن تقشقشت قروحه: إذا تقشرت للبرء. ولها أسماء أخرى: الحفارة، المخزية، المهلكة، المشردة، المدمدمة، المنكلة. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/٣، ونظم الدرر ٣٥٠/٨.

(١٠) انظر: البرهان للزركشي: ٢٦٩/١، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٣٩٦/٦.

(١١) ولأنه لا يبحث إلا عن حال البغيض. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/٣.

الأسود[١] ﷺ، والفاضحة[٢]، والمبعثرة[٣]، لأنها بعثرت أخبار الناس، وكشفت عن سرائر المنافقين، والمثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين[٤]، وتسمى الحافرة[٥]./ قيل: سبب امتناعهم من كتابة التسمية في أولها ما روى عثمان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قُبِض ولم يبين سورة (الأنفال) أنها منفصلة من (التوبة)، فظننا أنها منها. قال عثمان: فمن ثَمَّ قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم[٦]. قال

أ/٣١

---

(١) المقداد بن الأسود الكندي هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك، هرب إلى مكة من حضرموت، وحالف الأسود بن عبد يغوث الذي تبناه، وغلبت عليه شهرته بابن الأسود، ثم أبطلت الشهرة بإبطال التبني، وكان يكنى أبا الأسود، وقيل: أبا عمر، وأبا سعيد. كان من السبعة الأوائل في الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، والمشاهد بعدها، ولم يثبت في بدر على فرس غيره، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، زوَّجه النبي ﷺ بنت عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، ذكره النبي في جملة أربعةٍ أمره الله بحبهم وأخبره بحبهم. روى أحاديث، ومات سنة ٣٣ هـ في خلافة عثمان، وهو ابن سبعين سنة إثر شق غلامه لبطنه ليخرج له شحماً حتى يتلطف. انظر: الإصابة: ٤٣٤/٣، رقم الترجمة: ٨١٨٥.

(٢) لأن من افتضح أمره كان أهلاً للبراءة منه، ولأنها فضحت أسرار المنافقين وكشفتها، بدليل قول ابن عباس رضي الله عنهما. قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن سورة براءة فقال: ((تلك الفاضحة، وما زال ينزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظن أنه لا يبقى أحد)). وفي رواية: ((حتى خفنا ألا تدع أحداً)). انظر: تفسير القرطبي: ٦١/٨، وزاد المسير: ٣/ ٢٩٤، والمحرر الوجيز: ٣٩٦/٢، والبرهان: ١/ ٢٦٩.

(٣) المبعثرة: هي المنفرة، لأنه لا يبعثر إلا حال العدو، قاله الحارث بن يزيد. انظر: زاد المسير: ٣:/ ٢٩٤ والبرهان: ٢٦٩/١.

(٤) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/٣.

(٥) لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/٣.

(٦) أخرج أحمد في مسنده عن يزيد الفارسي قال: قال لنا ابن عباس رضي الله عنهما: قلت لعثمان بن عفان ﷺ: ((ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا، قال ابن جعفر بينهما سطرا بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان ﷺ: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان، ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهةً بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، وظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطراً بسم الله الرحمن الرحيم. قال ابن جعفر: ووضعتها في السبع الطوال)). انظر: مسند أحمد: ٣٣٤/١، رقم الحديث: ٣٩٩، و: ٣٧٨/١، رقم الحديث: ٤٩٩. قال الأستاذ أحمد شاكر

الزَّجَّاج: والشبه الذي بينهما أن في (الأنفال) ذِكْرُ العهود، وفي (براءة) نقضُهَا. وقد روي عن علي ﷺ أنه قال: براءةٌ نزلت بالسيف، وبسم الله الرحمن الرحيم أمان. قال ابنُ عُيَيْنَة[١]: لأن الرحمة أمانٌ، وبراءةٌ نزلت في المنافقين[٢].

قلتُ[٣]: ومن ألطف ما ذُكِرَ في هذا المعنى أن النبي ﷺ لما كتب في صلح الحدَيبية[٤] بسم الله الرحمن الرحيم لم يقبلوها، وردُّوها، فلم يردها الله عليهم، فكان ذلك لهم على سبيل الحرمان، والله أعلم.

وسبب نزولها: أن العرب أخذت تنقضُ عهودها مع رسول الله ﷺ فأمره الله بإلقاء عهودهم إليهم، فأنزل الله تبارك وتعالى سورة (براءة) في سنة تسع. وفيها أمَّرَ رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ على موسم الحاج ليُقيم للناس الحج في تلك السنة، وأمَّرَ عليَّاً أن يؤذِّن بـــ: (براءة) في الناس[٥].

محقق المسند: إسناده صحيح، وفي إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له، يدور إسناده على يزيد الفارسي، وقد اختلف فيه، هل هو ابن هرمز أم غيره؟ وحقق في المسألة طويلاً، وخلص إلى تضعيف الرواية لانفراد يزيد بها، حيث عدّوه من الضعفاء والمجهولين، ونقل أقوال وآراء العلماء في المسألة يرجح بذلك ضعف الرواية. انظر: المسند: ٣٣٢/١، رقم الحديث: ٣٣٤. وأخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة: ٢٥٤/٥، رقم الحديث: ٣٠٨٦. وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب من جهر بها أي البسملة: ٢٠٨/١، رقم الحديث: ٧٨٦.

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران أبو محمد الهلالي الكوفي. سكن مكة، وهو أحد الثقات الأعلام، أجمعت الأمة على الاحتجاج به. كان قوي الحفظ، روى عن عبد الملك بن عمير وحميد الطويل وحميد بن قيس وغيرهم، وروى عنه الأعمش وابن جريج وشعبة والثوري والشافعي وغيرهم. توفي سنة ١٩٨ هـــ. انظر: شذرات الذهب: ٣٥٤/١، وتهذيب التهذيب: ١١٧/٤، وميزان الاعتدال: ١٧٠/٢.

(٢) سئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين. انظر: زاد المسير: ٢٩٥/٣.

(٣) أي: المصنف ـــ رحمه الله ـــ.

(٤) الحديبية: قرية بينها وبين مكة مرحلة، وبين المدينة تسع مراحل، وبعضها في الحل، وبعضها في الحرم. اعتمر النبي ﷺ عمرة الحديبية، ووادع المشركين لمضي خمس سنين وعشرة أشهر من الهجرة. سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقيل: سميت بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع. انظر: معجم البلدان: ٢٢٩/٢.

(٥) انظر: زاد المسير: ٢٩٥/٣.

وفي عدد الآيات التي بعثها رسول الله ﷺ من أول (براءةٍ) خمسة أقوال؛ قيل: أربعون آية[١]، وقيل: ثلاثون[٢]،/ وقيل: عشر آيات[٣]، وقيل: سبع آيات[٤]، وقيل: تسع آيات[٥]. وقال الشعبي: بعث رسول الله ﷺ علياً يؤذِّن بأربع كلمات: ألا لا يحج بعد العام مشركٌ، ألا ولا يطوف بالبيت عُريان، ألا ولا يدخل الجنة إلا مسلم، ألا ومن كانت بينه وبين محمد عليه الصلاة والسلام مدة فأجله إلى مدته، والله بريءٌ من المشركين، ورسولُهُ[٦].

٣١/ب

وفيها من آيات التوكل وما يَدُلُّ عليه قوله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ... ﴿٢٥﴾ ﴾.

قلتُ: حُنَيْن[٧] وادٍ بين مكة والطائف، ومعنى الآية: أن الله تعالى أعلمهم أنهم إنما يَغلبون بنصر الله لا بكثرتهم. وعدد أصحاب النبي ﷺ الذين حضروا حُنيناً ستةَ عشرَ ألفاً، وقيل: عشرة آلاف، ذكرهما ابن عباس[٨]. وقيل: أحد عشر

---

(١) قاله الإمام علي كرم الله وجهه. انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٣.

(٢) قاله أبو هريرة ﷺ . انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٣.

(٣) قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٣.

(٤) رواه ابن جريج عن عطاء . انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٣.

(٥) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٣.

(٦) أخرج أحمد في مسنده: عن أبي بكر ﷺ ((أن النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله. قال: فسار بها ثلاثاً، ثم قال لعلي ﷺ: الحقه فردَّ عليَّ أبا بكر وبلِّغها أنت. قال: ففعل، قال: فلمَّا قدم على النبي ﷺ أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله حدث فيَّ شيء؟ قال: ما حدث فيك إلا خير، ولكن أُمِرت أن لا يبلغه إلا أنا، أو رجل مني)). انظر: مسند أحمد: ١٦٨/١، رقم الحديث: ٤، وإسناده صحيح. وأخرج الدارمي جزءاً منه في: ٦٨/٢. وانظر: زاد المسير: ٢٩٦/٣.

(٧) حنين: يجوز أن يكون تصغيره من الحنان وهو الرحمة، أو من تصغير الحن وهو حي من الجن. ويذكَّر ويُصرف إن قصدت به البلد، ويؤنَّث ولا يُصرف إن أردت به البلدة والبقعة. وهو واد يبعد عن مكة ثلاثة أميال باتجاه الطائف. وهو اليوم الذي ذكره جلَّ وعزَّ في كتابه الكريم: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾. انظر: معجم البلدان: ٣١٣/٣.

(٨) القول الأول رواه عطاء، والقول الثاني رواه أبو صالح، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٣١٣/٣.

ألفاً وخمسمئة[١]. وقالوا: لن نُغلب اليوم من قلةٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ... ﴿٢٥﴾ ﴾ قال أهل العلم بالسير: لما فتح رسول الله ﷺ تآمر عليه أشراف هوازِنَ وثقيف، فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس[٢]، وأجمعوا المسير إليه، فخرج إليهم رسول الله صلى/ الله عليه وسلم فلما التقوا أعجبتهم كثرتهم، فهُزِموا. قال البراء بن عازب: لما حملنا عليهم انهزموا، فأكببنا على الغنائم، فأقبلوا بالسهام، فانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ [٣]، وثبت مع النبي ﷺ جماعة من أصحابه؛ فيهم: أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحارث[٤] وبعضهم يقول: لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان بن الحارث، فجعل النبي ﷺ يقول للعباس: نادِ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمُرة[٥]، يا

أ/٣٢

---

(١) قال مقاتل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقال ذلك اليوم سلمة بن وقش، وقد عجب لكثرة الناس: لن نُغلَب اليوم من قِلَّة، فساء رسول الله كلامه، ووكَلوا إلى كلمة الرجل. فذلك قوله: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ . انظر: زاد المسير: ٣/٣١٣ــ٣١٤.

(٢) أوطاس: واد في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين للنبي ﷺ ببني هوازن، ويومئذٍ قال النبي ﷺ: حَمِي الوطيس، وذلك حين استعرت الحرب وهو ﷺ أول من قاله. ولما نزل المشركون بأوطاس قال دريد بن الصمَّة ــ وكان مع هوازن شيخاً كبيراً ــ: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نِعْم مَجالُ الخيل، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ، ولا سَهلٌ دَهِسٌ. انظر: معجم البلدان: ١/٢٨١. والحَزْنُ: ما غلظ من الأرض. والضرس: الشرس الصعب. والسهل الدهس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب. انظر: القاموس المحيط: ص: ٧٠٥، ٧١٣، ١٥٣٤.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه: ((قال رجل للبراء بن عازب ﷺ: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفرَّ، إن هوازن كانوا قوماً رماة، وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فأما رسول الله ﷺ فلم يَفرَّ، فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بلجامها، والنبي ﷺ يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)): كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب: ٣/٢٩٦، رقم الحديث: ٢٨٦٤. وأخرجه في المغازي وغيره. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين: رقم الحديث: ١٧٧٦. وأحمد في المسند: ٤/٢٨١.

(٤) أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن يزيد بن ضبيعة الأنصاري الأوسي، كان يقال له: أبو البنات، شهد بدراً وأحداً، وفيها قال: أقاتل ثم أرجع إلى بناتي، فلما انهزم المسلمون قال: اللهم إني لا أريد أن أرجع إلى بناتي، ولكن أريد أن أقتل في سبيلك، فقتل، فأثنى عليه النبي ﷺ بذلك. وقيل: بل قُتِل يوم خيبر. انظر: الإصابة: ٤/٩١، رقم الترجمة: ٥٤٣، وأسد الغابة: ٥/١٤٩، رقم الترجمة: ٥٩٦٠.

(٥) أصحاب السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية. انظر: صحيح مسلم: كتاب الجهاد، باب غزوة حنين: ٣/١٣٩٨، رقم الحديث: ٧٦/١٧٧٥.

أصحاب سورة البقرة، فنادى العباس وكان صيِّتاً[١]، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: لبيك يا رسول الله، فنظر إليهم النبي ﷺ ، ورأى قتالهم، فقال عليه الصلاة والسلام: الآن حمي الوطيس[٢]، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. ثم قال للعباس: ناولني حَصَيَات، فناوله فقال: شاهت الوجوه، ورمى بها، وقال: انهزِموا وربِّ الكعبةِ، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وانهزَموا[٣] وكانوا يقولون: ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه بالترابِ[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي: برحبِها، ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ لأنكم أعجبتكم كثرتكم ولم تتوكلوا يومئذ.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴿٢٦﴾ ﴾/ يعني: الملائكة[٥]. قيل: كانوا ستةَ عشرَ ألفاً، قاله: الحسن البصري، وقيل: خمسة آلاف، ذكره سعيد بن جبير، وقال مجاهد: كانوا ثمانية آلاف. وهل قاتلت الملائكة يومئذ أم لا؟ قولان[٦]. وقد تقدم أن الملائكة لم تقاتل إلا ببدر، حيث صبروا واتقوا[٧].

٣٢/ب

---

(١) صيِّتاً: أي قوي الصوت. ذكر الحازمي في المؤتلف أن العباس ﷺ كان يقف على سلع، فينادي غلمانه في آخر الليل، وهم في الغابة فيُسمعهم. قال: وبين سلع والغابة ثمانية أميال. انظر: صحيح مسلم: ١٣٩٨/٣.

(٢) حمي الوطيس: قال الأكثرون: هو شبه تنور يُسجَر فيه. ويُضرَب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حره. وقال آخرون: الوطيس: هو التنور نفسه. وقال الأصمعي: هي حجارة مدورة، إذا حميت لم يقدر أحد أن يطأ عليها. فيقال: الآن حمي الوطيس، وقيل: هو الضراب في الحرب، وقيل: الحرب الذي يطيس الناس أي يدقهم، قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ . انظر: صحيح مسلم: ١٣٩٩/٣، وسيرة ابن هشام: ٤/ ٨٠ــ٨٧، والنهاية في غريب الحديث: ٢٠٤/٥.

(٣) انظر: صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين: رقم الحديث: ٨١، مسند أحمد ٢٠٧/١.

(٤) انظر: مسند أحمد: ٢٨٦/٥، رقم الحديث: ١٧٧٨.

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٣١٥/٣.

(٦) انظر: زاد المسير: ٣١٣/٣ــ٣١٥.

(٧) ارجع إلى الصفحتين: (٤٧)، و(٤٨) من هذا الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ... ﴿٤٠﴾ ﴾ يعني: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ بالنفير معه، ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ أعانه على أعدائه، ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ حين قصدوه ومكروا على أنفسهم[1].

قلتُ: وهذا موضع ذكر مقدِّماتِ الهجرةِ.

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣/٣٣١.

فصل

ذكر أهل التاريخ أن النبي ﷺ كان يَعْرِضُ نَفْسَهُ على القبائل من العرب لينصروه، حتى يبلغ رسالةَ ربه. فقدم ناس من أهل المدينةِ مكةَ، فأتاهم النبي ﷺ ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فأجابوه وصدَّقوه. ثم قدم رهطٌ من الخزرج وفيهم أسعد بن زرارة[١] فأسلموا وبايعوه ورجعوا إلى/ المدينة، وذكروا لقومهم رسول الله، ودعاهم إلى الإسلام فقبلوه، حتى نشأ فيهم، ولم يبق دار من المدينةِ إلا وفيها ذكرُ رسول الله ﷺ . فلما كان العام المقبل وَافَىَ الموسم من أهل المدينةِ اثنا عشر[٢] رجُلاً، فلقوه بالعقبةِ[٣] الأولى، وبايعوا رسول الله ﷺ ، وبعثَ معهم مصعبَ بنَ عُمير[٤] بن هاشم بنِ عبدِ مناف، وأمرهُ أن يعلِّمَهُم الإسلام، ويأخذ

أ/٣٣

---

(١) أسعد بن زرارة بن عُدَس بن عبيد بن مالك بن النجار الخزرجي، ويقال له: أسعد الخير، وكنيته أبو أمامة، من أول الأنصار إسلاماً، كان عقبياً، شهد العقبة الثلاثة. وأول من بايع النبي ﷺ ليلة العقبة، وكان نقيب بني النجار، وأول من صلَّى الجمعة بالمدينة، مات في شوال السنة الأولى قبل بدر، وأول من دفن بالبقيع. انظر: أسد الغابة: ١/٢٠٥، والطبقات الكبرى: ٣/٦٠٨.

(٢) هم أسيد بن الحضير، وأبو الهيثم بن التيهان، سعد بن خيثمة، أسعد بن زرارة، سعد بن الربيع، عبد الله ابن رواحة، سعد بن عبادة، المنذر بن عمرو، البراء بن معرور، عبد الله بن عمرو، عبادة بن الصامت، رافع ابن مالك. انظر: الطبقات الكبرى: ٣/٦٠٢ــ٦٢٢.

(٣) العقبة: هي الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه. وهي منزل في طريق مكة، وهي بين منى ومكة، وبينها وبين مكة نحو ميلين، وعندها مسجد، ومنها ترمى جمرة العقبة، وهي التي بويع فيها النبي ﷺ حين لقيه ستة نفر من الأوس في موسم الحج، ودعاهم إلى الإسلام فآمنوا به، ووافى الموسم القادم منهم اثنا عشر رجلاً بايعوا العقبة الأولى، ثم عادوا ومعهم مصعب بن عمير يعلمهم، حتى إذا وافى الموسم الذي يليه قدموا عليه وعددهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان بايعوا العقبة الثانية. انظر: معجم البلدان: ٤/١٣٤.

(٤) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي، ويكنى أبا عبد الله. من فضلاء الصحابة وخيارهم ، ومن السابقين إلى الإسلام، حيث كتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه. ولما علموا بإسلامه حبسوه إلى أن هاجر إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة. بعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد العقبة ليعلم أهلها ويقرئهم القرآن. شهد بدراً وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ في أحد، واستشهد فيها، وعمره أربعون. وفيه نزلت: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. كان أنعم فتيان مكة في الجاهلية وأعطرهم، ولما دخل في الإسلام زهد في ذلك كله، وحين استشهد لم يترك إلا ثوباً واحداً إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: غطوا رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر. انظر: أسد الغابة: ٤/٣٨٧، رقم الترجمة: ٤٩٢٩.

عليهم المواثيق، فنزل على أسعدَ بنِ زُرارةَ، وتواصلا في دعاءِ سعد بنِ معاذ(١) إلى الإسلام ــ وكان سيدَ الأوس ــ فأسلمَ وَحَسُنَ إسلامُهُ، وأسلم بإسلامهِ أقوامٌ، وبلغ خبرُهُم رسولَ الله ﷺ فَسُرَّ بهم. وسمَّى مسلمي المدينةِ الأنصارَ. ثم إن مصعبَ بنَ عُمير رجَعَ في الموسم إلى مكةَ ومعه قومٌ من الأنصار، فيهم سعدُ بنُ عُبادةَ(٢)، والبراءُ بن مَعْرُور(٣)، وكعبُ بنُ مالكٍ(٤)، فأرسلوا إلى النبي ﷺ وواعدوهُ العقبةَ ليلاً. ثم اجتمعوا في الشعبِ عندَهَا، وهم سبعونَ رَجُلاً، فطلع عليهم رسولُ الله ﷺ ومعَهُ عمُهُ العباسُ، وهو بعدُ على دينِ قومهِ، إلا أنهُ أحبَّ أن

---

(١) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، يكنى أبا عمرو، ــ وأمه كبشة بنت رافع، وهي من المبايعات ــ. أسلم سعد على يد مصعب بن عمير، وشهد بدراً، وله فيها مقال طيبة ــ حين استشار الرسولُ ﷺ الناسَ ــ كان لها الأثر في سرور رسول الله ﷺ ونشطه للقاء الكفار، كما شهد أُحداً والخندق، وفيها أصيب بسهم قطع أكحله، وأمر رسول الله ﷺ بمداواة جرحه في خيمة في المسجد يعوده فيها. وحكَّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، فحكم أن تقتل مقاتِلَتُهم، وتُسبَى ذراريهم، وتُقسَم أموالهم. فلما حكم انفجر جرحه ورسول الله وصاحباه في عيادته، فاحتضنه رسول الله ﷺ والدماء تسيل عليه، وقُبِض. ودفنه رسول الله ﷺ وهو يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ. ودفنه رسول الله ﷺ ودموعه على لحيته، وبه قال بعد أن ندبته أمه: ((كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد)). انظر: أسد الغابة: ٤٦٣/٢، والطبقات الكبرى: ٤٢١/٣.

(٢) سعد بن عبادة بن دُليَم بن حارثة الخزرجي، يكنى أبا ثابت. كان نقيب بني ساعده في البيعة الثانية، وصاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان سيداً جواداً وجيهاً ذا سيادة ورئاسة غيوراً، طمع في الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وطلب البيعة لنفسه في السقيفة، وحين عدل الناس عنه وبايعوا الصدّيق ﷺ لم يبايع حتى ولا عمر، وسار إلى الشام وأقام بحوران إلى أن مات سنة ١٥هـ ، ودفن في غوطة دمشق. انظر: أسد الغابة: ٤٤٣/٢، والطبقات الكبرى: ٦١٣/٣.

(٣) البراء بن معرور بن صخر بن خنساء الخزرجي، وكنيته أبو بشر، وأمه الرباب بنت النعمان بن امرئ القيس، وعمه سعد بن معاذ. أول من بايع رسول الله ﷺ العقبة الأولى، وأول من استقبل القبلة، وأوصى بثلث ماله، وكان نقيب بني سلمة في البيعة، وأول من تكلم من النقباء في البيعة الثانية، وأول من ضرب على يد رسول الله ﷺ في البيعة ثم تتابع القوم، توفي في سفر، وقد أوصى أن يُدفن مستقبل الكعبة ففعلوا ذلك، وكانت وفاته قبل قدوم النبي ﷺ المدينة مهاجراً بشهر، وصلَّى رسول الله ﷺ، وكبر أربعاً، حين أتى قبره في أصحابه. انظر: أسد الغابة: ٣٦٦/١، والطبقات الكبرى: ٦١٨/٣.

(٤) كعب بن مالك بن أبيّ بن كعب الخزرجي الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله، وأمه ليلى بنت زيد، شهد العقبة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين طلحة بن عبد الله أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا يوم تبوك لشدة الحر، وفيهم نزلت آية التوبة، وتاب الله عليهم، تبادل مع النبي ﷺ يوم أحد لُبْس اللأمة، وجُرح يوم أحد إحدى عشرة جراحة، لم يشهد بدراً، وكان من شعراء النبي ﷺ، مات بالشام في خلافة معاوية بعد ذهاب بصره. انظر: أسد الغابة: ٤٦١/٤، رقم الترجمة: ٤٤٨٤، والإصابة: ٦١٠/٥، رقم الترجمة: ٧٤٣٨.

يشهدَ أمرَ ابنِ أخيهِ، ويستوثقَ له من الأنصارِ. فلما أخذوا مجالسهم تكلَّم العباسُ فقال يا معشرَ/ الخزرج إن محمداً منا بحيث قد علمتم، وهو في عزٍّ من قومهِ، ومَنَعَةٍ من بلده. لكنه أبى إلا الانقطاع إليكم، والاتصال بكم، والقدوم عليكم. فإن وفَّيتم له ونصرتموه، وإلا فلا تزعجوهُ عن مكانه، ودعوه في قومه. ثم تكلَّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، وقال: أبايعكم على أن تؤونّي وتنصرونّي. فتكلم البراءُ بنُ معرورَ فقال: والذي بعثك بالحق لننصُرَنَّك ولنمنعنَّك مما نمنعُ به أنفسنا وأولادنا وأهلينا. فبايعهم على الإسلام، وعاهدهم. فكان أول من صفق بيده على يد رسولِ الله ﷺ للبيعةِ أسعد بن زرارة. وقيل: أبو الهيثم بن تيهان[1]. ويقال: البراء ابن معرور ثم سائر القوم، وتفرقوا تلك الليلة. فهذه بيعة العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود.

ولما قدم الأنصار المدينة أظهروا الإسلام، وأمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، وقال لهم: ((إن الله قد جعل لكم الأنصار إخواناً، والمدينة داراً تأمَنُونَ بها، فهاجِروا والله معكم))، فخرجوا أرسالاً[2]، وأقام ينتظر إذن الله تعالى له في الهجرة. وخرج عمر بن الخطاب ﷺ مهاجراً، فأراد أبو بكر الصديق ﷺ / أن يصحبه، فقال: عليه السلام: لا تعجل لعلَّ الله تعالى أن يجعل لك صاحباً. فرجا أبو بكر ﷺ أن يكون عليه السلام ذلك الصاحب. فلما رأت قريش أنه عليه السلام قد صارت له شيعة وأصحاب وأنصار من غير بلدهم، ورأوا خروج المهاجرين إليهم، وَعَرفوا لُحُوقَ رسول الله ﷺ ، خافوا على أنفسهم. فاجتمعوا في دار

٣٣/ب

٣٤/أ

---

(١) أبو الهيثم بن التيهان: اسمه مالك بن التيهان بن مالك الأوسي الأنصاري، وهو حليف لبني عبد الأشهل، وأمه أم مالك ليلى بنت عتيك بن عمرو، كان يكره الأصنام في الجاهلية، ويقول: بالتوحيد، ومن أول من أسلم بمكة من الأنصار، ومن الستة الذين لقيهم رسول الله ﷺ بمكة، فأسلموا قبل موتهم، شهد العقبتين، وكان هو وأسيد بن حضير نقيبي بني عبد الأشهل، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان بن مطغون، وشهد المشاهد كلها، وكان يخرص التمر. توفي في المدينة سنة عشرين. انظر: الطبقات الكبرى: ٤٤٧/٣، وأسد الغابة: ٥/ ٣٢٦، رقم الترجمة: ٦٣٢٤.

(٢) أرسالاً: أي قِطَعاً. يقال: إذا أورد الرجل إبِلَه متقطعة قيل: أوردها أرسالاً، فإذا أوردها جماعة قيل: أوردها عراكاً. وفي الحديث: ((إن الناس دخلوا عليه بعد موته أرسالاً يصلون عليه، أفواجاً وفرقاً متقطعة، بعضهم يتلو بعضاً)). واحدهم رَسَل. انظر: لسان العرب ٢٨١/١١.

النَّدْوَةِ[١]، وهي التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، فتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ وتجادبوا[٢] أهدابَ الرأي فيه، فاعترضهم إبليس ــ لعنه الله ــ في هيئة شيخ له هيبةٌ، فوقف على باب الدار، فقالوا له: مَنِ الشيخ؟ قال: رجلٌ مِن أهل نجدٍ سمع بالذي اجتمعتم له فحضر معكم، وعسى أن لا تعدموا منه رأياً ونصحاً. قالوا: أجل. فدخل وقعد معهم، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان، فو الله ما أنا منه أن يثبَ علينا بمن اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً، فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله من ريب المنون[٣]. فقال إبليس ــ عليه اللعنة ــ والله ما هذا برأي، فلو أحبستموه كما تقولون لَخرجَ أمره من وراء الباب إلى أصحابه، ولأوشك أن يثبوا عليكم فنزعوه من أيديكم،/ فانظروا في غير هذا الرأي. فتشاوروا، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، وننفيه من بلدنا، ولا نبالي أين ذهب بعد إن غاب عنا. فقال الشيخ النجديُّ: ليس هذا برأي، لأنه رجل يسحر الناسَ بحسنِ حديثه وحلاوة مَنطِقه، وإذا أخرجتموه من بين أظهركم لم تأمنوا أن يلمَّ بكم بحيٌّ من أحياء العرب، فيدعوهم إلى نصرته ومشايعته، ويسير بهم إلى بلدكم، فيقهركم ويتحكَّم فيكم.

٣٤/ب

قلتُ[٤]: قد شهد إبليس بفضل رسول الله ﷺ، وفي ذلك غاية المدح كما قيل:

ومليحةٌ شهدت لها ضرَّاتُها والفضل ما تشهد به الأعداءُ [٥]

---

(١) دار الندوة: أول دار بنت قريش بمكة، أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وكانوا يجتمعون فيها للمشاورة، واللفظ ماخوذ من الندي والنادي والمنتدى، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله، أي يذهبون قريباً منه ثم يرجعون. انظر: معجم البلدان: ٤٢٣/٢.

(٢) تجادبوا أهداب الرأي: أي: تشاوروا.

(٣) ريب المنون: أي: الموت، أو حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه. والمنون: الدهر. قال أبو ذؤيب:

أمِنَ المنون وريبه تتوجَّعُ والدهر ليس بمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ

انظر: ديوان أبي ذؤيب: ١/١ لسان العرب: ٤٤٢/١، مادة: (منن).

(٤) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٥) لم أهتدِ إلى قائله. وفي الموسوعة الشعرية ينسب إلى أبي الهدى الصيادي البيت التالي:

فقال أبو جهل: الرأي عندي أن تجتمع شُبَّان قريش كلُّهم عليه، فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه، ويتفرق قومُهُ إلى القبائل، ولا تقدر بنو هاشم على حرب قريش كلهم، وإن طالبوا بالدية التزمنا لهم أضعافها. فقال الشيخ النجدي: هذا هو عين الرأي، ومحض الصواب، وليس لكم غيره. فتفرَّق القوم على ذلك، فنزل جبريل، فأخبر رسول الله ﷺ بما جرى، وأذن له عن الله تعالى في الهجرة.

شهد العدى طوعاً بعزة أمره والفضل ما شهدت به الأعداء

أ/٣٥

/ فصل

في مسيره عليه الصلاة والسلام إلى المدينة

ثم إن رسول الله ﷺ دخل على أبي بكر ﷺ بيته حين قام قائم الظهيرة، فقال له أبو بكر: ما جاء بك يا رسول الله إلا أمرٌ حدث. فقال: رسول الله ﷺ أخرِجْ مَن عندك أُخبرك. فقال: يا رسول الله ليس عندي إلا ابنتاي. قال عليه السلام: إن الله تعالى قد أذن لي في الخروج إلى المدينة، فقال أبو بكر: يا رسول الله ألستُ صاحبَك إليها؟ قال: بلى. فدمعتْ عينا أبي بكر سُرُوراً بذلك. كما قيل:

مِن عُظمِ ما قد سرَّني أبكاني[1]

وقال: يا رسول الله قد أعددت الرواحل لك، ولي، ولعامر بن فهيرة[2]، ولعبد الله بن أريقط الدليل.

قلتُ[3]: لكن في الصحيح أعددت راحلتين[4].

---

(١) هذه أبيات وردت في كتب السيرة لم أهتدِ إلى قائلها، وهي:

ورد الكتاب من الحبيب بأنَّـــه ... سيزورني فاستعبرتْ أجفاني
غلب السرورُ عليَّ حتى إنَّـــه ... مِن فرطِ ما قد سرَّني أبكاني
يا عين صار الدمع عندكِ عادةً ... تبكين في فرحٍ وفي أحزانِ

انظر: السيرة الحلبية: ٣٤/٢، والروض الأنف: ٢٠٧/٤.

(٢) عامر بن فهيرة التيمي مولى أبي بكر الصديق ﷺ ويكنى أبا عمرو، أسود اللون، وكان أخا عائشة لأمها، من السابقين إلى الإسلام، عُذِّب في الله ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وأمره حين الهجرة أن يروح بغنم أبي بكر عليهما، فيتبع أثر عبد الله بغنمه إلى الغار ليعفِّي عليه. وأردفه أبو بكر ﷺ خلفه في طريق الهجرة. شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة وهو ابن أربعين سنة. وسأل عامر بن الطفيل رسول الله ﷺ عن الرجل الذي رآه حين قُتِل رفع من السماء والأرض حتى رأى السماء دونه فأخبره أنه عامر بن فهيرة. وروى عروة أنه طُلب عامر في قتلى بئر معونة فلم يوجد، فَيَرَوْنَ أن الملائكة دفنته. انظر: أسد الغابة: ١٣٤/٣، والإصابة: ٥٩٤/٣

(٣) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: وانظر معناه في كتاب اللباس، باب التقنُّع: ٥٠/٧، حديث رقم: ٥٨٠٧. والتقنُّع: هو تغطية الرأس وأكثر الوجه برداء أو غيره.

ثم قال: متى تخرج؟ وأيُّ طريق تأخذ؟ فقال: نخرجُ الليلةَ، وموعدُنا الغارُ في المكان الذي يقال له ثور(١)، وهو على فرسخ(٢) من مكة. ثم رجع عليه السلام إلى منزله، ودعا علياً فقال له: إني سائر الليلة إلى المدينة، ومخلِّفُك على ودائع الناس عندي حتى تردَّها عليهم.

وحين أرخى الليل سُدُولَه اجتمع المشركون بباب رسول الله ﷺ/ يرصدونه متى ينام فيَثِبُون بسيوفهم. فأمر عليه السلام علياً ــ كرَّم الله وجهه ــ أن ينام على فراشه، ويتوشَّح(٣) ببرده الحضرمي الأخضر، ففعل. والمشركون يطَّلِعون في شقِّ الباب، ويحسبون أنه نبي الله. ٣٥/ب

وخرج في خفارة(٤) ربه، ثم أخذ حفنة من التراب فرمى بها على رؤوسهم، وهو يتلو: ﴿ يسٓ ۝١ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾. فلم يَرَوْهُ.

---

(١) ثور: اسم جبل بمكة فيه الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠]، ويقال له: أطحل. والذي اختفى فيه النبي ﷺ . وفي الحديث أنه ﷺ حرَّم ما بين عَيْر إلى ثَوْر. انظر: معجم البلدان: ٨٦/٢، مادة: (ثور).

(٢) البريد والفرسخ والميل والباع والذراع وغيرها... مصطلحات لمقاييس المسافات، ومقادير طول الأبعاد، ضبطها بعضهم في هذه الأبيات التالية:

إن البريد من الفراسخ أربـــــع ... ولفرسخ فثلاث أميـــال ضعوا
والميل ألف أي من الباعات قل ... والبـــاع أربـــع أذرع فتتبعوا
ثم الذراع من الأصابع أربـــع ... من بعدها العشرون ثم الأصبع
ست شعيرات فظهر شعيـــرة ... منها إلى بطن لأخرى توضـــع
ثم الشعيرة ست شعرات فقـــط ... من ذيل بغل ليس عن ذا مرجع

انظر: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح: ص: ٩١.

(٣) التوشُّح بالثوب: وضْعه على العاتق مخالفاً بين طرفيه. وتوشَّح بسيفه وثوبه: تقلَّد. ولعلَّه في اللباس من باب المجاز، إذ استعمال التقليد في الثوب غير معروف. انظر: القاموس المحيط: ص: ٣١٥، مادة: (وشح).

(٤) الخفارة: الأمن والمنَعَة، والإجارة والحماية والذمة. انظر: القاموس المحيط: ص: ٤٩٤، ٤٧١. وفي الحديث: ((من صلى الغداة فإنه في ذمة الله، فلا تخفرنَّ الله في ذمته)). انظر: لسان العرب ٢٥٣/٤، مادة: (خفر).

وسار عليه الصلاة والسلام إلى متوجَّهه، وخرج أبو بكر ﷺ خلفه مسرعاً، فسمع النبي ﷺ حِسَّ قدمه، فتنحنح أبو بكر ﷺ فعرفه رسول الله ﷺ ، فوقف إلى أن وصل إليه، فانطلقا معاً إلى الغار المكرَّم بقوله تعالـــى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ۝ ﴾ فدخلا وقد كاد الصبح يبرُق، واطمأنا فيه.

وأما القوم الذين كانوا من المشركين بباب رسول الله ﷺ يرصدون نومه فإنهم دخلوا داره، وقصدوا فراشه، فإذا هم بعليٍّ ﷺ فيه، فلما رآهم قام يمسح عينيه، فقالوا له: أين صاحبك؟ فقال: لا أدري واللهِ، فألجُّوا عليه المسألة، فقال: أرقيباً كنت عليه حتى أعرف خبره، وأنتم أخرجتموه؟ فأخذوا علياً ﷺ وضربوه، وسحبوه إلى المسجد، وحبسوه ساعةً، ثم تركوه(١).

ونجَّى الله رسوله من المشركين بصبره على أذاهم، وأنزل عليه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝ ﴾ [الأنفال]. /

أ/٣٦

وكان أبو بكر ﷺ أعد ما يصلحُهم، وأمر عامر بن فُهيرةَ بأن يروح بغنم أبي بكر ﷺ على الغار ليغتبقوا(٢) من ألبانها، واستأجر ابن أريقط ليدلهم على الطريق، ورسم لابنه عبد الله بن أبي بكر أن يأتي أندية قريش فيسترق السمع، ثم

---

(١) هذه رواية، وفيها أنهم تسوروا عليه ﷺ ودخلوا شاهرين سيوفهم، فثار عليٌّ في وجوههم فعرفوه، فقالوا: هو أنت؟ أين صاحبك؟ فقال: لا أدري. قال البرهان الحلبي في السيرة النبوية: وهذا مخالف لما تقدم، فلينظر الجمع بناء على صحة هذا. وفي لفظ: أمروه بالخروج فضربوه، وأدخلوه المسجد، وحبس به ساعة، ثم خلوا عنه، والله أعلم. وفي الروض الأنف: ذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحّم عليه في الدار مع قصر الجدار، أنهم إنما جاءوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم همُّوا بالولوج عليه، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها لَسُبَّة في العرب أن يُتَحَدَّثَ عنا أنا تسوَّرنا الحيطان على بنات العم، وهتكنا ستر حرمتنا. فهذا هو الذي أقامهم بالباب أصبحوا ينظرون خروجه، ثم طمست أبصارهم على من خرج. انظر: الروض الأنف: ٢٠١/٤. قلت: ولعل هذه الرواية أرجح يعززها قول النبي ﷺ لعليٍّ ﷺ : ((لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم)). انظر: الخبر في: السيرة الحلبية: ٣١/٢، والسيرة النبوية لابن دحلان: ٣٥٧/١، والروض الأنف: ٢٠١/٤، والبداية والنهاية: ١٧٩/٣.

(٢) غَبَقَ: شرب. والغَبُوق: ما يُشرَب بالعشي. وتغبَّق: حلب بالعشي. انظر: القاموس المحيط: ص: ١١٨٠.

يأتي الغار ليلاً بالأخبار، وأمر ابنته أسماء[١] وهي أم عبد الله[٢] بن الزبير أن تجيء كل ليلة إذ هدأتِ العُيُون إلى الغار بالطعام والشراب، فامتثلوا أمره كله، ومكثا في الغار هو وأبو بكر ثلاثة أيام بلياليها، حتى سكن فور[٣] قريش، وانقطع الطلب.

ثم إن عامر بن فُهيرةَ أتاهما ليلاً بالرواحل، ويقال: بل براحلتين، ومعه عبد الله بن أريقط الدليل الخِرِّيت[٤] ــ يعني الماهر في الدلالة ــ. وأتت أسماء بنت أبي بكر بالسفرة[٥] المشتملة على الزاد، فلما أراد عامر بن فهيرة تعليقَها انقطع عصامُها، فعمدت أسماء إلى نطاقٍ كان عليها، فجعلته عصام السفرة، فبشرها النبي ﷺ بنطاق من الجنةِ، فسمِّيت ذات النطاقين.

وركب رسول الله ﷺ راحلته، وركب أبو بكر ﷺ.

---

(١) ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق، زوج الزبير بن العوام رضي الله عنهم، أمها قيلة، وهي أسنُّ من عائشة أختها لأبيها، وشقيقها عبد الله. أسلمت بعد ١٧ إنساناً، ووضعت حملها (ابنها عبد الله) في طريق الهجرة بقباء في رواية. طلقها الزبير، وكانت عند ابنها عبد الله، طال عمرها إلى مئة سنة، وماتت بعد قتل ولدها عبد الله بعشرة أيام أو يزيد. وخبرها مع ابنها حين استشارها في قبول الأمان من الحجاج يدل على عقل كبير، ودين متين، وقلب صبور على تحمل الشدائد. انظر: أسد الغابة: ٩/٦، رقم الترجمة: ٦٦٩٨.

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، وأمه أسماء، وجدته لأبيه صفية، وعمة أبيه خديجة. أول مولود للمهاجرين في الإسلام بعد الهجرة، حنَّكه رسول الله ﷺ بتمرة، وسمَّاه عبد الله، وكنَّاه بجده أبي بكر. نفست به أمه في طريق الهجرة، وقيل في السنة الأولى. كان صواماً قواماً شجاعاً، غزا إفريقيا وفتحها، وشهد موقعة الجمل مع أبيه مقاتلاً لعلي، وامتنع عن بيعة يزيد بن معاوية بعد موت أبيه، فأرسل له من يقاتله إلى أن مات يزيد، ثم بويع بالخلافة وأطاعه أهل أمصار عدة، إلى ولاية عبد الملك بن مروان، حيث سيَّر الحجاج إليه فحاصره بمكة إلى أن قُتِل مصلوباً في نصف جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ. انظر: أسد الغابة: ١٣٦/٣، رقم الترجمة: ٢٩٤٧.

(٣) الفور: الثوران والهياج. انظر: القاموس المحيط: ص: ٥٨٩.

(٤) الخِرِّيت: الدليل الحاذق الماهر بالدلالة، الذي يهتدي بأخرات المفاوز ــ وهي طرقها الخفية ومضايقها ــ. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٩٣. مادة: (خرت).

(٥) السفرة: طعام المسافر. انظر: القاموس المحيط: ص: ٥٢٣. مادة: (سفر).

قيل: وأردف ابن فهيرة وراءه، ومشى ابن أريقط أمامهم، وطووا المرحل[١] حتى قدموا قُباء[٢]، ونزلوا بها على بني عمرو بن/ عدي، ولحق بهم علي بن أبي طالب بعد أن فرغ من ردِّ الودائع بمكة إلى أهلها. ٣٦/ب

ثم سار رسول الله ﷺ متوجهاً تلقاء المدينة، وكان أهلها يخرجون كل يوم إذا صلُّوا الصبح إلى ظاهر الحَرَّةِ[٣] ينتظرون رسول الله ﷺ لا يبرحون حتى تغلبَهم الشمس على الظلِّ، فلما بُشِّروا بقدوم رسول الله ﷺ طاروا إلى تلقِّيهِ فرأوه نازلاً في ظِلِّ نخلةٍ ومعَهُ أبو بكر، فلم يعرفوا مَن منهما رسول الله ﷺ حتى زال الظلُّ، فقام أبو بكر يُظِلُّهُ بردائه، فعرفوه عند ذلك.

ثم إنهُ ــ عليه[٤] الصلاة والسلام ــ ركب ناقته، وأرخىَ لها الزمامَ، فجعلت لا تمرُّ بدارٍ من دورِ الأنصارِ إلا دعاهُ أهلُها إلى النزول عليهم، وقالوا: هَلُمَّ يا رسول الله إلى العدد والعُدَّةِ والمنَعةِ، وتعلَّقوا بزمامها، فيقول عليه السلام: ((دعوها فإنها مأمورة))، حتى انتهى إلى موضع مسجده الشريف فبركت هناك، وهو يومئذٍ مِرْبَدٌ[٥] لغلامين يتيمين من بني النجار في حجر معاذ بن عفراء. فلما

---

(١) كناية عن قطع المسافات في الصحراء.

(٢) قباء: أصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار. كان المتقدمون في الهجرة ومَن نزلوا عليه من الأنصار، بنوا بقباء مسجداً يصلون فيه الصلاة سَنَة إلى بيت المقدس، وحين هاجر الرسول ﷺ وورد قباء وصلى فيه. وهو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فيه. انظر: معجم البلدان: ٣٠٢/٤.

(٣) الحَرَّة: هي أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنها أحرقت بالنار، وجمعها: حرَّات، وحِرَار. فإن كان فيها نجوة الأحجار فهي الصخرة، وجمعها صخر. والحِرار كثيرة في بلاد العرب، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام. وكانت الحِرار جبهاتٍ محميةً للمسلمين في غزوة الأحزاب في أطراف المدينة الثلاثة إلا طريق الهجرة الذي أشار سلمان الفارسي ﷺ بحفر الخندق فيه. انظر: معجم البلدان: ٢٤٥/٢ .

(٤) وردت العبارة في الأصل هكذا: (ثم إنه عليه ركب ناقته)، وهي سهو في النسخ. وتمامها: ثم إنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ركب ناقته...

(٥) المربد: الموضع الذي يجعل فيه الزرع والتمر للتيبيس والتجفيف. وكذلك كل ما حبست فيه الإبل كسوق لها، ولهذا قيل: مربد النعم بالمدينة. وكان ليتيمين في حجر معاذ بن عفراء، وهما: سهل وسهيل ابنا عمرو. وفي رواية موسى بن عقبة: كانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، وهما ابنا رافع بن عمر بن أبي عمرو بن مالك بن النجار. شهد سهل بدراً وغيرها، ومات قبل أخيه سهيل الذي شهد بدراً والمشاهد كلها، ومات في

بركت لم ينزل عنها رسول الله ﷺ. ثم وثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع زمامَها، فالتفتت خلفها، ثم رجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ووضعت جرانها[١]، ونزل عنها رسول الله ﷺ / فاحتمل أبو أيوب[٢] رَحْلَهُ، فوضعه في بيته، وازدحم عليه الأنصار يسألونه النزولَ عليهم، فنزل على أبي أيوب خالد بن يزيد[٣] الأنصاري، واشترى موضع مسجده الشريف، وبنى مسكنه، واستقرت به الدار، وتتابعت نِعَمُ الله، وامتدَّ رُواق الإسلام[٤]، ولحق به بقية الأهل والأصحاب. أ/٣٧

وفي هذه السنة بنى بعائشة رضي الله عنها وهي بنت تسع سنين، وكان تزوجها وهي بنت سبع، وقيل: بنت ست بعد موت خديجة.

وفي هذه السنة أَمَّر عمَّه الحمزة، وعقد له لواءً أبيض، وضمَّ إليه ثلاثين رجلاً من المهاجرين والأنصار، وأمره أن يعترض عِيْرَ قريش، فسار حمزة حتى لقيَ أبا جهل في ثلاثمئة رجل، فحجز بينهم محمد بن عمرو الجُهني، وتفرَّقوا، ولم يجر بينهم قتال، ثم عقد عليه السلام لعُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وضمَّ إليه ستين من المهاجرين، وأمره بالمسير إلى بطن رافع، ومقارعةِ المشركين الذين خرجوا من مكة للإغارة على سوائم المدينة، وعليهم أبو سفيان بن حرب، فالتقت الفئتان على ماءٍ يُقال: (أحيا)، فكانت بينهم المراماة دون المسابقة. وروي أن سعد

خلافة عمر. وكان قد اشترى المربد منهما معوذ بن عفراء، فجعله للمسلمين، فبناه رسول الله ﷺ مسجداً. انظر: الروض الأنف ٤/٢٦١ ــ ٢٦٢، ومعجم البلدان: ٥/٩٨ .

(١) جِران البعير بالكسر: مقدَّم عنقه من مذبحه إلى منحره، وكذا الفرس. انظر: القاموس المحيط ١٥٣٠، مادة: (جرن).

(٢) أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد الله عوف الخزرجي الأنصاري. وأمه هند بنت سعيد بن عمرو، ومشهور بكنيته. شهد العقبة وبدراً وأحداً والمشاهد كلها، وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً. انظر: أسد الغابة: ١/٦٥١، رقم الترجمة: ١٣٦١، وأيضاً: ٥/٢٥، رقم الترجمة: ٥٧٠٧.

(٣) هكذا وردت في الأصل، والذي في أسد الغابة: هو (خالد بن زيد) كما سبق في ترجمته.

(٤) امتد رواق الإسلام كناية عن انتشاره وبلوغ دعوته الآفاق. والرواق: مقدم الشيء، وستر يمد دون السقف. انظر: لسان العرب ١٠/١٣٣، وتاج العروس ٢٥/٣٧٥.

ابن أبي وقَّاص رَمَى في ذلك اليوم، وهو أول مَن رَمَى بسهم في سبيل/ الله، ثم تحاجزوا[١]. ٣٧/ب

ولما مضى من السنة الثانية من الهجرة المحرَّم وصفر خرج رسولُ الله ﷺ ومعه مئتان من المهاجرين والأنصار، وصاحب لوائه حمزة بن عبد المطلب، وخليفته على المدينة سعدُ بن عبادة. فلما بلغ الأبواء[٢]، وهي ماءٌ بين مكة والمدينة ــ وودَّان[٣] بالقرب منها ــ خرج إليه بنو ضمرة فوادعوه، وسيِّدُهُم محسن بن عمرو، فرجع عنهم إلى المدينة. ويقال لهذه: غزوة وُدَّان[٤]. وكان مقامه بالأبواء خمسة عشر يوماً، وبها قبر أمِّهِ آمنة، فزاره في الجيش، والله أعلم.

إذا عُلِم هذا فنرجع إلى معنى الآية، قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾.

قلتُ[٥]: العرب تقول: هو ثاني اثنين، أي: أحدُ الاثنين. وثالث ثلاثة أي: أحدُ ثلاثة. و﴿ ثَانِيَ ﴾ منصوب على الحال[٦]. قال الشعبي: عاتب الله بقوله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ أهل الأرض جميعاً إلا أبا بكر ﷺ . وقال ابن جريج: أخرجوه وهو أحد الاثنين، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ [٧].

---

(١) المحاجزة: الممانعة، والمسالمة. وفي المثَل: إن أردت المناجزة فقبل المحاجزة. أي قبل القتال. وتحاجزا: تمانعا، ومنه المثَل: كانت بين القوم زِمَّعَاً، ثم حِجِّيزَى. أي: تراموا، ثم تحاجزوا. انظر: تاج العروس ١٥/ ٩٦، ولسان العرب ٥/٣٣١.

(٢) الأبواء: من أعمال الفُرْع من المدينة على بعد ٢٣ ميلاً من الجحفة مما يلي المدينة. سميت بالأبواء لتبوئ السيول بها، دفنت فيها آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ، حين خرجت وهو ابن ست إلى المدينة لتزور قبر أبيه عبد الله، ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة الرسول ﷺ، فماتت بالأبواء وهي راجعة إلى مكة. انظر: معجم البلدان ١/٧٩.

(٣) ودان: قرية بين مكة والمدينة على بعد ثمانية أميال من الجحفة. انظر: معجم البلدان ٥/٣٦٥.

(٤) هي أول الغزوات، خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة، حتى بلغ ودان، وهي غزوة الأبواء، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر، فوادعته فيها بنو ضمرة، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً. انظر: تهذيب سيرة ابن هشام: ١/١٨٥ .

(٥) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٦) قاله الزجاج: انظر: زاد المسير: ٣/٣٣١ .

(٧) انظر: زاد المسير: ٣/٣٣١ــ٣٣٢ .

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ صاحبه في هذه الآية أبو بكر ﷺ ، وذلك/ أن أبا بكر بكى لمَّا مرَّ المشركون على باب الغار، فقال له النبي ﷺ ما ظنُّك باثنين الله ثالثُهما؟[١]. و﴿ سَكِينَتَهُۥ ﴾: الرحمة[٢]، وقيل: السكينة الوقار[٣]، وقيل: السكون والطمأنينة، وصحَّحه ابن قتيبة. | أ/٣٨

وفي ضمير ﴿ عَلَيْهِ ﴾ خلاف؛ قيل: يرجعُ إلى أبي بكر، قاله: عليٌّ ــ كرم الله وجهه ــ[٤]. وقيل: يرجع إلى النبي ﷺ قاله مقاتل. وقيل: الهاء هنا بمعنى التثنية، والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما، فاكتفى بإعادة الذِكر على أحدهما، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ... ﴿٦٢﴾ ﴾ ذكره ابن الأنباري.

ومعنى ﴿ أَيَّدَهُۥ ﴾: قوَّاه، ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني: الملائكة صرفت يوم الغار وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته[٥]، والله أعلم.

وقوله: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ... ﴾ أي: نصرةٌ وغنيمة. ﴿ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ يعني: هزيمة.

﴿ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا ﴾ أي: عملنا بالحزم فلم نخرج. ﴿ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ بمصابك وبسلامتهم.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ قيل: معناه ما قضى علينا[٦]. وقيل:/ المعنى لن | ب/٣٨

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين: رقم الحديث: ٣٦٥٣. وكتاب تفسير القرآن، باب قوله: ثاني اثنين إذ هما في الغار: رقم الحديث: ٤٦٦٣، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق: رقم الحديث: ٢٣٨١. وأحمد في المسند: ٤/١. والترمذي في تفسير سورة التوبة.

(٢) قاله ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٣ .

(٣) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٣ .

(٤) وقاله أيضاً ابن عباس وحبيب بن أبي ثابت. انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٣ .

(٥) انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٣ــ٣٣٣ .

(٦) قاله ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٣٣٩/٣ .

يصيبنا إلا خيراً، يعني: أن المؤمن دائر بين إحدى الحُسْنَيين؛ إن أصابته سرَّاءُ فشكر كان خيراً له[١]، وإن أصابته ضرَّاءُ فصبر كان خيراً له. وقيل: معناه لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وعدنا. وقوله: ﴿ هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ أي: ناصِرُنا[٢]، والله أعلم.

وقولـــه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[٣] سبب نزول هذه الآية: أن الأنصار لما بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً، قال عبدُ الله بنُ رواحةَ[٤]: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعوا منه أنفسكم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربحَ البيعُ لا نقيلُ ولا نستقيلُ، فنزلت[٥]. ومعناه: اشترى أنفس المجاهدين بالجهاد في سبيل الله، واشترى الأموال بأن ينفقوها في سبيل الله./ وذِكْرُ الشراء هنا مجاز، فهو كقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا .. ﴾

أ/٣٩

---

(١) هذا اقتباس من حديث مسلم في صحيحه بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير: ٢٢٩٥/٤، رقم الحديث: ٢٩٩٩/٦٤.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٦٢/٣، زاد المسير: ٣٣٩/٣ــ٣٤٠ .

(٣) ورد نقص في أصل المخطوطة لكلمة (القرآن) وهو سهو في النقل.

(٤) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا محمد، وأمه كبشة بنت واقد. شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعده، حيث قُتِل شهيداً في غزوة مؤتة أميراً لرسول الله ﷺ . لم يعقب، وكان من الشعراء المدافعين عن رسول الله ﷺ ، وله في مؤتة شعر طيب قبل استشهاده. انظر: أسد الغابة: ١٢٩/٣، رقم الترجمة: ٢٩٤١.

(٥) قاله محمد بن كعب القرظي. انظر: تفسير الطبري: ٤٤٩/١٤، وتفسير البغوي: ١١١/٣ــ١١٢، وزاد المسير: ٣٨٠/٣ .

[البقرة: ٢٤٥][1] والحاصل: أن الله تعالى أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنةَ. وسمَّاهُ شراءً لِمَا تضمَّن من عوض ومعوَضٍ. وقوله: ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامرٍ وعاصم: ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ فاعل ومفعول. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ ﴾ مفعول وفاعل[2]. قال أبو علي: القراءة الأولى بمعنى أنهم يَقتُلونَ أولاً ويُقتَلون، والأخرى يجوز أن تكون بمعناها، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم، فإن لم يُقدَّر فيه التقديمُ فالمعنى: يُقتل مَن بقي منهم بعد قتل مَن قُتِلَ، والله أعلم. ومعنى ذلك أن الجنةَ عِوضٌ عن جهادهم قَتَلوا أو قُتِلوا. ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ ، يدلُّ على أن أهل كُلِّ ملَّةٍ أُمروا بالقتال، ووُعِدُوا عليه الجنةَ. وقوله: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ يعني: لا أحد أوفى بما وَعَدَ من الله. ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ ﴾ أي: فافرحوا بهذا البيع[3].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّـٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ / سبب نزول هذه الآية: أنه لما نزلت الآية التي قبلها، قال رجل: يا رسول الله وإن زنَى، وإن سرق، وإن شرب الخمر[4]؟ فنزلت. قاله ابن عباس. | ٣٩/ب

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣/٣٨٠ــ٣٨١ .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: (فيقتُلون ويُقتَلون)، فاعل ومفعول. وقرأ حمزة والكسائي: (فيُقتلون ويَقتُلون)، مفعول وفاعل. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣١٩، والكشف ٣٧٣/١، ٥٠٩/١، والنشر ١٨٥/٢.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣٨١/٣ .

(٤) حديث البخاري بسنده عن أبي ذر حديث طويل قال فيه: ((قلت: يا رسول الله لقد سمعت صوتاً تخوفت فذكرت له، فقال: وهل سمعته؟ قلت: نعم. قال: ذاك جبريل أتاني فقال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً: ٢٢٨/٧، رقم الحديث: ٦٤٤٤. وفي رواية أخرى كرر السؤال: وإن سرق وإن زنى ثلاثاً، وجبريل يجيب بنعم، وفي الثالثة قال: نعم وإن شرب الخمر. انظر: كتاب الرقاق، باب المكثرون

وَرُفِعَ على المدح، تقديره: هؤلاء التائبون ومَن ذكر معهم لهم الجنة، وإن لم يُجاهدوا، إذا لم يقصدوا ترك الجهاد، ولا العناد. لأن الجهاد يُجزئ فيه فعلُ البعض[١]. وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ﴾ قولان؛ أحدهما: الراجعون عن المعاصي، والثاني: الراجعون إلى الله في فعل ما أمر، واجتناب ما نهى عنه. و﴿ ٱلۡعَٰبِدُونَ ﴾ المطيعون لله بالعبادة[٢]. وقيل: العابدون أهلُ الصلاة[٣]. وقيل: العابدون الموحدون[٤]. و﴿ ٱلۡحَٰمِدُونَ ﴾ الذين يحمدون الله على كل حالٍ[٥]. و ﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ الصائمون[٦]، لأن الصائم إنما سُمِّيَ سائحاً لأن السائح لا زاد

هم المقلُّون: ٢٢٢/٧، رقم الحديث: ٦٤٤٣. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة: ٦٨٧/٢، رقم الحديث: ٩٤/٣٢.

(١) **الحكم التكليفي للجهاد** أنه فرض في الجملة، لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦]. ثم فصّل الفقهاء فقالوا: إنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين. وبيَّنوا ذلك حين ينهض بهذا جنود لهم دواوين من أجل ذلك، أو أن يكونوا أعدوا أنفسهم متطوعين، بحيث تحصل المنعة بهم إذا قصدهم العدو. فإذا لم يقم بالواجب من يكفي أثم الناس كلهم، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. ويتعيَّن الجهاد فرض عين في حالة التقى الزحفان، وتقابل الصفان، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ ... إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾[الأنفال: ٤٥ــ ٤٦]، وإذا هجم العدو على قوم بغتة، فيتعيَّن الدفاع، كذلك إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير إلا من عذر قاطع، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [التوبة: ٣٨ــ ٣٩]. ولقوله ﷺ: ((لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا)). أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الجهاد والسير، باب وجوب النفير، وما يجب من الجهاد والنية: ٢٨٥/٣، رقم الحديث: ٢٨٢٥، ومسلم في الصحيح: كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة: ١٤٨٧/٣، رقم الحديث: ١٨٦٤/٨٦. انظر: حاشية ابن عابدين: ٢١٩/٣، والمغني: ٣٤٦/٨، ومغني المحتاج: ٢١٩/٤، وحاشية الدسوقي: ١٧٤/٢

(٢) قاله أبو صالح عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٣ .

(٣) قاله الضحاك عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٣ .

(٤) قاله سعيد بن جبير. انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٣ .

(٥) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٣ .

(٦) قاله ابن مسعود وابن عباس. انظر: تفسير البغوي: ١١٣/٣ .

معه. وقيل: السائحون الغُزَاةُ(١)، وقيل: طُلاَّبُ العلم(٢)، وقيل: المهاجرون(٣). قوله: ﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾ يعني: في الصلاة. ﴿ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي: بطاعة الله. ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ يعني: عن معصية الله. قلتُ: إنما دخلت الواو في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾/ لأن العرب تعطف بالواو على السبعة، كقوله تعالى: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[الكهف: ٢٢]، وقولِه: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[الزمر: ٧٣]، وتُسمَّى واوَ الثمانية(٤)، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾ قال الحسنُ: القائمون بأمر الله(٥).

٤٠/أ

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ قرأ الجمهور بضم الفاء، وقرأ ابن عباس وأبو العالية وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو بفتحها(٦). وفي المضمومة أربعة أوجه؛ أحدها: مِن جميع العرب، قاله ابن عباس. وقال: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسولَ الله. والثاني: ممن تعرفون(٧). والثالث: من نكاح لم

---

(١) قاله عطاء. انظر: تفسير البغوي: ١١٣/٣ .

(٢) قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة. انظر: تفسير البغوي: ١١٣/٣، وزاد المسير: ٣٨٢/٣ .

(٣) قاله ابن زيد. انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٣ .

(٤) واو الثمانية هذه ذكرها جماعة من الأدباء: كالحريري، ومن النحويين: كابن خالويه، ومن المفسرين: كالثعلبي، وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا: ستة، سبعة وثمانية، إيذاناً بأن السبعة عدد تام، وأن ما بعدها عدد مستأنف، واستدلوا على ذلك: بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، وقوله: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ إذ الحديث عن أبواب الجنة هنا وهي ثمانية، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ، وهو الوصف الثامن للمؤمنين في الآية.. وقد ناقش ابن هشام ذلك في مغني اللبيب: ٥٨٢/١.

(٥) قال الحسن البصري: أهل الوفاء ببيعة الله. انظر: تفسير البغوي: ١١٤/٣، وزاد المسير: ٣٨٢/٣ .

(٦) ومعهم الزهري: (من أنفَسكم)، أي: من أشرفكم وأفضلكم. انظر: تفسير البغوي: ١٣٣/٣ .

(٧) قاله قتادة: انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٣ .

يُصبه شيء من ولادة الجاهلية[١]. والرابع: بشرٌ مثلكم[٢]، لأنكم تفهمون عمن هو مثلكم. وفي المفتوحة ثلاثة أوجه؛ أحدها: أفضلكم خُلُقاً. والثاني: أشرفُكم نسباً[٣]. والثالث: أكثركم طاعةً لله عزَّ وجلَّ. وقوله: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي:/ شديدٌ عليه ما شقَّ عليكم[٤]. وقيل: شديدٌ عليه ما آثمكم[٥]. والقولان عن ابن عباس؟ وقوله: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ يعني: حريصاً على إيمانكم[٦]. وقوله: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال ابن عباس: سمَّاه باسمين من أسمائه. وقال أبو عبيدة: رؤوفٌ فعولٌ من الرأفةِ، وهي أرقُّ من الرحمة. وأنشدَ:

٤٠/ب

ترى للمؤمنين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤُفِ الرحيمِ[٧]

وقيل: رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين. وقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان، ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ أي: يكفيني ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وقرأ

---

(١) حديث ((إني من نكاح ولست من سفاح)). أخرجه عبد الرزاق في المصنف، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه في قوله: (من أنفسكم) قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية. قاله جعفر الصادق. وقال رسول الله ﷺ: ((إني خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح)). انظر: الدر المنثور: ٣٢٧/٤، تفسير الطبري: ١٠١/٧ . وفي رواية أخرى: ((ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام)). انظر: تفسير البغوي: ١٣٣/٣ .

(٢) قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ .. الآية. [الكهف: ١١٠]. فهو آكد للحجة، لأنكم تفهمون عمن هو مثلكم. قاله الزجاج. انظر: زاد المسير: ٣٩٣/٣ .

(٣) عن واثلة بن الأسقع ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة: رقم الحديث: ٤٢٢١ .

(٤) رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال الزجاج: شديد عليه عنتكم. والعنت: لقاء الشدة. انظر: زاد المسير: ٣٩٢/٣ .

(٥) رواه أبو صالح عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٣ .

(٦) قاله الحسن. انظر: زاد المسير: ٣٩٣/٣ .

(٧) الشاعر جرير وقد أنشده يمدح هشام بن عبد الملك بلفظ:

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرَّؤُفِ الرحيم

انظر: شرح ديوان جرير: ص: ٥٠٧، ومجاز القرآن: ١٧١/١ .

ابن محيصن: ﴿ ٱلۡعَظِيم ﴾ برفعٍ، وإنما خصَّ العرش بالذكر لأنه الأعظمُ، فيدخل فيه الأصغر. قال أبيٌّ بن كعب: آخر آية أُنزِلَتْ: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ ... ﴾ إلى آخر السورة[1]، والله أعلم.

---

(١) وقال أبي: هما أحدث الآيات بالله عهداً. انظر: تفسير البغوي: ٣/١٣٤، وزاد المسير: ٣/٣٩٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس عليه السلام

مكيَّة، قاله ابن عباس والحسنُ وعكرمةُ(١).

وقيل: فيها من المدنيِّ قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾ .. الآية(٢).

وقيل: فيها من المدنيِّ: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴿٩٤﴾ ﴾/ إلى رأس ثلاث آيات(٣). ٤١/أ

وفيها من آيات الصبر والتوكل قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ... ﴿٧١﴾ ﴾. فيه دليلٌ على نبوته، وتحريضٌ للنّبيِّ ﷺ على الصبر، وموعظةٌ لقومهِ بذكر قوم نوح وما حلَّ بهم من العقوبةِ بالتكذيبِ.

و﴿ كَبُرَ ﴾ شقَّ ﴿ عَلَيْكُم ﴾ طولُ ﴿ مقَامِى وَتَذْكِيرِى ﴾ وعظي ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ في نُصرتي ودفع شرِّكُم عني(٤)، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

قلتُ: نظير هذه الآية في سورةِ البقرةِ قوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ ﴿١٠٩﴾ ﴾(٥)، والله أعلم.

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣/٤ .

(٢) قاله أبو صالح عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٣/٤ .

(٣) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٣/٤ .

(٤) انظر: زاد المسير: ٣٦/٤ .

(٥) انظر: زاد المسير: ٥٥/٤ .

سورة هود عليه السلام

مكيَّةٌ كُلُّها، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[١]. وعنه أيضاً أنه قال: هي مكيَّةٌ إلا قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ... ﴿١١٤﴾ ﴾.[٢] وقيل: هي مكيَّةٌ إلا قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ... ﴿١٢﴾ ﴾ وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ ... ﴿١٧﴾ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ... ﴿١١٤﴾ ﴾.[٣] وقال أبو بكر ﷺ قلتُ: ((يا رسول الله عجل إليك الشيبُ، قال: شيبتني هود وأخواتها؛ الحاقةُ، والواقعةُ، وعمَّ يتساءلونَ، وهل أتاك حديث الغاشيةِ)).[٤] /

٤١/ب

وفيها من آيات الصبر والتوَكُلِ قولهُ تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ ... ﴿٨٨﴾ ﴾. أي: على علم من ربي. والرزق الحسن: النبوَّة. وقيل: العلم.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[٥] يحتمل أن يكون الاستثناء من الإنسان.[٦] وعند الزَّجَّاج: أنه بمعنى لكن الذين أمنوا والذين صبروا أصحاب محمد ﷺ .[٧]

---

(١) وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وجابر بن زيد وقتادة. انظر: زاد المسير: ٥٦/٤ .

(٢) وعن قتادة نحوه. انظر: زاد المسير: ٥٦/٤ .

(٣) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٥٦/٤.

(٤) عن ابن عباس عن أبي بكر ﷺ قال: يا رسول الله قد شبت، قال: ((شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت))، ويروى: ((شيبتني هود وأخواتها من المفصل)). رواه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة: ٣٧٥/٥، رقم الحديث: ٣٢٩٧. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. وانظر: تفسير البغوي: ٢٥٢/٣.

(٥) هذه الآية رقمها: (١١) من سورة هود، وورودها قبل سابقتها ذات الرقم: (٨٨) أولى، مراعاة للتسلسل.

(٦) قاله الفراء لأنه في معنى الناس. انظر: زاد المسير: ٦٣/٤.

(٧) قال الزجاج هذا استثناء ليس من الأول. والمعنى لكن الذين صبروا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الوصف الأول للكافر، والذين صبروا أصحاب محمد ﷺ . انظر: زاد المسير: ٦٣/٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ قال قتادة: معناه لم أكن لأنهاكم عن أمرٍ ثم أرتكبه، ومعنى ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ﴾ أي: ما أريدُ بما آمُرُكم به إلا إصلاحَ أموركم بقدر طاقتي، وقدرُ طاقتي إبلاغُكم أخبارَكم.

وقوله: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ فتحَ ياء ﴿ تَوۡفِيقِي ﴾ أهل المدينة وابن عامر.[١] ومعنى الكلام: ما إصابتي الحق في محاولة صلاحكم إلا بالله، ﴿ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ أي: فوَّضت أمري إليه، وذلك أنهم تواعدوه بقولهم: ﴿ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ ﴾ [هود: ٨٨]، وأناب إذا رجع[٢]، والله أعلم.

/ ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ قرأ أبو عمرو: (ولا تركُنوا) بفتح التاء وضم الكاف، وعن أبي عمرو أيضاً: (تَركِنوا) بفتح التاء وكسر الكاف، وعن أبي عمرو أيضاً: (تِركَنوا) بكسر التاء وفتح الكاف. والمراد بالركون: الميل[٣]. وقيل: لا تكونوا لهم عمَّالاً، ولا ترضوا بأعمالهم ما لم توافق الشرع[٤]. وقيل: لا تداهنوا للظلمة[٥]. وفي قوله: ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ وجهان؛ أحدهما: فتصيبكم[٦]، والثاني: فيتعدَّى إليكم ظُلمُهُم كما تتعدَّى النار إلى ما جاورها[٧]، والله أعلم.

٤٢/أ

---

(١) قرأها بالفتح نافع وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر. انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٣٤٠ـ ٣٤١، والكشف: ٥٣٩/١، والتبصرة ٥٤٣، والنشر: ٢١٩/٢.

(٢) انظر: زاد المسير: ١١٦/٤.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. ومعنى ركن إليه ركوناً: مال وسكن. انظر: زاد المسير: ١٢٧/٤، القاموس المحيط: ص: ١٥٥٠، مادة: (ركن).

(٤) قاله أبو العالية. انظر: زاد المسير: ١٢٧/٤.

(٥) قاله السدي وابن زيد. انظر: تفسير البغوي: ٢٤٦/٣، وزاد المسير: ١٢٧/٤.

(٦) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ١٢٧/٤.

(٧) ذكره الماوردي. انظر: زاد المسير: ١٢٧/٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

سبب نزول الآية الأولى: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني أخذت امرأة في البستان فقبَّلْتُهَا، وضممتُها إليَّ، وباشرتها، وفعلت بها كل شيءٍ غير أني لم أجامِعْها، فسكت النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فدعا الرجلَ فقرأها عليه، فقال له عمر رضي الله عنه : أهي له خاصة،/ أم للناس كافة؟ قال: بل للناس كافة[1]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأةٍ قُبْلَةً، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية[2].

٤٢/ب

واختلف المفسرون في اسم هذا الرجل؛ فقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو عمرو بن غزيَّةَ[3] الأنصاري كان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع منه تمراً، فأعجبَتهُ، فقال: إن في البيت تمراً أجودَ من هذا، فانطلقي معي حتى أُعطِيَكِ منه، فذكر نحوَه. وقال مقاتل: هو أبو مقبل عامرُ بنُ قيسٍ الأنصاري[4]، والله أعلم[5].

وأما التفسير فقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: أتِمَّ رُكُوعَها وسجودَها.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٢٤٧/٣. ورواه مسلم في الصحيح: كتاب التوبة، باب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾، رقم الحديث: ٢٧٦٣/٤٢، وأحمد في المسند: ٤٤٥/١ــ ٩٤٤.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٢٤٧/٣.

(٣) هو أبو اليسر عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة من بني مازن بن النجار الأنصاري. يقال: إنه شهد العقبة وبدرا. وذكر الكلبي في تفسيره أن قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ الآية. نزلت فيه، وكان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع منه تمراً.. الحديث في نزول الآية انفرد الكلبي بتسميته غزية بن عمرو. وأغرب الثعلبي في تفسيره فسمَّاه أبا اليسر، واشتبه به وبأبي اليسر نبهان التمار الذي ذكر الثعلبي والمهدوي ومكي والماوردي هذه القصة فيه في تفاسيرهم. انظر: الإصابة: ٥٢٠/٣، رقم الترجمة: ٨٦٧٩ في النبهان التمار، ورقم الترجمة: ٥٩٢٩ في عمرو بن غزية.

(٤) وهو ابن عم الجلاس بن سويد، ذكره موسى بن عقبة في المغازي، ولم يشر إلى قصته هذه. انظر: الإصابة: ٢٤٧/٢، رقم الترجمة: ٤٤١٦.

(٥) انظر: زاد المسير: ١٢٨/٤.

فأما ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾؛ ففي الطرفِ الأول قولان: أحدهما: أنه صلاةُ الفجر، وهو قول الجُمهُورِ(١). وقيل: هو الظهرُ(٢). وفي الطرف الثاني: ثلاثةُ أقوال؛ أحدها: أنه صلاة المغرب(٣)، وقيل: العصر(٤)، وقيل: الظهرُ(٥)، والله أعلم.

وقولُهُ: ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي: ساعات، وَاحِدُها: زُلفة(٦)، أي: ساعةُ قُرْبَةٍ وطاعةٍ. ومنه سمِّيت المزدلفة مزدلِفَة(٧). وفيها للمفسرين قولان: **أحدهما**: أنها صلاةُ العتمةِ، رُوِيَ هذا عن ابن عباس(٨) رضي الله عنهما. **والثاني**: أنها صلاة المغرب والعشاء، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً(٩).

وفي المراد بـــ: ﴿ ٱلْحَسَنَٰتِ ﴾ قولان أيضاً:/ أحدهما: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن عباس وابن مسعود ﷺ (١٠). والثاني: أنها (سبحان الله والحمد لله

٤٣/أ

---

(١) انظر: زاد المسير: ١٢٨/٤.

(٢) حكاه ابن جرير. انظر: زاد المسير: ١٢٨/٤.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد. انظر: زاد المسير: ١٢٨/٤.

(٤) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ١٢٨/٤.

(٥) الظهر والعصر، قاله مجاهد والقرظي. انظر: زاد المسير: ١٢٨/٤.

(٦) الزلفة: الطائفة من أول الليل والجمع زُلَف وزُلَفَات، أو ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الليل. انظر: لسان العرب: ١٣٩/٩، والقاموس المحيط: ص: ١٠٥٥.

(٧) المزدلفة: موضع بمكة، وأصل الزلفى: القربى. واختلف في سبب تسميتها؛ فقيل: سميت بذلك لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات. وقيل: لأنها مقربة من الله، حيث يجتمع الناس بها، وقيل: لازدلاف آدم وحواء بها، أي لاجتماعهما، وقيل: لنزول الناس فيها في زلف الليل، وقيل: لأن الناس يزدلفون فيها إلى الحرم زلفة واحدة أي جميعاً. وهي مبيت الحاج، ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات، وهي المشعر الحرام، ومصلى الإمام للمغرب والعشاء يوم عرفة. انظر: لسان العرب: ١٣٨/٩، ومعجم البلدان: ١٢٠/٥ــ ١٢١، مادة: (زلف).

(٨) رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وعوف عن الحسن، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال زيد. انظر: زاد المسير: ١٢٩/٤.

(٩) رواه أيضاً يونس عن الحسن، ومنصور عن مجاهد، وبه قال قتادة ومقاتل والزجاج. انظر: زاد المسير: ١٢٩/٤.

(١٠) رواه ابن المسيب ومسروق ومجاهد والقرظي والضحاك والمقاتلان: ابن سليمان وابن حيان. انظر: زاد المسير: ١٢٩/٤.

ولا إله إلا الله والله أكبر). والأول أصح، وهو قول الجُمهُورِ[١]. وفيه حديث مرفوعٌ إلى النبي ﷺ أنه توضأ وقال: ((من توضأ وُضوئي هذا ثم صلَّى الظهر غُفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح، ثم صلَّى العصرَ غُفِرَ له ما بينها وبين صلاةِ الظهر، ثم صلَّى المغرب غُفر له ما بينها وبين صلاةِ العصر، ثم صلَّى العشاء غُفر له ما بينها وبين صلاةِ المغرب، ثم لعلَّهُ يبيت ليلَتهُ يتمرَّغ[٢]، ثم إن قام فتوضأ وصلَّى الصبح غُفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهُنَّ الحسناتُ يُذهبنَ السيئات))[٣]. وأما السيئات المذكورة هنا فقال المفسرون: هي صغائر الذنوب. وقد رُوِيَ عن مُعاذ بن جبل ﷺ قال: قلتُ: ((يا رسول الله أوصني، قال: اتق الله حيثُ ما كنت، قلت: زدني، قال: أتبع السيئة الحسنة تمحها، قلتُ: زدني، قال: خالق الناس بخلق حسن))[٤].

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ قلتُ: في المشار إليه بذلك ثلاثةُ أقوال؛ **أحدها:** أنه القرآن، **والثاني:**/ إقام الصلاة، **والثالث:** جميع ما تقدم من الوصيةِ بالاستقامة، والنهي عن الطغيان، وترك الميل إلى الظالمين، وإقام الصلاة. وفي المراد بالذكرى قولان؛ قيل: التوبة، وقيل: العِظَةُ. ٤٣/ب

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

---

(١) رواه منصور عن مجاهد. انظر: زاد المسير: ١٢٩/٤.

(٢) التمرّغ: التقلّب في التراب. وفي حديث عمار ﷺ: ((أجنبنا في سفر وليس عندنا ماء، فتمرَّغنا في التراب)). انظر: لسان العرب: ٤٥٠/٨ مادة: (مرغ).

(٣) أخرج أحمد في مسنده عن الحارث مولى عثمان يقول: ((جلس عثمان يوماً وجلسنا معه، فجاءه المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مُدٌّ، فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: ومن توضأ وضوئي ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح، ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله أن يبيت يتمرغ ليلته، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات. قالوا: هذه الحسنات فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هن لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)). انظر: مسند أحمد: ٣٨٣/٣، رقم الحديث: ٥١٣، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ٢٢٨/٥ عن معاذ بن جبل، وأخرجه أيضاً عن أبي ذر الغفاري: ١٥٣/٥.

قلتُ[١]: فيما أُمِرَ بالصبر عليه قولان؛ **أحدهما:** ما يلقاه من أذى قومهِ، **والثاني:** الصلاة. وفي المراد بالمحسنين ثلاثة أقوال؛ **أحدها:** المصلُّون، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٢]. **والثاني:** المخلصون، قاله مقاتل. **والثالث:** أنهم المحسنون في أموالهم، قاله أبو سليمان[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ يعني: علم[٤] ما غاب عن العباد فيهما ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ يعني: مرجع جميع الأمور إليه في المعادِ. قرأ نافع وحفص ﴿ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ ﴾ بضم الياء، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بفتح الياء،[٥] ﴿ فَٱعْبُدْهُ ﴾ وحدَهُ[٦] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ ، يعني ثق به. ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء، والباقون بالياء.[٧] ومعنى القراءة بالتاء أي: قل لهم ما ربُّك بغافل عما تعملون. ومن قرأ بالياء فالخطاب/ للنبي ﷺ ولجميع الخلق محسنِهم ومسيئِهم، وهو أعمُّ من التاء، فهو

٤٤/أ

---

(١) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٤٩.

(٣) انظر: زاد المسير: ٤/١٢٧ــ١٣٠.

(٤) الغيب: كل ما غاب عن العيون، وما كان محصلاً في الصدور فهو غيب. والغيب: ما لم يقم عليه دليل، ولم ينصب له أمارة، ولم يتعلق به علم مخلوق. وقيل: هو الخفي الذي لا يكون محسوساً، ولا في قوة المحسوسات كالمعلومات ببديهة العقل أو ضرورة الكشف، وهو على قسمين: قسم نُصب عليه دليل فيمكن معرفته كذات الله وأسمائه وصفاته، مما يجب على العبد معرفته، وكلف به وهو غائب عنه لا يشاهده، ولكن يمكن معرفته بالنظر الصحيح. وقسم لا دليل عليه، فلا يمكن للبشر معرفته، كما قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. انظر: الكليات: ٣/٢٩٥، ٣٠٣، ٣٠٤.

(٥) أي: (يَرْجِعُ). انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٤٠، والكشف: ١/ ٥٣٨، والنشر: ٢/١٩٧

(٦) أي: وحِّده. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٤.

(٧) أي: (يَعملون). ومعهم أبو بكر عن عاصم. انظر: السبعة: ص: ٣٤٠، الكشف: ١/٥٣٨، النشر: ٢/١٩٧

وعيدٌ معناه يُجزي المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته. قال كعب: خاتمة التوارة خاتمةُ هود[١]، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٢٩٢/٣، وزاد المسير: ١٣٤/٤.

سورة يوسف عليه السلام

مكيَّةٌ بإجماع.

وسببُ نُزُولها ما روي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاهُ عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصتَ علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿ الٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ ﴾ إلى قوله: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ... ۝٣ ﴾ فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدَّثتَنَا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[الزمر: ٢٣][1] أرادوا الحديث، فدلَّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القَصَص، فدلَّهم على أحسن القَصَص. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألتِ اليهودُ النبي ﷺ فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله تعالى: ﴿ الٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ... ۝٢ ﴾ وذلك أن التوراة بالعبرانيةِ، والإنجيل بالسُّريَانية، وأنتم قوم عرب، فلو أنزلتُهُ بغير العربيةِ ما فهمتموه[2]، والله أعلم. ومعنى ﴿ ٱلۡمُبِينِ ﴾ حلالُه وحرامُه[3]، وقيل: المبين/ للحق من الباطل[4]، وفي الكناية[5] بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ قولان؛ **أحدهما:** أنها ترجع إلى الكتاب[6]، **والثاني:** إلى خبر يوسف[7]. | ٤٤/ب

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ٢/٣٤٥. وانظر: تفسير البغوي: ٣/٢٥٤، وزاد المسير: ٤/١٣٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤/١٣٥.

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٦.

(٤) ذكره الماوردي: انظر: زاد المسير: ٤/١٣٥.

(٥) أي: هاء الكناية في الضمير المتصل الهاء في: ﴿ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾.

(٦) قاله الجمهور. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٦.

(٧) ذكره الزجاج وابن القاسم: ٤/١٣٦.

وقوله تعالى: ﴿ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ اختلف المفسرون: هل في هذا القرآن غير العربي؟ فذهب قوم إلى أنه ليس فيه شيء بغير العربية، بدليل الآية(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما(٢): إن فيه بغير لسان العرب مثل سجيل(٣) وإستبرق(٤) ومشكاة(٥)، كما هو محرر في أصول الفقه(٦).

قلتُ: والجمع بين القولين: أن العرب تلفظت به، ونقلته إلى لسانهم، فصار عربيًّا(٧).

وقوله تعالى: ﴿ ... لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لكي تفهموا.

وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ... ۝٣ ﴾ تقدَّم معناهُ. والقاصُّ هو الذي يأتي بالقصَّة على حقيقتها(٨).

وقوله تعالى: ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أي: بوحينا إليك هذا القرآن.

---

(١) قال أبو عبيدة. من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول. واحتج بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾ [الزخرف: ٣]. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٦.

(٢) وهو قول مجاهد وعكرمة. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٦.

(٣) سجيل: بمعنى السجين، أي: من سجّل: أي: مما كتب لهم أنهم يعذبون بها، (وهو لفظ معرب)، وهي حجارة كالمدر، أو كانت طبخت بنار جهنم وكتب فيها أسماء القوم. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٣٠٩.

(٤) إستبرق (لفظ معرب أيضاً)، بمعنى: الديباج الغليظ، أو ديباج يعمل بالذهب، أو ثياب حرير صفاق نحو الديباج، أو قِدَّة حمراء كأنها قِطع الأوتار. انظر: القاموس المحيط: ص: ١١٢٠.

(٥) المشكاة: قصبة الزجاجة التي يستصبح فيها، وهي موضع الفتيلة، شبهت بالمشكاة، وهي الكوة التي ليست بنافذة. وقيل: هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل. انظر: لسان العرب: ١٤/٤٤١.

(٦) لعله أراد: في أصول اللغة، إذ هناك مجال بحثها.

(٧) قال أبو عبيدة: وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب وذهب هو إلى غيره، وكلاهما مصيب إن شاء الله. وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال: أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعرَّبته فصار عربياً بتعريبها إياه فهي عربية في هذه الحالة أعجمية الأصل. فهذا القول يصدق الفريقين جميعاً. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٦، ٤/١٣٥.

(٨) القاصُّ: هو الذي يأتي بالقصة على وجهها، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/٧٠، وتفسير البغوي: ٣/٢٥٣، والقاموس المحيط: ص: ٨٠٩.

فإن قلتَ: ما الحكمة في تسمية قصة يوسفَ أحسن القصص؟ قلتُ: لأنها جمعت محاسن من الصبر الجميل، وذِكْرِ الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسِيَر الملوك، والمماليك، والتُجَّار، والعلماء، والرجال، والنساء وحِيَلِهِنَّ، وذِكْرِ التوحيد، والفقه، والسِرِّ، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر/ على الأذى، والحِلْمِ، والعزِّ، إلى غير ذلك من العجائب[١]. ٤٥/أ

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتَ ﴾ يعني: كنتَ قبله، أي: قبل نزول القرآن ﴿ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ عن خبر يوسف وما صنع به إخوته، ذكره ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأبِيهِ ﴾ ، ﴿ إِذْ ﴾ صلةٌ لفعل متقدم. والمعنى: نحن نقصُّ عليك إذ قال يوسف. وقيل: هي صلةٌ لفعل مضمَرٍ تقديره: اذكر إذ قال يوسفُ[٣].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ قرأ ابن عامر بفتح التاء، ووقف بالهاء، ووافقه في الوقف ابن كثير. وقرأ الباقون بكسر التاء.[٤]

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾[٥] فيما رآه يوسف قولان؛

أحدهما: أنه رأى الشمس والقمر والكواكب، وهو قول الأكثرين.

---

(١) انظر: زاد المسير: ١٣٧/٤.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٣٧/٤.

(٣) ذكرهما الزجاج وابن الأنباري. انظر: زاد المسير: /١٣٧.

(٤) انظر: السبعة: ص: ٣٤٤، والكشف: ٣/١، والنشر: ٩٨/٢، ٢٢٠. قرأ ابن عامر وأبو جعفر: يا أبتَ بفتح التاء في جميع القرآن، وكسر الباقون التاء: يا أبتِ ووقفوا عليها بالتاء. ووافقه ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب في الوقف بالهاء.

(٥) وردت في أصل المخطوط: (أرى) وهو خطأ في النسخ، وتم تثبيت النص القرآني: ﴿ رَأَيْتُ ﴾ .

فإن قلتَ: قوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾[١] جمع من يعقل. قلتُ: لأن السجود فِعْلُ ما يعقل، والله أعلم. وقال المفسرون: كانت الكواكب في التأويل إخوته، والشمس أمه، والقمر أباه، فلما قصَّها على يعقوب أشفق من حسد إخوته. وقال السُدِّي: الشمس خالته، لأن أمه[٢] كانت قد ماتت. **والثاني:** أنه رأى أبويه وإخوته ساجدين له، فكنَّى عن ذكرهم، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

وفي سنِّ يوسف لمَّا رأى هذا المنام ثلاثة أقوال؛ قيل: سبع سنين، وقيل: اثنتا عشرة سنة،/ والثالث: سبعَ عشرةَ سنة. قال أهل التفسير[٤]: علم يعقوب أن إخوة يوسف يعلمون تأويلَ رؤياه، فقال: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾ أي: يحتالوا لك حيلةً ويغتالوك. والعدو المبين: الظاهر العداوة[٥].

٤٥/ب

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ قال ابن الأنباري: ومثلُ ما رأيتَ من الرِّفعة والحال الجليلة، يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يصطفيك بالنبوَّة، ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ هو تعبير تأويل الرؤيا في قول ابن عباس رضي الله عنهما[٦]، لأنه تأويل ما يؤول إليه أمر المنام. وقيل: يعلمك العلمَ والحكمةَ[٧]، وقيل: تأويل لأحاديث الأنبياء والأمم والكتب[٨]. و ﴿ مِن ﴾ هُنا صلةٌ[٩].

---

(١) وردت في الأصل: (رأيتمُهم)، وهو خطأ في النسخ أيضاً، وتم تثبيت اللفظ القرآني: ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾.

(٢) واسمها: (راحيل). انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٥٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ٤/١٣٨.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٥٥.

(٥) انظر: زاد المسير: ٤/١٣٨.

(٦) ومجاهد وقتادة. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٩.

(٧) قاله ابن زيد. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٩.

(٨) ذكره الزجاج. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٩.

(٩) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٤/١٣٩.

وقوله تعالى: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ أي: بالنبوَّة[١]، وإعلاء الكلمة، بأن أحوج إخوته إليه حتى أنعم عليهم. قلتُ: ميراث الصبر الظفَر بالمقصود.

وقوله: ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠٠ ﴾ قلتُ: آل يعقوب ولدُه[٢]، وقيل: يعقوب وامرأته وأولاده الأحد عشر، أتمَّ عليهم نعمته بالسجود ليوسف[٣]، وقيل: أهله[٤]. ونعمته/ على إبراهيم أن نجَّاه من النار، ونعمته على إسحاق أن نجَّاه من الذبح[٥]، لأنه الذبيح في أحد القولين. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾ حيث يضع النبوَّة، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في تدبير خلقه، والله أعلم.

٤٦/أ

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾ يعني: في خبر يوسف وإخوته عبرةٌ لمن سأل عنهم، فكل حالةٍ من أحوال يوسف آية، كما قرأ ابن كثير(آية).[٦] وكان اليهود قد سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فأخبرهم بها كما في التوراة، فعجبوا من ذلك[٧].

وفي وجه هذه الآيات أقوال؛ **أحدها:** الدلالة على صدق محمد ﷺ ، حيث أخبر بأخبار قوم لم يرهم من غير نظر في الكتبِ. **وثانيها:** ما أظهره الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه. **وثالثها:** صِدْقُ رؤياه. **ورابعها:** ضبط نفسه، وقهر شهوته، حتى قام بحق الأمانة. **وخامسها:** حصولُ السرور بصبره بعد يأسه[٨].

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ١٣٩/٤.

(٢) قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ١٣٩/٤.

(٣) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ١٣٩/٤.

(٤) قاله أبو عبيدة. انظر: زاد المسير: ١٣٩/٤.

(٥) قاله عكرمة. انظر: زاد المسير: ١٣٩/٤.

(٦) انفرد ابن كثير وحده بلفظ: (آية)، والباقون جميعاً: (آيات). انظر: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٣٤٤، والكشف: ٥/٢، والنشر: ٢٢٠/٢.

(٧) انظر: زاد المسير: ١٣٩/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٤.

وقوله: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ يعني: إخوة يوسف ليوسف يَعْنونَ (ابنَ يامينَ). وسمِّيتْ يامين لأن أمه ماتت نُفساء، ويامين/ كان أخا يوسف لأمه وأبيه، والباقون لأبيه دون أمه، والعصبة هي الجماعة الذين أَمْرُهُم واحدٌ يتابع بعضهم بعضاً في الفعل، ويتعصَّب بعضهم لبعض[١]. قيل: هم أكثر من عشرة[٢]، وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين[٣]، وقيل: ستة أو سبعة[٤]، وقيل: من عشرة إلى خمسةَ عشر[٥]، وقيل: العصبة الجماعةُ[٦]، وقيل: عشرة[٧]، والله أعلم.

٤٦/ب

وقيل المراد بقولهم: ﴿ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ أي: لم يعدل في المحبة بيننا مع أن نفعنا له أعمُّ. قال الزَّجَّاج: لو نسبوه إلى الضلالة في الدين كانوا كفاراً، وإنما أرادوا أنه قدَّم صغيرين علينا في المحبة، ونحن عصبة[٨].

وقوله تعالى: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ قرأ ابن كثير ونافع (مبينُ اقتلوا يوسف) بضم التنوين لا تحريكه، وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة بكسر التنوين.[٩]

وقوله تعالى: ﴿ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ يعني: أرضاً تأكله فيها السباع بعيدة عن أبيه. ونصبَ ﴿ أَرْضًا ﴾ على إسقاط (في) [١٠].

---

(١) قاله الزجاج. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

(٢) رواه الضحاك عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

(٣) روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠، ولسان العرب: ١/٥٠٦. مادة: (عصب).

(٤) قاله سعيد بن جبير. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

(٥) قاله مجاهد. انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٥٨، وزاد المسير: ٤/١٤٠.

(٦) قاله ابن زيد. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

(٧) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

(٨) انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

(٩) قرأ ابن كثير ونافع والكسائي بضم التنوين: (مبينُ اقتلوا). وقرأ عاصم وأبو عمر وابن عامر وحمزة بكسر التنوين: (مبينِ اقتلوا). انظر: كتاب السبعة ص: ٣٤٥، والنشر: ٢/٢٢٠.

(١٠) قاله الزجاج. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

وقوله تعالى: ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝ ﴾ يعني: يفرغُ لكم وجه أبيكم من الشغل بيوسف، وتكونوا من بعد قتل يوسف قوماً صالحين بالتوبة[١]. وقيل: معناه يصلح حالكم/ عند أبيكم[٢]. أ/٤٧

قلتُ[٣]: ينبغي للمؤمن أن لا ينسى التوبة وإن كان مرتكباً للخطايا[٤]. ألا ترى أن إخوة يوسف ــ عليهم السلام ــ عزموا على التوبة قبل الذنب، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝ ﴾ قيل: القائل هذا هو يهوذا، ذكره ابن عباس رضي الله عنهما[٥]، وقيل: هو شمعون[٦]، وقيل: رُوبيل[٧]. و ﴿ غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ كل شيء غيَّب عنك شيئاً فهو غيابة[٨]، كما قيل:

فإنْ أنا يَوْمَاً غيَّبَتْنِي غَيَابَتِي فسِيروا بِسَيْرِي في العشيرةِ والأهلِ[٩]

والجُبُّ: البئر التي لم تُطْوَ[١٠]. وقرأ نافع: غَيَابَات الجُبِّ،[١١] وقرأ نافع أيضاً: غيَّابات، بتشديد الياء.[١٢]

---

(١) قاله ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

(٢) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٠.

(٣) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٤) هذه عبارة ابن الجوزي ذاتها في تفسيره زاد المسير: ٤/١٤١.

(٥) وهو الأصحُّ. رواه عنه أبو صالح، وبه قال وهب بن منبه والسدي ومقاتل. انظر: تفسير البغوي: ٣/ ٢٥٩، وزاد المسير: ٤/١٤١.

(٦) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ٤/١٤١.

(٧) قاله قتادة وابن إسحاق. وكان ابن خالة يوسف، وكان أكبرهم سناً، وأحسنهم رأياً. انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٥٩، وزاد المسير: ٤/١٤٠.

(٨) قاله أبو عبيدة. ويقال: وقعوا في غيابة من الأرض أي في مهبط منها. وغيابة كل شيء: قعره منه، كالجب والوادي وغيرهما. تقول: وقعنا في غَيبة وغيابة، أي: هبطة من الأرض. انظر: زاد المسير: ٤/١٤١ ولسان العرب: ١/٦٥٥، مادة: (غيب).

(٩) قاله المنخُّل. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٢.

(١٠) انظر: لسان العرب: ١/٢٥٠، مادة: (جيب).

(١١) قرأ نافع أبو جعفر: (غيابات) بالجمع. والباقون: (غيابة) بالإفراد. انظر: النشر: ٢/٢٢٠، الكشف: ٢/٥

(١٢) لم أقف على سند لها.

قيل: كان الجُبُّ بأرض الأردن[١] على ثلاث فراسخ[٢] من منزل يعقوب، ذكره وهب ومقاتل. وقيل[٣]: كان ببيت المقدس[٤].

وقولـــه: ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ أي: بعض من يسير به[٥]. ﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ يعني: إن أضمرتم له سوءاً[٦].

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ لمَّا عزم القوم على كيد يوسف قالوا لأبيه ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾/ قرأ الجماعة بفتح الميم، وإدغام النون الأولى في الثانية، لأن الأصل تأمنُنَا، ثم أدغمت النون الأولى وبقي الإشمامُ يدل على ضمة النون الأولى.[٧] | ٤٧/ب

---

(١) الأردن: اسم بلد بناه وفلسطينَ سامُ بنُ أرم بن سام بن نوح، وهو اسم كورة، وقسمه بعضهم إلى أردن كبير، وهو نهر يصب إلى بحيرة طبرية، وهو نهر الأردن الكبير. أما الصغير: فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية، ويمر نحو الجنوب، وللأردن عدة كور. وقد افتتحه شرحبيل بن حسنة عنوةً، ما خلا طبرية صلحاً. ثم نقض أهله العهد في خلافة عمر، وساندهم الروم. فسيَّر لهم أبو عبيدة عمرو بنَ العاص الذي أعاد فتحها صلحاً، لكنه كثرت عليه الروم حين انتهى إلى سواحلها، فأمده أبو عبيدة بيزيد بن أبي سفيان، وعلى مقدمته معاوية أخوه، ففتح يزيد وعمرو سواحل الروم، وكان لمعاوية في ذلك بلاء حسن. انظر: معجم البلدان: ١/ ١٤٧.

(٢) الفرسخ: مسافة معلومة في الأرض تقدر بثلاثة أميال أو ستة. سمي بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن. وهو واحد الفراسخ. انظر: لسان العرب: ٣/٤٤، مادة: (فرسخ).

(٣) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٢.

(٤) جبُّ يوسف الصديق عليه السلام بالأردن الأكبر بين بانياس وطبرية، على اثني عشر ميلاً من طبرية مما يلي دمشق. وقيل: كان منزل يعقوب بنابلس من أرض فلسطين. والجبُّ الذي أُلقي فيه يوسف بين قرية من قراها يقال لها سنجل وبين نابلس. انظر: معجم البلدان: ٢/١٠١.

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٢.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤/١٤٢.

(٧) انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٤٥.

والإشمام: هو ضمُّك شفتيك من غير صوت يُسمع[١].

والرَّوْمُ: صوتٌ ضعيف يُسمَعُ خفيًّا[٢].

والمعنى: ما لك لا تأمنَّا على يوسف فترسله معنا، فإنه قد كبُرَ، ولا يعلم شيئاً من أمر المعاش. ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ فيما أشرنا به عليك.

وقولهُ تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (نرتعْ ونلعب) بالنون فيهما، والعين ساكنة. ووافقهم زيد عن يعقوب في (نرتع) فحسب. ومعنى (نرتع) [٣] نأكل، و(نلعب) نلهو[٤]. قال الشاعرُ:

وحبيبٌ إذا لاقيته وإذا يحلو له لحمي رتع[٥]

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ بالياء فيهما، وجزم العين والباء. وقرأ نافع (يرتعِ)[٦] بكسر العين. وروي عن ابن كثير أيضاً: (نرتعي)

---

(١) **الإشمام**: (الإشارة إلى الحركة من غير تصويت)، وهو ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة، بعد إسكان الحرف الموقوف عليه (الضمة فقط)، من غير أن يظهر لذلك أثر أو صوت، يدركه البصير دون الأعمى. انظر: الكنز في القراءات العشر: ص: ٩٩، والنشر: ٢/٩٠.

(٢) **الروم**: (النطق ببعض الحركة، أو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها). وهو إضعاف حركة الحرف الموقوف عليه(الضم والكسر فقط)، وإبقاء صوت خفي يدرك بحاسة السمع. ويُؤخَذ الإشمام والرُّوم بالتلقِّي والمشافهة من أفواه القرَّاء. انظر: الكنز في القراءات العشر: ص: ٩٩، والنشر: ٢/٩٠.

(٣) الرَّتْع: الأكل والشرب رغداً في الريف. انظر: لسان العرب: ٨/١١٢، مادة: (رتع).

(٤) انظر: زاد المسير: ٤/١٤٣.

(٥) البيت لسويد بن أبي كاهل أو شبيب اليشكري وهو شاعر مخضرم يكنى أبا سعد، عاش في الجاهلية دهراً، ومات سنة ٦٠ هـ. وعدّه ابن سلاّم في طبقة عنترة. انظر: الشعر والشعراء: ص: ١/٤٢٨، ولسان العرب: ٨/١١٣، وفيه بلفظ: (يخلو). مادة: (يخلو). والبيت يروى بلفظ:

ويحييني إذا لاقيته وإذا يحلو له لحمي رتع.

(٦) وردت في الأصل: (نرتع)، وصوابه (يرتع)، ويلعب بالياء، وجزم الباء، وكسر العين من نرتع مثل قراءة ابن كثير. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٤٥، والنشر: ٢/٢٢٠.

بإثبات ياءٍ بعد العين في الوصل والوقفِ.[١] ومرادُهُم باللعب هنا أي: نلعب بمباح في الشرع[٢].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ يعني يحزنني/ ذهابكم به لأنه يفارقني. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة (الذئب) بالهمزة في الثلاثة[٣] المواضع. وقرأ الكسائي بغير همز.[٤] وإنما خص الذئب بالذكر لأن أرضهم كثيرة الذئاب[٥]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن يعقوب رأى في منامه أن الذئب قد شدَّ على يوسف[٦]. وقيل: كَنَّى عن ذكرهم بالذئب إذ خافهم على يوسف[٧]، ﴿ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ برعْيكُمْ.

٤٨/أ

وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ أي: عاجزون.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.[٨] قلتُ[٩]: في الكلام إضمار، تقديره:

---

(١) انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٤٥، والكشف: ٧٠٦/٢، والنشر: ٢٢١/٢.

(٢) قاله الماوردي. انظر: زاد المسير: ١٤٤/٤.

(٣) ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٣]، ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٤]، ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٧].

(٤) وورش كالكسائي بدون همز. وروى عباس بن الفضل عن أبي عمرو أنه لا يهمز. وحمزة يهمز حين الوقف فقط. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٤٦، والتبصرة: ص: ٥٤٦، والكشف: ٨٣/١.

(٥) قال مقاتل. انظر: زاد المسير: ١٤٤/٤.

(٦) رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ١٤٤/٤.

(٧) قاله الماوردي. انظر: زاد المسير: ١٤٤/٤.

(٨) وردت الآية في أصل المخطوط بزيادة (على أن يجعلوه)، وهو خطأ في النسخ. وتم الضبط والتصويب حسب النص القرآني.

(٩) يُفترض أنه كلام المصنف ــ رحمه الله ــ، ولكن من تتبع النص تبين أنه من كلام ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير: ١٤٥/٤.

فأرسلَهُ معهم، فلما ذهبوا به وأجمعوا، عزموا على أن يجعلوه في غيابةِ الجُبِّ[١]. وسِنُّ يوسف يومئذٍ اثنتا عشرة سنةً[٢]، وقيل: ست سنين[٣]، وقيل: سبع عشرة سنة[٤]، وقيل: ثمان عشرة. فلما ذهبوا به وأصحروا،[٥] أظهروا له ما في نفوسهم من العداوةِ، وأغلظوا له القولَ، وجعل يَلجأُ إلى هذا فيضربُه، وإلى هذا فيؤذيهِ، فنادى يا أبتاه، يا يعقوب، لو رأيت يوسُفَ وما ينزلُ به من إخوته لأحزنك ذلك/ وأبكاك. يا أبتاه، ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيَّعوا وصيَّتك. وجعل يبكي بكاءً شديداً. قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: فأخذه رُوبيلُ فجلد به الأرضَ، ثم جثم على صدرِه، وأراد قتلهُ، فقال له يوسف: مهلاً يا أخي، لا تقتلني. قال: يا ابن راحيل صاحب الأحلام، قل لرؤياك تخلِصْك من أيدينا، ولوى عُنُقَهُ ليكسرها، فنادى يوسف: يا يهودي، اتقِ الله وحُلْ بيني وبين من يريدُ قتلي، فأدركتهُ عليه رحمةٌ، فقال يهودا: يا إخوتي! ألا أدلُّكم على أمرٍ هو خيرٌ وأرفق به؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: تُلقُونَهُ في هذا الجُبِّ، فيلتقطه بعض السيارةِ. قالوا: نفعلُ. فانطلَقوا به إلى الجُبِّ، فخلعوا قميصَهُ، فقال: يا إخوتاه، لِمَ نزعتم قميصي؟ رُدُّوه أستتر به عورتي، ويكونُ كفناً لي في مماتي، فقالوا: ادْعُ الشمسَ والقمرَ والأحدَ عشر كوكباً تخلصْك. فدلّوه في الجُبِّ [٦]، حتى إذا بلغ نصفَها ألقوه إرادة أن يموت، فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها، فقام عليها، وكان يهوذا يأتيه بالطعام. قال كعب الأحبارِ: جمعوا يديه إلى عُنُقِه، ونزعوا قميصهُ، فبعثَ الله إليه ملَكاً فحلَّ عنهُ، وأخرجَ لهُ حَجَراً من الماء فقعدَ عليهِ، وكان يعقوب قد أدرج[٧]

٤٨/ب

---

(١) نهاية نص زاد المسير: ٤/١٤٥.

(٢) قاله الحسن. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٦.

(٣) قاله الضحاك. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٦.

(٤) قاله ابن السائب. انظر: زاد المسير: ٤/١٤٦.

(٥) أصحر المكان: أي: اتسع. وأصحر الرجل: نزل الصحراء، كأنه أفضى إلى الصحراء التي لا خَمَر فيها فانكشف. وأصحر القوم: إذا برزوا في الصحراء إلى فضاء لا يواريهم شيء. انظر: لسان العرب: ٤/٤٤٥.

(٦) دلّوه في الجب: أي: أرسلوه فيه ليستقي. يقال: دلَوْتُها وأدلَيتها إذا أرسلتها في البئر لتستقي بها، أُدلِيها إدلاءً، وقيل: أدلاها ألقاها ليستقي بها. انظر: لسان العرب: ١٤/٢٦٥، مادة: (دلا).

(٧) أدرجه: طواه وأدخله وجعله في طَيِّه. انظر: لسان العرب: ٢/٢٦٩، مادة (درج).

٤٩/أ

قميص إبراهيمَ / الذي كساه الله إياه يوم أُلقيَ في النار في قَصَبَةٍ، وجعلها في عُنُق يوسف، فألبسه إياه الملَك حينئذٍ، وأضاء له البئر، وعَذُبَ ماؤه، فكان يُغنيه عن الطعام والشراب. ودخل جبريل فأنِسَ به، فلما أمسى نهضَ جبريل ليذهبَ، قال له يوسف: إنك إذا خرجت عني استوحشتُ، فقال: إذا رهبت شيئاً فقل: يا صريخ المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرِّج كرب المكروبين، قد ترى مكاني، وتعلم حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري. فلما قالها حفَّته الملائكة، فاستأنس في الجُبِّ، ومكثَ فيه ثلاثة أيام. وكان إخوته يرعونَ حول الجُبِّ.

وقال محمد بن مسلم الطائفي[١]: لما أُلقِيَ يوسف في الجُبِّ قال: يا شاهداً غير غائبٍ، ويا قريباً غير بعيدٍ، ويا غالباً غير مغلوبٍ، اجعل لي فرجاً مما أنا فيه. قال: فما باتَ فيه[٢].

وقولهُ تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ قيل: المراد بالوحي هنا الإلهامُ، وقيل: هو وحي حقيقة. أي: لتخبرنَّ إخوتك بأمرِهم، يعني: بما صنعوا بك وأنت عالٍ عليهم. ﴿ وَهُم لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بما أوحينا إليك[٣]، والله أعلم.

وقولــه تعالــى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ... ﴿١٧﴾ ﴾/ قرأ أبو هريرة والحسن وابن السُّميفع اليماني والأعمش: (عُشاءً) بضم العين. قال المفسرون: جاءوا وقت العتمةِ ليكونوا أجرأ في الظلمةِ على الاعتذار بالكذب، فلما سمع صوتهم فزع وقال: هل أصابكم في غنمكم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فمالكم وأين يوسف؟ قالوا: ﴿ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾. قيل: بالنبل[٤]، وقيل:

٤٩/ب

---

(١) محمد بن مسلم بن سوسن، ويقال: ابن سوس الطائفي. ويعدُّ في المكيِّين. صدوق يخطئ من حفظه. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: ما أضعف حديثه، وقال ابن عدي: صالح الحديث لا بأس به. مات سنة ١٩٧ هـ. انظر: تهذيب الكمال: ٤١٢/٢٦، رقم الترجمة: ٥٦٠٤. وتهذيب التهذيب: ص: ٥٠٦، رقم الترجمة: ٦٢٩٣.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٤٥/٤ــ١٤٦.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٤٦/٤.

(٤) قاله ابن عباس وابن قتيبة. انظر: زاد المسير: ١٤٧/٤.

على الأقدام[١]، وقيل: نتصيد[٢]. وقوله: ﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا ﴾ أي عند ثيابنا. وقولهُ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ أي بمصدِّقٍ. وقوله: ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ يعني ولو كنا عندك من أهل الصدق لاتهمتنا في يوسف لمحبتك إياه[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ معناه مكذوب، والعرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولاً، فيقولون للكذب: مكذوب، وللعقل، معقول. قال شاعرهم:

حتى إذا لم يَتْرُكوا لعِظَامِهِ لَحْمَاً ولا لِفُؤادِه مَعقُولا[٤]

أراد عقلاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخذوا جدياً فذبحوه، ثم غُمِسَ قميصُ يوسف في دمه، وأتوا به وليس فيهِ خرق. فقال: كذبتم لو كان أكله الذئب لخرق القميص.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أي: زيَّنت لكم أنفسكم أمراً غير ما تصفون/ ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ قال الفراء: الصبر مرفوع لأنه عزّى نفسه. وقال: ما هو إلا الصبر[٥] وقال قطرب: المعنى فصبري صبرٌ جميل. وقرأ ابن مسعود وأبيٌ وأبو المتوكل الناجي: (فصبراً جميلاً) بالنصب. والصبر الجميل هو الذي لا جزع معه، ولا شكوى إلى الناس[٦].

أ/٥٠

---

(١) قاله السدي. انظر: تفسير البغوي: ٢٦٤/٣، وزاد المسير: ١٤٧/٤.

(٢) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ١٤٧/٤.

(٣) قاله الزجاج. انظر: زاد المسير: /١٤٧.

(٤) الشاعر: الراعي النميري، والبيت من البحر الكامل، من قصيدة له يمدح بها عبد الملك بن مروان، ويشكو من السعادة. انظر: ديوان الراعي النميري: ص: ٢٣٦.

(٥) قال الفراء: الصبر الجميل مرفوع لأنه عزّى نفسه وقال: ما هو إلا الصبر، ولو أمرهم بالصبر لكان النصب أسهل، كما قال الشاعر:

يشكو إليَّ جملي طول السُّرى صبراً جميلاً فكلانا مُبتَلَى

انظر: معاني القرآن للفراء: ٥٣/٢ــ ٥٤، وقد ورد في كتاب سيبويه: ١٦٢/١.

(٦) قاله الزجاج. انظر: تفسير البغوي: ٢٤٦/٣، وزاد المسير: ١٤٨/٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ أي: على ما تصفون من الكذب(١)، والله أعلم.

وفيها من آيات التوكل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ يعني: لا تدخلوا مصر من باب واحد. وكان لمصر يومئذٍ أربعةُ أبواب. وقيل: أراد الطُرقَ لا الأبواب(٢). لأنهُ خاف عليهم العين. لأنهم كانوا ذا جمالٍ وقوةٍ(٣). وقيل: خاف عليهم الغيلة(٤)، لِمَا ظهر لهم في أرض مصر من التُهمة(٥). وقيل: أحب أن يلقوا يوسف في خلوة(٦).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ يعني: لن أدفع عنكم/ شيئاً قضاه الله عليكم(٧). ٥٠/ب

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ قلتُ(٨): لمَّا فوَّضَ يعقوبُ أمرهُ إلى الله قضى ما في نفسه، وأتتهُ بشائرُ محبوبه بجمع شملهِ، وذلك ميراثُ الصبر الجميل، والله أعلم.

ومن آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ ... ﴿٨٣﴾ ﴾ يعني: يوسف، وابنُ يامين، وأخاهما المقيم بمصر. وقال مقاتل: أقام بمصر يهوذا وشمعون، فأراد بقوله: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ ﴾ يعني: الأربعةَ.

---

(١) انظر: زاد المسير: ١٤٨/٤.

(٢) قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ١٩٥/٤.

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. انظر: زاد المسير: ١٩٥/٤.

(٤) الغيلة: الخديعة والاغتيال. يقال: قتله غيلة، أي خدعه، فذهب به إلى موضعٍ فقتله. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٣٤٤.

(٥) قاله وهب بن منبه. انظر: زاد المسير: ١٩٥/٤.

(٦) قاله إبراهيم النخعي. انظر: زاد المسير: ١٩٥/٤..

(٧) انظر: زاد المسير: ١٩٥/٤.

(٨) هذا قول المصنف ــ رحمه الله ــ.

وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: بشدةِ حزني، أو بمكانهم. ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فيما حكم عليَّ[١].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ قلت: رُوي أنه أخرج إليهم نسخةَ الكتاب الذي كتبوه على أنفسهم من مالك بن ذُعْرٍ، وفي آخر الكتاب: وكتبَ يهوذا. فلما قرأ الكتاب اعترفوا بصحته، وقالوا: هذا كتاب كتبناه على أنفسنا عند بيع عبدٍ كان لنا. فقال يوسف عند ذلك: إنكم لتستحقون العقوبةَ. ذكره ابن عباسٍ رضي الله عنهما[٢]. وقيل: لمَّا قالوا: ﴿ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾، أدركتهُ الرحمةُ، فقال هذا/ القول[٣]. وقيل: كتب يعقوبُ إليه إن ردَدتَ ولدي، وإلاَّ دعوتُ عليك دعوةً تدركُ السابعَ من ولدِكَ، فبكى، وقال لهم هذا القولَ[٤]، والله أعلم. و ﴿ هَل ﴾ استفهامٌ لتعظيم القصةِ. قال ابن الأنباري: المعنى ما أعظم ما ارتكبتم، وما أسمح ما آثرتم من قطيعةِ الرحم وتضييع الحق، كقولك: أتدري من عصيتَ؟ هل تعرف من عاديتَ؟ وقيل: المعنى هل علمتم عُقبىَ ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله لهما من المكروه؟ وما فعِل بيوسف معلومٌ، والذي فعلوا بأخيهِ أنهم فرَّقوا بينه وبين يوسف، وآذوه بعد فقد يوسف، وقذفوه بالسرقةِ بصاع الملك[٥].

١/٥١أ

وفي قوله: ﴿ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ أقوالٌ؛ أحدها: صبيان[٦]. الثاني: مذنبونَ[٧]. والثالث: جاهلون بقطيعةِ الرَّحمِ، وموافقةِ الهوىَ. والرابع: جاهلون بما يَؤولُ إليه أمر يوسف[٨].

---

(١) انظر: زاد المسير: ٤/٢٠٧.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٥.

(٣) قاله ابن إسحاق. انظر: زاد المسير: ٤/٢١٥.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٥.

(٥) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٦.

(٦) قاله ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٤/٢١٦.

(٧) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٤/٢١٦.

(٨) ذكر ابن الأنباري القولين الثالث والرابع. انظر: زاد المسير: ٤/٢١٦.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لأنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[١] قرأ ابن كثير وأبو جعفر (أنك) على الخبر، وقرأ آخرون بهمزتين[٢]، وأدخل بعضهم بينهما ألِفاً[٣]. قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: شبَّهوا به. وقال ابن إسحاق: عرفوه. قيلَ:/ عرفوه بتبسُّمِهِ، فشبَّهوا ثناياه بثنايا يوسف[٤]. وقيل: كانت له علامةٌ كالشامةِ في قرنه[٥]، وكان ليعقوب مثلُها، ولإسحاق مثلُها، ولسارة. فلما وَضع التاجَ عن رأسه عَرَفوه[٦]. وقيل: كشفَ الحجابَ فعرفوه[٧]. وقال ابن الأنباري: إنما قال أنا يوسف، ولم يقل أنا هو تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوتهِ، فكأنه قال: أنا المظلوم، فكفى ظهورُ الاسمِ عن هذا المعنى. وقولهُ: ﴿ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾ أي: وهذا المظلوم كظلمي[٨]. وقوله: ﴿ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾ أي: بخيري الدنيا والآخرة. وقيل: بالجمع بعد الفرقةِ. وقيل: بالسلامةِ ثم بالكرامةِ. وقولهُ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ قرأ ابن كثير في روايةِ قُنبل: (من يتقي ويصبر) بياء في الوقف والوصل، وقرأ الباقون بغير ياءٍ في الحالين[٩]. قيل: معناه: من يتقِ الزنا، ويصبر على البلاء. وقيل: من

٥١/ب

---

(١) ورد نقص في نص الآية في أصل المخطوط: (قد من الله علينا)، وهذا يؤكد أن الناسخ أملى من حفظه. وقد ضبطته من نسخ المصحف الشريف.

(٢) أي على الاستفهام.

(٣) كلهم قرأ: أإنك لأنت يوسف؟ بالاستفهام، غير ابنَ كثير وأبا جعفر فإنه قرأ: (إنك لأنت يوسف)، بهمزة واحدة على لفظ الخبر. ومذهب أبي عمرو، وقالون عن نافع، وهشام عن ابن عامر تخفيف الثانية، وإدخال الألف بين الهمزتين. واختلفوا في الهمزة؛ فحمزة والكسائي وعاصم وابن عامر يهمزون بهمزتين محققتين على لفظ الاستفهام (ءَإنك)، والباقون وهم ورش وقالون وأبو عمرو، بهمزة واحدة محققة، وتسهيل الثانية حسب قاعدة الجمع بين الهمزتين. غير أن ورشاً لا يمد، بينما قالون وأبو عمر يدخلان ألفاً بين الهمزتين ويمدان. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٥١، والكشف: ٧٤/١، ١٤/٢، والنشر: باب الهمزة من كلمتين.

(٤) قاله الضحاك عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٢١٦/٤.

(٥) قرن الرجل: حد رأسه وجانبه. انظر: لسان العرب: ٣٣١/١٣، مادة (قرن).

(٦) رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٢١٦/٤.

(٧) قاله ابن إسحاق. انظر: زاد المسير: ٢١٦/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢١٦/٤.

(٩) انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٥١، والكشف: ١٨/٢، والنشر: ٢٢٣/٢، والتبصرة: ص: ٥٥٢.

يتق البلاء ويصبر على العُزوبةِ. وقيل: يتقِ الله ويصبر على المصائب. وكل هذه الأقوال لابن عباس. وروي عن مجاهد: يتق معصيةَ الله، ويصبر على السجن(١).

وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يعني: أجر من كان هذا حالهُ، والله أعلم(٢).

---

(١) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ٤/٢١٧.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٧.

أ/٥٢

/ سورة الرعد

مكيَّة[١]، وقيل: مدنيَّة[٢]، وقيل: مكية إلا آيتين؛ قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ ... ﴿٣١﴾ ﴾.. الآية، وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ... ﴿٤٣﴾ ﴾.[٣] [٤]

وفيها من آيات الصبر والتوكل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾. يعني: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على ما أُمروا به ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾، أي: طلباً لرضاه، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أتموها، ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ من الأموال في طاعة الله. قال ابن عباس [ﷺ]: يُريد الصلوات الخمس، وبالإنفاق الزكـــاة. ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ يدرؤون بالعمل الصالح الشرَّ من العمل[٥]، يدرؤون بالمعروف المنكر[٦]، وبالعفو الظلمَ[٧]، وبالحِلْمِ السفهَ[٨]، وبالتوبة الذنبَ[٩]. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ يعني: يصير إلى الجنةِ أجرُ أمرهِم[١٠].

---

(١) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن البصري وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة. انظر: زاد المسير: ٤/٢٣٠.

(٢) رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وبه قال جابر بن زيد. انظر: زاد المسير: ٤/٢٣٠.

(٣) وردت في أصل المخطوط: (يقول الذين..)، وتم ضبطها من المصحف الشريف.

(٤) رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٤/٢٣٠.

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٤/٢٤٩.

(٦) قاله سعيد بن جبير. انظر: زاد المسير: ٤/٢٤٩.

(٧) قاله جويبر. انظر: زاد المسير: ٤/٢٤٩.

(٨) قاله ابن قتيبة. انظر: زاد المسير: ٤/٢٤٩.

(٩) قاله ابن كيسان. انظر: زاد المسير: ٤/٢٤٩.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤/٢٤٨.

٥٢/ب

وقوله:/ ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ ﴾. قرأ ابن أبي عبلة: (صلُحَ) بضم اللام، وذلك أن الله تعالى ألحق بالمؤمن أهلَهُ المؤمنين إكراماً له، لتقرَّ عينُهُ بهم. ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ قال الزَّجَّاج: أضمر القول ههنا لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي هذا السلام قولان؛ **أحدهما:** أنه التحيةُ، والتحية التُّحفَةُ والهدايا(١)، **والثاني:** أن المعنى السلامة عليكم، فالسلام جمع السلامة(٢). وقيل: تبشِرُهمُ الملائكة أن الله سلَّمكم من أهوال القيامة وشرِّها بصبركم في الدنيا. وفيما صبروا عليه أقوال؛ **أحدها:** فضول الدنيا(٣)، **والثاني:** الدَيْن، **والثالث:** الفقر(٤)، **والرابع:** فقد المحبوب(٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ۝٣٠ ﴾. لما قال رسول الله ﷺ لكفار قريش: اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن؟ فنزلت(٦). وقيل: لما كتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية(٧) ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال سهيل بن عمرو: وما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، فنزلت(٨). ﴿ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ قال أبو عبيدة: وهو مصدر تُبْتُ / متاباً(٩)(١٠)، والله أعلم.

٥٣/أ

---

(١) قاله ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٢٤٨/٤.

(٢) يجوز أن يكون السلام جمع السلامة. انظر: لسان العرب: ٢٨٩/١٢، مادة (سلم).

(٣) قاله الحسن. انظر: زاد المسير: ٢٤٩/٤.

(٤) القول الثاني والثالث رويا عن أبي عمران الجوني. انظر: زاد المسير: ٢٤٩/٤.

(٥) قاله ابن زيد. انظر: زاد المسير: ٢٤٩/٤.

(٦) هذا قول الضحاك عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٢٥٢/٤.

(٧) انظر: سيرة ابن هشام: ٣٣٢/٤، وزاد المسير: ٧٢/٥.

(٨) قاله قتادة وابن جريج ومقاتل. انظر: زاد المسير: ٢٥٢/٤.

(٩) تاب إلى الله يتوب توباً وتوبة ومتاباً. أي أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة. انظر: لسان العرب: ١/ ٢٣٣، مادة (توب).

(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٣٢٦/٩، وزاد المسير: ٢٥٢/٤.

سورة إبراهيم عليه السلام

مكيَّة في قول الأكثرين[١]، وقيل فيها آيتان من المدني: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ الآية، والتي بعدها.

وفيها من آيات الصبر والتوكل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ أي: كثيرِ الصبر[٢].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يعني: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ ﴾ أي: اعترفوا لهم بذلك لما قالوا: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا [تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ] وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ [٣] ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ بالنبوَّة والرسالة، ﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ليس ذلك من قِبَلِ أنفسنا.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ قولان؛ أحدهما: بَيِّنْ لنا رُشدَنا، والثاني: عَرِّفْنَا طريق التوكل. وإنما قُصَّ هذا ومثلُهُ على رسول الله ﷺ ليقتدي / بمن قبلهُ في الصبر، وليعلم ما جرى لهم فيزداد صبراً[٤]، والله أعلم.

٥٣/ب

---

(١) روي عن ابن عباس وقتادة. انظر: زاد المسير. ٤/٢٦٢.

(٢) انظر: زاد المسير. ٤/٢٦٤.

(٣) ما بين الحاصرتين من تتمة الآيتين ليس في أصل المخطوط. وقد تمَّ ضبطه من المصحف الشريف.

(٤) انظر: زاد المسير. ٤/٢٦٧.

سورة الحجرِ

مكيَّةٌ كلها بغير خلافٍ(١).

وفيها من الآيات المتضمنة للصبر والنصر والظفَر على الأعداء والثقة بالله تعالى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ قيل: معناه فامضِ لما تؤمرُ(٢)، وأظهر أمرك(٣)، واصدع الباطلَ بحقك(٤). وقيل: المراد به الجهرُ بالقرآن في الصلاة(٥). قال موسى ابن عبيدة: مازال رسول الله ﷺ مستخفياً حتى نزلت: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ فخرج هو وأصحابه(٦).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أقوالٌ؛ قيل: معناه اُكففْ عن حربهم(٧). وقيل: لا تبالِ بهم، ولا تلتفت إلى لومهم على إظهار أمرك. وقيل: أعرض عن الاهتمام باستهزائهم. والأكثرون على أن هذا / القدر من الآية منسوخٌ بآيةِ السيف(٨). ٥٤/أ

---

(١) انظر: زاد المسير. ٤/٢٨٩.

(٢) قاله ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٠.

(٣) رواه الليث عن مجاهد. انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٠.

(٤) قاله ابن قتيبة. انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٠.

(٥) رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٠.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٠.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٠.

(٨) قال أبو جعفر النحاس: لم نجد فيها مما يدخل في هذا الكتاب: (أي النسخ) إلا حرفين؛ قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر]، قال سعيد عن قتادة: نسخته: ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾ [البقرة: ١٩١]. والحرف الأخير: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ روي عن ابن عباس قال: نسخته براءة والأمر بالقتال. انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ص: ٥٣٩، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ص: ٢٨٥، وزاد المسير: ٤/٣٢٠.

وقولهُ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ يعني: قوماً كانوا يستهزؤون به وبالقرآن. قيل: كانوا خمسةً؛ الوليدُ بن المغيرة، وأبو زمعةَ، والأسودُ بنُ عبد يغوث، والعاصُ بن وائل، والحارث بن قيس، قالهُ ابن عباس رضي الله عنهما(١). وقيل: كانوا سبعة؛ ذُكِرَ منهم: أصرمُ، وبعكلُ ابنا عبد الحارث بن السبّاق، والعاصُ بن وائل، والوليدُ بن المغيرة، والحارث بن عدي، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث(٢).

---

(١) انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٠.

(٢) قاله الشعبي ومقاتل وابن أبي بزة، وعدَّهم ابن أبي بزة فقال: الحارث بن عدي بدلاً من الحارث بن قيس.
انظر: زاد المسير: ٤/٣٢١.

فصل

يتضمن ذكر ما أهلكهم الله تعالى به، فكفى رسوله أمرهم.

قال المفسِّرون: أتى جبريلُ رسول الله ﷺ والمستهزؤون يطوفون بالبيت، فمرَّ الوليد بن المغيرة، فقال: يا محمد كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله. قال: كفيتَ، وأولى إلى ساق الوليد، فمرَّ الوليد على رجلٍ يُرَيِّشُ نَبْلاً له، فتعلقت شظيَّة[١] من نَبْلٍ[٢] بإزاره، فمنعه الكِبْرُ أن يُطامِن[٣] لينتزعها، وجعلت تضرب/ ساقه، فمرض ومات. ٥٤/ب

ومرَّ العاص بن وائل فقال: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: بئس عبد الله، فأشار إلى أخمص[٤] رجله، وقال: قد كفيتَ، فدخلت شوكةٌ في أخمصه فانتفخت رجله ومات.

ومرَّ الأسود بن المطلب، فقال: كيف تجد هذا؟ فقال: عبد سوء، فأشار بيده إلى عينيه فعمي وهلك. وقيل: جعل ينطحُ برأسه الشجر، ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه فقال غلامه: لا أرى أحداً يصنع بك هذا غير نفسك، فمات وهو يقول: قتلني ربُّ محمد.

ومرَّ الأسود بن عبد بن يغوث فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله، قال: قد كفيت، فأصاب عينيه شوك، فسالت حدقتاه، وقيل: خرج عن أهله، فأصابه السَّمومُ، فاسودَّ، حتى عادَ حبشياً. فلما أتى أهله لم يعرفوه، وأغلقوا دونه الباب حتى مات.

---

(١) الشظية: القوس. لأن خشبها شظيت، أي فُلِقَت. انظر: لسان العرب: ٤٣٣/١٤، مادة: (شظي).

(٢) النَّبْلُ: السهام. وقيل: السهام العربية. وهي مؤنثة لا واحد له من لفظه. فلا يقال: نبلة. بل الصحيح أنه لا واحد له إلا السهم. انظر: لسان العرب: ٦٤٢/١١، مادة: (نبل).

(٣) يقال: طامن ظهره إذا حنى ظهره ــ بغير همز ــ وطَمَنَ غير مستعمل في الكلام. انظر: لسان العرب: ٢٦٨/١٣، مادة: (طمن).

(٤) الأخمص: باطن القدم وما رق من أسفلها وتجافى عن الأرض. وهو الموضع الذي لا يَلصَق بالأرض منها عند الوطء. انظر: لسان العرب: ٣٠/٧، مادة: (خمص).

ومرَّ به الحارث بن قيس فقال: كيف تجد هذا؟ فقال: عبد سوءٍ، فأومأ إلى رأسه وقال: كفيت هذا، فأصابه العطشُ، فلم يزل يشرب الماء حتى انقدَّ[١] بطنُهُ. وأما أصرمُ وبعكلُ أخذت أحدهما الذبيلةُ[٢]، والآخرَ ذاتُ/ الجنب[٣]، فماتا جميعاً[٤]. | ٥٥/أ

قال عكرمةُ: هلك المستهزؤون قبل بدر، وقال ابن السائب: هلكوا جميعاً في يوم وليلة[٥]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: من الاستهزاء والتكذيب.

وقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: قل سبحان الله وبحمده[٦]، والثاني: فصلِّ بأمر ربِّك[٧]. ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ من المصلين. وعن ابن عباس: كن من المتواضعين[٨]. ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ أمره بالإقامة على العبادة ما دام حيّاً[٩]. وقيل: حتى يأتيك الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، حكاه الماوردي[١٠]، والله أعلم.

---

(١) القُدُّ: القطع المستأصل والشَّقُّ طولاً. قال ابن دريد: هو القطع المستطيل. انظر: لسان العرب: ٣/٣٤٤، مادة: (قدد).

(٢) الدُّبَيلة: داء يجتمع في الجوف. وهي خُرَاج ودُمَّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً، وهي تصغير دُبّله. والدبيلة: الداهية والهالكة. انظر: لسان العرب: ١١/٢٣٥، مادة: (دبل).

(٣) ذات الجنب: هي قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه. وهي علة صعبة قَلَّما يسلم صاحبها. وقال ابن شميل: ذات الجنب هي: الدبيلة وهي علة تثقب البطن وربما كنوا عنها. فقالوا: ذات الجنب. وفي الحديث الشريف: ((المجنوب في سبيل الله شهيد)). انظر: لسان العرب: ١/٢٨١، مادة: (جنب).

(٤) انظر: زاد المسير: ٤/٣٢١ــ٣٢٢.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/٦٢، وتفسير البغوي: ٣/٤١٣ــ٤١٥.

(٦) قاله الضحاك. انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٢.

(٧) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٢.

(٨) كذا روي عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٢.

(٩) قاله الزجاج. انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٢.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤/٣٢٢.

سورة النحل

مكيَّة إلا قوله: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .. الآيات. نزلت بالمدينة في شهداء أُحد(١). ولمَّا نزل ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ وثبَ عليه السلامُ قائماً، فلما قال: ﴿ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾ سكنَ(٢).

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ معنى ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ ﴾ أي:/ في الدنيا وما فيها يفنى. قرأ ابن كثير وأبو جعفر وعاصم ﴿ بَاقٖ ﴾ بالنون، والباقون بالياء(٣). ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ على الوفاء بما عاهدوا في السراءِ والضراءِ. وعن أبي موسى الأشعري [ﷺ]أن رسول الله ﷺ قال: ((من أحب دُنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحب آخرتهُ أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى لما يفنى))(٤).

٥٥/ب

وقوله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ... ﴿٩٧﴾ ﴾ قيل: الحياة الطيبة هي الرزق الحلال(٥). وقيل: القناعة(٦). وقيل: العيش في الطاعة(٧). وقال أبو بكر الوراق: حلاوة الطاعةِ(٨). وقال إبراهيم بن أدهم: لو علم الملوك وأبناءُ الملوك ما نحن فيه لجالدونا(٩) عليه بالسيوف. وقيل:

---

(١) رواه مجاهد وعطية وابن أبي طلحة عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٣٢٣/٤.

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٣٢٤/٤.

(٣) انظر: الكشف: ٤٠/٢، النشر: ١٠٢/٢.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٤٤٧/٣.

(٥) رواه أبو مالك عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٣٧٢/٤.

(٦) قاله علي بن أبي طالب وابن عباس في رواية، والحسن في رواية، ووهب بن منبه. انظر: تفسير البغوي: ٤٤٨/٣، وزاد المسير: ٣٧٢/٤.

(٧) قاله مقاتل بن حيان. انظر: تفسير البغوي: ٤٤٨/٣.

(٨) قاله سعيد بن جبير. انظر: تفسير البغوي: ٤٤٨/٣، وزاد المسير: ٣٧٢/٤.

(٩) أي ضاربونا: والمجالدة: المبالطة. وتجالد القوم بالسيوف: تضاربوا بالسيف في القتال. انظر: لسان العرب: ١٢٥/٣، مادة: (جلد).

الحياة الطيبةُ الجنةُ[١]. وقال الحسنُ: لا تطيب الحياة لأحدٍ إلا في الجنةِ[٢]. وفي الحديث ((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة)).[٣] وقال: ((لا راحة لمؤمنٍ دون لقاء ربهِ)).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ أي: جاهدوا مِن بعد ما فتنهم الكفار، ثم جاهدوا وصبروا على الإيمان والهجرة/ والجهاد، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي: من بعد تلك الفتنة ﴿ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرضاعة، وفي جَندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبد الله بن أُسيد الثقفي، فتنهم المشركون فأعطوهم بعضَ ما أرادوا ليسلَموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك، وجاهدوا[٤]. وقيل: نزلت في عبد الله ابن سعدِ بن أبي سرح، وكان يكتبُ للنبي ﷺ فاستزلَّهُ الشيطانُ، فلحقَ بالكفار، فأمر النبي ﷺ بقتله يومَ فتح مكة، فاستجاره عثمان، وكان أخاه لأمه، فأجاره رسولُ الله ﷺ وحسُنَ إسلامُهُ. فأنزل الله هذه الآية[٥]. | ٥٦/أ

---

(١) قاله مجاهد وقتادة. انظر: تفسير البغوي: ٤٤٨/٣.

(٢) رواه عوف عن الحسن البصري. انظر: تفسير البغوي: ٤٤٨/٣.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك ﷺ قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمـــداً على الجهاد ما حيينا أبداً.

فأجابهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة.

كتاب مناقب الأنصار، باب دعاء النبي ﷺ، أصلح الأنصار والمهاجرة: ٥٩٩/٤، رقم الحديث: ٣٧٩٦. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب رقم: ٣٣٦٦. وقد ورد على لسانه شعراً، ولم يقله بقصد الشعر، ومثله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فالرسول ﷺ لم يقل الشعر، لأنه ليس بشاعر، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحاقة].

(٤) قاله مقاتل: انظر: زاد المسير: ٣٧٩/٤.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٤٥٢/٣، وزاد المسير: ٣٧٩/٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ هذه الآيات نزلت بالمدينةِ في شهداء أُحد،/ وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير[1] البطون، والمثلة السيئة، حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مُثِّل به غير حنظلة بن الراهب، فإن أباه أبا عامر بن الراهب كان مع أبي سفيان، فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدنَّ على صنيعهم، ولنمثِّلنَّ بهم مُثْلَةً لم يفعلها أحد من العرب بأحد. فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب، وقد جذعوا أنفه وأذنه، وقطعوا مذاكيره[2]، وبقروا بطنه، فلما نظر رسول الله ﷺ إلى عمه حمزة نظر إلى شيءٍ لم ينظر إلى شيءٍ قطُّ كان أوجع لقلبه منه، فقال عليه الصلاة والسلام: ((رحمة الله عليك، ما كنت إلا فاعلاً للخيرات، وصولاً للرحم، ولولا حزن مَن بعدك عليك لسرَّني أن أدعك حتى تحشرَ من أفواج شتَّى. أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثِّلنَّ بسبعين منهم مكانك، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ فقال رسول الله ﷺ:/ بل نصبر. فأمسك عمَّا أراد، وكفَّر عن يمينه))[3]. قيل: هذه الآية ببراءة[4]، وقيل: بل هي محكمة[5]، نزلت فيمن ظُلِم بظُلامةٍ، فلا يجوز أن يُنال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه.

٥٦/ب

٥٧/أ

---

(١) أصل البقر: الشق والفتح والتوسعة. ومنه حديث أم سلمة: إن دنا مني من المشركين أحد بقرت بطنه: أي شقته وفتحته. انظر: لسان العرب: ٤/٧٤.

(٢) الذكر: العضو المعروف والجمع ذُكور ومذاكير على غير قياس، وهو من الجمع الذي ليس له واحد وجمعه الذكارة، ومن أجله يسمى ما يليه المذاكير ولا يفرد. انظر: لسان العرب: ٤/٣١١.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٥٨، وزاد المسير: ٤/٣٨٧.

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد. انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٥٢.

(٥) قاله النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين والشعبي: انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٥٩، وزاد المسير: ٤/ ٣٨٧.

ثم قال لنبيِّه ﷺ : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[1] أي: بمعونة الله وتوفيقه، ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ في إعراضهم عنك، ولا تحزن عليهم فيما فعلوا من الأفاعيل. قرأ ابن كثير هنا وفي النمل: (ضِيق)[2] بكسر الضاد من الشدة في قلة المعاش والمساكن. وأما ما كان في الصدر فإنه بالفتح، ذكره أبو عبيد. كما قرأ الباقون (كأنه قال): ﴿ وَلَا تَكُ فِي ﴾ أمرٍ ضيِّقٍ من مكرهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ المناهي، ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ بالعون والظفر والنصر[3]، والله أعلم.

---

(١) وردت الآية في أصل المخطوط: (اصبر وما..)، وتمَّ ضبط النص من المصحف الشريف.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة النمل]، قرأ ابن كثير وفي روايتين عن نافع مثله بكسر الضاد في هذين الموضعين. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٧٦، والكشف: ٢/٤١، والنشر: ٢/٢٢٩.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٥٩، وزاد المسير: ٤/٣٨٨.

سورة بني إسرائيل

مكية[١]، وفيها من الآيات المتضمنة للصبر قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ... ﴿١١٠﴾ ﴾ قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة، فجعل يقول في سجوده: ((يا رحمن))، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا، وهو يدعو إلهين، فأنزل الله تعالى هذه/ الآية[٢]. ومعناه: أنهما اسمان لواحد.

٥٧/ب

وقوله تعالى: ﴿ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ (ما) صلةٌ، معناه: أياً ما تدعوا من هذين الاسمين فله الأسماء الحسنى[٣]. وجواب الشرط محذوفٌ تقديره: أيُّ الاسمين دعوتم جاز. قرأ عاصم: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ... ﴿١١٠﴾ ﴾ بكسر اللام والواو، وقرأ يعقوب بكسر اللام وضم الواو، وقرأ الباقون بضم اللام والواو.[٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت ورسول الله ﷺ مختفيٌ بمكة، كان إذا صلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبُّوا القرآن. يعني: لا تجهر بقراءتك في صلاتك، فيسمع المشركون فيسبُّوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك[٥]. وعن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ يعني: أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن. وقيل: أنزل ذلك في الدعاء، روي هذا عن عائشة رضي الله عنها[٦]. والمخافتة: خفض الصوت. ﴿ وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ ﴾

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣/٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ٧٢/٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٥٣٦/٣.

(٤) قرأ عاصم وحمزة بكسر اللام والواو: (قلِ)، (أوِ)، والباقون بضمهما. وروى عباس عن أبي عمرو بكسر اللام وضم الواو وهو مذهب يعقوب. وروى غيره عن أبي عمرو ضمهما. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٨٦، والنشر: ٢٣٢/٢، والقراءات العشر المتواترة: ص: ٢٩٣.

(٥) انظر: زاد المسير: ٧٢/٥.

(٦) وهو قول أبي هريرة ومجاهد. انظر: زاد المسير: ٧٣/٥.

أي: بين الجهر والإخفاء ﴿ سَبِيلًا ﴾. وعن أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي بكر ﷺ ((مررت بك وأنت تقرأ القرآن/ وأنت تخفض من صوتك، فقال: إني أسمعت مَن ناجيت، فقال: ارفع قليلاً)). وقال لعمر: ((مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت ترفع من صوتك، قال: إني إيقظ الوسنان وأطرد الشيطان، قال: اخفض قليلاً))[١].

٥٨/أ

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ أمر الله نبيَّه ﷺ بأن يحمَدَه على وحدانيته. ومعنى الحمد: هو الثني على المحسن بما هو أهله. قال الحسين بن الفضل: يعني الحمد لله الذي عرَّفني أنه لم يتخذ ولداً.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ قال ابن عباس [ﷺ]: قال رسول الله ﷺ : ((أول مَن يُدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء)). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((الحمد رأس الشكر، ما شكر اللهَ عبدٌ لا يحمده)). وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أفضل الدعاء الحمد لله، وأفضل الذكر لا إله إلا الله))[٢] وعن سَمُرَة بن جُندب قال: قال رسول الله ﷺ : ((أحب الكلام إلى الله أربع: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان/ الله والحمد لله لا يضرُّك بأيِّهُنَّ بدأت))،[٣] والله أعلم[٤].

٥٨/ب

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٥٣٧/٣.

(٢) أخرج الترمذي وابن ماجه بسنديهما عن جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم. وقد روى علي بن المديني وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث. انظر: سنن الترمذي: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة: ٤٣١/٥، رقم الحديث: ٣٣٨٣، وسنن ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين: ١٢٤٩/٢، رقم الحديث: ٣٨٠٠.

(٣) أخرجه أحمد بسنده بلفظ: ((أحب الكلام إلى الله تبارك وتعالى أربع: لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت، ولا تسمينَّ غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح، فإنك تقول: أثمَّ هو فلا يكون، فتقول: لا، إنما هي أربع فلا تزيدن عليَّ)). إسناده صحيح. المسند: ١٥٩/١٥، رقم الحديث: ٢٠١٢١. وأخرجه ابن ماجه بسنده عن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((أربع أفضل الكلام لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)). سنن ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل التسبيح: ١٢٥٣/٢، رقم الحديث: ٣٨١١.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٥٣٨/٣.

سورة الكهف

مكيَّة[١]. قال رسول الله ﷺ : ((من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت الحرام)).

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ يعني: يريدون الله لا سواه. نزلت هذه الآية في أصحاب الصفَّة[٢]، وكانوا سبعمئة رجل، فُقَرَاء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضَرع[٣]، يصلُّون صلاةً، وينتظرون أخرى. فلمَّا نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: ((الحمد لله الذي جعل في أمتي مَن أصبر معهم))[٤].

وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ... ﴾ أي: ذو النعمة.

وقوله: ﴿ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ ﴾ يعني: لو يؤاخذ الكفار بما كسبوا من الذنوب ﴿ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ ﴾ في الدنيا.

وقوله: ﴿ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ ﴾ يعني: البعثَ والحسابَ.

---

(١) رواه أبو صالح عن ابن عباس، وكذلك قال الحسن ومجاهد وقتادة، وهو إجماع المفسرين. انظر: زاد المسير: ٧٥/٥.

(٢) قاله قتادة. انظر: تفسير البغوي: ٥٦٣/٣. والصفة: واحدة صفف الدار؛ قال الدارقطني: هي ظُلَّةٌ كان المسجد في مؤخرها. انظر: معجم البلدان: ٤١٤/٣.

(٣) يعني بالضرع الشاة والناقة إشارة إلى لبنها. يقال: ضرع الشاة والناقة: مَدَرٌ لبنها. والجمع ضروع. انظر: لسان العرب: ٢٢٢/٨.

(٤) أخرج أبو داود في سننه: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العرى، وقارئ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ فسلم، ثم قال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا يا رسول الله إنه كان قارئ لنا يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: ((الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم)). قال: فجلس رسول الله ﷺ وَسَطَنَا لِيَعْدِلَ بنفسه فينا. ثم قال بيده: هكذا، فتحلقوا، وبرزتْ وجوههم له، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ عَرَف منهم أحداً غيري. فقال رسول الله ﷺ: ((أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذاك خمسمئة سنة)). انظر: سنن أبي داود كتاب العلم، باب في القصص: ٣٢٣/٣، رقم الحديث: ٣٦٦٦، وتفسير البغوي: ٥٣٨/٣.

وقوله: ﴿ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾: ملجأً.

وقوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾/ أي: | ٥٩/أ |

أجلاً. قرأ أبو بكر بفتح الميم واللام: (لمَهْلَكِهِم)، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام. وكذلك في النمل: ﴿ مَهْلِكَ أَهْلِهِۦٓ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: لوقت هلاكهم. وقرأ الآخرون بضمِّ الميم وفتح اللام[1].

وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الأكثرون من العلماء على أنه موسى بنُ عمران عليه السلام. وقال بعضهم: هو موسى بن ميشا من أولاد يوسف. قال سعيد بن جُبير: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدوُّ الله. حدَّثنا أبيُّ بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئِلَ أيُّ الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين، فكان من شأنهما ما قصَّ الله في كتابه))[2]، والله أعلم. قال قتادة: أراد بمجمع البحرين بحر فارس[3] والروم[4] مما يلي المشرق. وقال محمد بن كعب: طنجة[5]. وقال أبيُّ بن

---

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم واللام الثانية: (لمَهلَكِهم). وروى حفص عن عاصم: بكسر اللام: (لِمَهلِكهم)، والباقون: بضم الميم وفتح اللام: (لمُهلَكهم). انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٩٣، والكشف: ٦٥/٢، والنشر: ٢٣٤/٢، والقراءات العشر المتواترة: ص: ٣٠٠. وانظر: تفسير البغوي: ٥٧٩/٣.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٥٨٠/٣. وقصة الخضر مع موسى بطولها، أخرجها البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله:٤٧/١، رقم الحديث: ١٢٢. وكتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام: ٤٧٧/٤، رقم الحديث: ٣٤٠١. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر: رقم الحديث: ٤٣٨٥.

(٣) بحر فارس شعبة من بحر الهند الأعظم، وهو فوه دجلة التي تصب فيه. انظر: معجم البلدان: ٣٤٣/١.

(٤) بحر الروم أحد بحار عدَّة، جميعها واحد؛ كبحر الأندلس والمغرب والإسكندرية والشام والقسطنطينية والإفرنج والروم. وليس لهذا اتصال ببحر الهند إلا أن يكون من جهة المحيط. انظر: معجم البلدان: ٣٤٥/١.

(٥) طنجة: مدينة عامرة خصبة على ساحل بحر المغرب، مقابل الجزيرة الخضراء، وهي على ظهر جبل، وماؤها يجري إليهم في قناة من موضع لا يعرفون منبعه، وهي آخر حدود إفريقية. انظر: معجم البلدان: ٤/ ٤٣.

كعب: أفريقيا[١]. و(فتاهُ): يُوشعُ بن نون. ﴿ لَآ أَبۡرَحُ ﴾ أي: لا أزال أسير/ ﴿ حَتَّىٰٓ ٥٩/ب
أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ ﴾ والحقب ثمانون سنةً[٢]. فحملا ماءً وسمكةً مالحةً، حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً، وعندها عين ماءٍ تُسمَّى (ماء الحياة)، لا يصيب ذلك الماء شيئاً إلا حَيِيَ. فلما أصاب السمكةَ رَوحُ[٣] الماء وبرده اضطربت في المِكْتَلِ[٤] فعاشت ودخلت البحر، فذلك قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا ﴾ يعني: موسى وفتاه ﴿ مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا ﴾ أي: بين البحرين[٥]. وقوله: ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ فإن قلت: إنما كان الحوتُ مع يُوشَع وهو الذي نسيه، فكيف أضاف النسيان إليهما؟ قلنا: لأنهما تزوداه معاً لسفرهما، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ۝٦١ ﴾ يعني: فاتخذ الحوتُ. وعن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((انجاب الماء عن مسلك الحوت لا يمسُّ شيئاً من البحر إلا يبس حتى صار صخرةً)) [٦]. وقال الكلبي: توضأ يُوشَعُ من عين الحياة، فانتضح[٧] على الحوت المالح في المِكتل من ذلك الماء، فعاش ثم وثب في ذلك الماء، فجعل لا يضرب بذنَبِه شيئاً من الماء إلا يَبِسَ[٨].

---

(١) إفريقية: اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس. والجزيرتان في شماليها، والأندلس منحرفة عنها إلى جهة المغرب. وسميت بإفريقية نسبة إلى إفريقيس من نسل قحطان الذي اختطها حين غزا المغرب فانتهى إلى موضع واسع رحيب، كثير الماء. فأمر أن تبنى هناك مدينة وسماها اشتقاقاً من اسمه. ثم نقل إليها الناس، وهي المعروفة اليوم بتونس. وقيل: سميت بإفريقية لأنها فرقت بين مصر والمغرب. انظر: معجم البلدان: ٢٢٨/١.

(٢) وهو قول الفراء والأزهري. وجمعه أحقاب وأحُقب انظر: لسان العرب: ٣٢٦/١، مادة: (حقب).

(٣) روج: سرعة واختلاط الماء. انظر: لسان العرب: ٢٨٥/٢، مادة: (روج).

(٤) أصل المكتل: الزبيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين. وقيل: المكتل شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعاً. انظر: لسان العرب: ٥٨٣/١١، مادة: (كتل).

(٥) قال قتادة وغير واحد: هما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب. وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة في أقصى بلاد المغرب. انظر: تفسير ابن كثير: ٩٢/٣، وفيه قولان: إفريقيا، قاله أبيّ بن كعب، وطنجة، قاله محمد بن كعب القرظي. وانظر: زاد المسير: ١٢١/٥.

(٦) قاله ابن عباس. انظر: زاد المسير: ١٢٢/٥.

(٧) نضح: أي رش. انظر: القاموس المحيط: ص: ٣١٣.

(٨) انظر: تفسير البغوي: ٥٨٢/٣ــ٥٨٣.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾/ يعني: ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، ﴿ قَالَ ﴾ | ٦٠/أ
موسى ﴿ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ يعني: طعامنا، والغَداء ما يُعدُّ للأكل غُدوة[١]، والعَشاء ما يُعدُّ للأكل عشيةً[٢]. وقوله: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ أي: تعباً وشدة، وذلك أنه أُلقيَ على موسى الجوعُ بعد مجاوزة الصخرة ليتذكر الحوتَ، ويرجع إلى مطلبه. فقال له فتاه: وتذكَّر قولَه: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ وهي صخرة كانت بالموضع الموعود. قال معقل بن زياد: وهي الصخرة التي دون نهر الزنيت[٣]، فإني تركت الحوت وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليُدرك موسى ليخبره، فنسي، فمكثا يومهما حتى صلَّيا الظهر من الغد. قيل: في الآية إضمار تقديره: نُسِّيتُ أن أذكر لك أمر الحوت. ثم قال: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ أي: وما أنسانيه أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان. وقوله: ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ قيل: هذا من قول يوشع. وقيل: من قول موسى، فكان للحوتِ سرباً[٤]، ولموسى ولفتاه عجباً.
قال ابن زيد: أيُّ شيءٍ أعجب من حوت/ يؤكل منه دهراً، ثم صار حيّاً بعد ما أُكِل | ٦٠/ب
بعضُهُ؟[٥]

﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ أي: نطلبُ.

قوله: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا ﴾، أي: رجعا يقتصَّان الأثر الذي جاءا منه يتبعانه.

---

(١) الغُدوة: وجمعه أغدية. وتغدى أكل أول النهار. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٦٩٨.
(٢) طعام العشاء: وجمعه أعشية. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٦٩١.
(٣) في تفسير البغوي: (نهر الزيت). ٣/٥٨٣.
(٤) السَّرَب بالتحريك: الحفير تحت الأرض، والقناة يدخل منها الحائط، والماء يصب في القرية ليبتل سيرها، والماء السائل (سَرَب). انظر: القاموس المحيط: ص: ١٢٣.
(٥) انظر: تفسير البغوي: ٣/٥٨٣ــ٥٨٤.

قوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ قيل: كان مَلَكاً من الملائكة. والصحيح أنه الخضر، واسمه: بليَا بن مُلكان من نسل بني إسرائيل(١). وقيل: من أبناء الملوك الذين يزهدون في الدنيا. والخضر لقبٌ له، سُمِّيَ بذلك لمَا روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إنما سُمِّيَ الخضر لأنه كان إذا جلس على فروةٍ فإذا هي تهتزُّ تحته خضراء))(٢). وقال مجاهد: سُمِّيَ خضراً لأنه كان إذا صلَّى اخضرَّ ما حوله(٣). قيل: لقِيَه موسى مسجَّىً (٤) ثوباً فسلَّم عليه، فقال الخضر: وأنا بأرضك السلام. قال: أنا موسى أتيتك لتعلمني مما عُلِّمْتَ رشداً. وقيل: لقِيَه مسجىً ثوباً مستلقياً على قفاه، بعض الثوب تحت رأسه، وبعضُه تحت رجليه. وقيل: لقِيَه وهو يصلِّي. وقيل: لقِيَه وهو على طنفسة(٥) خضراء على كبد البحر، فذلك قوله تعالى:

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾/ أ/٦١

أي: علم الباطن إلهاماً. ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر العلماء(٦).

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين (رَشَداً)، وقرأ الآخرون بضم الراء

---

(١) ذكره أحمد بن علي النيسابوري. انظر: زاد المسير: ١٢٣/٥.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((إنما سمي الخضر: أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء)). كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام: ٤٧٩/٤، رقم الحديث: ٣٤٠٢. وفي سنن الترمذي: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فاهتزت تحته خضراء)). حديث حسن صحيح غريب. كتاب في تفسير القرآن، باب ومن سورة الكهف: ٢٩٣/٥، رقم الحديث: ٣١٥١. وفي مسند أحمد: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في الخضر قال: ((إنما سمي خضراً أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تحته تهتز خضراء)): ١٧٧/٨، رقم الحديث: ٨٠٩٨. والفروة: جلدة وجه الأرض، ووصفها بالبياض لخلوها عن النبات.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٢٤/٥.

(٤) مسجى: أي مغطى: سجى يُسجى كله. غطى شيئاً ما. وفي الحديث: لما مات ﷺ سجي ببُرْدٍ حِبَرَة، أي غُطي. والمتسجي: المتغطي من الليل الساجي، لأنه يغطي بظلامه وسكونه. انظر: لسان العرب: ٣٧١/١٤.

(٥) الطُّنفسة: النمرقة فوق الرحل، وجمعها طنافس. وقيل: هي البساط الذي له خَمْلٌ رقيق. انظر: لسان العرب: ١٢٧/٦.

(٦) في المسألة قولان ذكرهما أبو بكر بن الأنباري. انظر: زاد المسير: ١٢٤/٥، وتفسير البغوي: ٥٨٤/٣.

وسكون الشين[١]. ومعنى ﴿ رُشْدًا ﴾: صواباً. وقيل: علماً ترشدني به. وفي بعض الأخبار أنه لما قال له الخضر: كفى بالتوراةِ علماً، وببني إسرائيل شُغلاً، فقال موسى: إن الله أمرني بهذا، فحينئذٍ ﴿ قَال ﴾ الخضر: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ ﴾ وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكرةً، ولا يجوز للأنبياءِ أن يصبروا على المنكرات. ثم بيَّنَ عُذْرَهُ في ترك الصبر فقال: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨ ﴾ أي: علماً. ﴿ قَالَ ﴾ موسى عليه السلام: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه الصبر[٢]. ﴿ وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ ﴾ أي: لا أخالفك فيما تأمرني. ﴿ قَالَ ﴾ الخضرُ: ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠ ﴾ أي: فإن صحبتني، جعل الاختيار في الصحبةِ إلى موسى عليهما السلام وشرط عليه أن لا يعترض عليه حتى يبتدأ بذكره، فيبيِّنَ له شأنهُ. فانطلقا يمشيان على الساحل يطلُبان سفينةً/ يركبانها، فقال أهل السفينةِ: هؤلاءِ وجوهُ الأنبياءِ، فحملوهُم بغير نولٍ[٣]، فلمَّا لجؤوا البحرَ أخذ الخضر فأساً فخرق لوحاً من السفينةِ، فذلك قوله تعالى: ٦١/ب

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ ﴾ موسى لـــه: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ قرأ حمزة والكسائي (ليغرق أهلُها) بالياء وفتحها، وفتح الراء، وأهلُها بالرفع على اللزوم[٤]. وقرأ الآخرون بالتاء مرفوعةً، وكسر الراء[٥]، ونصب أهلها على أن الفعل للخضر.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي (رُشْداً) بضم الراء وسكون الشين. وقرأ ابن عامر (رُشُداً) بضم الراء والشين. وفي رواية عن ابن عامر (رُشْداً) مثل الجمهور. وقرأ أبو عمرو ويعقوب (رَشَداً) بفتح الراء والشين. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٩٤، والكشف: ٦٦/٢، والنشر: ٢٣٤/٢، والقراءات العشر المتواترة: ص: ٣٠١

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٥٨٥/٣.

(٣) أي بغير أجر ولا جُعْل. وهو مصدر ناله ينوله إذا أعطاه. انظر: لسان العرب: ٦٨٣/١١.

(٤) أي: أنه فعل لازم غير متعدٍ لا يحتاج لمفعول، و(أهلُها) الفاعل.

(٥) انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٩٥، الكشف: ٦٨/٢، والنشر: ٢٣٥/٢، والقراءات العشر المتواترة: ص: ٣٠١.

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾. أي: منكراً اشتد أمره[١]. وقيل أمراً عجباً[٢]. وروي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها ماء. وروي أن موسى لمَّا رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرقَ. وروي أن الخضر أخذ قدحاً من زُجاج ورقع به خرق السفينة.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ قال رسول الله ﷺ : كانت الأولى من موسى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: لا تكلفني مشقةً أي: لا تضيِّق عليَّ أمري، وعاملني باليسر[٤].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ لمَّا خرجا من البحر انطلقا/ يمشيان فمرَّا بغلمان يلعبون، فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً[٥] فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين. قال السُدِّي: كان وجهُهُ يتوقدُ حُسْنَاً. وقيل: أخذ برأسهِ فاقتلعهُ بيده. وقيل: رضخ[٦] رأسه بالحجارة. وقيل: ضرب رأسه بالجدار فقتله. والأكثرون

أ/٦٢

---

(١) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ١٢٦/٥.

(٢) قاله قتادة وابن قتيبة. انظر: زاد المسير: ١٢٦/٥.

(٣) أخرجه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: إنا لَعِنْدَ ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني أبيّ بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((موسى رسول الله ..)). فذكر الحديث، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً. كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً. قال: (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً). (لقيا غلاماً فقتله)، (فانطلقا .. فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه). قرأها ابن عباس ﷺ: (أمامهم ملِك). انظر: كتاب الشروط، باب الشروط مع الناس بالقول: ٢٤٢/٣، رقم الحديث: ٢٧٢٨.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٥٨٥/٣ــ٥٨٦.

(٥) الظريف: حسن الوجه واللسان. والظرف: البراعة وذكاء القلب، يوصف به الفيتان والفتيات دون الشيخ أو السيد. وقيل: حسن العبارة، وقيل: حسن الهيئة، وقيل: الحذق بالشيء. انظر: لسان العرب: ٢٢٨/٩.

(٦) رضخ رأسه بالحجارة: أي كسره ورماه بالحجارة. انظر: لسان العرب: ١٩/٣.

على أنه غلامٌ لم يبلغ الحنث[١]. قال ابن عباس: لم يكن نبيُّ الله موسى عليه السلام يقول: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ ﴾ إلا وهو صبيٌّ لم يبلغ. وقال الحسنُ: كان رجُلاً، قيل: كان اسمهُ حيسور. وقال الكلبي: كان فتىً يقطعُ الطريقَ، ويأخذُ المتاع، ويلجأُ إلى أبويه. وقال الضحاك: كان غلاماً يعمل بالفساد.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((إن الغلام الذي قتله الخضرُ طُبِعَ كافراً، ولو عاش لأرهق أبويهِ طُغياناً وكفراً)) [٢].

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ ﴾. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وورش عن يعقوب: (زاكية)، وقرأ الآخرون: ﴿ زَكِيَّةًۢ ﴾. بغير ألف[٣]. قال أبو عمرو بن العلاء: الزاكيةُ التي لم تذنب قط، والزكية/ التي أذنبت ثم تابت[٤]. ٦٢/ب

وقوله تعالى: ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي: لم تقتل نفساً وجب قتلُها بها.

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ أي: منكراً. قال قتادة: نُكراً أعظم من إمراً. قلتُ: متجهٌ لأن خرق السفينةِ حصل منه خوف الغرق وقتل الغلام حقيقةً، والله أعلم. وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر ههنا وفي سورة الطلاق بضم الكاف (نكُراً) [٥].

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد والأكثرون. ويقال: بلغ الغلام الحنث: أي الادراك والبلوغ. وفي الحديث: ((من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث دخل من أي أبواب الجنة شاء)). أي لم يبلغوا مبلغ الرجال. انظر: لسان العرب: ١٣٨/٢، وزاد المسير: ١٢٦/٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي بن كعب ﷺ: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة: ٢٠٥٠/٤، رقم الحديث: ٢٦٦١. وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب القدر: ٢٢٧/٤، رقم الحديث: ٤٧٠٥. وأحمد في المسند: ١١٩/٥، ١٢١. وانظر: تفسير البغوي: ٥٨٦/٣ــ٥٨٧.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر (زاكية) بألف. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (زكية) بغير ألف مع التشديد. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٩٥، والكشف: ٦٨/٢، والنشر: ٢٣٥/٢، والقراءات العشر المتواترة: ص: ٣٠١، والتبصرة: ص: ٥٧٨.

(٤) روي هذا عن أبي عمرو بن العلاء. انظر: زاد المسير: ١٢٧/٥.

(٥) قال تعالى: ﴿ وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الطلاق: ٨].

وقرأ الآخرون بسكون الكاف [١].

﴿ قَالَ ﴾ الخضر: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ قيل: إن يوشع كان يقولُ لموسى عليه السلام: اذكر العهدَ الذي أنت عليه.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: إن سألتك بعد هذه المرَّة فلا تصاحبني، وفارقني. وقرأ يعقوبُ: (فلا تصحبني) بغير ألف. وقرأ نافع وأبو بكر (من لَدُنِي)، وقرأ الآخرون بتشديدها[٢].

ومعناه: أعذرتَ فيما بيني وبينك. وقيل: اتضح لك العذر في مفارقتي.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: ((رحمة الله علينا وعلى موسى))[٣].

وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه، لولا أنه عجل لرأى العجبَ، ولكنهُ أخذَتْه من صَاحبه/ دمامة. ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾

٦٣/أ

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بسكون الكاف (نُكْراً). وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر (نُكُراً) بضم الكاف. واختلف عن نافع في روايتين: بسكون الكاف (نُكْراً) وتشديدها (نكَّراً). انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٩٥، والكشف: ٦٩/٢، والنشر: ٢٣٥/٢، والقراءات العشر المتواترة: ص: ٣٠١.

(٢) قرأ نافع وأبو بكر: (لدُنِي) بضم الدال وتخفيف النون، والباقون ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر، بالتشديد (لدُنِّي)، وكلهم ضمَّ الدال إلا أبا بكر عن عاصم، فإنه أسكنها وأشمَّها الضمَّ. انظر: كتاب السبعة: ص: ٣٩٦، اولكشف: ٦٩/٢، والنشر: ٢٣٥/٢، والقراءات العشر المتواترة: ص: ٣٠٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لأحد بدأ بنفسه، فذكر ذات يوم موسى فقال: ((رحمة الله علينا وعلى موسى، لو كان صبر لقص الله تعالى علينا من خبره، ولكن قال: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾)). إسناده صحيح. انظر: ٤٢١/١٥. وانظر: تفسير البغوي: ٥٨٧/٣ــ٥٨٨.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ القرية؛ قيل: انطاكية[١]، وقيل: أيلة[٢]، وهي أبعد الأرض من السماء، وقيل: رقة[٣]، وقال أبو هريرة: بلدة بالأندلس. قال رسول الله ﷺ حتى إذا أتيا أهل قريةٍ لآم، فضافا في المجلس، فأبوا أن يضيفوهما[٤]. قال قتادة: شرُّ القرى التي لا تضيفُ. وروي عن أبي هريرة قال: ((أطعمتهما امرأةٌ من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فدعا لنسائهم ولنَ رجالهم)).

قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ أي: يسقط، وهذا من مجازات كلامِ العرب. لأن الجدارَ لا إرادة له، وإنما معناه قَرُبَ من السقوط فأقامهُ، أي: سوَّاهُ. وقيل: إن الخضر مسح بيده على الجدار فاستقام.

---

(١) قاله ابن عباس. وأنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، ومن أعيان البلاد وأمهاتها حسناً ونزاهة وسعة خير، وعذوبة ماء وطيب هواء. بنتها انطاكية بنت الروم بن اليقين بن سام بن نوح عليه السلام. وهي ذات سور عظيم، وأبراج وقلعة. سار إليها أبو عبيدة بن الجراح من حلب فاتحاً، وحاصر أهلها فصالحوه على الجزية أو الجلاء. فجلى بعضهم، وأمَّن من أقام، فوضع على كل حالم ديناراً وجريباً. ثم نقضوا العهد ففتحها المسلمون على الصلح الأول، وبقيت ثغراً للمسلمين إلى سنة (٣٥٣)هـ، حيث ملكها الروم، ثم استنقذها المسلمون في عهد السلاجقة سنة (٤٧٧)هـ، وبقيت في أيدي المسلمين إلى سنة (٤٩١)هـ، حيث سقطت بيد الإفرنج بحيلة. وفيها قبر حبيب النجار الذي ذكره للقرآن في سورة يس: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ انظر: معجم البلدان: ٢٦٩/١. وتفسير البغوي: ٥٨٨/٣.

(٢) قاله ابن سيرين. أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، كانت لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فخالفوا فمُسخوا قردة وخنازير. وبها في يد اليهود عهد لرسول الله ﷺ. وسميت بأيلة نسبة إلى أيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام. قدم منها يوحنة بن رؤبة على النبي ﷺ في تبوك، فصالحه على الجزية، وقرر على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً. واشترط عليهم قِرَى مَن مرَّ بهم من المسلمين، وكتب لهم كتاباً أن يُحفظوا ويُمنعوا. ويقال: إن فيها بُرْد النبي ﷺ، كان قد وهبه ليوحنة بن رؤبة لما سار إليه في تبوك. انظر: معجم البلدان: ٢٩٢/١. وتفسير البغوي: ٥٨٨/٣.

(٣) أصل (رقَّة) كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء، وجمعها رقاق. و(رقَّة) مدينة مشهورة على الفرات، وهي البيضاء، وهناك الوسطى. وغربها رقة واسط. ثم السوداء، وهي كبيرة ذات بساتين. انظر: معجم البلدان: ٥٨/٣.

(٤) انظر: صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر، رقم الحديث: ٢٣٨٠.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوبُ: (لتَخِذْتَ) بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الآخرون بتشديد التاء[1]، وهما لغتان. يعني: على إصلاح الجدارِ جُعلاً نأكلُهُ./

٦٣/ب

﴿ قَالَ ﴾ الخضر لموسى: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ ﴾ يعني: هذا وقتُ فراق بيني وبينك. وقيل: هذا الإنكار إنما كان على ترك الأجر مع علم الخضر بشدَّة جُوعِهما.

وقوله تعالى: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾ أي: سوف أخبرك، ﴿ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٧٨﴾ ﴾ وفي بعض الأخبار: أن موسى أخذ بثوبِ الخضر فقال: أخبرني بمعنى ما علمتَ قبل أن تفارقني، فقال:

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ قال كعب: كانت لعشرة أخوةٍ؛ خمسة زمناً [2]، وخمسة يعملون في البحر. وفيه دليلٌ على أن المسكين وإن كان يملك شيئاً لا يزول عنه اسم المسكنةِ إذا لم يَقم ما يملكه بكفايتهِ. وللعلماءِ في ذلك خلاف مشهور. ومعنى يعملون في البحر يؤاجِرونَ عليها[3].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ أي: أجعلها ذات عيب.

وقوله: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ قرأ ابن عباس (كل سفينةٍ صالحةٍ غصباً) فخرقها وعيَّبها الخضرُ، حتى لا يأخذها الملك الغاصب. وكان اسمه جلندا وكان كافراً./ وقال محمد بن إسحاق: اسمه متوله بن جلندَا الأزدي. وقيل: اسمه هُدد بن بُدُدٍ[4]. وروي أن الخضر اعتذر إلى القوم، وذكر

٦٤/أ

---

(١) الآخرون: نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي. انظر: كتاب السبعة: الصفحة: ٣٩٦، والكشف: ٢/ ٧٠، والنشر: ٢/٢٣٦، والقراءات العشر المتواترة: ص: ٣٠٢.

(٢) زَمْنَى جمعٌ مفرده زَمِن: ذو الزمانة. والزمانة: آفة في الحيوانات. ورجل زَمِن، أي مبتلى بيّنُ الزمانة. والزمانة: العاهة. زمن يزمن زمناً وزمنة وزمانة فهو زمن، والجمع زمنون وزمين، والجمع زَمنَى لأنه جنس للبلايا التي يصابون بها ويدخلون فيها وهم كارهون. انظر: لسان العرب: ١٣/١٩٩.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣/٥٨٨ــ٥٩٠.

(٤) قاله شعيب الجبائي. انظر: تفسير البغوي: ٣/٥٩٠.

لهم شأن الملك الغاصب، وقال: أردت إذا هي مرَّت به أن يدعها لعيبها، فإذا جاوزها أصلحوها وانتفعوا بها. قيل: سدُّوها بقارٍ[١]، والله أعلم.

قولـــه تعالـــى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ كان الغلام كافراً، وكان أبواه مؤمنَين ﴿ فَخَشِينَا ﴾ فعلمنا أن يكلفهما. وقال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملَهما حبُّه على أن يتابعاه على دينه.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ قرأ نافع وأبو عمرو (يبدلهما) بالتشديد هنا، وفي سورة المتحرم[٢] والقلم[٣]. وقرأ الأكثرون بالتخفيف[٤]. والتبديل: رفع شيءٍ ووضع شيءٍ آخر مكانه ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ أي: صلاحاً وتُقىً. وقرأ ابن عامر ويعقوب (رُحُماً) بضمٍ، والباقون بجزمها عطفاً من الرحمة. وقيل: هو من الرَّحم والقرابة. قال قتادة: أي: أوصل للرحم وأبرُّ بوالديه. قال: أبدلهما الله جاريةً فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت نبياً، فهدى الله على يديه أمةً من الأمم. وعن جعفر بن محمد/ عن أبيه قال: أبدلهما الله جاريةً ولدت سبعين نبياً. وقال ابن جريج: أبدلهما بغلام مسلم. قال مطرف بن عبد الله: فرح به أبواه حين وُلِدَ، وحزنا عليه حين قُتِلَ. ولو بقي كان فيه هلاكهما، قلت: فليرض المؤمن بقضاء الله وقدره، فإن قضاء الله له فيما يكره خير له من اختياره لنفسه ما يحب، فإن الخير قد يخفى فيه وجه الاختيار، والله أعلم.

٦٤/ب

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ كان اسمهما أصرم وصُريم. وقوله: ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ قلت: فيما روى أبو الدرداء عن

---

(١) القار: شيء أسود تطلى به الإبل والسفن، يمنع الماء أن يدخل. ومنه ضرب تُحشى به الخلاخيل والأسورة. انظر: لسان العرب: ١٢٤/٥، مادة: (قور).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [التحريم: ٥].

(٣) في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التحريم: ٣٢].

(٤) قرأ ابن عامر (رُحماً) بالتشديد. ولأبي عمرو روايتان بضم الحاء وسكونها. وقرأ الباقون بإسكان الحاء (رُحْماً). انظر: الكشف: ٧٢/٢، والنشر: ٢٣٦/٢.

النبي ﷺ أنه قال: ((كان ذهباً وفضَّة)).[١] وقال عكرمة[٢]: كان مالاً. وقال سعيد ابن جبير: كان صُحُفاً فيها عِلمٌ[٣]. وقال ابن عباس: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه: عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب؟ عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب؟ عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟ عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله. وفي الجانب/ الآخر مكتوب: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشرَّ، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشرِّ وأجريته على يديه. وهذا قول الأكثرين من أهل التفسير. وروي هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٤]. قال الزَّجَّاج: الكنز إذا أُطلق ينصرف إلى كنز المال، ويجوز عند التقييد أن يُقال: عنده كنز علم، وهذا اللوح كان جامعاً لهما[٥]. ٦٥/أ

وقوله: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ قيل: كان اسمه (كاشح)، وكان من الأتقياء. قال ابن عباس: حُفِظ بصلاح أبيهما[٦]. وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء[٧]. قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويراتٍ[٨] حوله، وما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. وقال سعيد ابن المسيب: إني أصلِّي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. قلتُ مصداق ذلك قوله

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٦٩/٢، عن مكحول عن أم الدرداء عن أبي الدرداء.

(٢) وبه قال أيضاً الحسن وقتادة. انظر: زاد المسير: ١٣٤/٥.

(٣) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: وكان تحته كنز لهما. قال: ما كان ذهباً ولا فضة، كان صحفاً علماً. أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٦٩/٢. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وهو قول مجاهد. انظر: تفسير البغوي: ٥٩٠/٣ــ٥٩١، وزاد المسير: ١٣٤/٥.

(٤) رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: فسمي كنزاً من جهة الذهب وجعل اسمه هو المغلَّب. انظر: زاد المسير: ١٣٤/٥.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٠٧/٣.

(٦) انظر: زاد المسير: ١٣٤/٥.

(٧) قاله جعفر بن محمد عليه السلام. انظر: زاد المسير: ١٣٤/٥.

(٨) الدويرات جمعٌ، مفرده: دويرة، وهي البلد بالريف. انظر: القاموس المحيط: ص: ٥٠٥.

تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ... ﴾ [النساء: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾ قيل:/ يبلغا ويعقلا. وقيل: ثماني عشرة سنة. ٦٥/ب

وقوله: ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ أي: حين بلوغهما نعمة من ربك عليهما. وفي الحديث: ((إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء)).[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ أي: باختياري، بل فعلته بأمر الله وإلهامه.

﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: تُطِق عليه صبراً. ورُوِيَ أن موسى عليه السلام لمَّا أراد أن يفارقه قال للخضر: أوصني، قال: لا تطلب العلم لتحدث به، واطلبه لتعمل به. واختلف في أن الخضر حيٌّ أم ميت؟ فقيل: إن الخضر وإلياس حيَّان يلتقيان كل سنة بالموسم، وكان سبب حياة الخضر فيما يُذكر أنه شرب من عين الحياة، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة، وكان الخضر على مقدمته[2]، فوقع الخضر على العين، فنزل واغتسل وشرب، فصلَّى شكراً لله تعالى، وأخطأ ذا القرنين الطريق.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى أسامة بن زيد ﷺ قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إن ابناً لي قبض، فأتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: ((إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها. فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد ابن ثابت، ورجال. فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبيُ ونفسه تتقعقع، قال: حسبته أنه قال: كأنها شَنٌ، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)). انظر: كتاب الجنائز: باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النَّوح من سنته: ٢/٣٩٠، رقم الحديث: ١٢٨٤. وأخرجه أيضاً في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ ﴾. رقم الحديث: ٧٣٧٧. وباب ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ . رقم الحديث: ٧٤٤٨. وتتقعقع: تضطرب وتتحرك، كأنها شن: أي قربة خَلِقَة يابسة.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣/٥٩١ــ٥٩٢.

قلتُ[١]: مذهب الصوفية[٢] أن الخضر حيٌّ[٣]. وقال آخرون: هو ميِّتٌ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ... ﴾[٤][الأنبياء: ٣٤] ، ولقوله ﷺ بعد ما صلَّى العشاء ليلةً: ((أريتكم/ ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن | ٦٦/أ |
هو اليوم على ظهر الأرض أحد))،[٥] ولو كان الخضر حيًّا لكان لا يعيش بعده[٦].

قلتُ[٧]: في قوله عليه السلام: ((يرحم الله موسى لو صبر لقصَّ الله علينا من أمرهما))[٨] دليلٌ على عدم حياته. إذ لو كان حيًّا لوجب عليه متابعة رسول

---

(١) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٢) **مذهب الصوفية، أو علم التصوف:** هو علم تُعرف به أحوال تزكية النفس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن، لنيل السعادة الأبدية. وقد عرَّفه أبو محمد الجريري بقوله: إنه الدخول في كل خلق سَنِيّ، والخروج من كل خلق دَنِيّ، وقوله: التصوف: مراقبة الأحوال، ولزوم الأدب. وقال سهل بن عبد الله التستري: الصوفي مَن صفا مِن الكدر، وامتلأ من الفِكَر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر. انظر: كتاب عوارف المعارف للسهروردي الملحق بإحياء علوم الدين للغزالي: ٦٣/٥ــ٦٤، ورسالة المسترشدين: ص: ٩، والرسالة القشيرية. ص: ٣٨٩.

(٣) وردت في الأصل: (حياً)، وهو خطأ والصواب: (حيٌّ) خبر إن مرفوع بالضمة.

(٤) سقطت سهواً في أصل المخطوط كلمة (الخلد)، وتم ضبطها ونقلها من المصحف الشريف.

(٥) أخرجه البخاري في مسنده: عن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في أخر حياته، فلما سلم قام فقال: ((أريتكم ليلتكم هذه فإنه رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد)). انظر: كتاب العلم، باب السمر في العلم: ٤٦/١، رقم الحديث: ١١٦. وأخرجه أيضاً في كتاب مواقيت الصلاة تحت رقم: ٥٦٤، ٦٠١. ولفظ مسلم: ((فإنه على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد)). قال ابن عمر: فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مئة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن. انظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله: لا تأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس مؤمنة. رقم الحديث: ٤٦٠٥.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ٥٩٢/٣.

(٧) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٨) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام: ٤٧٧/٤ــ٤٧٩، رقم الحديث: ٣٤٠١. بلفظ: ((يرحم الله موسى لو كان صبر يقص علينا من أمرهما)). وفي رواية: ((يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يُقصَّ علينا من أمرهما)). كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم، فيكل العلم إلى الله: ٤٩/١، رقم الحديث: ١٢٢.

الله ﷺ ولم يثبت في حديث عن النبي ﷺ أنه أخبر بحياة الخضر ولا بموته صريحاً، والله أعلم.[١]

---

(١) لمطالعة الآثار في شأن الخضر عليه السلام، انظر: تفسير القرطبي: ١١/٤٤،٤٣،٢٨.

سورة مريم

وفيها من الآيات المتضمنة سعادة الدارين بسبب الصبر قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ الصدِّيق: الكثير الصدق[١]. وقيل: الصدِّيق: من صدَّق الله في وحدانيته، وصدَّق أنبياءه ورسله، وصدَّق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصدِّيق. والنبيُّ العالي في الرتبة، بإرسال الله إياه[٢].

﴿ إِذْ قَالَ لأبِيهِ ﴾ آزر وهو يعبد الأصنام، ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ﴾ صوتاً ﴿ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ شيئاً ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنكَ ﴾ أي: لا يكفيك ﴿ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بالله والمعرفةِ به ﴿ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ ﴾ على ديني ﴿ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾/ مستقيماً ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ ﴾ أي: لا تطعهُ فيما يُزيِّنُ لك من الشرك ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾ أي: عاصياً. وكان بمعنى الحال، أي: هو كذلك. ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ ﴾ أي: أعلم. ﴿ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ إن أقمت على الكفرِ، ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ قريناً في النار. ﴿ قَالَ ﴾ أبوه مجيباً له: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ أي: لم ترجع عن قولك وعيبك لآلهتنا ﴿ لأرْجُمَنَّكَ ﴾ قيل: معناهُ لأشتمنَّك، ولأبعدنَّك عني بالقول القبيح[٣]. وقيل: لأضربنَّك[٤]. وقيل: لأقتلنَّك بالحجارةِ[٥]. ﴿ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ أي: اجتنبني دهراً طويلاً[٦]. والملوان الليل والنهار[٧]. ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ قيل: هو

٦٦/ب

---

(١) قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق. انظر: الكليات: ص: ٥٤٤.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٦٢٢/٣.

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد والكلبي ومقاتل والضحاك. انظر: تفسير البغوي: ٦٢٢/٣، وزاد المسير: ٥/ ١٧٦

(٤) قاله ابن عباس. انظر: تفسير البغوي: ٦٢٢/٣.

(٥) قاله الحسن البصري. انظر: تفسير البغوي: ٦٢٢/٣، وزاد المسير: ١٧٦/٥.

(٦) قاله الكلبي وسعيد بن جبير. انظر: تفسير البغوي: ٦٢٢/٣.

(٧) واهجرني ملياً: قال الفراء: أي طويلاً. والمَلَوان: الليل والنهار. قال الشاعر:

سلام هجران ومفارقةٍ. وقيل: سلامُ برٍ ولطفٍ، وهو جوابُ الحليم للسفيه. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان: ٦٣].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ﴾ أي: سأسألُ الله لك توبةً تنالُ بها المغفرة. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ بَرّاً لطيفاً عودني الإجابةَ لدعائي[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: وأعتزل ما تعبدون من دون الله[2]. ﴿ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى ﴾ اعبدُ ربي. وقوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾/ أي: عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته، كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام. | ٦٧/أ

وقولـــه تعالـــى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ لما هاجر إبراهيم من كوثى[3] إلى الأرض المقدسةِ وهبَ له بعد الهجرة إسحاق ويعقوب. وقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ يعني: إسحاق ويعقوب.

وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: ثناءً حسناً في كل ملةٍ بصبرهم على أذى قومهم.

نهار وليل دائم مَلَواهما على كل حال المرء يختلفان

وقيل: طرفا النهار واحدهما ملاً. انظر: لسان العرب: ٢٩١/١٥.

(١) قاله مجاهد وابن قتيبة. انظر: تفسير البغوي: ٦٢٣/٣، وزاد المسير: ١٧٦/٥، ١٧٧/٥.

(٢) قال مقاتل: كان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثى، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة. انظر: تفسير البغوي: ٦٢٣/٣.

(٣) كوثى: موضع في سواد العراق، في أرض بابل. فيه مشهد إبراهيم الخليل، وفيه مولده. وبه طرح إبراهيم في النار. وسار سعد من القادسية سنة عشر ففتح كوثى. وعن علي كرم الله وجهه يقول: من كان سائلاً عن نسبنا فإننا نبط من كوثى. أراد أن أبانا إبراهيم كان من نبط كوثى، وأن نسبنا ينتهي إليه، ونحو ذلك. قال ابن عباس: نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى، والأصل آدم، والكرم التقوى، والحسب الخُلُق، وإلى هذا انتهت نسبة الناس. وهذا من علي وابن عباس. تبرؤٌ من الفخر بالأنساب، وردع عن الطعن فيها، وتحقيق لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: الآية: ١٣]. انظر: معجم البلدان: ٤٨٧/٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ أي: أخلصَ عبادتهُ لله عزَّ وجلَّ. وقرأ أهل الكوفةِ (مخلَصاً) بفتح اللام[1]، أي: أخلَصه الله واختاره واصطفاه. وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ يعني: يمين موسى، والطور[2]: جبل بين مصر ومدين[3]، وذلك أنه حين أقبل من مدين، ورأى النارَ، نودي ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾[القصص: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝ ﴾ أي: مناجى، كما تقول في نديم: منادَم. قيل: رفعه على الحجب حتى سمع صريف[4] القلم. وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝ ﴾.

قلتُ[5] إنما سمَّاه هبةً / لأنه قال: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝ هَٰرُونَ ٦٧/ب
أَخِى ۝ ﴾[طه: ٢٩ــ٣٠]، فاستجاب الله دعاءهُ، وأرسل إلى هارون فشدَّ أزره.

وقوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝ ﴾ إسماعيل بن إبراهيم ابن خليل الله ﷺ ما وَعَدَ شيئاً قط إلا وفَّى به. قال مقاتل: وعد رجُلاً أن يُقيمَ مكانهُ ليرجعَ إليه الرجلُ، فأقام إسماعيلُ مكانهُ ثلاثةَ أيام للميعاد، حتى رجع الرجلُ إليه. وقال الكلبي: انتظره حتى حال عليه الحولُ، وأرسله الله إلى قومهِ (جُرهم) نبياً

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر وعاصم في رواية الكسائي عن أبي بكر والمفضل عن عاصم (مخلِصاً) بكسر اللام. وقرأ عاصم في رواية يحيى عن أبي بكر، وحفص عنه (مخلَصاً) بفتح اللام. وقرأ حمزة والكسائي: (مخلَصاً) بفتح اللام. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤١٠، والنشر: ٢/٢٣٩.

(٢) الطور: هو الجبل ذو الشجر، نسبة إلى بطور بن إسماعيل بن إبراهيم. ويقصد به الجبل المشرف على نابلس. وبالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين جبل يسمى الطور. ولا يخلو من الصالحين. وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجرة العليق. وعليه كان الخطاب الثاني لموسى. انظر: معجم البلدان: ٤/٤٧

(٣) مدين: مدينة قوم شعيب. سميت بمدين بن إبراهيم عليه السلام، وهي مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل، وبها استقى موسى عليه السلام لبنات شعيب، وبها بئر قد بني عليها بيت. وقيل: مدين اسم القبيلة. انظر: معجم البلدان: ٥/٧٧.

(٤) أي صريره وصوته. انظر: لسان العرب: ٩/١٩١، ٤/٤٥١، مادة: (صر)، (وصرف).

(٥) أي المصنف ــ رحمه الله ــ.

مخبراً عن الله عزَّ وجلَّ. ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ ﴾ وقيل: أهل ملته. ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ المفروضةِ ﴿ مَرۡضِيًّا ﴾ قائماً بطاعته في تبليغ رسالته(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾ قلت سُمِّيَ إدريسُ لكثرةِ درسهِ الكتبَ، وهو جدُ أبي نوح واسمُهُ (أخنوخ) (٢)، وكان خياطاً. وهو أول من خطَّ بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس المخيطَ. وكان مَن قَبْلَهُ يلبسون الجُلود. وأول من اتخذ السلاح/ وقاتلَ الكُفَّارَ، | ٦٨/أ
وأول من نظر في علم النجوم(٣) والحساب(٤). قيل: المراد بالمكان العليِّ الجنةُ. وقيل: علوُّ الرُّتَبِ في الدنيا. وقيل: إنه رفع إلى السماءِ الرابعة. وعن مالك بن صعصعة(٥) عن النبي ﷺ أنه رأى إدريسَ في السماء الرابعة ليلة المعراج(٦)، كما

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٣/٦٢٤_٦٢٥.

(٢) انظر: لسان العرب: ٦/٧٩، مادة: (درس). تفسير البغوي: ٣/٦٢٥.

(٣) **علم النجوم:** علم يعرف به الاستدلال إلى حوادث عالم الكون وأوضاع الأفلاك والكواكب، وهو عند إطلاقه ثلاثة أقسام؛ حسابيات، وهي يقينية فلا منع في علمها شرعاً. وطبيعيات، كالاستدلال من انتقال الشمس في البروج الفلكية إلى الفصول: كالحر، والبرد، والاعتدال، فليست بمردودة شرعاً. ووهميات، كالاستدلال إلى الحوادث السفلية خيراً أو شراً من اتصالات الكواكب، وهي مما لا استناد لها إلى أصل شرعي، فهي مردودة لقوله ﷺ: ((إذا ذكر النجوم فأمسكوا)). وقوله: ((تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر)). وأما قوله ﷺ: ((من آمن بالنجوم فقد كفر))، فقد قال العلماء: إن اعتقد أنها مستقلة بتدبير العالم. انظر: كشف الظنون: ٢/١٩٣١.

(٤) **علم الحساب:** علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصوصة. انظر: كشف الظنون: ١/٦٦٢.

(٥) مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري الخزرجي. من بني مازن بن النجار. روى عنه أنس بن مالك حديث الإسراء. انظر: أسد الغابة: ٥/٢٧، رقم الترجمة: ٤٥٩٧، والإصابة: ٥/٧٢٨، رقم الترجمة: ٧٦٤٥.

(٦) الحديث بطوله في صحيح مسلم: واللفظ: " ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا. فإذا أنا بإدريس. فرحب ودعا لي بخير. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾ [مريم: الآية ٥٧]. الحديث ". صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات: ١/١٤٥ــ١٤٦، رقم

بيَّنَّا ذلك في بيان الإسراء بخير البريةِ[١]. وكان سببُ رفع إدريس على ما قاله كعبٌ، أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهجُ الشمس، فقال: يا ربِّ أنا مشيت يوماً، فكيف بمن يحملها مسيرةَ خمسمئة عام في يوم واحدٍ؟ اللهم خفِّف عنهُ من ثقلِها وحرِّها. فلمَّا أصبح الملكُ وجَدَ من خفَّةِ الشمسِ وحرِّها مالا يُعرفُ. فقال: يا ربِّ ما الذي قضيتَ فيه؟ قال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفِّفَ عنكَ حملها وحرَّها، فأجبته. فقال: يا رب اجعل بيني وبينه خِلَّةً[٢]. فأذِنَ له حتى أتى إدريس، فقال له إدريسُ: إني أُخبرتُ أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملكِ الموت، فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فازداد شُكراً وعبادةً. فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلُها، وأنا مكلِّمُهُ. فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس. ثم أتى ملَكَ / الموت فقال: إن لي حاجة إليك. فقال: وما هي؟ فقال: صديق لي من بني آدم تشفَّعَ بي إليك لتؤخرَ أجلهُ. فقال: ليس ذلك إليَّ، ولكن إن أحببتَ أخبرته أجلَهُ متى يموت، فيتقدَّمُ في نفسه[٣]. فقال: نعم. فنظر في ديوانه، فقال: إنك كلَّمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً. قال: وكيف؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس. قال: فإني أتيتك وتركته هناك. قال: فانطلق، فلا أراك تجده إلا وقد ماتَ. فو الله ما بقي من أجَلِ إدريس شيءٌ. فرجع الملك فوجده ميتاً[٤].

٦٨/ب

واختلفوا: هل هو حيّ في السماء، أم ميت؟ فقال قومٌ: هو ميتٌ وقال آخرون: هو حيٌّ. وقالوا: أربعة أنبياء أحياء؛ اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى. وقال وهب: كان يُرفع لإدريس في كل يوم

الحديث: ١٦٢/٢٥٩. وكذا في البخاري. وبهذا قال أبو سعيد الخدري، ومجاهد، وأبو العالية. انظر: زاد المسير: ١٧٨/٥.

(١) هو أحد كتب المؤلف المخطوطة، والتي وصل إلينا ذكرها فقط. ولعله كتاب: (الفنون الجلية في معرفة حديث خير البرية)، والموجود نسخة خطية منه في برلين تحت رقم: ١٠٨٧، ويقع في (٤٨) ورقة.

(٢) الخِلَّة: بضم الخاء: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله، أي: في باطنه. قال الله تعالى: ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. انظر: لسان العرب: ٢١٧/١١، مادة: (خلل).

(٣) أي: يقدم لنفسه.

(٤) انظر: زاد المسير: ١٨١/٥.

من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة، واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربَّه في زيارته، فأذن له، فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره، دعاه إلى طعامه، فأبى أن يأكل معه، ففعل ذلك ثلاث ليالي، فأنكره إدريس، فقال الليلة الثالثة: إني أريد أن/ أعلم مَن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربي أن أصحبك، قال: فلي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: تقبض روحي. فأوحى الله إليه أن اقبض روحه، فقبض روحه، ثم ردها إليه بعد ساعة. قال له ملك الموت: ما في سؤالك قبضَ الروح؟ قال: لأذوق كرب الموت وغُمَّته، فأكون أشدَّ استعداداً له. ثم قال إدريس: إنَّ لي إليك حاجة أخرى. قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة وإلى النار، فأذن الله له في رفعه إلى السماوات، فلما قرُب من النار قال: لي حاجة أخرى. قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى يفتح لي أبوابها فأرِدَها، ففعل. ثم قال: فكما أريتني النار فأرني الجنة. فذهب به إلى الجنة، فاستفتح ففُتِح أبوابُها، فأدخله الجنة، ثم قال ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرِّك، فتعلَّق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما. فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥] وقد ذقته. وقال: وقد وردتها. وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الحجر: ٤٨] فلست أخرج. فأوحى الله إلى ملك الموت: بإذني دخل الجنة، وبأمري/ لا يخرج. فهو حيٌّ هناك. فذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾،(١) والله أعلم(٢).

أ/٦٩

ب/٦٩

---

(١) قال جماعة من العلماء: هو رفع النبوءة والتشريف والمنزلة. انظر: المحرر الوجيز: ٨٩/١١.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٦٢٥/٣-٦٢٧.

سورة طه

مكيَّة[١]. قرأ أبو عمروٍ بفتح الطاء وكسر الهاء، وقرأ بكسرهما حمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر، والباقون بفتحهما[٢]. ومعنى: ﴿ طه ۝ ﴾ قسم[٣]. وقيل: اسم من أسماءِ اللهِ[٤]. وقيل: معناه يا رجلُ بالسريانيةِ[٥]. وقيل: معناه يا إنسان[٦]. وقيل: معناه طأ الأرض بقدميك في التهجُدِ[٧]. وقيل: الطاء افتتاح اسم طاهر، والهاءِ اسم هادٍ، ذكرهُ سعيد بن جبير[٨]. قال الكلبي: لما نزلَ الوحيُ على رسولِ الله ﷺ بمكةَ اجتهد في العبادةِ، حتى كان يُراوح بين قدميهِ في الصلاة لِطولِ قيامهِ[٩]. وكان يُصلِّي الليلَ كلَّهُ، فأنزلَ الله: ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ ﴾ أمره أن يخففَ على نفسهِ[١٠]. ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ ﴾ أي: لكن أنزلناهُ عِظَةً لمن يخشى الله[١١].

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ ﴾ وسَّعْهُ / للحق حتى أصبر على أذى فرعون، ولا أخاف غيرك[١٢]. وذلك أن موسى كان

أ/٧٠

---

(١) مكية كلها بالإجماع. انظر: زاد المسير: ٥/١٩٩.

(٢) اختلفوا في كسر الطاء والهاء من (طه): فقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم بفتحهما. وقرأ أبو عمرو في رواية بفتح الطاء وكسر الهاء، وفي رواية بكسرهما معاً. وقرأ نافع بإمالة بين الفتح والكسر لهما. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي بكسرهما معاً. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤١٦، والكشف: ٢/٩٥، والنشر: ٢/٢٤١.

(٣) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٥/٢٠٠.

(٤) رواه العرفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن البصري وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة. انظر: زاد المسير: ٥/٢٠٠.

(٥) قاله عكرمة في رواية، وسعيد بن جبير في رواية. انظر: زاد المسير: ٥/٢٠٠.

(٦) قاله الكلبي: وهي لغة (عك). انظر: تفسير البغوي: ٣/١٧٧.

(٧) قاله مجاهد. انظر: تفسير البغوي: ٣/١٧٧.

(٨) انظر: زاد المسير: ٥/٢٠٠.

(٩) قاله علي عليه السلام. انظر: زاد المسير: ٥/١٩٩.

(١٠) قاله الضحاك. انظر: زاد المسير: ٥/١٩٩.

(١١) انظر: تفسير البغوي: ٣/١٧٧.

(١٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير البغوي: ٣/١٨٢.

يخاف فرعون لشدةِ شوكتِه، وكثرة جنوده. فكان يضيق صدْرُهُ لِمَا كُلِّف من مقاومةِ فرعون وجنده. فسأل الله أن يُوسِّعَ قلبَهُ للحق، حتى ينشرحَ ويعلمَ أن أحداً لا يقدرُ على مضرَّته إلا بإذن الله، فلا يخافُ فرعون بعدُ.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ ﴾ أي سهِّل عليَّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالةِ إلى فرعون وجنده(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ وذلك أن موسى عليه السلامُ كانَ في حجر فرعون ذاتَ يومٍ، وهو صبيٌّ، فلطم فرعون لطمةً، وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسيا امرأتِه: إن هذا عدوي، وأراد أن يقتلَهُ، فقالت آسيةُ: إنه صبي لا يعقل، جرِّبْه. وقيل: إن موسى عليه السلام كان يلعبُ مع الصبيان، وفرعون ينظر، فضرب رأسَ فرعون بالقضيبِ، فغضبَ. فقالت آسيةُ: جربه إن شئت، وجاءت بطستين؛ في أحدهما الجمر، وفي الآخر الجواهر، فوضعتهما بين يدي موسى عليه السلام. فأراد موسى أن/ يأخذ الجواهر، فأخذ جبريل يد موسى عليهما السلام فوضعها على النار، فأخذ جمرةً فوضعها في فِيْهِ، فاحترق لسانهُ، وصارت عليه عقدةً(٢)(٣).

٧٠/ب

وقوله تعالى: ﴿ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ يعني احلل العُقدةَ من لساني، يفهموا كلامي(٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: اجعل لي معيناً وظهيراً من أهلي. والوزير مَن يؤازرك، ويُعينك، ويحمل عنك بعضَ ثقلِ

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ١٨٢/٣.

(٢) العقدة: هي العجمة التي كانت فيه من جمرة النار التي أطفأها في فيه وهو طفل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت في لسانه رتة. واختلف هل زالت تلك الرتة؟ فقيل: زالت بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾[طه]. وقيل: لم تزل كلها بدليل قوله حكاية عن فرعون: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[الزخرف]. انظر: تفسير القرطبي: ١٩٢/١١.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ١٨٢/٣.

(٤) الفقه في كلام العرب: الفهم، ثم خُصَّ به علم الشريعة. والعالم بها هو الفقيه. انظر: تفسير القرطبي: ١١/ ١٩٣.

عملِك[١]. ثم بيَّن ذلك مَن هو، فقال: ﴿ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ﴾ وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين، وكان أفصحَ منه لساناً، وأجملَ، وأوسمَ[٢]، أبيضَ اللون. وكان موسى أدم[٣]، أقنى[٤]، جعداً[٥].

وقوله تعالى: ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ ﴾ أي: قَوِّ به ظهري.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ أي: في النبوَّة، وتبليغ الرسالة. قرأ ابن عامر: (أَشدد) بفتح الألف، و(أُشركهُ) بضمها على الجواب، حكايةً عن موسى، أي: أفعل ذلك[٦]. وقرأ الآخرون: على الدعاء والمسألةِ، عطفاً على ما تقدم من قوله: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ ﴾[٧].

---

(١) في حديث السقيفة: " نحن الأمراء وأنتم الوزراء " جمع وزير. وهو الذي يؤازره فيحمل عنه ما حُمِّلَه من الأثقال، والذي يلتجئ الأمير إلى رأيه وتدبيره، فهو ملجأ له ومفزَع. انظر: لسان العرب: ٢٨٣/٥، مادة: (وزر).

(٢) الوسيم من الوسامة: أثر الحسن الوضيء. وهو الثابت الحسن، من الميسم، وهو الجمال. يقال: فلان وسيم أي حسن الوجه والسيما. وفي صفة سيدنا رسول الله ﷺ : " وسيم قسيم ". انظر: لسان العرب: ١٢/ ٦٣٧. مادة: (وسم).

(٣) أدم: من الأُدْمَة وهي السمراء. والأدم من الناس الأسمر. قاله ابن سيده. والأدمة في الإبل: لون مُشَرب سواداً أو بياضاً. وقيل: هو البياض الواضح. وقيل: في الظباء: لون مشرب بياضاً وفي الإنسان السمرة. قال أبو حنيفة: الأدمة: البياض. وقد أدِم وأدُم فهو آدم. والجمع أُدم. انظر: لسان العرب: ١١/١٢. مادة: (أدم).

(٤) أقنى: من القَنا مصدر الأقنى من الأنوف، وهو ارتفاع في أعلى الأنف بين القصبة والمارن من غير قبح، واحديداب في وسطه، وسبوغ في طرفه. وقيل: هو نتوء وسط القصبة، وإشرافه وضيق المنخرين. وفي صفة سيدنا رسول الله ﷺ " كان أقنى العِرنين ". والقنا في الأنف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه والعِرنين الأنف. انظر: لسان العرب: ٢٠٣/١٥، مادة: (قنى)، وشمائل النبي ﷺ للترمذي: الصفحة: ٣٨.

(٥) جعداً: الجعد من الشعر خلاف السبط. وقيل: هو القصير. وفي صفة سيدنا رسول الله ﷺ " وكان شعره ليس بجَعد ولا سَبْط ". وفي رواية: " لم يكن بالجعد القطَطَ، ولا بالسَّبْطِ ". كان جعداً رَجلاً. قال أبو عيسى: أما القطط: فالشديد الجعودة، والرَّجِل: الذي في شعره حُجونة أي: تثنٍّ قليل. انظر: الشمائل: ص: ٣٤، ٣٦، ٣٧، ولسان العرب: ١٢١/٣، مادة: (جعد).

(٦) (أَشدد): بهمزة قطع مفتوحة، وهمزة قطع مضمومة في: (وأُشركهُ)، والباقون بألف مفتوحة على الدعاء، إلا أبا عمرو وابن كثير فإنهما فتحا الياء من: (أخيَ). وقرأ نافع في رواية المسيبي وابن كثير: (وأَشركهُ في أمري) بزيادة واو في اللفظ. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤١٨، والنشر: ٢٤٠/٢.

(٧) انظر: تفسير البغوي: ١٨٢/٣.

وقولــه تعالــى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ قال الكلبي: نُصلِّي لك كثيراً،/ ونحمدك، ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك، إنك كنت بنا خبيراً عليماً. | ٧١/أ

وقولــه تعالــى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ أي: أعطيتك جميعَ ما سألتَهُ يا موسى(١).

والمرةُ الأخرى في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾ وحي إلهام ثم فسَّرَ ذلك الإلهامَ وعدَّد نعمَهُ عليه.

قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ يعني: ألهمناها ذلك. واليمُّ: هو بحرُ النيلِ بمصر(٢). وقوله تعالى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ أي: شاطئ النيل، لفظهُ لفظُ أمر ومعناه خبرٌ.

قلتُ:(٣) النعمةُ الواحدة: شرح صدره للحق، حتى لا يخافَ فرعونَ. والثانية: تيسير أمره في تبليغ الرسالة. والنعمة الثالثة: حلُّ عقدة لسانه. والنعمة الرابعة: شدُّ أزره بهارونَ، وهي نعمةٌ عُظمى، إذ جعل وزيرهُ من أهلهِ، ليكون أنصح له. والنعمة الخامسة: إشراك هارون معه في النبوة. والنعمة السادسةُ: إدخال السرور على موسى باصطفاءِ أخيه هارون. والنعمة السابعة: توفيقهما لكثرة الصلاة والذكرِ./ والنعمةُ الثامنةُ: إجابةُ دعوة موسى بقولهِ: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾. والنعمةُ التاسعة: إنجاؤه من اليمِّ. والنعمةُ العاشرةُ: إعلامُ أمهِ بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص]. والنعمةُ الحاديةَ | ٧١/ب

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ١٨٢/٣.

(٢) اليمّ: هو البحر الذي لا يدرك قعره ولا شطّاه (ساحله). ويقال: اليم لُجَّتُه. وقال الزجّاج: اليمُّ البحر، ويقع على ما كان ماؤه ملحاً، وعلى النهر الكبير العذب. انظر: معجم البلدان: ٤٤٧/٥، ولسان العرب: ٦٤٧/١٢.

(٣) أي: المصنف ــ رحمه الله ــ.

عشرة[١]: أن جعل خادِمَهُ فرعون عدوَّ الله وعدوه، وعطفَ قلبهُ على موسى فعامله باللطف فضلاً من الله ونعمة. الثانيةَ عشرة: أن جعل في عينَي موسى ملاحةً، حتى ما رآه أحدٌ إلا عشقَهُ[٢]. النعمةُ الثالثةَ عشرة: محبةُ الله لموسى، فحبَّبَهُ إلى خلقهِ[٣]. النعمةُ الرابعةَ عشرة: قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ ﴾ واسمها مريم[٤]، ﴿ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ وذلك أنه كان لا يقبَل ثديَ امرأةٍ. فلما قالت أخته: هل أدلكم على من يكفله؟ قال فرعون: نعم. فجاءت بالأم، فقَبِل ثديَها، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ أي: كي تفرح بلقائك، ويذهب عنها الحزن. النعمةُ الخامسةَ عشرة: إذ قتل قبطياً كافراً[٥]، فنجَّاه الله من الغمِّ. فذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ... ﴿٤٠﴾ ﴾/ أي

٧٢/أ

نجيناك من غم القتل وكربه، ومعنى فتنَّاك: أخلصناك إخلاصاً[٦]. وقال ابن عباس: الفتون وقوعُهُ في محنةٍ بعدَ محنةٍ خلَّصهُ منها. النعمةُ السادسةَ عشرة: أن أمه حملتْه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، فحباه الله وحفظهُ. النعمةُ السابعةَ عشرة: أن ألقته أمه في التابوت في البحر، فسَلِمَ من الغرقِ. النعمةُ الثامنةَ عشرة: إذ منعه من رضاعِ إلا من ثدي أمهِ. النعمةُ التاسعةَ عشرة: أن أخذ موسى بلحي فرعون، فَهمَّ بقتله، حتى أخذ الجمرةَ بإذن الله، فزال ما توهمهُ فرعون في شأنه، وعاد لخدمةِ موسى. النعمةُ العشرونَ: خروجه إلى مدين خائفاً بعد قتل القبطي، فأَمَّنَه الله، ونجَّاهُ من غمِّهِ وكربهِ بصبره وحُسنِ توكُّلِهِ[٧]. والله أعلم.

---

(١) وردت في أصل المخطوط (عشر)، في جميع ألفاظ العدد من (الحادية عشر) إلى (التاسعة عشر). وتم تصويبها إلى (عشرة) في جميعها طبقاً للقاعدة اللغوية في العدد.

(٢) قاله قتادة. انظر: تفسير البغوي: ١٨٣/٣.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير البغوي: ١٨٣/٣.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢١١/٥.

(٥) القبط: جيل بمصر. وقيل: هم أهل مصر وبُنْكُها. يقال: رجل قبطي. انظر: لسان العرب: ٣٧٣/٧.

(٦) قاله مجاهد. انظر: تفسير البغوي: ١٨٣/٣. وذكره الضحاك عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٢١٢/٥

(٧) قاله ابن عباس يقصه على سعيد بن جبير. انظر: تفسير البغوي: ١٨٣/٣، والدر المنثور: ٥٣٠/٤.

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ هذه الآية منسوخة بآية القتال(١).

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي: صلِّ بأمر ربك، ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾ أي: صلاة الصبح، ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ صلاة العصر. و﴿ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ ﴾/ ساعاتُه، ﴿ فَسَبِّحْ ﴾ يعني: المغرب والعشاء، ﴿ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ يعني: صلاة الظهر. فإن قلتَ: وقت الظهر وسَط النهار، فكيف قال: وأطرافَ النهارِ؟ قلتُ: لأن وقت الظهر عند الزوالِ، وهو طرفُ النصف الأول انتهاءً، وطرف النصف الثاني ابتداءً، والطرف الثالث غروبُ الشمس، وعند ذلك تُصلَّى المغربُ.

٧٢/ب

وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ أي: بالشفاعةِ. وقيل: ترضى ثوابهُ في المعاد. وقرأ الكِسائي وأبو بكر عن عاصم (تُرضى) بضم التاء، أي: يرضاكَ ربُكَ. وقرأ الباقون بفتح التاء(٢).

ومن آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ أي: من كان على دينك من قومك. ﴿ وَٱصْطَبِرْ ﴾ يعني: اصبر ﴿ عَلَيْهَا ﴾ فإن الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر، لا تُكلف رزقَ أحدٍ من خلقنا، ولا رزقَ نفسكَ.

وقوله: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ أي: العاقبةُ الجميلةُ المحمودةُ لأهل التقوى، الذين صدقوك واتبعوك. وكان النبي ﷺ إذا أصاب أهلَه ضُرٌّ أمرهم بالصلاة(٣). وتلا هذه الآية، والله أعلم.

---

(١) نسخ إطلاق الصبر بآية السيف. انظر: زاد المسير: ٥/٢٤٥.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بفتح التاء (تَرضى)، وقرأ الكسائي وعاصم في رواية أبي بكر. وكذا في رواية أخرى لحفص عن عاصم بضم التاء (تُرضى). انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٢٥، والكشف: ٢/١٠٧، والنشر: ٢/ ٢٤٢.

(٣) عن حذيفة ﷺ قال: ((كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلَّى)). رواه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل. رقم الحديث: ١١٢٤، ومسند أحمد: رقم الحديث: ٢٢٢١٠.

أ/٧٣

/ سورة الأنبياء عليهم السلام[١]

تقدم ذكر موسى وهارون، وهما ممن صبر من الأنبياء على أذى الكفارِ.

وفيها من الآيات المتضمنةِ وصفَ الصابرين من الأنبياءِ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ..﴿٤٨﴾ ﴾، أي: التوراة[٢]. وقيل: الفرقان النصر على الأعداءِ[٣]، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١]، يعني يوم بدرٍ.

وقوله تعالى: ﴿ وَضِيَآءً ﴾ أي: آتينا موسى النصرَ والضياءَ، وهو التوراة.

وقوله: ﴿ وَذِكْرًا ﴾ أي: تذكيراً للمتقين.

﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾، أي: يخافونه ولم يروه. وقوله: ﴿ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ خائفون.

وقوله: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ يعني: القرآن لمن تذكَّر به مبارك يُتبَرَّكُ به، أفأنتم يا أهل مكة له جاحدونَ؟ وهو استفهام توبيخ[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ قلتُ: من الصابرين إبراهيم. والرُّشد: الصلاحُ من قبل موسى وهارون. وقيل: من قبل البلوغ[٥]، أي: هديناه صغيراً. كما قال ليحيى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾[مريم: ١٢]، ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ أنَّهُ من أهل/ الهدايةِ والنبوة.

ب/٧٣

---

١١) وهي مئة واثنتا عشرة آية في عدِّ الكوفي، ومئة وإحدى عشرة آية في عدِّ الباقين. والاختلاف في آية: ﴿ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ عدَّها الكوفي آية دون الباقين. انظر: البيان: ص: ١٨٧، بصائر ذوي التمييز: ١/ ٣١٧.

(٢) قاله مجاهد وقتادة. انظر: زاد المسير: ٥/٢٦٢.

(٣) قاله ابن زيد. انظر: زاد المسير: ٥/٢٦٢.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥/٢٦٣.

(٥) قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٥/٢٦٣.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لأبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ﴾ يعني صورَ الأصنامِ.

وقوله: ﴿ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي: مقيمون على عبادتها.

وقوله: ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي: اقتدينا بآبائنا.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ بعبادتكم إياها.

قوله: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ أي: أجادٌّ أنت فيما تقول، أم لاعبٌ؟

قوله: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي: على أنه لا إله إلا الذي لا يستحق العبادة غيرُه. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السماواتِ والأرض.

وقوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ أي لأمكُرَنَّ بأصنامكم بعد أن تنطلقوا إلى عيدكم. قال مجاهد وقتادة: إنما قال هذا إبراهيمُ سِراً من قومِهِ، ولم يسمع ذلك إلا رجلٌ واحد، فأفشاه عليه[1]، وكان لهم في كل سنةٍ عيد ومجمع، وكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام، فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم: يا إبراهيم/ لو خَرَجتَ معَنا إلى عيدِنا لأعجبك ديننا. فخرجَ معهم إبراهيم، فلما كانَ ببعض الطريق ألقى نفسَهُ، وقال: إني سقيم. يعني: أشتكي رجلي. ٧٤/أ

فلما مَضَوا نادى في آخرِهم، وقد بقي ضعفاءُ الناسِ: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم ﴾ فسمعوها منه. ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهةِ، وهم في مكانٍ عظيمٍ لهم مُستقبل الباب أعظمُ أصنامِهم، وإلى جنب الصنم صنمٌ أصغر منه، والأصنامُ بعضها إلى بعض، كلٌ يليهِ أصغرُ منه، وقد وضعوا طعاماً بين يدي الآلهة، وقالوا: إذا رجعنا، وقد باركتِ الآلهةُ في طعامنا أكلناه.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩٧/١١.

فلما نظر إبراهيمُ إليهم، وإلى ما بين أيديهم من الطعامِ، قال لهم على طريقة الاستهزاء: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[الصافَّات] ؟ فلما لم تُجبه، قال: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ ﴾ أي: أقبلَ ﴿ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾[الصافَّات]، وجعلَ يكسرهُنَّ بفأسٍ في يده، حتى إذا لم يَبْقَ سوى الصنم الأكبر، علَّق الفأسَ في عُنقِهِ، ثم خرج.

فذلك قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ قرأ الكسائيُّ (جِذاذاً) بكسر الجيم[١]، أي: كِسَرَاً وقطعاً. والجذيذ الهشيم[٢]. وقرأ الآخرون بضمهِ[٣].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ أي: فإنه لم يكسره، وعلق الفأسَ/ في عُنُقهِ. ٧٤/ب

وقيلَ: ربطَهُ بيده، وكانت[٤] اثنين وسبعينَ[٥] صنماً من ذهبٍ، وبعضُها من فضةٍ، وبعضُها من حديدٍ ونُحاسٍ ورصاصٍ. وكان الصنمُ الكبيرُ من الذهبِ، مكلَّلاً[٦] بالجواهر، في عينيه ياقوتتان تتَّقِدان.

وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ أي: إذا علموا ضعفَ آلهتِهم وعجزَها، رجعوا إلى دين إبراهيم. فلما رجعوا من عِيدهم، رأوا أصنامهم جُذاذاً[٧].

---

(١) انظر: كتاب السبعة: الصفحة: ٤٢٩، والكشف: ١١٢/٢، والنشر: ٢٤٣/٢.

(٢) الجذاذ: الفتات. وكل شيء كسرته فقد جذذته، ومنه قيل للسويق: جنيذ. انظر: لسان العرب: ١١/٥. مادة: (جنذ).

(٣) الباقون هم: ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبوعمرو، وحمزة، وابن عامر. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٢٩، والكشف: ١١٢/٢، والنشر: ٢٤٣/٢.

(٤) لعله يقصد في قوله: (وكانت) أي التماثيل.

(٥) وردت في الأصل: (اثنا وسبعون)، وهو خطأ. والصواب: (اثنين وسبعين). اثنين خبر كان منصوب بالياء لأنه مثنى، وسبعين معطوف على اثنين منصوب مثله. ويمكن اعتبار (كانت) التامة غير الناقصة بمعنى (وجدت)، و(اثنان) فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى.

(٦) وردت في الأصل: (مكللٌ)، ولها توجيه نحْوي على اعتبارها خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هو مكلل). والأشهر والأقرب للصواب: (مكللاً) خبر كان منصوب بالفتحة.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٠/١١، وزاد المسير: ٢٦٦/٥.

﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾، قال الذين سمعوا قول إبراهيم ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾، هو الذي نظنُ أنه صنع هذا. فبلغ ذلك نمروذَ الجبارَ وأشرافَ قومِهِ.

﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ قال الحسن البصري[1]: كرهوا أن يأخذوه بغير بيِّنةٍ، فلما حضر ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ له: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ ﴾ إبراهيم مجيباً لهم: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ غَضِبَ من أن يعبدوا معه هذه الأصنام الصغار، وهو أكبر منها، فكسرهُنَّ. أراد إبراهيم عليه السلام بذلك إقامة الحجة عليهم. فذلك قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

أ/٧٥

قال القُتيبيُّ:/ معناه: بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط، فجعل النطق شرطاً للفعل. أي: إن قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق[2]، وفي ضمنه: أنا فعلت ذلك. ولذلك كان الكسائي يقف عند قوله: بل فعله، ويقول: معناه بل فعله من فعله[3].

وقيل: إنما قال إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا بإذن الله له في ذلك لِقَصْدِ الصلاح، وهو أنه أراد أن يتركوا عبادة الأصنام، ويعبدوا الله وحده، فاحتجَّ عليهم بذلك، كما أذن ليوسف عليه السلام، حتى أمر مناديه، فقال لإخوته: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[يوسف]، ولم يكونوا سرقوا، وإنما قصد صلاحاً في ذلك، والله أعلم.

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد، تابعي، كان أبوه يسار من سبي ميسان، ومولىً لبعض الأنصار. ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وكانت أمه ترضع لأم سلمة. رأى بعض الصحابة، وسمع من قليل منهم. كان شجاعاً جميلاً عابداً عالماً فصيحاً، شهد له أنس بن مالك وغيره، وكان إمام أهل البصرة، وكاتباً للربيع بن سليمان والي خرسان. ولي القضاء بالبصرة أيام عمر بن عبد العزيز ثم استعفى، نُقِل عنه أنه قال بقول القدرية، ويُنقَل أنه رجع عن ذلك. وقال: الخير والشر بقدر. انظر: تهذيب التهذيب: ٢٦٣/٢، والأعلام: ٢٤٢/٢.

(٢) قال ابن قتيبة عند هذه الآية: أراد بل فعله الكبير، إن كانوا ينطقون فسلوهم. فجعل النطق شرطاً للفعل، أي: إن كانوا ينطقون فقد فعله. وهو لا يعقل ولا ينطق. انظر: تأويل مشكل القرآن: ص: ٢٠٨.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٠/١١، وزاد المسير: ٢٦٦/٥.

وقوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي: رجعوا إلى عقولهم، فقالوا: ما نراه إلا كما قال: ﴿ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ في عبادتكم الأصنام وهي لا تتكلم(١).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قال المفسرون: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة فرُدُّوا إلى الكفر بعد أن أقرُّوا على أنفسهم بالظلم. يُقال: نكس المريض/ إذا رجع إلى حاله الأول(٢). ٧٥/ب

﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ من قولهم. والضمير في ﴿ عَلِمۡتَ ﴾ لإبراهيم، فكيف نسألهم؟ فلما اتجهت الحجة لإبراهيم ﴿ قَالَ ﴾ لهم: ﴿ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ ﴾ إن تركتم عبادته.

وقوله: ﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ أي قذرٌ لكم! أليس لكم عقلٌ تعرفون هذا؟ فلما لزمتهم الحجة، وعجزوا عن الجواب ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

قال ابن عمر: إن الرجل الذي قال هذا رجل من الأكراد اسمه (هيرن)(٣) فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. فلما اجتمع نمروذ وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنياناً كالحظيرة. وقيل: بنوا تابوتاً بقرية يُقال لها: (كوثى) ثم جمعوا له صلاب الحطب من الخشب مدةً، حتى كان الرجل منهم يمرض فيقولُ: لئن عافاني الله لأجمعنَّ حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتساباً في دينهم.

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٢٦٨/٥.

(٢) انظر: القاموس المحيط: ص: ٧٤٦.

(٣) وهو من أعراب فارس، أي من باديتها. وقيل: اسمه (هيزن) كما في تاريخ الطبري وتفسيره. وقيل: (هيزر) كما في القرطبي رقم: ٣٠٣/١١. وقيل: (هيون).

وقال ابن إسحاق: كانوا يجمعون الحطب شهراً. فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا النار في كل ناحية من الحطب، فاشتعلت النار/ واشتدت حتى إن كان الطير ليمرُّ بها فيحترقُ من شدة وهجها. فأوقدوا عليها سبعة أيام. ٧٦/أ

روي أنهم لم يعلموا كيف يُلقونه فيها لِهَولِهَا وعظمها، فجاء إبليس فعلَّمهم عمل المنجنيق[١] فعملوه. ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان، وقيَّدوه، ثم وضعوه في المنجنيق مقيَّداً مغلولاً، فصاحت السماوات والأرض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق صيحة واحدة: أي ربنا! إن إبراهيم خليلَك يُلقى في النار، وليس في أرضك أحد يعبدك غيره، فاذن لنا في نصرته، فقال الله عزَّ وجلَّ: إنه خليلي، ليس لي خليل غيره، وأنا إلهه ليس له إله غيري. فإن استغاث بشيءٍ منكم أو دعاه فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به، وأنا وليُّه، فخلُّوا بيني وبينه.

فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال: إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيَّرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل، لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك.

ثم رَمَوا به/ في المِنْجَنيق إلى النار، فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم! ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل مَن لك الحاجة إليه، قال إبراهيم: حسبي مِن سؤالي علمه بحالي[٢]. ٧٦/ب

قال كعب الأحبار: جعل كلُّ شيءٍ يُطفِئ عنه النارَ إلا الوزغَ[٣]، فإنه كان ينفخ في النار.

---

(١) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة، وهي لفظة فارسية معربة من (جه نيك)، وقد تذكَّر. ومعناها: أنا ما أجودني. انظر: القاموس المحيط: ص: ١١٢٦.

(٢) انظر الخبر في زاد المسير: ٢٦٩/٥ــ٢٧٠، وتفسير القرطبي: ٣٠٢/١١ــ٣٠٣.

(٣) الوَزَغ: جمعٌ مفرده وزغة، وهي التي يقال لها سامٌّ أبرص. وتجمع الوزغة أيضاً على أوزاغ ووزغان وأزغان. وفي حديث عائشة رضي الله عنها لما احترق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه. وفي الصحيحين أن

قلت: وهو السبب في الأمر بقتله. قالت أم شريك[١]: أمر رسول الله ﷺ بقتل الوزغ، وقال: كان ينفخ على إبراهيم النار[٢]، والله أعلم[٣].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ قال ابن عباس: لو لم يقل سلاماً مات إبراهيم من بردها.

وقد ورد في الخبر: ((إنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت))[٤]، فلم يُنتفَع في ذلك اليوم بنار في الأرض. ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً. قال السُدِّيُّ: فأخذت الملائكة بضُبعَي[٥] إبراهيم فأقعدته على الأرض، فإذا عين ماء عذب،

النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقاً، وقال: كان ينفخ النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/١٨١، ولسان العرب: ٨/٤٥٨، وحياة الحيوان الكبرى: ١/٣٧٩.

(١) أم شريك القرشية العامرية من بني عامر بن لؤي، نسبَها ابنُ الكلبي: فقال: بنت دودان بن عوف بن عمرو ابن معيص بن عامر. وقال ابن سعد: اسمها غزية بنت جابر بن حكيم. وقال غيره: هي دوسية من الأزد، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت. وذكر أبو نُعَيم أنها أقبلت إلى النبي ﷺ ووهبت نفسها له بغير مهر، فقبلها ودخل عليها، فلما رأى عليها كبرة طلَّقها. انظر: الإصابة: ٨/٢٣٨، رقم الترجمة: ١٢٠٩٩.

(٢) عن أم شريك رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال: كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام)). انظر: صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾: ٤/ ٤٥٩، رقم الحديث: ٣٣٥٩.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٠٨ــ٢١١.

(٤) عن سائبة مولاة الفاكه بن المغيرة أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها فرأت في بيتها رُمْحاً موضوعاً، فقالت: يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح؟ قالت: نقتل به الأوزاغ، فإن نبي الله ﷺ أخبرنا أن إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار لم تكن في الأرض دابة إلا أطفأت النار، غير الوزغ، فإنها كانت تنفخ عليه، فأمر عليه الصلاة والسلام بقتله. انظر: سنن ابن ماجه: كتاب الصيد: ٢/١٠٧٦، رقم الحديث: ٣٢٣١.

(٥) الضَبْع: وسط العضد بلحمه. ويكون للإنسان وغيره. وجمعه أضباع. وقيل: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه. تقول: آخذ بضبعيه، أي بعضديه. وأخرج مالك وأحمد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة ومعها صبي لها في محفة، فأخذت بضبعه، فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: ((نعم ولك أجر)). انظر: الموطأ: كتاب الحج، باب جامع الحج: ١/٤٢٢، رقم الحديث: ٢٤٤، ومسند أحمد: ٣/٨، رقم الحديث: ٢١٨٧، وإسناده صحيح، ولسان العرب: ٨/٢١٦. وقيل: الضبع: ما تحت الإبط. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/٧٣.

وورد أحمر، ونرجس[١]. قال كعب[٢]: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وَثَاقَه. قالوا: وكان إبراهيم في تلك النار سبعة أيام.

قال المنهال بن عمرو[٣]: قال إبراهيم عليه السلام: ما كنت أياماً قطُّ أنعم مني من الأيام التي كنت في النار.

قال ابن يسار[٤]: وبعث الله ملك الظلِّ في صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسُه. وبعث الله عزَّ وجلَّ/ جبريل بقميص من حرير الجنة، وطنفسة[٥] فألبسه القميص، وأقعده على الطنفسة. وقعد معه يحدِّثُه. وقال جبريل: يا إبراهيم! إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضرُّ أحبائي. أ/٧٧

ثم نظر نمروذ، وأشرف على إبراهيم من صرح فرآه جالساً في روضة، والملك جالساً إلى جنبه، وما حوله نار تحرق. فناداه يا إبراهيم: كبيرٌ إلهُك الذي بلَغَتْ قدرتُه أن حال بينك وبين ما أرى. يا إبراهيم! هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم. قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرَّك؟ قال: لا. قال: قم فاخرج منها. فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج.

فلما خرج إليه قال: يا إبراهيم! مَن الرجل الذي رأيته معك في مثل صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك ملك الظلِّ أرسله إليَّ ربي ليؤنسني فيها.

---

(١) نِرْجِس: نوع من الرياحين. انظر: لسان العرب: ٦/٢٣٠.

(٢) وكذا قاله وهب بن منبه. انظر: تفسير زاد المسير: ٥/٢٧٠.

(٣) المنهال بن عمرو الأسدي أسَدُ خزيمة مولاهم الكوفي، وثقّه يحيى بن معين والنسائي والعجلي، وقال الدارقطني: صدوق، روى له الجماعة سوى مسلم، وذمّه بعضهم وتركه لسماعه القرآن بالتطريب. انظر: تهذيب الكمال: ٢٨/٥٧١، رقم الترجمة: ٦٢١٠.

(٤) هو عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاصّ مولى ميمونة زوج النبي ﷺ. توفي سنة ١٠٣ هـ، وإخوته سليمان، وعبد الله، وعبد الملك. روى له الجماعة، ووثّقه يحيى بن معين وأبو زرعة والنسائي. انظر: تهذيب الكمال: ٢٠/١٢٥، رقم الترجمة: ٣٩٤٦.

(٥) الطنفسة: واحدة الطنافس، للبسط والثياب والحصير من سعف، عرضه ذراع. انظر: القاموس المحيط: ص: ٧١٥.

فقال نمروذ: يا إبراهيم إني مقرِّب إلى إلهك قُرباناً لِمَا رأيت من عظيم قدرته وعزَّته فيما يصنع بك حيث أبيتَ إلا عبادتَه وتوحيده، إني ذابح له أربعةَ آلاف بقرة. فقال إبراهيم: إذاً لا يقبل منك ما كنتَ على دينك حتى تفارقه إلى ديني. قال: لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبحها له/ فذبحها نمروذ، وكفَّ عن إبراهيم، ومنعه الله عزَّ وجلَّ منه(١). ٧٧/ب

قال شعيب الجبلي(٢): أُلقِيَ إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة(٣).

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ قيل: أرسل الله على نمروذ وقومه البعوض، فأكلت لحومهم، وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته(٤).

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ أي: نجَّيناه من نمروذ وقومه من أرض العراق إلى أرض الشام، بارك فيها بالخصب، وكثرة الأشجار، والثمار، والأنهار. ومنها بعث الله أكثر الأنبياء.

وقال أبيٌّ(٥) بن كعب: سمَّاها مباركةً لأنه ما من ماء عذب إلا ينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس. وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لكعب: ألا

---

(١) انظر الخبر في زاد المسير: ٥/٢٧٠. تفسير القرطبي: ١١/٣٠٤.

(٢) هكذا ورد اسمه في الأصل، ولا أثر له البتة في كتب التراجم. وقد ورد اسمه في تفسير ابن كثير: ٣/١٨٥، وتفسير البغوي: ٣/٢١١: (شعيب الجبائي)، وهو أخباري متروك، قاله الأزدي. حدث عنه سلمة بن وهرام. وهو من أهل اليمن يروي عن الحكم بن عتيبة، وكان أقرأ الكتب. روى عنه محمد بن إسحاق. وأبو قبيل المغافري. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال البخاري فيه: منقطع. وجباء: جبل من أعمال الجَنَد باليمن، فكأنه شعيب بن الأسود. صاحب الملاحم، وهو تابعي. وروي عنه حديث سفينة نوح المشهور بالوضع. انظر: لسان الميزان: ٣/ ٤٩٨، رقم الترجمة: ٤١٤٧، وميزان الاعتدال: ٢/٢٧٨، رقم ٣٧٣١، والتاريخ الكبير: ٢/٢١٨

(٣) ذكر القرطبي الخبر نقلاً عن شعيب الحماني. وقال ابن جريج: أُلقِي إبراهيم في النار وهو ابن ست وعشرين. انظر: تفسير القرطبي: ١١/٣٠٤.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٣/٢١١ــ٢١٢.

(٥) أبيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن مالك بن النجار الأنصاري، أبو المنذر. من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها. قال له النبي ﷺ: ((ليهنك العلم يا أبا المنذر)). وقال له أيضاً: ((إن الله أمرني أن

تتحول إلى المدينة فيها مهاجَر رسول الله ﷺ وقبره؟ فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزلِ يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله من أرضه، فيها كنزه من عباده.

وعن عبد الله[١] بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنها ستكون/ هجرة بعد هجرة، فتختار الناس مهاجر إبراهيم))[٢].

أ/٧٨

وآمن لوط بإبراهيم، وكان ابن أخيه، وهو لوط بن هاران بن تارخ. وهاران هو أخو إبراهيم، وكان لهما أخ ثالث يقال له: ناحور بن تارخ. وآمنت أيضاً سارة، وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر عمِّ إبراهيم، فخرج من (كوثى) من أرض العراق مهاجراً إلى ربه، ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه، حتى نزل (حران)[٣]، فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر[٤]، ثم خرج

أقرأ عليك)). أخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم، وعُدَّ من الستة في أصحاب الفتيا. مات سنة ٢٢هـ. انظر: الإصابة: ٢٧/١، رقم الترجمة: ٣٢.

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، كنيته أبو محمد، وأمه رَيْطة بنت منبه. يقال إن النبي ﷺ غيَّر اسمه، حيث كان العاص. روى عن النبي ﷺ كثيراً، وعن الصحابة، وروى عنه الصحابة، وعدد كثير من التابعين. أسلم قبل أبيه، وقصته في الصحيحين مع النبي ﷺ في نهيه عن مواظبة القيام والصيام، وفيها يقول لما كبُر: يا ليتني كنت قبلت رخصة رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة ﷺ: ما أجد أصحاب رسول الله ﷺ أكثرَ حديثاً مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب. مات بالشام سنة ٦٥ هـ، وهو ابن ٧٢ سنة. انظر: الإصابة: ١٩٣/٤، رقم الترجمة: ٤٨٥٠.

(٢) عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمُهُم مهاجَر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقذرهم نفسُ الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير)). انظر: سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في سكنى الشام: ٦/٢، رقم الحديث: ٢٤٨٢. وأخرجه أحمد في المسند: ٤١٣/٦، رقم الحديث: ٦٩٥٢، وإسناده صحيح.

(٣) حرَّان: نسبة إلى هاران أخي إبراهيم، أول من بناها، ثم عُرِّبَت فقيل: حرَّان. وذُكِرَ أنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان، وهي على طريق الموصل والشام، وكانت منازل الصابئين ومجمعهم في حرَّان. فتحها عياض ابن غنم في خلافة عمر صلحاً، وينسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم، وتسمى قرى كثيرة في بلاد الشام بحَرَّان. انظر: معجم البلدان: ٢٣٥/٢.

(٤) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ص: ١٦٨، و١٨٧، و١٨٨.

من مصر إلى الشام، فنزل السَّبَعَ[١] من أرض فلسطين، وهو بريَّة الشام إلى جهة القبلة من قبره.

قلتُ: والآن هي منزل طائفة من العرب يُقال لهم: (جِرم)[٢]، أميرهم رجل صالح يُقال له: عمر بن فضل الجرمي لم أرَ في الأعراب له نظيراً، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء.

ونزل لوط عليه السلام بـــ: (المؤتفكة)[٣]، وهو من السبع المذكور مسيرة يوم وليلة، أو أقرب. فبعثه الله نبياً، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾،[٤] والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً ﴾ قال: مجاهد وعطاء: النافلة العطيَّة[٥]. وقال ابن عباس: النافلة هو/ يعقوب، لأن الله تعالى أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

٧٨/ب

---

(١) السَّبَع: هو الموضع الذي يكون فيه المحشر يوم القيامة. وهو في بريةٍ من أرض فلسطين. وقيل: قرية بين الرقة ورأس عينٍ على الخابور، وقيل: السبع ناحية في فلسطين بين بيت المقدس والكرك، فيه سبعة آبار، وكان ملكاً لعمرو بن العاص، أقام به حين اعتزل الناس، ومات به سنة ٧٣ هـــ. وقيل: مات بمكة. انظر: معجم البلدان: ١٨٥/٣.

(٢) جِرْمٌ: بالكسر ثم السكون. وقد ضبطها المصنف بفتح الجيم، وهو خطأ. و(جِرْم) مدينة بنواحي بَذَخْشان وراء وَلْوَالج؛ ينسب إليها أبو عبد الله سعيد بن حيدر الفقيه الجرمي، سمع من أبي يوسف الهمذاني وعمر بن محمد بن علي السرخسي، ومات بجرْم سنة نيف وأربعين وخمسمئة. انظر: معجم البلدان: ١٥١/٢، والأنساب: ٤٩/٢.

(٣) أصل الائتفاك: الانقلاب. والمؤتفكة: هي مدائن لوط التي قلبها الله على قوم لوط، سميت بذلك لانقلابها بالخسف. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النجم: الآية: ٥٣]. وقال أيضاً: ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ ﴾ [التوبة: ٧٠]. وتسمَّى سلمية، وهي مدينة بقرب الشام تدعى المؤتفكة، انقلبت بأهلها، فلم يسلم منهم إلا مئة نفس خرجوا منها، فبنوا لهم مئة بيت، فسمِّيت حوزتهم التي بنوا فيها مساكنهم: سلم مئة، ثم قال الناس: سَلَمِيَّة. انظر: لسان العرب: ٣٩١/١٠، ومعجم البلدان: ٢١٩/٥.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٢١٢/٣.

(٥) والمراد بها إسحاق ويعقوب. وهو ما ذهب مجاهد وعطاء. انظر: زاد المسير: ٢٧١/٥.

[الصافات: ١٠٠]، وزاده يعقوب ولَد الولد. والنافلةُ: الزيادة[١]. فجعلهم الله صالحين أئمة يُقتدى بهم في الخيرات.

وقوله تعالى: ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي: يدعون الناس إلى ديننا.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يعني: العمل بالشرائع، وقوله تعالى: ﴿ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ يعني: المحافظة على الصلاة، وقوله تعالى: ﴿ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: موحِّدين.

وقوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ أي: الفصل بين الخصوم بالحق.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ يعني: سدوماً[٢]، وهو فرعون لوط. وفيه قيل:

لا تبع عُقدة مالٍ خشية الجار الغشوم
واصطبر للفلك الدائر على كل ظلوم
كما قد دار بالأمـــر على آل ســـدوم [٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[٤]. ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ يعني: من قبل إبراهيم ولوط.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ وذلك أنه كان أطول النبيِّين عُمراً، وأشدَّهم/ بلاءً. والكرب أشدُّ من الغمِّ.

أ/٧٩

---

(١) والمراد بها يعقوب خاصة، فكأنه سأل واحداً فأُعطي اثنين. وهذا مذهب ابن عباس وقتادة وابن زيد والفرّاء. انظر: زاد المسير: ٥/٢٧١.

(٢) سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط، كان قاضيها يسمى (سدوم)، وبه ضرب المثل، فيقال: أجور من قاضي سدوم. انظر: معجم البلدان: ٣/٢٠٠.

(٣) لم أهتدِ إلى قائله.

(٤) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ص: ٢٤٣ــ٢٥٧.

وقوله: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ ﴾ أي: ﴿ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ أن يصلوا إليه بسوء، قاله أبو عبيدة[١].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ اختلفوا في الحرث؛ فقال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين: كان الحرث كرماً قد تدلَّت عناقيدُه[٢].

وقال قتادة: كان زرعاً[٣].

وقوله: ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي: رعته ليلاً فأفسدته[٤]. والنفش: الرعي بالليل[٥]، والهَمَلُ[٦] بالنهار، وهما الرعي بلا راع.

﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ أي: كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه. قال الفراء: جَمَع اثنين[٧]، فقال لحكَمِهِم وهو يريد داود وسليمان.

قلتُ[٨]: إن الجمع ضمُّ شيءٍ إلى شيءٍ، وهو حاصل في الاثنين. والمعروف عند الأكثرين أن أقل الجمع ثلاث، لأن الجمع لا يطلق إلا على ما كثُرَ. وحدُّ الكثرة ثلاثة، والله أعلم.

قال ابن عباس: وذلك أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب زرع، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: إن هذا انفلت غنمه ليلاً، ووقعت في حرثي فأفسدته، فلم يبق منه شيء، فأعطى داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرَّا على سليمان، فقال: كيف قضى بينكم؟/ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليِّت أمركما

٧٩/ب

---

(١) لم أجده في مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى. وقد ذكره البغوي في تفسيره: ٣/٢١٢ــ٢١٣.

(٢) قاله ابن مسعود ومسروق وشريح. انظر: زاد المسير: ٥/٢٧٣.

(٣) انظر: زاد المسير: ٥/٢٧٣.

(٤) قاله ابن قتيبة. انظر: زاد المسير: ٥/٢٧٣.

(٥) يقال: نَفِشت الإبل إذا تفرَّقت فَرَعَت بالليل من غير راعيها، ولا يكون النفش إلا بالليل. انظر: لسان العرب: ٦/٣٥٧.

(٦) الهَمَل: ضوال الإبل. وهي الإبل بلا راعٍ، وتكون بالنهار. انظر: لسان العرب: ١١/٧١٠.

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢٠٨.

(٨) هذا قول المصنف ــ رحمه الله ــ.

لقضيت بغير هذا. وروي أنه قال: غيرُ هذا أرفق بالفريقين، فأُخبِر بذلك داود فدعاه فقال: كيف تقضي؟ وروي أنه قال: بحق النبوَّة والأبوَّة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين. فقال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث، ينتفع بدرّها ونسلها وصوفها ومنافعها، ويَبذُر[1] صاحب الغنم لصاحب الحرث مثلَ حرثه. فإذا صار الحرث كهيأته يوم أُكل دُفع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء ما قضيتَ. وحكَم بذلك[2].

وقيل: إن سليمان يوم حكم كان ابن إحدى عشرة سنة.

قلتُ: هذا شرع مَن قبلنا، وأما شرعنا: فما أفسدته البهائم المرسلة بالنهار من مال الغير، فلا ضمان على أهلها، وما أفسدت بالليل ضمنه، لأن العادة أن أصحاب الزرع يحفظونه نهاراً، وفي الليل يجب على أهل البهائم حفظ بهائمهم[3]. وفي الحديث: ((أن ناقة البراء بنِ عازب دخلت حائطاً فأفسدت، فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مضمون على أهلهـــا))[4].

---

(١) وردت في الأصل: (وينثر)، والأقرب للصواب: (ويبذر) كما في تفسير البغوي: ٣/٢١٣.

(٢) انظر: زاد المسير: ٥/٢٧٣، والدر المنثور: ٤/٥٨٣ــ٥٨٤.

(٣) انظر: المغني: ١٠/٣٥٦ــ٣٥٧.

(٤) عن حرام بن محيصة أن ناقة للبراء دخلت حائطاً فأفسدت فيه، فقضى رسول الله ﷺ: ((أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها)). أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٧/ ٨٠، رقم الحديث: ٢٣٥٨١، وإسناده صحيح. وأخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الأقضية، باب القضاء في الضواري والحريسة: ٣/٦١٥، رقم الحديث: ١٣٢٦. وقال ابن عبد البر: هكذا رواه مالك وأصحاب ابن شهاب عنه مرسلاً، والحديث من مراسيل الثقات. وتلقّاه أهل الحجاز وطائفة من أهل العراق بالقبول، وجرى عمل أهل المدينة عليه. وأخرجه أبو داود موصولاً في سننه: كتاب البيوع، باب المواشي تفسد زرع قوم: ٢/٣٢٦، رقم الحديث: ٣٥٧٠.

وذهب أصحاب أبي حنيفة/ إلى أن المالك إذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلاً كان أو نهاراً[١]، والله أعلم[٢][٣]. | ٨٠/أ

وقوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ أي: ألهمنا سليمان، وعلَّمناه القضيَّة، ﴿ وَكُلًّا ﴾ يعني: داود وسليمان.

قال الحسن: لولا هذه الآية لكان الحكام قد هلكوا، ولكن الله حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده.

واختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أن حكم داود كان بالاجتهاد، أو بالنصّ، وكذلك حكم سليمان. فقال بعضهم: فعلا ذلك بالاجتهاد، وقالوا: يجوز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام ليدركوا ثواب المجتهدين. إلا أن داود اجتهد ولم يُصب، وأصاب سليمان عليهما السلام.

وأما العلماء فلهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نصَّ كتاب أو سنَّة، ولا إثم على المخطئ، لقوله عليه السلام: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد))[٤].

---

(١) لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((العجماء جرحها جبار))، يعني هدراً. ولأنها أفسدت وليست يده عليها، فلم يلزمه الضمان، كما لو كان نهاراً، أو كما لو أتلفت غير الزرع. انظر: الدر المختار: ٣٩٠/٥، والاختيار: ٤٧/٥، والمغني: ٣٥٧/١٠.

(٢) القاعدة الأصولية: شرع مَن قبلنا شرع لنا مالم يثبت نسخه. وذهب العلماء فيها إلى ثلاثة مذاهب. انظر تفصيلها في: أصول السرخسي: ٩٩/٢ــ١٠٥، وزاد المسير: ٢٧٤/٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٢١٣/٣ــ٢١٤.

(٤) عن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد)). أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ: ٥١١/٨، رقم الحديث: ٧٣٥٢. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد: ١٣٤٢/٣، رقم الحديث: ١٧١٦/١٥. ورواه الترمذي بلفظ: ((وإذا حكم فأخطأ))، (بدون فاجتهد). وقال حديث حسن غريب. كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في القاضي يصيب ويخطئ: ٦١٥/٣، رقم الحديث: ١٣٢٦.

وفي رواية: ((إن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله عشرة[١] أجور، وإن أخطأ فله أجر))[٢].

وقال آخرون: إن داود وسليمان حكما بالوحي، وكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود. وقالوا:/ لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد، لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحي، ولأن الاجتهاد يحتمل الخطأ، ولا يجوز الخطأ على الأنبياء عليهم السلام. ٨٠/ب

وقال قوم: كل مجتهد مصيب. واحتجوا بظاهر الآية، وبالخبر[٣]. حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة[٤].

وذهب جماعة إلى أن ليس كل مجتهد مصيباً[٥]، بل إذا اختلف اجتهاد مجتهدَين في حادثةٍ كان الحق مع واحدٍ لا بعينِه، ولو كان كل واحد مصيباً لم يكن لتقسيم قوله ﷺ: ((إذا اجتهد فأخطأ فله أجر))[٦] معنىً، إذ لم يُرد أنه يؤجر على الخطأ، وإنما يُؤجر على الاجتهاد في طلب الحق، لأن اجتهاده عبادةٌ.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما[٧]، فقالت صاحبتُها: إنما ذهب بابنك. وقالت

---

(١) وردت في الأصل: (عشر)، وهو خطأ. والصواب: (عشرة) حسب قاعدة العدد ومخالفته للمعدود.

(٢) هكذا وردت في الأصل. وهي رواية أخرجها أحمد في مسنده بسنده عن ابن حجيرة يسأل القاسم بن البرحي: كيف سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يخبر؟ قال: سمعته يقول: إن خصمين اختصما إلى عمرو بن العاص ﷺ، فقضى بينهما، فسخط المقضيُّ عليه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: ((إذا قضى القاضي فاجتهد فأصاب فله عشرة أجور، وإذا اجتهد فأخطأ كان له أجر، أو أجران)). إسناده حسن. انظر: مسند أحمد: ٢٩٣/٦، رقم الحديث: ٦٧٥٥.

(٣) أي بقوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ والحديث: ((إذا حكم الحاكم..)) الحديث.

(٤) انظر: أصول السرخسي: ١٤/٢، إحكام الفصول للباجي: ص: ٦٢٣. وارجع إلى تفسير القرطبي: ٣٠٩/١١، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ١٥١/١١، ففيهما تفصيل موسع للمسألة.

(٥) وردت في الأصل: (مصيب)، وهو خطأ. والصواب: (مصيباً) خبر ليس منصوب بالفتحة.

(٦) هذه رواية النسائي وبدايته: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر)). انظر: سنن النسائي الكبرى: كتاب القضاء، باب ثواب الإصابة في الحكم: ٤٦١/٣، رقم الحديث: ٥٩٢٠/١.

(٧) وردت في الأصل: (إحديهما)، وهو خطأ. والصواب: (إحداهما)، وإعرابها: مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذّر.

الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان، وأخبرتَاه، فقال: إيتوني[1] بالسكين أشقُه بينكما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، إنما هو ابنها، فقضى به للصغرى))[2][3]، والله أعلم.

وقوله عزَّ وجلَّ:/﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ | أ/٨١

كان داود عليه السلام إذا سبَّح تجاوبه الجبال والطير، ويُفهم تسبيحهم. فإذا فتر داود أسمعه الله تسبيح الملائكـــة ليشتاق إليه[4].

ومعنى قوله: ﴿ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ما ذُكر[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

قلتُ: سمِّيت الدروع لبوساً[6] لأنها تُلبس[7].

قال قتادة: أول من صنع الدرع داود، وكانت من قبلُ صفائح[8].

---

(١) هكذا وردت في الأصل: (إيتوني)، وهو وجه جائز. ويجوز فيها أيضاً: (ائتوني).

(٢) هكذا وردت الرواية في أصل المخطوط، ونصها كما ورد في صحيح البخاري في الحاشية التالية.

(٣) ورد نص هذا الحديث في الصحيحين باللفظ التالي: عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت: لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتَاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقُه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى)). قال أبو هريرة ﷺ: والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ، وما كنا نقول إلا المدية. انظر: صحيح البخاري: كتاب الفرائض، باب إذا ادَّعت المرأة ابناً: ٣٢٣/٨، رقم الحديث: ٦٧٦٩، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ ﴾ [ص: الآية: ٣٠]: ٤٨٩/٤، رقم الحديث: ٣٤٢٧. وصحيح مسلم: كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين: ١٣٤٤/٣، رقم الحديث: ١٧٢٠/٢٠.

(٤) قاله أبو هريرة ﷺ . انظر: زاد المسير: ٢٧٤/٥.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٢١٤/٣، تفسير القرطبي: ٣١٩/١١، وزاد المسير: ٢٧٤/٥.

(٦) اللبوس: الدرع. انظر: القاموس المحيط: ص: ٧٣٨.

(٧) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٢٧٤/٥.

(٨) قاله أبو عبيدة. والصفائح: السيوف العريضة. انظر: زاد المسير: ٢٧٤/٥، والقاموس المحيط: ص: ٢٩٣

والتحصينُ: المنعُ[١] ﴿ مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ ﴾ من حرب عدوكم. قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء، يعني: الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ ﴾، وقرأ الآخرون بالياء[٢]، جعلوا الفعل للملبوس. ﴿ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ قيل: خاطب داودَ وأهلَ بيته. وقيل: أهلَ مكة: فهل أنتم شاكرون نِعَمي، يعني: طاعة محمد ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي: وسخَّرنا لسليمان الريح[٣]، وهو هواء متحرك جسم لطيف يمتنع للطفه من القبض عليه، يُدرك بالحس بحركته. والريح تذكَّرُ وتؤنَّثُ. والعاصفةُ/ الشديدة. فإن قيل: قد قال في موضع آخر: (رخاءً)، والرخاء اللين[٤]. قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، والله أعلم. ٨١/ب

وقولــه تعالــى: ﴿ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ يعني: الشام، وذلك أنها كانت الريح تجري بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، عَلِمنا أن ما نعطي سليمان من تسخير الرياح وغيره، يدعوه إلى خشوع ربه.

قال وهب بن منبه: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطيرُ، وقام له الجن والإنس، حتى يجلس على سريره. وكان رجلاً غزَّاءً[٥]، قلَّ ما يقعد عن

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ص: ١٥٣٦.

(٢) أي: (ليحصنكم) على معنى: ليحصنكم داود عليه السلام، أو اللبوس. وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي. أما رواية النون (لنحصنكم) فهي لأبي بكر عن عاصم ومعه رويس. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٣٠، والكشف: ١١٢/٢، والنشر: ٢٤٣/٢.

(٣) الريح: هي الهواء المسخر بين السماء والأرض. وفي اللسان: نسيم الهواء، ونسيم كل شيء، وهي مؤنثة. وكل ما في القرآن من الرياح فهو الرحمة، وكل ما فيه من الريح فهو العذاب. انظر: الكليات: ص: ٤٦٥، ولسان العرب: ٤٥٣/٢، وتاج العروس: ٤١٣/٦.

(٤) الرُّخاء: بضم الراء: الريح اللينة، والرَّخاء: بفتح الراء: سعة العيش. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٦٦١.

(٥) غزَّاء: صيغة مبالغة من غازٍ، أي: شديد وكثير الغزو.

الغزو، لا يسمع في ناحيةٍ مَن يملُك إلا أتاه حتى يُذلَّه. وكان ــ فيما يزعمون[١] ــ إذا أراد الغزو أمر بمعسكره فضرب بخشبٍ، ثم نُصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناسَ والدوابَّ وآلة الحرب. وإذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى إذا استقلَّت به أمر الرَّخاء فمرَّ به شهراً في روحته وشهراً في غدوته إلى حيث أراد. وكانت تمرُّ بمعسكره/ الريح الرَّخاء بالمزرعة تحرِّكها ولا تثير تراباً، ولا تؤذي طائراً[٢]. ٨٢/أ

قال وهب بن منبه: ذُكِر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيها[٣]: كتبه بعض أصحاب سليمان؛ إما من الجنِّ، وإما من الإنس: نحن نزَلْنَاه وما بنيناه، ومبنيًّاً وجدناه. غدونا من إصطخر[٤] فقلناه[٥]، ونحن رائحون[٦] إن شاء الله فبانيون[٧] بالشام.

وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم[٨]، وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط، فيقعد عليه وحوله ثلاثة

---

(١) هذه إشارة إلى ضعف الرواية، خاصة وغالب ما يرويه وهب بن منبه إنما هو من أخبار الإسرائيليات.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٨٧/٤، وتفسير البغوي: ٢١٥/٣.

(٣) هكذا وردت في الأصل، وفي تفسير البغوي: (مكتوب فيه..).

(٤) إصْطَخْر: بلدة من أقدم وأشهر أعيان حصون فارس ومدنها. وبها آثار عظيمة من الأبنية، أول من أنشأها: إصطخر بن طهمورث ملك الفرس. وطهمورث عند الفرس بمنزلة آدم. وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان بن داود عليهما السلام. وكانت بها خزائن الملوك قبل الإسلام. وكان الفتح الأخير لها سنة ٢٨هـ في خلافة عثمان على يد الحكم بن أبي العاص، أما الفتح الأول ففي عهد عمر ﷺ. ويشتهر أهلها أنهم أكرم الناس أحساباً، وإليها ينسب جماعة وافرة من أهل العلم. انظر: معجم البلدان: ٢١١/١.

(٥) (قلناه) من: قال يقيل قَيْلاً ومقيلاً. والقيلولة: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر، ولو لم يكن معها نوم. والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها. وفي البخاري: ((وما كنا نتغدى ولا نقيل إلا بعد الجمعة)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الحرث والمزارعة، باب ما جاء في الغرس: ١٠٤/٣، رقم الحديث: ٢٣٤٩، لسان العرب: ٥٧٨/١١.

(٦) رائحون من الرواح: وهو العشي، أو من الزوال إلى الليل. يقال: رحت إليهم روحاً ورواحاً، أي: ذهبت إليهم رواحاً. انظر: القاموس المحيط: ص: ٢٨٣.

(٧) هكذا وردت في الأصل، وفي تفسير البغوي: (فبايتون بالشام..).

(٨) الإبريسم: الحرير. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٣٩٥.

آلاف كرسي من ذهب وفضة، يقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظلُّه الطير بأجنحتها، حتى لا تقع عليه الشمس، وترفعُ ريحُ الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح، ومن الرواح إلى الصباح.

وعن سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان ستمئة ألف كرسي؛ يجلس الإنس فيما يليه، ثم تليهم الجن، ثم تظلُّهم الطير، ثم تحملهم الريح.

قال الحسن: لما شغلت الخيلُ نبيَّ الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب/ ٨٢/ب فعقر الخيل[١]، فأبدله الله خيراً منها، وأسرعَ الريحَ تجري بأمره كيف يشاء. فكان إذا غدا يغدو[٢] من إيلياء[٣]، فيقيل بإصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحه بكابل[٤].

وقال ابن زيد: كان له مركب من خشب فكان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت، يركب معه فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب، وإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم، يقيم عند قومٍ بينه وبينهم شهر، ويمسي عند قومٍ بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلَّهم معه الجيوش.

---

(١) العقر: الجرح، وأثر كالحزّ في قوائم الفرس والإبل. يقال: عقر الفرس والبعير بالسيف عقراً: قطع قوائمه. وفرس عقير ومعقور، وخيل. انظر: لسان العرب: ٥٩٢/٤، والقاموس المحيط: ص: ٥٦٩.

(٢) وردت في الأصل: (يعدوا)، وهو خطأ. والصواب: (يغدو).

(٣) إيلياء: اسم مدينة ببيت المقدس، وقيل معناه بيت الله، وسميت باسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. وقال القزويني: بناها داود وفرغ منها سليمان عليهما السلام. وعن ابن عباس: البيت المقدس بنته الأنبياء، وسكنته الأنبياء، وما فيه موضع شبر إلا وصلى فيه نبي، أو قام فيه ملك. وكان بيت المقدس في يد الروم، ففتحه الله في زمن عمر، وكان أبو عبيدة بن الجراح أمير الجيش قد كتب إلى بطاركة إيلياء يدعوهم إلى الإسلام، أو أداء الجزية، فالتووا عليه فحاصرهم، وعندما اشتد عليهم الحصار سألوه أن يصالحهم على أن يعطوا الجزية، فأجابهم إلى ذلك. انظر: معجم البلدان: ٢٩٣/١، والروض المعطار: ص رقم: ٦٨، وآثار البلاد: ص رقم: ١٥٩.

(٤) ولاية ذات مروج كبيرة. وهي من ثغور طخارستان. وأهلها صنف من الأتراك، نزلوا قديماً بين الهند ونواحي سجستان، وكانوا أصحاب نِعَم. غزاها المسلمون أيام بني مروان، وافتتحوها وأهلها مسلمون. انظر: معجم البلدان: ٤٢٦/٤.

ورُوِيَ أن سليمان عليه السلام سار من أرض العراق غازياً فقال[١] بمدينة مرْو[٢] صلى العصر بمدينة بلخ[٣] تحمله وجنوده الريح فتظلهم الطير، ثم سار من مدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جازهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر، ويروح على مثل ذلك، ثم سار يُمنةً عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض القندهار[٤].

---

(١) قال يقيل قيْلاً وقيلولة ومقيلاً. والقيلولة: الاستراحة نصف النهار. سبقت الإشارة إلى هذا المعنى قبل صفحتين، الحاشية: (٥).

(٢) مرو الشاهجان: مرو العظمى أشهر مدن خراسان، والنسبة إليها (مَروَزي). تتوسط نيسابور وبلخ وسرخس. ومعناها الحجارة البيض التي تقتدح بها النار. روى بريدة بن الحصيب أن رسول الله ﷺ قال له: ((يا بريدة إنه سيبعث من بعدي بعوث، فإذا بعثت فكن في بعث المشرق، ثم كن في بعث خراسان، ثم كن في بعث أرض يقال لها: (مرو)، إذا أتيتها فانزل مدينتها، فإنه بناها ذو القرنين، وصلى فيها عزير. أنهارها تجري بالبركة، على كل نقب منها ملك شاهر سيفه، يدفع عن أهلها السوء إلى يوم القيامة)). وقدم فيها بريدة غازياً، وقبره معروف فيها. وأخرجت مرو علماء؛ منهم: أحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم. انظر: معجم البلدان: ١١٢/٥.

(٣) بلخ مِن أشهر وأجلّ مدن خراسان، وأذْكَرِها وأكثرِها خيراً، وأوسعها غلّة. بناها لُهْراسف الملك لما خرّب صاحبه بختنصَّر بيت المقدس. وقيل: بناها الإسكندر. ويقال لجيجون: نهر بلخ. افتتحها الآصف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز أيام عثمان بن عفان. وينسب إليها خلق كثير؛ منهم: الحسن بن شجاع، ومحمد بن علي ابن طرخان، وغيرهم. انظر: معجم البلدان: ٤٧٩/١.

(٤) قَنْدُهار: مدينة من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح. قيل: غزا عباد بن زياد ثغر السند وسجستان، ثم نزل حتى أتى قندهار فقاتل أهلها وهزمهم، وفتحها. انظر: معجم البلدان: ٤٠٢/٤.

وخرج منها إلى مُكران[١] وكرمان[٢]، ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياماً، وغدا منها فقال بكسكرة[٣]، ثم راح إلى أرض الشام، وكان مقره بمدينة/ تدمر[٤]. وكان أمر الشياطين قبل شخوصه[٥] من الشام إلى العراق، فبنوها له بالصفَّاح[٦] والعُمُدِ والرخام الأبيض والأصفر. وفي ذلك يقول النابغة:

أ/٨٣

إلا سليمان إذ قال المليكُ لـــه ... قم في البرية فاحدُدْها عن الفنَدِ[٧]

وأخبرِ الجن أني قد أذِنتُ لهم ... يبنون تدمر بالصفَّـــاح والعُمُـــدِ

والله أعلم.

---

(١) مُكْران: وردت في الأصل بكسر الميم، وهو خطأ. وضبطها بالضم. وهي نسبة إلى مكران بن فارك بن سام ابن نوح أخي كرمان، لأنه نزلها واستوطنها. وهي ولاية واسعة، الغالب عليها المفاوز والضرُ والقحط. وأول ما غزيت في خلافة علي بن أبي طالب بعد محاولات كانت في خلافة عثمان. ويقال: إنه فتحها سنان بن سلمة الهذلي حين ولاه زياد بن أبي سفيان في أيام معاوية، فأتى الثغر، وفتح مكران عنوة ومصّرها، وأقام بها، وضبط البلاد. انظر: معجم البلدان: ١٧٩/٥

(٢) كرمان: ولاية مشهورة وناحية معمورة ذات قرى ومدن واسعة بين فارس وسجستان وخراسان، وهي غرب مكران، تكثر فيها النخل والزرع والمواشي والضرع، وأهلها أخيار أهل سنة وجماعة. فتحها عثمان بن العاص زمن خلافة عمر. انظر: معجم البلدان: ٤٥٤/٤.

(٣) كَسكرة: نسبة إلى كسكر بن طمهورث الملك الذي هو أصل الفرس. وقيل: معناها بلد الشعير بلغة أهل هراة، وهي كورة واسعة سهلية، تكثر بها الفراريج وغيرها من أصناف المواشي والأرزاق. وقصبتها اليوم واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة. انظر: معجم البلدان: ٤٦١/٤.

(٤) تَدْمُر: مدينة قديمة في برية الشام، نسبة إلى تدمر بنت حسان بن أذينة من سلالة سام بن نوح عليه السلام. وهي من عجائب الأبنية، موضوعة على العمد الرخام. زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان، يدلل النابغة عليه بشعره أعلاه. وأهل تدمر يزعمون أنه بُني قبله بكثير. فتحت تدمر صلحاً حين حاصرهم خالد بن الوليد ﷺ في طريقه من العراق إلى الشام، فتحصنوا منه، وأحاط بهم، ولم يقدر عليهم، فهددهم بعد عودته من الشام إن لم يصالحوا. فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أدوه له، ورضي به. انظر: معجم البلدان: ١٧/٢.

(٥) شخوصه: ذهابه. يقال: شخص من بلد إلى بلد، إذا ذهب وسار في ارتفاع. انظر: القاموس المحيط: ص: ٨٠٢.

(٦) الصفَّاح: حجارة عراض رقاق. انظر: القاموس المحيط: ص: ٢٩٣.

(٧) معنى احددها: احبسها واجعل لها حدّاً. والفند: الخطأ. انظر: شرح ديوان النابغة الذبياني: ص: ٢٣. ولفظه في الديوان: **إلا سليمان إذ قال الإلـــه لـــه ... قم في البرية فاحددها عن الفند**

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: وسخرنا من الشياطين مَن يدخل تحت الماء، فيُخرِجون له مِن قعر البحر الجواهرَ، ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: دون الغوص، وهو ما ذكر الله عزَّ وجلَّ في (سبأ): ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ... ﴿١٣﴾ ﴾، الآية. ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ حتى لا يخرجوا[1] من أمر سليمان.

وقال الزَّجَّاج: حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا[2]. وفي القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً قال له: إذا فرغ من عملك قبل الليل أشغله بعمل آخر، لئلا يفسد ما عمل. وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من عمل ولم يشتغلوا بعمل أخر خرَّبوا ما عملوا وأفسدوه.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾/ ٨٣/ب

معنى نادى: دعا ربه.

قال وهب:[3] كان أيوب عليه السلام رجلاً من الروم، وهو أيوب بن أموص ابن رازح[4] بن روم بن عيص بن إسحاق عليهم السلام، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران، وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا، وكانت له البثنيَّة[5] من أرض

---

(١) وردت في الأصل: (لا يخرجون)، وهو خطأ، والصواب: (لا يخرجوا).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٠١/٣.

(٣) ذكر ابن كثير في قصص الأنبياء: روي عن وهب بن منبه وغيره من علماء بني إسرائيل في قصة أيوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جسده، والله أعلم. انظر: قصص الأنبياء: ص: ٢٣٧. وذكر ابن كثير أيضاً في تفسيره: أن القصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة، تركناها لحال طولها. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠١/٣.

(٤) هكذا وردت في الأصل، وفي تفسير البغوي: (تارخ).

(٥) البَثَنِيَّة: تصغير بثنة، اسم ناحية من نواحي دمشق. وقيل: هي قرية بالشام بين دمشق وأذرعات. وكان أيوب عليه السلام منها. ويقال: إن البثنية حنطة منسوبة إلى بلدة معروفة بالشام. والبثنية: الزبدة الناعمة، والرملة الناعمة. انظر: معجم البلدان: ٣٣٨/١.

الشام كلها سهلها وجبلها، وكان له فيها من أصناف المال كله من البقر والغنم والخيل والحُمُر ما يكون لرجلٍ أفضل منه في العدَّة والكثرة.

وكان له خمسمئة فدان يتبعها خمسمئة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة كل فدان[١] أتانٌ ولدت من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك، وأعطاه الله مالاً وولداً من رجال ونساء. وكان أيوب رحيماً بالمساكين، يُطعم المسكين ويتكفَّل بالأرامل والأيتام، ويُكرم الضيف، ويُبْلِغ[٢] أبناء السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله مؤدياً لحق الله، قد امتنع من عدوِّ الله إبليس أن يُصيب منه ما يُصيب/ من أهل الغنى من الغفلة والتشاغل عن أمر الله بالدنيا. وكان معه ثلاثةُ نفرٍ قد آمنوا به وصدَّقوه؛ رجلٌ من أهل اليمن يقال له: (اليقن)[٣]، ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما: (بلدد)[٤]، والآخر: (صافر)، وكانوا كُهُولاً، وكان إبليس لا يُحجَب عن شيءٍ من السماوات، وكان يقف فيهن حيث أراد، حتى رُفِعَ إدريس عليه السلام فحُجب من أربع سماوات.

أ/٨٤

فلما بُعِث محمد ﷺ حُجِبَ [عن][٥] الثلاثة الباقية، فبلغ إبليسَ تجاوبُ الملائكة لأيوب عليه السلام بالصلاة، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فأدركه البغي والحسد، فصَعِدَ سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه فقال: إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك، وعافيتَه فحمِدَك، ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عمَّا هو عليه من شكرك وعبادتك، ولخرج من طاعتك. قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ماله.

---

(١) فدان: المبلغ المتعارف، ويقال: المزرعة، ويقال: الثوران اللذان يقرنان فيُحرَث عليهما. والجمع فدادين. انظر: لسان العرب: ٣٢١/١٣.

(٢) يبلغ، البلغة من القوت: ما يتبلَّغ به من العيش ولا فضل فيه. يقال: تبلَّغ بكذا، أي: اكتفى به. انظر: لسان العرب: ١٤٠/٨، وتهذيب اللغة: ١٤٠/٨.

(٣) هكذا وردت في الأصل، وفي تفسير البغوي: (الثغر).

(٤) هكذا وردت في الأصل، وفي تفسير البغوي: (يلدد).

(٥) سقطت من الأصل، وإضافتها تصحح المعنى وتوضحه.

فانقضَّ عدوُّ الله إبليس حتى وقع على الأرض، ثم جمع عفاريت الجنِّ، ومردة[١] الشياطين، وقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فإني قد سُلِّطت على مال أيوب وهي المصيبة القادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال.

فقال عفريت من الشياطين:/ أعطيتُ من القوة ما إذا شئتُ تحوَّلتُ إعصاراً من النار فأحرقتُ كل شيءٍ آتي عليها[٢]. ٨٤/ب

قال له إبليس: فَأْتِ الإبل ورعاءها[٣]، فأتى الإبل حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار لا يدنو منها أحد إلا احترق، فأحرقها ورعاتَها حتى أتى على آخرها، ثم جاء عدوُّ الله إبليس في صورة قيِّمة على قعود[٤] إلى أيوب فوجده قائماً يصلِّي، فقال: يا أيوب! أقبلتْ نارٌ حتى غشيت إبلَك فأحرقتها ومَن فيها غيري.

فقال أيوب: الحمد لله الذي هو أعطاها، وهو أخذها، وقديماً وطَّنت نفسي ومالي على الفناء. قال إبليس: فإن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت، فبَهِتَ الناس يتعجَّبون منها؛ منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئاً، وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول: هو الذي فعل ليشمتَ به عدوُّه، ويفجعَ به صديقُه.

فقال أيوب: الحمد لله حين أعطاني، وحين نزع مني، عُرياناً خرجت من بطن أمي، وعُرياناً أعود في التراب، وعُرياناً أُحشر إلى الله عزَّ وجلَّ، ليس لك أن تفرح حين أعارك، ولا أن تجزع حين أخذ ما أعارك/ ويقبض عاريتَه منك، الله أولى بك ٨٥/أ

---

(١) مردة: جمع مارد وهو المرتفع والعاتي، أو هو أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف. انظر: القاموس المحيط: ص: ٤٠٧.

(٢) هكذا وردت في الأصل، وهي مشكلة. وصوابها احتمالان: (فأحرقتُ كلَّ شيء آتي عليه)، أو: (فأحرقتْ كلَّ شيء أتى عليها).

(٣) الرعاء: جمع مفرده راعي. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ [القصص: الآية: ٢٣]، أي: الرعيان. قال الأزهري: أكثر ما يقال رعاة للولاة، والرعيان لراعي الغنم. انظر: لسان العرب: ٣٢٦/١٤.

(٤) قَعُود: البكر من الإبل حين يُركَب أي: يمكِّن ظهره من الركوب. وأدنى ذلك أن يأتي عليه سنتان، إلى أن يثْني، فإذا أثنى سُمِّيَ جملاً. انظر: لسان العرب: ٣٦٠/٣.

وبما أعطاك، ولو علم الله بك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح، وصرت شهيداً، ولكنه علم منك شراً فأخَّرك، فرجع إبليس إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً. فقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فقال عفريت من الجنّ: عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه.

قال: فأتِ الغنم ورعاءها، فأتى الغنم حتى توسَّطها، صاح صيحة من تحتها فجثت[1] أمواتاً من عند آخرها، ومات رعاتُها.

ثم جاء متمثلاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي، فقال له مثل القول الأول، فردَّ أيوب مثل الردِّ الأول، ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال: ماذا عندكم من القوة، فإني لم أَكْلِمْ[2] قلب أيوب؟ فقال عفريت: عندي من القوة ما إذا شئتُ تحولتْ ريحاً عاصفاً تنسف كل شيءٍ تأتي عليه. قال: فأتِ الفَدَادِين والحرث، فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيءٍ من ذلك حتى كأنه لم يكن، ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الحرث إلى أيوب وهو قائم يصلِّي، فقال له مثل قوله الأول، فردَّ عليه أيوب/ مثل ردِّه الأول، كلما انتهى إليه هلاك شيءٍ من ماله حَمِدَ الله تعالى، وأثنى وأحسن الثناء عليه، ورضي منه بالقضاء، ووطَّن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال. ٨٥/ب

فلما رأى إبليس أنه قد فني ماله صعد فقال: إلهي إن أيوب يرى منك أنك ما تمتعه بولده، فأنت تعطيه المال، فهل أنت مسلِّطي على ولده، فإنها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال؟ قال الله: انطلق فقد سلَّطتك على ولده. فانطلق عدوُّ الله حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل

---

(١) جثى: أي: جلس على ركبتيه، أو قام على أطراف أصابعه. وفي تفسير البغوي: فتجثمت أمواتاً، من جثم فهو جاثم أي: بارك على رجليه كما يجثم الطير. أي: أصابهم العذاب فماتوا جاثمين، أي باركين. انظر: لسان العرب: ٨٣/١٢، ١٣٣/١٤، وتفسير البغوي: ٢١٧/٣.

(٢) الكَلْمُ، وكلوم، وكلام: الجرح. وكَلَمَه يَكْلِمُه وكَلَّمَه جرحه فهو مكلوم وكليم. انظر: لسان العرب: ٥٢٤/١٢، والقاموس المحيط: ص: ١٤٩١.

يناطح جُدَرَه بعضها بعضاً، ويرميهم بالخشب والجندل[١] حتى إذا مثَّل بهم كل مُثْلَة[٢] رفع القصر فقلبه فصاروا منكّسين، وانطلق إلى أيوب متمثلاً بالعالِم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ[٣] الوجه يسيل دمه ودماغه.

فأخبره وقال: لو رأيت كيف شققت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لقُطِع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رقّ أيوب وبكى، وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال: ليت أمي لم تلدني. فاغتنم إبليس ذلك سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً به/ ثم إنه لم يلبث أن رجع واستغفر وصعد قريناه من الملائكة بتوبته، فسبقت توبته إلى الله عزَّ وجلَّ وهو أعلم، فوقف إبليس ذليلاً فقال: إلهي إنما هان على أيوب المال والولد، إنه يرى أنك متَّعته بنفسه، فأنت تعيد له المال والولد لصحة جسده، فهل أنت مسلِّطي على جسده؟ ٨٦/أ

فقال الله عزَّ وجلَّ: انطلق فقد سلَّطتك على جسده، وليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه. وكان الله عزَّ وجلَّ أعلم به لم يسلِّطه عليه إلا رحمةً ليعظم له الثواب، ويجعله عبرةً للصابرين، وذكرى للعابدين، ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب، والله أعلم.

فانفضَّ عدوُّ الله إبليس فوجد أيوب ساجداً، فتعجَّل قبل أن يرفع رأسه، فأتاه من قِبَلِ وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جميع جسده، فخرج من فرقه إلى قدميه ثآليل[٤] مثل إليات الغنم، فوقعت فيه حكَّةٌ، فحكَّ بأظفاره حتى سقطت كلُّها، ثم حكَّ

---

(١) الجندل: ما يُقِلُّه الرجل من الحجارة. وقيل: هو الحجر كله. انظر: لسان العرب: ١٢٩/١١.

(٢) المُثْلَة: العقوبة. يقال: مثَّل مثلة، أي: نكَّل تمثيلاً. وفي التنزيل: ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ [الرعد: الآية: ٦]. أي: العقوبة بالأمم الخالية. وجمع مَثُلَة: مثلان، ومُثْلَة: مُثْلان. انظر: لسان العرب: ٦١٥/١١، والقاموس المحيط: ص: ١٣٦٤.

(٣) الشدخ: الكسر في كل شيء رطب. وقيل: هو الهشيم. يعني به كسر اليابس وكلُّ أجوف. والشدخ: كسرك الشيء الأجوف كالرأس، ونحوه. وفي الحديث: ((فشدخوه بالحجارة)). انظر: لسان العرب: ٢٨/٣.

(٤) ثآليل جمع مفرده ثؤلول: وهو خراج، أو حبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها. والثؤلول: بَثْرٌ صغير صُلْبٌ مستدير على صور شتى. فمنه منكوس، ومتشقق ذو شظايا ومتعلق، ومسماري عظيم الرأس مستدق

بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكَّها بالفُخَّار والحجارة الخشنة لم يزل يحكُه حتى نَغَلَ[١] لحمه، وتقطَّع وتغيَّر وأنتن. وأخرجه أهل القرية فجعلوه في كُناسة،[٢] وجعلوا له عريشاً فرفضه خلق الله كلُّهم غيرَ امرأته رحمة،/ وهي رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يُصلحه وتكرمه. فلما رأوا الثلاثة[٣] من أصحابه وهم: (يقن)[٤]، و(يلدد)، و(صافر) ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه. فلما طال البلاء به انطلقوا إليه فبكَّتوه[٥] ولاموه، وقالوا له: تُب إلى الله من الذنب الذي عُوقبت به.

٨٦/ب

قال: وحضر معهم صبيٌّ حدَثُ السنِّ، قد آمن به وصدَّقه، فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول، وأنتم أحقُّ بالكلام مني لأسنانكم،[٦] ولكن تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم. وكان لأيوبَ عليه السلام عليكم من الحق والذمام[٧] أفضلُ من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حقَّ مَن انتقصتم، وحرمة مَن انتهكتم؟ ومَن الرجل الذي به عبثتم واتَّهمتم؟ أتعلمون أن أيوب نبيُّ الله وخيرتُه وصفوتُه من أهل الأرض في يومكم هذا؟ ثم تعلموا، ولم يطلعكم الله على أنه قد سخط شيئاً من أمره نُزِع منه شيءٌ من الكرامة

الأصل، وطويل معقف، ومنفتح، وكله من خلط غليظ يابس، بلغمي، أو سوداوي أو مركب منهما. انظر: لسان العرب: ٨١/١١، والقاموس المحيط: ص: ١٢٥٥.

(١) نغل لحمه: أي فسد. انظر: لسان العرب: ٦٧٠/١١، والقاموس المحيط: ص: ١٣٧٤.

(٢) الكُناسة (بالضم): القمامة. انظر: القاموس المحيط: ص: ٧٣٦.

(٣) الأصل أن يكون الفعل (رأى)، بحذف الواو، لأن الفعل مسند إلى فاعل ظاهر وهو: (الثلاثة). إلا على لغة (أكلوني البراغيثُ)، أو لغة ((يتعاقبون فيكم ملائكةٌ))، من جواز إسناد الفعل إلى الضمير المتصل، وجعل الاسم الظاهر بعده مبتدأ، أو بدلاً من الضمير. انظر: شرح ابن عقيل: ٤٢٩/١.

(٤) ورد هذا الاسم في تفسير البغوي: (النغر)، وليس: (يقن). انظر: تفسير البغوي: ٢١٨/٣.

(٥) بكَّت: أصل التبكيت: التقريع، والغلبة بالحجة. وبكته: ضربه بالسيف والعصا، واستقبله بما يكره. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٨٩.

(٦) الأسنان هنا جمع مفرده سِنّ: وهو مقدار العمر. وهي مؤنثة في الناس وغيرهم. انظر: لسان العرب: ١٣/ ٢٢٢، والقاموس المحيط: ص: ١٥٥٧.

(٧) الذمام: والمَذَمَّة: الحق والحرمة. انظر: لسان العرب: ٢٢١/١٢، والقاموس المحيط: ص: ١٤٣٤.

ألم التي أكرمه الله بها؟ ولا على أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى[١] به عندكم وأوضعه[٢] في أنفسكم/ فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي المؤمنين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك يدل على سخطه عليهم، ولا على هوانه بهم، ولكنها كرامة وخيرةٌ لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ آخيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعزل أخاه عند البلاء، ولا يعيِّره عند المصيبة، ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب، ولكنه يرحمه، ويبكي معه، ويستغفر له، ويحزن بحزنه، ويدلُّه على مراشد أمره، وليس بحكيم ولا رشيد مَن جهل هذا، فالله الله أيها الكهول، وقد كان في عظمةٍ وجلالةٍ، وفي ذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم.

أ/٨٧

ألم تعلموا أن لله عباداً أسكنهم خشيته من غير بَكَمٍ[٣] ولا عِيٍّ،[٤] وإنهم لهم الفصحاء والبلغاء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرَّت جلودهم، وانكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم إعظاماً لله وإجلالاً، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعدُّون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين.

فقال أيوب عليه السلام: إن الله سبحانه وتعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى ثبتت في القلب أظهرها الله على اللسان. وليست الحكمة/ من قبيل السنِّ والشيبة، ولا طول التجربة. وإذا جعل الله العبد حكيماً عند الصبيِّ لم تسقط حكمته عند الحكماء، وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة.

ب/٨٧

---

(١) أزرى به: أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يُلْبِسَ عليه به. أو قصَّر به وحقَّره وهوَّنه. انظر: لسان العرب: ٣٥٦/١٤، والقاموس المحيط: ص: ١٦٦٦.

(٢) أوضعه: أذلّه. انظر: القاموس المحيط: ص: ٩٩٦.

(٣) البَكَم (محرَّكة): الخرس، أو مع عِيٍّ وبله، أو أن يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر. انظر: لسان العرب: ٥٣/١٢، والقاموس المحيط: ص: ١٣٩٧.

(٤) العَيُّ بفتح العين: عَيَّ بالأمر: لم يهتد لوجه مراده، أو عجز عنه ولم يطق إحكامه. والعِيُّ: الجهل وخلاف البيان. انظر: لسان العرب: ١١٣/١٥، والقاموس المحيط: ص: ١٦٩٧.

ثم أعرض عنهم أيوب عليه السلام، وأقبل على الله مستغيثاً به متضرّعاً له، فقال: ربِّ لأيِّ شيءٍ خلقتني؟ ليتني إذ كرهتني لم تخلقني، يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت؟ فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنتَ أمتني فألحقتني بآبائي، فالموت كان أجملَ بي. ألم أكن للغريب داراً، وللمسكين قراراً، ولليتيم ولِيّاً، وللأرملة قيِّماً؟ إلهي أنا عبدك، إن أحسنتُ فلك المنُّ، وإن أسأتُ فبيدك عقوبتي. جعلتني للبلاء عرَضاً،(١) وللفتنة نَصبَاً(٢)، وقد وقع عليَّ بلاءٌ لو سلَّطته على جبلٍ ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضَعفي؟ وإن قضاءك هو الذي أذلَّني، وإن سلطانك هو أسقمني، وأنحل جسمي. ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري، وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي، ثم كان ينبغي للعبد أن يُحاجَّ نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعالى عني، فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه،/ لا ينظر إليَّ فيرحمني، ولا دنا مني ولا أدناني فأُدلي بعذري، وأتكلَّمَ ببراءتي، وأُخاصمَ عن نفسي. ٨٨/أ

فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلَّه غمام حتى ظنَّ أصحابه أنه عذابٌ، ثم نوديَ يا أيوب إن الله تعالى يقول: ها أنا قد دنوت منك، ولم أزل منك قريباً، فأدل بعذرك، وتكلَّم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزارك، وأقم جباراً يخاصم جباراً إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبَّار مثلي.

لقد منَّتك نفسُك يا أيوب أمراً ما تبلغ بمثله قوتك. أين أنت مني يوم خلقتُ الأرض، فوضعتها على أساسها؟ هل كنت معي تمد بأطرافها؟ هل علمت بأي مقدار قدَّرتها؟ أم على أي شيءٍ وضعت أكنافها؟(٣) أبطاعتك حمل الماء الأرض؟ أم

---

(١) عَرَض (بالتحريك): ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه. ومن معانيها: حطام الدنيا، وما كان من مال قلَّ أو كثُر، وكذا الغنيمة والطمع، وهو اسم لما لا دوام له، وأن يصيب الشيء على غِرَّة. وما يقوم بغيره في اصطلاح المتكلمين. انظر: لسان العرب: ١٨٤/٧، والقاموس المحيط: ص: ٨٣٣.

(٢) نَصَب (بالتحريك): أي قائماً ظاهراً متجرداً لها. انظر: لسان العرب: ٧٦١/١.

(٣) الأكناف: الجوانب يقال: أنت في كَنَف الله، أي: في حرزه وستره. وهو الجانب، والظل، والناحية. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٠٩٩.

بحكمتك كانت الأرض للماء غطاءً؟ أين أنت مني يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء، لا تعلَّق بسبب من فوقها، ولا تقلُّها دُعُمٌ من تحتها؟ هل تبلغ من حكمتك أن تجري نورَها من تَسيرُ نجومُها؟ أو يختلف بأمرك ليلُها ونهارها؟ أين أنت من يوم فتقت[١] الأنهار، وسكرت[٢] البحار؟ أسلطانك حَبَسَ أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم/ صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال؟ هل تدري على أي شيءٍ أرسيتها؟ أم بأي مثقال وزنتها؟ أم هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلتُ من السماء؟ أم هل تدري من أين خزانةُ الليل بالنهار، وخزانة النهار بالليل؟ وأين خزانة الريح؟ بأي لغة تتكلم الأشجار؟ ومَن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومَن شقَّ الأسماع والأبصار؟ ومَن ذلَّت له الملائكة، وقهر الجبارين بجبروته؟ وقسَّم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب.

٨٨/ب

فقال أيوب: صغُر شأني، وكلَّ لساني وعقلي ورأيي، وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تَعْرِضُ لي. قد علمت أن كل الذي ذكرتَ صُنع يديك، وتدبير حكمتك. وأعظم من ذلك وأعجب لو شئتَ عملتَ لا يُعجزك شيءٌ، ولا تخفى عليك خافية إذ لاقتني البلايا. يا إلهي! تكلمتُ ولم أملك لساني، وكان البلاء هو الذي أقطعني. فليت الأرض انشقت لي فذهبتُ فيها، ولم أتكلم بشيءٍ يسخط ربي. وليتني متُّ قبل ذلك. إنما تكلَّمت حين تكلَّمت لتعذرني. وسكتُّ حين سكتُّ لترحمني. كلمة زلَّت مني فلن أعود، فقد وضعت يدي في فمي، وعضضتُ على لساني، وألصقت بالتراب خدِّي. أعوذ بك اليوم/ منك، وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني. وأستغيث بك من عقابك، فأغثني. وأستعزُّ بك فأعزَّني. وأستعين بك فأعنِّي. وأتوكَّل عليك فاكفني. وأعتصم بك فاعصمني. وأستغفرك فاغفر لي. فلن أعود لشيءٍ تكرهه مني.

٨٩/أ

---

(١) فتق: شق. انظر: القاموس المحيط: ص: ١١٨٢.

(٢) السكْر: المَلءُ. وفي التنزيل: ﴿ سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ [الحجر: الآية: ١٥]، أي: حبست عن النظر وحُيِرْت، أو غطيت وغشيت. انظر: القاموس المحيط: ص: ٥٢٤.

قال الله: يا أيوب نفذ فيك علمي، وسبقت رحمتي غضبي. فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، لتكون لمن خلفك آية، وتكون عبرة لأهل البلاء، وعِزّاً[١] للصابرين.

فاركض[٢] برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فيه شفاؤك. وقرّب عن أصحابك قرباناً، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك. فركض برجله، فانفجرت له عينٌ فدخل فيها فاغتسل، فأذهب الله كلَّ ما كان من البلاء.

ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده، فقامت كالواله مترددة، ثم قالت لأيوب عليه السلام: هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا؟ فقال لها: وهل تعرفينه إذا رأيتِه؟ قالت: نعم. وما لي لا أعرفه؟ فتبسَّم وقال: أنا هو. فعرفته بضحكه، فاعتنقته. قال ابن عباس[رضي الله عنهما]: والذي نفس عباده بيده ما فارقته من عناقِه حتى مرَّ بهما كل مالٍ[٣] وولد لهما.

فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ... ﴾.

واختلفوا/ في وقت ندائه، والسبب الذي قال لأجله: ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ﴾، وفي | ٨٩/ب |

مدة بلائه: فروى ابن شهاب عن أنس بن مالك [ﷺ] عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((لبث أيوب في بلائه ثماني عشرة سنة)). ولكن الحديث فيه مقال.[٤]

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم تزد يوماً.

وقال كعب: كان أيوب في بلائه سبع سنين.

وقيل: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام.

---

(١) هكذا وردت في الأصل، وهي محتملة لمعنى العزّ، كما تحتمل: (وعزاءاً للصابرين)، على معنى التعزية.

(٢) الركض: تحريك الرِّجْلِ والدفع. انظر: القاموس المحيط: ص: ٨٣٠.

(٣) المال معروف: ما ملكته من جميع الأشياء، ويؤنث، وجمعه أموال. ويطلق في الأصل على ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان. وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم. انظر: لسان العرب: ٦٣٦/١١.

(٤) لم أقف على تخريج له فيما بحثت فيه من كتب الحديث، وقد ذكره الطبري في تفسيره وتاريخه. انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٣، وتاريخ الطبري: ٢٢٨/١.

قال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كناسةٍ في مزبلةٍ لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً[١] تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير (رحمة) صبرت معه بصدقٍ تأتيه بطعامه، وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله، والصبر على ما ابتلاه. فصرخ إبليس صرخةً جمع فيها جنوده من أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما حزَّ بِك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالاً ولا ولداً، فلم يزد إلا صبراً، ثم سُلِّطتُ على جسده، فتركته قَرحةً[٢] ملقىً على كناسة لا يقربه أحد إلا امرأته، فاستغثت بكم لتعينوني عليه.

فقالوا: أين مكرُك الذي أهلكت به مَن مضى؟ قال: بطل ذلك كلُّه في أيوب/ ٩٠/أ فأشيروا عليَّ. قالوا نشير عليك من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة. قال: مِن قِبَل امرأته؟ قالوا: فشأنك بأيوب مِن قِبَل امرأته لا يستطيع أن يعصيها، وليس أحدٌ يقربه غيرُها. قال: أصبتم.

فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدَّق، فتمثَّل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك[٣] يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك الذي يحكُّ قرحه، وتتردد الدواب في جسده.

فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوسوس إليها، فقال وذكَّرها ما كانت فيه من النعيم والمال، وذكَّرها جمال أيوب وشبابه، وما هو فيه من الضرر، وأن ذلك لا ينقطع عنه أبداً.

قال الحسن: فصرخَتْ، فلما صرخَتْ عَلِمَ أن قد جزِعت، فأتاها بسخلة[٤]، وقال: ليُذبح هذا إلى أيوب فيبرأ.

فجاءت تصرخ: يا أيوب! حتى متى يُعذبك ربك؟ أين المال؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين لونك الحسن؟ أين جسمك الحسن؟ اذبح هذه السخلة واسترح.

---

(١) وردت في أصل المخطوط: (أشهرٍ)، وهو خطأ صوابه: (أشهراً) عطف على (سبعَ) المنصوبة.

(٢) قرحة: واحدة القرح والقروح. والقرح بالضم: ألم الجراح، وبالفتح: الجراح بأعيانها. وهو أيضاً: البثر إذا ترامى إلى فساد، وجرب شديد، يُهلِك الفُصلان. انظر: لسان العرب: ٥٥٧/٢، والقاموس المحيط: ص: ٣٠١.

(٣) وردت في أصل المخطوط: (بلغك)، وهو خطأ صوابه: (بعلك).

(٤) سخلة: ولد الشاة من المعز والضأن. انظر: لسان العرب: ٣٣٢/١١، والقاموس المحيط: ص: ١٣١٠.

قال أيوب: أتاك عدوُ الله إبليس فنفخ فيك، ويلك! أرأيت ما ابتليتُ عليه من المال والولد والصحة، مَن أعطانيه؟ قالت: الله. قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمنذ كم ابتلانا؟ قالت: مذ سبع سنين وأشهر. قال: ويلكِ ما أنصفتِ. ألا صبرتِ في البلاء ثمانين، كما كنا في الرخاء ثمانين[١] سنة. والله لئن/ شفاني الله لأجلدنَّك مئة جلدة. أمرتِني[٢] أن أذبح لغير الله؟ طعامك وشرابك الذي أتيتِني[٣] به عليَّ حرام. وحرامٌ عليَّ أن أذوق شيئاً مما تأتينَني[٤] بعد أن قلتِ هذا. فاغربي[٥] عني فلا أراكِ، فطردها فذهبت. ٩٠/ب

فلما نظر أيوب وليس عنده طعامٌ ولا شرابٌ ولا صديقٌ خرَّ ساجداً، وقال: ربِّ إني مسني الضرُّ وأنت أرحم الراحمين. فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك. اركض برجلك، فركض برجله، فنبعت عين فاغتسل منها، فلم يبق عليه من دائه شيءٌ ظاهر إلا سقط. وعاد إليه شبابه وجماله أحسن مما كان. ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين أخرى، فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج.

فقام صحيحاً، وكُسِيَ حُلَّة[٦]، فجعل يلتفتُ فلا يرى شيئاً مما كان من أهل ومال إلا وقد أضعفه[٧] الله.

---

(١) وردت في أصل المخطوط: (ثمانون)، وهو خطأ نحوي، إذ الصواب: (ثمانين) على أنها خبر (كنا) منصوب بالياء والنون، لأنه جمع مذكر سالم.

(٢) وردت في الأصل: (أمرتيني)، والصواب: (أمرتني).

(٣) وردت في الأصل: (أتيتيني)، والصواب: (أتيتني).

(٤) وردت في الأصل: (تأتيننني)، والصواب: (تأتيني).

(٥) وردت في الأصل: (فاعزبي)، وهو خطأ. صوابه: (فاغربي) أي: اذهبي عني وتنحّي. ومنه الغربة: النزوح عن الوطن. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٥٣.

(٦) الحُلّة بالضم: كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو دقيق. وهو إزار ورداء بُرْدٌ أو غيره. ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له وبطانة. وسميت حلة لأن كل واحد من الثوبين حلٌ على الآخر، أو لأنهما من ثوبين جديدين كما حلٌ طيهما. ثم استمر عليهما ذلك الاسم. انظر: لسان العرب: ١٧٢/١١، والقاموس المحيط: ص: ١٢٧٤.

(٧) أضعفه وضاعفه وضعفّه. بمعنى زاد، من المضاعفة. انظر: لسان العرب: ٢٠٥/٩.

حتى والله ذُكِر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على جسده جراداً[١] من ذهب، فجعل يحثيه بيده.

فأوحى الله إليه: يا أيوب! ألم أعنك؟ قال: بلى، ولكنها بركتك فمَن يشبع منها. قال: فخرج حتى/ جلس على مكان مشرف[٢].

أ/٩١

ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان أيوب طردني إلى مَن أَكِلُه؟ أدعُه يموت جوعاً، أو يضيع فتأكله السباع، لأرجعنَّ إليه. فرجعت، فلا كناسة ترى، ولا تلك الحالة التي كانت. وإذا الأمور قد تغيَّرت، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة، وتبكي، وذلك بعين أيوب. وهابت صاحب الحُلَّة أن تأتيه فتسأل عنه.

فدعاها أيوب فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل؟ فقال أيوب: ما كان منك؟ فبكت، وقالت: بعلي. قال: فهل تعرفينه إذا رأيتِه[٣]؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وتهابه. ثم قالت: أما إنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً. قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتِني[٤] أن أذبح لإبليس. وإني أطعت الله وعصيت الشيطان، ودعوت الله سبحانه وتعالى فردَّ عليَّ ما ترين.

قال وهب: لبثَ أيوب في البلاء ثلاث سنين، فلما غلب أيوب إبليس، ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العِظَم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب بني/ آدم له عِظَمٌ، وبهاءٌ وكمال. فقال لها: أنت صاحبة أيوب، هذا الرجل المبتلى؟ قالت: نعم. قال: فهل تعرفينني[٥]؟ قالت: لا. قال: أنا إله الأرض، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت، لأنه عبد غيري إله السماء

ب/٩١

---

(١) وردت في الأصل: (جرادٌ) بالضم. وهو خطأ. والصواب: (جراداً) على أنها حال منصوبة بالفتحة.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٢٠.

(٣) وردت في الأصل: (رأيتيه)، والصواب: (رأيتِه).

(٤) وردت في الأصل: (أمرتيني)، والصواب: (أمرتِني).

(٥) وردت في الأصل: (تعرفيني)، والصواب: (تعرفينني).

وعصاني. ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كلَّ ما كان لكما من مال وولد. فإنه عندي. ثم أراها إياهم ببطن الوادي الذي لقيها فيه.

قال وهب: وقد سمعت أنه إنما قال لها: لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسمِّ الله عليه لعوفيَ مما به من البلاء، والله أعلم.

وفي بعض الكتب: أن إبليس قال لها: اسجدي لي سجدة حتى أردَّ عليك المال والولد، وأعافيَ زوجَك. فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها. قال: قد أتاك عدوُّ الله ليفتنك عن دينك. ثم أقسم إنِ الله عافاه ليضربنَّها مئة جلدة. وقال عند ذلك: مسَّني الضرُّ من طمع إبليس في سجود حرمتي، ودعائه إياها وإياي إلى الكفر[1].

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٢٢١/٣. وقد نقل القرطبي في تفسيره نقلاً قيِّماً عن القاضي أبي بكر بن العربي في أخبار أيوب عليه الصلاة والسلام فقال: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين؛ الأولى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ... ﴾ [الأنبياء]، والثانية في (ص): ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((بينما أيوب يغتسل عرياناً خرَّ عليه رَجْلٌ جرادٌ من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب! ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك)). أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله الله تعالى:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ... ﴾: ٤٧٣/٤، رقم الحديث: ٣٣٩١. وإذ لم يصح عنه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات؛ فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً. وفي الصحيح واللفظ للبخاري أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضاً لم يُشَبْ، وقد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب قد بدَّلوا من كتب الله وغيَّروا، فكتبوا بأيديهم الكتب؛ قالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم)). انظر: صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾، و ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾: ٥٧٢/٨، رقم الحديث: ٧٥٢٣، تفسير القرطبي: ٢١٠/١٥. قلت: تكررت رواية البخاري هذه في كتاب الغسل، وفي سنن أبي داود: ٨٧/١، رقم الحديث: ٣٩٦، وفي مسند أحمد عدة روايات منها: ١٣٤/٧، رقم الحديث: ٧٣٠٧. وإسناده صحيح.

ثم إن الله تعالى رحم (رحمة) امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفَّف عنها، وأراد أن يبرَّ يمين أيوب، فأمره أن يأخذ ضغثاً[1] يشتمل على مئة عودٍ صغار، فيضربها ضربةً/ واحدة كما قال تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: الآية: ٤٤]. أ/٩٢

وروي أن إبليس اتخذ تابوتاً، وجعل فيه أدويةً، وقعد على طريق امرأة أيوب يُداوي الناس، فمرت امرأة أيوب فقالت: إن لي مريضاً أفتداويه؟ قال: نعم، والله لا أريد شيئاً إلا أن يقول إذا شفيته: أنت شفيتني. فذكرت ذلك لأيوب فقال: هو إبليسُ، قد خدعك، وحلف إن شفاه الله أن يضربها مئة ضربة.

وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تعمل للناس، وتجيئه بقوتِه، فلما طال عليه البلاء، وسئمها الناس فلم يستعملها أحد، التمست يوماً من الأيام ما تطعمه، فما وجدت شيئاً، فحزَّت[2] قرناً من قرون رأسها فباعته برغيفٍ، فأتته به، فقال لها: أين قرنك؟ فأخبرته، فحينئذ قال: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾.

وقال قوم: إنما قال ذلك حين قصد الدودُ إلى قلبه ولسانه، فخشي أن يفتُر عن الذكر والفكر. والله أعلم[3].

فإن قلتَ: صبر الأنبياء هو الصبر الجميل، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ ﴾[المعارج]، وقوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ ﴾ [يوسف]. والصبر الجميل/ هو الذي لا جزع معه، ولا شكوى إلى الناس. وقيل: هو حبس النفس على البلوى، وعقد اللسان عن الشكوى. فكيف اشتكى أيوبُ، وقال: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ [الأنبياء: ٤٣]، ﴿ مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١]؟ ب/٩٢

---

(١) الضغث: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس. وهي قبضة من قضبان مختلفة، يجمعها أصل واحد، مثل الأسل، والكراث، وقيل: هو دون الحزمة. انظر: لسان العرب: ١٦٤/٢.

(٢) (فحزَّت) أي: (قَطعَت). ووردت في الأصل: (فجرَّت)، ولا معنى لها. وفي تفسير البغوي: (فحزَّت).

(٣) نهاية قصة أيوب عليه السلام. انظر: تفسير البغوي: ٢٢١/٣.

قلتُ: اشتكى إلى ربه، وهو أعلم به، بقوله: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾. قال ذلك لما خشي على قلبه ولسانه من أكل الدود، فيشغله عن ذكر الله. وقيل[١]: لم يَدَعُ اللهَ بالكشف عنه حتى ظهرت له **ثلاثة** أشياء؛ **أحدُها:** أنه قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره، فجاءا إليه ولم يبقَ له إلا عيناه، فرأيا أمراً عظيماً، فقالا: لو كان لك عند الله منزلةٌ ما أصابك هذا. **والثاني:** أن امرأته طلبت طعاماً فلم تجده، فباعت ذوائبها[٢]، وحملت إليه طعاماً. **والثالث:** قول إبليس: أنا أداويه على أن يقول: أنت شفيتني، فقال: مسني الضرُّ لمَّا عِيلَ[٣] صبره، والله أعلم.

وقيل: معنى مسني الضرُّ من شماتة الأعداء. وقد روي أنه قيل لأيوب: ما أشدُّ ما كان عليك في بلائك؟ قال: شماتة الأعداء، فشكا إلى الله تعالى.

وقيل: إنما قال: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ حين وقعت دودة من فخذه فردَّها إلى موضعها، وقال: كُلِي، قد جعلني الله طعامك، فعضَّته عضَّةً زاد ألمُها/ على جميع ما قاسى من عضِّ الديدان. ولأن هذا ليس بشكاية، إنما هو دعاء بدليل قولـــه تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾. | أ/٩٣

على أن الجزع إنما هو الشكوى إلى الخلق، وأما الشكوى إلى الخالق فليس بجزع، ولا يكون بذلك قد ترك الصبر، كما قال يعقـــوب: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴿٨٦﴾ ﴾.

قال سفيان بن عيينة[٤]: وكذلك مَن أظهرَ الشكوى للناس، وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً، كما روي أن جبريل عليه السلام دخل على النبي ﷺ فقال:

---

(١) هذا قول حبيب بن أبي ثابت. انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٢١.

(٢) الذوائب: جمع ذؤابة، وهي الناصية أو منبتها من الرأس، وشعر في أعلى ناصية الرأس. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٠٨.

(٣) عِيلَ صبره: أي: غُلِبَ، وهو مُعْوَل. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٣٤٠.

(٤) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد الهلالي الكوفي. أحد الثقات الأعلام، وأجمعت الأمة على الاحتجاج به، وكان قوي الحفظ، سكن مكة. وقال الشافعي: ما رأيت أحداً من الناس فيه جزالة العلم ما في ابن

كيف تجدك؟ قال: ((أجدني مغموماً، أجدني مكروباً))[١]. وقال لعائشة: رضي الله عنها حين قالت: وارأساه! فقال: ((بل أنا وارأساه))[٢]، والله أعلم[٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: ردَّ الله أهله وأولاده بأعيانهم، وأعطاه مثلهم معهم. قال ابن عباس: ردَّ الله على المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً.

وقال وهب: كان له سبع بنات وثلاثة[٤] بنين. وقال ابن يسار: كان له سبعة[٥] بنين وسبع بنات. وعن ابن عباس مرفوعاً قال: كان لأيوب أندرُ[٦] القمح وأندرُ

عيينة، وما رأيت أحداً فيه من الفتيا ما فيه، ولا أكفَّ عن الفتيا منه. روى عن عبد الملك بن عمير وحميد الطويل وحميد بن قيس وغيرهم. وروى عنه الأعمش وابن جريج وشعبة والثوري والشافعي وغيرهم. انظر: تهذيب التهذيب: ١١٧/٤، وميزان الاعتدال: ١٧٠/٢، وشذرات الذهب: ٣٥٤/١.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ١٩٨/٢ــ١٩٩، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢٦٧/٧ــ٢٦٨، و٢١٠/٢ــ٢١١، والطبراني في الكبير: ٢٨٩٠، ولا تخلوا أسانيدها جميعاً من مقال. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٤/٩، رقم الحديث: ١٤٢٦١: وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث. وانظر: زاد المسير: ٢٧٨/٥.

(٢) قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا جارية ضعي لي وسادة على الباب، وعصبت رأسي، فمرَّ بي، فقال: ((يا عائشة ما شأنك؟ فقلت: أشتكي رأسي، فقال: أنا وأرساه، فذهب فلم يلبث يسيراً حتى جيء به محمولاً في كساء)). جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب المرضى والطب، باب قول المريض: إني وجع أو وارأساه: ٧/، رقم الحديث: ٥٦٦٦، وكتاب الأحكام، باب الاستخلاف: ٤٧١/٨، رقم الحديث: ٧٢١٧. وأخرجه أحمد في مسنده وإسناده صحيح: ٦٧/١٨ــ٦٨، رقم الحديث: ٢٥٧١٧، وأخرجه الدارمي في المقدمة، باب وفاة النبي ﷺ: ٥١/١، رقم الحديث: ٨٠، وسنده حسن. وأورده ابن هشام في سيرته: ٢٩٢/٤. وانظر: زاد المسير: ٢٧٨/٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٥ ــ ٢٧٨.

(٤) وردت في الأصل: (ثلاث)، وهو خطأ لغوي. صوابه: (ثلاثة) إذ العدد يخالف معدوده من الثلاثة إلى العشرة المفردة.

(٥) كذلك وردت اللفظة في الأصل: (سبع)، وصوابه: (سبعة) للملاحظة السابقة ذاتها.

(٦) الأندر: البيدر، وهي شامية. والجمع أنادر. وقال كراع: الأندر الكدس من القمح خاصة. انظر: لسان العرب: ٢٠٠/٥.

الشعير، فبعث الله سحابتين، فأُفرِغَتْ إحداهما على أندر القمح الذهب، وأُفرِغَت/ الأخرى على أندر الشعير الوَرِقَ، حتى فاض[١]. ٩٣/ب

وروي أن الله تعالى بعث إليه ملكاً، وقال: إن الله تعالى يُقرئك السلام بصبرك، فاخرج إلى أندرك، فخرج فأرسل الله عليه جراداً من ذهب، فطارت واحدة فاتَّبَعَها وردَّها إلى أندُره. فقال له الملك: أما يكفيك ما في أندرك؟ فقال أيوب: هذه بركة من بركات ربي، ولا أشبعُ من بركته.

وقيل: معنى الآية: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ ﴾ في الآخرة ﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ في الدنيا. وأراد بالأهل الأولاد ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ وعظة للعابدين، والله أعلم[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ أي: من الصابرين على أمر الله.

واختلفوا في ذي الكفل؛ فقال عطاء: إن نبيّاً من بني إسرائيل أوحى الله إليه أني أريد قبض رُوحك، فاعْرِضْ مُلْكَك على بني إسرائيل، فمن تكفَّل لك أنه يصلِّي بالليل لا يفترُ، ويصوم بالنهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع مُلْكَك إليه. ففعل ذلك، فقام شابٌ فقال: أنا أتكفَّل لك بهذا، فتكفَّل ووفَّى به، فشكر الله له، ونبَّأه، فسُمِّي ذا[٣] الكفل[٤].

وقال مجاهد: لمَّا كبر اليَسَعُ/ قال: لو أني أستخلف على الناس رجلاً يعمل عليهم في حياتي، حتى أنظر كيف يعمل. فجمع الناس فقال: من يتكفَّل مني بثلاث أستخلفه؛ يصوم بالنهار، ويقوم بالليل، ولا يغضب. ٩٤/أ

---

(١) لم أهتدِ إلى تخريج لهذه الرواية فيما بحثت. وقد أوردها البغوي ــ والتي تليها ــ في تفسيره: ٣/٣٢١.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٢١ ــ ٢٢٢.

(٣) وردت في الأصل: (ذي)، وهو خطأ نحوي. صوابه: (ذا) على أنه مفعول به ثانٍ منصوب بالألف، لأنه من الأسماء الخمسة. والأول نائب الفاعل المستر، لأن (سُمِّي) مبني للمجهول.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥/٢٧٩.

فقام رجلٌ تزدريه العين، فقال: أنا، فردَّهم ذلك اليوم، وقال مثلها في اليوم الآخر، فسكت الناسُ وقام ذلك الرجل وقال: أنا، فاستخلفه، فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل ولا بالنهار إلا تلك الساعة، فدقَّ الباب، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبيرٌ مظلومٌ. فقام ففتح الباب، فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، ففعلوا، فجعل يطوِّل حتى ذهبت القائلة، فقال: إذا رحتُ فإنني آخذ حقك، فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ؟ فلم يره، فقام يبتغيه،

فلما كان الغد قام يقضي بين الناس ينتظره فلا يراه. فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدقَّ الباب، فقال: من هذا؟ قال: الشيخ المظلوم، ففتح له. فقال: ألم أقل لك: إذا قعدت فأْتني، قال: إنهم أخبث قوم، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا: نحن نعطيك حقَّك، وإذا قُمتَ جحدوني.

قال: فانطلق فإذا رحت فأْتني، ففاتته القائلة، فجعل ينظر ولا يراه، وشقَّ عليه النعاس/ فقال لبعض أهله: لا تَدَعُنَّ أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام، فإنه قد شقَّ عليَّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل. ٩٤/ب

فلما أعيا نظر فرأى في البيت كوَّة فتسوَّر، فإذا هو في البيت يدُقُّ الباب من داخل، فاستيقظ فقال: يا فلان ألم آمرك؟ فقال: أمَّا من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت؟ فقام إلى الباب، فإذا هو مغلَقٌ كما أغلقه الرجل، وإذا الرجل معه في البيت، فقال: أتنام والخصوم ببابك؟ فعرفه، فقال: أعدوُّ الله؟ قال: نعم، أعييتني[1] وفعلتُ ما ترى لأغضبنَّك، فعصمك الله، فسمِّي ذا الكفل لأنه تكفَّل بأمر فوفَّى به[2].

وقيل: سُمِّي ذا الكفل لأنه تكفَّل أن يصلي كل ليلة مئة ركعة إلى أن يقبضه الله فوفَّى.

---

(١) وردت في الأصل: (أعيتني)، والصواب: (أعييتني).

(٢) القصة في تفسير الطبري عن مجاهد. ١٠/٧٤.

وقال بعض المفسرين: كان نبياً[١]، وقال بعضهم: هو إلياس، وقال بعضهم: هو زكريا.

وقال أبو موسى[٢]: لم يكن نبياً، ولكن كان عبداً صالحاً.

وقصة إسماعيل وإدريس مرَّ ذكرهما في سورة مريم[٣]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾/ يعني: اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى. ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ لقومه. في قول ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين، فغزاهم مَلِكٌ، فسبى منهم تسعة أسباط[٤] ونصفاً، وبقي سبطان ونصف، فأوحى الله إلى شعياء النبي عليه السلام أن سِرْ إلى حزقيل المَلِك، وقل له: حتى يوجِّه نبياً قويّاً، فإني أُلقي في قلوب بني إسرائيل حتى يرسلوا معه بني إسرائيل. فقال له المَلِك: فمن ترى؟ وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال: يونس، فإنه قويٌّ أمين. فدعا الملكُ يونسَ، وأمره أن يخرج، فقال له يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: هل سمَّاني لك؟ قال: لا. قال: فههنا غيري أنبياء أقوياء، فألحُّوا عليه، فخرج من بينهم مغاضباً للمَلِك ولقومه. فأتى بحر الروم[٥] فركبه.

أ/٩٥

---

(١) قاله الحسن وعطاء. انظر: زاد المسير: ٥/٢٧٩.

(٢) أي: الأشعري وهو قول مجاهد أيضاً. انظر: تفسير الطبري: ١٠/٧٥، وزاد المسير: ٥/٢٧٨، وتفسير البغوي: ٣/٢٢٢ ــ ٢٢٣.

(٣) ارجع إليها في الصفحات: ١٤٤ــ١٤٧ من هذا الكتاب.

(٤) الأسباط جمع مفرده سبط. والأسباط: من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد. وسُمّي سبطاً ليفرَّق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق. والأسباط: في ولد إسحاق بن إبراهيم بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل. فولد كل ولد من ولد إسماعيل قبيلة، وولد كل ولد من ولد إسحاق سبط. انظر: لسان العرب: ٧/٣١٠.

(٥) سبق التعريف به. انظر: الصفحة: (١٢٩)، الحاشية: (٤) من هذا الكتاب.

وقال عروة بن الزبير[١] وسعيد بن جبير وجماعة[٢]: ذهب عن قومه مغاضباً لربه، إذ كشف عن قومه العذاب، بعد ما وعدهم[٣]، وكره أن يكون بين قوم قد جرَّبوا عليه الخُلْفَ فيما وعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم. وكان غضبه أنَفَةً[٤]/ من ظهور خُلْف وعده، وأن يُسمَّى كذاباً لا كراهيةً [لحكم الله سبحانه وتعالى][٥].

٩٥/ب

وفي بعض الأخبار: أنه كان من عادة القوم أن يقتلوا مَن جرَّبوا عليه الكذب، فخشي أن يقتلوه لمَّا لم يأتهم العذاب للميعاد، فغضب. والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافَرة للتكرر[٦].

ومعنى قوله مغاضباً أي: غضبان.

وقيل: إنما غضب على قومه من أجل أن الله أمره بالمسير إلى قوم ليدعوهم إليه، فسأل ربه أن يُنظِرَهُ ليتأهَّب للشخوص إليهم، فقيل له: إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل ربه أن يُنظِرَهُ إلى أن يأخذ نعلاً يَلْبَسُهَا، فلم يُنظَر، وكان في خُلُقِه ضيق، فذهب مغاضباً[٧].

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، أبو عبد الله المدني. قال فيه ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، فقيهاً عالماً، مأموناً ثبتاً. ووثَّقه العجلي وذكره في التابعين. وكان أحد فقهاء المدينة الأربعة. ولد سنة ٢٣ هـ، ومات سنة ٩٢ هـ. انظر: تهذيب الكمال: ١١/٢٠، رقم: ٣٩٠٥.

(٢) منهم الحسن البصري والشعبي. انظر: زاد المسير: ٢٨٠/٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/١٠.

(٤) أنِفَ من الشيء يأنف أنَفاً: إذا كرهه وشرفت عنه نفسه. وأراد به ههنا: أخذته الحمية من الغيرة والغضب. انظر: لسان العرب: ١٥/٩.

(٥) سقطت من الأصل. وهي مثبتة في تفسير البغوي: (لا كراهية لحكم الله تعالى). ٢٢٣/٣.

(٦) انظر: لسان العرب: ٣٦٧/٤، ٦١٨/١، ومثل المسافرة المعاقبة.

(٧) قاله الحسن. انظر: تفسير البغوي: ٣٢٣/٣.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أتى جبريل يونس عليهما السلام، فقال: انطلق إلى أهل نينوى[١] فأنذرهم. قال: ألتمس دابة؟ قال: الأمر أعجل من ذلك. فغضب فانطلق إلى السفينة.

وقال وهب: إن يونس بن متَّى كان عبداً صالحاً، وكان في خُلُقه ضيق، فلما حمل أثقال النبوة تفسَّخ تحتها تفسُّخ الرُّبَع تحت الحمل الثقيل[٢]، فقذفها من بين يديه، وخرج هارباً منها، فلذلك أخرجه الله من أولي العزم، فقال لنبيِّه محمد ﷺ/ ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ... ۝ ﴾ [الأحقاف]. وقال: ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ... ۝ ﴾ [القلم]. ٩٦/أ

قلت: الأنبياء كلهم أولو عزم. وقيل: كلهم أولو عزم إلا يونس. وقيل: هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام[٣]. ولهذا قال في آخر الآيات: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ... ۝ ﴾ وقيل: هم ستة كما سنذكره إن شاء الله في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ... ۝ ﴾ [الأحقاف][٤]، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ أي: العقوبة. قاله ابن عباس [رضي الله عنهما]. قرأ: (نقدِّر)[٥] بالتشديد عمر بن عبد العزيز والزهري. وقيل: (ظنَّ أن لن

---

(١) نينوى: قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها: نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين رضي الله عنه. انظر: معجم البلدان: ٣٣٩/٥.

(٢) تفسُّخ الرُّبَع تحت الحمل الثقيل، أي: ضعف وعجز. وذلك إذا لم يطقه. والربع كصُرَد، وهو الفصيل. انظر: تاج العروس: ٣٢٠/٧.

(٣) وهم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم. ارجع إلى الآيات: ٨٣ــ٨٦ من سورة الأنعام.

(٤) وهم: نوح، وهود، وإبراهيم، وموسى وعيسى ومحمد ﷺ. وسيأتي التفصيل في سورة (الأحقاف): الورقة: (١٩٥/أ) من المخطوط.

(٥) وهي قراءة ابن يعمر، وحميد بن قيس. انظر: زاد المسير: ٢٨١/٥.

نقدر عليه) الحبسَ، أي: يُضيِّق من قوله تعالى: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ... ۝٧ ﴾ [الطلاق] أي: ضُيِّقَ.

قال الحسن البصري: بلغني أن يونس لما انطلق مغاضباً استزلَّه الشيطان حتى ظنَّ أن لن نقدر عليه، وكان له سلَفٌ[١] وعبادة، فأبى الله أن يدعه للشيطان، فقذفه في بطن الحوت، فمكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة. وقال عطاء: سبعة أيام، وقيل ثلاثة أيام. وقيل: إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة. وقيل: بلغ به تخوم[٢] الأرض السابعة/ فتاب إلى ربه في بطن الحوت، وراجع نفسه فقال: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ ﴾ أي: حين عصيتك وما صنعت من شيءٍ، فلم أعبد غيرك. فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته. والتأويلات المتقدمة أولى بحال الأنبياء أنه ذهب مغاضباً لقومه، أو للملِك.

٩٦/ب

﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾، أي: في ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت[٣]: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ ﴾ .

وروى أبو هريرة يرفعه: ((أوحى الله إلى الحوت أن خذه[٤]، ولا تخدُش له لحماً، ولا تكسر له عظماً))[٥]، فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر. فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسًّاً، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دوابِّ البحر، فسبَّح هو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة، فقال: ذاك عبدي يونس حبسته في بطن الحوت، فقالوا: العبد الصالح الذي كان يُرفع إليك منه في كل يوم وليلة عملٌ صالح؟

---

(١) سلَف: بمعنى: كل شيءٍ قدَّمه العبد من عمل صالح، أو ولد فَرَط يقدمه فهو له سلف. انظر: لسان العرب: ٩/ ١٥٩.

(٢) التخوم: الحدود والمعالم، ومنتهى كل قرية أو أرض. انظر: لسان العرب: ١٢/٦٤.

(٣) قاله سعيد بن جبير وقتادة والأكثرون. انظر: زاد المسير: ٥/٢٨١.

(٤) وردت في الأصل: (خذيه)، وهو خطأ. صوابه: (خذه).

(٥) قاله سالم بن أبي الجعد. انظر: زاد المسير: ٥/٢٨١.

قال: نعم، فشفعوا له عند ذلك. فأمر الحوت فقذفه في الساحل، كما قال تعالى: ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ .... ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الصافات]،/ وهي أرض بالموصل[1]، كذا قال أبو محمد ابن عطية[2]. أ/٩٧

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ أي: أجبناه، ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ ﴾ من تلك الظلمات، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ من الكرب إذا استغاثوا بنا.

واختلفوا في إرسال يونس متى كان؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت، بدليل أن الله عزَّ وجلَّ قال في سورة الصافات: ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ ... ﴿١٤٥﴾ ﴾ ثم قال بعده: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

وقال آخرون: كان قبلُ بدليل قوله: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ ﴾[3]، والله أعلم.

---

(١) الموصل: مدينة مشهورة قديمة على أطراف دجلة، سمّيَت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق. وقيل: وصلت بين دجلة والفرات، وهي إحدى قواعد بلاد الإسلام، قليلة النظير كِبَراً وعِظَماً، وكثرةَ خَلْق، وسعة رُقعة. باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، وينسب إليها كثير من أهل العلم. انظر: معجم البلدان: ٥/٢٢٤.

(٢) انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ١٢/٤٠٠، وفيه ذكر أن الحوت مشى به البحار كلها حتى قذفه في نصيبين من ناحية الموصل، فنبذه الله في عراء من الأرض الفيحاء التي لا شجر فيها ولا معلم. ومنه قول الشاعر من بني خزاعة:

ورفعت رِجلاً لا أخاف عثارها ... ونبذت بالبلد العراء ثيابي

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٠٨ــ٢٢٥.

سورة الحج

مكيَّة[١] غير آيات من قوله: ﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ... ﴿١٩﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾.[٢]

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ يعني: الصابرين على ما أصابهم من البلاء والمصائب، والمقيمي[٣] الصلاة في أوقاتها، المتصدقين[٤] مما رزقناهم، والله أعلم./ ٩٧/ب

ومن الآيات المتضمنة للنصر مع الصبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة (يدفع)، والآخرون (يدافع) بالألف[٥]، يعني: يدفع كيد الكافرين وأهل الغدر عن المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي: خوَّان لأمانة الله، كفور لنعمه.

وقوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم (أُذن) بضم الألف، والباقون بفتحها، أي: أذن الله للذين يُقاتلون. وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص (يقاتَلون) بفتح التاء، يعني: المؤمنين الذين يُقاتلهم الكفار.

---

(١) وهي أربع وسبعون آية في عدّ الشامي، وخمس وسبعون في عدّ البصري، وست وسبعون في عدّ المدنيين، وسبع وسبعون في عدّ المكي، وثمان وسبعون في عدّ الكوفي. انظر: البيان: ص: ١٨٩ــ١٩٠، وبصائر ذوي التمييز: ٣٢٣/١.

(٢) هذا قول الثعلبي، وفيها أقوال عدة في استثناء الآيات المدنية. انظر: زاد المسير: ٢٩٤/٥.

(٣) وردت في الأصل (والمقيم)، وهو خطأ، صوابه: (والمقيمي).

(٤) وردت في الأصل: (المتصدقون)، وهو خطأ، صوابه: (المتصدقين).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يَنْفع)، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: (يُدَافع). انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٣٧، والنشر: ٢٤٥/٢، والكشف: ١١٩/٢ــ١٢٠.

وقرأ الآخرون بكسر التاء، يعني: الذين أُذن لهم بالجهاد[١].

وقال أهل التفسير: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ، فيقول لهم رسول الله ﷺ: ((اصبروا، لم تؤمروا بالقتال))، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية. وهي أول ما أذن الله فيها بالقتال[٢]. ونزلت بالمدينة، فأذن الله لهم في قتال الكفار.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾/ الذين أخرجوا بدل من قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾ أي: لم يُخرجوا من ديارهم إلا لقولهم: ربنا الله وحده. ٩٨/أ

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بالجهاد وإقامة الحدود [لهدّمت..][٣]. قرأ أهل الحجاز: بتخفيف الدال، والآخرون بالتشديد[٤]. قال مجاهد والضحّاك[٥]: صوامع الرهبان، وبيع النصارى، ومساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ.

---

(١) قرأ نافع وعاصم في رواية حفص بضم الألف وفتح التاء: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الألف وكسر التاء: (أَذِن للذين يُقاتِلون). وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: (أُذِن للذين يُقاتِلون) بضم الألف وكسر التاء. وقرأ ابن عامر: (أُذِن للذين يُقاتَلون) بفتح الألف وضم الياء، وفتح التاء. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٣٧، والنشر: ٢/٢٤٥، والكشف: ٢/١٢٠ــ١٢١.

(٢) انظر: زاد المسير: ٥/٣١٨.

(٣) سقط من الأصل جواب لولا [لهدّمت]، وهو مثبت في تفسير البغوي. انظر: تفسير البغوي: ٣/٢٤٤.

(٤) قرأ نافع: (ولولا دفاع) بألف، والباقون: (دَفْعُ). وقرأ ابن كثير ونافع: (لهُدِمَت) بتخفيف الدال. وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بتشديدها: ﴿ لَّهُدِّمَتْ ﴾ . انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٣٧، والنشر: ٢/٢٤٥، والكشف: ٢/١٢٠.

(٥) وقاله أيضاً: ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد وأبو العالية. انظر: زاد المسير: ٥/٣١٩.

ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدِّمت في شريعة كل نبي كان صلواتُهم[١]، كما هُدِم في زمن موسى عليه السلام الكنائس، وفي زمن عيسى عليه السلام البِيَع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد.

وقال ابن زيد: المراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام، فإنها تنقطع إذا دخل العدوُّ عليهم. ولينصرنَّ الله دينه ونبيَّه[٢].

ثم وصف ناصريه فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾/ يعني مكناهم: نصرناهم على عدوِّهم حتى يتمكنوا من البلاد. ٩٨/ب

قال قتادة: هم أصحاب رسول الله ﷺ. وقال الحسن: هم هذه الأمة.

ومعنى قوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ أي: آخر أمور الخلق إلى الله تعالى، مالكِ الدنيا والآخرة، يبطل مُلْك كلِّ مَلِكٍ سوى مُلْكه، فتصير الأمور إليه تعالى، بلا منازع ولا مدَّعي[٣].

---

(١) الصلوات لا تهدم، وإنما أراد بيوت الصلوات، من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ويجعل الفعل له. قال المفسرون: الصوامع للصابئين، والبِيَع للنصارى، والصلوات كنائس اليهود، والمساجد للمسلمين. انظر: تأويل مشكل القرآن: ص: ٢١٠.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣١٩/٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣١٩/٥، وتفسير البغوي: ٢٤٣/٣ــ٢٤٥. ويجوز حذف أو إثبات ياء الاسم المنقوص: (مدعي)، أو (مدعٍ) في حالتي الرفع والجر، والحذف أولى وأشهر.

سورة المؤمنين

مكيَّة[١].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه كدويِّ النحل[٢]، فنزل الوحي فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة ورفع يديه، وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنَّا[٣]، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأرضنا وارض عنا. ثم قال: لقد أُنزل عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة. ثم قرأ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ إلى عشر آيات[٤]. رواه الإمام أحمد[٥].

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٠٩ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝١١٠ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝١١١ ﴾/ يعني: هذه مقالة المؤمنين من عباده، فاتخذهم الكفار سخريًّا يستهزؤون بهم. أ/٩٩

قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بضمِّ السين هنا وفي (ص)[٦].

---

(١) وهي مئة وثماني عشرة آية في عدّ الكوفي، ومئة وتسع عشرة آية في عدّ الباقين، واختلافهم في آية: ﴿ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ ﴾ لم يعدّها الكوفي، وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص رقم: ١٩١، وبصائر ذوي التمييز: ٣٢٩/١.

(٢) رواية أحمد: يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة... الحديث.

(٣) رواية أحمد: وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

(٤) رواية أحمد: حتى ختم العشر. وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٤٢٥/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وانظر: زاد المسير: ٣٣٣/٥.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٦٣/١، رقم الحديث: ٢٢٣، وإسناده صحيح. ورواه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون: ٣٠٥/٥، رقم الحديث: ٣١٧٣، بإسنادين، ثم قال عن الثاني: هذا أصح من الحديث الأول.

(٦) الآية رقم: (٦٣) من سورة: (ص).

وقرأ الباقون بكسر السين[١]. حتى أنساكم اشتغالكم باستهزائهم ذكري، وكنتم منهم تضحكون.

نظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المطففين]. نزلت هذه الآية في فقراء الصحابة كان كفار قريش يستهزؤون بهم[٢].

﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ ﴾ أي: بصبرهم على الأذى في الدنيا. ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر الألف على الاستئناف. وقرأ الآخرون بفتحها[٣]. ومعناه: إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز في الجنة[٤]، والله أعلم.

---

(١) قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين: (سُخرياً)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر بكسرها: ﴿ سِخْرِيًّا ﴾. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٤٨، والنشر: ٢٤٧/٢، والكشف: ١٣١/٢.

(٢) قال مقاتل: كان رؤوس كفار قريش كأبي جهل وعقبة والوليد قد اتخذوا فقراء أصحاب رسول الله ﷺ كعمار وبلال وخباب وصهيب ﷺ سخرياً يستهزؤون بهم ويضحكون منهم. انظر: زاد المسير: ٣٥٨/٥، وتفسير البغوي: ٢٧٠/٣.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: (أنهم) بفتح الألف، وقرأ حمزة والكسائي: (إنهم) بكسر الألف. وروى خارجة عن نافع (إنهم) كسراً. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٤٨ ــ ٤٤٩، والنشر: ٢٤٧/٢، والكشف: ١٣١/٢.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٢٦٩/٣ــ٢٧٠.

سورة النور

أربع وستون آية[1]، مدنيَّة.

وفيها من الآيات المتضمنة/ للصبر، ــ إذ النور ميراث الصبر ــ قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... ﴿٣٥﴾ ﴾. ٩٩/ب

قلت: النور في القرآن يأتي لمعانٍ؛

أحدها: النور: الباري سبحانه وتعالى، بدليل الآية.

والثاني: النور: محمد ﷺ، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

والثالث: النور: القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

الرابع: النور: التوراة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤].

الخامس: النور: العدل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩]، أي: بعدله.

السادس: النور: بمعنى النار، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٧]، أي: بنارهم.

السابع: نور المؤمنين على الصراط، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [الحديد: ١٢].

---

(١) عدد آياتها أربع وستون في عدّ العراقي والشامي، واثنتان وستون في عدّ المدني والمكي، حيث لم يعدّوا: ﴿ وَٱلْآصَالِ ﴾ الآية: (٣٦)، ولا ﴿ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ الآية: (٤٣). انظر: البيان: ص: ١٩٣، وبصائر ذوي التمييز: ١/٣٣٤

وفي الحديث: ((إن النار تقول للمؤمن وهو على الصراط: جُز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي))[١].

الثامن: النور: القمر، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نوح: ١٦].

التاسع: النور: الصحابة، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾/ [التحريم: ٨]. أ/١٠٠

ومعنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هادي أهل السماوات بنوره إلى الحق، يهتدون بهداه[٢]. وقال الضحَّاك: منوِّر السماوات، نوَّر السماء بالملائكة، والأرض بالأنبياء. وقيل: نوَّر السماء بالشمس والقمر والنجوم، ونوَّر الأرض بالنبات. وقيل: نوَّر السماء بالملائكة، ونوَّر الأرض ببني آدم، ونوَّر بني آدم بالصالحين، ونوَّر الصالحين بالأولياء، ونوَّر الأولياء بالأنبياء، ونوَّر الأنبياء بمحمد ﷺ، ونوَّر أمته بالصحابة، ونوَّر الصحابة بالخلفاء الأربعة.

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ أي: مثل نوره في قلب المؤمن، لأن المهتدي في باب الدين بنور المعرفة كالمهتدي بنور السراج في الظلمات.

وقوله تعالى: ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ قال مجاهد: هي القنديل[٣]. قلتُ: لأن نور السراج إذا كان في بيت اجتنبه اللصُّ، فكذلك نور معرفة الله في قلب المؤمن يفرُّ منه الشيطان الذي هو اللصُّ في القلوب. وقوله تعالى: ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ﴾ أي: سراج.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن يعلى بم منبه رفَعَه، وفي سنده منصور بن عمار الواعظ ليس بالقوي، ورواه ابن عدي عن يعلى، وقال: منكر. ورواه أبو نعيم والخطيب والبيهقي وضعَّفه. ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول. انظر: كشف الخفاء: ٣٧٣/١، ونوادر الأصول: ص: ٢٥، وإتحاف السادة المتقين: ٢٣٤/٩.

(٢) وردت في الأصل: (ويهدون بهداه)، والأصوب: (ويهتدون بهداه)، كما ذكره ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال أنس بن مالك ﷺ. انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٥.

(٣) قال مجاهد: المشكاة: القنديل، والمصباح: الفتيلة. وقيل: المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة. انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٥، وتفسير القرطبي: ٢٥٨/١٢.

وقوله: ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ قلتُ:/ إنما الزُّجاج من دون سائر الأواني، لأنه لا يحجب الرائي عن رؤية ما وراءه، فكذلك صاحب المعرفة غير محجوب عن رؤية محبوبه. ولذلك وصف الزُّجاجة فقال تعالى: ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي (دِرِيءٍ) بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمزة. وسمَّاه (دُرِي) لأن الكوكب إذا اندفع منقضّاً في إثر الشيطان، تضاعف نوره. وقرأ الآخرون (دُرِيٌّ) بضمِّ الدال، وتشديد الياء بلا همز[1]. أي: شديد الإنارة، نُسِبَ إلى الدر في حسنه وصفائه. وقيل: الكوكب الدريّ واحد من الكواكب الخمسة العظام؛ وهي: زُحَل، والمرِّيخ، والمشتري، والزُّهري، وعطارد.

١٠٠/ب

فإن قلتَ: لِمَ شُبِّهَ بالكوكب، ولم يُشبِّهه بالشمس؟ قلنا: لأن الشمس والقمر يلحقها الخسوف، والكواكب لا يلحقها ذلك،[2] والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتاء، وفتحِها، وفتحِ الواو والدال [تَوَقَّدَ]، وتشديد القاف على الماضي. أي: اتَّقد المصباح. وقرأ أهل الكوفة غير حفص (تُوقَدُ) بالتاء وضمِّها/ وفتح القاف خفيفة، يعني: نارَ الزجاجة. وقرأ الآخرون بالياء وضمِّها[3].

١٠١/أ

وقوله تعالى: ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي: من زيت شجرة مباركة. أراد بالشجرة المباركة الزيتون.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿ دُرِّيٌّ ﴾ بضم الدال وتشديد الراء المكسورة وتشديد الياء من غير همز. وقرأ أبو عمرو والكسائي: (دِرِّيءٍ) بكسر الدال ومد وهمز آخره. وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر: (دُرِّيءٍ) بضم الدال ومد وهمز آخره. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٥٥ــ٤٥٦، والكشف: ١٣٧/٢، والنشر: ٢٤٩/٢.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٢٦٩/٣ــ٢٧٠.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: (تَوَقَّد) بفتح التاء والواو والدال وتشديد القاف. وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم، وفي رواية إبان عن عاصم: ﴿ يُوقَدُ ﴾ بياء مضمومة وضم الدال. وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر: (تُوقَد) بضم التاء والدال. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٥٥، والنشر: ٢٤٩/٢، والكشف: ١٣٨/٢.

قلتُ: إنما ضرب المثَلَ بها دون سائر الأشجار لأن أصل منبتِهِ على الجبل الذي تجلَّى له الربُّ تبارك وتعالى، فنبت بعد التجلِّي من بركة التجلِّي. وقد ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قـــال: ((كلوا الزيت وادَّهنوا به، فإنـــه من شجرة مباركة))[1]، والله أعلم.

وقوله: ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي: ليست شرقية خالصة تُصيبها الشمس إذا غربت، ولا غربية خالصة تُصيبها الشمس إذا طلعت، بل هي ضاحية للشمس طول النهار تصيبها عند طلوعها وغروبها، فتكون شرقية وغربية، تأخذ حظَّها من الأمرين جميعاً، فيكون زيتها أضواء. وقيل: المراد بالشجرة إبراهيم [عليه السلام]. وقيل: محمد ﷺ لأنه وُلِدَ بمكة، وهي سُرَّة الدنيا. وليست بشرقية خالصة، ولا غربية خالصة.

وقال الحسن البصري: هي شجرة في الجنة، ضُرِب المثل بها، ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية، والله أعلم./

١٠١/ب

وقد بيَّنت ذلك في (الفتوح المكية في بيان الإسراء بخير البرية)، عندما قيل له: كيف رأيت ربك يا رسول الله؟ قال: ((رأيت نوراً))[2] بما يغني عن إعادته هنا.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ. قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق عن معمر، وكان عبد الرزاق يضطرب في رواية هذا الحديث؛ فربما ذكر فيه عن عمر عن النبي ﷺ وربما رواه على الشك فقال: أحسبه عن عمر عن النبي ﷺ، وربما قال: عن زيد بن أسلم عن أبيه عن النبي ﷺ مرسلاً. كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت: ٤/٢٥١، رقم الحديث: ١٨٥١. ووردت رواية أخرى بنفس اللفظ في الترمذي عن أبي أسيد، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى: ٤/٢٥١، رقم الحديث: ١٨٥٢.

(٢) أخرجه مسلم بسنده عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيتُ رسول الله لسألتُه. فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت فقال: ((رأيت نوراً)). انظر: صحيح مسلم: ١/١٦١، رقم الحديث: ٢٩٢. وعن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: ((نور أنَّى أراه)). أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب في قوله: نور أنَّى أراه: ١/١٦١، رقم الحديث: ١٧٨/٢٩١.

وقوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ قلتُ: كذلك نور معرفة الله يزاد في قلب المؤمن نوراً على مقاساة المحن.

وقوله تعالى: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ أي: نور المصباح على نور الزجاجة. قال كعب الأحبار: هذا مثل ضربه الله لنبيِّه محمد ﷺ. فالمشكاةُ صدرُه، والزجاجة قلبُه، والمصباحُ فوهُ[1]، فيه النبوة توقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ هي شجرة النبوَّة يكاد نور محمد [ﷺ] وأمره يبيّن للناس، ولو لم يتكلم كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: الدين الإسلام هو نور البصيرة. وقيل: القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: تسهيلاً لسبيل الإدراك.

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

---

(١) وردت في الأصل: (فاه)، وهي خطأ. إذ هي خبر مرفوع بالواو لأنه من الأسماء الخمسة.

(٢) انظر: زاد المسير: ٥/٣٨٤ــ٣٨٥.

سورة الفرقان

/ سبعة وسبعون آية[١]، مكيَّة[٢].

أ/١٠٢

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: لمَّا عيَّر المشركون رسول الله ﷺ فقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق؟ أنزل الله هذه الآية. يعني: ما أنا إلا رسولٌ، والرسُلُ كانوا بشراً يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، كما قال تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾[فصلت: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً ﴾ فالغنيُّ فتنة للفقير، يقول الفقير: مالي لم أكن مثله؟ والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع، جعلت بعضكم فتنة لبعض، لتصبروا على ما تسمعون وترون من أخلاقهم، قاله ابن عباس [رضي الله عنهما].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ أي: بمن يصبر. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال والجسم، فلينظر إلى من دونه في المال والجسم)).[٣]

ب/١٠٢

وفيها من آيات التوكل قوله/ تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ﴾ أي: فوِّض أمرك إلى الله وصلِّ له

---

(١) في جميع المصاحف، ليس فيه اختلاف. انظر: البيان: ص: ١٩٤، وبصائر ذوي التمييز: ١/٣٤٠.

(٢) قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة في آخرين. انظر: وزاد المسير: ٣/٦.

(٣) الحديث: ((إذا نظر أحدكم إلى مَن فُضِّل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى مَن هو أسفل منه)). أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه: ٧/٢٣٩، رقم الحديث:٦٤٩٠، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّلَ عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضِّلَ عليه)). أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق: ٤/٢٢٧٥، رقم الحديث: ٢٩٦٣.

شكراً. وقيل: قل: سبحان الله والحمد لله، لأن سبحان الله والحمد لله تملأ أو تملآن ما بين السماء والأرض. ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ ﴾ عالماً فيجازيهم بها، أو يعفو عنهم.

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ قرأ (من ذريتنا) بغير ألف أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر، وقرأ الباقون بالألف على الجمع(١).

ومعنى: ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أي: أتقياء أبراراً صالحين فتَقَرَّ أعيننا بهم.

قال القرطبي: ليس شيءٌ أقرَّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين صالحين متَّبعين أوامر الله عزَّ وجلَّ(٢). وقال الزهري: معنى قرَّةِ العين أن يصادف قلبه من يرضى به فتقرَّ عينه به عن النظر إلى غيره(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ أي: أئمة/ يقتَدُون بنا في الخير(٤). ١٠٣/أ

فإن قلتَ: لِم قال إماماً، ولم يقل أئمة؟ قلنا: قد وقع مثل ذلك في القرآن كثيراً؛ كقوله تعالى: ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦]، ولم يقل: رُسُلُ. وكقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّى ﴾ [الشعراء: ٧٧] أي: أعداء. وقيل: لأنه مصدر (أمَّ إماماً)، والله أعلم.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص ويعقوب: ﴿ وَذُرِّيَّٰتِنَا ﴾ على الجمع. وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: (وذريتنا) بدون ألف على الإفراد. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٦٧، والنشر: ٢:٢٥١، والكشف: ١٤٨/٢.

(٢) ذكره القرطبي بمعناه العام في تفسيره: ٨٢/١٣، ولعله نقلٌ عن القرظي كما نص الإمام البغوي على ذلك في تفسيره: ٣٢٢/٣. كما أن ابن الجوزي نقل عن الحسن قريباً من هذا المعنى في: زاد المسير: ٣٠/٦.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣٢٢/٣.

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير القرطبي: ٨٣/١٣، وزاد المسير: ٣٠/٦، وتفسير البغوي: ٣/ ٣٢٢.

وقال الحسن: نقتدي بالمتقين، ويقتدي بنا المؤمنون. وقيل: هذا من قبيل المقلوب، أي: واجعل المتقين لنا إماماً، واجعلنا مؤتمّين مقتدين بهم. قاله مجاهد[١].

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ أي: يجزون الدرجة العالية الرفيعة في الجنة بما صبروا.

والغرفة كل بناء مرتفع. قال عطاء: يُريد غُرف الدُرّ والزبرجد[٢] والياقوت[٣] في الجنة بما صبروا على أمر الله وطاعته.

وقيل: بما صبروا عن شهواتهم المحرَّمة.

قرأ الكسائي وأبو بكر (يَلقَون) بفتح الياء وتخفيف القاف، وقرأ الآخرون بضمّ الياء وتشديد القاف[٤].

﴿ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ يلقَّون فيها بصبرهم مُلكاً دائماً.

ومعنى قوله: ﴿ سَلَٰمًا ﴾ أي: سلامة من الآفات.

وقوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ﴾ / أي: موضع قرار وإقامة. ١٠٣/ب

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣١/٦، وتفسير البغوي: ٣٢٢/٣.

(٢) جوهر من الجواهر. انظر: القاموس المحيط: ص: ٣٦٤.

(٣) لفظ معرَّب، والياقوت من الجواهر، وأجوده الأحمر الرماني. انظر: القاموس المحيط: ص: ٢٠٩.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿ وَيُلَقَّوۡنَ ﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر وخلف: (ويَلْقَوْن) بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٦٨، والنشر: ٢٥١/٢، والكشف: ١٤٨/٢.

سورة الشعراء

مئتان وسبع وعشرون آية[١]. وهي مكيَّة إلا أربع آيات من آخر السورة[٢].

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أن النبي ﷺ قال: ((أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى))[٣].

وفيها من آيات التوكل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾.

قال عليٌّ كرَّم الله وجهه: لمَّا نزل ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا عليّ إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضِقْتُ

---

(١) هذا في عدّ المدني الأخير والمكي والبصري. ومئتان وسبع وعشرون في عدّ المدني الأول والكوفي والشامي، واختلافها أربع آيات: ﴿ طسٓمٓ ﴾ و ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عدّهما الكوفي دون غيره. ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ بعده ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ لم يعدّها البصري وعدّها الباقون. ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ لم يعدّها المدني الأخير والمكي وعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ١٩٦، وبصائر ذوي التمييز: ١/٣٤٤.

(٢) وهن قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ إلى آخر السورة. نزلت بالمدينة في حسان بن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة شعراء رسول الله. وهذا قول ابن عباس وعطاء. انظر: تفسير الطبري: ١٩/١٢٨ــ ١٢٩، والبيان: ص: ١٩٦، وزاد المسير: ٦/٣٣.

(٣) أورده بهذا اللفظ البغوي في تفسيره: ٤/٢٦٢، والسيوطي في الدر المنثور: ٤/٢٨٨. ورواه البيهقي في سننه بسنده عن عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح عن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدي كما يخبروكم، وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور وما أوتي النبيون من ربهم، ولْيَسَعْكُم القرآن وما فيه من البيان، فإنه شافع مشفع، وماحِلٌ مصدق، ألا ولكل آية نور يوم القيامة، وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه وطواسين والحواميم من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش)). انظر: السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الضحايا، باب ما حرّم على بني إسرائيل: ١٠/٩. قال البيهقي: عبيد الله بن أبي حميد تكلّموا فيه.

بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أناديهم لهذا الأمر، أرى منهم ما أكره، فصَمَتُ[١] عليها، حتى جاءني جبريل عليه السلام وقال: يا محمد ألا تفعل ما يأمرك ربك؟! فاصنع لنا صاعين من الطعام، واجعل عليه رِجل شاة، واملأ لنا عُسّاً[٢] من لبنٍ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أبلغهم ما أمرت به، ففعلتُ ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون/ رجلاً، أو ينقصون رجلاً. منهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب.

١٠٤/أ

فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ جذبة[٣] من اللحم، فشقَّها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال: خذوا بسم الله الرحمن الرحيم، فأكل القوم حتى ما لهم بشيءٍ حاجة، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم يأكل مثلما قدَّمته لجميعهم.

ثم قال رسول الله ﷺ : اسق القوم، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا حتى رَوُوا جميعاً. وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد النبي ﷺ أن يكلِّمهم بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم، فتفرَّق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ.

فقال الغدَ[٤]: يا عليُّ إن هذا الرجل سبقني إلى ما سمعتَ من القول، فتفرَّق القوم قبل أن أكلِّمهم، فعُدْ لنا مثل ما صنعتَ، ففعلتُ ثم جمعهم، ثم دعاني بالطعام فقرَّبته، فأكلوا وشربوا.

ثم تكلَّم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم/ إليه، فأيُّكم يؤازرني ويكون أخي ووصيي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وأنا أحدثهم سنّاً. فقلت: أنا يا نبي الله، أنا وزيرك. فأخذ

١٠٤/ب

---

(١) وردت في أصل المخطوط: (فضممت)، ولا معنى لها ألا أن تكون: (فصمتُ) كما في تفسير البغوي: ٣/٣٤٤

(٢) العسّ: القدَح والإناء الكبير. انظر: القاموس المحيط: ص: ٧١٩.

(٣) الجذبة: القطعة من اللحم. انظر: لسان العرب: ١/٢٥٨، والقاموس المحيط: ص: ٨٤.

(٤) فقال الغدَ: أي قال في الغد.

برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعليٍّ وتطيع(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لما نزل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا(٢)، فهتف: يا صباحاه، فقالوا: مَن هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً(٣) من سفح هذا الجبل أكنتم مصدِّقيَّ؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تبّاً لك، ألهذا جمعتنا(٤)؟ ثم قام فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾)) [اللهب].(٥)(٦)

وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: ((قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ ﴾(٧) فقال: يا معشر بني هاشم، أو كلمةً نحوها، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن دحلان: ١٩٧/١، وسبيل الهدى والرشاد: ٤٣٢/٢.

(٢) الصفا: مكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق. ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة. الصفا والمروة: جبلان بين بطحاء مكة والمسجد. وفيهما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: الآية: ١٥٨]. انظر: معجم البلدان: ٤١١/٣.

(٣) في رواية البخاري: تخرج من سفح.

(٤) في رواية البخاري: ما جمعتنا إلا لهذا؟

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب تباب خسران:٤٠٩/٦، رقم الحديث: ٤٩٧١، وأخرجه في نفس الكتاب، باب وأنذر عشيرتك: ٣١٤/٦، رقم الحديث: ٤٧٧٠، وأخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ ﴾: ١٩٣/١، رقم الحديث: ٢٠٦/٣٥١. مع فوارق في نص الكتاب.

(٦) في رواية البخاري: ((﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾ ، وقد تبَّ))، هكذا قرأها الأعمش يومئذ.

(٧) في رواية الصحيحين زيادة: (ورهطك منهم المخلصين). انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن: ٦/ ٤٠٩، رقم الحديث: ٤٩٧١، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ ﴾: ١٩٣/١، رقم الحديث: ٢٠٦/٣٥١.

بني عباس بن عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً[١]،/ يا صفيةُ عمةَ رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً)).[٢] ١٠٥/أ

وقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ أي: لِنْ جانبك.

ومعنى قوله: ﴿ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ أي: بريءٌ من عبادة غير الله.

ومعنى قوله: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ ليكفيك كيد الأعداء.

ومعنى قوله: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ أي: إلى صلاتك[٣]. وقيل: يراك أينما كنت. وقيل: حين تقوم لدعائهم.

ومعنى قوله: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ أي: في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: في المصلين.

وقال مقاتل[٤]: وتقلُّبك مع المصلِّين، فإنه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه.

---

(١) سقط في الأصل من العبارة سهواً: (عنك من الله شيئاً)، وقد أثبتها في المتن كما وردت في نص البخاري.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه أن أبا هريرة قال: قام رسول الله حين أنزل الله عز وجل ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ قال: ((يا معشر قريش ــ أو كلمة نحوها ــ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً)). تابعه أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب. انظر: صحيح البخاري في: كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟: ٢٥٩/٣، رقم الحديث: ٢٧٥٣. وفي كتاب تفسير القرآن باب ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ رقم الحديث: ٤٧٧١، ٣١٤/٦.

(٣) قاله ابن عباس ومقاتل. انظر: زاد المسير: ٥٦/٦.

(٤) ومعه قتادة وهو قول الأكثرين. انظر: زاد المسير: ٥٦/٦.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((هل ترون قبلتي ههنا؟ فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم، ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري)) [١].

وقال سعيد بن جبير: وتصرُّفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك. والساجدون هم الأنبياء.

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: أراد تقلُّبَك في أصلاب الأنبياء من نبيٌ إلى نبيٌ حتى أخرجك في هذه الأمة[٢]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة: ١/١٣٤، رقم الحديث: ٤١٨.

(٢) رواه عكرمة عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٦/٥٦.

سورة النمل

١٠٥/ب

/ تسعون وثلاث آيات[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ طسّ ﴾ اسم من أسماء الله تعالى[٢].

وفيها من الآيات المتضمنة لأنعم الله ببركة الصبر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: علمنا علم القضاء، ومنطق الطير والدواب، وتسبيح الجبال. وفضّله بالنبوّة والكتاب، وتسخير الشياطين.

وقال مقاتل: كان سليمان أعظم من داود مُلكاً، وأقضى منه. وكان داود أشدَّ تعبُّداً من سليمان، وكان سليمان شاكراً لأنعم الله، وكان لداود تسعة عشر ابناً، فأُعطي سليمان ما أُعطي داود من الملك، وزِيدَ له تسخير الريح، وتسخير الشياطين.

قال كعب: صاح ورَشَانٌ[٣] عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: لِدُوا[٤] للموت، وابْنُوا للخراب. وصاحت فاختة[٥]، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: ليت الخلائق لم يخلقوا.

---

(١) وردت في الأصل: (سبعون)، وهو تصحيف. والصواب: (تسعون). وآياتها: تسعون وثلاث آيات في عدّ الكوفيين. وتسعون وأربع في عدّ البصريين والشاميين. وتسعون وخمس في عدّ المدنيين والمكيين. انظر: البيان: ص: ١٩٩، بصائر ذوي التمييز: ٣٤٨/١. وهي مكية كلها بإجماعهم. انظر: زاد المسير: ٥٩/٦.

(٢) وفي رواية عنه رواها ابن أبي طلحة أنه قسم، أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى. وفي رواية: هو اسم الله الأعظم. انظر: زاد المسير: ٥٩/٦.

(٣) طائر يتولد بين الفاختة والحمامة، وكنيته أبو الأخضر، وأبو عمران، وأبو النائحة، ويوصف بالحنو على أولاده حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها في يد القانص. ويحلُّ أكله لأنه من الطيبات. انظر: حياة الحيوان: ٣٧٣/٢

(٤) وردت في الأصل: (إلدوا)، وهو خطأ. إذ فعل أمر الجماعة من مادة (ولَدَ): (لِدُوا).

(٥) الفاختة: مفرد فواخت، وهي من ذوات الأطواق. ويقال لها الصلصل. وزعموا أن الحيات تهرب من صوتها. وفيها فصاحة وحسن صوت، وصوتها يشبه المثلث. وفي طبعها الأنس بالناس. وتعيش في الدور، والعرب تصفها بالكذب وفي المثل: أكذب من فاختة. ويحل أكلها و بيعها بالاتفاق. انظر: حياة الحيوان: ١١٩/٢.

وصاح طاووس(١)، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: كما تدين تُدان.

وصاح هُدهُد(٢)، فقال: أتدرون ما/ يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: من لا يَرحم لا يُرحم. ١٠٦/أ

وصاح صُرد(٣)، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: كل حيٍّ ميِّت، وكل جديد بالٍ.

وصاح خُطَّافٌ(٤)، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: قدِّموا خيراً تجدوه.

وهدرت حمامة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه.

---

(١) طائر معروف كنيته أبو الحسن وأبو الوشي، وهو في الطير كالفرس في الدواب عزاً وحسناً، وفي طبعه العفة وحب الزهو بنفسه، والخيلاء والإعجاب بريشه، وعقده لذنبه كالطاق. ويحرم أكل لحمه. انظر: حياة الحيوان: ٥٨٤/١.

(٢) طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة، وكنيته أبو الأخبار، وأبو ثمامة، وأبو الربيع، وأبو سجاد، وأبو عباد، وهو منتن الريح طبعاً، ويذكر عنه أنه يرى الماء في باطن الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزجاجة، ويحرم أكل لحمه على الأصح لنهي النبي ﷺ عن أكله لأنه منتن الريح ويقتات الدود، وقيل: يحل. انظر: حياة الحيوان: ٢ /٣٥٢.

(٣) طائر فوق العصفور يصيد العصافير، وكنيته أبو كثير، وهو أبقع ضخم الرأس، نصفه أبيض ونصفه أسود، ضخم المنقار، وبراثنه (أصابعه) عظيمة، لايرى إلا في شجرة ولا يقدر عليه أحد، وهو شرس النفس، شديد النفرة. غذاؤه من اللحم، له صفير مختلف يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته، فيدعوه إلى التقرب منه، فإذا اجتمعوا إليه شد على بعضهم، وله منقار شديد، فإذا نقر واحداً قدَّه من ساعته وأكله. ولا يزال هذا دأبه. ومأواه الأشجار ورؤوس القلاع وأعالي الحصون. ويحرم أكل لحمه للنهي عنه. انظر: حياة الحيوان: ٥٥١/١

(٤) الخطَّاف: جمعه خطاطيف ويسمى زوار الهند، وهو من الطيور القواطع إلى الناس، تقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة في القرب منهم، ثم إنها تبني بيوتها في أبعد المواضع عن الوصول إليها، ويعرف عند الناس بعصفور الجنة، لأنه زهد ما في أيديهم من الأقوات فأحبوه، لأنه إنما يتقوَّت بالذباب والبعوض. ويحرم أكل لحمه لخبثه. انظر: حياة الحيوان: ٣٧٣/١.

وصاح قُمري[١]، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: سبحان ربي الأعلى.

وقال الغراب[٢] يدعو على العشَّار.

والحِدَأةُ[٣] تقول: كل شيءٍ هالك إلا وجهه.

والقطاة[٤] تقول: من سكت يسلم.

والببغاء[٥] تقول: ويل لمن الدنيا همُّه.

والضفدع[٦] يقول: سبحان ربي المذكور بكل لسان.

---

(١) القمري: طائر صغير من الحمام مشهور، كنيته أبو ذكرى، وأبو طلحة، وهو حسن الصوت. ويحل أكله بالإجماع كالحَمَام. وذكروا أن أنثى القمري إذا مات زوجها لا تتزوج غيره، وتنوح إلى أن تموت. ومن العجائب أن بيض القماري يجعل تحت الفواخت وبالعكس، وكلاهما يفقس قماري. وذكروا أن الهوام تهرب من صوت القماري. انظر: حياة الحيوان: ٢/٢٠١، وعجائب المخلوقات: ص: ٢٥٦.

(٢) الغراب: طائر معروف سمي بذلك لسواده، وكنيته أبو حاتم، وأبو غياث، وأبو الشؤم وهو أصناف. ويحرم أكل الغراب إلا عند أبي حنيفة فالغربان كلها حلال. انظر: حياة الحيوان: ٢/٩٠.

(٣) الحدأة: أخس الطير، وكنيتها أبو الخطاف، وأبو الصلت. ومن ألوانها السود والرمد. وهي لا تصيد وإنما تخطف. ومن طبعها أنها تقف في الطيران، وليس ذلك لغيرها من الكواسر. وهي من أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير، فلو ماتت جوعاً لا تعدو على فراخ جارها. انظر: حياة الحيوان: ١/٢٩٠.

(٤) القطاة: طائر معروف من الحَمَام. والجمع قطوات وقطيات، ويقال للقطاة: أم ثلاث، وأمهات الجوازل. وتوصف بالصدق وحسن المشي. وحكمها: حِلُّ أكلها بالإجماع. وقد مثل بها النبي ﷺ في وههنا، حيث قال: ((من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة، بنى الله له بيتاً في الجنة)). وهي تبيض في البراري وتغيب عنها أياماً وتعود إليها. يقال: فلان أهدى من القطا، ولا ينام الليل. ولها أفحوصة عجيبة في وسط الحشيش مثل بها. انظر: حياة الحيوان: ٢/١٩١. وعجائب المخلوقات: ص رقم: ٢٥٦.

(٥) الببغاء: طائر أخضر قدر الحمار يسمى بالدرة، يتخذونها الناس للانتفاع بصوتها، ومنها نوع أبيض، وهو حيوان دمث الخلق، ثاقب الفهم، له قوة على حكاية الأصوات وقبول التلقين. يحرم أكله على الأصح لخبث لحمه، وقيل: بحِلِّه. يتناول مأكوله برجله كما يتناول الإنسان الشيء بيده. انظر: حياة الحيوان: ١/١٤٢.

(٦) الضفادع: أنواع كثيرة، وتكون من سفاد وغير سفاد، وتتولد من المياه القائمة، ضعيفة الجري ومن العفونات، وليس عن ذكر ولا أنثى، إنما يخلقها الله من طباع تلك التربة، وهي لا عظام لها، وبعضها ينق ويخرج صوته من قرب أذنه، وتوصف بحدة السمع. ويحرم أكلها للنهي عن قتلها. انظر: حياة الحيوان: ١/٥٨١.

وعن مكحول قال: صاح دُرَّاج[١] عند سليمان، قال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: الرحمن على العرش استوى.

وعن فرقد قال: مرَّ سليمان على بلبل[٢] فوق شجرة، فقال: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه يقول: أكلت نصف تمرة، فعلى الدنيا العفاء[٣].

وروي أن اليهود قالوا لابن عباس [رضي الله عنهما]: إنا سائلوك عن سبعة/ ١٠٦/ب أشياء، فإن أخبرتنا آمنا وصدَّقنا. قال: سلوا تفقُّهاً، ولا تسألوا تعنُّتاً. قالوا: أخبرنا ما يقول القنبر[٤] في صفيره، والديك في صقيعه[٥]، والضفدع في نقيقه، والحمار في نهيقه، والفرس في صهيله؟ وماذا يقول الزُّرزورُ[٦] والدرَّاج؟ قال: نعم.

أما القنبر يقول: اللهم العن مبغضي محمد وآله وصحابته.

وأما الديك يقول: اذكروا الله عزَّ وجلَّ يا غافلين.

وأما الضفدع يقول: سبحان المعبود في لجج البحار.

وأما الحمار يقول: اللهم العن العشَّار.

---

(١) الدرَّاج: طائر مبارك كثير النتاج، تطيب نفسه على الهواء الصافي وهبوب الشمال، وهو أسود باطن الجناحين، وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلا أنه ألطف، ويحلُّ أكله كالحَمَام. انظر: حياة الحيوان: ٤٢٨/١.

(٢) البلبل: من أنواع العصافير. ويقال له: الكعيت والجميل، وهو النغر. ويقال: البلبل يعندل أي: يصوِّت، وإذا صفَّر حرَّك رأسه ومال بذنَبه. انظر: حياة الحيوان: ١٩٧/١.

(٣) أي على الدنيا الدَّروس وذهاب الأثر. وقيل: العفاء التراب. انظر: حياة الحيوان: ١٩٦/١، وانظر الخبر في ترجمة مالك بن دينار في حلية الأولياء: ٢٧٨/٢.

(٤) قنبر: ويقال: قنبرة، طائر معروف يقال له بالفارسية: (جلودا) يحب الأصوات المطربة والنغمات اللذيذة، على رأسه قنزعة شبيهة بما للطاووس، وهو شديد الاحتياط، ومع ذلك كثير الوقوع في الفخ، يتخذ عشَّه من أعواد عجيبة التأليف، ويضع بيضه فيه متستراً من الجوارح بأوراق الشجر. يؤكل لحمه مشوياً. انظر: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ص رقم: ٢٥٦.

(٥) الصقاع والزَّقاء للديك، والنقيق للضفدع، والنهيق للحمار، والصهيل للفرس، وهي أسماء أصوات هذه الحيوانات التي تشتهر بها. انظر: فقه اللغة: ٣٥٤/١ــ٣٦٠.

(٦) الزرزورُ: طائر من نوع العصفور سمي بذلك لزوزرته أي تصويته. انظر: حياة الحيوان: ٤٧٨/١.

وأما الفرس إذا التقى الصفَّان يقول: سُبُّوح[١] قدُّوس ربُّ الملائكة والرُّوح.

وأما الزُّرزور يقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزَّاق.

وأما الدرَّاج يقول: الرحمن على العرش استوى. قال: فأسلم اليهود وحسُن إسلامهم.

وقال الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما: قال: إذا صاح النسر يقول: يا ابن آدم، عش ما شئت فإن آخره الموت. وإذا صاح العُقَاب[٢] قال: البعد من الناس أنس، وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغضي آل محمد، وإذا صاح الخُطَّاف قرأ: الحمد لله ربِّ العالمين، ويمدُّ الضالِّين كما يمدُّ القارئ./ ١٠٧/أ

ومعنى قوله: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: مما تؤتى الأنبياء والملوك. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي: الظاهر.

روي أن سليمان عليه السلام أُعطي مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمئة سنة وستة أشهر، ملك جميع أهل الدنيا من الجنِّ والإنس والطير والسباع، وفي زمانه صُنعت الصنائع العجيبة[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

قال محمد بن كعب القرظي: كان معسكر سليمان مئة فرسخ، خمسة وعشرون فرسخاً[٤] منها للإنس، وخمسة وعشرون منها للجنِّ، وخمسة وعشرون منها للوحش، وخمسة وعشرون للطير.

---

(١) وردت في الأصل: (سُبُّحون)، وهو خطأ صوابه: (سُبُّوح).

(٢) العقاب: طائر معروف وتسمِّيه العرب الكاسر، وهو سيد الطيور والنسر عريفها. وتقول العرب: أبصر من عقاب. والعقاب أشد الجوارح حرارة، وأقواها حركة، وأيبسها مزاجاً، وهو خفيف الجناح، سريع الطيران. ومنه ألوان. ويحرم أكل لحمه لأنه ذو مخلب. انظر: حياة الحيوان: ٣٦/٢.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣٥٠/٣، والدر المنثور: ١٩٤/٥.

(٤) في الأصل: (فرسخ)، وصوابه: (فرسخاً) تمييز منصوب بالفتحة للعدد (خمسة وعشرون).

وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب منها ثلاثمئة صريحة، وسبعمئة سرية[١]، فيأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الريح الرخاء، فتسير به، فأوحى الله إليه، وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد زدُّت[٢] في مُلكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيءٍ إلا جاءت/ الريح فأخبرتك[٣]، والله أعلم.

١٠٧/ب

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾.

قال وهب بن منبِّه فيما يروي عن كعب الأحبار، قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مخابز ومطابخ يحمل فيها تنانير الحديد، وقدوراً عظاماً، تسع القدرُ الواحدة عشر جزاير. وقد اتخذ ميادين الدواب أمامه، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون، وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض، والريح تجري بهم. فسار من إصطخر إلى اليمن، فسلك مدينة الرسول عليه السلام، فقال: هذه دار هجرة نبي مكِّي في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه.

ثم سار إلى البيت الحرام، ورأى حول البيت أصناماً تعبد من دون الله، فلما جاوز سليمان البيت بكى البيتُ، فأوحى الله إلى البيت: ما يبكيك؟ فقال:/ يا ربِّ أبكاني هذا أنه نبي، والأصنام تُعبدُ حَولي من دونك، فأوحى الله إليه أن لا تبكِ، فإني سوف أملؤك وجوهاً سجَّداً، وأُنزِلُ فيك قرآناً جديداً، وأبعث فيك نبيَّ آخر الزمان أحبَّ أنبيائي إليَّ، وأجعل فيك عُمَّاراً من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة يزفُّون إليك زفيفَ النسور إلى أوكارها، ويحنُّون إليك حنين الناقة إلى ولدها،

١٠٨/أ

---

(١) في الأصل: (شرية)، وهو تصحيف. والصواب: (سرّية).

(٢) في الأصل: (زددت)، وصوابه: (زدّت).

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣٥١/٥، والدر المنثور: ١٩٤/٥. نقلاً عن الحاكم عن محمد بن كعب.

والحمامة إلى بيضتها، وأُطهِّرك من الأوثان وعبدة الشياطين. ثم مضى سليمان حتى مرَّ بوادي السكر[١] من الطائف، فأتى على وادي النمل[٢].

قال كعب: وادي النمل بالطائف، وقال مقاتل: هو بأرض الشام. وقيل: هو وادٍ يسكُنُه الجنُّ، وأولئك النمل مراكبهم. قيل: كان النمل على ذلك الوادي كالبخاتي. والمشهور أنه النمل الصغار.

قال الشعبي[٣]: كانت تلك النملة ذات جناحين، وقيل: كانت نملة عرجاء فتأذَّت[٤].

قلتُ[٥]: كلُّ دابة جعل/ الله لها عقلاً تسوس به نفسها، والله أعلم. ١٠٨/ب

ومعنى: ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ ﴾ لا يكسرنَّكم. والحطم: الكسر.

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: لا يفعلون ذلك قصداً.

---

(١) لم أقف عليه، ولعله: وادي السكران وهو واد بمشارف الشام. وقيل: السكران واد أسفل من أمَج عن يسار الذاهب إلى المدينة. وقيل: السكران جبل بالمدينة، أو واد بالجزيرة، وهو أيضاً واد بمشارف الشام من جهة نجد. انظر: معجم البلدان: ٣/٢٦٠.

(٢) وادي النمل: الذي خاطب سليمان عليه السلام النمل فيه. قيل: هو بين جيرين وعسقلان. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٣٤٦.

(٣) هو عامر بن شراحبيل الشعبي. أصله من حِمْيَر. ومنسوب إلى الشَعب (شَعْبِ همدان). ولد بالكوفة سنة ١٩ هـ، ونشأ فيها، وهو راوية فقيه، من كبار التابعين، اشتهر بحفظه. كان ضئيل الجسم. أخذ عنه أبو حنيفة وغيره. وهو ثقة عند أهل الحديث. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره. أرسله سفيراً في سفارة إلى ملك الروم. خرج مع ابن الأشعث، فلما قدر عليه الحجاج عفا عنه في قصة مشهورة. مات سنة ١٠٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: ١/٧٤ـ٨٠، وتهذيب التهذيب: ٥/٦٩، والأعلام: ٤/١٩.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٥/٣٥١.

(٥) هذا قول المصنف. ولعله يقصد بالعقل الإدراك وغريزة حب البقاء الفطرية التي جُبِلت عليها تدافع بها للحفاظ على وجودها. إذ العقل مناط التكليف وهو مما شرَّف الله به الإنسان وكرَّمه، وقد نفاه القرآن عن الأنعام حين شبه الكافرين بهم في تعطيل عقولهم. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف].

قلتُ: علم النمل أن سليمان نبي ليس له تجبُّرٌ، والأنبياء لا يؤذون الذرَّ، ولا يقربون الشرَّ. وقد روي أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنده، حتى دخل النمل بيوتهم، والله أعلم.

وقال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال ألقته الريح في مسامعه. قيل: كان اسم تلك النملة (طاخية)، وقيل: (جذمى)، وقيل: (جزمى).

فإن قيل: كيف يُتصوَّر الحطم من سليمان وجنوده، وكانت تحملهم الريح بين السماء والأرض؟ قلنا: كانت جنوده فيهم المشاة على الأرض، تُطوى لهم الأرض[1]، والله أعلم.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ يعني: مبتسماً. قال الزَّجَّاج: أكثر ضحك الأنبياء التبسُّم[2]. وقد ورد في الحديث عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: ((ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسَّم))[3].

ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه فقال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾ الهمني/ ﴿ أَنْ أَشْكُرَ ١٠٩/أ

نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٣٥٢/٥.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١١٢/٤.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم)) . كتاب الأدب، باب التبسم والضحك: ١٢٤/٧، رقم الحديث: ٦٠٩٢. وفي رواية: ((ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم)). كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا ﴾ : ٣٤٤/٦، رقم الحديث: ٤٨٢٨. وأخرجه مسلم في الصحيح: كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم. وتتمة الرواية: قالت: وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه. فقالت: يا رسول الله: أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر. وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية. قالت: فقال: ((يا عائشة: ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب. قد عُذب قوم بالريح. وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا)): ٢٢/٢، رقم الحديث: ٨٩٩/١٦.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾. قال ابن عباس [رضي الله عنهما] يريد: مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومَن بعدهم من النبيِّين(١).

وقولـــه عزَّ وجلَّ: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ يعني: طلب ما فقد من الطير.

والهدهد طائر معروف. والسبب في تفقُّده والسؤالِ عنه أن سليمان كان إذا نزل منزلاً أظلَّه وجندَه الطيرُ من الشمس، فأصابته الشمس من موضع الهدهد، فنظر فرأى موضعه خالياً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الهدهد كان دليلاً لسليمان على الماء، وكان يعرف موضع الماء تحت الأرض كما يُرى في الزجاجة، ويعرف قُربَه من بُعده فينقر الأرض، ثم تجيء الشياطين فتستخرجه.

قال سعيد بن جبير: لما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما هذا قال له نافع بن الأزرق: يا وصَّاف انظر ما تقول! إن الواحد منَّا والصبيَّ منَّا يصنع الفخَّ، ويحثي عليه التراب، فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخَّ، حتى يقع في عنقه. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ويحك، إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللبُّ وعمي البصر./ ١٠٩/ب

فنزل سليمان منزلاً فاحتاج إلى الماء فطلبوه فلم يجدوه، فتفقَّد الطير، يعني الهدهد ليدلَّ على الماء، فقال: مالي لا أرى الهدهد على تقدير أنه في جنوده، ثم أدركه الشكُّ في غيبته، فقال: أم كان من الغائبين(٢).

وقوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ أي: لأحبسنَّه مع ضدِّه(٣)، والذبح قطع الحلق.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٣٥٢/٥.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣٥٢/٥، والدر المنثور: ١٩٧/٥.

(٣) وفي المثل: أضيق السجون معاشرة الأضداد. انظر: تفسير القرطبي: ١٨٠/١٣.

وقوله: ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: بحجة ظاهرة في غيبته. قرأ ابن كثير: (ليأتيننَّي) بنونين الأولى مشددة[1]. وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة.

وكان السبب في غيبة الهدهد ما ذكر العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس، عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهَّز للمسير، واستصحب معه من الجنِّ والإنس والوحش والطير ما بلغ معسكره مئة فرسخ، فحملتهم الريح إلى مكة، فأقام فيها ما شاء الله تعالى أن يقيم. وكان ينحَر في كل يوم من أيام إقامته بمكة خمسة آلاف ناقة، ويذبح خمسة آلاف ثور، وعشرين ألف شاة. وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا مكان يخرج منه نبيٌّ عربي صفته كذا وكذا، يُعطى النصرَ على من/ ناوأه، ويُنصَر بالرعب مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم. قالوا: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال: بدين الحنيفية، فطوبى لمن أدركه وآمن به. فقالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال: مقدار ألف عام، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه خاتم الرسل.

١١٠/أ

قال: فأقام بمكة حتى قضى نسُكَه، ثم خرج من مكة صباحاً، وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء[2] اليمن وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تُزهرُ خُضرتُها، فأحبَّ النزول بها ليصلي ويتغدَّى، فلما نزل قال الهدهد: إن سليمان قد اشتغل بالنزول، فارتفع نحو السماء فنظر إلى طول الدنيا وعرضها، ففعل ذلك، فنظر يميناً وشمالاً فرأى بُستاناً لبلقيس، فمال إلى الخضرة، فوقع فيه، فإذا هو بهدهدٍ فهبط عليه.

---

(١) قرأ ابن كثير وحده: (أو ليأتيننّي) بنونين الأولى مفتوحة مشددة، والثانية مكسورة مخففة، وهما النون المؤكدة ونون الوقاية، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة تلامذة ابن كثير. وقرأ الباقون جميعهم (أو ليأتينّي) بنون مكسورة مشددة، وحذفوا النون الثالثة التي قبل ياء المتكلم للتخفيف. وكذلك هي في مصاحفهم. انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٧٩، والنشر: ٢/٢٥٣، والكشف: ٢/١٥٥ــ١٥٤.

(٢) منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها، وهي موضعان: أحدهما: باليمن وهي العظمى المترجم لها. والأخرى: قرية بغوطة دمشق وهي بلدة في خط الاستواء معتدلة الهواء، سميت باسم بانيها صنعاء بن أزال. لها تسعة أبواب. ونسب إليها خلق أجلُّهم قدراً في العلم عبد الرزاق الصنعاني. انظر: معجم البلدان: ٣/٤٢٥.

وكان اسم هدهد سليمان (يعفور)، واسم هدهد اليمن (عنفير). فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت؟ وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان ابن داود. فقال مَن سليمان؟ قال: ملِك الجن والإنس/ والشياطين والطير والوحش والرياح. فمن أين أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد. قال: ومَن يملكها؟ قال: امرأةٌ يقال لها (بلقيس)، وإن لصاحبكم مُلكاً عظيماً، ولكن ليس ملكُ بلقيس دونه، فإنها ملكةُ اليمن كله، وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد، تحت يد كل قائد مئة ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى مُلكها. قال: إني أخاف أن يتفقَّدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء.

١١٠/ب

قال الهدهد اليماني: إن صاحبكم يَسُرُّه أن تأتيه بخبر هذه الملِكَة. فانطلَق معه، ونظر إلى مُلك بلقيس، وما رجع إلى سليمان إلا في وقت العصر، فلما نزل سليمان ودخل عليه وقتُ الصلاة، وكان قد دخل على غير ماءٍ فسأل الإنس والجنَّ والشياطين عن الماء فلم يعلموا، وتفقَّد الطير والهدهد، فدعا عريف الطير وهو النسر، فسأله عن الهدهد فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو؟ وما أرسلته مكاناً، فغضب عند ذلك سليمان، وقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ..﴾ الآية.

ثم دعا العُقَابَ سيدَ الطير فقال: عليَّ بالهدهد الساعة، فرفع نفسه دون السماء، فنظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي/ أحدكم، ثم التفت يميناً وشمالاً فإذا بالهدهد مقبلاً من نحو اليمين، فانقضَّ العُقَاب نحوه يريده. فلما رأى الهدهدُ ذلك علم أن العُقَاب يقصده بسوء فناشده الله تعالى، فقال: بحقِّ الذي قوَّاك وأقدرك عليَّ إلا ما رحمتني، ولم تتعرَّض لي بسوء.

١١١/أ

قال: فولَّى عنه العقاب. وقال له: ويلك، ثكلتك أمك. إن نبي الله قد حلف أن يعذِّبنَّك عذاباً شديداً، أو يذبحنَّك. ثم طارا متوجِّهَين نحو سليمان، فلما انتهيا إلى المعسكر تلقَّاه النسر والطير، فقالوا له: ويلك، أين غبتَ في يومك هذا، فلقد أوعدك

نبي الله، وأخبروه بما قال. فقال الهدهد: أو ما استثنى نبيُّ الله؟ قالوا: بلى، قال: ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾. قال الهدهد: فنجوت إذاً.

ثم طار العُقَاب والهدهد، حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيِّه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبيَّ الله، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه، وأرخى ذنبه وجناحيه يجرُّهما على الأرض تواضعاً لسليمان. فلما دنا منه أخذ برأسه فمدَّه إليه، وقال له: أين كنت؟ لأعذِّبنَّك عذاباً شديداً. فقال له الهدهد: يا نبيَّ الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى.

فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا/ عنه[1]، ثم سأله ما الذي أبطأك؟ فقال | ١١١/ب
الهدهد: ما أخبر الله عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ يعني: غير طويل، وبلغتُ ما لم تبلغه أنت ولا جنودك.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ سئل عن سبأ، فقال: ((كان رجلاً له عشر من البنين، تيامن منهم ستة، وتشاءم أربعة))[2].

ومعنى النبأ اليقين: الخبر اليقين. فقال سليمان: وما ذلك؟ قال: ما ذكره الله في كتابه: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: أوتيت من كل شيءٍ تحتاج إليه الملوك من الآلة والعدَّة.

---

(١) انظر تمام القصة في تفسير البغوي: ٣٥٣/٣.

(٢) أخرج الترمذي بسنده عن فروة بن مسيك المرادي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم، فأذن لي في قتالهم، وأمرني. فلما خرجت من عنده سأل عني ما فعل الغطيفي؟ فأُخبر أني قد سرت. قال: فأرسل في أثري فردني، فأتيته وهو في نفر من أصحابه، فقال: ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه، ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك. قال: وأنزل في سبإ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة؟ قال: ((ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة. فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحِمْيَر وكندة ومذحج وأنمار. فقال رجل: يا رسول الله وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة)). وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ: ٣٣٦/٥، رقم الحديث: ٣٢٢٢.

والعرش العظيم: سرير ضخم كان مضروباً من الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، قوائمه من الياقوت والزمرُّد، عليه سبعة أبيات، على كل بيت بابٌ مغلق.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً[١]. وقيل: ثمانون في ثمانين ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً، وارتفاعه ثلاثون ذراعاً[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣]/ قرأ أبو جعفر والكسائي: (ألا) بالتخفيف[٤]. فعلى هذه القراءة يكون (ألا) كلاماً معترضاً من غير القصة؛ إما من الهدهد، وإما من سليمان. يعني: ألا يا أيها الناس اسجدوا لله. وقرأ الآخرون: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ ﴾ بالتشديد، أي وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ.

١١٢/أ

---

(١) وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً. انظر: تفسير البغوي: ٣/٣٥٥.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد. وقاله مقاتل. انظر: تفسير البغوي: ٣/٣٥٥، والدر المنثور: ٥/١٩٩.

(٣) وردت في أصل المخطوط سهواً: (ويعلم ما يخفون وما يعلنون)، وتم ضبطها وتصويبها من المصحف الشريف.

(٤) قرأ أبو جعفر والكسائي ورويس بتخفيف اللام، ولم يجعل فيها (أنْ) إذ هي في حالة التشديد على تقدير: (لئلا يسجدوا)، ومعروف أن نون (أن) أُدغمت في(لا) فأصبحت: (ألا)، ووقف (ألا يا) ثم ابتدأ (اسجدوا) بهمزة مضمومة على الأمر على معنى: (ألا يا هؤلاء)، أو (يا أيها الناس اسجدوا)، فحذفت همزة الوصل بعد (يا) وقبل السين من الخط على واو الوصل دون الفصل. كأنه قال جلَّ شأنه: (ألا اسجدوا) على الأمر، وزيدت (يا) التي للنداء، وحذفت ألف (اسجدوا) وألف (يا). فصارت: (ألا يسجدوا). وقرأ الباقون بتشديد اللام في (ألاّ يسجدوا). انظر: كتاب السبعة: ص: ٤٨٠، والنشر: ٢/٢٥٣، والكشف: ٢/١٥٦.

قال المفسرون: خبأ السماوات المطر، وخبأ الأرض النبات[١].

و﴿ فِي ﴾ بمعنى: من. و﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[٢] أي: يعلم سرّكم وعلانيتكم.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: المستحق للعبادة والسجود هو الله وحده، وإن كان عرش بلقيس عظيما، فهو حقير في جنب عرش الرحمن سبحانه وتعالى.

فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان ما ذكره الله تعالى عنه في قوله: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ فدلَّهم الهدهد على الماء، فاحتفروا[٣] وملأ الركايا[٤]، ورُوِّيَ الناسُ والدواب.

ثم كتب سليمان كتاباً/ ((من عند نبيِّ الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ[٥]: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فلا تعلوا عليَّ وائتوني مسلمين)). ١١٢/ب

---

(١) الخبء: ما خُبِئَ وغاب كالخبئ والخبيئة. والخبأ من الأرض النبات، والخبأ من السماء القطر. والصحيح أن الخبء كل ما غاب، فيكون المعنى: يعلم الغيب في السموات والأرض. انظر: لسان العرب: ٦٢/١، والقاموس المحيط: ص: ٤٨.

(٢) وردت في أصل المخطوط سهواً: (ويعلم ما يخفون وما يعلنون)، وتم ضبطها وتصويبها من المصحف الشريف.

(٣) حفر الشيء يحفره واحتفره: نقاه، كما تحفر الأرض بالحديدة. انظر: القاموس المحيط: ص: ٤٨٣.

(٤) الركايا: أو الرُكيّ جمع مفرده: ركيّة وهي البئر تحفر. انظر: لسان العرب: ٣٣٤/١٤، والقاموس المحيط: ص: ١٦٦٤.

(٥) سبأ: أرض باليمن مدينتها مأرب. سميت بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهو أول من سبى السبي. ولما كان سيل العرم في مأرب تفرق أهل هذه الأرض في البلاد، وسارت كل طائفة منهم إلى جهة، فضربت العرب بهم المثل فقيل: ذهب القوم أيدي سبَأ وأيادي سبَأ، أي متفرقين. شبهوا بأهل سبَأ لمَّا مزقهم الله تعالى كل ممزق. فأخذت كل طائفة منهم طريقاً. انظر: معجم البلدان: ١٨١/٣.

قال قتادة: وكذلك الأنبياء كانت تكتب جُملاً لا يطيلون ولا يكثرون. فلما كتب الكتابَ طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه(١).

فقال للهدهد: ما قصَّ الله بقوله: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي: تنحَّ عنهم فكن قريباً منهم، فانظر ماذا يردُّون من الجواب، فانصرِفْ إليَّ به. فأخذ الهدهد الكتاب، وأتى به إلى بلقيس، ــ وكانت بأرض يقال لها (مأرب) (٢) ــ إذا رقدت غلَّقت الأبواب، وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت وسادتها، فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على نحرها، هذا قول قتادة.

وقيل: حمل الهدهد هذا الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة، وحولها القادة والجنود، فرفرف ساعة والناس ينظرون، حتى رفعت المرأة رأسها، فألقى الكتاب في حجرها، ذكره مقاتل(٣)./

أ/١١٣

وقيل: كانت لها كوَّة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها، فإذا نظرت إليها سجدت لها. فجاء الهدهد فقعد في الكوَّة، فسدَّها بجناحه، فارتفعت الشمس، ولم تعلم. فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها، فأخذت بلقيس الكتاب ــ وكانت قارئة ــ، فلما رأت الخاتم ارتاعت(٤) وخضعت، لأن سرَّ مُلك سليمان كان في خاتمه،

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٣/٣٥٥.

(٢) مأرب: هي بلاد الأزد باليمن، ومأرب اسم قصر كان لهم. وقيل: هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ، كما أن تبعاً اسم لكل من ولي اليمن وحضرموت. وكان السد من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب. ومأرب بين حضرموت وصنعاء. وخبر خراب سد مأرب وقصة سيل العرم ذكرها القرآن الكريم، وتناولها المؤرخون تفنيداً. انظر: معجم البلدان: ٥/٣٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣/٣٥٥.

(٤) وردت في الأصل: (ارتعت)، ولا معنى لها. وصوابها: (ارتاعت)، أو (ارتعدت) كما في تفسير البغوي: ٣/ ٣٥٥.

﴿ قَالُوا ﴾ مجيبين لها ما ذكره الله بقوله: ﴿ نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ أي: عند الحرب، ثم قالوا: ﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ أي: في القتال وتركه.

وقوله: ﴿ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي: فانظري ماذا ترَينَ من الرأي تجدينا مطيعين.

﴿ قَالَتْ ﴾ بلقيس عليها السلام مجيبة لهم عن التعريض للقتال ما قصَّ الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ يعني: إذا دخلوها عنوةً من غير صلح خرَّبوها وأهانوا أشرافها وكبراءها إلى أن يستقيم لهم الأمر، تحذِّرهم مسيرَ سليمان عليه السلام عليهم شفقةً عليهم، لأن بطاعة سليمان يحصل لهم سلامة الدين والنفس والمال.

فصدَّق الله تعالى قولها بقوله:/ ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ثم قالت: ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ . ١١٤/أ

قلتُ[1]: ذلك من كمال عقلها، لأن من أعظم أسباب إزالة الشحناء واستجلاب المحبة الهدية.

وقد قال عليه السلام: ((تهادوا تحابوا))[2]. فأرسلت هديةً على سبيل الملاطفة. وكانت بلقيس قد أوتيت من غَزَارَةِ العقل والسياسة. وأرادت بتلك الهدية أن تعلم أمر سليمان: أَملِك هو، أم نبي؟ فإن كان مَلِكاً يقبل الهديةَ وينصرف، وإن كان نبيّاً لم يرضها إلا أن تتَّبعه على دينه. فذلك قوله: ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]، والله أعلم.

---

(١) أي المصنف ــ رحمه الله تعالى ــ.

(٢) وردت في الأصل: (تحابيوا)، وهو خطأ. والصواب: (تحابوا). عن عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني قال: قال رسول الله ﷺ: ((تصافحوا يذهب الغلُّ، وتهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء)). أخرجه مالك في الموطأ: كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة: ٩٠٨/٢، رقم الحديث: ١٦. قال ابن عبد البر: هذا يتصل من وجوه شتى حِسَان كلها.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣٥٧/٣.

فأهدت إليه عبيداً وجواريَ. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: ألبستهم لباساً واحداً لئلا يُعرَف الذكر من الأنثى. وقيل: ألبست الغلمان لباس الجواري، والجواري لباس الغلمان(١). واختلفوا في عددهم؛ فقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: مئة وصيف(٢) ومئة وصيفة. وقيل: مئتا غلام ومئتا جارية، ذكره مجاهد(٣). وقال قتادة وسعيد بن جبير: أرسلت إليه بلبنَة من ذهب في حرير وديباج. وقيل: كانت أربع لبنات من ذهب. وقال وهب بن منبِّه: عمدت بلقيس إلى خمسمئة غلام وخمسمئة جارية/ فألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية(٤) والمناطق(٥)، وألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب، وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً(٦) مرصَّعات بأنواع الجواهر. ١١٤/ب

وحملت الجواري على خمسمئة رمكةٍ(٧)، والغلمان على خمسمئة برذون(٨)، على كل فرسٍ جُلاًّ(٩) من ذهب مرصَّع بالجواهر. وبعثت إليه خمسمئة لبنة من ذهب وخمسمئة لبنة من فضَّة وتاجاً مكلَّلاً بالدرِّ والياقوت المرصَّع.

---

(١) قاله مجاهد. انظر: تفسير البغوي: ٣٥٧/٣.

(٢) الوصيف والوصيفة: الخادم والخادمة. انظر: القاموس المحيط: ص: ١١١١.

(٣) انظر: زاد المسير: ٧١/٦، تفسير البغوي: ٣٥٧/٣.

(٤) الأقبية: جمع قباء، والقباء من الثياب الذي يلبس، مشتق من ذلك لاجتماع أطرافه. وقبَّى ثوبه: قطع منه قباء. انظر: لسان العرب: ١٦٨/١٥.

(٥) المناطق: مفرده نطاق ومنطق. يقال: انتطق الرجل، أي: لبس به المنطق، وهو كل ما شددت به وسطك. وقال بعضهم: النطاق والإزار الذي يثنى، والمنطق ما جعل فيه من خيط أو غيره. انظر: لسان العرب: ٣٥٥/١٠

(٦) الشَّنْف: الذي يلبس في أعلى الأذن، وجمعه أشناف وشُنوف. والقُرْط: الذي يلبس في أسفلها، وجمعه أقراط. انظر: لسان العرب: ٣٧٤/٧، ١٨٣/٩.

(٧) الرمكة: الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل. وقال الجوهري: الرمكة الأنثى من البراذين. انظر: لسان العرب: ٤٣٤/١٠.

(٨) البرذون: الدابة، والأنثى منه برذونة. انظر: لسان العرب: ٥١/١٣، والقاموس المحيط: ص: ١٥٢٢.

(٩) جُلُّ الدابة وجِلُّها: الذي تلبسه لتصان به. والجمع جِلال وأجلال. انظر: لسان العرب: ١١٩/١١.

وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود. وعمدت إلى حقَّةٍ[١] فجعلت فيها درَّةً[٢] ثمينة غير منقوبةٍ، وجزعة[٣] منقوبة معوجَّة النقب[٤].

ودعت رجلاً من أشراف قومها يُقال له: المنذر بن عمرو وضمَّت إليه رجالاً من قومها أصحابَ رأيٍ وعقل، وكتبت معهم كتاباً بنسخة الهدية، وقالت: إن كنت نبيًّا ميِّز بين الوُصاء والوصايف[٥]، وأخبر بما في الحقَّة قبل فتحها، وانقب الدرَّة نقباً مستوياً، وأدخل خيط الخرزة المنقوبة من غير علاج إنس ولا جنٍّ.

وأمرت بلقيس الغلمان فقالت: إذا كلَّمكم فكلِّموه بكلام تأنيث وتخنيث[٦] يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن/ يكلِّمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال. أ/١١٥

ثم قالت للرسول: انظر كلام الرجل إذا دخلت عليه؛ فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملِك فلا يهولنَّك منظره فأنا أعزُّ منه، وإن رأيت الرجل بشَّاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهَّم قوله ورُدَّ جوابه.

فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان وأخبره الخبرَ كلَّه، فأمر سليمان الجنَّ أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضَّة ففعلوا. ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة[٧] فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة، وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً، شُرفه من الذهب والفضة ففعلوا.

---

(١) الحقة: بالضم وعاء من خشب جمع حُقٌّ، وحقوق، وحُقَق، واحقاق، وحقاق. انظر: لسان العرب: ٥٦/١٠، والقاموس المحيط: ص: ١١٣٠.

(٢) أي لؤلؤة عظيمة. والجمع دُرٌّ، ودُرَّات، ودُرر. انظر: لسان العرب: ٢٨٢/٤.

(٣) كأنها القطعة. وفي تفسير البغوي: وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب. انظر: تفسير البغوي: ٣٥٧/٣

(٤) النقب: الثقب في أي شيء كان. انظر: لسان العرب: ٧٦٥/١.

(٥) لعله: الوصفاء جمع وصيف، ووصائف جمع وصيفة. انظر: القاموس المحيط: ص: ١١١١.

(٦) أصل الاختناث: التكسر والنثني. ومنه سميت المرأة خنثى، تقول: إنها لينة تثنى. انظر: لسان العرب: ٢/ ١٤٦.

(٧) وردت في الأصل خطأ: (تسع)، والصواب: (تسعة) لمخالفته المعدود.

ثم قال: أيُّ الدوابِّ أحسنُ ما رأيتم في البحر والبرِّ؟ قالوا: يا نبيَّ الله[١] إنَّا رأينا في البحر دوابَّ كذا وكذا منقطةً مختلفةً ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواصٍ[٢]. قال: عليَّ بها الساعة، فأتوه بها، فقال: شدُّوها على يمين الميدان وعلى يساره على لبنات الذهب والفضة، وألقوا لها عَلُوفَتَها[٣].

ثم قال للجنِّ: عليَّ بأولادكم، فاجتمع خلق كثير، فأقامهم على يمين الميدان وعلى يساره، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووُضِع له أربعة آلاف/ كرسي على يمينه، ومثلها على يساره، وأمر الشياطين أن يصطفُّوا صفوفاً فراسخ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ، وأمر الوحش والسباع والهوامَّ فاصطفُّوا فراسخ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى مُلك سليمان رأوا الدوابَّ التي لم ترَ أعينُهم مثلَهم تروث[٤] على لبنات[٥] الذهب والفضَّة، فتقاصرت أنفسهم، ورموا بما معهم من الهدايا. ١١٥/ب

وفي بعض الروايات: لمَّا أمر سليمان بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضَّة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر موضع اللبنات التي جاؤوا بها، فلمَّا رأى الرسلُ موضع اللبنات خالياً، وكلُّ الأرض مفروشة خافوا أن يُتَّهَمُوا بذلك، فطرحوا ما معهم في ذلك المكان، فلمَّا رأوا الشياطينَ نظروا إلى منظر عجيب ففزعوا، فقالت لهم الشياطين: جوزوا فلا بأس عليكم. وكانوا يمرُّون على كردوس

---

(١) لم يَرِدْ لفظ الجلالة (الله) في أصل المخطوط سهواً في النسخ. وتم ضبطه كما في تفسير البغوي: ٣٥٧/٣

(٢) وردت في الأصل: (نواصي)، والصواب: (نواصٍ). لأن الاسم النقوص تحذف ياؤه عند الرفع والجرّ.

(٣) العَلُوفة: مفرد جمعه عُلُف، وعلائف، وعُلُوف: وهو قضيم الدابة وما تأكله. انظر: لسان العرب: ٢٥٥/٩ والقاموس المحيط: ص: ١٠٨٥.

(٤) تروث: الروثة واحدة الروث والأرواث. وقد راث الفرس. والروث رجيع ذي الحافر. يقال لكل ذي حافر: راث يروث روثاً. انظر: لسان العرب: ١٥٦/٢.

(٥) وردت في الأصل: (لبن)، وهو خطأ. والصواب: (لبنات)،

كردوس[١] من الجنِّ والإنس والطير والسباع والوحوش، حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجه طلق، وقال: ما وراءكم؟ فأخبروه، وأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له، وأعطوه كتاب بلقيس فنظر فيه،/ ثم قال: أين الحقّة؟ فأُتي بها، فحرّكها وجاءه جبريل عليه السلام، فأخبره بما في الحُقَّة، فقال: إن فيها دُرَّةً ثمينةً غير منقوبة، وجزعةً منقوبة معوجَّة النقب. فقال الرسول: صدقت، فانقب الدُرَّة، وأدخل الخيط في الخرزة. فقال سليمان عليه السلام: مَن لي بنقبها؟ فسأل سليمان [عليه السلام] الإنس والجنَّ، فلم يكن عندهم علمُ ذلك، ثم سأل الشياطين فقالوا: أرسل إلى الأرَضة[٢]، فجاءت الأرَضة، فأخذت شعرة في فِيْها، ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: تُصَيِّر رزقي في الشجر، فقال: لك ذلك[٣].

١/١١٦أ

وروي: أنها جاءت دودة تكون في الصفصاف، فقالت: أنا أُدخل الخيط في النقب، على أن يكون رزقي في الصفصاف، فجعل لها ذلك، فأدخلت الخيط بفِيْها، ودخلت في النقب، وخرجت من الجانب الآخر، ثم قال: مَن لهذه الخرزة يُسلِكها الخيطَ؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا رسول الله، فأخذت الخيط في فيها ودخلت في النقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال سليمان عليه السلام: حاجتك؟ قالت:

---

(١) كرُدوس: بالضم: الخيل العظيمة، وقطعة عظيمة من الخيل. ويطلق على كل عظمين التقيا في مفصل، وفي حديث علي ﷺ يصف النبي ﷺ: ((ضخم الكراديس))، وكل عظم عظمت نحضته. ويقال: كردس الخيل إذا جعلها كتيبة كتيبة. انظر: لسان العرب: ١٩٥/٦، والقاموس المحيط: ص: ٧٣٥.

(٢) الأرَضَة: دودة بيضاء تشبه النملة، وهي نوعان: صغار مثل كبار الذرّ، وهي آفة الخشب. وكبار مثل كبار النمل ذوات أجنحة وقوائم، وهي آفة كل شيء من خشب ونبات. انظر: لسان العرب: ١١٣/٧.

(٣) هذه القصة من الإسرائيليات التي شاعت في كثير من كتب التفسير، وهي في تفسير البغوي: ٣٥٨/٣. ويبقى التسليم بحيثياتها ومضمونها خاضعاً لقواعد ثبوت النص والرواية، إضافة إلى توافقها والخطوط العريضة لأصول الدين وثوابت العقيدة. ومما لا يُختلَف فيه صفاتُ الرسل، وأنهم بطبيعتهم البشرية، قد خصَّهم الله بالعصمة من الذنوب، والأمانة، والفطانة من كمال العقل والضبط والعدالة، إضافة إلى الذكورة. فهذه صفات يتنافى معها أن يوكل إلى نبي تقسيم رزق، أو استجابة لمطلب مخلوق لا يقدر عليه إلا خالقه، فتلك من صفات الرب الخالق الرازق، وقد تعبَّدَنَا الربُّ سبحانه بإفراده بها وتوحيده بمضمونها. فلا ربَّ غيره، ولا خالق ولا رازق سواه.

١١٦/ب

تجعل رزقي في الفواكه، فقال: لك ذلك. ثم ميَّز بين الغلمان والجواري بأن/ أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها، ثم تجعله على اليد الأخرى، ثم تضرب بها وجهها، والغلامُ [كلما][1] يأخذ من الآنية يضرب بها وجهه. وكانت الجارية تصبُّ الماء صبَّاً، وكان الغلام يحدِرُ الماء بيده حدراً. فميَّز بينهم بذلك،

ثم ردَّ سليمان الهدية[2] كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ معناه:﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ ﴾ من الدين والمُلْكِ والنبوَّة ﴿ خَيْر ﴾ وأفضل ﴿ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾.

قلت: إنما قال: ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ لأن أهل الدنيا يتفاخرون ويتكاثرون بها، ويفرحون بمهاداة بعضهم بعضاً، فأما أنا فلا أفرح بها لأن الله قد مكَّنني فيها، وأعطاني فيها ما لم يُعطِ أحداً، ومع ذلك أكرمني بالنبوَّة، والله أعلم.

ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يعني: لنخرجنَّهم من أرض سبأ أذلة صاغرين[3] إن لم يأتوني مسلمين.

١١٧/أ

فلما رجعت رُسُل بلقيس من عند سليمان قالت: قد/ عرفت ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، فبعثت إلى سليمان إني قادمةٌ إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك. ثم أمرت بعرشها، فجُعِل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور، ثم أغلقت دونها الأبواب، ووكلت به حرَّاساً يحفظونه، ثم قالت لمن خلَّفت على سلطانها: احفظ ما قلت لك[4]، وسرير ملكي لا

---

(١) هذا أبسط تقريب لهذه الكلمة، ليستقيم المعنى. إذ وردت في الأصل: (كما). ولا معنى لها.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣/٣٥٧ـ٣٥٨.

(٣) الصاغر: الراضي بالذل والضيم والمقرُّ به. انظر: لسان العرب: ٤/٤٥٩.

(٤) وردت في الأصل: (ما قلتك)، وهي موهمة. والأقرب للصواب: (ما قلت لك).

يخلص إليه أحد، ولا تزيِّنّه حتى آتيكنَّ. ثم أمرت منادياً فنادى في أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل. ثم شخَصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قائد من ملوك اليمن، تحت يد كل قائد ألوف كثيرة.

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: وكان سليمان رجلاً مهاباً لا يُبتدى بشيءٍ حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوماً فجلس على سرير، فرأى رهجاً[1] قريباً، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس، وقد نزلت منَّا بهذا المكان، وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان بين الكوفة[2] والحيرة[3] قدر فرسخ، فأقبل سليمان حينئذ على جنوده، فقال: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: طائعين[4].

واختلف في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها؛ فقال أكثرهم: لأنه علم أنه إن أسلمت/ حرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه

١١٧/ب

---

(١) الرهج: بفتح الهاء وسكونها: الغبار، والسحاب بلا ماء. انظر: القاموس المحيط: ص: ٢٤٤. وفي تفسير البغوي: (وهج): وهو تلألؤ الشيء وتوقده. وفي التنزيل: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾ [النبأ]. انظر: لسان العرب: ٤٠١/٢، وتفسير البغوي: ٣٥٨/٣.

(٢) مصر مشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسميها قوم خدّ العذراء. وسميت الكوفة لاستدارتها. وقيل: لاجتماع الناس بها، من قولهم قد تكوّف الرمل. أو لأنها قطعة من البلاد. وقد مُصِّرت في زمن عمر سنة ١٧هـ، وإليها ينسب خلْقٌ من الحفاظ والمحدثين، فمنهم محمد بن العلاء بن كريب الهمذاني الكوفي. انظر: معجم البلدان: ٤٩٠/٤.

(٣) الحيرة: مدينة تبعد ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له: النجف. زعموا أن بحر فارس كان يتصل به. وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية، حسنة العمارة، سميت بالحيرة لأن تبعاً لما أقبل بجيوشه فبلغ موضع الحيرة ضلَّ دليله، وتحيَّر فسميت الحيرة. وأول عمارتها في زمن بخت نصَّر، ثم خربت بعد موته، وعمَّرها الأنبار، ثم عمّرت الحيرة زمن عمرو بن عدي حين سكنها، إلى أن عمّرت الكوفة ونزلها المسلمون. وإليها ينسب الصحابي كعب بن عدي الحيري. انظر: معجم البلدان: ص: ٣٣١/٢.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٣٥٩/٣.

أخذُهُ بإسلامها. وقيل: ليُريَها قدرة الله تعالى، وعظيم سلطانه، ومعجزة نبيِّه، يأتي بها في عرشها[١]. قلتُ: وهذا أظهر.

وقال قتادة: لأنه أعجبته صفته لمَّا وصفه الهدهدُ، فأحبَّ أن يراه.[٢]

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ العفريت هو المارد القوي.

قال وهب: اسمه(كُوذِي)، وقيل: (ذكوان)، وقيل: هو صخر الجني، وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه. ومعنى قوله: ﴿ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ أي: من مجلسك الذي تفضي فيه.

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: كان له كل يوم مجلسٌ[٣] يقضي فيه إلى أن يشرع النهارُ. ﴿ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ ﴾ أي: على حمله، ﴿ أَمِينٌ ﴾ على ما فيه من الجواهر. فقال سليمان: أريد أسرع من هذا.

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال بعضهم: هو جبريل عليه السلام[٤].

---

(١) قاله الثعلبي. انظر: زاد المسير: ٧٣/٦، وتفسير البغوي: ٣٥٩/٣.

(٢) انظر: زاد المسير: ٧٣/٦، وتفسير البغوي: ٣٥٩/٣.

(٣) وردت في الأصل: (مجلساً)، وهو خطأ صوابه: (مجلس)، اسم كان مرفوع بالضمة.

(٤) قاله الثعلبي. انظر: زاد المسير: ٧٤/٦، وتفسير البغوي: ٣٥٩/٣.

وقال أكثرهم[١]: هو آصف بن بَرخيا وكان صدِّيقاً[٢] يعلم اسم الله تعالى الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سئل به أعطى[٣].

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: إن آصف حين صلَّى قال لسليمان: مدَّ عينيك حتى ينتهي بصرُك، فمدَّ عينيه، فنظر نحو اليمين، دعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير/ من تحت الأرض يخدُّون[٤] الأرض خدَّاً حتى انخرقت الأرض، فصار[٥] بين يدي سليمان.

١١٨/أ

وقال الكلبي: خرَّ آصف ساجداً، ودعا بسم الله الأعظم، فصار عرشها تحت الأرض، حتى نبع عند كرسيِّ سليمان. قيل: وكانت المسافة مقدار شهرين.

---

(١) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٦/٧٤.

(٢) وهو ابن خال سليمان وهو القول المشهور. وقيل: هو رجل من مؤمني الجن. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ص: ٦١٧.

(٣) ورد الدعاء باسم الله الأعظم في عدة أحاديث؛ منها ما أخرجه الترمذي في سننه بسنده عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: ((اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ وفاتحة آل عمران ﴿ الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾)). قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح: انظر: سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب خلق الله مئة رحمة: ٥/٥١٤، رقم الحديث: ٣٤٧٨. وأخرجه الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام. فقال النبي: ﷺ ((لقد سألت الله باسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)). إسناده حسن. انظر: مسند أحمد: ١٠/٣٨٦، رقم الحديث: ١٢١٤٤، وأخرج الإمام أحمد أيضاً بسنده عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: ((قد سأل الله باسم الله الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب)). إسناده صحيح. انظر: مسند أحمد: ١٦/٤٨٣، رقم الحديث: ٢٢٨٦١. وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انظر: المستدرك: ١/٥٠٤.

(٤) الخدُّ: جعلك أخدوداً في الأرض تحفره مستطيلاً. يقال: خد خداً، والجمع أخاديد. وهي شَرَك الأرض، وكذلك أخاديد السياط في الظهر: ما شقت منه. وفي التنزيل: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾[البروج]. وكانوا خدّوا في الأرض أخاديد، وأوقدوا عليها النيران حتى حميت. ثم عرضوا الناس على الكفر، فمن امتنع ألقوه فيها حتى يحترق. انظر: لسان العرب: ٣/١٦١، وتهذيب اللغة: ٦/٥٦٠.

(٥) وردت في الأصل: (فغار)، ولا معنى لها، إلا أن تكون (فصار) كي يستقيم المعنى.

واختلف في الدعاء الذي دعا به آصف عليه السلام؛ فقال مجاهد ومقاتل: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الكلبي: يا حيُّ يا قيُّوم، ورُوِيَ ذلك عن عائشة رضي الله عنها(١).

وقيل: يا إلهنا وإله كل شيءٍ إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ايتني بعرشها، ذكره الزهري. وقال محمد بن المنكدر: الذي عنده علم من الكتاب إنما هو سليمان، قاله له عالم من علماء بني إسرائيل آتاه الله علماً وفهماً(٢).

وقوله تعالى: ﴿ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ قال سليمان: هات، فقال: أنت النبي ابن النبي ليس أحد عند الله أوجه منك، فإن دعوتَ الله وطلبته كان عندك، ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت(٣).

وقوله: ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ قال: سعيد بن جبير: يعني: من قبل أن يرجع إليك أقصى من تراه، وهو أن يصل إليك مَن كان منك على مدِّ بصرك. وقال مجاهد: إدامة النظر حتى يرتد الطرف/ خاسئاً.

ب/١١٨

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ يعني: فلما رأى سليمان العرش

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: ((اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام)) وفي رواية ابن نمير: ((يا ذا الجلال والإكرام)). وحدثناه ابن نمير حدثنا أبو خالد يعني الأحمر عن عاصم بهذا الإسناد وقال: ((يا ذا الجلال والإكرام)). وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد حدثني أبي حدثنا شعبة عن عاصم عن عبد الله بن الحارث وخالد عن عبد الله بن الحارث كلاهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال بمثله غير أنه كان يقول: ((يا ذا الجلال والإكرام)). أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته: ٤١٤/١، رقم الحديث: ٥٩٢/١٣٦. أما رواية: ((يا حي يا قيوم)) فوردت مراراً عن عدد من الصحابة غير عائشة رضي الله عنها. منها ما أخرجه الترمذي بسنده عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء، فقال: ((سبحان الله العظيم وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. انظر: سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول عند الكرب: ٤٦٢/٥، رقم الحديث: ٣٤٣٦.

(٢) انظر: زاد المسير: ٧٤/٦، وتفسير البغوي: ٣٦٠/٣.

(٣) قاله محمد بن المنكدر. انظر: زاد المسير: ٧٤/٦، وتفسير البغوي: ٣٦٠/٣.

محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في مقدار ارتــداد الطــرْف ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾[1].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ يعني: أن نفع الشكر إنما يعود على الشاكر ليستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة.

وقوله: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ يعني: نعم الله، ﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ أي: غنيٌّ عن شكره، كريمٌ بالإفضال على من يكفر نعمه.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ يعني: غيِّروا لها سريرها إلى حال تُنكره إذا رأته. قيل: جعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه، وجعلَ مكانَ الجوهر الأحمر الأخضرَ.

وقوله تعالى: ﴿ نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: ننظر أتعرف عرشها أم لا تهتدي إلى معرفته؟ وإنما حمل سليمانَ على ذلك ما ذكره وهبٌ ومحمد ابن كعب وغيرهما: أن الشياطين خافت أن يتزوَّجها سليمان، فتفشي إليه/ أسرار الجنِّ، وذلك أن أمها كانت جنِّية، وإذا ولدت ولداً لا ينفكُّون من تسخير سليمان وذرِّيته من بعده، فأساؤوا الثناء عليها ليزهِّدوه فيها، وقالوا له: إن في عقلها شيئاً، وإن رجلها كحافر الحمار، وإنها شعراءُ الساقين، فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها، وينظر إلى قدمها ببناء الصرح[2].

١١٩/أ

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: منقادين مطيعين[3].

---

(١) قاله الزجّاج. انظر: زاد المسير: ٧٥/٦.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣٦٠/٣.

(٣) قال ابن أبي حاتم: قال أبو بكر بن أبي شيبة: (ما أحسنه من حديث). انظر: الدر المنثور: ٢٠٩/٥. أقول: تتبعت الحديث في مظانه من مصنف ابن أبي شيبة، فلم أقف على عبارته هذه. وعلى فرَض ثبوتها، فكيف

وقيل: قوله: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ من قول سليمان يقول: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا ﴾ بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة[١]، ذكره مجاهد[٢]. وقيل: معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها، وكنَّا مسلمين مطيعين لله تبارك وتعالى.[٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ أي: منعها ما كانت تعبد من دون الله، وهو الشمس أن تعبد الله تعالى، أي: صدَّها عبادة الشمس من التوحيد. وقيل: صدَّها عن عبادة الله تعالى نقصان عقلها، كما قالت الجنُّ. وقيل: وصدَّها سليمان عن عبادة الشمس، وأمرها بعبادة الله تعالى. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾/ أخبر تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم، فما تعرف إلا عبادة الشمس. ١١٩/ب

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ ﴾ وذلك أن سليمان أراد أن ينظر إلى ساقيها من غير أن يسألها[٤]، كما قالت الشياطين، فبنوا صرحاً أي: قصراً[٥] من زجاج كأنه الماء بياضاً.

يستحسن مثل هذا الحديث الذي يتعارض وصفات النبوة. إلا أن يكون استحسانه له من جهة السند وقواعد الجرح والتعديل، أما نصه وموضوع متنه فحاشا لأنبياء الله تعالى ورسله الكرام أن يتنزلوا إلى مستواه.

(١) وردت في الأصل: (المدة)، والأقرب للصواب: (المرأة) كما في: زاد المسير: ٦/٧٦، وتفسير البغوي: ٣/ ٣٦٠.

(٢) انظر: زاد المسير: ٦/٧٦.

(٣) انظر: زاد المسير: ٦/٧٦، وتفسير البغوي: ٣/٣٦٠.

(٤) لأنه قيل له: إن رجلها كحافر الحمار، فأمر أن يُهيَأ لها بيت من قوارير فوق الماء، ووضع سرير سليمان في صدر البيت. هذا قول محمد بن كعب القرظي. انظر: زاد المسير: ٦/٧٧.

(٥) انظر: لسان العرب: ٢/٥١١.

وقيل: الصرح صحن الدار. وأجرى تحته الماء، وألقى فيه كل شيءٍ من دواب البحر: السمكِ والضفادع وغيرهما، ثم وضع سريره في صدره، وجلس عليه، وعكفت الطير والجنُّ والإنس.

وقيل: اتخذ صحناً من قوارير، وجعل تحته تماثيل من الحيتان والضفادع، وكان الواحد إذا رآه ظنَّه ماءً.

وقيل: إنما بنى الصرح ليختبر فهمها، فلما جلس سليمان على السرير دعا بلقيس، فلما جاءت قيل لها: ادخلي الصرح. واللجَّةُ معظم الماء[١]، وكشفت عن ساقيها لتخوضه إلى سليمان، فنظر سليمانُ فإذا هي من أحسن الناس ساقاً وقدماً، إلا أنها كانت شعراء الساقين[٢].

فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها، ونادى: إنه صرح ممرَّدٌ[٣] من قوارير[٤] ملَّس مستوٍ، من قوارير ليس بماء[٥].

قلتُ[٦]: إنما نظر/ إلى ذلك لأن نفسه دعته إلى خطبتها، فأراد أن ينظر إلى ما لا يبدو منها غالباً، وذلك مباحٌ[٧]، والله أعلم. | ١٢٠/أ

---

(١) لجَّة الماء: معظمه، وخصَّ بعضهم به معظم البحر. انظر: لسان العرب: ٣٥٤/٢.

(٢) حاشا أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام عن مثل هذه الأمور التي تتنافى وصفاتهم. كيف وقد اجتباهم الله تعالى من خيرة خلقه، ليكونوا هداة للبشرية، قدوة للعالمين في كل خير وفضيلة. ويبقى توثيق الخبر وتأكد ثبوته مهماً في أمثال هذه الإسرائيليات المتناثرة في كتب التفسير العديدة.

(٣) الممرد: البناء الطويل، وقيل: الممرد: المملس.

(٤) القوارير: جمعٌ مفرده قارورة. والقوارير من الزجاج ما قرَّ فيه الشراب وغيره. وهو أواني زجاج في بياض الفضة، وصفاء القارورة. انظر: لسان العرب: ٨٧/٥.

(٥) انظر: زاد المسير: ٧٦/٦، وتفسير البغوي: ٣٦١/٣.

(٦) أي: المصنف ــ رحمه الله تعالى ــ.

(٧) **تفصيل حكم النظر:** اتفق الفقهاء على مشروعية نظر الخاطب إلى المخطوبة، ثم اختلفوا في حكم هذا النظر؛ فذهب الجمهور إلى الندب للأمر به في حديث مغيرة بن شعبة الصحيح مع تعليله بأنه أحرى أن يؤدم بينهما، أي تدوم المودة والألفة. وعند الحنابلة يباح لمن أراد خطبة امرأة وغلب على ظنه إجابته نظر ما يظهر غالباً. وشرطوا لجواز النظر إرادة النكاح، كما لم يشترطوا علم المخطوبة أو إذنها بالنظر اكتفاءً بإذن الشارع، بل قال بعضهم: إن عدم ذلك أولى، لأنها قد تتزين له بما يغره. واتفقوا على أن الوجه والكفين مما يباح النظر إليه،

ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام فأجابت بما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ أخلصتُ له التوحيد، أي: قبل إسلامها بعبادة غير الله، فاعترفت بالتقصير، وذلك عين الكمال(١).

واختلفوا في أمرها بعد إسلامها؛

فقال عون(٢) بن عبد الله: سئل ابن عيينة(٣): هل تزوَّجها سليمان؟ فقال: لا أعلم.

وللحنابلة في النظر إلى ما يظهر غالباً سوى الوجه كالكفين والقدمين ونحوه مما تظهره المرأة عادة روايتان في ذلك. انظر: رد المحتار: ٢٣٧/٥، ومواهب الجليل: ٤٠٥/٣، ونهاية المحتاج: ١٨٣/٦، وكشاف القناع: ١٠/٥، وروضة الطالبين: ٢٠/٧، وجواهر الإكليل: ٢٧٥/١.

(١) روى أبو بكر بن أبي شيبة أثراً غريباً عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم قال: ما أحسنه من حديث. قال ابن كثير: بل هو منكر غريب جداً ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس رضي الله عنهما، والله أعلم. والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب، ووهب ــ سامحهما الله تعالى ــ فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن ومما حُرِّف وبُدِّل ونُسِخ. وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة. قال ابن كثير: وأصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع. والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصراً عظيماً منيفاً من زجاج لهذه الملكة ليريها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم وملك عظيم، وأسلمت لله عزَّ وجلَّ وقالت: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾ أي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده ولا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً. انظر: تفسير ابن كثير: ٥٨٥،٥٨٦/٣، والدر المنثور: ٢٠٩/٥. وقد سبقت الإشارة إليه قبل ثلاث صفحات.

(٢) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله الكوفي الزاهد، أخو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه. وثَّقه ابن حنبل وابن معين والعجلي والنسائي، وذكره ابن سعد في أهل الكوفة، وقال: هو ثقة كثير الإرسال. اتهم بالإرجاء ثم رجع عنه، وكان من آدب أهل المدينة وأفقههم. قال سفيان بن عيينة: كان عون يحدثنا ولحيته ترتش بالدموع. روى له الجماعة سوى البخاري. ومات سنة ١١٣هـ. انظر: تهذيب الكمال: ٤٥٣/٢٢، رقم الترجمة: ٤٥٥٣.

(٣) سبق التعريف بسفيان بن عيينة في الصفحة: (١٩١)، الحاشية: (٣). وفي تفسير البغوي: سأل رجل عبد الله ابن عتبة ــ بدلاً من ابن عيينة ــ وهو والد عون الراوي. انظر: تفسير البغوي: ٣٦١/٣.

وقال بعضهم: تزوَّجها.

ولما أراد أن يتزوَّجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقها، فسأل الإنس: ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى، فقالت المرأة: لم تمسَّني حديدة قطُّ، فكره سليمان الموسى، وقال: إنها تقطع ساقها.

وسأل الجنَّ، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين، فقالوا: نحتال لك حتى تكون كالفضَّة، فاتخذوا النَّورة[١] والحمام، فكانت النَّورة والحمامات من يومئذ[٢].

فلما تزوَّجها سليمان أحبَّها حبَّاً شديداً[٣]، وأقرَّها على مُلكها، وأمر الجنَّ فبنَوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون، لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً؛ (سلحين) [٤]، و(يعنون)[٥]، و(عيذاب)[٦].

ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرَّةً بعد أن/ ردَّها إلى ملكها، ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام،[٧] والله أعلم. | ١٢٠/ب

---

(١) النَّورة من الحجر الذي يحرق ويسوى الكلس، ويحلق به شعر العانة. انظر: لسان العرب: ٢٤٤/٥.

(٢) أخرجه ابن عساكر عن عكرمة. انظر: زاد المسير: ٧٦/٦، والدر المنثور: ٢٠٩/٥.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٠٩/٥.

(٤) سَلْحِين: حصن عظيم بأرض اليمن كان للتبابعة ملوك اليمن، وزعموا أن الشياطين بنت لذي تُبّع ملك همدان حين زوج سليمان ببلقيس قصوراً وأبنية ومنها سَلحين. وذكر أن سلحين بنيت في سبعين سنة وبني براقش ومَعين وهما حصنان آخران بغسالة أيدي صُنّاع سلحين. فلا يرى بسلحين أثر، وهاتان قائمتان. انظر: معجم البلدان: ٣/ ٢٣٥.

(٥) لم أقف على ترجمة لهذا المكان. ولعله (يعمون) وهو موضع باليمن من منازل همدان. وفي تفسير البغوي: (بيسنون). انظر: معجم البلدان: ٤٣٨/٥، وتفسير البغوي: ٣٦١/٣.

(٦) عَيْذَاب: بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. وفي تفسير البغوي: (عمدان). انظر: معجم البلدان: ١٧١/٤، وتفسير البغوي: ٣٦١/٣.

(٧) انظر: زاد المسير: ٧٨/٦، وتفسير البغوي: ٣٦١/٣.

سورة القصص

ثمان وثمانون آية[١]، مكيَّة إلا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٢].

وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾.

وفيها من الآيات المتضمنة للحثِّ على الإحسان وعدم الفرح بالمال، والحذر من البغي، والحثِّ على طلب الآخرة، والتزود من دنياه لآخرته، وأن الفساد سبب الفقر في الدنيا ودخول النار في الآخرة، وذمِّ التفاخر، وأن الدنيا لا يطلبها إلا الجهَّال، ويجب على أهل العلم إرشادهم إلى ثواب الله والإيمان وعمل الصالحات، وأن الجنَّة دار الصابرين الذين ﴿ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ كان قارون ابن عمِّ موسى[٣]، لأن قارون بن يصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب، وموسى بن عمران ابن قاهت.

وقال/ ابن إسحاق: كان قارون عمَّ موسى[٤]، كان أخا عمران، وهما ابنا يصهر، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق كما نافق السامريُّ[٥]، فبغى عليهم بكثرة المال والشرك. ١٢١/أ

---

(١) دون خلاف في المصاحف. انظر: البيان: ص: ٢٠١، وبصائر ذوي التمييز: ٣٥٣/١.

(٢) هذا في قول لمقاتل زعم فيه. وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما أنها كلها مكية غير آية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ نزلت في الجحفة. انظر: زاد المسير: ٩١/٦، والبيان: ص: ٢٠١.

(٣) رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال عبد الله بن الحارث، وإبراهيم، وابن جريج. انظر: زاد المسير: ١١٦/٦.

(٤) انظر: زاد المسير: ١١٧/٦.

(٥) قاله عطاء الخراساني. انظر: زاد المسير: ١١٧/٦.

قال شهر بن حوشب[١]: زاد في طول ثوبه شبراً، وقد قال رسول الله ﷺ: ((لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ ثوبه خيلاء))[٢].

وقيل: كان قارون عاملاً لفرعون على بني إسرائيل، وكان يبغي عليهم، ويظلمهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ مفاتح: جمع مفتاح، أي: مفاتح الخزائن. وقيل: هي نفس الخزائن، كقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ... ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] أي: خزائنه.

ومعنى تنوء: تميلُ بهم إذا حملوها لتتقُلَها. أي: ما إن العصبة لتنوء بها. يقال: ناءَ فلان بكذا إذا نهض به مثقلاً[٣]. قال أبو عبيدة: فيكون من المقلوب.

والعصبة: ما بين عشرة إلى خمسة عشر، قاله: مجاهد[٤]. وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، قاله ابن عباس[٥].

---

(١) شهر بن حوشب الأشعري، أبو سعيد مولى أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية. كان أحمد بن حنبل يثني عليه ويقول: ليس به بأس. وحسَّن البخاري حديثه، ووثَّقه يحيى بن معين، وقال العجلي: هو شامي تابعي ثقة، روى له البخاري في الأدب، ومسلم مقروناً بغيره والباقون. وقال موسى بن هارون: ضعيف، وقال النسائي ليس بالقوي. وقال ابن حجر: صدوق كثير الإرسال والأوهام. مات سنة مئة. انظر: تهذيب الكمال: ٥٧٨/١٢، رقم الترجمة: ٢٧٨١. وتقريب التهذيب ص: ٢٦٩، رقم الترجمة: ٢٨٣٠.

(٢) ورد الحديث في الصحيحين بلفظ: ((لا ينظر الله إلى من جرَّ ثوبه خيلاء)). انظر: صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ : ٤٣/٧، رقم الحديث: ٥٧٨٣، وصحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء: ١٦٥١/٣، رقم الحديث: ٢٠٨٥. وأخرجه الترمذي في سننه بلفظه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كتاب اللباس، باب ما جاء في كراهية جر الإزار: ١٩٥/٤، رقم الحديث: ١٧٣٠. قال أبو عيسى: وفي الباب عن حذيفة، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وسمرة، وأبي ذر وعائشة، وهُبَيْب بن مغفل. وحديث ابن عمر حديث حسن صحيح.

(٣) أصل النوء الميل في شق. وقيل: لمن نهض بحمله فاء به لأنه إذا نهض به وهو ثقيل أناء الناهض أي: أماله. والنوء: نهوض الرجل على كل شيء يطلبه. انظر: لسان العرب: ١٧٨/١، مادة: (نوأ).

(٤) انظر: زاد المسير: ١١٨/٦.

(٥) رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ١١٨/٦.

وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين، قاله قتادة[١]. وقيل: أربعون[٢]. وقيل: سبعون[٣].

وقال جرير عن منصور عن خيثمة قال: وجدت في الإنجيل: أن مفاتح خزائن قارون/ وقَرَ ستين بغلاً، ما يزيد مفتاح على أصبع، لكل مفتاح كنز. ويقال: كان قارون أينما ذهب تُحمل معه مفاتيح كنوزه، وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جُعلت من خشب، فثقلت، فجُعلت من جلود البقر على طول الأصابع، فكانت تُحملُ معه إذا ركب على أربعين بغلاً، والله أعلم..

١٢١/ب

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: قال له قومه من بني إسرائيل: ﴿ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾(٤) أي: الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على نعمه[٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ معناه: اطلب فيما آتاك الله من الأموال والنعم الجنَّة، وهو أن تقوم لله بشكره، وتُنْفِقُه في رضاه.

وقوله: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال السديُّ: بالصدقة، وصلة الرحم، لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة.

---

(١) انظر: زاد المسير: ١١٨/٦.

(٢) رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ١١٧/٦.

(٣) قاله أبو صالح. انظر: زاد المسير: ١١٨/٦.

(٤) الفرح: البطر. وبَطِرَ النعمةَ لم يشكرها. قال تعالى: ﴿ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾، والبطر الأشر هو شدة المرح. انظر: لسان العرب: ٦٩/٤، ٥٤١/٢.

(٥) قاله ابن قتيبة. انظر: زاد المسير: ١١٨/٦.

١٢٢/أ

وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال رسول الله ﷺ وهو يعظه: ((اغتنم/ خمساً قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحَّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك))[١]. حديث مرسل.

وقال منصور بن زاذان في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: قوتك وقوت أهلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ بنعمه. ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ كل من عصى فقد طلب الفساد في الأرض. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ يعني: قارون، قال: أوتيت ذلك على فضل وخير علِمَه الله عندي، فرآني أهلاً لذلك ففضَّلني بالمال عليكم. وقيل: كان موسى عليه السلام يعلم الكيمياء[٢] فعلَّم يوشع بن نون ثُلث ذلك العلم، وعلَّم كالب ابن يوقنَّا ثُلُثه، وعلَّم قارونَ ثُلُثَه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، فكان ذلك سبب ماله، ذكره سعيد بن المسيَّب. وقيل: علم الصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب[٣].

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ[٤] مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾/ أي: أهلك الله قبله من القرون الكافرة مَن هو أشدُّ منه قوةً، وأكثر جمعاً للأموال. ١٢٢/ب

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: باب في الزهد وقصر الأمل: ٢٦٣/٧، رقم الحديث: ١٠٢٥٠. ورواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه: ٣٤١/٤، رقم الحديث: ٧٩١٦، وأخرجه أبو نعيم في الحلية.

(٢) قال الزجاج: ادعى أن المال أُعطيه لعلمه بالتوراة، والذي رُوي أنه كان يعمل الكيمياء، وهذا لا يصح لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٥٦/٤، وزاد المسير: ١١٩/٦.

(٣) حكاه الماوردي. انظر: زاد المسير: ١١٩/٦.

(٤) ورد نقص للآية في أصل المخطوط: (من قبله)، وهذا يؤكد أن الناسخ كان يعتمد على ذاكرته وحفظه المعرَّض للخطأ والنسيان.

ومعنى قوله: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال(١). وقال مجاهد: لا تسألُ الملائكةُ عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم(٢).

وقال الحسن: لا يُسألون سؤال استعلام، وإنما يُسألون سؤال توبيخ وتقريع،(٣) والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ قال إبراهيم النخعي(٤): خرج هو وقومه في ثياب حُمْر وصُفْر. وقال زيد: في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات(٥). وقال مجاهد(٦): على براذين(٧) بيض عليها سُرُوج الأرجوان(٨) عليهم المعصفرات. وقال مقاتل(٩): خرج على بغلة شهباء عليها سرجٌ من ذهب، عليه الأرجوان، ومعه أربعة آلالف فارس، عليهم وعلى دوابِّهم الأرجوان، ومعه ثلاثة آلاف جارية بيض، عليهن الحُليُّ والثيابُ الحمرُ على البغالِ الشهبِ(١٠).

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ أي: ليت لنا من المال مثلَ مال قارون.

---

(١) انظر: زاد المسير: ١١٩/٦.

(٢) انظر: زاد المسير: ١١٩/٦.

(٣) هذا قول الحسن البصري. انظر: زاد المسير: ١١٩/٦.

(٤) وكذا قاله الحسن البصري. انظر: زاد المسير:١١٩/٦.

(٥) العصفر: نبات سلافته الجريال وهي معربة. والعصفر هذا الذي يصبغ به. انظر: لسان العرب: ٥٨١/٤.

(٦) ومعه عكرمة. انظر: زاد المسير: ١١٩/٦.

(٧) البراذين: جمعٌ مفرده برذون، وهو الدابة. والبراذين: من الخيل ما كان من غير نتاج العرب. انظر: لسان العرب: ٥١/١٣، مادة: (برذن).

(٨) الأرجوان: شجر من الفصيلة القرنية، له زهر شديد الحمرة حسن المنظر وليست له رائحة، ويطلق على الصبغ الأحمر، وعلى الثوب المصبوغ فيه. يقال: أحمر أرجواني: قانٍ. انظر: المعجم الوسيط: ١٣/١.

(٩) وهو قول وهب بن منبه. انظر: زاد المسير: ١١٩/٦.

(١٠) انظر: زاد المسير: ١١٩/٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾/ قال ابن عباس [رضي الله عنهما] يعني: قال الأحبار من بني إسرائيل. ١٢٣/أ

وقال مقاتل: أولو العلم بما وعد الله في الآخرة، قالوا للذين تمنَّوا مثل ما أوتي قارون: ويلكم! ما عند الله من الثواب والجزاء خيرٌ لمن صدَّق بتوحيد الله وعمل صالحاً مما أوتي قارون في الدنيا.

ومعنى قوله: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ أي: لا يُعطاها في الآخرة إلا الصابرون في الدنيا على نكدها وطاعة معبودهم(١).

وقوله: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ قال أهل التاريخ: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون، وكان أولُ طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن يأمر قومه بأن يعلِّقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة، في كل طرف خيطاً(٢) أخضر بلون السماء، يذكرون إذا نظروا إليها السماء، ويعلمون أني منزل منها كلامي. فقال موسى: يا ربِّ أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلَّها خضراً، فإن بني إسرائيل يحقرون هذه الخيوط.

فقال الله عزَّ وجلَّ: يا موسى إن الصغير من أمري ليس/ بصغير، فإذا هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير. فدعاهم موسى عليه السلام، وقال: إن الله تعالى يأمركم أن تعلِّقوا في أرديتكم خيوطاً خضراً كلون السماء، لكي تذكروا ربَّكم إذا رأيتموها، ففعلت بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى، واستكبر قارون، ولم يُطِعْه. وقال: إنما يفعل ذلك الأرباب لعبيدهم لكي يتميَّزوا عن غيرهم، فكان هذا ١٢٣/ب

---

(١) قاله ابن السائب. انظر: زاد المسير: ٦/١٢٠.

(٢) وردت في الأصل: (خيطاً)، وهو خطأ. والصوا: (خيطٌ). ثم لنا أن نتساءل: كيف تتوافق الخضرة مع زرقة السماء؟

بدء عصيانه وبغيه. فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر، جُعلت الحُبُورة لهارون، وهي رئاسة المذبح، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم إلى هارون، فيضعه على المذبح، فتنزل نارٌ من السماء فتأكله، فوجد قارون من ذلك في نفسه.

فأتى موسى فقال: يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحُبُورة، لستُ في شيءٍ من ذلك، وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا. فقال موسى: ما أنا جعلتها في هارون، بل الله جعلها فيه، فقال قارون: والله لا أصدِّقك حتى تريني بيانه.

فجمع موسى رؤوساء بني إسرائيل، فقال: هاتوا عِصِيَّكم، فألقاها في قُبَّة كان يعبد الله تعالى فيها، فجعلوا كرسون عِصِيِّهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون/ قد اهتزَّ لها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب مما يفعل من السحر، فاعتزل قارونُ موسى، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما، ولا يزيده ذلك إلا تجبُّراً وعُتوَّاً ومعاداة لموسى، حتى بنى داراً، وجعل بابها من الذهب، وجعل على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون، فيطعمهم الطعام، ويحدِّثونه ويضاحكونه.

١٢٤/أ

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار، على دينار، وكل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل ألف شيءٍ على شيءٍ منه، ثم رجع إلى بيته فحسَبَه، فوجده كثيراً، فلم تسمح نفسه به، فجمع بني إسرائيل، فقال: إن موسى قد أمركم بكل شيءٍ فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم، قالوا أنت كبيرنا فمُرْنَا بما شئت.

فقال: أرى أن تجيئوا بفلانة البغيِّ فتجعلوا لها جُعلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج بنو إسرائيل عليه ورفضوه، فدعَوها فجعلوا لها جُعلاً.

١٢٤/ب

قيل: جَعَلَ لها/ قارون ألف درهم، وقيل: ألف دينار، وقيل: طستاً من ذهب على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل.

فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى، فقال: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرُهم وتنهاهم. فخرج إليهم موسى وهم في براح[1] من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل: مَن سرق قطعنا يده، ومَن افترى جلدناه ثمانين، ومَن زنى وليست له امرأة جلدناه مئةً، ومَن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت.

قال له قارون: وإن كنت أنت؟ فقال: وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرتَ بفلانة، قال: ادعوها، فإن قالت: فهو كما قالت. فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانةُ أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظَّم لها القول، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة يا فلانة، فتداركها الله تعالى بالتوفيق، وقالت في نفسها: أن أُحدِثَ اليوم توبةً أفضل من أن أُؤذي رسول الله. فقالت: لا أكذب، ولكن جعل لي قارون جُعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخرَّ موسى ساجداً يبكي ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضبْ لي.

فأوحى الله تعالى/ إليه أني أمرت الأرض أن تطيعك فمُرْها بما شئت، فقال | أ/١٢٥
موسى: يا بني إسرائيل إن الله تعالى بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل. فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان. ثم قال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذت الأرض أقدامهم.

وفي رواية: كان على سريره وفرشه، فأخذته حتى غيَّبت سريره، ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى الرُكب، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه يتضرَّعون إلى موسى ويناشده قارون اللهَ والرحمَ، حتى رُوي أنه ناشده سبعين مرَّة، وموسى في كل ذلك لا يلتفت إليه لشدَّة غضبه. ثم قال: يا أرض خذيهم، فانطبقت الأرض عليهم، فأوحى الله إلى موسى: ما أغلظ قلبك! استغاث بك سبعين مرَّة فلم تغثه، أما وعزَّتي وجلالي لو استغاث بي مرَّة لأغثته.

---

(١) البراح: أي المتسع من الأرض. انظر: لسان العرب: ٤٠٩/٢.

وفي بعض الآثار: لا أجعل الأرض بعدك طَوعاً لأحد.

قال قتادة: خُسِف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل، لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة[١]. قال: وأصبحت بنو إسرائيل يتناجَون بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبدَّ بداره وكنوزه وأمواله. فدعا موسى ربَّه/ حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض. ١٢٥/ب

فذلك قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ أي: من الممتنعين مما نزل به.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ يعني: صار أولئك الذين تمنَّوا مثل ما أوتي قارون من المال والزينة يتندَّمون على ذلك التمنِّي[٢]. والعرب تعبِّر عن الصيرورة بأضحى وأصبح وأمسى. يقول: أصبح فلان معدوماً، وأمسى فلان غنيًّا[٣].

واختلف المفسرون في معنى (ويكأنَّ)؛ فقيل: معناها: ألم تعلم؟ ذكره مجاهد. وقيل: معناها: ألم ترَ؟ ذكره قتادة[٤]. وقيل: هي كلمة تقرير كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله وإحسانه؟ ذكره الفرَّاء[٥].

وذكر أنه أخبره من سمع أعرابيةً تقول لزوجها: أين ابنُك؟ فقال: ويكأنَّه وراء البيت، يعني: أما ترينه وراء البيت؟ وقيل: هي كلمة ابتداء تقديره: إن الله يبسط الرزق، ذكره الحسن. وقيل: هي كلمة تنبيه بمنزلة (ألا).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٣١٨/١٣، وتفسير المحرر الوجيز: ٣٤٢/١١.

(٢) وردت في الأصل: (المتمني). والصواب: (التمني).

(٣) قاله سيبويه. انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٢٦٥/٤، ١٢٢/١٣.

(٤) قاله ابن عباس وأبو عبيدة والكسائي. انظر: زاد المسير: ١٢١/٦.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣١٢/٢.

وقيل:/ هي بمعنى (ويلك)، حُذِفت منه اللام، ذكره قطرب، واستدلَّ بقول عنترة: | ١٢٦/أ

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَهَا قولُ الفوارس ويكَ عنتر[١] أقْدِمِ[٢]

أي: ويلك. وأن منصوب بإضمار: اعلم أن الله[٣].

وقال الخليل بن أحمد: (وي) مفصولةٌ من (كان)، معناها التعجب. يقول: وي لم فعلتَ ذلك! وذلك أن القوم تندَّموا على ما سلف منهم من القول، فقالوا: وي متندِّمين[٤]، والله أعلم.

ومعنى: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: يوسع الرزق لمن يشاء ويضيِّقه على من يشاء[٥].

وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ أي: الذين لا يريدون علوّاً هم المتقون الذين لا يريدون استطالة على الناس وإهانة بهم. قال الحسن: لم يطلبوا الشرف والعزَّ عند ذي سلطان. قال عليٌّ ﷺ نزلت هذه الآية في أهل التواضع والولاة وأهل القدرة[٦].

وقوله: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: العاقبة المحمودة لمن اتقى، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ أي: له عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما لا يُحصى.

---

(١) وردت في الأصل: (عنترة)، ولا يستقيم ووزن البيت. والصواب: (عنتر) كما في معلقة عنترة.

(٢) البيت لعنترة كما في معلقته: **ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم**

انظر: شرح القصائد العشر، من معلقة عنترة: ص: ٣٧٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٢١/٦.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣١٢/٢، وزاد المسير: ١٢١/٦.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٣٩٣/٣.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ٣٩٤/٣.

وقوله: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾/ ورد في الحديث الصحيح: ((ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة))[1]، وذلك من فضل الله ورحمته. ١٢٦/ب

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ أي: إن الذي أنزل عليك القرآن لرادُّك إلى مكة، ذكره ابن عباس [رضي الله عنهما]. قال القتيبي: معاد الرجل بلدُهُ[2]، وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من [مكة][3] مهاجراً إلى المدينة، سار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما أَمِنَ ورجع إلى الطريق نزل الجحفة[4] بين مكة والمدينة عرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل وقال: أتشتاق إلى بلدك ومنزلك؟ قال: نعم. قال: فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية[5].

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عزَّ وجلَّ قال: ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك؛ فمَن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب مَن همَّ بحسنة أو بسيئة: ٧/٢٤٠، رقم الحديث: ٦٤٩١.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن: ص: ٤٢٤.

(٣) سقطت عبارة: (مكة) من أصل المخطوط، وأثبتها ليستقيم معنى العبارة.

(٤) الجحفة: قرية على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة. وهي ميقات أهل الشام ومصر إن لم يمروا على المدينة. وقال الكلبي: إن العماليق أخرجوا بني عقيل، وهم إخوة عاد بن ربّ، فنزلوا الجحفة، وكان اسمها يومئذ: (مهيعة)، فجاءهم سيل واجتحفهم فسميت الجحفة. ولما قدم ﷺ المدينة استوبأها، وحُمَّ أصحابه، فقال: ((اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حبَّبت إلينا مكة أو أشد، وصحِّحْها، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها، وانقل حُمَّاها إلى الجحفة)). أخرجه الشيخان. انظر: صحيح البخاري: كتاب الحج، باب كراهية النبي أن تعرى المدينة: ٢/٥٨١، رقم الحديث: ١٨٨٩، وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها: ٢/١٠٠٣، رقم الحديث: ١٣٧٦، ومعجم البلدان: ٢/١٢٩.

(٥) قال هذا ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير القرطبي: ١٣/٣٢١.

وقوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ ﴾ هذا جوابٌ لكفار مكة، قالوا للنبي ﷺ: إنك لفي ضلالٍ، فقال الله عزَّ وجلَّ: قل يا محمد: ﴿ رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾،/ يعني نفسه، ﴿ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ يعني: كفار قريش. أ/١٢٧

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ أي: ما كنت ترجو أن يوحى إليك القرآن إلا رحمة من ربك. قال الفرَّاء: هذا الاستثناء منقطع[1]، معناه: لكن رحمةً من ربك أعطاك القرآن، فلا تكونَنَّ معيناً للكافرين. والظهير: المعين.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ ﴾ أي: إلى معرفة ربِّك وتوحيده. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ هذا [الخطاب في الظاهر][2] للنبي ﷺ، والمراد به الكفار. أي: لا تُظاهروا الكفارَ ولا توافقوهم.

وقوله: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾ أي: إلا ما أريد به وجهه. وقوله تعالى: ﴿ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ أي: تُردُّون إلى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم[3]، والله أعلم.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفرَّاء: ٣/٢.

(٢) وردت العبارة في الأصل: (هذا خطاب الزبون الخطاب للنبي)، ولم أهتدِ إلى تحليل معناها. ولا تستقيم إلا بتصويبها. وقد صوبتها كما في تفسير البغوي: (هذا الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ، والمراد به الكفار). انظر: تفسير البغوي: ٣٩٤/٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣٩٤/٣ .

سورة العنكبوت

١٢٧/ب

ستون/ وتسع آيات(١)، مكيَّة(٢).

وفيها من الآيات المتضمنة للخروج من بلدٍ يُعمل فيه بالمعاصي، ولا يمكنه تغير ذلك إلى بلد يخلو فيه بعبادة الله تعالى، والتخوُّف بالموت لتهون عليه هجرته. وأن الجنة منزل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، الذين صبروا على الشدائد، وعلى ربهم يتوكلون.

قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ نزلت هذه الآية في ضعفاء مسلمي مكة. يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها، إن أرضيَ المدينةَ واسعة آمنة.

وقال سعيد بن جبير: إذا عُمل في أرض بالمعاصي فاخرجوا منها، فإن أرضي واسعة(٣).

وكذلك يجب على كل من كان في بلد يُعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يخلو قلبه للعبادة.

---

(١) تسع وستون آية في جميع العدد، واختلافها في ثلاث آيات: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدّها الباقون، ﴿ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ عدَّها المدنيان والمكي ولم يعدَّها الباقون. ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ عدَّها البصري والشامي ولم يعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٠٣، وبصائر ذوي التمييز: ٣٥٩/١.

(٢) روى العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة وعطاء وجرير وجابر بن زيد ومقاتل. وفي رواية: عن ابن عباس أنها مدنية. وقال هبة الله بن سلامة المفسر نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدينة. وقال غيره عكس هذا؛ نزل العشر بالمدينة، وباقيها بمكة. انظر: زاد المسير: ١٢٣/٦.

(٣) وبه قال عطاء. انظر: زاد المسير: ١٤٤/٦.

وقال مطرف بن عبد الله[١]: إن أرضي واسعة، ورزقي لكم واسعة، فلم يعذرهم بترك الخروج[٢].

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ خوَّفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة، أي: كل أحد ميِّت أينما كان، فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت./

أ/١٢٨

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يقال: تبوَّء الرجل المنزل إذا أقام فيه.

والغُرَف[٣]: عوالي الجنة، منزل الصابرين الذين صبروا على الشدائد، ونكد الدنيا، ومُرِّ عيشها، وعلى ربهم يتوكلون في جميع حالاتهم.

---

(١) هما رجلان بهذا الاسم ولا مرجح لأحدهما. الأول: مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار اليساري الهلالي أبو مصعب المدني مولى ميمونة زوج النبي ﷺ وكان ابن أخت مالك بن أنس ﷺ. روى عنه البخاري، وروى له الترمذي وابن ماجه. ولد سنة ١٣٧هـ، ومات سنة ٢١٤هـ. انظر: تهذيب الكمال: ٢٨/٧٠، رقم الترجمة: ٦٠٠٢. قال أبو حاتم عنه: مضطرب الحديث صدوق. والثاني: مطرف بن عبد الله بن الشخير الحريش العامري أبو عبد الله البصري. روى عن أبيٍّ بن كعب، وروى عنه الحسن وغيره. ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة. وكان ثقة، له فضل وورع وعقل وأدب. توفي أول ولاية الحجاج سنة ٩٥هـ. وروى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال: ٢٨/٦٧، رقم الترجمة: ٦٠٠١.

(٢) انظر: زاد المسير: ٦/١٤٤.

(٣) الغُرفة: العليَّة، والجمع غُرُفات وغُرَفات وغُرْفات وغُرَف. انظر: لسان العرب: ٩/٢٦٥.

سورة الروم

ستون آية[١]، مكيَّة[٢].

وفيها من آيات النصر والصبر قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾.

ذكر أهل التفسير أن سبب نزول هذه الآيات أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودُّون أن تغلب فارس على الروم، لأن أهل فارس كانوا مجوساً[٣]. والمسلمون يودُّون أن تغلب الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب. فبعث كسرى جيشاً إلى الروم، واستعمل عليهم رجلاً يُقال له: (شهريار)[٤]، وبعث قيصر جيشاً واستعمل عليهم رجلاً/ يُدعى (يحنس).

١٢٨/ب

---

(١) هي تسع وخمسون آية في عدِّ المدني الأخير والمكي. وستون آية في عدِّ الباقين. واختلافها في أربع آيات: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ عدَّها الكوفي دون غيره. ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ ﴾ لم يعدَّها المدني الأخير والمكي وعدَّها الباقون. ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ لم يعدَّها المدني الأول والكوفي وعدَّها الباقون. ﴿ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ عدَّها المدني الأول ولم يعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٠٥، وبصائر ذوي التمييز: ٣٦٥/١.

(٢) بالإجماع. انظر: زاد المسير: ١٤٧/٦.

(٣) المجوسية: وكان يقال لها الدين الأكبر والملة العظمى. إذ كانت دعوة الأنبياء بعد إبراهيم لم تكن في العموم كالدعوة الخليلية، ولم يثبت لها من القوة والشوكة مثل الملة الحنيفية. وكانت ملوك العجم كلها على ملة إبراهيم، وجميع من كان في زمان كل واحد منهم من الرعايا في البلاد على أديان ملوكهم. وكان لملوكهم مرجع هو: (موبذ موبذان)، يعني أعلم العلماء وأقدم الحكماء، يطيعونه ويعظمونه. بيد أن المجوسية اختصت بإثبات أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد؛ أحدهما: النور، والآخر: الظلمة. وتفصيل مذهبهم يدور على قاعدتين اثنتين؛ إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً. انظر تفصيل هذين الأصلين في كتاب: الملل والنحل للشهرستاني: ٢١٣/١.

(٤) وردت تسميته في تفسير البغوي: (شهرمان)، وفي تفسير القرطبي: (شهريزيار).

فالتقيا بأذرعات[١] وبصرى[٢]، وهي أدنى الأرض من الشام إلى أرض العرب والعجم. فغلبت فارسُ الرومَ، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، وفرح به كفارُ مكةَ، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أمّيّونَ، وقد ظهر إخواننَا من أهل فارس على إخوانكم من الرومِ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنَّ عليكم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

فخرج أبو بكر ﷺ إلى الكفار، فقال: فرحتم بظهورِ إخوانكم، فلا تفرحوا، فوالله لتظهرنَّ الرومُ على فارس، أخبرنا بذلك نبيُّنا. فقام إليه أبيُّ بن خلف الجمحي، فقال: كذبت. فقال أبو بكر ﷺ أنت أكذب يا عدوَّ الله، فقال: اجعل بيننا أجلاً أناحبّك[٣] عليه، والمناحبة المراهنة على عشر قلائص[٤] مني، وعشر قلائص منك. فإن ظهرتْ فارس على الروم غرمتَ، وإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ. ففعلا، وجعلا الأجل ثلاث سنين.

فجاء أبو بكر ﷺ إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، وذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ ما هكذا ذكرت، إنما البضعُ ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر ومدة[٥] الأجل.

---

(١) أذْرِعَات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمّان. وخرج منها طائفة من أهل العلم. انظر: معجم البلدان: ١/١٣٠.

(٢) بُصرى: بالضم والقصر موضعان: أحدهما: بالشام من أعمال دمشق وهي مدينة حوران المشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، وذكرها كثير من الشعراء، وفي شرقيها بحيرة. ولما سار خالد بن الوليد من العراق لمدن أهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول ببصرى، فضايقوا أهلها حتى صالحوهم على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة. وافتتح المسلمون جميع أرض حوران سنة ١٣هـ. وبصرى الثانية من قرى بغداد قرب عكبراء. انظر: معجم البلدان: ١/٤٤١

(٣) ورد الفعل ومصدره في الأصل مكرراً: (أناجبك، المناجبة)، وهو خطأ والصواب: أناحِبك من المناحبة، وهي المخاطرة والمراهنة. انظر: لسان العرب: ١/٧٥١، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/٢٧.

(٤) القلائص: جمع مفرده القلوص: وهي الفتيَّة من الإبل، وقيل هي الثنية، وقيل ابنة المخاض. وقيل: أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثني، فإذا أثنت فهي ناقة. والقعود أول ما يركب من ذكور الإبل، فإذا أثنى فهو جمل. وربما سموا الناقة الطويلة قلوصاً. وتجمع على قلائص وقِلاص وقُلُوص. انظر: لسان العرب: ٧/٨١.

(٥) وردت في تفسير البغوي: (ومادّه الأجل)، أي: اطلب زيادة المدة. انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٠٩.

١٢٩/أ

فخرج أبو بكر ﷺ/ ولقي أُبيّاً، فقال: لعلَّك ندمتَ؟ فقال: لا. تعال أُزايدك في الخطر، وأُمادُّك في الأجل، فاجعلها مئة قلوص إلى تسع سنين، وقيل: سبع سنين. قال: قد فعلت. فلما خشي أُبيٌّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة، فأقم لي كفيلاً، فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما، فلما أراد أُبي ابن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة، لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أحد، فرجع أُبي بن خلف، وقد جُرِح فمات من جراحته التي جرحه رسول الله ﷺ حين بارزه. وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم. وقيل: كان يوم بدر.

قال الشعبي: لم تنقض تلك المدة التي عقدوا المناحبة بينهم. وأهلُ مكة صاحب قمارهم أُبيٌّ بن خلف، فغلبت الرومُ فارسَ، وربطوا خيولهم بالمدائن، فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثة أبيٍّ بن خلف، وذلك قبل تحريم القمار. وجاء به يحمله إلى النبي ﷺ[1]. قال: تصدّقْ به.

١٢٩/ب

قلت: والأظهر عندي أنه إنما أخذ أبو بكر رضي/ الله عنه رهن أُبيٍّ بن خلف، لأنه وثنيٌّ غيرُ مستأمَن، مباح المال والدم، والله أعلم.

وكان سبب غلبة الروم على فارس على ما قاله عكرمة: أن (شهريار) بعد ما غُلِبت الروم لم يزل يطأهم، ويخرِّب منازلهم ومدائنهم، حتى بلغ الخليج[2]، فبينا أخوه (فرخان) جالس ذات يوم يشرب، فقال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى، فكتب إلى (شهريار): إذا أتاك كتابي فابعث إليَّ برأس (فرُّخان). فكتب إليه: أيها الملك إنك لن تجد مثل (فرُّخان)، وإن له نكايةً وصوتاً في العدوِّ، فلا تفعل. فكتب

---

(١) انظر: زاد المسير: ١٤٦/٦، وتفسير البغوي: ٤٠٩/٣.

(٢) وردت في الأصل: (الحديح)، وهي مجهولة. وفي تفسير القرطبي: ١٤/٤، والبغوي: ٤١٠/٣: (الخليج). وهو بحر دون القسطنطينية. وخليج القسطنطينية من السواحل الشامية، يأخذ من بحر مايطس وبحر نيطس، ويجري الماء فيه جرياً، ويصب إلى بحر الشام. انظر: معجم البلدان: ٤٤١/٢، والروض المعطار: ٢٢١/١.

إليه إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجِّل إليَّ برأسه، فراجعه فغضب كسرى، ولم يُجبه، وبعث بريداً من أهل فارس أني قد نزعت عنكم (شهريار)، واستعملت عليكم (فرُّخان).

ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة أمره فيها بقتل (شهريار). وقال: إذا ولِيَ (فرُّخان) المُلْك، وانقاد له أخوه، فأعطه، فلما قرأ (شهريار) الصحيفة قال: سمعاً وطاعة، ونزل عن سريره، وأجلس (فرُّخان)، ودفع البريد إليه الصحيفة. قال ائيتوني بشهريار، فقدَّمه ليضرب عنقه، فقال: لا تعجل حتى أكتب وصيَّتي، قال: نعم. فدعا بالسبط[1] فأعطاه ثلاث صحايف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى/ وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد، فردَّ المُلْكَ إلى أخيه، وكتب (شهريار) إلى قيصر ملكِ الروم: إنَّ لي إليك حاجه لا تحملها البُرُد، ولا تبلغها الصحف، فالقَني، ولا تلقَني إلا في خمسين روميًّاً، فإني ألقاك في خمسين فارسيًّاً.

أ/١٣٠

فأقبل قيصر في خمسمئة ألف روميّ، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلاً. ثم بُسِطَ لهما، والتقيا في قبَّة ديباج ضُربت لهما، ومع كل واحد منهما سكين. فدعا بترجمان (شهريار)، فقال: إن الذي خرَّب مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا. وإن كسرى قد حسدنا، وأراد قتل أخي فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعاً، فنحن نقاتله معك. فقال: قد أصبتما.

ثم أسارَّ أحدهما إلى صاحبه، وقال: إن السرَّ بين اثنين، فإذا جاوز الاثنين فشا، فقتلا الترجمان بسكينهما معاً. فأذلَّت الروم على فارس عند ذلك، فاتَّبعوهم يقتلونهم. ومات كسرى. وجاء الخبر إلى النبي ﷺ يوم الحديبية، فسُرَّ ومَن معه بذلك[2].

---

(١) لعله يقصد بالسبط الولد، إذ ولد كل ولد من ولد إسحاق سبط، وجمعه أسباط. انظر: لسان العرب: ٣١٠/٧. وفي تفسير البغوي: (سفط)، وهو الذي يعبَّئ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. انظر: تفسير البغوي: ٣/ ٤١٠، ولسان العرب: ٣١٥/٧.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤١٠/٣.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ ﴾ قيل: غلبت الروم فارساً ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ إليكم، ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾، أي: يغلبهم المسلمون ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾ ، وعند/ انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم، والأول أصحُّ.

١٣٠/ب

وقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾ يعني: أيُّ الفريقين كان له الغَلَبة فهو بأمر الله وقدرته.

وقوله: ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ قال السُّدِّيُّ: فرَّح الله النبي ﷺ والمؤمنين بظهورهم على المشركين يوم بدر، وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك. وهو العزيز الغالب، الرحيم بالمؤمنين(١).

وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ يعني: في نصرك وإظهارك على عدوِّك(٢). ﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠ ﴾ معناه: لا يحملنَّك الذين لا يؤمنون ولا يوقنون بالبعث والنشور على اتِّباعهم(٣)، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٤١١/٣.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٦٥/٦، وتفسير البغوي: ٤٢٠/٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٤٢٠/٣.

سورة لقمان

أربع وثلاثون آية[١]، مكيَّة[٢].

وفيها من الآيات المتضمنة لِحُسن المعاشرة واتباع سبيل أهل الطاعة، وإرشاد الوالد ولده، وحسن التلطُّف به في تأديبه، وتعلُّمه العلمَ، وإقام الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر/ على الأذى.

أ/١٣١

وقوله تعالى: ﴿ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۝١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧ ﴾ أي: صاحبهما بالمعروف، والبر والصلة، والعشرة الجميلة، واتبع دينَ مَن أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يُريد أبا بكر ﷺ، وذلك حين أسلم أتى عثمانُ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وقالوا له: قد صدَّقت هذا الرجل، فآمنت به، قال: نعم، هو صادقٌ، فآمنوا به، ثم حملهم النبي ﷺ حتى أسلموا.

فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر ﷺ[٣].

---

(١) هي ثلاث وثلاثون آية في عدِّ المدنيين والمكي، وأربع وثلاثون في عدِّ الباقين. واختلافها آيتان: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ عدَّها الكوفي دون الباقين. ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ عدَّها البصري والشامي ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٠٦، وبصائر ذوي التمييز: ١/٣٧٠.

(٢) في قول الأكثرين. وروي عن عطاء أنه قال: هي مكية سوى آيتين نزلت بالمدينة وهما رقم: (٢٧، ٢٨). وروى عن الحسن أنه قال: إلا آية نزلت بالمدينة وهي: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ . انظر: زاد المسير: ٦/١٦٦.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٢٣.

﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ يعني: أبا بكر ﷺ. ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ..﴾ الآية.

قال قتادة: الكناية في قوله: ﴿ إِنَّهَآ ﴾ راجعة إلى الخطيئة،/ وذلك أن ابن لقمان واسمه (أنعُم)، وقيل: (مِشكَم) قال لأبيه: إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟ فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾. قال قتادة: تك في جبل[1].

١٣١/ب

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: في صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب الله فيها أعمال الفجَّار، وخضرةُ السماء منها.

وقال السُّدِّيُّ: خلق الله الأرض على حوت، وهو النون الذي ذكر الله عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ ﴾ والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملَك، والملَك على صخرة، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض. والصخرة على الهواء[2].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: عالم بمكانها. قال الحسن: معنى الآية: أن الله تعالى محيط بالأشياء صغيرها وكبيرها.

---

(١) انظر: زاد المسير: ١٧٠/٦، وتفسير البغوي: ٤٢٤/٣.

(٢) هذه أخبار لا تستقيم عقلاً، ويبقى التسليم لها مرهوناً بصحة سندها وتوثيقه. ولم أقف على توثيق لهذا الخبر إلا ما رواه ابن الجوزي والبغوي في تفسيريهما. انظر: زاد المسير: ١٧٠/٦، وتفسير البغوي: ٤٢٤/٣. وقد ردَّ ابن كثير على رواية السدي هذه وقال: وهذا ــ والله أعلم ــ كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب. والظاهر ــ والله أعلم ــ أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها، ويظهرها بلطيف علمه. كما في مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة، لخرج عمله للناس كائناً ما كان)). انظر: مسند أحمد: ٩٢/١٠، رقم الحديث: ١١١٧٣، وإسناده حسن، وتفسير ابن كثير: ٤٤٦/٣.

وفي بعض الكتب: إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلَّم بها لقمان فانشقت مرارتُهُ من هيبتها، فمات[1].

وقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾/ أي: مُرْ بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك من الأذى. وذلك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يسلم غالباً من أذى يلحقه في ذات الله تعالى. ١٣٢/أ

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ ﴾.

قال المفسرون: لما نزلت بمكة: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد بلغنا أنك تقول: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ أفعنَيتنا، أم قومك؟ فقال عليه السلام: ((كُلاًّ عنَيت))، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنَّا أوتينا التوراة، وفيها علم كل شيءٍ؟ فقال رسول الله ﷺ: هي في علم الله قليل، وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم. قالوا: يا محمد وكيف تزعم هذا، وأنت تقول: ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ..﴾[البقرة: ٢٦٩]/ فكيف يجتمع هذا علم قليل، وخير كثير؟ فأنزل الله هذه الآية[2]. ١٣٢/ب

---

(١) لم أقف على توثيق لهذا الخبر عند غير البغوي. ويضاف إلى سابقه في ردِّه إلى رواياتٍ ونُقولٍ من الإسرائيليات التي لم يسلم كثير من كتب التفسير منها. انظر: تفسير البغوي: ٤٢٤/٣.

(٢) رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره الطبري في تفسيره عن رجل مجهول من أهل مكة لم يسمِّه: تفسير الطبري: ٨١/٢١، ورد ابن كثير الرواية على أنها لمحمد بن أبي محمد وهو راو مجهول، كما في تقريب التهذيب لابن حجر: ص: ٥٠٥، وسياقها يقتضي أنها مدنية، والمشهور أنها مكية لا مدنية. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٥١/٣، وزاد المسير: ٦/ ١٧٣، وتفسير البغوي: ٤٢٦/٣.

قال قتادة: إن المشركين قالوا: إن القرآن وما أوتيه محمد يوشك أن ينفدَ فينقطعَ، فنزلت: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ[1] أَقْلَٰمٌ ﴾ أي: بُرِيَت أقلامٌ. ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ ﴾ قرأ أبو عمرو: (والبحرَ) بالنصب عطف على ما. وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف[2].

ومعنى يمدُّه: يزيده، وينصبُّ فيه ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ من خلفه ﴿ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

وقولـــه عزَّ وجـــلَّ: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي: الخلق نفس واحدة. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: إن ذلك من نعم الله عليكم.

وقوله: ﴿ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ أي: من عجائبه. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾/ ﴿ صَبَّار ﴾ مبالغة من الصبر، أي: ﴿ صَبَّار ﴾ على أمر الله ﴿ شَكُور ﴾ على نعمه[4]، والله أعلم[5].

١٣٣/أ

---

(١) وردت في أصل المخطوط: (شجر)، وهو خطأ في النسخ.

(٢) قرأ أبو عمرو (البصريان) بفتح الراء (البحرَ) والباقون بضمها. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥١٣، والنشر: ٢/ ٢٦٠، والكشف: ١٨٩/٢.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٤٢٤/٣.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٤٢٧/٣.

(٥) انظر: زاد المسير: ١٧٤/٦.

سورة الم تنزيل السجدة

تسع وعشرون آية[١]، مكيَّة[٢].

قال عطاء: إلا ثلاث آيات، قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ إلى آخر ثلاث آيات[٣].

وفيها من الآيات المتضمنة للإمامة والهداية وحسن اليقين ببركة الصبر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يعني: لا تكن في شك من لقاء موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[٤].

وقد ذكرت ذلك في (الفتوح المكية في بيان الإسراء بخير البرية). وذكرنا أن النبي ﷺ لقي موسى ليلة الإسراء في السماء السادسة.

وقال السُّدِّيُّ: ﴿ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ أي: من تلقِّي موسى كتاب الله بالرضا والقبول.

﴿ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يعني الكتاب[٥].

وقال قتادة: موسى هدىً لبني إسرائيل. وجعلنا بني إسرائيل/ أئمة في الخير. ١٣٣/ب

قال قتادة: أئمةً يُقتدى بهم، يعني: الأنبياء الذين كانوا فيهم ﴿ يَهْدُونَ ﴾ يدعون ﴿ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾.

---

(١) هي تسع وعشرون آية في عدّ البصري. وثلاثون آية في عدّ الباقين واختلافها آيتان: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ عدّها الكوفي دون غيره ﴿ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ لم يعدّها الكوفي والبصري وعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٠٧، وبصائر ذوي التمييز: ٣٧٣/١.

(٢) بالإجماع، وتسمى سورة المضاجع لقوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾. انظر: زاد المسير: ١٧٧/٦.

(٣) وقاله الكلبي. انظر: زاد المسير: ١٧٧/٦، البيان: ص: ٢٠٧.

(٤) قاله أبو العالية ومجاهد وقتادة وابن السائب. انظر: زاد المسير: ١٨٤/٦.

(٥) قاله الحسن. انظر: زاد المسير: ١٨٤/٦، وتفسير البغوي: ٤٣٣/٣.

قرأ حمزة والكسائي: (لِما) بكسر اللام وتخفيف الميم، أي: لصبرهم، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم[١]، أي: حين صبروا على الأذى والبلاء على دينهم[٢]، والله أعلم.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي ورويس: (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم، والباقون: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: (لمَّا) مشددة مفتوحة اللام. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥١٦، والنشر: ٢/٢٦٠، والكشف: ٢/١٩٢.

(٢) هكذا وردت في الأصل، وفي البغوي: (والبلاء من عدوهم)، وهو أقرب. انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٢٤.

سورة الأحزاب

ثلاث وسبعون آية[١]، مدنيَّة[٢].

وفيها من الآيات المتضمنة للتقوِّي والإعراض عن أهل النفاق، واتباع الكتاب والسنة، والأمر بالتوكل على الله تعالى وحده، وأن قوله هو الحقُّ، وسبيله هو الذي يرشدُ إلى الصواب، وأن النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في نفوذ حكمه عليهم، وأنه أبو المؤمنين، وأزواجه أمهاتهم في تعظيم حقِّهنَّ، وأن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث، وأن المؤمنين لهم في رسول الله أسوة حسنة في نصرة دين الله وصبرهم على ما يصيبهم، كما فعل النبي ﷺ إذ كسرت رباعيَّته، وجُرِحَ وجهه، فدعا لهم فقال:/ ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))[٣]. جازاهم بالسيئة الحسنة، وأضافهم إلى نفسه، واعتذر عنهم بقوله: ((فإنهم لا يعلمون)). إلى غير ذلك من أنواع المحاسن. ١٣٤/أ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ أي: دُم على التقوى. والخطاب له، والمراد به غيره. وقوله: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي: من أهل المدينة. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ أي: بخلقه. ﴿ حَكِيمًا ۝١ ﴾ فيما دبَّره لهم.

وقوله: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾ أي: إن الله حافظ لك كفيل يرزقك. لأن من توكَّل على الله حفظه الله وكفاه مؤنته.

---

(١) ثلاث وسبعون آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٠٨، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٣٧٧.

(٢) بإجماعهم. انظر: زاد المسير: ١٨٧/٦.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه بسنده. قال: حدثني شقيق، قال عبد الله: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)). انظر: صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار: ٥٠٧/٤، رقم الحديث: ٣٤٧٧.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ نزلت هذه الآية في أبي معمر جميل[1] بن معمر الفِهْرِي، وكان رجلاً حافظاً لما يَسمع. فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان. وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم، فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقيل له: يا أبا معمر ما حال الناس؟/ قال: انهزموا. قيل: فما لك أخذت إحدى نعليك في يدك، والأخرى في رجلك؟ قال أبو معمر: ما شعرت بهما إلا أنهما في رجليَّ. فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده[2]. ١٣٤/ب

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ﴾ أي: ما جعل نساءكم اللاتي تقولون لهنَّ هذه المقالة في التحريم كأمهاتكم في التحريم، ولكنه قول منكر.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ سبب نزولها أن المنافقين قالوا حين أعتق رسول الله ﷺ زيدَ[3] بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبنَّاه قبل الوحي، آخى

---

(١) ورد الاسم في الأصل: (حميد)، وهو تصحيف. إذ لا أثر له. والصواب: (جميل). واختلف المفسرون كثيراً في اسم الرجل الذي يدعى بذي القلبين من دهائه. وأشهر الأقوال أنه جميل بن معمر بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي، وليس له عقب. وكان لا يكتم ما استودعه من سرٍّ. له صحبة، وكان خاصاً بعمر بن الخطاب ﷺ شهد حنيناً، وقَتل فيها زهير بن الأبجر في قصة مشهورة. وشهد فتح مكة وفتح مصر وحرب الفجار، ومات أيام عمر. وذكره الزمخشري: جميل بن أسد الفهري. وقيل: عبد الله بن خطل، وقيل: زيد بن حارثة. انظر: الإصابة: ١/ ٥٠٠، رقم الترجمة: ١١٩٦، وأسد الغابة: ١/٥٥٥.

(٢) انظر الخبر في: تفسير الطبري: ١١٨/٢١، وتفسير القرطبي: ١١٦/١٤، وزاد المسير: ١٨٨/٦، وتفسير البغوي: ٤٣٥/٣.

(٣) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، أمه سُعدى بنت ثعلبة بن عامر. وفي البخاري عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ ﴾. وذكر ابن إسحاق قصة مجيء حارثة والد زيد في طلبه من رسول الله ﷺ، وكيف اختار العبودية على الحرية، وتبنَّاه الرسول ثم زوَّجه زينب بنت جحش، وقَبْلَها مولاته أم أيمن حيث ولدت له أسامة، ثم طلقها، وتزوج ثلاث نسوة بعدها، وله منهن ذرية. وأمَّره رسول

بينه وبين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما، فلما تزوَّج زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون: تزوَّج محمد امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عن ذلك. فأنزل الله هذه الآية[١]، ونسخ التبنِّي. وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ يعني: قولهم (زيد بن محمد) لا حقيقة له. وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ﴾ أي: يرشد إلى سبيل الحق[٢].

وقوله: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾/ أي: الذين ولدوهم. يعني: لا تقولوا: زيد بن محمد، وقولوا: زيد بن حارثة. وقوله: ﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أعدل. وقوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ . وقوله: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ قبل النهي عن التبنِّي[٣]. وقوله: ﴿ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ أي: من دعائهم إلى غير آبائهم بعد التبنِّي. وقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ قال أبو عثمان: سمعت سعداً وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأبا بكرة وكان قد تسوَّر حصار الطائف في أناسٍ. فجاء إلى النبي ﷺ فقال: سمعنا النبي ﷺ يقول: ((مَن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم، فالجنة عليه حرام)).[٤]

أ/١٣٥

الله ﷺ في الغزوات، وآخرها مؤتة التي استشهد فيها وهو ابن خمس وخمسين سنة. ولم يقع في القرآن تسمية أحد باسمه إلا هو باتفاق. انظر: الإصابة: ٦٠١/٢.

(١) انظر: زاد المسير: ١٨٩/٦.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤٣٦/٣.

(٣) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ١٨٩/٦.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه بسنده قال: سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعداً وهو أول من رَمَى بسهم في سبيل الله، وأبا بكرة. وكان تسور حصن الطائف في أناس، فجاء إلى النبي ﷺ فقالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: ((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام)). انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف: ١٢٢/٥، رقم الحديث رقم: ٤٣٢٦. وفي رواية: ((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه: ٣٢٣/٨، رقم الحديث رقم: ٦٧٦٦. وأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن سعد وأبي بكرة كلاهما يقول: سمعته أذناي ووعاه قلبي محمداً ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ قال ابن عباس[رضي الله عنهما]: يعني: إذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيءٍ ودعتهم أنفسهم إلى شيءٍ كانت طاعة الرسول أولى بهم من طاعتهم أنفسهم.(١) فكلُّ نبي أب لقومه، وبهذا الاعتبار أزواجه أمهات المؤمنين. وفي قراءة أُبيٍّ: (وأزواجه أمهاتهم، وهو أبٌ لهم)(٢). وقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة. قال الكلبي:/ آخى النبي ﷺ بين الناس، وكان يؤاخي بين رجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت هذه الآية. وقوله: ﴿ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ ﴾ أي: بالوصية من ثلث(٣) ماله. وقوله: ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

١٣٥/ب

وقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ ﴾ قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوه ويدعوا إلى عبادته(٤). ثم خصَّ هؤلاء الخمسة بالذكر من بين سائر النبيِّين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع، ومن أُولي العزم، وقُدِّم محمد [ﷺ] عليهم في الذكر لما روى أبو هريرة [رضي الله عنه] أن النبي ﷺ قال: ((كنت

يقول: ((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم: ١/٨٠، رقم الحديث: ٦٣/١١٥.

(١) انظر: زاد المسير: ٦/١٩٠.

(٢) قرأها كل من أبيّ ومجاهد وعكرمة والحسن، وقالوا: كان في الحرف الأول والقراءة الأولى. وأخرج الحاكم والبيهقي في سننه عن ابن عباس، وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وإسحاق بن راهويه وابن المنذر والبيهقي عن بجالة قال: مرَّ عمر بغلام وهو يقرأ في المصحف: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم)، فقال: يا غلام كلها، فقال: هذا مصحف أبي، فذهب إليه فسأله فقال: إنه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالأسواق. انظر: الدر المنثور: ٥/٣٥١.

(٣) انظر: زاد المسير: ٦/١٩٠.

(٤) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٦/١٩١، وتفسير البغوي: ٣/٤٣٨.

أول النبيِّين في الخلق، وآخرهم في البعث))[١]. قال قتادة: وذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ...﴾، الآية. وقولـــه: ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ ﴾ أي: عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا[٢].

وقوله: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾ يعني: النبيِّن عن تبليغهم الرسالة. وقوله: ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨ ﴾ أي: الذين كذَّبوا الرسل.

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ ﴾/ يعني: حين حُوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق، فجاءتهم الأحزاب وهم؛ كفار قريش، وغطفان، ويهود قريظة، والنضير. فأرسل الله عزَّ وجلَّ عليهم ريح الصبا. قال عكرمة: قالت الجَنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقي ننصرْ رسول الله ﷺ فقالت الشمال: إن الحُرَّة لا تسري بالليل. وكانت الريح التي أُرسِلت عليهم الصبا، مصداق ذلك قوله عليه السلام: ((نصرت بالصبا، وأُهلكت عادٌ بالدَّبُور))[٣]. والجنود التي لم يروها هم الملائكة. ولم تقاتل الملائكة تلك الليلة، فبعث الله عليهم ريحاً باردة، فقلعت

١٣٦/أ

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٧٣/٣، والسيوطي في الجامع الصغير: انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥٣/٥، رقم الحديث: ٦٤٢٣، وعزاه لابن سعد في طبقاته عن قتادة مرسلاً، وأبو نعيم في دلائل النبوة، وأورده السخاوي في المقاصد الحسنة: ص: ٣٣١، رقم الحديث: ٨٣٧، والعجلوني في كشف الخفاء: ١٧٠/٢، رقم الحديث: ٢٠٠٩، وأخرجه ابن جرير كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً. انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/٢١ والدر المنثور: ٣٥٣/٥، وتفسير البغوي: ٤٣٨/٣، وزاد المسير: ١٩١/٦. والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي: ص: ٢٠٦.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٩١/٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما. كتاب المغازي، باب غزوة الخندق: ٥/ ٥٧، رقم الحديث: ٤١٠٥. وأخرجه أيضاً في كل من: كتاب الجمعة، وبدء الخلق، وأحاديث الأنبياء. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور: ٦١٧/٢، رقم الحديث: ٩٠٠. وأخرجه أحمد في مسنده في عدة مواضع: ٤٨٥/٢، رقم: ٢٠١٣، و: ٣٠٧/٣، رقم: ٢٩٨٤، و: ٣٦٦/٣، رقم: ٣١٧١، و: ٤١٦/٣، رقم: ٣٣٣٨، و: ٤٧٥/٣، رقم: ٣٥٤٠. كلها عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأسانيدها صحيحة.

الأوتاد، وقطَّعت أوتار الفساطيط، وأطفأت النيران، وأُكفئت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض. فكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، حتى كان سيِّد كلِّ حيٍّ يقول: يا بني فلان هلمُّوا إليَّ، فإذا اجتمعوا عنده قال: النجاة النجاة! أُتيتم. لِما أُرسل عليهم من الرعب، فانهزموا من غير قتال، والله أعلم.(١)

وقولـــه تعالـــى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ /.

١٣٦/ب

---

(١) انظر: زاد المسير: ٦/١٩١، ١٩٢.

ذكر قصة الأحزاب

قال محمد بن إسحاق: الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ نفرٌ من اليهود، منهم؛ سلام بن أبي الحقوق[١]، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، وهود بن قيس[٢]، وأبو عمار الوائلي، في نفرٍ من بني النضير، ونفرٍ من بني وائل. وخرجوا حتى قدموا على قريش مكة، ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنَّا سنكونُ معكم عليهِ حتى نستأصله.

فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود، إنكم أهل كتاب، وهو الكتابُ الأولُ، فالعلم بما أصبحنا نختلفُ فيه نحنُ ومحمدٌ. أفديننُا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينهِ، وأنتم أولى بالحق منه.

قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ إلى قولهِ: ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[٣].

فلما قالوا ذلك لقريش سُرُّوا بما/ قالوا، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسولِ اللهِ ﷺ. ١٣٧/أ

ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاءوا غطفان من قيس، فدعوهم إلى ذلك، وأخبروهم بأنهم يكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد بايعوهم على ذلك، فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عقبة بن حصن

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة: سَلاَّم بن أبي الحقيق النضري. ٢/١٤٤.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة: هوذة بن قيس الوائلي. ٣/١٤٤.

(٣) بقية الآيات: قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [النساء: الآيات: ٥١ــ٥٥].

ابن حذيفةَ بن زيد في بني فزارة[١]، والحارث بن عون بن أبي حارثة المُري[٢] في بني مُرةَ، ومسعرُ بن رَخِيلَةَ بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وبما أجمعوا عليه من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، وكان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان الفارسي، وكان أولَ مشهدٍ شهدهُ سلمان مع النبي ﷺ وهو يومئذٍ حرٌّ، فقال: يا رسول الله كُنَّا بفارس إذا حوصِرنَا خندقنا علينا، قال كثير بن عبد الله بن عمرو ابن عوف: حدَّثني أبي عن أبيه، قال: خط رسولُ الله ﷺ الخندق عام الأحزاب، ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، قال: فاحتجَّ المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منَّا،/ وقال الأنصار: سلمان منَّا، فقال النبي ﷺ: ((سلمان منَّا أهل البيت))[٣]. ١٣٧/ب

قال عمرو بن عوفٍ: كنتُ أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا حتى إذا كنَّا بجنب ذي ناب، أخرج الله من بطن الخندقِ صخرةً مَرِدةً[٤] كسرت حديدَنا، وشَقَّتْ علينا، فقلنا: يا سلمانُ ارقَ إلى رسول الله ﷺ، وأخبرهُ خبر هذه الصخرة، فإما أن يعدّلَ فيها، فالمعدّلُ قريبٌ، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لا نحبُّ أن نجاوز خطةً خطَّها رسولُ ﷺ. فرقي

---

(١) ورد اسمه في كتب السيَر: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمر الفزاري أبو مالك. كان اسمه حذيفة فلقّب عيينة، لأنه أصابته شجة فجحظت عينه. له صحبة وكان من المؤلفة، ولم يصح له رواية. أسلم قبل الفتح وشهدها، وشهد حنيناً والطائف، وبعثه النبي ﷺ لبني تميم فسبى بعض بني العنبر، ثم كان ممن ارتد في عهد الصديق ﷺ، ومال إلى طليحة فبايعه، ثم عاد إلى الإسلام. وكان فيه جفاء أهل البوادي، وله قصص عديدة في ذلك مع النبي والصديق والفاروق وردت في الصحاح، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: ((الأحمق المطاع)) لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة. عاش إلى خلافة عثمان ﷺ. انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٤/٣، والروض الأنف: ٣٠٨/٦، والإصابة: ٧٦٧/٤، رقم الترجمة: ٦١٥٥ .

(٢) ذكره ابن هشام: الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري: ١٤٤/٣.

(٣) انظر: سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ٥١٥/٤.

(٤) الصخرة المردة: أي العزيزة الممتنعة. انظر: لسان العرب: ٤٠٢/٣.

سلمانُ إلى رسول الله ﷺ، وهو ضاربٌ عليه قبَّة تركيَّة[١]، فقال: يا رسول الله خرجتْ صخرة بيضاء مَرِدة من بطن الخندق، فكسرت حديدنا، وشقَّتْ علينا، حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير. فمُرنا فيها بأمرك، فإنَّا لا نحبُّ أن نجاوز خطتك.

فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان، فضربها ضربة، فصدعَهَا وبرقَ منها برقٌ أضاء ما بين لابتيها[٢] ــ يعني المدينة ــ، حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم، فكبَّر رسول الله ﷺ تكبير فتح، فكبَّر المسلمون، ثم ضربها رسول/ الله ﷺ تمام ثلاث ضربات، ثم أخذ بيد سلمان ورقِيَ، ثم قال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قطُّ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم، وقال: أرأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: ضربتُ ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة، ومدائن كسرى، كأنها أنيابُ الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. ثم ضربت ضربتي الثانية، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة من أرض الروم، كأنها أنيابُ الكلاب، ثم أخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. ثم ضربتُ ضربتي الثالثة، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنيابُ الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها.

١٣٨/أ

فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله مِن وَعْدٍ صدْقٍ، وعدنا النصر بعد الحصر. فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يعدكم ويمنِّيكم، ويخبركم أنه يُبصِرُ من يثرب

---

(١) هكذا وردت في كتب السيرة دون تعليق. والقبة من الخيام معروفة، وهي بيت صغير مستدير، وهي من بيوت العرب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/٤، وسبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ٥١٩/٤.

(٢) لابتيها: اللابة: الحرَّة. والجمع لابٌ ولابات وهي الحرار. وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها. قال رسول الله ﷺ: ((ما بين لابتيها حرام)). انظر: صحيح البخاري كتاب الحج، باب لابتي المدينة: ٥٧٨/٢، رقم الحديث: ١٨٧٣، واللابتان حرتان تكتنفان المدينة. قال ابن الأثير: المدينة ما بين حرتين عظيمتين. وقال الأصمعي: هي الأرض التي قد ألبستها حجارة سوداء. انظر: لسان العرب: ٧٤٦/١، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٦٥/١.

قصُور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، ثم إنكم تحفرون الخندق من الغَرفِ لا تستطيعون أن/ تبرزوا.

١٣٨/ب

قال فنزل القرآن: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[1] قال: ونزل في هذه القصة: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران].

وقال حميد بن عبد الرحمن: سمعت أنس بن مالك [ﷺ] يقول: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فخرج المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً[2]

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن البراء [ﷺ] قال: كان النبي [ﷺ] ينقل التراب يوم الخندق، حتى أَغْمَرَ بطنه، أو قال: اغبَرَّ بطنُه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فأنزلن سكينـــة علينـــا وثبِّت الأقدام إن لاقَيْنا

إن الأُلى قد بغَوا علينا إذا أرادوا فتنـــة أبينـــا

---

(١) انظر: سبيل الهدى والرشاد: ٤/٥١٨ــ٥٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق: ٥/٥٤، رقم الحديث: ٤٠٩٩. والبيت كالتالي:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر الأنصار والمهاجرة

١٣٩/أ

/ يرفع بها صوته: أبَيْنا أبَيْنَا أبَيْنَا[١]. قال محمد بن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش، حتى نزلت بمجتمع الأشبال[٢] من رُومَةَ[٣] بين الجُرفِ[٤] والغابة[٥] في عشرة آلافٍ من أحابيشهم، ومَن تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومَن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب بُقمى[٦] إلى جانب أحد، وخرج النبي ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[٧] في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء والإماء فرُفعوا في الآطام[٨]، وخرج عدوُّ الله حُيَيُّ بن أخطب من بني النضير، حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق: ٥٧/٥، رقم الحديث: ٤١٠٤. وفيه: ورفع بها صوته بدلاً من رفع. وفي رواية: يمد صوته بآخرها. ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق: ١٤٣٠/٣، رقم الحديث: ١٨٠٣. ومعنى أغمر بطنه: أي واراه التراب. وفي رواية: حتى أغمّ بطنه.

(٢) عن ابن اسحاق (الأسيال). انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٨/٣.

(٣) رومة: أرض بالمدينة بين الجُرُف وزِغابة نزلها المشركون عام الخندق، وفيها بئر (رومة)، وهو اسم بئر ابتاعها عثمان ﷺ وتصدق بها. انظر: معجم البلدان: ١٠٤/٣.

(٤) الجُرُف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، كانت به أموال لعمر ﷺ ولأهل المدينة. وفيه بئر جُشم وبئر جمل، وذكر في غير حديث. وهو موضع بالحيرة وفيه منازل المنذر، وكذا هو موضع قرب مكة كانت به وقعة بين هذيل وسليم. وموضع من نواحي اليمامة، وفي قول: موضع باليمن. انظر: معجم البلدان: ١٢٨/٢.

(٥) ورد الاسم في كتب السيرة (زغابة). وحكي عن الطبري أنه قال: في هذا الحديث: (بين الجرف والغابة)، واختار هذه الرواية وقال لأن زغابة لا تعرف. ورجح السهيلي (زغابة) لأنه في الحديث المسند أنه ﷺ قال في ناقة أهداها إليه أعرابي فكافأه بست بكرات، فلم يرض، فقال ﷺ: ((ألا تعجبون لهذا الأعرابي أهدى إلي ناقة أعرفها بعينها كما أعرف بعض أهلي، ذهبت مني يوم زغابة، وقد كافأته بست فسخط)) انظر: الروض الأنف: ٣١١/٦، وسيرة ابن هشام: ١٤٨/٣.

(٦) نَقَمى: من النقمة وهي العقوبة. وهو موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب. ويروى: نَقَم. انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٨/٣، ومعجم البلدان: ٣٤٧/٥.

(٧) سلع: شق في الجبل. وهو جبل بسوق المدينة. وقال الأزهري: سلع موضع بقرب المدينة، وسلع جبل في ديار هذيل. انظر: معجم البلدان: ٢٣٦/٣.

(٨) وردت في السيرة لابن هشام: (فجعلوا في الآطام): والآطام جمع مفردها الأطم؛ وهو الحصن المبني بحجارة. وقيل: هو كل بيت مربع مسطح. انظر: لسان العرب: ١٩/١٢، وسيرة ابن هشام: ١٤٨/٣.

وكان قد وادع رسول الله ﷺ وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب بمجيء حُيي ابن أخطب غلَّق دونَهُ حصنَهُ، فاستأذنَ عليه فأبى أن يفتح له، فناداهُ: يا كعبُ افتح لي، فقال كعبٌ: ويحك يا حييّ إنك امرؤٌ مشؤوم، إني قد عاهدت محمداً، فلستُ بناقض ما بيني وبينه، فلم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً. قال: ويلك، افتح لي أكلمك، قال كعب: ما أنا بفاعلٍ، قال: والله/ إن غلَّقت دوني لأُعلِي حسيسكَ[١] أن آكل معك منها[٢]، فأحفظ الرجل[٣]، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب، جئتك بعد دهر[٤]، حسبك[٥] بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتُهم بمجتمع الأشبال من رُومه[٦]، وغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتُهم بذنبَ نقمى[٧]، أو قال: بُقمى إلى جانب أُحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه. فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذُلٍّ الدهر[٨]، فدعني ومحمداً وما أنا عليه، فإني لم أرَ من محمدٍ إلا صدقاً ووفاءً.

١٣٩/ب

فلم يزل حييٌّ بن أخطب بكعب حتى سمح له، إلى أن أعطاه بالله عهداً وميثاقاً، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يُصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده فيما بينه وبين رسول الله ﷺ ، فلما

---

(١) في سيرة ابن هشام: (الجشيشة)، وهي أقرب للصواب. والجشيشة نوع من الطعام يصنع من برغل جش، يُلقَى عليه لحم أو تمر فيطبخ. وفي الحديث: ((أن رسول الله ﷺ أولم على بعض أزواجه بجشيشة)). انظر: لسان العرب: ٢٧٣/٦. وسيرة ابن هشام: ١٤٨/٣.

(٢) نص لسيرة ابن هشام: (والله إن أغلقت الحصن دوني إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل منها معك): ١٤٨/٣.

(٣) أحفظ: أي أغضب. انظر: لسان العرب: ٤٤٢/٧.

(٤) في السيرة: جئتك بعزّ الدهر وببحر طام (أي كثير الماء). انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٨/٣.

(٥) في السيرة: جئتك بقريش.

(٦) نص السيرة: (بمجتمع الأسيال دومة وهي بين الجرف والزغابة). انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٨/٣.

(٧) وردت في الأصل: (سقمى)، وهو ولفظ (بقمى)خطأ صوابه (نقمى)، كما تقدم قبل صفحة التعريف بذنب نَقْمى. انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٨/٣، ومعجم البلدان: ٣٤٧/٥.

(٨) وردت في السيرة تتمة العبارة: (بذلّ الدهر وبجَهام ــ أي سحاب لا ماء فيه ــ، قد هَرَاقَ ماءه، فهو يُرعد ويُبرق ليس فيه شيء. ويحك يا حيي فدعني). انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٨/٣.

انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذٍ أحدَ بني الأشهلِ، وهو يومئذٍ سيِّدُ الأوس، وسعدَ بن عبادة أحدَ بني ساعدة، وهو يومئذٍ سيِّدُ الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة وخَوَّات بن جُبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاءِ القوم، أم لا؟ فإن كان/ حقاً فالحنوا[1] إليَّ لحناً أعرفُهُ، ولا تعثوا أعضاد[2] الناس. وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا. ١٤٠/أ

فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبثِ ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عقد بيننا ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عبادة[3] وشاتموه، وكان رجلاً فيه حِدَّةٌ، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أدنى[4] من المشاتمة.

ثم أقبل السعدانِ ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلَّموا عليه وقالوا: عضل والغارة لعذر[5]، عضلُ والغارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خُبيب بن عدي وأصحابه، فقال النبي ﷺ[6]: أبشروا يا معشر المسلمين. وعظُم عند ذلك البلاء، واشتد الخوفُ، وأتاهم عدوهم من فوقهم، وأسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاقُ من بعض المنافقين، حتى قال مغيث[7] بن قشير أخو بني عمرو ابن

---

(١) اللحن: اللغز والتعريض والإيماء: أي أشيرا إليَّ ولا تُفْصِحَا، وعرِّضَا بما رأيتما. وقال السهيلي: اللحن العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه، كما أن من معانيه الخطأ والعدول عن الصواب. انظر: لسان العرب: ١٣/ ٣٨٢، والروض الأنف: ٦/ ٣١٢.

(٢) نص السيرة: (ولا تفتوا في أعضاد الناس)، أي: لا تضعفوا وتوهنوا فيهم. انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٩/٣.

(٣) نص السيرة: (فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حِدَّة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم). انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٩/٣.

(٤) نص السيرة: (أربى)، أي: أهم وأعظم من المشاتمة.

(٥) نص السيرة: (وقالوا: عَضَلٌ والقارة، أي كغدر عضلٍ والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه). انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٩/٣.

(٦) نص السيرة: (كبر الرسول ﷺ وقال: الله أكبر، ابشروا يا معشر المسلمين). انظر: سيرة ابن هشام: ١٤٩/٣.

(٧) ورد اسمه في السيرة: (مُعَتِّب بن قُشَيْر بن مُلَيل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة الأوسي). ذكروه فيمن شهد العقبة، وقيل: إنه كان منافقاً. وإنه الذي قال يوم أحد: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾. وقيل: إنه

عوف: كان محمد يَعِدُنَا أن نأكل كنوزَ كسرى وقيصرَ، وأحدُنا لا يقدرُ أن يذهب إلى الغائط، ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

وحتى قال أوس[1] بن قبطي أحد بني حارثة: يا رسول الله، إن بيوتنا بعورة من العدوِ، ــ وذلك على ملأٍ من رجال قومه ــ/ فَأْذَنْ لنا، فلنرجع إلى ديارنا، فإنها خارجة من المدينةِ، فأقام النبيُ ﷺ وأقام المشركونَ بضعاً وعشرين يوماً، أو قال: ليلةً، قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالحصا، فلما اشتد البلاء على الناس، بعث رسولُ الله ﷺ إلى عُيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عمرو[2]، ــ وهما قائدا غطفان ــ وأعطاهما ثُلثَ ثمار المدينة، إلى أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فجرى بينهم الصلح، حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة. وذكر ذلك رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة، واستشارهما فيه، فقالا: يا

١٤٠/ب

تاب. وذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً. قال ابن هشام: وأخبرني من أثق به من أهل العلم أن مُعتِّب بن قشير لم يكن من المنافقين، واحتج بأنه كان من أهل بدر. انظر: سيرة ابن هشام: ٣/١٥٠، والإصابة: ٦/١٧٥.

(١) نص السيرة: (أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن أوس الأنصاري الأوسي)، والد عَرابة. شهد أحداً هو وابناه عرابة وعبدالله. ويقال: كان منافقاً، وأنه الذي قال: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ [الأحزاب: ١٣]. وفيه وفي جبار بن صخر الخزرجي نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝ ﴾ [آل عمران]، حين مرَّ شاس بن قيس اليهودي على نفر من الأوس والخزرج يتحادثون، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة، فأمر شاباً من يهود أن يُفسِد عليهم، ويذكرهم بيوم بعاث، فتنازعوا وتشاجروا، وتواثب أوس وجبار للقتال، حتى جاء رسول الله ﷺ ووعظهم وأصلح بينهم. انظر: الإصابة: ١/١٥٩، رقم الترجمة: ٣٥١.

(٢) الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني من فرسان الجاهلية. وذكر أبو عبيد أنه أسلم. وفي السيرة: الحارث ابن عوف بن أبي حارثة المُرِّي. وكان أحد الحاملين لدماء ابني وائل في حربهما؛ بكر وتغلب، فحين بُعِثَ رسول الله ﷺ كان قد بقي على الحارث شيء من دمائهم فأهدره في الإسلام. ثم إن النبي ﷺ خطب إليه ابنته، فتعذّر له بسوءٍ وبياض بها، ولم يكن بها، فرجع فوجدها قد برصت. وذكر الواقدي أنه قدم في وفد بني مرة يرأسهم، ونزلوا في دار بنت الحارث، وذلك منصرف رسول الله ﷺ من تبوك، ثم جاءوا رسول الله ﷺ في المسجد. وقال الحارث: يا رسول إنا قومك وعشيرتك، إنا من لؤي بن غالب.. فذكر القصة. ويذكر أنه أتى النبي ﷺ يطلب أن يبعث معه من يدعو إلى الإسلام وهو له جار، فأرسل أنصارياً فغدر به عشيرة الحارث وقتلوه. ثم جاء الحارث واعتذر وودي الأنصاري. انظر: الإصابة: ٦/٥٩٠، رقم الترجمة: ١٤٦٢.

رسول الله أشيءٌ أمرك الله به، لابد لنا من عملٍ به، أم أمرٌ نحبه فتصنعهُ لنا[١]؟ قال: لا، بل لكم. والله ما أصنع ذلك إلا أني قد رأيت العربَ قد رمتكم من قوس واحدة، وكالبوكم[٢] من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاءِ القوم على شرك بالله، وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرةً إلا قِرىً[٣] أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزَّنا بك، نعطيهم أموالنا! ما لنا بهذا من حاجة،/ واللهِ لا نعطيهم إلا السيفَ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله ﷺ: أنتم وذاك. ١٤١/أ

فتناول سعد الصحيفةَ، فمحا ما فيها من الكتابةِ، ثم قال: ليجتهدوا علينا، فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون، وعدوُّهم محاصرهم، ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش؛ منهم عمرو بن عبد ودٍ أخو بني عامر بن لؤيٍ[٤]، وعكرمة بن أبي جهل[٥]،

---

(١) نص سيرة ابن هشام: تحبه فنصنعه قال: بل شيء أصنعه لكم.

(٢) المكالبة: المشادَّة وكذلك التكالب. يقال: هم يتكالبون على كذا، أي يتواثبون عليه. وكالب الرجل مكالبة وكلاباً: ضايقه كمضايقة الكلاب بعضها بعضاً عند المهارشة. انظر: لسان العرب: ٧٢٤/١.

(٣) قِرىً: ضيافة. تقول: قَرى الضيف قِرىً وقِراء: أضافه. انظر: لسان العرب: ١٧٩/١٥.

(٤) عمرو بن عبد ود العامري من بني لؤي من قريش فارس قريش وشجاعها في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى وقعة الخندق وقد تجاوز الثمانين، ولم يشتهر عمرو اشتهار غيره من فرسان الجاهلية؛ كعامر بن الطفيل، وبسطام، وعتبة بن الحارث. لأن هؤلاء كانوا أهل بادية وأصحاب غارات ونهب، وعمرو من قريش وهم أهل مدينة وساكنو حجر ومدر لا يرون الغارات. وفي سيرة ابن هشام عمرو بن عبد ود. انظر: سيرة ابن هشام: ١٥١/٣، والروض الأنف: ١٩١/٢، والأعلام: ٨١/٥.

(٥) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ. أسلم عكرمة بعد فتح مكة بعد أن أُهدِرَ دمُه يوم الفتح ضمن أربعة، لكنه ركب البحر فاراً إلى اليمن، وعاهد الله في عاصفة للبحر أن يتوب ويسلم. ثم سارت إليه زوجته أم حكيم بأمان رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، وكان المسلمون يقولون هذا ابن عدو الله أبي جهل فقال النبي ﷺ: ((لا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي)). قال المبرد: نُهِي عن سب أبي جهل من أجل عكرمة. شهد الوقائع، وولِيَ الأعمال لأبي بكر، واستشهد في اليرموك أو يوم مرج الصفر، وعمره ٦٢ سنة. انظر: الإصابة: ٥٣٨/٤، رقم الترجمة: ٥٦٤٢، وتاريخ الإسلام: ٣٨/١، وأسد الغابة: ٥٦٧/٣، رقم الترجمة: ٢٧٣٥، والأعلام: ٢٤٥/٤

وهُبيرة بن أبي وهبٍ المخزوميان، ونوفل بن عبد الله، وضرارُ بن الخطاب[١]، ومرداس[٢] أخو بني محارب بن فِهر، قد لبَّسوا للقتال، وخرجوا على خيلهم، ومرُّوا على بني كنانة، وقالوا: تهيؤوا للحرب يا بني كنانة، فستعلمون مَن الفرسان.

ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقعوا على الخندق، فلما رأوهم قالوا: والله إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدُها.

ثم تيمَّموا[٣] مكاناً من الخندق ضيقاً، فضربوا خيولهم، فاقتحمت فيه، فجالت بهم في السبخة[٤] بين الخندق وسلع[٥]، خرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في نفر من المسلمين، حتى أخذ عليهم الثغرة[٦] التي اقتحموا منها خيولهم، وأقبلت الفرسان نحوهم، وكان عمرو بن عبد ودٍّ قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحةُ، فلم يشهد أُحداً، فلما كان يوم الخندق خرج مُعلِماً[٧]، ليُرى مكانهُ./

١٤١/ب

---

(١) ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري. أبوه الخطاب رئيس بني فهر في زمانه، وكان الضرار يوم الفجار على بني محارب بن فهر، وكان في فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم، وأحد الأربعة الذين وثبوا الخندق. وكان من مسلمة الفتح. وله ذكر وليس له حديث. قال ابن عساكر: له صحبة، وشهد مع أبي عبيدة فتح الشام، واشتهر إسلامه. انظر: أسد الغابة: ٢/٤٤٧، رقم الترجمة: ٢٥٦١.

(٢) نص السيرة: (ضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس أخو بني محارب بن فهر). انظر: سيرة ابن هشام: ١/ ١٥١.

(٣) تيمم مكاناً: أي قصده. انظر: القاموس المحيط: ص: ١٥١٣.

(٤) السَبَخة: بالتحريك. واحدة السباخ، الأرض الملحة النازّة، الأرض ذات ملح ونزّ لا تكاد تنبت. انظر: معجم البلدان: ٣/١٨٣، ولسان العرب: ٣/٢٤.

(٥) وردت في الأصل: (وساح). وصوابها كما في سيرة ابن هشام: (وسلع). انظر: السيرة النبوية: ٣/١٥١.

(٦) الثغرة: الفتحة، وكل فرجة في جبل أو بطن واد و طريق مسلوك. والثغر: موضع المخافة من مروج البلدان، والمكان الضعيف في صفوف المدافعين. انظر: لسان العرب: ٤/١٠٣.

(٧) مُعلِماً: أي يحمل عَلَماً أو علامة ليعرف من بعيد. والعَلَم شيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضالة. انظر: لسان العرب: ١٢/٤١٩.

فلما وقفَ هو وخَيْلُهُ[١]، قال له علي: يا عمرو إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى خُلَّتَين إلا أخذتَ منه إحداهما، قال: أجل.

قال له علي ابن أبي طالب ﷺ: فإني أدعوك إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزالِ[٢]، قال: ولم يا ابن أخي! فو اللهِ ما أحب أن أقتلك. قال له عليٌّ كرّم الله وجهه: ولكني أحبُّ أن أقتلكَ، فحمي[٣] عند ذلك، فاقتحمَ عن فرسهِ فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على عليٌّ فتناولا وتجاولا، فقتله عليٌّ ﷺ، وخرجت خيلُهُ منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربةً[٤].

وقُتل مع عمرو رجلان؛ منبّهُ بن عثمان بن عبد بن السبّاق بن عبد الدار، أصابه سهم فمات منه، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وكان اقتحم الخندقَ، فتورَّط فيهِ، فرموه بالحجارة، فقال: يا معشر العرب قِتْلةً أحسنَ من هذه! فنزل إليه عليّ ﷺ فقتله، فغلبَ المسلمون على جسده.

فسألوا رسول الله ﷺ أن يَبيعَهُم جسدهُ، فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في جسده، ولا في ثمنه، فشأنكم به، فخلى بينهم/ وبينه. | ١٤٢/أ

---

(١) انظر خبر قتله في سبيل الهدى والرشاد: ٥٣٢/٤ ــ ٥٣٣. وتتمة الخبر: فلما وقف هو وخيله دعا إلى البراز. وأنشد أبياتاً منها:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبــارز ووقفتِ إذ جَبُن المشجَّعُ موقف القِرنِ المناجــز
ولِذاك إني لــم أزل متسرعاً قبل الهزاهــز إن الشجاعة في الفتــى والجود من خير الغرائــز

فقام علي بن أبي طالب، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذن له وأعطاه سيفه وعمّمه وقال: اللهم أعنه عليه. فمشى إليه وهو يقول:

لا تَعْجَلَنْ فقدْ أَتَــا كَ مُجِيبُ صوتِكَ غيرُ عاجِزْ ذو نيــةٍ وبصيــرةٍ والصدقُ مَنْجَى كلِّ فائــزْ
إني لأَرجو أنْ أُقِيــ ــمَ عليكَ نائحةَ الجنائِــزْ مِن ضربةٍ نجلاءَ يَبْــ ــقَى ذِكْرُهَا عند الهزَاهِزْ

انظر: البداية والنهاية: ١٠٨/٤، والسيرة الحلبية: ٦٤١/٢، وسبيل الهدى والرشاد: ٥٣٢/٤ــ٥٣٣.

(٢) النِّزال: في الحرب أن يتنازل الفريقان. وفي الحكم أن ينزل الفريقان عن أبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا وقد تنازلوا. انظر: لسان العرب: ٦٥٧/١١، مادة: (نزل).

(٣) أي ثار عمرو لهذا التحدي.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام: ١٥٢/٣.

قالت عائشةُ ــ رضي الله عنها ــ: كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة، وكان من أحرز حُصُون المدينة، وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن، وذلك قبل أن يُضرب علينا بالحجابُ، فمر سعد بن معاذ، وعليه درع مقلَّصة[١]، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربةٌ، وهو يقول شعراً:

لبِّثْ قليلاً يدُرك الهَيْجَا حَمَلْ لا بأسَ بالموت إذا حَانَ الأجَلْ[٢]

فقالت أمه: الحق يا بني، فقد والله أُخرت، قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: يا أم سعد، والله لَوَدِدْتُ أن دِرْعَ سعد كانت أوسع مما هي، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، قالت: فرُمِيَ سعدٌ يومئذٍ بسهم فقطع منه الأكحل[٣]، رماه حبان[٤] ابن قيس بن العَرقة[٥]، أحد بني عامر بن لؤيٍ، فلما أصابه قال: خُذها وأنا ابن الغرقة، فقال له سعدٌ: عرَّق[٦] الله وجهك في النارِ، ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيتَ من حربِ قريش شيئاً، فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبُّ إليَّ أن أجاهدَهُم من قوم آذوا

---

(١) مقلَّصة: أي درع قصير لم يحجب كافة جسمه. يقال: تقلَّص: تشمّر. ودرع مقلصة أي مجتمعة منضمة، وأكثر ما يكون إلى فوق. انظر: النهايةفي غريب الحديث والأثر: ٤/١٠٠، ولسان العرب: ٧/٨٠.

(٢) البيت: **مَهّل قليلاً يشهدِ الهيجا حَمَلْ لابأس بالموت إذا حان الأجلْ.**

ورد في الأصل: (ليت... جمل)، وفيه روايات مشهورة: (لبِّث)، و: (ضحِّ)، و(مهّل قليلاً يدرك الهيجا حمل). وهو رجز قديم ذكره حسان بن ثابت، وارتجزه سعد بن معاذ وهو مسرع إلى القتال يوم الخندق. فقال قائل: ما رأيت ذا أطراف في لأمة أحسن منه. وقال السهيلي: هو بيت تمثل به، يعني حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل ابن كعب. وفي البيت روايات أخرى. انظر: الروض الأنف: ٢/١٩٢، وسيرة ابن هشام: ٣/١٥٣، ولسان العرب: ١١/١٨٢، مادة: (حمل)، وديوان حسان بن ثابت: ١/٥٠١.

(٣) الأكحل: وريد في وسط الذراع: يكثر فصده. وقيل: هو عرق الحياة، ويدعى نهر البدن. وفي كل عضو منه شعبة لها اسم على حدة. فإذا قطع في اليد، لم يرقأ الدم. انظر: لسان العرب: ١١/٥٨٦، مادة: (كحل).

(٤) وردت في الأصل: (حيَّان)، وصوابه كما في نص السيرة وعند الحافظ ابن حجر في الفتح: (حِبَّان بن قيس). قال السهيلي: حبان هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي. ويقال: ابن أبي قيس بن علقمة بن عبد مناف. انظر: سيرة ابن هشام: ٣/١٥٣، والروض الأنف: ٦/٣٢٠.

(٥) وردت في الأصل: (الغرقة)، وصوابه كما في نص السيرة: (ابن العَرِقَة الذي رمى سعداً هو حِبَّان بن قيس ابن العَرِقَة). والعَرِقَة: هي قلابة بنت سعد بن سعد بن سهم، وتكنى أم فاطمة. وسميت العَرِقَة لطيب ريحها. وهي جدة خديجة، أم أمها هالة. انظر: سيرة ابن هشام: ٣/١٥٣، والروض الأنف: ٦/٣٢٠، وأسد الغابة: ٢/٢٤٠.

(٦) وردت في الأصل: (غرَّق)، وصوابه كما في نص السيرة: (عرَّق). انظر: سيرة ابن هشام: ٣/١٥٣.

رسولك وكذبوه وأخرجوه، وإن كنتَ وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم، فاجعلهُ لي شهادةً، ولا تُمِتْنِي حتى تَقِرَّ عيني من بني/ قريظة، وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهليةِ[١]. ١٤٢/ب

قال ابن إسحاق: قال عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبَّاد، قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع[٢] حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان معنا فيه، مع النساء والصبيانِ، قالت صفيةُ: فمرَّ بنا رجلٌ من اليهود، فجعل يطوفُ[٣] بالحصن، وقد حاربت بنو قريظةَ، وقد قَطَعَت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفعُ عنا، والمسلمون في نحور عدوِّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا، إذ أتى آتٍ فقلتُ: يا حسانُ إن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن، وإني والله ما آمنهُ أن يَدُلَّ عَوْرَتَنَا من ورائنا من يهود، وقد شُغِل عنا رسولُ الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، فقال: يغفر الله لكِ يا بنت عبد المطلب، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلمَّا قال لي هذا، ولم أرَ عنده شيئاً احتجزتُ[٤]، ثم أخذت عموداً[٥]، ثم نزلت من الحصن، فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فرغتُ منه رجعت إلى الحصن، قلتُ: يا حسان انزل إليه فاسْلُبْه، فلم يمنعني من سَلَبه[٦] إلا أنه رجل، قال: مالي بسَلَبه حاجة يا بنت عبد المطلب[٧].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ١٥٣/٣.

(٢) هو اسم لحصن بالمدينة يقال: إنه حصن حسان بن ثابت. انظر: تاج العروس: ٤٨٥/٢١.

(٣) يطوف، وفي سيرة ابن هشام: يطيف، أي استدار وجاء من نواحيه. انظر: لسان العرب: ٢٢٥/٩.

(٤) احتجزَتْ: أي شدت إزارها على وسطها. وفي حديث ميمونة: ((كان يباشر المرأة من نسائه وهي حائض إذا كانت محتجزة)). أي شادة مئزرها على العورة وما لا تحل مباشرته. انظر: لسان العرب: ٣٣٢/٥.

(٥) العمود: إما عمود الخيمة أو مقرعة من حديد. انظر: لسان العرب: ٣٠٢/٣.

(٦) السَّلَب: ما يأخذه أحد القِرنَين في الحرب من قِرْنِه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة. وفي الحديث: ((من قتل قتيلاً فله سلبه)). انظر: لسان العرب: ٤٧١/١، مادة: (سلب).

(٧) قال الإمام السهيلي: ومحمل هذا الحديث عند الناس على أن حساناً كان جباناً شديد الجبن. وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد. وقال: لو صح هذا لهُجِي به حسان. فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعري وغيرهما. وكانوا يناقضون ويردون عليه. فما عَيَّره أحد منهم بجبن، ولا وسمه به. فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق. وإن صح فلعل حساناً أن يكون معتلاً في ذلك اليوم بعلَّة مؤقتة من شهود

قالوا[١]: وأقام رسول الله ﷺ / فيما وصف الله تعالى من الشدة، وإتيانهم من فوقهم، ومن أسفلَ منهم. ثم إن نُعيم[٢] بن مسعود بن عامر من غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمتُ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرْنِي بما شئت. فقال له رسول الله ﷺ: ((إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل[٣] عنا إن استطعتَ، فإن الحرب خدعة)). | ١٤٣/أ

فخرج نُعيم بن مسعود، حتى أتى بني قُريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال لهم: يا بني قُريظة، قد عرفتم وُدِّي إياكم، وخالصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتَّهم. فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم، به أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره. وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بعيدة، إن رأوا غنيمةً أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم، لا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تتلقَّوا القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنَاً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة، على أن يقاتلوا معكم محمداً. قالوا: لقد أشرت برأيٍ ونصح.

ثم خرج حتى أتى/ قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم وُدِّي إياكم، وفِراقي محمداً، وقد بلغني أمرٌ رأيت أن حقاً عليَّ أن أبلغكم إياه، نصحاً لكم، فاكتموا عليَّ، قالوا: نفعل. قال: لتعلمنَّ معشر اليهود قد نَدِموا | ١٤٣/ب

القتال. وهذا أولى ما تأول عليه. وممن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عمر رحمه الله في كتاب الدرر له. انظر: الروض الأنف: ٣٢٤/٦.

(١) انظر الخبر في ترجمة حسان بن ثابت في: أسد الغابة: ٥٥١/١، رقم: ١١٥٣، والكامل لابن الأثير: ١٢٤/٢.

(٢) نُعَيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة أشجع، ويكنى أبا سلمة الأشجعي، صحابي مشهور له ذكر في البخاري، أسلم ليالي الخندق، وهو الذي أوقع الخلف بين قريظة وغطفان في الخندق، فخالف بعضهم بعضاً، ورحلوا عن المدينة. يروي حديثاً يقول فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول لِرسولَي مسيلمة: ((لولا أن الرسل لا تُقتَل لضربت عنقكما)). قُتِل أول خلافة علي قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل. انظر: الإصابة: ٤٦١/٦.

(٣) خذِّل عنا: أي ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً، وفرِّق جمعهم، وادفع البعض منهم إلى ترك قتالنا. والتخذيل: حمل الرجل على خذلان صاحبه وتثبيطه عن نصرته. وخذَّل عنه أصحابه: أي حملَهم على خذلانه. انظر: لسان العرب: ٢٠٢/١١، مادة: (خذل).

على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيكم أن نأخذَ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم فتُضرَب أعناقهم، ثم نكون معك على ما بقي منهم، فأرسل إليهم: أنْ نعم، فإن بعثت إليكم اليهودُ يلتمسون رُهَنَاً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى على غطفان، فقال: يا معشر غطفان، أنتم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناس إليَّ، ولا أراكم تتَّهموني. قالوا: صدقت. قال: فاكتموا عليَّ، قالوا: نفعلُ. ثم قال لهم مثل الذي قال لقريش.

فلما كانت ليلة السبتِ من شوال سنة خمس من الهجرةِ، وكان مما صنع الله لرسوله أن أرسل أبو سفيانَ ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمةَ بن أبي جهلِ في نفرٍ من/ قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخُفُّ والحافرُ[1]، فاغدوا للقتال حتى نُناجزَ محمداً فيما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت، وهو يومٌ لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم، ولسنا مع ذلك نُقاتل معكم حتى تعطونا رُهَنَاً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقةً لنا، حتى نشاجر محمداً فيما بيننا وبينه، فإنا نخشى إن ضربتم الحربَ[2]، واشتدَّ عليكم القتالُ، أن تسيروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجلَ في بلدنا، ولا طاقةَ لنا بذلك من محمد.

١٤٤/أ

فلما رجعت إليهم الرسلُ بالذي قالت بنو قُريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمنَّ والله الذي حدَّثكم به نُعَيم بن مسعود لَحَقٌّ، فأرسلوا إلى بني قُريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتالَ فاخرجوا فقاتلوا، قالت بنو قُريظة حين انتهت الرُسلُ إليهم: لَلَّذي ذكر لكم نُعَيم بن مسعود لَحَقٌّ، ما يريد القوم إلا

---

(١) الخف للبعير كالحافر للفرس. وخف البعير هو مجمع فِرسِن البعير والناقة. وخفُّ الإنسان ما أصاب الأرض من باطن قدمه. ومعنى العبارة: قد تعبت وهلكت إبلُنا وخيولُنا. انظر: لسان العرب: ٨١/٩.

(٢) عبارة ابن هشام في السيرة: (إن ضرستكم الحرب): أي عضَّتكم، ونالت منكم كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه. ومنه الحرب الضروس: الأكول، العضوض. وضرَّستكم الحرُوب تضريساً أي: اشتدت عليكم، وجرَّبتكم وأحكمتكم. انظر: سيرة ابن هشام: ٢٤٢/٣، ولسان العرب: ١١٨/٦.

أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصةً انتهزوها، وإن كان غير ذلك استوفزوا[١] إلى بلادهم، وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل في بلادكم.

فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا/ والله لا نقاتل معكم حتى تُعطونا رُهُنَاً، فَأَبَوا ١٤٤/ب
عليهم، ووقعت الخُذلةُ بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليلة شاتيةٍ شديدةِ البرد، فجعلت تَكْفَأُ القُدورَ[٢]، وتطرحُ آنيتهم[٣]. فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، دعا حذيفةَ بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القومُ ليلاً[٤].

قال محمد بن إسحاق بسنده: قال فتىً من أهلِ الكوفةِ لحذيفة[٥] بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسولَ الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: كيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهدُ، قال الفتى: والله لو أدركناه يمشي على الأرض لحملناه على أعناقنا، ولخدمناه وفعلنا، قال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ، فقال: من يقوم فيذهب إلى هؤلاءِ القوم، فيأتينا بخبرهم

---

(١) لم أجد للمفردة معنىً إلا ما ذكره الجوهري في الصحاح: قال: استوفز في قِعدته: إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن. انظر: الصحاح: ٩٠١/٣. ولعل الأقرب للصواب عبارة ابن هشام في السيرة: (انشمروا) من التشمير، بمعنى التهيؤ والجد والاجتهاد في السير والإرسال. أي: تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم. يقال: انشمر الفرس أي: أسرع. انظر: سيرة ابن هشام: ٢٤٢/٣، ولسان العرب: ٤٢٩/٤.

(٢) كفأت القدر وغيرها: إذا كببتها لتفرغ ما فيها. ومنه الحديث: ((لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفئ ما في صحفتها، فإنما لها مثل ما كتب لها)). والصحفة: القصعة. وهذا مثل لإمالة الضرة حق صاحبتها من زوجها إلى نفسها إذا سألت طلاقها ليصير حق الأخرى كله من زوجها لها. انظر: لسان العرب: ١/ ١٤٠.

(٣) أي: تقلب قدور الطعام وتقتلع الخيام. وعبارة السيرة: (وتطرح أبنيتهم). انظر: سيرة ابن هشام: ٢٤٢/٣.

(٤) انظر الخبر بتمامه في: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٢٥/٢، سيرة ابن هشام: ٢٤٠/٣ــ٢٤٢.

(٥) حذيفة بن اليمان: أبو عبد الله العبسي، من كبار الصحابة، أسلم وأبوه، وأرادا شهود بدر فصدهما المشركون وشهد أحداً، واستشهد اليمان بها. وروى البخاري حديث شهوده أحداً واستشهاده بها. وشهد حذيفة الخندق، وله بها ذكر حسن. استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات بعد مقتل عثمان وبعد بيعة عليّ بأربعين يوماً سنة ٣٦ هـ. وكان قد شهد فتوح العراق، وله بها آثار شهيرة. انظر: أسد الغابة: ٥٣٢/١، رقم الترجمة: ١١١٣، الإصابة: ٤٥/٢، رقم الترجمة: ١٦٤٩.

أدخله الله الجنةَ؟ فما قام منا رجلٌ، ثم صلَّى رسول الله ﷺ هوياً[١] من الليل، ثم التفت إلينا، فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منا رجلٌ، ثم صلَّى رسول الله ﷺ هوياً من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القومُ، على أن يكون رفيقي في الجنةِ؟/ فما قام رجلٌ من شدةِ الخوفِ، وشدةِ الجوع، وشدةِ البرد. أ/١٤٥

فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ، قال: يا حذيفة، فلم يكن لي من القيام بدّ حين دعاني، فقمتُ حتى أتيته، وإن جنبيَّ ليضطربان، فمسح وجهي ورأسي، وقال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم، ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى ترجع إليَّ، ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفهِ، وعن يمينِهِ، وعن شمالِهِ، ومن فوقهِ، ومن تحتهِ. فأخذت سهمي، وشددت عليَّ أسلابي[٢]، ثم انطلقتُ أمشي نحوهم كأني أمشي في حَمامٍ[٣]، فذهبت فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً. وجنودُ اللهِ تفعلُ بهم ما تفعلُ، لا تُقدرُ لهم قِدرُ ولا نارٌ ولا بناءٌ، وأبو سفيان قاعدٌ يصطلي[٤]. فأخذت سهماً فوضعته في كبد قوسي، فأردت أن أرميه، ولو أرميتهُ لأصبتهُ، فذكرت قولَ النبي ﷺ: لا تحدثنَّ حدثاً حتى تأتيني، فرددت سهمي في كنانتي[٥]، فلما رأى أبو

---

(١) الهويّ: الساعة الممتدة من الليل. تقول: مضى هويٌّ من الليل، أي هزيع منه. والهويّ: الحين الطويل من الزمان، وقيل: هو مختص بالليل. انظر: لسان العرب: ٣٧٢/١٥.

(٢) سبقت الإشارة لشرح الأسلاب وهي أمتعة المجاهد وثيابه وعتاده وسلاحه. انظر: ص: ١٧٢ حاشية (٥)

(٣) حِمام: جمع حَمَّة، وهي حجارة سود تراها لازقة بالأرض، تقود في الأرض الليلة والليلتين والثلاث، والأرض تحت الحجارة تكون جَلَداً وسُهولة، والحجارة تكون متدانية ومتفرقة، تكون مُلْسَاً مثل: الجُمْع ورؤوس الرجال. وجمعها الحِمام، وحجارتها متقلّع ولازق بالأرض، وتنبت نبتاً كذلك ليس بالقليل ولا بالكثير. انظر: لسان العرب: ١٦٠/١٢، وتهذيب اللغة: ١٨/٤، والتكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة: ٤١٥/٦.

(٤) اصطلى وصلَى: بمعنى استدفأ. يقال: صلَى يده بالنار: سخَّنها. وفي التنزيل: ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [النمل: ٧]. أي: تستدفئون من البرد. انظر: لسان العرب: ٤٦٨/١٤، وتفسير القرطبي: ١٥٧/١٣.

(٥) هذا الموقف صورة مشرِّفَة ومشرقة من التربية الإيمانية والسلوك المثالي الذي ربَّى رسول الله ﷺ صحبه عليه من التزام واحترام وتقدير وطاعة لقرار الأمير، حتى لو رأى المصلحةَ ظاهراً خلاف الأمر. وهذا من أمثل أساليب التربية التي عاشها سلفنا الصالح واقعاً ملموساً، وسلوكاً منهجياً. والتي تحتاج الأمة الإسلامية إلى إحيائها في نفوس الناشئة، وتربيتهم على أصولها، بعيداً عن الغرورِ بفردية الرأي، والاعتزازِ بغلواء النظرة الشخصية

سفيان ما تفعل الريحُ وجنودُ الله بهم قال: يا معشر قريش، ليأخذن كل رجل منكم بيد جليسهِ، فلينظر مَن هو، فأخذت بيد جليسي، فقال: مَن أنت؟ فقلت: سبحان الله! أما تعرفني؟ أنا فلان بن فلانٍ، فإذا رجلٌ من هوازِنَ/ فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكُراع[١] والخفُّ[٢]، وأَخْلَفَتْنَا بنو قُريظة، وبلغني عنهم الذي نكره، ولقينا من هذا الريح الذي ترون، فارتحلوا، أما إني مرتحل. ثم قامَ إلى جملهِ وهو معقول[٣]، فجلس عليه، ثم ضربهُ، فوثب على ثلاث، فما أطلق عقالهُ إلا وهو قائم. وسمعتْ غطفان بما فعلت قريش فاستمرُّوا راجعين إلى بلادهم[٤].

١٤٥/ب

قال حذيفة: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وكأني أمشي على حَمامٍ، فأتيته وهو قائم يُصلِّي، فلما سلَّم أخبرتهُ الخبر، فضحك حتى بدت أنيابُهُ في سواد الليل، فلما أخبرته وفرغتُ قرَرْتُ[٥] وذهب عني الدفاءُ، أدناني النبي ﷺ، فأنا مني عند رجليه، وألقى عليَّ طرف ثوبهِ، وألصق صدري ببطن قدميه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت. قال: قم يا نومان[٦]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ أي: من فوق الوادي، من قِبل المشرقِ جاءت بنو أسد، وغطفان، وبنو قُريظة.

للأمور، وتقديم المصلحة الخاصة على الصالح العام. وأمثلة هذا الموقف كثيرة في ثنايا السيرة النبوية العطرة، والتاريخ الإسلامي العظيم.

(١) الكراع من الإنسان هو ما دون الركبة إلى الكعب. ومن البقر والغنم مُستَدَقُّ الساق العاري من اللحم. انظر: لسان العرب: ٣٠٦/٨.

(٢) الخف للبعير وهو ما أصاب الأرض من باطن قدمه. والمراد أنه قد هلك ما تأكله وما تركبه. انظر: لسان العرب: ٨١/٩.

(٣) معقول: مربوط. وأصل العقال: الرباط الذي يُعقَل به، وجمعه عُقُلٌ. ويقال: عقل فلان فلاناً وعكله إذا أقامه على إحدى رجليه. وهو معقول منذ اليوم، أي مربوط. انظر: لسان العرب: ٤٥٩/١١، مادة: (عقل).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام: ٢٣٩/٣ــ٢٤٤، والكامل في التاريخ: ١٢٦/٢.

(٥) أصل القُرِّ: البرد عامة. وقررت بفتح الراء وكسرها: أي لما سكنت وجدت مَسَّ البرد. انظر: لسان العرب: ٨٣/٥.

(٦) أي: يا كثير النوم. ويقال في النداء خاصة. انظر: لسان العرب: ٥٩٧/١٢.

وقوله: ﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ يعني من بطن الوادي من قِبَل الغربِ قريش وكنانة، وبنو النضير.

وقولـــه تعالـــى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ ﴾/ أي: مالت عن كل شيء، فلم تنظر إلا إلى عدوِّها. ومعنى: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ عبارة عن شدة الخوف. واختلفت الظنون؛ فظنَّ المنافقون الظفر بالمؤمنين، وظنَّ المؤمنون النصر والظفَر بالكفار. ١٤٥م/أ

وقوله: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: اختبر المؤمنون بالحصر والقتال، ليتبيَّن المخلص من المنافق.

وقوله: ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ أي: حُرِّكوا حركةً شديدة.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ ﴾ أي: يقول عبد الله بن أبيّ وأصحابه، ومَن في قلبه شك من الكفار: يَعِدُنا محمدٌ بفتح قصور فارس والروم والشام، وأحدنا لا يستطيع أن يُجاوزَ رَحْلَهُ، إن هذا لغرور.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥ ﴾ يعني: قالت طائفةٌ/ من المنافقين، ــ وهم أوس بن قبطي[1] وأصحابه ــ لأهل المدينةِ، واسمها (يثربُ). ١٤٥م/ب

---

(١) أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن أوس الأنصاري الأوسي، والد عَرابة. شهد أحداً هو وابناه عرابة وعبدالله. ويقال: كان منافقاً، وأنه الذي قال: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ [الأحزاب: ١٣]. وفيه وفي جبار بن صخر الخزرجي نزلت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ۝١٠٠ ﴾ [آل عمران]، حين مرَّ شاس بن قيس اليهودي على نفر من الأوس والخزرج يتحادثون، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد

ــ وقيل: (يثربُ) اسم أرض بقرب المدينة[١]، وسمَّاها رسول الله ﷺ (طيبة)[٢][٣]، ــ وكره تسميتها (يثرب):[٤] لا مقام لكم، فارجعوا إلى منازلكم عن القتالِ، ويستأذن فريق منهم النبي؛ وهم: بنو حارثة، وبنو سلمةَ[٥]، يقولون: إن بيوتنا خالية مما يلي العدوَّ، قصيرة الجُدران، يسهلُ على السُرّاقِ دخولُها، فكذَّبهم الله تعالى

العداوة، فأمر شاباً من يهود أن يُفسِد عليهم، ويذكرهم بيوم بعاث، فتنازعوا وتشاجروا، وتواثب أوس وجبار للقتال، حتى جاء رسول الله ﷺ ووعظم وأصلح بينهم. انظر: الإصابة: ١/١٥٩، رقم الترجمة: ٣٥١.

(١) يثرب سميّت بذلك لأن أول مَن سكنها عند التفرق يثرب بن قانية، فلما نزلها رسول الله ﷺ سمَّاها (طيبة) و(طابة) كراهية للتثريب. وأصل التثريب: الإفساد، ومعنى: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يوسف:٩٢]، أي: لا تعيير عليكم بما صنعتم. انظر: معجم البلدان: ٥/٤٣٠.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت ﷺ قال: ((لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين، فرقة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم فنزلت: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾ [النساء: الآية: ٨٨]. وقال: إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة)). انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد: ٥/٣٧، رقم الحديث: ٤٠٥٠. وطيبة هي المدينة المنورة. وأخرجه مسلم في صحيحه: عن زيد بن ثابت ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إنها طيبة ــ يعني المدينة ــ وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها: ٢/ ١٠٠٦، رقم الحديث: ١٣٨٤/٤٩٠.

(٣) طَيْبَة: اسم لمدينة رسول الله ــ يقال لها طيبة وطابة من الطيب، وهي الرائحة الحسنة، لحسن رائحة تربتها. وقيل: لطيبها لساكنها، ولأمنهم ودَعَتِهم فيها. وفي حديث الجسَّاسة الذي أخرجه مسلم، وفيه: فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها، في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإنه على كل نصيب منها ملائكة يحرسونها. قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعن بمخصرته في المنبر: ((هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة))، يعني المدينة. وفي رواية: ((هذه طيبة، وذاك الدجال)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجسَّاسة: ٤/٢٢٦٤، رقم الحديث: ١١٩/ ٢٩٤٢، ومعجم البلدان: ٤/٦٠.

(٤) أخرج الشيخان في الصحيحين: عن أبي هريرة ﷺ يقول: ((قال رسول الله ﷺ: أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب، وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد)). انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس: ٢/٥٧٧، رقم الحديث: ١٨٧١. وصحيح مسلم في: كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها: ٢/١٠٠٦، رقم الحديث: ١٣٨٢. وكراهة النبي ﷺ تسميتها يثرب إنما تفهم من قولـــه: ((يقولون يثرب))، وهي المدينة. يعني أن بعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب، وإنما اسمها المدينة وطابة وطيبة. ففي هذا كراهة تسميتها يثرب.

(٥) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٦/١٩٤.

بقوله: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ يعني: لو دخلت عليهم الجيوش من الأحزاب من أقطار المدينة، ثم سُئِلوا الشرك بالله، وهي الفتنة العظمى، ﴿ لَأَتَوْهَا ﴾، لأسرعوا إلى الإجابةِ إلى الشرك، طيِّبةً بها أنفسهم. ولقد كانوا قبل غزوة الخندقِ عاهدوا الله ورسوله لا ينهزمون فنقضوا العهدَ.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾[1] أي: قل يا محمد لن ينفعكم الفرار مما كُتِبَ عليكم، وإذاً لا يمتَّعون إلا قليلاً بعد الفرار إلا مدةَ آجالهم، وذلك قليلٌ.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾[2]/ أي: يمنعكم من الله إن أراد بكم هزيمة، أو أراد بكم نُصرةً، ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً قريناً ينفعهم، ولا ناصراً يمنعهم. ١٤٦/أ

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ ﴾ أي: المعوِّقين الناسَ عن رسول الله ﷺ، والقائلين لإخوانهم: ارجعوا إلينا، ودعوا محمداً وأصحابه، قال ذلك طائفة من المنافقين. وقوله: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ أي: رياءً وسمعة، ولو كان لله كان ثوابه كثيراً.

وقوله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ أي: بخلاء بالنفقة في سبيل الله، فإذا جاء الخوف رأيتهم من الجبن والخوف ينظرون تدور أعينهم كدوران

---

(١) وردت في أصل المخطوط: (لا يمتَّعون)، وهو سهوٌ في النسخ. وتم تصويبه حسب الرسم القرآني.

(٢) وردت في أصل المخطوط: (قل من الذي)، وهو سهوٌ في النسخ. وتم تصويبه حسب الرسم القرآني.

الذي يُغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف رموكم بالنقص والغيبة، أشحَّة على الخير عند الغنيمة، يقولون: أعطونا، فإنا قد شهدنا معكم القتال، فأحبط الله جهادهم.

١٤٦/ب

قلت: لأنهم/ محاربون لله ورسوله في الصورة الباطنة، والمحارب لله ولرسوله لا يكون مجاهداً في سبيله، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها لأم ولد زيد بن أرقم حين قالت: ابتعت من زيد[١] بن أرقم عبداً بستمئة، ثم اشتريته منه بثمانمئة إلى أجل، فقالت عائشة رضي الله عنها: أخبري زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ لأن ذلك رباً، وآكل الربا محارب لله ولرسوله، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: يحسبون[٢] هؤلاء المنافقون أن الأحزاب من قريش وغطفان واليهود لم ينصرفوا، وقد انصرفوا، وإن يَعُد الأحزاب يرجعون للقتال بعد الذهاب يتمنَّون لو كانوا في بادية من الأعراب من الخوف، يسألون عن أخباركم، وما آل إليه أمركم،﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾ قال مقاتل: رياءً من غير احتساب[٣]، وذلك قليل أيضاً.

---

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الخزرج، وكنيته أبو عمر، وقيل أبو عامر. واستصغر يوم أحد، وكان يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة، وسار معه إلى مؤتة. وأول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ ١٧ غزوة، وأحاديثه كثيرة، وله قصة في سورة المنافقين حين أخبر رسول الله ﷺ بما قاله ابن سلول: ليخرجن الأعز منها الأذل، وأنكر ابن سلول ذلك حين سأله رسول الله ﷺ، فأنزل الله تصديق زيد، وفيه قال: إن الله قد صدّقك يا زيد. شهد صفين مع علي ﷺ، ومات بالكوفة سنة ٦٨ هـ. انظر: الإصابة: ٢/٥٩٠، رقم الترجمة: ٢٨٧٥، وأسد الغابة: ٢/١٣٤، رقم الترجمة: ١٨١٩.

(٢) الأصل أن يكون الفعل (يحسب)، بحذف الواو والنون، لأن الفعل مسند إلى فاعل ظاهر وهو: (هؤلاء). إلا على لغة: (أكلوني البراغيثُ)، أو لغة: ((يتعاقبون فيكم ملائكةٌ))، من جواز إسناد الفعل إلى الضمير المتصل، وجعل الاسم الظاهر بعده مبتدأ، أو بدلاً من الضمير. انظر: شرح ابن عقيل: ١/٤٢٩. وقد تكرر مثل هذا في الصفحة: (١٧٨)، الحاشية: (٣).

(٣) انظر: زاد المسير: ٦/١٩٨.

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ أُسوة، وإِسوة لغتان[١]. قرأ/ عاصم بضمِّ الهمزة، والباقون بكسرها[٢]. أي: قدوة صالحة حسنة. أي: أن تنصروا دين الله وتؤازروا رسوله، وتصبروا على ما يصيبكم من الأذى في سبيل الله. إذ بالصبر يحصل النصر والظَفَر. ثم خصَّ بعد أن عمَّ فقال: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾ يعني: يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ في جميع المواطن، والله أعلم.

١٤٧/أ

ومن آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ سبب نزول هذه الآية أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله، ذكر الله تعالى الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء، فما فينا خير نُذكَر به، إنا نخاف أن لا يقبل منا طاعة، فنزلت هذه الآية[٣]. فالمسلم: المنقاد المستسلم لطاعة ربِّه وأمره، والمؤمن: مَن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله/ والبعث بعد الموت، وآمن بالقدَر خيره وشرِّه.

١٤٧/ب

---

(١) وهما بمعنى: القدوة. انظر: لسان العرب: ١٤/٣٥.

(٢) قرأ عاصم بضم الألف هنا وفي آيتي الممتحنة رقم:[٤و٦]. وقرأ الباقون بكسر الألف في المواضع ذاتها. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٢٠ــ٥٢١، والكشف: ٢/١٩٦، والنشر: ٢/٢٦١.

(٣) قال مقاتل بن حيان: بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن لا. فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن النساء لفي خيبة وخسارة. قال: وممَّ ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن في الخير كما يذكر الرجال. فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ ... الآية. وقال قتادة: لما ذكر الله تعالى أزواج النبي ﷺ، دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن: ذُكِرتُنَّ ولم نُذكَر. ولو كان فينا خير لذُكِرنا. فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ ... الآية. انظر: أسباب النزول للواحدي: ص: ٢٠٤.

﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ ﴾: المطيعين، ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: في إيمانهم، ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾: على ما أُمروا به، ﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ ﴾: المتواضعين، ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾: مما رزقهم، ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ ﴾: الممسكين عما يُغضب مولاهم، ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ ﴾: عمَّا يحرم عليهم، ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾: هم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ومضطجعين.

قال عطاء[1] بن أبي رباح: مَن فوَّض أمره إلى الله فهو داخل في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾. ومَن أقرَّ بأن الله ربُّه ومحمداً رسوله، ولم يُخالف قلبُه لسانَه فهو داخل في قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾. ومَن أطاع الله في الفرض، والرسول في السنَّة فهو داخل في قوله: ﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾. ومَن صان قوله من الكذب فهو داخل في قوله: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾. ومَن صبر على الطاعة، وتركِ المعصيةِ فهو داخل في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾. ومَن صلَّى فلم يعرف مَن على يمينه ويساره فهو داخل في قوله: ﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾ ومَن تصدَّق كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله: ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾.

ومَن صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر/ والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾. ومَن حفظ فرجه عمَّا لا يحلُّ فهو داخل في قوله: ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾. ومَن صلَّى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾.[2]

١٤٨/أ

---

(١) عطاء بن أبي رباح، واسم أبيه أسلم القرشي الفهري، أبو محمد المكي، مولى آل أبي خيثم عامل عمر بن الخطاب على مكة، ويقال: مولى بني جمح. ولد سنة ٢٧هـ، وهو من مولدي الجَنَد، ونشأ بمكة. ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، وقيل إنه تغيَّر بآخرعمره، ولم يكثُر ذلك منه. مات سنة ١١٤هـ. انظر: تهذيب الكمال: ٢٠/ ٦٩، رقم الترجمة: ٣٩٣٣، وتقريب التهذيب: ص ٦٧٧، رقم الترجمة: ٤٦٢٣.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قريباً من هذه الرواية. انظر: الدر المنثور: ٥/٣٨٠.

وفيها من الآيات المتضمِّنة لعلوِّ منزلة رسول الله ﷺ، وجلالة قدره عند أهل سماواته وأرضه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: معناه: يبرِّكون، وقيل: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾ أي: ادعوا له بالرحمة، ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ قيل: حيُّوه بتحيَّة الإسلام، وقيل: صلاة الله ثناؤه، وصلاة الملائكة الدعاء.

قال عبد الرحمن[١] بن أبي ليلى: لقيت كعب[٢] بن عجُرة، فقال: ألا أهدي إليك هديةً سمعتها من نبيِّ الله ﷺ ؟ فقلت: بلى فاهدها لي، قال: سألنا رسول الله فقلنا: كيف/ الصلاة عليكم أهل البيت[٣]؟ قال: ((قولوا: اللهم صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد[٤]، وبارك اللهم على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد))[٥].

١٤٨/ب

---

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى، واسم أبيه يسار. ويقال: بلال بن بليل بن أحيحة الأنصاري الأوسي، مدني ثم كوفي. ولد في خلافة عمر. تابعي ثقة، اختلف في سماعه من عمر. مات بوقعة الجماجم، وقيل: إنه غرق. انظر: تهذيب الكمال: ٣٢٧/١٧، رقم الترجمة: ٣٩٤٢، وتقريب التهذيب: ص: ٥٩٧، رقم الترجمة: ٤٠١٩.

(٢) كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن خالد البلَوي القضاعي، حليف الأنصار، يكنى أبا محمد. وقيل: أبو إسحاق، وقيل: أبو عبد الله. روى عن النبي ﷺ وعن عمر، وروى عنه ابن عمر وجابر وابن عباس، وأولاده. شهد عمرة الحديبية. ونزلت فيه قصة الفدية، وهي في الصحيحين من طرق؛ منها: ((أن النبي ﷺ مرَّ به وهو محرم، يوقد تحت قدر، والقمل يتهافت على وجهه، فقال له: احلق رأسك، وأطعم فرقاً ــ والفرق ثلاثة آصع ــ بين ستة مساكين، أو صم ثلاثة أيام، أو انسك نسيكة ــ أي اذبح ذبيحة ــ)). قيل: مات بالمدينة سنة ٥١هـ، وقيل: ٥٢، وقيل:٥٣. وله خمس وسبعون، وقيل: سبع وسبعون سنة. انظر: أسد الغابة: ١٧١/٤، رقم الترجمة: ٤٤٦٥، وكتاب الإصابة: ٥٩٩/٥، رقم الترجمة: ٧٤٢٤.

(٣) في رواية البخاري: فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علَّمنا كيف نسلم.

(٤) في رواية البخاري: ((اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم..)).

(٥) أخرجه البخاري في: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾ ﴾: ٤٦٦/٤، رقم الحديث: ٣٣٧٠، وفي كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ: ٢٠٢/٨، رقم الحديث: ٦٣٥٧، وكتاب تفسير القرآن،

وعن ابن مسعود [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ : ((إن أولى الناس بشفاعتي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً))[١].

وعن أبي هريرة [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن صلَّى عليَّ مرَّة صلَّى الله عليه عشراً))[٢]. وعن عبد الله[٣] بن عامر[٤] بن ربيعة عن أبيه أنه سمع النبي

باب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ : ٣٢٧/٦، رقم الحديث: ٤٧٩٧. وفي لفظ مسلم: عن ابن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: ((اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد: ٣٠٥/١، رقم الحديث: ٤٠٦/٦٦.

(١) الحديث رواه الترمذي بلفظ: ((أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. انظر: سنن الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ: ٣٥٤/٢، رقم الحديث: ٤٨٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند بعدة روايات أقربها إلى هذه الرواية: ما رواه عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من صلَّى عليَّ واحدة صلَّى الله عليه عشراً)). إسناده صحيح. انظر: مسند أحمد: ٢٤/٩، رقم الحديث: ١٠٢٣٦.

(٣) عبد الله بن عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزي، حليف بني عدي ثم الخطاب والد عمر. وهما اثنان؛ عبد الله الأكبر وقد استشهد بالطائف، ثم الأصغر ويكنى أبا محمد. ورواية البخاري فيه مختصرة. رأى النبيَّ ﷺ وأدركه، وما سمع منه حرفاً، وكان ابن خمس عند وفاة النبي الكريم، وإنما روايته عن الصحابة. وعدَّه بعضهم في كبار التابعين. مات سنة ٨٥هـ. وفي مسند أحمد عن مولى لعبد الله بن عامر بن ربيعة العدوي عن عبد الله ابن عامر أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك. فقال رسول الله ﷺ: ((وما أردت أن تعطيه؟)) قالت: أعطيه تمراً. قال: فقال رسول الله: ((أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليكِ كذبة)). أخرجه أحمد في مسنده: ٢٧٩/١٢، رقم الحديث: ١٥٦٤٢، وإسناده ضعيف لجهالة مولى عبد الله بن عامر. انظر الإصابة: ١٣٩/٤، رقم: ٤٧٨١، أسد الغابة: ١٨١/٣ـ١٨٢ رقم: ٣٠٢٩، ٣٠٣٠.

(٤) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن عامر العنزي أحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة، ثم إلى المدينة. شهد بدراً وما بعدها. روى له الشيخان في الصحيحين، وكان صاحب عمر لما قدم الجابية، واستخلفه عثمان ﷺ على المدينة لمَّا حج. وكان الخطاب والد عمر ﷺ قد تبنَّاه حتى نزلت: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾. وروى مالك أن عامر بن ربيعة قام يصلي من الليل حين نشَّم ـ أي نال ـ الناس في الطعن على عثمان، فنام فأتاه آت فقال له: قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة، فقام فصلى، ثم اشتكى، فما خرج بعد إلا بجنازته. مات سنة ٣٢هـ، وقيل سنة ٣٧هـ. وقال الواقدي كان موته قبل موت عثمان بأيام. انظر الإصابة: ٣/ ٥٨٠، رقم الترجمة: ٤٣٨٤، وأسد الغابة: ١٦/٣، رقم الترجمة: ٢٦٩١.

ﷺ يقول: ((مَن صلَّى عليَّ مرَّة صلَّت عليه الملائكة ما صلَّى، فليقلَّ العبد من ذلك أو فليكثر))[1]. والله أعلم.

اللهم صلِّ عليه، وسلِّم عليه، واجعل ذلك واصلاً إليه، ومعروضاً لديه، وبارك، وسلِّم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده بسنده قال: سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: ((من صلَّى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلِّي عليه ما صلَّى عليَّ، فليقلّ عند من ذلك أو ليكثــر)). إسناده حسن. انظر: مسند أحمد: ٢٧٣/١٢، رقم الحديث: ١٥٦٢٠.

سورة سبأ

أربع وخمسون آية[١]، مكيَّة[٢]. وفيها من آيات الصبر وإيتاء الفضل لداود، وتسبيح الجبال معه والطير، [و]إلانة الحديد له، وعمل الدروع، ونسجها/ منه، وأمر داود أن يعمل صالحاً هو وآله، وتسخير الريح لسليمان غدوُّها شهر، ورواحها شهرٌ، وأجرى له عينَ النحاسِ، وسخَّر الجن لسليمان، وأمرهم بطاعته، يعملون له ما يشاء من بناءِ المساجد، إلى غير ذلك، من فضل الله تعالى.

١٤٩/أ

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١ ﴾

قلت: مما آتى الله داود من الفضل؛ النبوة، والكتاب، وحسن *الصوت*، وتليين الحديد. ومعنى: ﴿ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾ ارجعي معه.

قال القتيبي: أصله من التأويب في السير[٣]، كأنه قال: سبِّحي معه الليل والنهار. وعطف (الطير) على محل (يا جبال)، والمنادى في محل النصب. وقرأ يعقوب: (والطيرُ) بالرفع[٤]، أي: أوِّبِي أنت والطير. وكان داود عليه السلام إذا سبَّح الله جعلتِ الجبالُ تجاوبه بالتسبيح. وقيل: كان إذا فتر سبَّحت الجبالُ، فنشط للتسبيح. وقيل: كان إذا نادى الجبال بالنياحةِ، أجابته بصداها، فصدى الجبال الذي يسمع الناسُ اليومَ من ذلك./

١٤٩/ب

---

(١) هي خمس وخمسون آية في عدِّ الشامي. وأربع وخمسون آية في عدِّ الباقين. واختلافهم في آية: ﴿ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ عدَّها الشامي دون غيره. انظر: البيان: ص: ٢٠٩، وبصائر ذوي التمييز: ٣٨٢/١.

(٢) بإجماعهم، وقال الضحاك وابن السائب ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ ﴾ . انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٦.

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن: ص: ١١٣.

(٤) انفرد ابن مهران عن هبة الله بن جعفر عن أصحابه عن روح برفع الراء من (والطيرُ) وهي رواية زيد عن يعقوب. ووردت عن عاصم وأبي عمرو. انظر: النشر: ٢٦٢/٢.

ومعنى قوله: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ قيل: كان الحديد في يد داود كالعجين والشمع، يعمل منه ما يشاء من غير نار، ولا ضرب بمطرقةٍ. والسبب في ذلك أن داود عليه السلام لمَّا ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكِّراً، فإذا رأى رجلاً لا يعرفه تقدَّم إليه فسأله عن داود، فيقولُ: ما تقول في داوودَ واليكُم؟ وأيُّ رجلٍ هو؟ فيثنون عليه، ويقولون خيراً. فقيَّضَ الله له ملَكاً في صورة آدمي، فلمَّا تقدَّم إليه داود على عادته، فسأله، فقال المَلَكُ: نِعْمَ الرجلُ هو لولا خصلة فيه، فراعَ داود ذلك، وقال: ما هي يا عبد الله؟ قال: إنه يأكل ويطعم عيالَهُ من بيت المال، فتنبَّه لذلك، وسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُسبِّبَ له ما يستغني به عن بيت المال، فيتقوَّت منه، ويطعم عياله، ويتصدَّق منه على الفقراء والمساكين. فألان له الحديد، وعلَّمه صنعةَ الدروع، وهو أول من اتخذها.

قيل: كان يبيع كل درع بأربعة آلاف، فيأكلها، ويطعم منها عياله، ويتصدَّق منها. وقيل: كان يعمل كل يوم درعا يبيعه بستة آلاف درهم، فينفق ألفينَ على نفسه وعياله، ويتصدَّق على فقراء بني إسرائيل بأربعة آلاف[1]/ والله أعلم. ١٥٠/أ

ومعنى قوله: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ أي: دروعاً كوامل[2] طوالاً واسعات.

ومعنى قوله: ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ السرد: نسج الدروع. يقال لصانعه: السرَّاد، والزرَّاد. ويقال: السرد المسمار في الحلقة. يقال: درع مسرود، أي: مسمور بالحلَق[3]. ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ أي: اجعله على قدر الحاجة.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ يعني: داود وآله.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٤٧٥/٣.

(٢) لعله يقصد بهذه اللفظة جمع (كاملة). ولم أقف على هذا الجمع في المعاجم. قال ابن منظور في لسان العرب: يقال: أعطاه المال كَمَلاً أي كاملاً. هكذا يتكلم به في الجميع والوحدان سواء، ولا يثنى ولا يجمع؛ قال: وليس بمصدر ولا نعت، إنما هو كقولك: أعطيته كله. ويقال: لك نصفه وبعضه وكماله. انظر: لسان العرب: ٥٩٨/١١.

(٣) انظر: لسان العرب: ٢١١/٣.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ قال الحسن البصري رحمه الله: كان يغدو من دمشق، فيقيل بإصطخر، وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من إصطخر فيبيت ببابل[١]، وبينهما مسير شهر للراكب المسرع. وقيل: كان يتغدَّى بالريِّ، ويتعشَّى بسمرقند[٢]، فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين.

ومعنى: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ أي: أذبنا له عين النحاس[٣].

قال أهل التفسير: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام ولياليهنَّ، تجري كجري الماء، وكان بأرض اليمن. وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله عزَّ وجلَّ لسليمان[٤]. وأمر الله تعالى الجنَّ بطاعة/ سليمان فيما يأمرهم به. ١٥٠/ب

ومن يعدل من الجنِّ ﴿ عَنْ أَمْرِنَا ﴾ الذي أمرناه به ﴿ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ في الآخرة، وقيل: في الدنيا، لأن الله تعالى وكَّل بهم مَلَكاً بيده سوطٌ من نار، فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته[٥]، والله أعلم.

---

(١) في تفسير ابن الجوزي: (كابل). انظر: زاد المسير: ٦/٢٣٤.

(٢) سمرقند: بلد معروف من أبنية ذي القرنين فيما وراء النهر، بناها شمرُ أبو كَرِب فسميت (شمركنت)، ثم أعربت فقيل: (سمرقند). حاصرها سعيد بن عثمان سنة ٥٥ هـ، حين ولي خراسان من جهة معاوية عبر النهر، ودخلها وثبت فيها ملك العرب. ثم في سنة ٨٧ هـ عبر قتيبة بن مسلم النهر، وغزا ما وراءه، وصالح أهلها. وينسب إليها جماعة من أهل العلم. انظر: معجم البلدان: ٣/٢٤٩.

(٣) القِطْر: النحاس. انظر: لسان العرب: ٥/١٠٥.

(٤) انظر: زاد المسير: ٦/٢٣٤.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٧٥.

وقوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: يعملون له المساجد[1] والأبنيةَ المرتفعةَ.

وكان مما عملوا بيتُ المقدس، ابتدأه داود عليه السلام، ورفعه قامةَ رجل، فأوحى الله إليه أني لم أقض إتمامَ ذلك على يدك، ولكن ابنٌ لك أملِّكُهُ بعدك اسمه سليمانُ أُقضِي إتمامَهُ على يده.

فلما توفَّاه الله عزَّ وجلَّ استُخلف سليمان، فأوجب إتمامَ بناءِ بيت المقدس، فجمع الجنَّ والشياطين، وقسَّم عليهم الأعمالَ، فخصَّ كل طائفة منهم بعمل يستخلصه لهم، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرُّخام الأبيض والميناء[2] من معادنهِ، وأمر ببناءِ المدينة بالرخام والصِفاح، وجعلها اثني عشر رَبَضاً[3]، فأنزل كل رَبَض منها سبطاً من الأسباط، وكانوا اثني عشر سبطاً، فلما فرغ من بناءِ المدينةِ ابتدأ/ في بناء المسجد، فرَّقَ الشياطين فرقاً؛ فرقاً يستخرجون الذهبَ والفضة والياقوت من معادنهِ، والدرَّ الصافي من البحر، وفرقاً يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها، وفرقاً يأتونَهُ بالمسكِ والعنبر وسائر الطيب من أماكنها، فأتوا من ذلك شيئاً لا يحصي عددَهُ إلا الله.

١٥١/أ

ثم أحضر الصنَّاع، وأمرهم بنحت تلك الحجارة، وتصيرها ألواحاً، وإصلاح تلك الجواهر، ونقب اليواقيت واللآلئ، وبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر

---

(١) قاله مجاهد وابن قتيبة. انظر: زاد المسير: ٦/٢٣٥.

(٢) هكذا وردت في الأصل. وفي البغوي: (الميها). ولعلها: (المها)، كما ستمر قريباً. انظر: تفسير البغوي: ٣/ ٤٧٥.

(٣) الربض: بفتح الباء وضمها وسكونها وسط الشيء، وبتحريك الباء: نواحيه، وجمعها أرباض. والربَض حريم المسجد. قال ابن خالويه: رُبُض المدينة أساسها. وربَض المدينة ما حولها. وفي حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا زعيم ببيت في رَبَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)). انظر: سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب حسن الخلق: ٤/٢٥٣، رقم الحديث: ٤٨٠٠، ولسان العرب: ٧/١٥٢، وتهذيب اللغة: ١٢/٢٥

والأخضر، وعمَّده بأساطين[١] المُها[٢] الصافي، وسقَفَه بألواح الجواهر الثمينة، وفصَّصَ[٣] سُقُوفَهُ وحيطانهُ باللآلئ والياقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج[٤]، فلم يكن في الأرض يومئذٍ بيتٌ أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، حتى كان يضيء في الظلمةِ كالقمر ليلةَ البدر.

فلما فرغ منه جمع أحبار بني إسرائيل، فأعلمهم أنه بناه لله تعالى، وأن كل شيء فيه خالص لله عزَّ وجلَّ، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((فلما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس، سأل ربه ثلاثاً،/ فأعطاه اثنتين، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة؛ سأل حكماً يُصادفُ حكمه، فأعطاه إياه، وسأل مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله أن لا يأتي أحدٌ هذا البيتَ يصلي فيه ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه)).[٥]

١٥١/ب

قالوا: فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان، حتى غزاهُ (بخُت نصَّر)، فخَرَّبَ المدينةَ وهدمها[٦]، ونقض المسجدَ، وأخذ ما كان في سقوفِهِ وحيطانِهِ من

---

(١) الأساطين جمع أسطوانة، وهي السارية المعروفة. انظر: لسان العرب: ٢٠٨/١٣.

(٢) المها: (لعلها المَهَاة) وهي الحجارة البيض التي تبرق. وهي البلور. والمهاة: البلورة التي تبصُّ لشدة بياضها. انظر: لسان العرب: ٢٩٩/١٥.

(٣) لم أقف على معنى يتلاءم والعبارة لفعل (فصص)، ولعله (فضض) بمعنى رصّع بالفضة. يقال: شيء مفضض أي مموّه أو مرصع بالفضة. وحكى سيبويه: تفضيت من الفضة أراد تفضضت. انظر: لسان العرب: ٧/ ٢٠٨.

(٤) الفيروزج: ضرب من الأصباغ. انظر: لسان العرب: ٣٤٥/٢.

(٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً؛ حكماً يصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)). فقال النبي ﷺ: ((أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة)). إسناد طريق ابن ماجه ضعيف لأن عبد الله بن الجهم لا يعرف حاله، وأيوب بن سويد متفق على ضعفه. انظر: سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس: ١/ ٤٥٢، رقم الحديث: ١٤٠٨.

(٦) انظر: معجم البلدان: ٢٤٧/١، ٥٦٨/١، ١٦٤/٥، ٤٧٢/٥.

الذهب والفضة والدر والياقوتِ وسائر الجواهر، فحمله إلى دار مملكته من أرض العراق، وبنى الشياطينُ لسليمان باليمن حُصُوناً كثيرة عجيبة من الصخر(١)، والله أعلم.

ومعنى قوله: ﴿ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ أي: صوراً من نحاس(٢) وصفر وزجاج ورخام(٣)، وقيل: كانوا يُصورون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد، ليراها الناس فيزدادوا عبادةً(٤).

قلتُ: ولعلَّها كانت مباحةً في شريعتهم(٥)، والله أعلم.

والجَفَنَةُ: القصعةُ العظيمةُ(٦)، قيل: كان يقعدُ على الجفنةِ الواحدةِ ألف رجل يأكلون منها.

ومعنى قوله: ﴿ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ أي: ثابتات، قوائمها لا تتحرك عن أماكنها/ لعظمها. وكان يُصعد عليها بالسلالم، وكانت باليمن. ١٥٢/أ

ومعنى قوله: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا ﴾ أي: وقلنا اعملوا آل داود طاعة لله، وشكراً على نعمهِ.

ومعنى قوله: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ أي: العامل بطاعتي قليل.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٤٧٦/٣.

(٢) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ٢٣٥/٦.

(٣) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٢٣٥/٦.

(٤) قاله ابن السائب. انظر: زاد المسير: ٢٣٥/٦.

(٥) هذا التعليل يحتاج إلى بينة وتوثيق، وإني أستبعد أن تكون صور الملائكة والأنبياء مباحة في شريعتهم، إذ أن هذا الأمر مما يخالف ثوابت العقيدة، وأصول التوحيد الذي توحدت أهداف الرسالات السماوية في الدعوة إليه، وتوافقت جميع الشرائع النبوية في الحض عليه. ثم إن جميع هذه الشرائع متحدة في أحكامها من حلٍّ الحلال، وحرمة الحرام. فدين الله واحد. وما اختلاف الشرائع إلا في الفقه والفروع، وطرق أداء العبادة والمعاملة، ووسائل التهذيب والأخلاق. أما أصول العقيدة وأركان الإيمان فثابتة واحدة. لا خلاف فيها ولا اختلاف.

(٦) الجفنة: معروفة، وهي أعظم ما يكون من القصاع. والجمع جفان وجِفَن. انظر: لسان العرب: ٨٩/١٣.

قال جعفر بن سليمان[١]: سمعتُ ثابتاً[٢] يقول: كان داود نبي الله قد جزّأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم تكن ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي[٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾.

قال أهل العلم: كان سليمان عليه السلام يتحرّى[٤] ببيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك، يُدخلُ طعامَهُ وشرابَهُ فيه، فأدخله في المرة التي ماتَ فيها.

وكانَ بدءُ ذلك أنه كان لا يصبحُ يوماً إلا نبت في محرابهِ ببيت المقدس شجرةٌ، فيسألها ما اسمك؟ فتقول: كذا، فيقول: لأي شيءٍ نبتِّ؟ فتقول: لكذا وكذا، فيأمرُ بها فتقطع، فإن كانت نبتت لغرسٍ غرسها، وإن كانت/ نبتت لدواءٍ كُتب، حتى نبتت شجرةُ الخَرُّوبَةِ[٥] فقال لها: ما أنت؟ قالت: الخرُّوبَةُ، قال: لأي شيء نبتِّ؟ قالت: ١٥٢/ب

---

(١) جعفر بن سليمان الضبعي، أبو سليمان البصري، مولى بني الحريش. كان ينزل في بني ضبيعة فنسب إليهم. روى عن ثابت البناني وغيره كثير. وثّقة ابن معين، وروى له البخاري في الأدب، وقال: كان أمّياً. وقال محمد ابن سعد: كان ثقة وبه ضعف، وكان يتشيع. مات في رجب سنة ١٧٨ هـ. انظر: تهذيب الكمال: ٤٣/٥، رقم الترجمة: ٩٤٣.

(٢) ثابت بن أسلم البُناني، أبو محمد البصري. قال البخاري: له نحو مئتين وخمسين حديثاً. وثّقه النسائي، وقال العجلي: ثقة رجل صالح. وقال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري ثم ثابت ثم قتادة. وقال ابن عدي: هو من تابعي أهل البصرة وزهّادهم ومحدّثيهم. وقد كتب عنه الأئمة الثقات واشتهر بصلاحه. روى له الجماعة. مات سنة ١٢٣هـ، وقيل: ١٢٧ هـ. وهو ابن ٨٦ سنة. انظر: تهذيب الكمال: ٣٤٨/٤، رقم الترجمة: ٨١١، و: ٤٣/٥، رقم الترجمة: ٩٤٣.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٣٠/٥، وتفسير البغوي: ٤٧٦/٣.

(٤) يقال: تحرّى فلان بالمكان أي: تمكّث. يتحرّى: يمكث. انظر: لسان العرب: ١٧٤/١٤.

(٥) الخرّوبة: (شجرة الينبوت)، وقيل: الينبوت الخشخاش. وهي نبت معروف من شوك، وهو ضربان: أحدهما الينبوتة، وهي شوك يستوقد به يرتفع الذراع، ذو أفنانٍ وحَملٍ أحَمُّ خفيف كأنه نُفّاخ، وهو بشع لا يؤكل إلا في الجَهد. وفيه حَبُّ صُلب زَلال. والآخر يقال له: الخروب الشامي، وهو حلو يؤكل، وله حب كحب الينبوت إلا أنه أكبر، وثمره طوال كالقثاء الصغير إلا أنه عريض، ويتخذ منه سُويق ورُبٌّ. انظر: لسان العرب: ٣٥٠/١.

لخراب مسجدك، قال سليمان عليه السلام: ما كان الله ليُخربَهُ وأنا حيٌّ، ثم أمر بنزعها وغرسها في حائط، ثم قال: اللهم عمِّ على الجنِ موتي، حتى تعلمَ الإنسُ أن الجنَ لا تعلمُ الغيبَ، وكانت الجنُ تخبرُ الإنسَ أنهم يعلمون الغيبَ.

ثم دخل المحرابَ، فقام يصلي متكأً على عصاه، فمات قائماً، وكان للمحراب كِوىً[1] من بين يديه ومن خلفهِ، وكانت الجنُ يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته، ينظرون إليه يحسبونَ أنه حيٌّ، ولا ينكرون احتباسَهُ عن الخروج إليهم، لطول صلاته قبل ذلك. فمكثوا بعد موته حولاً كاملاً على ذلك، حتى أكلت الأرَضَةُ عصا سليمان، فخرَّ ميتاً، فعلموا موتَهُ.

قال ابن عباسٍ [رضي الله عنهما]: فشكرت الجنُ الأرَضَةَ[2]، فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب، فذلك قوله تعالى: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ أي: عصاه.

قرأ أهل المدينةِ وأبو عمرو بغير همزٍ (منسَاتَه)، وقرأ الباقون بالهمز[3]، وهما/ لغتان، ويسكِّنُ ابنُ عامرٍ الهمزَ. وأصلها من نسأتُ الغنمَ، أي: زجرتُها. ومنه: نسَأ اللهُ في أجلهِ[4]، يعني: أخَّرَهُ[5]. | ١٥٣/أ

---

(١) وردت في الأصل: (لِوَاً)، وصوابها: (كِوىً)، كما في تفسير البغوي: وهي جمعٌ مفرده كوّ وكَوّة. وهي الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه. انظر: لسان العرب: ٢٣٦/١٥، وتفسير البغوي: ٤٧٦/٣.

(٢) الأرَضَة بالتحريك: دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع. وهي ضربان. ضرب صغار مثل كبار الذّر، وهي آفة الخشب خاصة. وضرب مثل كبار النّمل، ذوات أجنحة، وهي آفة كل شيء من خشب ونبات، غير أنها لا تعرض للرطب، وهي ذوات قوائم والجمع أرَض. انظر: لسان العرب: ١١٣/٧.

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو: (مِنْسَاتَه) بألف من غير همز. وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة (منسأته) وروى ابن ذكوان عن ابن عامر بإسكان الهمزة (منسأته). انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٢٧، والكشف: ٢٠٣/٢، والنشر: ٢٦٢/٢.

(٤) عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنْسَأ له في أثره فليصل رحمه))، ومعنى ينسأ له في أثره يؤخر له في أجله. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم: ٩٤/٧، رقم الحديث: ٥٩٨٦. ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها: ٤/ ١٩٨٢، رقم الحديث: ٢٥٥٧.

(٥) انظر: لسان العرب: ١٦٦/١.

ومعنى: ﴿ خَرَّ ﴾ سقط على الأرض. ومعنى ﴿ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ ﴾ أيقنت الإنسُ أن الجن لا يعلمون الغيب.

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: (تبينت الإنسُ أن لو كان الجنُ يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)[١]. وقرأ يعقوبُ: (تُبُينت) بضم التاء والباء وكسر الياء[٢]، أي: أُعلِمت الإنس أن الجنَّ لا يعلمون الغيب، بناءً على ما لم يُسمَّ فاعِلُهُ.

وذكر أهل التاريخ أن سليمان عليه السلام كان عمره ثلاثاً وخمسين سنةً، ومدة ملكهِ أربعين سنةً، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكهِ[٣]، والله أعلم.

---

(١) ومن ذلك قراءة ابن عباس والضحاك وأبي عبد الله وعلي بن الحسين: (تبينت الإنس) قال أبو الفتح عثمان بن جني: أي تبينت الإنس أن الجن لو علموا بذلك ما لبثوا في العذاب. يدل على صحة هذا التأويل ما رواه معبد عن قتادة. قال: في مصحف عبد الله (تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا). انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ١٨٨/٢.

(٢) روى رويس (تُبُيِّنت) بضم التاء والباء وكسر الياء على ما لم يسمَّ فاعله. وقرأ الباقون بفتح التاء والباء والياء. انظر: النشر: ٢٦٢/٢.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٢٨/١، ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي: ٥٧/١.

قصة أهل سبأ

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾/. ١٥٣/ب

روى النخعي[١] عن فروة[٢] بن مُسيك الغطيعي، قال: قال رجل: يا رسول الله، أخبرنا عن سبأ رجلاً كان أو إمرأةً، أو أرضاً؟ قال: ((كان رجلاً من العرب ولد عشرةً من الولد؛ تيامن[٣] منهم ستة، وتشاءمَ[٤] أربعة. فأما الذين تيامنوا؛ فكِندَةُ[٥]، والأشعريّون[٦]، والأزد[٧]،

---

(١) الحسن بن الحكم النخعي أبو الحسن الكوفي. وثّقه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل، وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وذكره ابن حبان في المجروحين، وقال: يخطئ كثيراً ويهم شديداً، ولا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد. روى له أصحاب السنن. قال الذهبي: مات سنة بضع وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال: ١٢٨/٦، رقم الترجمة: ١٢١٨.

(٢) فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بنْ الحارث بن كريب المرادي ثم الغطيفي، له صحبة. قدم على النبي ﷺ سنة تسع فأسلم، ثم انتقل إلى الكوفة فسكنها. روى عن النبي ﷺ وروى له الترمذي وأبو داود. انظر: تهذيب الكمال: ١٧٥/٢٣، رقم الترجمة: ٤٧٢٠.

(٣) تيامن: يقال: يامن القوم وأيمنوا إذا أتوا اليمن، أي سكنوا اليمن. انظر: لسان العرب: ٤٥٩/١٣.

(٤) تشاءم الرجل إذا أخذ نحو شماله، وأشأم وشاءم إذا أتى الشام، أو سكن الشام. انظر: لسان العرب: ٣١٥/١٢.

(٥) كندة وهو كِنْدِي واسمه ثور، وكندة من قولهم: كَنَدَ نعمة الله عزّ وجلّ أي كفرها. وفي التنزيل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [العاديات]. انظر: كتاب الاشتقاق: ص: ٣٦٢.

(٦) رجال الأشعريين: الجماهر، والأتغم، والأرغم، والأدغم، وجُدَّة، وعبد شمس، وعبد الثريا. انظر: كتاب الاشتقاق: ص: ٤١٦.

(٧) الأسْد والأزد من قولهم أسِدَ الرجل إذا تشبه بالأسد. ومازن بن الأسد أكبر ولده. انظر: الاشتقاق: ص: ٤٣٥.

ومُدلِج[١]، وأنمار، وحِمْيَر[٢]. فقال رجل: وما أنمار؟ قال: الذين منهم بُجيلة[٣]، وخثعم[٤]. وأما الذين تشاءموا؛ فعاملة، وجُذام[٥]، ولخم[٦]، وغسان[٧])).

وسبأ هو يشجب بن قحطان[٨].

---

(١) ورد في الأصل: (مدلج)، والصواب: (منحج). ومذحج هم رجال بني سعد يسمون مذحج ولد مالك بن أدد. وهو منحج. (ومنحج) أكَمَة ولدت عليها أمهم فسموا مذحجاً. انظر: كتاب الاشتقاق: ص: ٣٩٧.

(٢) حمير واسمه عرنجج، وزعم بعضهم سبب تسميته لأنه كان يلبس حلة حميراء. ومن قبائل حمير بنو عريب. انظر: كتاب الاشتقاق: ص: ٥٢٣.

(٣) وهم أخوة خثعم، وبجيلة أمهم، وهم بنو أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث، وإنما سموا (خثعم) بجمل يقال له: خثعم، فكان يقول: احتمل آل خثعم، ونزل آل خثعم. واشتقاق (بجيلة) من الغِلَظ. ثوب بجيل أي غليظ. انظر: كتاب الاشتقاق: ص: ٥١٥.

(٤) اسم خثعم: أفتل، من قولهم: بعير أفتل، وهو الذي يتباعد منكباه عن زوره. ومنهم بنو عِفرس. انظر: كتاب الاشتقاق: ص: ٥٢٠.

(٥) رجال جذام واسمه عمرو ورجاله بنو حَرَام وبنو حِشْم، منهما تفرعت جذام. انظر: كتاب الاشتقاق: ٣٧٥

(٦) لخم: وهو لخم بن عدي واشتقاقه من الغِلَظ والجفاء، ومن لخم بنو جزيلة وبنو نُمارة. انظر: كتاب الاشتقاق: ص: ٣٧٦.

(٧) أخرج الترمذي في سننه بسنده، قال: أخبرنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك المرادي قال: ((أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فأذن لي في قتالهم، وأمرني، فلما خرجت من عنده سأل عني ما فعل الغطيفي؟ فأُخبِر أني قد سرت. قال: فأرسل في أثري، فردني فأتيته وهو في نفر من أصحابه، فقال: ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه، ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك. قال: وأنزل في سبإٍ ما أنزل. فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار. فقال رجل: يا رسول الله وما أنمار؟ قال الذين منهم خثعم وبجيلة)). وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، أبواب ومن سورة سبأ: ٣٥٦/٨، رقم الحديث: ٣٢٢٠.

(٨) سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، من كبار ملوك اليمن في الجاهلية الأولى. قيل اسمه: عبد شمس، وقيل: عامر. ويظن أنه كان في القرن العشرين قبل الميلاد، ملك صنعاء وما جاورها. ووصفه مؤرخوه بالشجاعة وعلو الهمة. بنى مأرب وفيها السد. وهو أول من خطب في الجاهلية، ولم تكن معروفة قبله، وأول من فتح البلاد، وأخذ الأتاوات، وأعقب نسلاً كثيراً. مات باليمن. انظر: جمهرة الأنساب: ص: ٣١٠، وتاريخ ابن خلدون: ٤٦/٢، والأعلام: ٧٦/٣.

قرأ حمزة وحفص: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ﴾ بفتح الكاف، وقرأ الكسائي: بكسر الكاف، وقرأ الآخرون: (مساكنهم) على الجمع(١). وكانت مساكنهم بمأرِب من اليمن. ﴿ ءَايَةٌ ﴾ دلالةٌ على وحدانيَّتنا وقُدرتنا. ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ بستانان عن يمين الوادي وشماله، وقد أحاطت الجنتان بذلك الوادي. ﴿ كُلُوا ﴾ أي: وقيل لهم: ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ أي: من ثمارِ الجنتين. قال السُدِّي ومقاتل:/ كانت المرأة تحمل مِكتَلَها على رأسها، وتمرُّ بالجنتين(٢)، فيُملأُ المكتلُ من أنواع الفواكه، من غير أن تمسَّ شيئاً بيدها. وقوله: ﴿ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ ﴾ أي: على نعمه. | ١٥٤/أ

وقوله: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ يعني: أرض سبأ. قال ابن زيد: لم يكن في بلدتهم بعوضة، ولا ذباب، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حيَّة. وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل، فيموت القمل من طيِّب الهوى. فذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ أي: طيِّبة الهوى. ومعنى قوله: ﴿ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ أي: للذنوب(٣).

ومعنى قوله: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ قال ابن الأعرابي(٤): العَرِمُ السيل الذي لا يطاق(٥)، وقيل: العرم الوادي.

---

(١) قرأ حمزة وحفص عن عاصم وخلف ﴿ مَسْكَنِهِمْ ﴾، بفتح الكاف بغير ألف. وقرأ الكسائي (مسكِنِهم) بكسر الكاف وبغير ألف. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (مساكنهم) بألف على الجمع. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٢٨، والكشف: ٢٠٤/٢، والنشر: ٢٦٢/٢.

(٢) وردت في الأصل: (بالجنين)، وهو خطأ لا معنى له.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٤٧٧/٣، ٤٧٨.

(٤) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي أبو عبد الله. راوية ناسب عالم باللغة ومن أهل الكوفة، ولد سنة ١٥٠ هـ. أخذ عنه ثعلب، وكان غزير الشعر، ربيب الفضل بن محمد صاحب المفضليات. مات بسامراء سنة٢٣١ هـ. تصانيفه كثيرة؛ منها: النوادر، وتفسيرالأمثال، والبئر. انظر: تاريخ بغداد: ٢٨٢/٥، والفهرست: ص: ٦٩، والأعلام: ١٣١/٦.

(٥) العَرِم: جمع العِرمَة، وهي السِّكْرُ والمسنَّاة التي تسد بها المياه وتقطع. وقيل: اسم واد بعنيه، وقيل: المطر الشديد، وقال البخاري: العرم ماء أحمر حفر في الأرض حتى ارتفعت عنه الجنان فلم يسقها فيبست، وليس الماء الأحمر من السد، ولكنه كان عذاباً أرسل عليهم. وقيل: اسم للجُرَذ الذي نقب السِّكْرَ عليهم، وهو الذي يقال له:

وذلك أن الله تعالى أرسل إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً، فدعوهم إلى الله تعالى، وذكَّروهم نِعَمهُ عليهم، وأنذروهم عقابهُ، فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة، فقولوا لربكم: يحبس عنا هذه النعمة إن استطاع، فذلك قوله: ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾.

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: كان ذلك السَّدُّ قد بنته بلقيس، وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء ذلك الوادي، فمرت به، فأمرت بواديهم فسُدَّ بالعرم، وهو (المسنَّاة)[1] بلغةِ/ حِمْيَر. فسدَّت بين الجانبين بالصُّفْر والقارِ، وجعلت له أبواباً ثلاثةً، بعضها فوق بعض، وبنت من دونَهُ بُرْكَةً ضخمةً، وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً، على عدَّةِ الأنهارِ، يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا سدُوها، وإذا جاء المطر اجتمع إليه ماءُ أودية اليمن، واحتُبِسَ السيلُ من وراءِ السدِّ، فأمرت بالباب الأعلى ففتح، فجرى ماؤه في البُرْكَةِ، فكانوا يستقون من الباب الأعلى، ومن الثاني، ثم من الثالث، الأسفل فالأسفل. وكانت تقسمُهُ بينهم على ذلك. فبقوا بعدها على ذلك مدةً، فلما طغوا وكفروا سلَّط الله عليهم جُرذاً يسمَّى (الخلد) فنقَّب السَّدَّ من أسفله فَغرَّقَ الماءُ جنانَهُم، وخرَّبَ أرضهم. ١٥٤/ب

قال وهبٌ: وكان مما يزعمون ويجدون في علمهم وكهانتهم أنه يُخرِّبُ سدَّهُم فأرة، فلم يتركوا فُرجَةً بين جحرين إلا ربطوا عندها هِرَّة، فلما جاء ما أراد الله بهم، أقبلت فيما يذكرون فأرة كبيرة حمراء إلى هرةٍ من تلك الهررِ فساررتها، حتى استأخرت الهرةُ، فدخلت في الفُرجَةِ التي كانت عندها، فتغلغلت في السدِّ/ ونَقَبَتْهُ حتى ذهبَ السيلُ وهم لا يدرون ذلك، فلما جاء السيلُ وجد خللاً فدخل فيه، حتى قطع السَّدَّ، ١٥٥/أ

الخلد. قاله الزجاج. انظر: معجم البلدان: ١١٠/٤، وزاد المسير: ٢٣٠/٦، وتفسير البغوي: ٤٧٨/٣، ومعاني القرآن وإعرابه: ٢٤٨/٤.

(١) العَرِم: المسناة، لا واحد لها من لفظها. ويقال: واحدها عَرِمة. وأنشد ابن بري للجعدي:

من سبإِ الحاضري مأرب إذ شرَّد من دون سيله العَرِمَا

انظر: لسان العرب: ٣٩٦/١٢، والصحاح: ١٩٨٣/٥.

وفاض على أموالهم فغرَّقها، ودفن بيوتهم الرملُ، وتفرقوا وتمزقوا حتى صاروا مثلاً عند العربِ(١).

ومعنى قولـــه: ﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ قرأت العامةُ أُكُلٍ بالتنوين، وقرأ أهل البصرةِ بالإضافةِ (أُكْلِ خمطٍ)(٢). والخمطُ: الأراكُ، وثمرُهُ يقالُ له: البربرُ.

وقال الزَّجَّاجُ: كل نبتٍ قد أخذ طعماً من المرارةِ يقالُ له: خمطٌ(٣). والأثلُ: شجرٌ معروف شبيهٌ بالطرفاء إلا أنه أعظمُ منه(٤). والسدر: شجر النَّبِق(٥)، لكن سدرَ أهل سبأ كان لا يُنتَفعُ بورقهِ ولا نبقه عقوبةً لهم. قال قتادة: كان شجر القومِ من خير الشجر، فصيَّرهُ الله من شر الشجر بسوء أعمالهم(٦).

فذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ ﴾ بالنون، وقرأ الآخرون: بالياء(٧)، أي: وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلا الكفور.

---

(١) فيقال في المَثَل: صار بنو فلان أيدي سبأ وأيادي سبأ، أي: تفرقوا وتبددوا. انظر: الدرالمنثور: ٤٣٦/٥، وتفسير البغوي: ٤٧٨/٣.

(٢) قرأ أبو عمرو (البصريان): (أُكْلِ خمطٍ) مضافاً من غير تنوين مع سكون الكاف. وقرأ الجمهور بتنوين (أكلٍ). وخفف الكاف (سكَّنها) في: (أُكْل) نافع وابن كثير، وحرَّكَها بالضم الباقون: (أُكُل). انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٢٨، ٥٢٩، والكشف: ٢٠٦/٢، والنشر: ٢٦٢/٢.

(٣) يقال لكل نبت قد أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله خمط. وفي كتاب الخليل: الخمط شجر الأراك وقد جاء في التفسير أن الخمط شجر الأراك وأكله ثمره. قال الله تعالى: ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾. [إبراهيم: ٢٥]. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٤٩/٤.

(٤) الأثل: شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عوداً، تسوى به الأقداح الصفر الجياد. ومنه اتخذ منبر سيدنا محمد ﷺ. انظر: لسان العرب: ١٠/١١.

(٥) النبِّق: بفتح الباء وكسرها وسكونها. ثمر السدر. انظر: لسان العرب: ٣٥٠/١٠.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ٤٧٩/٣.

(٧) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف ويعقوب بالنون ﴿ نُجَٰزِى ﴾ ونصب ﴿ ٱلْكَفُورَ ﴾ على أنه مفعول منصوب بوقوع الفعل (نجازي) عليه. وأدغم الكسائي وحده اللام من (وهل) في النون (نجازي). وقرأ ابن كثير

ومعنى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾/ أي: باركنا فيها بالماء والشجر، وهي قرى الشام. ١٥٥/ب

ومعنى: ﴿ ظَـٰهِرَةً ﴾ أي: متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام، فكانوا يبيتون بقرية، ويقيلون بأخرى، وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زادٍ من سبأ إلى الشام، وعدد قُراهُم أربعةُ الآف وسبعمئة قريةٍ متصلة من سبأ إلى الشام.

ومعنى قوله: ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ أي: قدَّرنا سيرَهم بين هذه القرى، فكان سيرهم في الغدوِّ والرواح على قدر نصف يوم، يصلون إلى قريةٍ ذاتِ مياهٍ وأشجارٍ.

قال قتادة: كانت المرأةُ تخرج ومعها مِغزلُها، وعلى رأسها مِكتَلُها، فلا تأتي بيتَها حتى يمتلأ مكتلها من الثمار، فكان ما بين اليمن والشام كذلك.

ومعنى قوله: ﴿ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ هو أمر بمعنى الخبر، أي: سيروا أيَّ وقتٍ شئتم آمنين لا تخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً.

﴿ فَقَالُوا۟ ﴾ بطراً وطغياناً، ولم يصبروا على العافية:﴿ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ واجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركبَ فيها الرواحل،/ ونتزود فيها الأزوادَ. ١٥٦/أ

قال مجاهد: بطروا النعمةَ، وسئموا الراحة، فعجَّل الله لهم الإجابة.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (بَعِّد) من التبعيد، وقرأ الآخرون (باعد) بألفٍ[1]، وقرأ يعقوبُ (ربُنا) برفع الباء (باعَدَ) بفتح العين[2]، أي: بالبطر والطغيان.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ عبرة لمن بعدهم. ومزّقهم الله في البلاد كل ممزَّق.

ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بالياء (يُجَازَى) ورفع (الكفورُ) على أنه مفعول لم يسمَّ فاعله. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٢٨ــ٥٢٩، والكشف: ٢٠٦/٢، والنشر: ٢٦٢/٢.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام (بعِّد) مشددة بغير ألف. وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (باعد) بألف وكسر العين مخففة. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٢٩، والكشف: ٢٠٧/٢، والنشر: ٢٦٢/٢.

(٢) انظر: النشر: ٢٦٢/٢.

قال الشعبي: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد؛ أما غسان فلحقوا بالشام، والأزد بعمان، وخُزاعة بتهامة[١]، وآل جُذيمة بالعراق، والأوس والخزرج بيثرب. وكان الذي قدم منهم[٢] عمرو بن عامر وهو جدُّ الأوس والخزرج.

ومعنى قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أي لعبرة ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ عن المعاصي، ﴿ شَكُورٍ ﴾ للنعم.

قال مقاتل: يعني المؤمن من هذه الأمةِ صبور على البلاءِ، شكور على النعماءِ[٣].

وقال مطرف بن عبد الله: هو المؤمن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلِي صبر[٤]، والله أعلم.

---

(١) تهامة: طرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج، وأول تهامة من قبل نجد ذات عرق. وما سال من الحرتين حرة سُليم وحرة ليلى فهو تهامة والغور حتى يقطع البحر. انظر: معجم البلدان: ٦٣/٢.

(٢) أي إلى المدينة. انظر: تفسير البغوي: ٤٨٠/٣.

(٣) هكذا وردت في الأصل. والأقرب للصواب: (شكور للنعماء)، كما في: تفسير البغوي: ٤٧٩/٣ــ٤٨٠.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٤٧٩/٣ــ٤٨٠.

سورة الملائكة عليهم السلام

خمس وأربعون آية[١] مكيَّة[٢].

وفيها من الآيات/ المتضمنة لخوف الله وخشيته لأهلِ المعرفةِ به، وأن الله تعالى وعدهم من الثوابِ ما لم ترَ عينٌ، ولم تسمع به أُذنٌ، وأن ورثةَ الكتابِ هم أهلُ صفوة الله، وأن الجنةَ لهم على سبيل الميراثِ من غير عملٍ، بل يدخلونها برحمةِ الله: ١٥٦/ب

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ قال ابن عباسٍ [رضي الله عنهما]: يُريدُ إنما يخافني من خلقي مَن علِم جبروتي وعزتي وسلطاني[٣].

قالت عائشة رضي الله عنها: ((صنع رسولُ الله ﷺ شيئاً، فتنزه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب الناسَ، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: ما بالُ أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فو الله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية)). رواه البخاري[٤]. وقال مسروق[٥]: كفى بخشيةِ الله علماً، وكفى بالاغترارِ بالله جهلاً.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ في ملكه ﴿ غَفُورٌ ﴾ لذنوب عباده.

---

(١) هي ست وأربعون آية في عدِّ المدني الأخير والشامي. وخمس وأربعون في عدِّ الباقين. واختلافهم في سبع آيات. انظر تفصيلها في: البيان: ص: ٢١٠، وبصائر ذوي التمييز: ٣٨٦/١.

(٢) بإجماعهم. انظر: زاد المسير: ٢٥٥/٦.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٦٣/٦، وتفسير البغوي: ٤٩٢/٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في روايتين: الأولى: ((فرخَّص فيه فتنزَّه عنه قوم)). كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب: ١٢٦/٧، رقم الحديث: ٦١٠١. والثانية: ((ترخص فيه وتنزه عنه قوم)). كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب مايكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع: ٤٩٦/٨، رقم الحديث: ٧٣٠١.

(٥) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمذاني الوادعي أبو عائشة، ويقال: سلامان بن معمر بن الحارث. قال الخطيب: سُرِق وهو صغير ثم وُجِدَ فسمِّيَ مسروقاً. وأسلم أبوه الأجدع. روى عن عائشة وكبار الصحابة ﷺ، وعدَّه محمد بن سعد في الطبقة الأولى لأهل الكوفة، وقال: كان ثقة، وله أحاديث صالحة. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، أحد أصحاب عبد الله بن مسعود ﷺ، اشتهر بالفتوى والصلاح. مات سنة ٦٢ هـ، وله ٦٣ سنة. وروى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال: ٤٥٧/٢٧، رقم الترجمة: ٥٩٠٢.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾. يريد بكتاب الله القرآنَ/ ومعنى: ﴿ لَّن تَبُورَ ﴾ لن تهلك. والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب، وهي تجارةٌ رابحةٌ. إذ الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى مالا يحصى[1]. أ/١٥٧

ومعنى قوله: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهم]: يغفر العظيم من ذنوبهم، ويشكر اليسيرَ من أعمالِهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾ يعني: القرآن. ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكُتُب.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ يعني: القرآن جعلناه ينتهي إلى ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وقيل: ﴿ ثُمَّ ﴾ هنا بمعنى الواو، أي: وأورثنا[2]. كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[البلد: ١٧]. ومعنى: ﴿ أَوْرَثْنَا ﴾ أعطينا، قاله مجاهدٌ[3]. وقيل: ﴿ أَوْرَثْنَا ﴾ أخَّرْنَا، ومنه الميراث؛ لأنه يتأخر عن الميت. ومعناه: أخَّرْنَا القرآن عن الكتب المتقدمةِ، وأعطيناكموه، وأكرمناكم به[4].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ قال ابن/ عباس [رضي الله عنهما]: يريدُ أمةَ محمد ﷺ، قسَّمهم ورتَّبهم؛ فمنهم ظالم لنفسه، قال رسول الله ﷺ: ((كلهم من أ/١٥٨

---

(١) استقراءً من قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة].

(٢) وردت في الأصل: (وأورثا)، وهو خطأ.

(٣) لأنه الميراث عطاءً. انظر: زاد المسير: ٢٦٤/٦، وتفسير البغوي: ٤٩٢/٣.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٦٥/٦، وتفسير البغوي: ٤٩٢/٣.

هذه الأمة))[١]. قال أبو عثمان النهدي: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر هذه الآية، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((سابقُنا سابق، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالمُنا مغفور له))[٢].

واختلفَ المفسرونَ في معنى الظالم، والمقتصد، والسابق؛ فروي عن أبي الدرداء[٣] [ﷺ] أنه سمع رجلاً في المسجد، وهو يقول: اللهم ارحم غُربتي، وآنس وحشتي، وسُق إليَّ جليساً صالحاً. فقال أبو الدرداء [ﷺ]: لئن كُنتَ صادقاً، لأنا أسعدُ بك منك، سمعتُ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ قال: أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيُحبس في المقام حتى يدخله الهمُّ، ثم يُدخل الجنة. ثم قرأ هذه الآية ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

---

(١) أخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن أسامة بن زيد ﷺ. ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾. قال رسول الله ﷺ: ((كلُّهم من هذه الأمة، وكلُّهم في الجنة)). انظر: الدر المنثور: ٤٧٢/٥.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف رقم: ١٣٩. رواه سعيد بن منصور بن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازي عمن سمع عمر فذكره موقوفاً. وذكره السيوطي في الدر من رواية سعيد بن منصور، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في البعث عن عمر بن الخطاب ﷺ موقوفاً، ولم يثبت في المرفوع. وروى أحمد في المسند: ٣١٢/٤ عن أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: ((هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة)). قال أبو قلابة: فحدثت به يحيى بن معين، فجعل يتعجب منه. انظر: زاد المسير: ٢٦٥/٦، وتفسير البغوي: ٤٩٣/٣.

(٣) وسنده: أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان عن الأعمش، عن رجل، عن أبي ثابت أن رجلاً دخل المسجد وهو يقول: اللهم ارحم غربتي.. الحديث. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. انظر: كنز العمال: ٤٨٦/٢، رقم الترجمة: ٤٥٦٤، وتفسير البغوي: ٤٩٣/٣.

دخل في جُملة المقتصدين، فإذا صحَّت التوبة، وكثرت العبادة والمجاهدة ،دخل في عداد السابقين(١)، والله أعلم. والفضل الكبير إيراثُهم الكتاب.

ثم أخبر بثواب هؤلاء فقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ ﴾ يعني: الأصنافَ الثلاثةَ. قرأ أبو عمرو: (يُدخَلُونَهَا) على بناءِ ما لم يُسمَّ فاعلُهُ، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء(٢).

فإذا دخلوها قالوا: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ ﴾. قيل: المراد بهذا الحزن حزن النار(٣)، وقيل: الموت(٤)، وقيل: حزن العاقبة(٥)، لأنهم لا يدرون ما يُفعل بهم، وقيل: حزن ردِّ الطاعاتِ(٦)، وقيل: خوف أهوال القيامةِ،/ وقيل: هم الخُبز في الدنيا(٧). ١٥٩/ب

وقال الزَّجَّاج: أذهب الله عن أهل الجنة كلَّ الأحزان(٨).

وقال رسول الله ﷺ ((ليس على أهل لا إله إلا الله وحشةٌ في قبورهم، ولا في منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن وجوههم، أو قال رؤوسهم، ويقولون: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ ﴾))(٩).

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٤٩٣/٣.

(٢) قرأ أبو عمرو وحده برفع الياء (يُدْخَلونها) والباقون بنصبها ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ . وروى عن ابن كثير مثل أبي عمرو برفع الياء. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٣٤، والكشف: ٢١١/٢، والنشر: ٢٦٤/٢.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير البغوي: ٤٩٤/٣.

(٤) قاله قتادة. انظر: تفسير البغوي: ٤٩٤/٢.

(٥) قاله القاسم. انظر: تفسير البغوي: ٤٩٤/٣.

(٦) قاله عكرمة. انظر: تفسير البغوي: ٤٩٤/٣.

(٧) قاله سعيد بن جبير. أي: هم المعيشة. تفسير البغوي: ٤٩٤/٣.

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٠/٤.

(٩) أخرجه بسنده ابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان. وقال: غير قوي. وإسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الأربعين وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما. انظر: الكامل لابن عدي: ٦٥/٢، ٢٧١/٤.

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝ ﴾ أي: لا يصيبنا فيها عناء، ولا مشقة، ولا إعياء من التعب[1]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٤/٤٩٤.

سورة يس على بركة الله[١]

مكيَّة[٢]. وقيل: إلا قوله: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ... ﴿١٢﴾ ﴾ نزلت في بني سلمة من الأنصار، حين أرادوا أن يتركوا ديارَهُم، وينتقلوا إلى جوار مسجد النبي ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ: ((دياركم تكتب آثاركم))[٣]، وكره رسول الله ﷺ أن يَعروا[٤] المدينةَ. والصحيح أن هذه الآية نزلت بمكة أيضاً[٥]، واحتج عليهم رسول الله ﷺ بها في المدينةِ.

وهي سورةٌ/ عظيمة، قال رسول الله ﷺ: ((لكل شيء قلبٌ، وقلبُ القرآن يس))[٦]. رواه أنس [رضي الله عنه]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إن في القرآن سورة يُشفّعُ قارئها ويُغفرُ لمستمِعها وهي يس))[٧]. ١٦٠/أ

---

(١) وهي ثلاث وثمانون آية في عدّ الكوفي. وآيتان وثمانون في عدّ الباقين. واختلافها آية: (يس) عدّها الكوفي، ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢١١، وبصائر ذوي التمييز: ١/٣٩٠.

(٢) قال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة والجمهور. وروى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إنها مكية إلا آية منها وهي (وإذا قيل لهم..). انظر: زاد المسير: ٦/٢٧١.

(٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد، قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: ((يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم)): انظر: صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة: ١/٤٦٢، رقم الحديث: ٢٨٠/٦٦٥.

(٤) وفي رواية: (أن تعرى)، أي: تخلو وتصير عَراء، وهو الفضاء من الأرض، وتصير دورهم في العراء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/٢٢٦.

(٥) ساق ابن كثير روايات عديدة في سبب نزول هذه الآية، ثم قال: وفيه غراية من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكمالها مكية، فالله أعلم. انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٥٦٦.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب. انظر: سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل يس: ٥/١٦٢، رقم الحديث: ٢٨٨٧.

(٧) أخرجه أبو نصر السجزي في الإبانة وحسَّنه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إن في القرآن لسورة تدعى العظيمة عند الله يدعى صاحبها الشريف عند الله، يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر، وهي سورة يس)). انظر: الدر المنثور: ٥/٤٨٣.

وقال يحيى بن أبي كثير[١]: بلغنا أنه من قرأ سورة (يس) ليلاً لم يزل في فرح حتى يُصبح[٢]. قال ابن عطية: ويصدِّقُ ذلك التجربةُ[٣].

قال ابن جبير: (يس)[٤] اسم محمد، دليلُهُ: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾. وقال السيِّد الحميري[٥]:

يا نفس لا تَمْحَضِي بالنُّصحِ مجتَهِداً علـــى المودة إلا آلَ ياسِينَـــا[٦]

وقيل: معناه يا إنسان بالحبشية، قاله ابن عباس[٧]. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما] أيضاً: هو بلغة طيءٍ، ويجمعونه على أياسين، فهذا منه. وقيل: (يس) اسم من أسماء السورة[٨]، وقيل: قسَمٌ[٩].

وفيها من الآيات المعلنة بفضل أهل الجنة وأنهم وأزواجهم فاكهون فرحون متَّكئون على الأسرَّةِ مشتغلون بافتضاض الأبكار وسماع الأوتار، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ

---

(١) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليماني، وثَّقه العجلي وأبو حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال العقيلي: كان يُذكَر بالتدليس. وقال أبو بكر بن أبي الأسود: مرسلات يحيى شبه الريح. روى له الجماعة. مات سنة ١٣٢هـ. انظر: تهذيب الكمال: ٥٠٤/٣١، رقم الترجمة: ٦٩٠٧.

(٢) تتمة الخبر: ((ومن قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي)). وقد حدثني من جرَّبها. ذكره الثعلبي وابن عطية. انظر: تفسير القرطبي: ٢/١٥.

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٦٩/١٢.

(٤) معناه: يا محمد. قاله ابن الحنفية والضحاك. انظر: زاد المسير: ٢٧١/٦.

(٥) هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن مفزع الحميري أبو هاشم. شاعر إمامي متقدم. وكان أشعر المحدثين هو وبشار، وقد أُخمِل ذكرَه، وصرف الناسَ عن رواية شعره إفراطُه في النَيل من بعض الصحابة وأزواج النبي ﷺ. ولد في نعمان قرب الفرات من أرض الشام سنة ١٠٥هـ، ونشأ في البصرة، ومات ببغداد سنة ١٧٣هـ. انظر: الأعلام: ٣٢٢/١، وكتاب الأغاني: ٢/٧، والبداية والنهاية: ١٧٣/١٠.

(٦) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن. انظر: تفسير القرطبي: ٤/١٥.

(٧) وراوه عكرمة عن ابن عباس وبه قال الحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل. انظر: زاد المسير: ٢٧١/٦.

(٨) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٧١/١٢.

(٩) قسم: أقسم الله به وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٢٧١/٦.

١٦٠/ب

فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾/ أخبر الله تعالى عن حال أهل الجنة يعقُبُه أهوال القيامة. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (في شُغْل) بضم الشين، وسكون الغين. وقرأ الباقون: ﴿ فِي شُغُلٍ ﴾ بالضم فيهما(١).

واختلف الناس في تعيين هذا الشُغُل؛ فقيل: هو افتضاض الأبكار(٢)، وسماع الأوتار(٣)، قاله ابن عباس [رضي الله عنهما]. وقيل: نعيمٌ شغلهُم، قاله مجاهد(٤)، وهو أصح الأقوال. ذكره ابن عطية(٥).

فإن قلتَ: لو أراد ذلك لقال: إن أصحاب الجنةِ اليومَ أشغالٌ، قلتُ: لما كان النعيم كله من حيث هو نعيم من جنس واحد وحَّده، فقال: في شُغُل، والله أعلم.

قال طاووس: لو علم أهل الجنة عمَّن شُغِلوا ما هنأهُم ما شُغِلوا به.

وقال الثعلبي: سئل بعض الحكماء عن قوله عليه الصلاة والسلام: ((أكثر أهل الجنة البُلُه))(٦)، فقال: لأنهم شغِلُوا بالنعيم عن المنعم.

---

(١) ولأبي عمرو روايتان في الغين بالضم والسكون. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٤١ــ٥٤٢، والكشف: ٢/٢١٩، والنشر: ٢/٢٦٥.

(٢) رواه شقيق عن ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وقتادة والضحاك. انظر: زاد المسير: ٦/٢٨٦.

(٣) رواه عكرمة عن ابن عباس، وعن عكرمة كالقولين. ولا يثبت هذا القول. انظر: زاد المسير: ٦/٢٨٦.

(٤) قال مجاهد: النعمة، وقال الحسن البصري: شغلهم نعيمهم عما فيه أهل النار من العذاب. انظر: زاد المسير: ٦/٢٨٦.

(٥) حكاه ابن عطية عن النقاش عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: المحرر الوجيز: ١٢/٣١٢.

(٦) رواية الصحيحين: عن عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء. واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)). أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٤/٤٢٤، رقم الحديث: ٣٢٤١. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة: ٤/٢٠٩٦، رقم الحديث: ٢٧٣٧/٩٤. وهذه الرواية أخرجها البزار عن أنس ﷺ. ورمز لها الإمام السيوطي في الجامع الصغير بالضعف. انظر: فيض القدير: ٢/٧٩، رقم الحديث: ١٣٧٩. والبُلُه: جمع أبله، وهو الغافل عن الشر، المطبوع على الخير. وقيل: هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس، لأنهم أغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حِذْقَ التصرف فيها، وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها، فاستحقوا أن

وقرأ جمهور الناس: ﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ ومعناه: أصحاب فاكهة[١]، وقرأ نافع أيضاً وأبو جعفر: ﴿ فَٰكِهُونَ ﴾[٢] ومعناه: فرحون طربون[٣]، وقرأ طلحة والأعمش: (فاكهين) تجعل الخبر في الظرفِ الذي هو قوله: ﴿ فِي شُغُلٍ ﴾ ، ونصب (فاكهين) على الحال.

وقوله تعالى: ﴿ هُمۡ ﴾ ابتداء. ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ ﴾ معطوف عليه. و: ﴿ فِي ظِلَٰلٍ ﴾ خبره/ وقيل: ﴿ هُمۡ ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ و:﴿ فِي ظِلَٰلٍ ﴾ في موضع الحال، كأنه قال: مستظلين. ١٦١/أ

وقرأ الجمهورُ: ﴿ فِي ظِلَٰلٍ ﴾[٤]وهو جمع ظِلٍّ، إذ الجَنة لا شمس فيها، وإنما هو هواءُها سجسج[٥] كوقت الإسفار قبل طلوع الشمس، وقيل قوله: ﴿ فِي ظِلَٰلٍ ﴾ جمع ظُلَّةٍ[٦]، كبُرمة. وقال منذر[٧] بن سعيد: ظِلال جمع ظِلَّة بالكسر، وهي لغة في ظِلَّة.

يكونوا أكثر أهل الجنة. فأما الأبله وهو الذي لاعقل له فغير مراد في الحديث. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/١٥٥.

(١) قاله أبو عبيدة. انظر: زاد المسير: ٦/٢٨٦.

(٢) انظر: النشر: ٢/٢٦٥ــ٢٦٦.

(٣) قاله أبو سليمان الدمشقي، وهو صيغة مبالغة من فَاكِه، أي: فَرِح. انظر: زاد المسير: ٦/٢٨٦.

(٤) قرأ الجمهور بكسر الظاء: (في ظِلال)، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: (في ظُلَل). انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٤٢، والكشف: ٢/٢١٩، والنشر: ٢/٢٦٦.

(٥) الحديث: ((ظل الجنة سجسج))، أي: معتدل لا حر ولا قرٌ. ومنه حديث ابن عباس ﷺ: ((وهواءها السجسج)). ومنه الحديث: ((أنه مرَّ بواد بين السجدين فقال: هذه سجاسج، مرَّ بها موسى عليه السلام)). وهي جمع سجسج. وهو الأرض ليست بصُلبة ولا سهلة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/٣٤٣.

(٦) ذكر أبو الفتح بن جني: في الرفع ــ أي في: (سِلْمٌ) ــ أربعة أوجه في إعرابها، عدَّدها ووجَّهها وشرَحها. انظر: المحتسب في بيان شواذ القراءات: ٢/٢١٥.

(٧) المنذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القرطبي أبو الحكم البلوطي. قاضي قضاة الأندلس في عصره. ولد سنة ٢٧٣هـ قرب قرطبة، ورحل حاجاً سنة٣٨٠هـ إلى مكة ومصر أربعين شهراً. وكان بصيراً بالجدل، لهجاً بالاحتجاج. ولي القضاء في عدة أماكن آخرها قرطبة إلى أن توفي فيها سنة ٣٥٥هـ. من آثاره: أحكام القرآن، الإبانة عن حقائق أصول الديانة، الناسخ والمنسوخ. انظر: إنباه الراوة: ٣/٣٢٥، والكامل لابن

وقرأ حمزةُ والكسائي (في ظُلَلٍ)، وهي عبارةٌ عن الملابس والمراتب من الحجاب والستور، ونحوها من الأشياء التي تُظِلُّ، وهي زينة. (أرائكهم): السرر المفروشة.

قال بعض العلماءِ: من شرطها أن يكون عليها حجلة[١]، وإلا فليست بأريكة، وبذلك قيَّدها ابن عباس [رضي الله عنهما]. وقال بعضهم: الأريكة: السرير كان عليه حجلة أو لم يكن.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ يتمنَّون. قال أبو عبيدة: العرب تقول: ادَّعِ عليَّ ما شئت[٢]، أي: تمنَّ عليَّ. قال الرُّمَّاني[٣]: المعنى: أنه من ادَّعى شيئاً فهو له.

وقوله تعالى: ﴿ سَلَـٰمٌ ﴾ قيل: هي صفةٌ لـــ: (ما)، أي: مسلَّم لهم وخالص، وقيل: هو ابتداء، وقيل: هو خبر. قرأ ابن مسعود: (سلاماً) بالنصب على المصدر، وقرأ محمد بن كعب القرظي: (سِلمٌ)[٤]، و: ﴿ قَوْلاً ﴾ نصب على المصدر[٥]، والله أعلم[٦].

الأثير: ٢٢٣/٨، والأعلام: ٢٩٤/٧. ولم أقف على ترجمة لغيره، والمؤلف نقل عن ابن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز: ٣١٣/١٢. ولعله ممن يعتمد ابن عطية في النقل عنه. والله أعلم.

(١) الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس، ويكون له أزرار كبار وجمعه حجال. في حديث الاستئذان ((ليس لبيوتهم ستور ولا حجال)). انظر: لسان العرب: ١٤٤/١١.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٨٧/٦.

(٣) هو علي بن عيسى بن علي أبو الحسن الرماني. باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة، أصله من سامراء، ولد سنة ٢٩٦هـ في بغداد، وتوفي فيها سنة ٣٨٤هـ. له نحو مئة مصنف جلُّها مفقود. ومن الموجود: النكت في إعجاز القرآن، معاني القرآن، كتاب التفسير. ولم أقف على هذه العبارة في كتبه الموجودة. انظر: إنباه الرواة: ٢/ ٢٩٤، ووفيات الأعيان: ٣٣١/١، والأعلام: ٣١٧/٤.

(٤) قاله القاضي أبو محمد بن عطية. انظر: المحرر الوجيز: ٣١٣/١٢.

(٥) أي قال الله تعالى ذلك قولاً أو يقال ذلك قولاً. ودلّ على الفعل المحذوف لفظ مصدره، وأن القرآن إنما هو أقوال متابعة. وأما (سلاماً) بالنصب فحالٌ مما قبله، أي: ذلك لهم مُسَلَّماً أو مُسَالِماً، أي: ذا سِلْم وسلام. ونصب: (قولاً) على المصدر كما مضى. انظر: المحتسب: ٢١٥/٢.

(٦) انظر: تفسير المحرر الوجيز: ٣١١/١٢ــ٣١٥.

سورة الصافات

١٦١/ب

/ مكيَّة[١]، وعددُ آياتها مئة آية واثنتان وثمانون آية[٢]. ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ ﴾: الملائكةُ التي تصُفُّ في السماءِ في عبادة الله، قاله ابن مسعود ﷺ[٣]. وقيل: كل من يصُفُّ في سبيل الله، أو في طاعةٍ من بني آدم. و﴿ ٱلزَّٰجِرَٰتِ ﴾: الملائكةُ التي تزجرُ السحابَ[٤]، وقيل: الزاجرات آيات القرآن المتضمنة للنهي[٥]. و﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ ﴾: قيل: هم الملائكة التي تتلو ذِكرَهُ[٦]، وقيل: بنو آدم الذين يتلون كُتبَهُ المنزلة[٧]. أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لجلالة قدرها.

وفي هذه السورة من الآيات المتضمنة للظَفر، وحصول المرادِ ببركة الصبر قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ ﴾.

تقدم ذكر قصةِ إبراهيم مع قومه في سورة الأنبياء بما فيه كفاية عن إعادته هنا. وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ كان بعد خروجه من النار،

---

(١) بإجماعهم. انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٦.

(٢) مئة وثمانون وآية في عدّ البصري وأبي جعفر، ومئة وثمانون وآيتان في عدّ الباقين. واختلافها آيتان: ﴿ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٧٠ ﴾ لم يعدّها البصري. ﴿ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ۝١٦٨ ﴾ لم يعدّها أبو جعفر وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢١٢، وبصائر ذوي التمييز: ٣٩٣/١.

(٣) وقاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والجمهور. انظر: المحرر الوجيز: ٣٣٢/١٢.

(٤) قاله ابن عباس والجمهور. انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٦.

(٥) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٦.

(٦) قاله ابن مسعود والحسن والجمهور. انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٦.

(٧) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٣٢/١٢ـ٣٣٣.

فأشار بذهابه إلى هجرته من أرض (بابل)[١]، حيث كانت مملكة نمروذ، فخرج إلى الشام، وقيل:/ إلى بلاد مصر، وقيل: إنما مراد إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ لقاءُ الله تعالى بعد الاحتراق، لأنه ظنَّ أن النار سيموتُ فيها، فقال هذه المقالة قبل أن يُطرح في النار، فكأنه قال: إني سائر بهذا العمل إلى ربي، وهو سيهديني إلى الجنة، لجأ إليه قتادة[٢]، وبه تمسك العارفون في الصفاء[٣]، إذ قال: إني ذاهبٌ وحده، إذ به تحصل الهداية. ١٦٢/أ

قلتُ[٤]: لكن الدعاء بالولد لا يصح مع الفناء، إذ قال إبراهيم: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، ﴿ مِنَ ﴾ للتبعيض، أي هب لي ولداً في عداد الصالحين.

وقوله: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ ﴾ قيل: البشارة بإسحاق، قاله العباس بن عبد المطلب، وعليّ، وعبد الله بن عباس، وابن مسعود، وكعب الأحبار [ﷺ][٥]، وهو الذبيح. وكان أمر ذبحه بالشام، وقيل: ببيت المقدس، وقيل: بالحجاز جاء مع أبيه على البراق.

قال ابن عباسٍ [رضي الله عنهما]: البشارة في هذه الآية كما قال تعالى في موسى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ وقد كان وهبه له قبل ذلك، وإنما

---

(١) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة. وفي التنزيل ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]. قيل: بابل العراق، ويقال: أول من سكنها نوح عليه السلام وعمَّرها عقب الطوفان، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات وإلى ما وراء الكوفة. انظر: معجم البلدان: ٣٠٩/١.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣١٣/٦.

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٣٣/١٢.

(٤) لدى المتابعة والتحقيق يبدو هذا قول القاضي أبي محمد بن عطية في تفسيره المحرر الوجيز: ٣٣٣/١٢.

(٥) كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، ويقال له: كعب الخير. من آل ذي رُعين، أو من ذي الكلاع. أدرك النبي ﷺ، واختلف في زمن إسلامه: قيل: في عهد أبي بكر أو عمر، وقيل: في زمن النبي ﷺ، والراجح في خلافة عمر. ويبدو أن بوادر إسلامه كانت في العهد النبوي لكن إشهاره ذلك جاء متأخراً. روى عن النبي مرسلاً، وعن عمر وصهيب وعائشة. وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين. وعدَّه ابن سعد من تابعي الشام، وأنه كان على دين اليهود فأسلم. اشتهر بالقَصص، وأنه لمن أصدق المحدثين عن أهل الكتاب. مات سنة ٣٢ هـ بحمص. انظر: الإصابة: ٦٤٧/٥، رقم الترجمة: ٧٥٠٠.

أراد النبوة، فكذلك هذه. وأجاب من اختار هذا عن قول الأعرابي له عليه الصلاة والسلام: (يا ابن الذبيحين) [١]، أراد إسحاق، والعمُّ أبٌ.

وقالت فرقة: هذه البشارة كانت بإسماعيل وهو الذبيح، وأمْرُ ذبحهِ كان بالحجاز بمنى[٢]، وثمَّ رمى إبراهيم بالجمرات للشيطان.

وقيل:/ للكبش حين أُفلِتَ وسنَّ السننَ، وهذا قول ابن عباس أيضاً، وعبد الله بن عمرو، ورفعَهُ معاوية، إلى النبي ﷺ. وبه قال الشعبي، والحسن، ومجاهد. ١٦٢/ب

واستدل أُبيٌّ على ذلك بقول الأعرابي للنبي ﷺ: (يا ابن الذبيحين)، يعني: إسماعيلَ، وعبدَ الله أباه. ويُستدل أيضاً بظاهر هذه الآية أنه بُشِّرَ بإسماعيل، وانقضى أمر ذبحهِ[٣].

ثم قال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾. وذكر الطبري عن ابن عباس [رضي الله عنهما]، قال: الذبيح إسماعيل[٤]، وتزعم اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود[٥].

---

(١) أخرج ابن جرير والآمدي في مغازيه، والخلعي في فوائده، والحاكم وابن مردوية بسند ضعيف، عن عبد الله ابن سعيد الصنايحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق أيهما الذبيح؟ فقال معاوية: سقطتم على الخبير. كنا عند رسول الله ﷺ فاتاه أعرابي، فقال: يا رسول الله خلفت الكلأ يابساً، والماء عابساً. هلك العيال، وضاع المال. فعُدْ عليَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين. فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه. فقال القوم: من الذبيحان يا أمير المؤمنين؟ قال: إن عبد المطلب لمَّا حفر زمزم نذر لله إن سهل حفرها أن ينحر بعض ولده. فلما فرغ أسهم بينهم، وكانوا عشرة، فخرج السهم على عبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم، وقالوا: أرضِ ربَّك وافْدِ ابنَك، ففداه بمئة ناقة. فهو الذبيح، وإسماعيل الثاني. انظر: الدر المنثور: ٥/ ٥٢٩.

(٢) منى: في درج الوادي الذي ينزله الحاج، ويرمي فيه الجمار من الحرم. وسمي بذلك لما يُمنى به من الدماء، أي: يراق. وقيل: لأن آدم عليه السلام تمنى فيه الجنة. وقيل: هي من مهبط العقبة إلى محسر؛ وهي بليدة على فرسخ من مكة تعمر أيام الموسم، وتخلو بقية السنة. انظر: معجم البلدان: ١٩٨/٥.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣٣٤/١٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٣/١٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/١٢.

وذكر أيضاً أن عمر بن عبد العزيز سأل عن ذلك رجلاً يهودياً كان أسلم، وحسُنَ إسلامهُ، فقال: الذبيح إسماعيل، وإن اليهودَ تعلم ذلك، ولكنهم يحسُدونكم معشر العربِ أن تكون هذه الآيات، والفضل والله في أبيكم(١).

و﴿ ٱلسَّعۡىَ ﴾ في قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ ﴾ العملُ والعبادةُ والمعونةُ، في قول ابن عباس [رضي الله عنهما](٢).

وقال قتادة: السعي على القدم(٣)، وهو في معناه الأول.

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ قيل: رأى ذلك بعينه، ورؤيا الأنبياء وحيٌ. وعيَّن له وقت الامتثال. قرأ الجمهور: ﴿ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ بفتح التاء والراء، وقرأ حمزة والكسائي: (تُرِي) بضمِّ التاء وكسر الراء(٤)، على معنى: تُرِي ما يظهر منك/ من جَلَدٍ أو جزع. قيل: (ما) موصولة بمعنى الذي، وقيل: استفهامية، والهاء محذوفة. ١٦٣/أ

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ ﴾.

قرأ الجمهور: ﴿ أَسۡلَمَا ﴾، وقرأ علي وابن عباس: (سلَّمَا) بمعنى: فوَّضا أمرهما إلى الله تعالى(٥). وجوابُ (لمَّا) عند الكوفيين: وناديناه، والواو زائدة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٨٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ٦/٣١٤.

(٣) قال قتادة: إنه المشي، والمعنى مشى مع أبيه. انظر: زاد المسير: ٦/٣١٤.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف (تُرِي). والباقون (ترى). انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٤٨، والكشف: ٢/٢٢٥.

(٥) قراءة الجمهور ﴿أَسۡلَمَا﴾ قال أبو الفتح بن جني: ﴿أَسۡلَمَا﴾ بمعنى فوضا وأطاعا. وأما سلَّما فمن التسليم أي: سلَّما أنفسهما وآراءهما كالتسليم باليد لما أمروا به. ولم يخالفا ما أريد منهما من إجماع إبراهيم عليه السلام الذبح

وقيل: الجواب ﴿ وَتَلَّهُۥ ﴾، والواو زائدة كزيادتها في قوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[1][الزمر: ٧٣].

وقال البصريون: الجوابُ محذوفٌ تقديرهُ: فلما أسلما وتلَّهُ، وهو قول الخليل، وسيبويه. أي: فلما أسلما أجزلَ أجرهما. ومعنى ﴿ تَلَّهُۥ ﴾: وضَعَهُ بقوةٍ. ومنه الحديث: ((فتلَّهُ رسول الله ﷺ في يده))[2]، أي: وضعه بقوةٍ. ومنه التلُّ على الأرض، وللجبين. أي: للجبهة.

رُوِي في قصص هذه الآية: أن الذبيح قال: اشدد رباطي لئلا أضطرب، واصرف بصرك عنيِّ لئلا ترحمني، وردَّ وجهك نحو الأرض.

قال قتادة: كبَّهُ لِفيهِ، وأخذ الشفرةَ. والتلُّ للجبين لا يقتضي أن الوجه نحو الأرض، بل لجهةِ القبلةِ كهيئةِ الذبح.

وقوله/ تعالى: ﴿ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾: ﴿ أن ﴾ مفسرة، لا موضع لها من الإعراب. ١٦٣/ب

وقوله: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ﴾ أي: بقلبك. المعنى: كانت عندك رؤياك حقاً من الله. وقيل: صدَّقت بعملك ما حصل من الرؤيا في نفسك، كأنه قال: قد وفَّيتها حقها من

وإسحاقَ الصبر. وقراءة (فلما سلَّما) بغير ألف ولام مشددة قراءة علي وابن عباس وابن مسعود ومجاهد والضحاك والأعمش والثوري وجعفر بن محمد. انظر: المحتسب: ٢/٢٢٢.

(١) هذه واو الثمانية ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه، ومن المفسرين كالثعلبي، وزعموا أن العرب إذا عدُّوا قالوا: ستة سبعة وثمانية، إيذاناً أن السبعة عدد تام، وأن ما بعدها عدد مستأنف. واستدلوا على ذلك في: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]، و: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ في آية الجنة حيث لبوابها ثمانية في: [الزمر:٧٣]، و: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ وهو الوصف الثامن في: [التوبة:١١٢]، و: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ وهو الوصف الثامن في: [التحريم: ٥]. انظر: مغني اللبيب: ١/٥٨٢.

(٢) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ ((أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحداً، قال: فتلّه رسول الله ﷺ في يده)). يريد: دفعه وجعله في يده. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المظالم، باب إذا أذن له أو أحلّه ولم يبّين كم هو: ٣/١٤٠، رقم الحديث رقم: ٢٤٥١. وله روايات عدة.

العمل. فالرؤيا: اسم لما يُرى من قِبَل الله في المنام. والحُلْمُ: اسم لما يُرى من قِبَلِ الشيطان. ومنه الحديث الصحيح: ((الرؤيا من الله، والحُلُمُ من الشيطان))[١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: بهذا النوع من الإخلاص والطاعة نجزي المحسنين.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ قيل: أشار إلى ما في القصةِ من سرور بالفديةِ، وقيل: أشار إلى ما في القصةِ من امتحان واختبارٍ بالشدةِ[٢]، فعلى الأول: يكون البلاء بمعنى النعمةِ[٣].

فإن قُلتَ: من عادة الحديد أن يقطع، ومن شأن الصبي أن يجزع، فمن أي وجه امتنع الحديد من القطع، مع تردده على نحر الذبيح مراراً؟ وما الحكمةُ في عدم جزعه؟

قلتُ: قال محيي الدين ابن الجوزي[٤] رحمه الله: لمَّا انقلبَ قلبُ الذبيح من القلق إلى الثبات، ومن الجزع إلى الصبر، انقلب طبع الحديد، فامتنع وما قطع، والله أعلم.

---

(١) عن يحيى بن سعيد قال: سمعت أبا سلمة، قال: سمعت أبا قتادة يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: ((الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرها فإنها لا تضره)). والحلْم: مايراه من الشر وما يحصل له من الفزع. قال أبو سلمة: وإن كنت لأرى الرؤيا أثقل علّي من الجبل فما هو إلا أن سمعت هذا الحديث فما أباليها. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب النفث في الرقية، حديث رقم: ٥٧٤٧، ٣٢/٧ ولمسلم: ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوذ من شرها فإنها لن تضره)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الرؤيا: ١٧٧١/٤، رقم الحديث: ٢٢٦١/١.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣١٧/٦.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣١٧/٦.

(٤) محي الدين أبو محمد وقيل (أبو المحاسن) يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي ابن الجوزي. فقيه أصولي واعظ مفسر محدّث وشاعر. ولد ببغداد سنة ٥٨٠هـ. وسمع من أبيه، وذاكر ابن كامل وطائفة، وقرأ على ابن الباقلاني، وولي الولايات الجليلة، ثم عزل عن الجميع وانقطع للوعظ والإفتاء في داره، ثم أعيد إلى الحسبة. أنشأ مدرسة الجوزية بدمشق، وقتل شهيداً عند دخول هولاكو بغداد سنة ٦٥٦هـ. من تصانيفه: معادن الإبريز في تفسير القرآن العزيز، والذهب الأحمد في مذهب الإمام أحمد،

وقد ورد في الحديث: ((أن الله تعالى أوحى إلى إسحاق أني قد أعطيتك بصبرك/ لأمري دعوةً أعُطيك فيها ما سألتَهُ، فسلني. فقال: يا رب أيُما عبدٍ لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة))[١].

١٦٤/أ

والضمير في (فديناه) عائد على الذبيح، ووصَفَه بالعِظَمِ لأنه متَقَبَّلٌ يقيناً[٢].

وقال الحسنُ بن الفضل: عُظِّمَ لأنه كان من عند الله. وقال أبو بكر الوراق: سُمِّيَ (عظيم) لأنه لم يكن عن نسلٍ بل عن التكوين.

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] في كونه عظيماً: لأنه من كِباش الجنةِ، رعى فيها أربعين خريفاً[٣].

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أيضاً: هو الكبشُ الذي قرب ابن آدم الأول[٤].

وقال ابن عباس[٥] والحسن: كان وعلاً أُهبط عليه من (ثبير)[٦]. والأكثرون على أنه كبش أقرن، أعين، وجده مربوطاً بسَمُرةٍ.

والإيضاح لقوانين الإصلاح، وديوان للشعر. انظر: شذرات الذهب: ٢٨٦/٥، ومعجم المؤلفين: ١٦٦/٤، والدارس في تاريخ المدارس: ٦٢/٢.

(١) أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن عطاء بن يسار ﷺ حديثاً طويلاً لم يرفعه عطاء. وفي آخره: ((أن إبراهيم عليه السلام قال: يابني إن الله قد أعطاك بصبرك اليوم فسل ما شئت تعطى. قال: فإني أسأل الله ألا يلقاه له عبد مؤمن به يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلا غفر له وأدخله الجنة)). انظر: الدر المنثور: ٥٣٤/٥. وأخرج ابن جرير الطبري مثله عن يونس عن ابن وهب بلفظ: ((وأوحى الله إلى إسحاق: أني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها. قال إسحاق: اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي؛ أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة)). انظر: تفسير الطبري: ٨٢/١٢، وتفسير ابن كثير: ٢٥/٤.

(٢) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ٣١٧/٦.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية مجاهد. انظر: زاد المسير: ٣١٧/٦.

(٤) في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٣١٧/٦.

(٥) رواه أبو الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٣١٧/٦.

(٦) ثبير: من أعظم جبال مكة بينها وبين عرفة، سُمِّيَ برجل من هذيل مات فيه فعرف به. روى أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لما تجلى الله تعالى للجبل يوم موسى تشظَّى فصارت منه ثلاثة أجبل فوقعت بمكة، وثلاثة أجبل وقعت بالمدينة، فالتي بمكة حراء وثبير وثور، والتي بالمدينة أحد وورقان ورضوى)). وفي الحديث: ((كان

ورُوي: أنه انفلت لإبراهيم عليه السلام فاتَّبَعه ورماه بحصيات في مواضع الجمرات، فبذلك مضت السُنَّةُ. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: رجم الشيطان عند جمرة العقبة(١).

وأهل السُنَّةِ على أن هذه القصة نسخ فيها العزم على الفعل. وقالت المعتزلة: لا يصح نسخٌ إلا بعد وقوع الفعل.

وقال عُبيد(٢) بن عمير: ذبح في المقام(٣)، واستغربَهُ أبو محمد بن عطية.

وقال الطبري: الذبح والقصة كلها بالشام(٤)، والأكثرون على أن ذلك كان بمنى(٥)./

١٦٤/ب

قال الشعبي: رأيت قَرنَي كبش إبراهيم معلقةً بالكعبة(٦).

المشركون إذا أرادوا الإفاضة قالوا: أشرقْ ثبير كيما نغير)). أي: ينتظرون شروق الشمس من ناحيته، ليسرعوا إلى النحر. ومعناه من البثر، أي: الاحتباس، فهو يواري حراء، أو لأنه يحبس الشمس عن الشروق أول طلوعها. انظر: معجم البلدان: ٨٦/٢.

(١) الجمرة: موضع رمي الجمار بمنى. وسميت جمرة العقبة، والجمرة الكبرى، لأنه يُرمى بها يوم النحر. قال الداودي: وجمرة العقبة التي نسبت إليها الجمرة من منى. والجمرة الأولى والوسطى هما جميعاً فوق مسجد الخيف مما يلي مكة. انظر: معجم البلدان: ١٦٢/٢.

(٢) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم ألمكي. ولد على عهد النبي ﷺ، قاله مسلم. وعدَّه غيره في كبار التابعين. وكان قاصَّ أهل مكة، مجمع على ثقته. مات قبل ابن عمر. انظر: تقريب التهذيب: ص: ٣٧٧، رقم الترجمة: ٤٣٨٥.

(٣) المقام: موضع قدم القائم، والمقام في المسجد الحرام هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين رفع بناء البيت. وقيل: هو الحجر الذي وقف عليه حين غسلت زوج ابنه إسماعيل رأسه. وقيل: هو الحجر الذي وقف عليه حين أذَّن في الناس بالحج. وجاء في بعض الآثار أنه كان ياقوتة من الجنة. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾. [البقرة: ١٢٥]. انظر: معجم البلدان: ١٦٤/٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٦/١٢.

(٥) قاله مجاهد. انظر: تفسير الطبري: ٨٦/١٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/١٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ من قال: أن الذبيح هو إسماعيل جعل هذه البشارة بولده إسحاق، وهي البشارة المترددة في غير موضع من القرآن[١]. ومن جعل الذبيح إسحاق جعل هذه البشارة بنفس النُبوةِ[٢]، والله أعلم[٣].

---

(١) قال سعيد بن المسيب: إن الله بشَّر إبراهيم عليه السلام بولد يكون نبياً بعد هذه القصة جزاءً لطاعته وصبره. انظر: زاد المسير: ٣١٧/٦.

(٢) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة، وبه قال قتادة والسدي. انظر: زاد المسير: ٣١٧/٦.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣٨٩/١٢ــ٣٩٠.

سورة ص

مكيَّة بإجماع[١].

قيل: هو من صادى يُصادي، إذا ضاهى، وقيل: معناه صدق الله، وقيل: صدق محمدٌ. وقال محمد بن كعب القرظي: مفتاح سماءِ الله تعالى (صدٍ) صادق الوعد وصانع المصنوعات[٢].

قرأ الجمهور: ﴿ صٓ ﴾ بسكون الدال، وقرأ ابن أبي إسحاق: (صادٍ) بالتنوين على القسَم[٣]، وقرأ عيسى بن عمر: (صادَ) بفتح الدال، مثل: (قافَ).

قال الثعلبي: وقيل معناه: صاد محمد القلوب، أي: استمالها للإيمان[٤].

وفي هذه السورة من الآيات المتضمنة فضلَ الصابرين من الأنبياء والمرسلين ــ سلام الله وبركاته عليهم أجمعين ــ قوله تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ۝٢٠ ﴾/ أي: اصبر على أذى كفار قريش، ولا تلفت إلى أقوالهم التي يريدون بها الاستخفاف، ولا تلتفت إليها، وتأسَّ بداود ذي الأيد في الدين والشرع والصدع بالحق.

١٦٥/أ

---

(١) هي خمس وثمانون آية في عدّ البصري، وست وثمانون في عدّ المدنيين والمكي والشامي، وثمان وثمانون في عدّ الكوفي. واختلافها في ثلاث آيات: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾، ﴿ وَٱلۡحَقُّ أَقُولُ ﴾، عدَّها الكوفي فقط، ﴿ كُلّٞ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴾ لم يعدّها البصري. انظر: البيان: ص: ٢١٤، وبصائر ذوي التمييز: ١/٣٩٩.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٢/٤١٥.

(٣) رواها الطبري وغيره عن عبد الله بن أبي اسحاق بالكسر دون تنوين على القسم: تفسير الطبري: ١٢/١١٨، المحرر الوجيز: ١٢/٤١٤. وقرأ أبي بن كعب والحسن وابن أبي اسحاق بالكسر دون تنوين، من صادٍ وهو مأثور عن الحسن لأنه عنده أمر من المصاداة. أي: عارض عملك بالقرآن. انظر: تفسير الطبري: ١٢/١١٧، والمحرر الوجيز: ١٢/٤١٣، والمحتسب: ٢/٢٣٠.

(٤) قرأ صادَ والقرآن بفتح الدال كل من الثقفي، وعيسى بن عمر. انظر: المحرر الوجيز: ١٢/٤١٤ــ٤١٥، والمحتسب: ٢/٢٣٠، وتفسير الطبري: ١٢/١١٨.

و﴿ ٱلۡأَيۡدِ ﴾: القوة. فالآية متضمنة قوَّة داود في بدنه، وقوَّته على طاعة ربه[١].

والأوَّاب: الرجَّاع إلى طاعة الله تعالى[٢].

وقال السُدِّي: الأوَّاب المسبِّح.

وذكر الثعلبي: أن أبا هريرة [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: ((الزُّرقة يُمنٌ، وكان داود أزرق))[٣]. فأخبر تعالى عمَّا وهب لداود من الكرامة من تسبيح الجبال والطير معه. وقد ذكرنا ذلك في سورة الأنبياء[٤].

وظاهر الآية عموم الجبال التي كان فيها وعندها. والإشراق هنا عند ضياء الشمس وارتفاعها. وفي هذين الوقتين كانت صلاة بني إسرائيل. وعَطَف الطير على الجبال. و﴿ مَحۡشُورَةً ﴾ نُصِبَ على الحال. ومعناه: مجموعة. والضمير في: (له) عائد على الله تعالى، وقيل: هو عائد على داود.

وقوله: ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ ﴾ قال السُدِّي: الجنود[٥].

---

(١) قاله مجاهد وابن زيد. انظر: المحرر الوجيز: ٤٣٢/١٢

(٢) انظر: لسان العرب: ٢١٩/١.

(٣) الحديث: ((الزرقة في العين يمن))، أي بركة. يعني: أن المرأة التي عينها زرقاء مظنة للبركة، كما يدل له خبر الديلمي عن أبي هريرة ﷺ: ((تزوجوا الزرق فإن فيهن يمناً))، وزاد الديلمي في روايته في الحديث المشروح: ((وكان داود أزرق)). أخرجه ابن حبان في صحيحه في الضعفاء عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا، قال ابن الجوزي: الحديث موضوع، حيث في سنده عباد، وهو متروك بشهادة البخاري والنسائي وابن حبان وغيرهم. وأخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور، والديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة ﷺ. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٧١/٤، رقم الحديث: ٤٥٨٨.

(٤) ارجع إلى الصفحة: ١٦٩ من هذا الكتاب.

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل. انظر: زاد المسير: ١٣/٧، وتفسير ابن كثير: ٤٩/٤.

وقال بعض المفسرين: بهيبةٍ[١] جعلها الله له[٢].

قرأ الجمهور: ﴿ شَدَدْنَا ﴾ بالتخفيف، وقرأ الحسن: بتشديد الدال[٣].

والحكمةُ: الفهم في الدين[٤]. وقيل: أراد بالحكمة/ النبوة[٥]. وقال أبو العالية: الحكمة العلم الذي لا ترده العقولُ. ١٦٥/ب

وقال أبو محمد بن عطية: هي عقائد البرهان[٦]. وفصل الخِطاب.

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: فصل القضاء بين الناس بالحق إصابتهُ وفهمُه[٧].

وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: فصل الخِطاب إيجاب اليمين على المُدعى عليه والبيِّنة على المدعي[٨].

وقال الشعبي: أراد قول: أما بعد، فإنه أول من قالها[٩]، فأوتي محمد ﷺ ذلك كله، وزاد في الدرجةِ بالإيجاز في العبارة، والمعاني الكثيرة في اللفظ اليسير، يدل

---

(١) وردت في الأصل: (تهنئة)، وهو خطأ إذ لا معنى لها. والصواب: (بهيبة)، توافقاً مع أقوال المفسرين.

(٢) ذكره ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ١٣/٧

(٣) انظر: لسان العرب: ٢١٩/١.

(٤) قاله ابن عباس والحسن وابن زيد. انظر: زاد المسير: ١٣/٧.

(٥) قاله السدي. انظر: زاد المسير: ١٣/٧.

(٦) انظر: تفسير ابن عطية: ٤٣٤/١٢.

(٧) ومجاهد والسدي. انظر: المحرر الوجيز: ٤٣٤/١٢.

(٨) وقاله: شريح وقتادة وهو قول حسن لأنه الخصومة إنما تفصل بذلك. انظر: زاد المسير: ١٣/٧.

(٩) وقاله أبو موسى الأشعري. انظر: زاد المسير: ١٣/٧.

عليه قوله عليه الصلاة والسلام: ((أُعطيتُ جوامع الكلم[١]، واختصر لي الكلام اختصاراً))[٢]، والله أعلم[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾./ السبب في امتحان داود عليه السلام ما روى الأوزاعي عن يحيى[٤] ابن أبي كثير عن أبي هريرة ﷺ عن النبي قال: ((كان داود عليه السلام قد قسم الدهر على أربعة أقسام: فيومٌ لبني إسرائيل يُدارسُهم العلمَ ويُدارسُونَهُ، ويومٌ للمحراب، ويومٌ للقضاء، ويومٌ للنساء، فبينا هو مع بني إسرائيل يُدارسُهم، إذ قال: لا يأتي على ابن آدم يوم لا يُصيبُ فيه ذنباً، فقال: داود عليه السلام في نفسه: اليوم

١٦٦/أ

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((فُضلت على الأنبياء بست؛ أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)). انظر: كتاب المساجد ومواضع الصلاة: ٣٧١/١، رقم الحديث: ٥٢٣. ولا يوجد عند مسلم لفظ: (واختصر لي الكلام اختصاراً).

(٢) هذه الرواية بكاملها أخرجها أبو يعلى في مسنده عن عمر ﷺ، وهو حديث حسن. ورواه البيهقي أيضاً في شعب الإيمان في باب حب النبي ﷺ، فصل في بيانه وفصاحته بلفظ: ((أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصاراً)): ١٦٠/٢، والدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥٦٣/١.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ٤٣٣/١٢ـــ٤٣٥.

(٤) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي، واسم أبي كثير صالح بن المتوكل، وقيل: يسار. وثّقه العجلي، وعدّه أحمد بن حنبل مع الزهري بل يقدمه إذا خالفه. وشهد أبو حاتم بإمامته، لا يحدث إلا عن ثقة. وذكر روايته عن أنس مرسلاً، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال يحيى بن سعيد: مرسلات يحيى بن أبي كثير شبه الريح. روى له الجماعة، ومات سنة ١٢٩هـــ. انظر: تهذيب الكمال: ٥١٠/٣١، رقم: ٦٩٠٧.

الذي أخلو فيه للمحراب تتنحى عني الخطيئة، فأوحى الله إليه يا داود خذ حذركَ حتى ترى بلاءكَ))[1].

وعن الحسن أنه قال: فبينا هو في محرابهِ منكبٌّ على الزبور يقرؤها، إذ دخل طائرٌ من الكُوَّةِ، فوقعَ بين يديهِ؛ جسَدُه من ذهبٍ، وجناحاه من ديباج مكللٌ بالدر، ومنقارُهُ زُبرجد، وقوائمه فيروزج. فنظر إليه فحسب أنه من طائر الجنةِ، فجعل يتعجب من حسنه.

وكان له ابن صغير، فقال: لو أخذت هذا، فنظر إليه ابني، فأهوى إليه فتباعد منه، ويطمعُهُ أحياناً من نفسه، حتى كادت يده أن تقع عليه، فيتباعد منه، فما زال كذلك/ يدنو ويتباعد، حتى قام من مجلسه، وأطبق الزبورَ، فطَلَبهُ فوقع في الكُوَّةِ، فرمى بنفسه في بستان، فاطَّلع داود فإذا بامرأة تغتسل، فنظر إلى أحسن خلق الله، ونظرت المرأة وإذا أوجه رجل، فنشرت شعرها، فغطت جسدها. ١٦٦/ب

قال الحسنُ: فزاده ذلك بها إعجاباً، فرجع إلى مكانه وفي نفسه منها، فبعث لينظر مَن هي، فرجع إليه الرسول، فقال: هي تشايع ابنةُ حنانا، وزوجها أوريا بن صُوري، وهو في البلقاء[2] مع ابن أخت داود محاصري قلعةً. فكتب داود إلى ابن أختهِ كتاباً: إذا جاءك كتابي هذا فمُر أُوريَا بن صوري فليحمل التابوت، وليتقدم أمام الجيش، وكان الذي يتقدم لا يرجع حتى يُقتل، أو يفتح الله عليه. فدعا صاحبُ الجيش أوريا، فقرأ عليه الكتاب، فقال: سمعاً وطاعةً، فحمل التابوت، وسارَ أمام أصحابهِ

---

(١) انظر الخبر في معناه في: تفسير البغوي: ٤/٤٦.

(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق من الشام ووادي القرى، قصبتها عمان وفيها قرى ومزارع واسعة. ويضرب المثل بجودة حنطتها، سميت بذلك لأن بالق من بني عمّان بن لوط عمرها. ومن البلقاء قرية الجبارين التي أراد الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة: ٢٢]. وقال قوم: وبالبلقاء مدينة الشراة، وشراة الشام أرض معروفة وبها الكهف والرقيم فيما زعم بعضهم، واشتقاقها من (البلق). وهي سواد وبياض مختلطان فيقال: أبلق وبلقاء. والبلق أيضاً الفسطاط. انظر: معجم البلدان: ١/٥٨٠.

فقُتل، وكتبَ ابنُ أخت داود بذلك إلى داود، فلما انقضت عِدَّةُ المرأةِ أرسل إليها داود فخطبها فتزوجها(١).

وقال قتادة: قال الحسن: إن داود عليه السلام لمَّا تزوج تشايع بنت حنانا، وكان يخلو للعبادة في المحراب، فبينا هو في المحراب إذ سمعَ صوتاً عالياً، ثم تسوَّرَ عليه رجلان حتى اقتحما، فلما رآهُما فزعَ، قالا: ﴿ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾/ أ/١٦٧ يعني: اعتدى بعضنا على بعض وظلمَه، ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾(٢)، أي: ولا تَجُر. ﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ يعني: إلى قصد السبيل.

قال داود: قُصَّا عليَّ قِصَّتكما، قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ يعني: قهرني وظلمني، وأخذ نعجتي فضمها إلى نِعاجِه، ﴿ وَعَزَّنِى ﴾(٣): يعني: إذا تكلم كان أبلغ في المخاطبة مني.

---

(١) هذه الرواية بمعناها العام في الدر المنثور: ٥/٥٦٤ــ٥٦٥، وتفسير البغوي: ٤/٤٦. وهي مع ما يشابهها في المضمون من روايات إنما هي قصص طوَّل الناس فيها، واختلفت الروايات حولها، وكلها مرويات إسرائيلية، وجلُّها صور لا تليق بمقام الأنبياء، وأحاديث قصَّاص اشتُهِروا بها في صدر هذه الأمة. وقد فصَّل ابن كثير في نقد هذه الروايات فقال: ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ﷺ، ويزيد ولئن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة الأول. فالأولى: أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة (أي: مجرد قراءة قصة وابتلاء داود في القرآن من هذه الآيات)، ولْيَرُدَّ علمها إلى الله عزَّ وجلَّ. فإن القرآن حق، وما تضمنه فهو حق أيضاً. انظر: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم الرازي: ١٠/٣٢٣٨، وتفسير القرآن العظيم: للإمام ابن كثير: ٤/٤٧. ويزيد بن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري قاصٌّ زاهد ضعيف. انظر: تقريب التهذيب: ص: ٥٩٩. وذكره ابن سعد في أهل البصرة وقال: كان ضعيفاً قدرياً، وضعَّفه ابن معين ويعقوب بن سفيان وأبو حاتم والنسائي، وقال النسائي والحاكم وابن عدي: متروك الحديث. انظر: تهذيب الكمال: ٣٢/٦٤، رقم الترجمة: ٦٩٥٨.

(٢) تشطط: شطَّ: جاوز القدر وتباعد عن الحق. وشط عليه في حكمه واشتط وأشط: جار في قضيته. انظر: لسان العرب: ٧/٣٣٤.

(٣) عزّ: قهر وغلب في الاحتجاج. انظر: لسان العرب: ٥/٣٧٨.

فقال داود عليه السلام: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾. قال: فضحك المدعى عليه، فقال داود: تظلم وتضحك! ما أحوجك إلى قَدُومٍ(١) يَرُضُّ(٢) منك هذه وهذه، يعني: جبهته وفاه. قال الملِك: بل أنت أحوج إلى ذلك منه. وارتفعا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه(٣).

وعلم داود إنما عُني به هو، فخرَّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لابد منها، ثم يعود فيسجد لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتى نبت عشب حول رأسه، وهو ينادي ربه عزَّ وجلَّ، ويسأله التوبة./

١٦٧/ب

وكان يقول في سجوده: سبحان خالق النور الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إلهي خلَّيتَ بيني وبين عدوي إبليس، فلم أقم لفتنتهِ إذ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي لم أفارق الزبور، ولم أتَّعِظ بما وعظتُ به غيري، إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الرحيم، فنسيتُ عهدك، سبحان خالق النور، إلهي بأي عينٍ أنظرُ إليك يوم القيامة، وإنما ينظرُ الظالمون من طرفٍ خفيّ، سبحان

---

(١) القَدُوم: بالتخفيف والتشديد، التي ينحت بها وهي مؤنثة مخففة، ولا تقول قَدُوم. وهي آلة النجار التي ينحت بها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٧/٤، ولسان العرب: ٤٧١/١٢، والصحاح: ٢٠٠٨/٥.

(٢) يرض: يكسر. انظر: لسان العرب: ١٥٤/٧.

(٣) هذه الراوية عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه: انظر القصة بعمومها في الدر المنثور: ٥٦٥/٥، تفسير البغوي: ٤٨/٤، ولسيد قطب في الظلال تعليق مهمّ على الرواية فيقول: والقضية كما عرضها أحد الخصمين تحمل ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، وخاضت بعض التفاسير مع الإسرائيات حول هذه الفتنة خوضاً كبيراً تتنزه عنه طبيعة النبوة، ولا يتفق إطلاقاً مع حقيقتها. حتى الروايات التي حاولت تخفيف تلك الأساطير سارت معها شوطاً، وهي لا تصلح للنظر من الأساس، ولا تتفق مع قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ ﴾. والتعقيب القرآني الذي جاء بعد القصة يكشف كذلك عن طبيعة الفتنة، ويحدد التوجيه المقصود بها من الله لعبده الذي ولاه القضاء والحكم بين الناس. ومن رعاية الله لعبده داود، أنه نبهه عند أول لفتة. ورده عند أول اندفاعه. وحذَّره النهاية البعيدة. وهو لم يخط إليها خطوة! وذلك فضل الله على المختارين من عباده. فهم ببشريَّتهم قد تعثر أقدامهم أقل عثرة، فيقيلها الله، ويأخذ بيدهم، ويعلمهم، ويوفقهم إلى الإنابة، ويغفر لهم، ويغدق عليهم، بعد الابتلاء. انظر: في ظلال القرآن: ٣٠١٨/٥ـ٣٠١٩.

خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كُشف عنه الغطاء، فيقال: هذا داود الخاطئ، سبحان خالق النور، إلهي أنت المغيث، وأنا المستغيث، فمن يدعو المستغيثُ إلا المغيثَ، سبحان خالق النور، إلهي إليك فررت بذنوبي، واعترفت بخطيئتي، فلا تجعلني من القانطين، ولا تخزني يوم الدين. فأتاه نداءٌ: أجائع أنت فتطعم،؟ أظمآن فتسقى؟ أمظلوم أنت فتنصر؟ ولم يجبه في ذكر خطيئتهِ، قال: فصاح صيحةً هاج ما حوله، ثم نادى: يا ربّ الذنب الذي أصبتُ، فنوديَ: يا داود ارفع رأسك، فقد غفرت لك.

١٦٨/أ

وقال وهب بن منبه: فأتى داود قبر أوريا فقام عنده، وجعل التراب على/ رأسه[١]، ثم نادى فقال: الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، الويل الطويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، الويل الطويل لداود، ثم الويل الطويل إذا نصبت الموازين، سبحان خالق النور، الويل الطويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، إذا نصبت الموازين، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، يوم يقتص للمظلوم من الظالم، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود حين يسحبُ على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور. قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، وأقلتُ عثرتك. قال: يا ربِّ كيف تعفو عني، وصاحبي لم يعف عني؟ قال: يا داود أُعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم ترَ عيناهُ، ولم تسمع أُذناه، فأقول: رَضيَ عبدي فيقول: يا ربِّ من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول هذا عوض من عبدي داود، فاستوهبك منه فَيَهبُك لي، قال: يا ربِّ الآن عرفتُ أنك قد غفرتَ لي. هذا آخر الحديث، وفي قصة داود غير هذا[٢].

---

(١) هناك إضافات في التفاسير في رواية وهب بن منبه لا تليق بمقام الأنبياء، ولعلها سرد من الخيال. انظر: تفسير البغوي: ٤٩/١٤.

(٢) القصة في معناها العام وردت في تفسير الطبري: ١٤١/١٢ــ١٥١، والدر المنثور: ٥٦٤/٥ــ٥٦٨.

قلت صحةُ ما ذكرناه غير/ مقطوع بها، وقد رُوي عن عليٍّ ﷺ أنه قال: من حدَّثكم بحديث داود على ما يرويه القُصَّاصُ جلدتهُ[١]. ويُروى أن رجلاً حدَّث عمر ابن عبد العزيز بذلك وعنده رجل فأنكره، وقال: إن كانت القصةُ على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يُلتمسَ خلافُها، وإن كانت كما ذكرتَ وكفَّ الله عنها ستراً على نبيه عليه السلام فما ينبغي إظهارها، فقال عمر بن عبد العزيز: لسماعي هذا الكلام أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس[٢].

١٦٨/ب

قلت: والأحسن في ذلك ما ذكره بعضُ العلماء، فقال: الذي يدلُّ عليه المثلُ الذي ضرَبهُ الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه لتَزوُّجِ المرأة أن ينزل عنها فحسب، قال: وكان أهل زمان داود يسألُ بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأتِه، فيتزوجها إذا أعجبته. وكان لهم عادة بذلك، فسأل داود أوريا النزول عنها، فاستحيا أن يَرُدَّهُ، ففعل. وقيل: خطبها داود على خطبتهِ، مع كثرة نسائه، فرغب أهلُها فيه، فزوجوه، والله أعلم.

والخصمان: جبريل وميكائيل في قول أكثر المفسرين يدلُ على أنهما اثنان[٣].

١٦٩/أ

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ... ﴾ فإن قلت: قوله/ تعالى: ﴿ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ يدلُّ على أنهم أكثر من اثنين.

قلتُ: هو على قول مَن يقول: أقلُّ الجمع اثنان. وقد قال الزمخشري: الخصم والخُصماءُ يقع على الواحدِ والجمع، كالضيف. قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الذاريات]، لأنه مصدرٌ في الأصل. فإن قلتَ: قوله: ﴿ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ ﴾[الحج: ١٩]، ولم يقل: (اختصما)، قلنا: خصمان فريقان[٤]، والله أعلم.

---

(١) الخبر: ((من حدَّث بما قال هؤلاء القصَّاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله)). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٣٩/١٢.

(٢) لم أقف على سند لهذا الخبر.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٦/٧.

(٤) انظر: الكشاف: ٨٢/٤.

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾ جواب قسم محذوف. فإن قيل: كيف قضى عليه بالظلم قبل أن يسمع كلامَهُ؟ قلتُ: الظاهر أنه استنطقه فاعترف، غير أنه لم يُحْكَ في القرآن. ويكون التقدير: إن كان الأمر على ما تقول لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه. والخلطاء: الشركاء[1]. كان داود عليه السلام ظنَّهُما شريكين.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي فإنهم لا يظلمون. ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ أي: قليل هم. و(ما) صلة، أو موصولة، على معنى: وقليل الذين هم كذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ ﴾ أي: أيقن وعلم أنا ابتليناه. قال الرسعني: وقرأت على الشيخ أبي البقاء عبد الله بن الحسين النحوي ــ رحمه الله ــ للكسائي من رواية ابن أبي شريح عنه (فتنَاه) بالتخفيف، إشارةً إلى الملكين[2]. ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾./ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: ساجداً. وعبَّر عن السجود بالركوع لِمَا يشتركان فيه من معنى الخضوع والانحناء. وقال الحسين بن الفضل: لا يقال للراكع خرَّ، وإنما يقال: خرَّ بعد الركوع للسجود، والله أعلم.

١٦٩/ب

وسجدة ﴿ صٓ ﴾ هذه من عزائم السجود عند أبي حنيفة، وليست من عزائم السجود على الصحيح من مذهب أحمد، وهو قول مالك، والشافعي. وعن أحمد أنها من عزائم السجود كما قال أبو حنيفة[3]، والله أعلم. ومعنى: ﴿ وَأَنَابَ ﴾ رجَعَ.

---

(١) الخلطاء: الشركاء الذين لا يتميز مِلك كل واحد من مِلك صاحبه إلا بالقسمة. انظر: لسان العرب: ٢٩٢/٧.

(٢) قرأ (فتنَاه) قتادة وأبو عمرو في قراءة عبد الوهاب بن عطاء بن مسلم، وعلي بن نصر بن صهبان عنه. والمراد بالتثنية: الملكان، وهما الخصمان اللذان اختصما إليه. أي: عَلِم أنهما اختبراه فخبراه بما ركبه من التماسه امرأة صاحبه فاستغفر داود ربه. انظر: المحتسب: ٢٣٢/٢ــ٢٣٣.

(٣) ذهب الحنفية والمالكية وفي قول للحنابلة إلى **مشروعية سجود التلاوة** في سورة (ص) على اختلاف في تحديد موضعها؛ فعند الحنفية عند قوله: ﴿ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾، وعند المالكية عند قوله: ﴿ وَأَنَابَ ﴾. واستدلوا بحديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد في (ص)، وغيره من الأدلة. وذهب جمهور الشافعية والحنابلة في مشهور مذهبهم إلى أن سجدة (ص) ليست من عزائم الأمور، أي: ليست من متأكداته، فهي سجدة شكر وليست سجدة تلاوة، تستحب في غير الصلاة، وتحرم في الصلاة على الأصح، بل تبطلها عمداً. واستدلوا بحديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (((ص) ليست من عزائم السجود))، وحديث النسائي

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي: مكانةً ومنزلةً حسنةً. قال مالك بن دينار: يُقيمُ اللهُ داودَ عن ساقِ العرش فيقول: يا داود مجِّدني اليوم بذلك الصوت الرخيم، فيقول: كيف أمجِّدك به وقد سلبتنيهِ في الدنيا؟ فيقول: إني أردُّه عليك، فيرفع داود صوته بالزبور فيستفرغ[1] نعيم أهل الجنة[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾/ أي: جعلناك خليفةَ مَن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ في قضاءك وغيره، ﴿ فَيُضِلَّكَ ﴾ الهوى ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

١٧٠/أ

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ ﴾ أي: بنسيانهم يوم الحساب. وقيل: يعلق ﴿ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ بـــ: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ ﴾، أي: في يوم الحساب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي: وما خلقناهما عبثاً، إنما خلقناهما للثواب والعقاب، والذين كفروا ينكرون الثواب والعقاب والحساب.

أيضاً: ((أن النبي ﷺ سجد في (ص)، وقال: سجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكراً)). انظر: رد المحتار: ١/ ٥١٣، وحاشية الدسوقي: ١/٣٠٨، والمجموع: ٤/٦٠ــ٦١، والمغني: ١/٦١٨.

(١) استفرغ فلان مجهوده إذا لم يبق من جهده وطاقته شيئاً، وهي بمعنى استنقذ وأحاط. لسان العرب: ٨/٤٤٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٤٩.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾. ﴿ أَمْ ﴾ هنا منقطعة، والاستفهام للإنكار[1].

المعنى: لو بطل الحساب والجزاء لتساوى المؤمنون والمفسدون في الأرض، والمتقون والفجار.

وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ يعني: هذا القرآن كثير البركة، أنزلناه ليدبروا آياته، ويتفكر فيها ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾/ أولو العقول. ١٧٠/ب

وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ يعني: اذكر ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ﴾ بعد العصر و: ﴿ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ﴾ الخيل السوابق إذا وقفت صفَّت على أطراف حوافرها.

قال الزَّجَّاج: قال أهل التفسير واللغة: الصافن القائم الذي يُثني إحدى يديه وإحدى رجليه حتى يقف بها على سَنبُكَته، وهو طرفُ الحافر، فثلاث من قوائمه متصلة بالأرض، وقائمةٌ منها يتصل بالأرض طرفُ حافرها فقط.

قال الشاعر:

ألف الصفونَ فما يزالُ كأنه مما يقوم على الثلاثِ كسيراً[2]

قال ابن السائب: غزا سليمان بن داود عليهما السلام أهل دمشق ونصيبين، فأصاب منهم ألف فرس. وقال مقاتل: ورث سليمان من أبيه ألف فرسٍ، وكان أبوه أصابها من العمالقة. وقال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً، خرجت من اليمن، لها

---

(١) (أم) التي تكون منقطعة هي أحد أنواع ثلاثة: إما **مسبوقة بخبر محض**، أو **مسبوقة بهمزة** لغير استفهام إذ الهمزة في ذلك للإنكار فهي بمنزلة النفي، والمتصلة لا تقع بعده، أو **مسبوقة باستفهام** بغير الهمزة.. انظر: مغني اللبيب: ٨٣/١. وقد ساق ابن هشام فيه أمثلة قرآنية لكل نوع.

(٢) أنشده ابن الأعرابي في صفة فرس. انظر: لسان العرب: ٢٤٨/١٣، مادة: (صفن). والبيت في شواهد المغني: ص: ٢٤٨، وانظر: تفسير القرطبي: ٦٢/١٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣٣٠/٤. والمعنى: أنه من قيامه على الثلاثة كأنه كسير وليس هذا بشيء.

أجنحة. قالوا: فصلَّى سليمان الصلاة الأولى، وقعد على كرسيِّه وهي تُعْرَض عليه فتنبَّه لصلاة العصر، وقد بقيت منها مئة فرس، فإذا الشمس/ قد غابت، ولم يعلموه بذلك هيبةً له، فاغتم لذلك، فقال: ردُّوها عليَّ، فردوها عليه، فعُرقبت وعُقرت بالسيف، وقرَّبها لله تعالى، وبقي منها مئة فرس، فما في أيدي الناس اليوم من الخيل فهو من نسل تلك المئة[1].

أ/١٧١

قال الحسن: فلما عَقَرَ تلك الخيل أبدله الله خيراً منها، وأسرع الريحَ تجري بأمره كيف يشاء.

وقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ۝٣٣ ﴾ أي: آثرت حب الخير. وقيل: معناه أحببت الخير حباً على التقديم والتأخير. والمراد بالخير هنا المال، وقيل: الخيل. وفي قراءة ابن مسعود [ﷺ] (حُبَّ الخيل).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة))[2].

﴿ عَن ذِكۡرِ رَبِّي ﴾ أي: على ذكر ربي، يريد صلاة العصر. قال عليٌّ كرَّمَ الله وجهه: صلاة العصر.

﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾ يعني: الشمس. وقيل: الصافنات توارت بحجاب الليل، والأولُ أشهرُ. قال الحسن: عاتب الله سليمان حين فاتته صلاة العصر، فقال: ردُّوها علي فطفق يضرب أعناقها. يقال:/ مسح عِلاوته أي: ضرب عنقه.

ب/١٧١

---

(١) سيأتي قريباً تفصيل المسألة في معنى العقر هذا واستعراض الأقوال فيه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عروة البارقي أن النبي ﷺ قال: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة؛ الأجر والمغنم)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر: ٣/ ٢٩٣، رقم الحديث: ٢٨٥٢، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الامارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: ٣/١٤٩٣، رقم الحديث: ١٨٧٢٣/٩٧.

قال الزَّجّاج: السُوق جمع ساق، مثل قولك: دار ودور. ولم يكن عليه السلام ليضرب أعناقها وسُوقَها إلا وقد أباح الله له ذلك[١]، وقال: لا تُشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى، هذا هو الصحيح من قول المفسرين[٢]. وقال بعضهم: حبسها في سبيل الله، وكوى سُوقَها، ويكشف الغبارَ عنها حباً لها. ومن قرأ بالشين المعجمة فقد صحَّف[٣]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي: ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه.

قلتُ: والسبب في ذلك ما روي عن ابن عباس [رضي الله عنهما] قال: كان سليمان رجلاً غزَّاءً، يغزو البر والبحر، فسمع بمَلِكٍ في جزيرة من جزائر البحر، فركب سليمانُ الريحَ وجنوده من الجن والأنس، حتى نزل تلك الجزيرة، فقتل ملكها، وسبى مَن فيها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٣١/٤.

(٢) في تفسير المسح هنا ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنه ضربها بالسيف، وهو قول أكثر المفسرين. **والثاني:** أنه جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها، وهو اختيار شيخ المفسرين الطبري. **والثالث:** أنه كوى سوقها وأعناقها وحبسها في سبيل الله، وهو قول الثعلبي. وقد اعتُرِض على رأي ابن جرير بأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولا يكون في شرعنا، ولا سيما إذا كان غضباً لله تعالى، بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة. ويلاحظ على رواية أكثر المفسرين أنها تعتمد على الإسرائيليات الدخيلة في أنه مسح السيف بسوقها وأعناقها؛ أي قطعها. لأنها شغلته عن صلاة العصر. وهذا بعيد، إذ لا يليق بنبي مرسل شاكر لنِعَم ربه أن يعاقب ما ليس أهلاً للعقاب. ويبقى اختيار الطبري أقرب وأنسب في تطابقه مع عصمة النبوة، وبعده عن فعل الفساد في أنه شرع يمسحها بيده استحساناً لها، وإعجاباً بها، فيربِّت على سيقانها وأعناقها، ويدللها. فعوَّضه الله خيراً منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء. أخرج الإمام أحمد في المسند بسنده عن أبي قتادة وأبي الدهماء قالا: كانا يكثران السفر نحو هذا البيت، قالا: أتينا على رجل من أهل البادية، فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علَّمه الله تبارك وتعالى، وقال: ((إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله عزَّ وجلَّ إلا أعطاك الله خيراً منه)). انظر: مسند أحمد: ٣٠٦/١٥، رقم الحديث: ٢٠٦١٧. وإسناده صحيح، تفسير الطبري: ١٥٦/٢٣، وتفسير القرطبي: ١٩٦/١٥، وتفسير زاد المسير: ٢٤/٧، وتفسير ابن كثير: ٥٢/٤، والتفسير المنير: ١٩٧/٢٣ــ١٩٨.

(٣) لم أقف على تصحيف الشين هذا فيما اطلعت عليه من كتب التفسير والقراءة. سواء في احتمال سين (المسح)، أي: بالمشح، أو سين (السوق). أي: بالشوق.

وأصاب جارية لم يرَ مثلها حسناً وجمالاً، وكانت ابنة ذلك الملك، فاصطفاها لنفسه[1]، فكان يجد بها ما لا يجده بأحد من نسائه، وكان يؤثرها على نسائه، واسمها جرادة. فدخل عليها يوماً، فقالت: إني أذكر أبي وملكه/ وما أصابه، فيحزنني ذلك، فإن رأيت أن تأمر بعض الشياطين فيصورون لي صورة في داري، فأراه بكرة وعشية، رجوت أن يذهب عني حزني، ويُسلى عني بعض ما أجده في نفسي.

أ/١٧٢

فأمر سليمان صخراً المارد، فمثَّل لها أباها في هيئته، في ناحيةِ دارها، لا تنكر منه شيئاً، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت فزينته وألبسته، حتى تركته في هيئة أبيها ولباسه، فإذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه كل غدوة مع جواريها، فتطيُّبه، وتسجد له، وتسجد جواريها، وتروح بمثله، وسليمان لا يعلم بذلك، حتى أتى لذلك أربعون يوماً.

وبلغ الناس وبلغ آصف بن برخيا، وكان صدِّيقاً، فدخل عليه، فقال: يا نبي الله قد أحببتُ أن أقومَ مقاماً أذكر فيه مَن مضى مِن أنبياءِ الله، وأثني عليهم بعلمي فيهم.

قال: فجمع سليمان الناس، فقام فيهم فذكر مَن مضى من أنبياء الله، وأثنى على كل نبي بما فيه، وذكر ما فضَّلهم به، حتى انتهى إلى سليمان، فذكر فضله، وما أعطاه الله في حداثة سنه، ثم سكت.

فامتلأ سليمان غيظاً، فلما دخل أرسل إليه فأتاه، فقال: يا آصف ذكرت مَن مضى من أنبياء الله عليهم السلام، فأثنيت عليهم بما كانوا في زمانهم كله، فلما ذكرتني جعلت/ تثني عليَّ بخيرٍ في صغري، وسكتَّ عما سوى ذلك من أمري في كبري، فما الذي أحدثتُ في كبري؟ قال: أحدثتَ أنَّ غير الله يعبد في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأةٍ. قال: في داري؟ قال: في دارك. قال سليمان: إنا لله وإنا إليه راجعون، عرفت ما قلت هذا إلا عن شيء بلغك، ثم رجع إلى داره، وكسَّر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة، وولائدها.

ب/١٧٢

---

(١) في تفسير البغوي: (ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه). انظر: تفسير البغوي: ٥٣/٤.

ثم دعا بثياب الطهر فلبسها، ثم خرج إلى فلاةٍ من الأرض، ففُرِش له الرمادُ، ثم أقبل تائباً إلى الله، فجلس على ذلك الرماد يتمعّك فيه متذللاً متضرعاً، يبكي ويستغفر، يقول: يا ربِّ ما هذا بلاؤك عند آل داود يعبدون غيرك، وأن يُقروا في دارهم وأهلهم عبادةَ غيرك. فلم يزل كذلك حتى أمسى.

ثم رجع، وكانت له جارية سمَّاها (الأمينة)، وكان إذا أتى الخلاء أو أراد إتيان امرأةٍ وضع خاتمه عندها، وكان لا يمسُّه إلا وهو طاهر، وكان الله تعالى قد جعل ملكه في خاتمه.

قال وهبٌ: فجاء يوماً يريد الوضوء، فدفع الخاتم إليها، وجاء صخر المارد فسبق سليمان، فدخل المتوضأ، فدخل سليمان لحاجته، وخرج الشيطان على صورة سليمان ينفض/ لحيته من الوضوء لا تنكر من سليمان شيئاً، فقال: خاتمي يا أمينة، فناولته إياه لا تحسب إلا أنه سليمان، فجعله في يده، ثم جاء حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس. وخرج سليمان بن داود فقال لأمينة: خاتمي، قالت من أنت؟ قال: أنا سليمان ابن داود وقد تغير عن حاله، وذهب عنه بهاؤه، قالت: كذبت إن سليمان قد أخذ خاتمه، وهو جالس على سريره في ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته.

١٧٣/أ

قال الحسن: فخرج هارباً مخافةً على نفسه. فمضى على وجهه بغير حذاء، ولا قلنسوة، في قميص وإزار. فمرَّ بباب شارع على الطريق، وقد جَهَدَهُ الجوعُ، والعطشُ، والحرُّ. فأتى الباب فقرعه، فخرجت امرأة، فقالت: ما حاجتك؟ فقال: ضيافةُ ساعةٍ فقد ترين ما أصابني من الحرِّ والرمضاء، قد احترقت رجلَيَّ، وبلغ مجهودي من الجوع والعطش.

فقالت المرأة: زوجي غائب، وليس يسعُني أن أُدخِلَ رجلاً غريباً عليَّ،[1] فادخل البستان فإن فيه ماءً، وثماراً، فأصب من ثماره وتبرَّد فيه، فإذا جاء زوجي استأذنته في ضيافتك، فإن أذن لي فذاك، وإن أبى أصبتَ ما رزق الله ومضيت. فدخل

---

(١) لم أقف على سند لقصة دخوله البستان هذه فيما اطلعت عليه من كتب التفسير.

١٧٣/ب

البستان فاغتسل، ووضع/ رأسه فنام، فآذاه الذبابُ، فجاءت حيةٌ سوداء، فأخذت ريحانةً من البستان بفيها، وجاءت سليمان تَذُبُّ عنه الذباب، حتى جاء زوج المرأة فقصَّت عليه القصة، فدخل إلى سليمان، فلما رأى الحية وصنيعها دعا امرأته، فقال لها: تعالي فانظري إلى العجب، فنظرت، ثم مشيا إليه فأيقظاه، ثم قالا: يا فتى هذا منزلنا لا يسعُنا شيء يعجزك، وهذه ابنتي قد زوجتُكَهَا، وكانت من أجمل نساء زمانها فتزوَّجَها، وأقام عندهم ثلاثاً ثم قال: لا يسعني إلا طلب المعيشة لي ولأهلي، فانطلق إلى الصيادين فقال لهم: هل لكم في رجل يكون معكم، يعينكم وترضخون له من صيدكم؟ وكلٌ يأتيه الله برزقه، فقالوا: قد انقطع عنا الصيد، وليس عندنا فضل نعطيكه، فمضى إلى غيرهم، فقال لهم مثل هذه المقالة، فقالوا له: نعم وكرامة، نواسيك بما عندنا، فأقام معهم يختلف كل ليلة إلى أهله بما أصاب من الصيد، حتى أنكر الناس قضاء سليمان وفعاله. فلما رأى الخبيثُ أن الناس قد فَطِنوا له انطلق بالخاتم فألقاه في البحر[1]، قال الحسن: أمسك الخاتم أربعين يوماً.

١٧٤/أ

وروي: أنه قعد على كرسي سليمان[2]، فاجتمع له الجن/ والإنس والشياطين، وملَكَ كل شيء كان يملكُهُ سليمان، إلا أنه لم يُسلَّط على نسائه. وخرج سليمان يسأل

---

(١) ذكر النيسابوري في تفسيره: العلماء المتقنون أبَوا قبول هذه الرواية وقالوا: إنها من أباطيل اليهود. والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل، وإلا ارتفع الأمان عن الشرائع والأديان، وكيف يسلطهم الله على آحاد عباده فضلاً عن أنبيائه، حتى يغيروا أحكامهم ويفجروا بنسائهم. انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان على تفسير الطبري: ١٠٢/٩

(٢) أقرب ما قيل في الفتنة وكرسي سليمان: أن المراد بالفتنة كونه لم يستثنِ في الحديث الذي قال فيه: لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة وجاءته بشق رجل. قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون)). فالمراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ هذا الجسد الملقى هو المولود شق رجل ــ والله تعالى أعلم ــ. وقال قوم: مرض سليمان مرضاً كالإغماء، حتى صار على كرسيه جسداً كأنه بلا روح، ولما أمر الله نبيه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفار قريش وغيرهم، أمره بأن يذكر من ابتلى فصبر، فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة أيوب ليتأسى بهم، وذكر ما لهم عنده من الزلفى والمكانة. انظر: تفسير البحر المحيط: ٣٩٧/٧.

الناس ويتضيفهم، حتى أصابه الجَهد، واشتد عليه البلاء، فلما تمَّ له أربعون يوماً قال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من خلاف حكم ابن داود ما رأيتُ؟ قالوا: نعم، فعمد عند ذلك، فألقى الخاتم في البحر فاستقبله جريٌّ[1]، فابتلع الخاتم، فصار في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم، فاستقبل جريةَ الماء، فوقع في شِباك الصيادين الذين كان سليمان معهم، فلما أمسوا قسموا السمك، فأسقطوا الجريَّ فجعلوه لسليمان، فذهب به إلى أهله فأمرهم أن يصنعوه، فلما نتقوا[2] بطنه أضاء البيت نوراً من خاتمه، فدعت المرأة سليمان فأرته الخاتم، فتختَّم به، وخرَّ لله ساجداً، وقال:

إلهي لك الحمد على قديم بلائك وحسن صنيعك إلى آل داود، إلهي أنت ابتدأتهم بالنعم، وأورثتهم الكتاب والحكم والنبوة، فلك الحمد على نعمائك، ظهرت فلا تخفى، وبطنت فلا تحصى، فلك الحمد، لم تسلمني بذنوبي، فلك الحمد، تغفر الذنوب وتستجيب الدعاء، فلك الحمد، إلهي لم تسلمني بجريرتي[3]، فلك الحمد، ولم تخذلني بخطيئتي فلك الحمد، إلهي فأتمَّ نعمتك/ عليَّ، واغفر لي ما سلف، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي[4]. ١٧٤/ب

فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

وروى عكرمة أن سليمان عليه السلام لما أصاب الملك أمر بحَمْلِ أهل ذلك البيت، فوضعهم في وسط المملكة، ولم يكن سليمان نال تلك المرأة حتى رُدَّ عليه ملكه. قال السُدِّيُّ: فأمر سليمان بالشيطان الذي أخذ خاتمه فجُعِلَ في صندوق من .

---

(١) لم أقف على معنى لهذه المفردة: (جري). والذي في غالب كتب التفسير (حوت). انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٤، وتفسير البغوي: ٤/٥٤، وتفسير القرطبي: ١٥/٢٠٠.

(٢) نتق بطنه: نفضه حتى يستخرج ما فيه. وأصل النتق: الرفع والجذب والاقتلاع. انظر: لسان العرب: ١٠/ ٣٥١، والدر المنثور: ٥/٥٨٤.

(٣) الجريرة: الذنب والجناية يجنيها الرجل. وفي الحديث: ((بجريرة حلفائك)). انظر: لسان العرب: ٤/١٢٩

(٤) نهاية القصة التي لم أقف على سند لها ــ (دخوله البستان) ــ، فيما اطلعت عليه من كتب التفسير.

حديد، ثم أُطْبِقَ عليه، وأُقْفِلَ بقفلٍ، وخُتِمَ عليه بخاتمه. ثم أمر به فأُلقِي في البحر. وهو حيٌّ كذلك إلى الساعة(١).

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أيضاً: أن سبب فتنة سليمان أنه كانت له امرأة يقال لها: (جواده)، أو (جراده)، وكان بين بعض أهلها وبين قومه خصومة، فقضى بينهم بالحق، إلا أنه ودَّ أن الحق كان لأهلها، فعوقب حيث لم يكن هواه فيهم واحدا.

وأوحى الله إليه أنه سيصيبك بلاءٌ، فكان لا يدري يأتيه من السماء أو من الأرض(٢).

وقيل: احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله إليه: احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام، فلم تنظر في أمورهم، ولم تنصف مظلوماً من ظالم؟ فسلَّط الشيطانَ على خاتمه(٣)، والله أعلم.

والمراد بالجسد الشيطان، واسمه/ صخر(٤). وقد قيل: إنه لم يسخر لسليمان لفرط تمرُّده، ذكره سعيد بن المسيب. ١٧٥/أ

وقال الشعبي: سبب فتنته أنه وُلِدَ لسليمان ابنٌ، فاجتمعت الشياطين، فقال: بعضهم لبعض: إن عاش له ولدٌ لم ننفكَّ مما نحن من البلاء والسخرة، فسبيلنا أن نقتل ولده، أو نخبِّله. فعلم سليمان عليه السلام بذلك، فأمر السحاب حتى حملته، وغُذي ابنه في السحاب خوفاً من معرَّةِ الشيطان، فعاقبه الله لخوفه من الشيطان، ومات الولد، فأُلقِي ميتاً على كرسيه، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾(٥)، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤/٤، وتفسير البغوي: ٥٤/٤.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٥٤/٤.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٥٨٤/٥، وتفسير البغوي: ٥٥/٤.

(٤) رواه العوفي عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٢٥/٧، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤٦٠/١٢.

(٥) هذه كلها من الإسرائيليات. وذكر ابن كثير في نهاية سرد هذه الروايات: إن الظاهر أن ابن عباس ﷺ تلقاها من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون بنبوة سليمان، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ قدَّم نبي الله سليمان عليه السلام سؤال المغفرة على طلب الملك، لأن المغفرة سبب السعادة في الدار الآخرة، وهو مقصود الأنبياء والأولياء.

ومعنى ﴿ لَّا يَنۢبَغِى ﴾: لا يتسهَّل لأحد من بعدي.

فإن قلت: كيف سأل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، والمعهود من حال الأنبياء والأولياء الإعراض عن الدنيا، والزهد فيها؟ ثم لم يكتفِ بذلك حتى/ قال: ﴿ مُلْكًا ﴾، ثم لم يكتفِ حتى قال: ﴿ لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾، وهو سؤال يلوحُ منه الحرصُ، ويؤذِنُ بالحسدِ؟ قلت: الجواب عنه من **وجوه**؛ ١٧٥/ب

الأول: أنه لم يُرِد المُلكَ والاستبداد به ليتنعم به، ويمتِّعَ نفسه في لذات الدنيا، بل أراد الاستظهار على أعداء الله الكفرة الفجرة من مردةِ الجن والأنس، بمعجزة النبوة، وقوة الملكِ، ليأخذ بنواصيهم إلى طاعة ربه.

وما أحسنُ ما روي عن الصديق ﷺ عنه أنه أنشد يوماً:

منكرات من أشدها ذكر النساء، فالمشهور عن مجاهد وغيره من أئمة السلف أن ذلك الجنْي لم يسلَّط على نساء سليمان، بل عصمهن الله عزَّ وجلَّ تشريفاً وتكريماً لنبيِّه. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٥٥. ولسيد قطب في: (ظلال القرآن) تعليق مهم حول الصافنات الجياد، والجسد الذي أُلقي على كرسي سليمان، فيقول: كلتاهما إشارتان لم تسترح نفسي لأي تفسير أو رواية مما احتوته التفاسير والروايات عنهما. فهي إما إسرائيليات منكرة، وإما تأويلات لا سند لها. ولم أستطع أن أتصور طبيعة الحادثين تصوراً يطمئن إليه قلبي، فأصوره هنا وأحكيه. ولم أجد أثراً صحيحاً أركن إليه في تفسيرهما وتصويرهما سوى حديث صحيح. صحيح في ذاته، ولكن علاقته بأحد هذين الحديثين ليست أكيدة.. وهو ما أخرجه البخاري مرفوعاً: ((قال سليمان: لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة؛ كل واحدة تأتي بفارس..)) ــ وقد مرَّ ذكره ــ. وجائز أن تكون هذه هي الفتنة التي تشير إليها الآيات هنا. وأن يكون الجسد هو هذا الوليد الشق. ولكن هذا مجرد احتمال... وكل ما نخرج به هو أن هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبي الله سليمان عليه السلام في شأن يتعلق بتصرفاته في المُلْك والسلطان، كما يبتلي الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم، ويبعد خطاهم عن الزلل، وأن سليمان أناب إلى ربه ورجع، وطلب المغفرة، واتجه إلى الله بالدعاء والرجاء. انظر: في ظلال القرآن: ٥/٣٠٢٠.

ما أحسنَ الدِين والدنيا إذا اجتمعا وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ[1]

الثاني: أنه أراد مُلكاً مستقراً محفوظاً، لا يُسلَب، ولا يقوم به غيره بدلاً عنه، كما سُلِبَه أولاً، وأُقيم فيه الجسدُ على كرسيه[2].

الثالث: إن المعنى: هب لي مُلكاً تكون فيه آية تدل على نبوَّتي، ولا ينبغي لأحد من الآدميِّين الذين ليسوا بأنبياء، ويكون في ذلك آية تدل على أنك قد غفرت لي ورددت إليَّ نبوَّتي، دليله قوله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾.

معنى ﴿ رُخَآءً ﴾: لينةُ/ الهبوب، كما بيَّناه في سورة النمل[3]. ومعنى ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ : حيث قصد. ١/١٧٦أ

وقوله: ﴿ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ كانوا يبنون له الأبنية العجيبة[4]، كما قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ ﴾[سبأ: ١٣]. ﴿ وَغَوَّاصٍ ﴾ أي: يغوصون له في البحر يستخرجون له الدرَّ.

---

(١) ذكر هذا البيت أبو دلامة. انظر: ديوان أبي دلامة الأسدي: ص: ٧٧، وهو من البحر البسيط. وقد أسندت الموسوعة الشعرية في المجمع الثقافي ــ أبوظبي شبيهاً بهذا البيت للإمام علي بن أبي طالب ﷺ وهو:

ما أحسن الدين والنيا إذا اجتمعا لا بارك الله في دنيا بلا دين

(٢) ذكر هذا المعنى ابن كثير في تفسيره: ٥/٥٦.

(٣) ارجع إلى الصفحة: (٢٢٣)، عند الآية: (١٧) من سورة النمل. كما سبق الحديث عن الريح الرخاء في سورة الأنبياء: الآية: (٨١)، الصفحة: (١٧١ــ١٧٢).

(٤) هو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر. انظر: تفسير البغوي: ٤/٥٥.

﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ أي: وسخَّرنا آخرين من مردة الشياطين مقرَّنين في الأصفاد. والأصفاد سلاسل الحديد، قاله الزَّجَّاج. وكلُّ مَن أعطيته عطاءً جزلاً فقد أصفدته، كأنك أعطيته ما يرتبط به[1].

ومنه قول عليٍّ كرَّم الله وجهه: مَن برَّك فقد أسَرَك، ومَن جفاك فقد أطلقك.

قال يحيى بن سلاَّم: لم يكن يفعل ذلك إلا بكفَّارهم، فإذا آمنوا أطلقهم.

ومعنى ﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: قلنا له: هذا عطاؤنا.

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: أعطِ مَن شئت، وأمسك عمَّن شئت بغير حساب، لا حرج عليك فيما أعطيت، ولا فيما أمسكت، وقيل: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بغير جزاء، يعني: أعطيناكه تفضُّلاً منا لا مجازاةً، ذكره الزَّجَّاج[2].

والباء في قوله: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ في موضع الحال من ﴿ عَطَآؤُنَا ﴾ أي: هذا عطاؤنا ثابت بغير حساب. والعامل فيه معنى/ الإشارة، وعلى المعنى الأول: في موضع الحال في الفاعل، والعامل فيه: ﴿ فَٱمْنُنْ ﴾. ١٧٦/ب

قلتُ: انظر ــ رحمك الله ــ عاقبة الصبر، غفر الله لسليمان بصبره، وردَّ عليه مُلكَه، وأعطاه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة، إلا سليمان عليه السلام، فإن الله تعالى يقول: ﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3]، والله أعلم[4].

---

(١) قال الزجاج: والأصفاد: السلاسل من الحديد. وكل ما شددته شدّاً وثيقاً بالحديد وغيره فقد صفدته. وكل من أعطيته عطاءً جزلاً فقد أصفدته، كأنك أعطيته ما يرتبط به، كما تقول للمتخذ مالاً أصلاً يبقى عليه: قد اتخذت عقدة جيدة. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٣٣/٤.

(٢) لم أقف على هذا الكلام في كتاب: معاني القرآن وإعرابه للزجاج.

(٣) لنظر: تفسير البغوي: ٥٦/٤.

(٤) لنظر: كتاب الشكر لله عزَّ وجلَّ لأبي بكر بن عبد الله المعروف بابن أبي الدنيا ص: ٢٢.

ومن الصابرين

أيوب عليه السلام، وقد تقدَّم ذكر قصَّته في سورة الأنبياء بما يغني عن إطالة ذكره هنا[١].

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ . ﴿ عَبْدَنَآ ﴾ منصوب بوقوع الفعل عليه، و ﴿ أَيُّوبَ ﴾ بدل، أو عطف بيان[٢]، و﴿ إِذ ﴾[٣] بدل اشتمال منه. ﴿ نَادَىٰ ﴾ دعا ﴿ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ ﴾.

قرأ أبو جعفر (بنُصُب) بضمِّ النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ حفص بفتح النون وسكون الصاد[٤]. (فنَصْب)، و(نُصُب) لغتان. والنصَب: التعب والمشقة. قال قتادة: بضرٍّ في الجسد،﴿ وَعَذَابٍ ﴾ في الأهل والمال./ أ/١٧٧

فإن قلتَ: كيف أضاف ما أصابه إلى سببه دون مسبِّبه، وما الحكمة في ذلك؟

قلتُ: استعمال حسن الأدب مع الله تعالى لئلا يكون كالشاكي بذكر ما ابتلاه به، والله أعلم.

وقيل: أراد بقوله: ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ ﴾ ما كان يُوسوس إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، وما كان يُغريه على الكراهة لذلك والجزع منه.

---

(١) ارجع إلى الصفحات رقم: (١٧٦ــ١٩٣).

(٢) وهو أقوى لأنه يبين أكثر من البدل، وفيه وضوح.

(٣) إذ وما بعدها بدل اشتمال. أي: وحين ندائه.

(٤) جمهور القراء على قراءة: (بنُصْب) بضم النون وإسكان الصاد. غير حفص عن عاصم له ثلاث روايات؛ الأولى كالجمهور، والثانية كأبي جعفر بضمهما: (بنُصُب)، والثالثة كيعقوب: (بنَصْب). انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٥٤، والنشر: ٢/٢٧٠.

ومعنى قوله: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ ﴾ أي: قلنا له: اضرب الأرض برجلك، فركض فنبعت عين ماءٍ، فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، فركض برجله، فنبعت عينٌ فشرب منها[١]، فذلك قولـــه تعالـــى: ﴿ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾.

قال قتادة: هما بالشام بأرض يُقال لها: (الجابية) [٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي: قلنا له: خذ بيدك حزمةً من حشيش، أو عيدان، أو ريحان، ونحوه، ﴿ فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡ ﴾ وكان عليه السلام حلف في مرضه ليضربنَّ زوجته (رحمة) مئة جلدة إن عافاه الله، وقد ذكرنا سبب ذلك في سورة الأنبياء[٣] من حديث ابن عباس [رضي الله عنهما] أن إبليس جلس في طريقها على هيئة طبيب، فقالت له: يا عبد الله، إن ههنا إنساناً مُبتلى، فهل لك أن تداويه؟/ فقال: إن شاء فعلت على أن يقول إذا برئ: أنت شفيتني، فذكرتْ ذلك لأيوب عليه السلام، فقال: ويلك، ذلك الشيطان، وحلف ليجلدنَّها إن شفاه الله مئة جلدة[٤].

١٧٧/ب

---

(١) وعلى هذا جمهور العلماء أنه ركض ركضتين، فنبعت له عينان، فاغتسل من واحدة، وشرب من الأخرى. انظر: زاد المسير: ٣٠/٧.

(٢) الجابية: أصله الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل. وهي قرية من أعمال دمشق، وبقربها تل الجابية فيه حيات صغيرة عظيمة النكاية تسمى أم الصويت، وقد خطب عمر خطبته المشهورة في هذا الموضع. وباب الجابية بدمشق منسوب لهذا الموضع. ويقال لها: جابية الجولان. وروي عن ابن عباس: أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام، وأرواح الكفار في برهوت من أرض حضر موت. انظر: معجم البلدان: ٩١/٢.

(٣) ارجع إلى الصفحة: (١٨٩).

(٤) رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٣١/٧.

قال وهب بن منبِّه: جبر الله زوجته بحسن صبرها إذ أفتاه في ضربها، فسهُل الأمر، فجمع لها مئة عود، وقيل: مئة سنبلة، وقيل: أخذ عثكالاً[١] فيه مئة شِمراخ[٢]، فضربها ضربة واحدة، فبرَّ في يمينه.

قلتُ: ذلك خاصٌّ لأيوب[٣]. فعند أحمد ومالك لو حلف ليضربنَّه مئة سوط، فجمعها فضربه بها ضربة واحدة لا يبرُّ في يمينه[٤].

وعند أبي حنيفة والشافعي يبرُّ إذا أصابه في الضربة الواحدة بكل واحد منها[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴾ دليل أن الشكاية إلى الله تعالى لا تُذهِبُ الصبر، ولا تنافيه، ولا تُذهِبُ الأجر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ قرأ ابن كثير: (عبدنا)، والباقون: ﴿ عِبَٰدَنَآ ﴾[٦].

فإن قيل: ما بال إسماعيل لم يذكر معهم، وهو من الصابرين؟ قلتُ: إنما لم يُذكَر معهم لأن المعنى: واذكر هؤلاء الذين ابتلوا فصبروا فتأسَّ بهم، واصبر كما صبروا تظفر بما ظفروا وزيادة. وإسماعيل ممن/ ابتُلِيَ فصبر، والله أعلم. أ/١٧٨

---

(١) العثكال: العذق من أعذاق النخل الذي يكون فيه الرطب. انظر: لسان العرب: ٤٢٥/١١.

(٢) الشمراخ: العثكال الذي عليه البسر، وأصله في العذق، وقد يكون في العنب. وفي التهديب: الشمراخ عِسقَبة من عذق عنقود، والشمروخ غصن دقيق رَخْصٌ ينبت في أعلى الغصن الغليظ خرج في سنَتَه رَخْصاً. انظر: لسان العرب: ٣١/٣.

(٣) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ٣١/٧، وفي القرطبي عن مجاهد أنه عام للناس. انظر: تفسير القرطبي: ١٥ /٢١٣.

(٤) انظر: القوانين الفقهية: ص: ١٦٤، والمغني: ٨١٩/٨، والشرح الكبير: ١٤٣/٢.

(٥) واحتجوا بعموم قصة أيوب عليه السلام. انظر: رد المحتار: ١٣١/٣، ومغني المحتاج: ٣٣٠/٤.

(٦) انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٥٤، والكشف: ٢٣١/٢، والنشر: ٢٧٠/٢.

والأيدي القوة. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: ﴿ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى ﴾ في طاعة الله. ﴿ وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ في معرفة الله. قرأ أبو عمرو: (الأيدِ) بلا ياء[1]، اكتفاءً بالكسرة.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي: جعلناهم لنا خالصين بخصلةٍ حسنةٍ خالصةٍ لنا.

ثم فسرها بقوله: ﴿ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ أي: إنهم يذكرون الدار الآخرة، ويتأهبون لها، ويزهدون في ضرَّتها. قرأ نافع: (بخالصةِ ذكر الدار) على الإضافة بغير تنوين[2].

﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي: من الذين اتخذهم صفوتَهُ، فصفَّاهم بشراب محبته من كلِ دنس. والأخيار جمع خيّر، أو خيْرٍ بالتخفيف.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: اذكر صبرهم وفضلهم، وتأسَّ بهم، واقتدِ بأخلاقهم.

وقد تقدم ذكر (ذا الكفلِ) في سورة الأنبياء[3]. وأما ﴿ ٱلْيَسَع ﴾ فهو اسم أعجمي، والألف واللام فيه زائدتان. قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً (واللَّيْسَع) بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء، هنا وفي سورة الأنعام[4]. وقرأ الباقون بلام واحدةٍ ساكنةٍ خفيفةٍ مع فتح الياء[5].

---

(١) هذه قراءة ابن مسعود والحسن والثقفي والأعمش وابن أبي عبلة. انظر: المحتسب: ٢/٢٣٣، وزاد المسير: ٧/٣٢.

(٢) هذه قراءة نافع، وإحدى روايتين عن هشام. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٥٤، والكشف: ٢/٢٣١، والنشر: ٢/٢٧٠.

(٣) ارجع إلى الصفحة: (١٩٣).

(٤) عند قوله تعالى:﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾. [سورة الأنعام].

(٥) قرأ حمزة والكسائي بلام مشددة مفتوحة وسكون الياء وفتح السين: (واللَّيْسَعَ)، والباقون بلام واحدة ساكنة (والْيَسَع). انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٥٤ــ٥٥٥، والنشر: ٢/٢٧٠.

قال الفرّاء: والتخفيف أشبه بالصواب، وبأسماءِ الأنبياء من بني إسرائيل[١]/ وكلٌّ صوابٌ. | ١٧٨/ب

وقوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

﴿ هَـٰذَا ﴾ ثناء من الله تعالى وشرف لهم، يُذكرون به أبداً، وإن للأنبياء المذكورين ومَن شاركهم في وصف التقوى مع هذا الثناء الجميل والشرف العظيم.

﴿ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ أي: لحسن مرجع يؤبون إليه يوم القيامة.

ثم بيّن ذلك فقال: ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ أي منها.

وقوله: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾ حال من الضمير المجرور باللام في قوله: ﴿ لَّهُمُ ﴾.

وقوله: ﴿ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ هي التي قصرت نفسها على زوجها، فلم تنظر إلى سواه[٢]. ومعنى ﴿ أَتْرَاب ﴾ أي: على سنٍّ واحدٍ، وهن في غاية الشباب والحسن[٣].

---

(١) قال الفراء: واللَّيسَعَ قرأه أصحاب عبد الله بالتشديد، وقرأه العوام (اليَسَع) بالتخفيف، والأول أشبه بالصواب، وبأسماء الأنبياء من بني اسرائيل. حدثنا الفراء: عن مغيرة عن إبراهيم أنه قرأ: (واللَّيْسَع) بالتشديد. وأما قولهم: (واليَسع) فإن العرب لا تدخل على يفَعل إذا كان في معنى فلان ألفاً ولاماً. ويقولون: هذا يسع، وهذا يعمر، وهذا يزيد. فهكذا الفصيح من الكلام. وقد أنشدني بعضهم:

وجدنا الوليد من اليزيد مباركاً شديداً بأحناء الخلافة كاهلُه

فلما ذكر الوليد في أول الكلمة بالألف واللام اتبعه يزيد بألف واللام، وكلٌّ صواب. انظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٤٠٧ــ٤٠٨.

(٢) أصل القصر: الحبس. قال ابن يزيد: إن المرأة منهن لتقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي. انظر: زاد المسير: ٦/٣٠٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ٧/٣٣.

وقوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يوعدون) بالياء، والباقون: بالتاء ﴿ تُوعَدُونَ ﴾[1] أي: تؤخَّرُونَه ليوم الحساب.

وقوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: ليس لشيء في الجنة نفاد، ما أُكِلَ من ثمارها خلق مكانه مثله، وما أُكِلَ من حيوانها وطيرها عاد مكانُه حياً[2]، والله أعلم.

---

(١) انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٥٥، والكشف: ٢/٢٣٢، والنشر: ٢/٢٧٠.

(٢) وقال السدي قريباً منه. انظر: زاد المسير: ٧/٣٤.

أ/١٧٩

/ سورة الزمر

مكيَّة في قول الأكثرين[١]، وقيل: إلا آيتين: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ...﴿٢٣﴾ ﴾ و: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ... ﴿٥٣﴾ ﴾. وفيها من آيات الصبر:

قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ نزلت هذه الآية في أبي بكر ﷺ[٢]، وقيل: في عثمان[٣]، وقيل: في ابن مسعود، وعمار بن ياسر[٤]، وصهيب، وأبي ذر ﷺ.

قرأ ابن كثير ونافع وحمزة بالتخفيف: (أَمَنْ)، وقرأ الباقون بتشديدها[٥]. فمن شدَّدها قال: فإنها (أم) دخلت على (من) فأُدغم الميم في الميم، وتكون الجملة التي عادلت(أم) قد حذفت. المعنى: الكافر بربه خير أمّن هو قانت؟ ومَن موصولة بمعنى الذي، وعلى قول من خفَّف الميم المعنى: أمَن هو قانت كمن هو بخلاف هذا الوصف؟

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ أي: للذين أحسنوا في الدنيا الحسنى في الآخرة وهي الجنة، ﴿ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾، يريد الجنة ترغيباً لهم في العمل المفضي بهم/ إليها.

ب/١٧٩

---

(١) وهي خمس وسبعون آية في عدّ الكوفي، وثلاث وسبعون في عدّ الشامي، واثنتان وسبعون في عدّ الباقين. ولختلافها في سبع آيات. انظر: البيان: ص: ٢١٦، وبصائر ذوي التمييز: ٤٠٣/١.

(٢) رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٤٤/٧.

(٣) قاله ابن عمر رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٤٤/٧.

(٤) قاله السائب والكلبي. انظر: زاد المسير: ٤٤/٧، وتفسير البغوي: ٦٣/٤.

(٥) انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٦١، والكشف: ٢٣٧/٢، والنشر: ٢٧١/٢.

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾ على طاعة الله، وتجرُّع الغصص، واحتمال البلاء أجرَهم الذي جعله الله جزاءً لهم على صبرهم ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

قال الأصبغ[1] بن نباتة دخلنا مع علي بن أبي طالب [ﷺ] على ولده الحسنِ نعودُه، فقال له عليٌّ: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: أصبحت بحمد الله بارئاً. قال: كذا أنت إن شاء الله، ثم قال الحسن: سمعت جدي رسول الله ﷺ قال لي يوماً: ((عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس، وأداء الفرائض تكن من أعبد الناس، يا بني إن في الجنة شجرةً يُقال لها شجرةُ البلوى، يُؤتى بأهل البلاء يوم القيامة، فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، يُصبُّ عليهم الأجر صبًّاً. وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾))[2].

---

(١) الأصبغ بن نباتة التميمي ثم الحنظلي ثم الدارمي ثم المجاشعي، أبو القاسم الكوفي. روى عن الحسن بن علي وعلي بن أبي طالب وعمر وعمار. قال العجلي: كوفي تابعي ثقة. وقال النسائي: متروك الحديث ليس بثقة. وقال الدارقطني: منكر الحديث. ولم يخرج له ابن عدي شيئاً مبرراً أن عامة ما روي عن علي لا يتابعه أحد عليه. وهو بيّن الضعف، وإذا حدَّث عن الأصبغ ثقة. والإنكار من جهة من يروي عنه، لأن الراوي عنه لعله يكون ضعيفاً. وقال ابن حبان: فُتِنَ بحبِّ عليّ، فأتى بالطامات في الروايات، فاستحق من أجلها الترك. انظر: تهذيب الكمال: ٣/ ٣١٠، رقم الترجمة: ٥٣٧.

(٢) لم أهتدِ إلى تخريج للحديث من مظانه في كتب الحديث. وقد ذكره القرطبي في تفسيره: ١٥/٢٤٠. ورواية الترمذي وأحمد قريبة منه: عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟ فقال أبو هريرة: فقلت أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعدَّ خمساً، وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب)). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً. انظر: تفسير الترمذي: كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس: ٤/٤٧٨، رقم الحديث: ٢٣٠٥، مسند أحمد: ٨/١٦٦، رقم الحديث: ٨٠٨١. وفي إسناده ضعف، ولكنه يكون صحيحاً لغيره برواية الترمذي السابقة، ورواية ابن ماجه لبعضه، وهي رواية: ((لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب)). انظر: سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء: ٢/١٤٠٣، رقم الحديث: ٤١٩٣. قال في مجمع الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات: ٤/٢١٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ نزلت هاتان الآيتان في نفر كانوا يقولون في الجاهلية: لا إله إلا الله، وهم: زيد بن عمرو(١)، وأبو ذر، وسلمان الفارسي(٢).

والمعنى: والذين اجتنبوا عبادة غير الله من شيطان وكاهن وصنم./ وإنما قال: أن تعبدوها، لأن الطاغوت في معنى جماعة، ذكره الأخفش، قال: وإن شئت جعلته واحداً مؤنثاً(٣)، ثم وصفهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ ﴾ وهو القرآن ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾.

١٨٠/أ

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هو الرجل يجلس مع القوم، فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوئ، فيحدِّث بأحسن ما سمع، ويكفُّ عمَّا سواه(٤).

وقد ذهب بعض القرَّاء إلى أن الوقف على قوله: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾، ويبتدئ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ ﴾ فيكون مرفوعاً بالابتداء، والخبر أولئك. فهؤلاء الثلاثة بصبرهم على عبادة الله ورفض ما سواه حصلت لهم البشرى، والله أعلم.

---

(١) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي والد سعيد بن زيد وابن عم عمر بن الخطاب. ذكره البغوي وغيره في الصحابة، وفيه نظر. لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين، لكنه يوافَق على احتمالٍ لتعريف الصحابي: أنه من رأى النبي ﷺ مؤمناً به دون تحديد بزمن البعثة. كان على الحنيفية السمحاء دينِ إبراهيم، وكان يحيي الموؤدة، ويتكفل مؤنتها، كثير السجود، يعيب على ذبح قريش لغير الله. لم يكن يهوديا ولا نصرانيا. توفي قبل بناء الكعبة حين قتله أهل مبقعة (موضع بالشام)، لما بلغه مخرج النبي ﷺ وأقبل يريده. أرسل للنبي ﷺ سلاماً، فلما بلغه ردَّه وترحَّم عليه وقال: ((قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً)). انظر: الإصابة: ٦١٣/٢، رقم الترجمة: ٢٩٢٥.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي: ص: ٢١٠، وأسباب النزول للسيوطي: ص: ٢٥١.

(٣) انظر: زاد المسير: ٤٦/٧.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٦/٧.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ أي أضاءت بما ظهر فيها من الحق والعدل. وكثيراً ما يستعيرون النورَ للعدل، والظلمةَ للظلم. وللإمام أحمد في أبيات يوصي فيها ولده يقول:

لا تلق ربك ظالماً لعباده فالظلم مشتق من الظلماء(١)

وقال الثعلبي: ويقال: إن الله تعالى يخلق في يوم القيامة نوراً يُلْبِسُهُ وجه الأرض، فتشرق الأرض به(٢)، وأراد بالأرض عَرَصَات القيامة(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ قيل: كتاب الأعمال(٤)، وقيل: كتاب الحساب(٥)، وقيل: اللوح المحفوظ.

وقوله تعالى: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ وهم الذين يشهدون للأمم وعليهم،/ ١٨٠/ب

وقيل: استشهدوا في سبيل الله. ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ أي: فُصِل بينهم بالحق، وجُوزي كلُّ إنسان بعمله.

وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ﴾ قيل: أفواجاً، وقيل: جماعات في تفرقة، وقيل: أمماً، وقيل: في زمر الذين اتقوا ربهم. فَسَوقُ الكفار طرْدُهم إلى النار، وزجرُهم بأبلغ ما يكون من الهوان، ليقتحموا جراثيم(٦) جهنم.

---

(١) لم أقف على تخريج لهذا الشعر.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/١٥.

(٣) عَرَصات بفتح الراء مفرد عَرْصَة وهي: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. وفي الحديث: ((في عرصات جثجات)). انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٠٠/٣، ولسان العرب: ٥٣/٧.

(٤) قاله قتادة ومقاتل. انظر: تفسير ابن كثير: ٩٨/٤، وزاد المسير: ٦٤/٧، وتفسير البغوي: ٧٧/٤.

(٥) قاله السدي. انظر: زاد المسير: ٦٤/٧.

(٦) جراثيم جمع مفرده جرثومة، بمعنى الأصل. وفي الحديث: ((الأسْد جرثومة العرب فمن أضلَّ نسبه فليأتهم))، أي: أصل العرب. وحديث: ((من سره ان تقحّم جراثيم جهنم فليقض في الجَدّ)). وقد يراد بالجراثيم الأماكن المرتفعة عن الأرض مجتمعة. وفي حديث ابن الزبير: ((لما أراد هدم الكعبة وبناءها كانت في المسجد جراثيم))، أراد أن أرض المسجد لم تكن مستوية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٥٤/١، ولسان العرب: ٥٩/١٢.

وسَوق المتقين سَوق مراكبهم، إسراعاً بهم إلى ما أعدَّ لهم من الكرامة في الجنة.

فإن قيل: لِمَ دخلت الواوُ الموضعَ الثاني، وهو قوله: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ وحُذِفت في الأول؟

قلنا: هي واو الحال[1]، يعني: أن المتقين يسبقون إلى الجنة، وقد فتحت أبوابها لهم قبل مجيئهم، ليتعجلوا السرور، وأن الكافرين جاءوا جهنم، وأبوابها مغلقة لم تفتح حتى جاءوها، ليكون أشدَّ لحرها، وأبلغَ في عذابها.

وقيل: تسمى هذه واو الثمانية، وذلك أن من عادة قريش يعدُّون العدد الواحد إلى الثمانية، فإذا بلغوا الثمانية زادوا فيها واواً، فيقولون: سبعةٌ وثمانية. وقيل: الواو زائدة.

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾/. أ/١٨١

وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ معنى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾ أي: طهرتم من دنس المعاصي في الدنيا. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: طاب لكم المقام[2].

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ٤/٧٧.

(٢) انظر: زاد المسير: ٧/٦٦.

وعن عليٍّ ﷺ أنه سُئل عن هذه الآية، فقال[١]: سيقوا إلى أبواب الجنة، حتى إذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من عند ساقها عينان، فيعمدون إلى إحداهما[٢] فيطَّهروا فيها، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تُغيَّرَ آثارهم بعدها أبداً، ولن تشعث[٣] أشعارهم بعدها أبداً، كأنما دُهِنوا بالدهان، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها، فأذهبت ما في بطونهم من أذىً أو قذىً، وتلقَّاهم الملائكة على أبواب الجنة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ أي: تقول لهم الملائكة ذلك/ فيقولون: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ يعني: أرض الجنة.

١٨١/ب

قلتُ[٤]: جعلها على سبيل الميراث، لأن الميراث يدخل في ملك الوارث قهراً بغير عمل، فدخول الجنة برحمة الله لا بأعمالهم. وإنما ثمرة الأعمال في تقاسم الدرجات.

قال ابن الجوزي[٥]: فيكون المقصِّر في نقصانِ درجةٍ عن غيره مخلداً في النقصان، والله أعلم.

ومعنى: ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ أي: نتخذ من المنازل ما شئنا، وذاك لِسَعَتِها وزيادة منازلها على قدر درجات الداخلين إليها. قال أبو سليمان الدمشقي[٦]: إن أمة محمد يدخلون الجنة قبل الأمم، فينزلون منها حيث شاؤوا، ثم تنزل الأممُ

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٦٣٩/٥، من رواية ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة في المصنف وإسحاق بن راهويه وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، والبيهقي في البعث، والضياء في المختارة عن علي. انظر: مصنف ابن أبي شيبة: ١١٣/١٣.

(٢) وردت في الأصل: (فيعمدوا إلى إحديهما)، وهو خطأ. والصواب ما أثبته أعلاه.

(٣) التشعث: التفرق والتنكت، كما يتشعث رأس السواك. وفي الحديث: ((رُبَّ أشعث أغبر)). والشعِث: المغبر رأسه المنتتف الشعر الجافُ الذي لم يَدَّهن. انظر: لسان العرب: ١٦٠/٢.

(٤) هذا قول المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٥) لا يوجد في زاد المسير، ولعله في تفسير محيي الدين ابن الجوزي وقد مر في صفحة: ٣١٣ــ٣١٤.

(٦) ينقل المؤلف عن أبي سليمان الدمشقي، ولدى التحرّي يبدو أنه أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني. وداريا قرية من قرى دمشق. انظر: ترجمته في: (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) لأبي نعيم الأصفهاني: ٢٥٤/٩.

بعدهم، فلذلك قالوا: ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ فيقول الله: ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ أي: فنعم ثواب المطيعين الجنة(١).

قوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: محدقين بالعرش، ودخول ﴿ مِن ﴾ للتوكيد.

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يصلُّون متلذِّذين بذلك لا متعبِّدين به، لأن حُكْم التكليف قد سقط عنهم في ذلك الوقت.

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: مُيِّز بينهم في الدرجات على فضائلهم. والصحيح العموم؛ أي: قُضِي بين العباد بالحق(٢).

ومعنى قوله: ﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: فيقول المؤمنون: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ على خلاصهم من الجحيم، وفوزهم بالنعيم.

قال المفسِّرون: ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد، وختم غاية الأمر، وهو/ استقرار الفريقين في منازلهم بالحمد(٣)، والله أعلم. ١٨٢/أ

---

(١) انظر: زاد المسير: ٦٦/٧.

(٢) أخرج عبد بن حميد عن وهب ﷺ قال: من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ آخر سورة الزمر. انظر: الدر المنثور: ٦٤٢/٥.

(٣) فنبَّه على تحميده في بداية كل أمرٍ وخاتِمتِه. انظر: زاد المسير: ٦٧/٧.

سورة المؤمن

مكيَّة بإجماع[١]. وقيل: إلا آيتين؛ وهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ.. ﴾ والتي بعدها[٢].

وروى أنس [ﷺ] عن النبي ﷺ أنه قال: ((الحواميم ديباج[٣] القرآن[٤])) [٥].

قال ابن سيرين: رأى واحد في المنام سبع جوارٍ حِسانٍ في مكان واحد، لم يُرَ أحسنُ منهن، فقال لهن: لِمَن أنتنَّ؟ قُلن: لِمَن قرأ آل حواميم.

قال بعضهم: من الخطأ أن تقول: قرأت الحواميم، وليس من كلام العرب، وأنشدوا للكميت:

وجدنا لكم آل حامين[٦] آيةً تأوَّلها منَّا تقيٌّ ومعرب[٧]

---

(١) هي اثنتان وثمانون في عدّ البصري، وأربع وثمانون في عدّ المدنيين والمكي. وخمس وثمانون في عدّ الكوفي. وست وثمانون في الشامي. واختلافها في تسع آيات متفرقة. انظر: البيان: ص: ٢١٨، وبصائر ذوي التمييز: ٤٠٩/١.

(٢) نزلتا بالمدينة. عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال فقالوا: يكون منا في آخر الزمان فعظَّموا أمره، وقالوا: يصنع كذا. فأنزل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ.. ﴾، فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال. انظر: أسباب النزول للسيوطي: ص: ٢٥٤، وضعّف هذا ابن عطية. انظر: المحرر الوجيز: ١/١٢.

(٣) رواه أبو الشيخ وأبو نعيم والديلمي عن أنس ﷺ. انظر: فتح القدير: ٤٦٦/٤، والدر المنثور: ٣٤٣/٥. ورواه أبو عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود ﷺ.

(٤) هذا قول عبد الله بن مسعود ﷺ. انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٥/٤، وفضائل القرآن لأبي عبيد: ص: ١٣٧.

(٥) وردت الأحاديث في فضائل الحواميم في كل من صحيح البخاري: ٣٣٥/٦، فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ابن سلام: ص: ١٣٧، آخرهن الحواميم: (حم، والدخان وعم يتساءلون). رواه السيوطي في الدر المنثور: ٣٤٤/٥ وتفسير القرطبي: ٢٨٨/١٥، والمستدرك: ٤٣٧/٢، والبرهان: ٤٤٤/١، والإتقان: ١١١/٤، وجمال القراء: ١/ ١٣٥، وكنز العمال: ٥٧٩/١، رقم الحديث: ٢٦٢٢.

(٦) هكذا في الأصل. ووردت (حاميم) في: مجاز القرآن: ١٩٣/٢، والمحرر الوجيز: ٥/١٢.

(٧) وقد نسبه ابن منظور في لسان العرب إلى الكميت. انظر: لسان العرب: ١٥٠/١٢، مادة: (حمم). والبيت هو رقم: (٢٩) من يائيته في الهاشميات وهو في الكتاب: ٢٨/٢، وتفسير الطبزي: ٢٤/٢٤، والشنتمري: ٣٠/٢، وتفسير القرطبي: ٢٨٨/١٥. انظر: المحرر الوجيز: ٥/١٢ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٩٣/٢.

وحم اسم من أسماء الله تعالى، أقسم الله به، وقيل: معناه قضى ما هو كائن. ذكرهما ابن عباس(١)[رضي الله عنهما]. وقيل: الحاء مفتاح اسم حميد، والميم مفتاح مجيد، قاله أبو العالية. وقيل: الحاء مفتاح كل اسم أوَّلُه حاء؛ مثل: حكيم، وحَيّ. والميم مفتاح كل اسم أوَّلُه ميم؛ مثل: ملِك، ومَجيد، ومهيمن. قاله عطاء الخراساني(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله بحلمه وملكه(٣) أن لا يعذِّب أحداً عاد إليه يقول: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه. وقيل: حم اسم من أسماء القرآن(٤) وقيل: اسم السورة(٥). وقيل: اسم من أسماء محمد ﷺ.

وفي صحيح البخاري(٦): يقال حم اسم/ يدلُّ عليه قول شريح بن أبي أوفى العبسي: | ١٨٢/ب

تناشدني حم والرمح شاجرٌ فهلاَّ تلي حم قبل التقدُّم؟

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ قال أبو العالية: ننصرهم بالحجة، وقيل: بالانتقام من أعدائهم.

---

(١) ذكرهما أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٦٨/٧.

(٢) حكاه أيضاً أبو سليمان الدمشقي. انظر: زاد المسير: ٦٩/٧.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣/١٢.

(٤) قاله قتادة. انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٩/١٥.

(٥) روى أنس ﷺ أن أعرابياً سأل النبي ﷺ: ما (حم) فإنا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبي ﷺ: ((بدء أسماء وفواتح سور)). انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٩/١٥، والمحرر الوجيز: ٤/١٢.

(٦) سورة المؤمن. قال البخاري: قال مجاهد: (حم) مجازها مجاز أوائل السور. يقال: بل هو اسم، لقول شريح ابن أبي أوفى العبسي: **يُذكِّرُني حاميم والرمح شاجرُ فهلا تلا حاميم قبل التقدم.**

انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب سورة المؤمن: ٣٣٥/٦.

قال السُدَّيُّ: ما قتل قومٌ قطُّ نبيًّاً أو قوماً من دعاة الحقِّ من المؤمنين إلا بعث الله تعالى مَن ينتقم لهم، فصاروا منصورين في الحياة الدنيا، وإن قُتِلوا. وقيل: ينصرهم بجعل العاقبة لهم.

قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: فصل الخطاب أنَّ نصرَهم حاصلٌ لا بدَّ منه، فتارة يكون بإعلاء أمرهم، كما أعطى سليمان من الملك فأقهر به كل كافر، وأظهر محمداً ﷺ على من كذَّبه من الكفار. وتارة يكون بالانتقام من مكذِّبيهم بعد وفاة الرسل، كتسليطه بُختَ نصَّر على مَن قتل يحيى بن زكريا(١)، والله أعلم./ أ/١٨٣

﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ عطف على ما قبله، أي: ينصرهم في الدنيا، وينصرهم يوم الأشهاد، وهم الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد ﷺ(٢).

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: (تنفع)، وقرأ الباقون: (الياء) (٣).

وقولـــه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ شرائع الدين. ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة. ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ ﴾ مفعول، أو حال. وأولو الألباب: أولو العقول.

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمد على ما يجرِّعك قومك مـــن الغُصَص(٤). ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ بنصرك، وإعلاء كلمتك، فالعاقبة لك ولأمتك حقٌّ كائن لا محالة. وقال كثير من المفسرين: الأمر بالصبر هنا منسوخ بآية السيف(٥).

---

(١) انظر: زاد المسير: ٨٤/٧.

(٢) انظر زاد المسير: ٨٥/٧.

(٣) انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٧٢، والكشف: ٢٤٥/٢، والنشر: ٢٧٣/٢.

(٤) سبق شرحها. الغُصص مفرده غُصة، وهي شجاً يُغص به في الحرقدة. يقال: غصصت بالماء غصصاً إذا شرِقْتَ به، أو وقف في حلقك فلم تكد تسيغه. انظر: لسان العرب: ٦٠/٧.

(٥) قال الكلبي: نسخت آيةُ القتالِ ــ السيفِ ــ الصبرَ حيث وقع، كهذه الآية وآية (٧٧) من نفس السورة. انظر: المحرر الوجيز: ٥٥/١٢، وتفسير البغوي: ٨٩/٤، وتفسير القرطبي: ٣٢٤/١٥، وزاد المسير: ٨٦/٧.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ قال الزمخشري: أقبل على التقوى[١]. ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: صلِّ الصلوات الخمس[٢].

وقال الحسن: هي صلاة كانت قبل أن تفرض الصلوات الخمس ركعتان غدوًّا، وركعتان عشيًّا[٣]. وقيل: نزِّه ربك، وأثنِ عليه.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ أي: اصبر إن وعد الله حق في نصرك وإظهار أمرك فإما أن ترى بعضه في حياتك فتقر عينُك به، وإما أن تموت قبل ذلك فإلى أمرنا وتعذيبنا يصيرون ويرجعون[٤]، والله أعلم.

---

(١) انظر: الكشاف: ٣/٣٧٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ٨٦/٧، وتفسير البغوي: ٨٩/٤.

(٣) فيكون هذا مما نسخ أيضاً بالصلوات الخمس. انظر: تفسير القرطبي: ٣٢٤/١٥.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٩٣/٤.

سورة حم السجدة

/ مكيَّة بإجماعهم[١]. وبها احتج رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة. ١٨٣/ب

قال محمد بن كعب القرظي: قال عتبة بن ربيعة: وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالسٌ ناحيةً، أريد أن أقوم إلى محمدٍ [ﷺ] فأعرض عليه أموراً، ليكف عن أمره هذا، فأيُّها شاءَ أعطيناه إذا رجع لنا عن هذا، فقالوا له: شأنك أبا الوليد، وكان عتبة سيداً حليماً، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخي، إنك منا بحيث قد علمت من الصميم[٢] والنسب والمكان من العشيرة، وإنك قد أتيت قومك بما لم يأتِ أحدٌ قومه بمثله؛ سفَّهتَ أحلامنا، وكفَّرتَ آباءنا، وعبتَ آلهتنا، وفرَّقت كلمتنا. فإن كان هذا لمالٍ تبغيه جمعناه لك، حتى تكون أيسرنا، وإن كنت تميل إلى الرئاسة رأَّسناك علينا، ولم نقطع أمراً دونك، وإن كان لِرِئيٍ[٣] من الجن يعتادك أعذرنا في الجد والاجتهاد حتى ينصرف عنك. ورسول الله ﷺ ساكتٌ يسمعُ كلامهُ.

فلما سكت عتبةُ، قال له رسول الله ﷺ: اسمع أبا الوليد ما أقول: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ ﴾[٤]./ ١٨٤/أ

ومضى رسول الله ﷺ في القراءة حتى بلغ السجدة، فسجد وعتبة مصغٍ يستمع، قد اعتمد على يديه من وراء ظهره.

---

(١) هي آيتان وخمسون في عدِّ البصري والشامي. وثلاث وخمسون في عدِّ المدنيين والمكي. وأربع وخمسون في عدِّ الكوفي. اختلافها في آيتين: ﴿ حمٓ ۝١ ﴾ عدَّها الكوفي فقط، و﴿ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ ﴾ لم يعدّها البصري والشامي، وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٢٠، وبصائر ذوي التمييز: ٤١٣/١.

(٢) يقال للرجل: هو من صميم قومه إذا كان من خالصهم. وضده شيظ، وأنشد الكسائي:

بمصرعنا النعمان يوم تألبت علينا تميم من شظى وصميم

انظر: لسان العرب: ٣٤٧/١٢.

(٣) الرِّئي: بفتح وكسر الراء المشددة: الجنِّي يراه الإنسان إذا كان يحبه ويؤالفه. قال ابن الأنباري: وهو الذي يعتاد الإنسان من الجن. وقال الليث: جنِّي يتعرض للرجل يريه كهانة وطباً. انظر: لسان العرب: ٢٩٧/١٤.

(٤) وردت في أصل المخطوط: (لقوم يؤمنون)، وهو خطأ تم تصويبه.

فلما قطع رسول الله ﷺ القراءة، قال له: يا أبا الوليد، قد سمعتَ الذي قرأتُ عليك، فأنت وذاك. فانصرف عتبة إلى قريش في ناديها، فقالوا: والله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي مضى به من عندكم. ثم قالوا: ما وراءك أبا الوليد؟ فقال: والله لقد سمعت من محمدٍ كلاماً ما سمعت مثله قطُّ، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، فأطيعوني في هذه وأنزلوها بي، خلُّوا محمداً وشأنه، واعتزلوه، والله ليكوننَّ لما سمعت من قوله نبأٌ، فإن أصابته العرب كُفيتُموه بأيدي غيركم، وإن كان مَلِكاً أو نبياً كنتم أسعد الناس به، لأن مُلكَهُ ملكُكُم، وشرفَه شرفُكم. فقالوا: هيهات سَحَرَك أبا الوليد. فقال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما شئتم(١).

وفيها أعدَّ الله، ووعد الصابرين بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾/ الآياتُ آياتُ وعدٍ للمؤمنين. ١٨٤/ب

قال سفيان(٢) بن عبد الله الثقفي: قلت للنبي ﷺ: أخبرني بأمرٍ أعتصم به، قال: ((قل آمنت بالله ثم استقم)) (٣).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ١/٣٣٠ــ٣٣١، والدر المنثور: ٥/٦٧٥، وتفسير القرطبي: ١٥/٣٣٨، وتفسير ابن كثير: ٤/١٣٧.

(٢) سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي، أسلم مع الوفد. وروى له مسلم والنسائي والترمذي، واستعمله عمر على صدقات الطائف. وفي رواية مرسلة لابن أبي شيبة أن النبي ﷺ استعمله على الطائف. شهد حنيناً، وروى عنه أولاده. انظر: الإصابة: ٣/١٢٤، رقم الترجمة: ٣٣١٧.

(٣) عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: ((يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: قل ربي الله ثم استقم. قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخافه عليَّ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن

واختلف المفسرون في مقتضى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ فذهب الحسن وقتادة إلى أن معناه: استقاموا بالطاعات، واجتناب المعاصي. وتلا عمر ﷺ هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا والله على طاعتِهِ، ولم يروغوا(١) روغان الثعالب(٢).

قال أبو محمد ابن عطية: ذهب ﷺ إلى حَملِ الناس على الأتمِّ الأفضل، ولا يلزم من هذا التأويل أن لا تنزل الملائكة عند الموت على غير مستقيم على الطاعة.

وذهب أبو بكر الصديق ﷺ إلى أن المعنى: ثم استقاموا على قولهم: ربنا الله، فلم يختلَّ توحيدهم، ولم يضطرب إيمانهم.

وقال أبو محمد بن عطية: المعنى الأول هو أول درجات/ الاستقامة. أما الخلود فهو كقوله ﷺ: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)) (٣). وهو المعتقدُ، إن شاء الله تعالى. ١٨٥/أ

وذلك أن العصاة من أمة محمد ﷺ وغيره فرقتان؛ فأما من قضى الله له بالمغفرة، وترك تعذيبه، فلا محالة أنه ممن تتنزل عليه الملائكة بالبشارة، وهو إنما استقام على توحيده فقط.

وأما من قضى الله بتعذيبه مرةً، ثم بإدخاله الجنة، فلا محالة أنه يلقى جميع ذلك عند موته. وليس يصحُ أن تكون حاله كحالة الكافر اليائس من رحمة الله.

فإذا كان هذا فقد حصلت له البشارة، بأن لا يخاف الخلود في النار، ولا يحزن منه، وبأنه يصير آخراً إلى الخلود في الجنة، فهم داخلون فيمن يقال لهم: ﴿ أَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

صحيح. وقد روي من غير وجه عن سفيان بن عبد الله الثقفي. انظر: سنن الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان: ٥٢٥/٤، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة: ١٣١٤/٢، رقم الترجمة: ٣٩٧٢.

(١) الروغان: الانحراف في استخفاء. يقال: راغ إلى كذا: أي مال إليه سراً وحاد، وفلان يراوغ فلاناً، إذا كان يحيد عما يديره عليه ويحايصه، وراوغه: خادعه. انظر: لسان العرب: ٤٣٠/٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٣٥٨/١٥، والمحرر الوجيز: ١٠٩/٧، وتفسير البغوي: ١٠١/٤، والدر المنثور: ٥/ ٦٨٢، وتفسير ابن كثير: ١٤٨/٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في التلقين: ٢٠٧/٢، رقم الحديث: ٣١١٦.

ومع هذا كله فلا خلاف في أن الموحد المستقيم على الطاعة أتم حالاً، وأكمل بشارة، وهو مقصد أمير المؤمنين عمر ﷺ. وعلى نحو ذلك قال سفيان الثوري: استقاموا عملوا بحق ما قالوا. وقال الربيع[١]: أعرضوا عن ما سوى الله.

وقال الفضيل[٢] بن عياض: زهدوا في الفانية، ورغبوا في الباقية[٣]، فكلما كان المرء أشدَّ[٤] استعداداً كان أسرعَ فوزاً بفضل/ الله تعالى.

١٨٥/ب

ومعنى قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ أمنٌ عام من كل همٍّ، وتسليةٌ تامةٌ من كل فائت. وقال مجاهد: المعنى لا تخافون ما تقدمون، ولا تحزنون على ما خلفتم من دنياكم. فتقول الملائكة للمؤمنين عند الموت، وعند مشاهدة المشاق: نحن كنا أولياءكم في الدنيا وفي الآخرة.

وقال السُّدِّيُّ: المعنى: ﴿ نَحْنُ ﴾ حَفَظْنَٰكُمْ في ﴿ ٱلدُّنْيَا ﴾، وأولياؤكم ﴿ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ أي: في الآخرة ﴿ مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ أي: تطلبون. و ﴿ نُزُلا ﴾ نصب على المصدر. قرأ الجمهور بضم الزاي، وقرأ أبو حيوة بإسكانها[٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ.﴾ الآية. ابتداء توصية محمد ﷺ، وهو لفظ يعمُّ كل من دعا قديماً أو حديثاً إلى الله تعالى، وإلى طاعته، من الأنبياء

---

(١) لم أستطع ترجمته لإطلاق اسمه، حيث في كتب التراجم ما ينوف عن عشرين عَلَماً كلهم اسمهم (الربيع).

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، أبو علي الزاهد، أحد صلحاء الدنيا وعبَّادها، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وكتب الحديث بالكوفة، وتحول إلى مكة فسكنها ومات فيها سنة ١٨٦هـ. عن عمرٍ جاوز المئة بسنة. وثقه كل من العجلي والنسائي والدارقطني وابن عيينة وابن سعد، وله أخبار كثيرة في الزهد والورع. روى له الجماعة سوى ابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال: ٢٩٩/٢٣، رقم الترجمة: ٤٧٦٣.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٥٨/١٥، والمحرر الوجيز: ١١٠/١٢.

(٤) وردت في الأصل: (اشتد)، وهو خطأ.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ١١٢/١٢.

والمؤمنين. والمعنى: لا أحد أحسن ممن هذه حالُهُ. قيل: هي عامة(١)، وقيل: خاصةٌ بالنبي ﷺ(٢).

قلتُ(٣): هو أكمل الناس حالاً، وأصدقهم مقالاً، وأحسنهم جمالاً، وألطفهم فعالاً، اصطفاه الله على خلقه، ودلّله دلالاً.

وقالت عائشة رضي الله عنها: نزلت هذه الآية في المؤذنين. وقوله: ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هو الصلاة بين الأذان والإقامة(٤).

قلتُ: والأصوب أن يُعتقَد أن الآية/ نزلت عامةً في كل من دعا إلى طاعة الله. لأن الآية مكيَّة بلا خلاف، ولم يكن بمكة أذانٌ، وإنما ترتَّب بالمدينة. | ١٨٦/أ

قرأ الجمهور: ﴿ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ بنونين، وقرأ ابن أبي عبلة: بنون واحدة.

قال الفضيل(٥) بن رفيد: كنت مؤذناً في أصحاب ابن مسعود [رضي الله عنه]، فقال عاصم(٦) بن هبيرة: إذا أكملت الأذان فقل: إني من المسلمين، ثم تلا هذه الآية(٧)، والله أعلم. ثم وعظَ تعالى نبيه محمداً ﷺ، وقرَّرَ أنَّ الحسنةَ والسيئةَ لا تستوي، بل الحسنة أفضل، وكرَّرَ: ﴿ وَلَا ﴾ في قوله: ﴿ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ توكيداً لبدل، على أن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيئة، ولا السيئة والحسنة، فحذف ودل لا على هذه الحروف.

وقوله: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ لأنك جمعت مكارم الأخلاق، وأنواع الحكم. أي: ادفع أمورَك، ومخالطتَك بالناس بالسيرة التي هي أحسن؛ كبذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والسماحة، والعفو عن الناس، والصفح الجميل.

---

(١) ذهب إلى العموم الحسن ومقاتل وجماعة. انظر: المحرر الوجيز: ١١٢/١٢.

(٢) ذهب إليه السدي وابن زيد وابن سيرين. انظر: المحرر الوجيز: ١١٢/١٢.

(٣) هذا قول المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٤) ذكره النقاش عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: المحرر الوجيز: ١١٢/١٢، وتفسير القرطبي: ٣٦٠/١٥

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٣٦٠/١٥.

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: إذا فعل المؤمن هذه الفضائل، عصمه الله من الشيطان، وخضع له عدوه. ولهذا قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾.

فإن قلتَ: الذي عنده عداوةٌ لا يكون وليّاً حميماً، فكيف دخل كاف/ التشبية؟ ١٨٦/ب

قلتُ: هو كذلك. غير أنه يَحسُنُ ظاهره بذلك لك، فيشبه الوليَّ الحميمَ، والحميمُ[١]: القريب، والله أعلم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ أي: ما يُلقَّى هذه الخصال التي توجب السعادة في الدارين، إلا الذين صبروا على نكد الدنيا. وقيل: المعنى ما يُلقَّى لا إله إلا الله، إلا الذين صبروا.

قلت[٢]: وهذا مدحٌ بليغٌ للصابرين، لأن الصبر على الطاعات، وترك المنكرات، جامعٌ لخصال الخير كله.

ومعنى قوله: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي: ذو عقل، وفضل، وصبر عظيم، يُلقَّى الجنة وثوابَ الآخرة[٣]، والله أعلم.

---

(١) الحميم: القريب الذي توده ويودك ويهتم لأمرك. انظر: لسان العرب: ١٥٣/١٢.

(٢) هذا قول المصنف ــ رحمه الله ــ.

(٣) تفسير الآيات من: (٣٠ ــ ٣٥) في سورة فصلت؛ انظر تفسيرها في: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: ١٢ /١٠٨ــ١١٤.

سورة الشورى

خمسون وثلاث آيات[١]، وهي مكيَّة في قول ابن عباس [رضي الله عنهما] والأكثرين. وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أيضاً: إن فيها من المدني: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ... ﴾ إلى آخر أربع آيات.

ومعنى:﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ ﴾:

قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي: أقسم الله بحكمه، ومجده، وعلمه، وسنائه، وقدرته. وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أنه قال: هو اسم من أسماء الله تعالى، أقسم به. وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقيل: هي حروف مقطَّعة من حوادث آتيةٍ. وقال/ عطاء: الحاء من حربٍ، والميم من تحويل ملكٍ، والعين من عدوٍّ مقهور، والسين استئصال بسنين كسِنِيِّ يوسف، والقاف من قدرة الله تعالى في ملكوت الأرض[٢]. ١٨٧/أ

وقال بكر[٣] بن عبد الله المزني: (حم) حربٌ يكون بين قريش والموالي، فتكون الغلبَةُ لقريش على الموالي من مُلك بني أمية. (ع) علوٌّ ولد العباس، (سين) سِنِيُّ المهدي، (ق) قوة عيسى بن مريم حتى ينزل فيقتل النصارى، ويخرِّب البِيَع[٤].

---

(١) ثلاث وخمسون في عدِّ الكوفي، وخمسون في عدِّ الباقين. واختلافها في ثلاث آيات: ﴿ حمٓ ﴾ و﴿ عٓسٓقٓ ﴾ و ﴿ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾، عدَّهن الكوفي دون الباقين. انظر: البيان: ص: ٢٢١، وبصائر ذوي التمييز: ٤١٨/١.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٠٩/٧.

(٣) بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري، وهو ابن عمرو بن هلال، وأخوه علقمة، كان من خيار الناس، له نحو خمسين حديثاً. وثَّقه يحيى بن معين وأبو زرعة والنسائي. وقال محمد بن سعد: كان ثقة ثبتاً مأموناً حجة فقهياً. روى له الجماعة، ومات سنة ١٠٦هـ. انظر: تهذيب الكمال: ٢١٦/٤، رقم الترجمة: ٧٤٧.

(٤) لم أقف على سند لهذا التفسير. وفي تفسير المحرر الوجيز لابن عطية: روي أن علي بن أبي طالب ﷺ، كان يستفيد علم الفتنة والحروب من هذه الأحرف التي في أوائل السور. انظر: المحرر الوجيز: ١٣٩/١٣، وانظر: تفسير القرطبي: ٢/١٥، وتفسير الطبري: ٦/٢٥. ففيهما عن حذيفة شبيه بهذا الخبر.

ويروى عن ابن عباس [رضي الله عنهما] أنه كان يقرؤها (حم)..(سق) بغير (عين)[١]، وهي في مصحف ابن مسعود [رضي الله عنه] كذلك.

وسئل الحسين بن الفضل: لم قطع: ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ ﴾ ولم تقطع: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾ يعني: في خط المصحف؟ فقال: لكونها بين سورٍ أوائلها ﴿ حمٓ ۝١ ﴾ فجرت مجرى نظائرها قبلها وبعدها، ولأنهما عُدًّا آيتين، وعُدَّت أخواتها التي كتبت موصولة آية[٢]، والله أعلم.

وفيها من آيات الصبر والتوكل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٣٢ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣ ﴾ الجواري جمع جاريةٍ، وهي السفينة[٣].

قرأ (الجواري) بإثبات الياء؛ نافع وعاصم/ وأبو جعفر وشيبة. ومنهم من أثبتها في الوصل، ووقف على الراء. وقرأ عاصم: بحذف الياء وصلاً ووقفاً[٤]. والأعلامُ الجبالُ[٥]. ومنه قول الخنساء: ١٨٧/ب

وإن صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به كأنه علمٌ في رأسِهِ نارُ[٦]

---

(١) كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأها بلا عين، ويقول: السين كل فرقة تكون، والقاف كل جماعة تكون. انظر: المحتسب: ٢٤٩/٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/١٥.

(٣) وهي صفة غالبة وفي التنزيل: ﴿ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾، ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ ﴾، ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا ﴾. انظر: لسان العرب: ١٤١/١٤.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو: (الجواري) بياء في الوصل، ويقف ابن كثير بالياء، ونافع وأبو عمرو بغير ياء. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (الجوارِ) بغير ياء وقفاً ووصلاً. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٨١، والنشر: ٢٧٥/٢.

(٥) الأعلام الجبال. والعَلَم العلامة، والعلم: الجبل الطويل. وفي الحديث: ((لينزلن إلى جنب علم)). والجمع: أعلام وعلام. انظر: لسان العرب: ٤٢٠/١٢.

(٦) كأنه علم: مثلٌ ضربته في شهرة أخيها، والعلم: الجبل. انظر: شرح ديوان الخنساء: الصفحة: ٥١.

فجري السفن في الماء آيةٌ عظيمةٌ وتسخير الريح لذلك نعمةٌ منه، فلو شاء سُكونَ الرّياح عنها لركدت وقرَّت.

قرأ أبو عمرو وعاصم: ﴿ ٱلرِّيحَ ﴾ وقرأ نافع وابن كثير: (الرياح)[1]. ثم شرَّفَ الصابرين، وخصَّ الصبَّارَ الشكور لمبالغته في الصبر بالذكر، لأن الصبر والشكر خيرٌ كله، ولا يكونان إلا في عالم بالله[2].

ثم قال تعالى: ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الإيباق في السفن هو تغريقها[3]. والضمير في: ﴿ كَسَبُوا۟ ﴾ هو لركَّابها من البشر، أي: بما كسبوا من ذنوبهم.

ومعنى قوله: ﴿ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ مبالغةٌ.

قرأ نافع وابن عامر: (ويعلمُ) بالرفع على القطع والاستئناف، وقرأ الباقون بالنصب على/ تقدير (أن)[4]. وتسمى هذه واو الصرف[5]، لأن حقيقةَ واو الصرف أن يُعطَف بها فعل على اسم، فتقدَّرُ (أن) لتكون مع الفعل في تأويل المصدر، فيحسن عطفه على الاسم. ١٨٨/أ

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر: ٢/٢٧٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٢/١٧٦.

(٣) وبق: هلك. ويوبقهن: يحبسهن ــ يعني الفلك وركبانها ــ فيهلكون غرقاً. انظر: الصحاح: ٤/١٥٦٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/١٤٦.

(٤) انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٨١، والكشف: ٢/٢٥١ــ٢٥٢، والنشر: ٢/٢٧٥.

(٥) سمَّى الكوفيون هذه الواو واو الصرف، بشرط أن يتقدمها نفي أو طلب، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. وقول أبي الأسود الدؤلي:

لاتنه عن خلقٍ وتأتيَ مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

قال ابن هشام: والحق إن هذه واو العطف. انظر: مغني اللبيب: ١/٥٧٨ــ٥٧٩.

ومعنى قوله: ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ منجى[١]. وفي حديث هرقل: ((فحاصوا حيصةَ حُمُر الوحشِ إلى الأبواب))[٢].

ثم وعظ تعالى عباده، وحقَّر عندهم أمرَ الدنيا، ورغَّبهم فيما عنده من نعيمهم، وعظَّمَ قدر ذلك بقوله: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾ الآية.

ثم عطف عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: الكبائر كلُّ ما ختمه الله تعالى بنارٍ، أو غضبٍ، أو لعنةٍ، أو عذابٍ[٣].

قرأ الجمهور: (كبائر) بالجمع، وقرأ حمزة والكسائي: (كبير) على الإفراد[٤] الذي هو اسم الجنس، بمعنى كبائر. فتدخل فيه الموبقاتُ السبعُ.

وقوله: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ حضٌّ على كسر الغضب، إذ الغضبُ جمرةٌ توقدُ، كما في الحديث: ((فمن كظم غيظه فقد كَفَى همَّاً عظيماً[٥] في دنياه وآخرته))[٦].

---

(١) المحيص: المحيد والمهرب. انظر: لسان العرب: ١٩/٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث طويل في: كتاب بدء الوحي: ٨/١، رقم الحديث: ٧، وكتاب تفسير القرآن، باب ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ : ٢٠١/٥، رقم الحديث: ٤٥٥٣.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١٧٩/١٢.

(٤) ومع حمزة والكسائي خلف. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٨١، والكشف: ٢٥٣/٢، والنشر: ٢٧٥/٢.

(٥) ورد النص في أصل المخطوط: (همّ عظيمٌ). وهو خطأ. والصواب ما أثبته على أنه مفعول به منصوب بالفتحة، وصفته منصوبة أيضاً.

(٦) أخرج الترمذي في سننه بسنده أن رسول الله ﷺ قال: ((من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذَّه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء)). قال: هذا حديث حسن غريب. انظر: سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق: ٥٦٦/٤، رقم الحديث: ٢٤٩٥. وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً: ٢٤٨/٤، رقم الحديث: ٤٧٧٧، وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد: ١٤٠٠/٢، رقم الحديث:

وقد قال رجل للنبي ﷺ: أوصني قال: ((لا تغضب، فردَّد مراراً، قال: لا تغضب))[١]./

١٨٨/ب

ثمَّ قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الذين استجابوا لربهم: هم الذين آمنوا به، وبرسُلِهِ. وفي الشورى اجتماعُ الكلمةِ والتحابب، والتعاضد على الخير.

وفي الحديث: ((ما تشاور قومٌ قطُّ إلا هُدُوا لأحسن ما يحضرهم))[٢].

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في سبيل الله.

قال ابن زيد: نزلت هذه الآية في الأنصار. والصحيح أنها عامة في كل مَن اتصف بهذه الصفة[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

قال الأكثرون: هو المؤمن إذا بغى على مؤمن، وظلمه، فلا يجوز للآخر أن ينتصف منه بنفسه، ويجازيه على ظلمه.

وبهذا قال أحمد ومالك وأبو حنيفة، واحتجُّوا بقوله عليه السلام: ((أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخُن مَن خانك))[٤].

٤١٨٦، وأحمد في المسند: ٢٥٥/١٢، رقم الحديث: ١٥٥٧٤، وإسناده صحيح. ولفظ أبي داود وأحمد: ((وهو قادر..))، ((من أي الحور شاء)).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة ﷺ، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: ١٣٠/٧، رقم الحديث: ٦١١٦.

(٢) أخرجه عبد بن حميد والبخاري في الأدب، وابن المنذر عن الحسن قال: ((والله ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثم تلا: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾)). [الشورى:٣٨]. انظر: الأدب المفرد: ص: ١١٦، والمحرر الوجيز: ١٨٠/١٢، ونصه في الدر المنثور: ((ما تشاور قوم قط إلا هدوا وأرشد أمرهم)): ٧٠٧/٥.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١٨٠/١٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه بسنده إلى أبي هريرة ﷺ: كتاب البيوع، باب ما جاء في النهي للمسلم أن يدفع إلى الذمي الخمر يبيعها له: ٥٦٤/٣، رقم الحديث: ١٢٦٤، وقال: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده: ٢٩٠/٣، رقم الحديث: ٣٥٣٤، والدارمي في سننه:

وقال الشافعي في مسألة الظفَر[1] إذا ظفر بمال مَن أخذ ماله بغير حقٍّ، يجوز له أن يأخذ من ماله نظير ما أخذ منه.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾/ قال السُّدِّيُّ: معنى الآية: أن الرجل إذا شُتِم بشتمةٍ، فله أن يردَّها عليه بعينها دون أن يتعدَّى. واللام في قوله: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ ﴾ لامُ التقاء القسَم. ويريد بقوله: ﴿ مِن سَبِيلٍ ﴾ أي: من سبيل حَرَجٍ، ولا سبيل حكمٍ. وهل ذلك بين المؤمنين، أو بين المؤمن والمشرك؟ خلاف بين العلماء[2].

١٨٩/أ

ومعنى قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ الآية. أي: إنما سبيل الإثم والحكم على الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها.

٣٤٣/٢، رقم الحديث: ٢٥٩٧. وأخرجه أحمد في المسند: ١٦٩/١٢، رقم الحديث: ١٥٣٦٢، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن الصحابي. لكنه ورد من طريق أبي هريرة بإسناد صحيح وحسن.

(١) **مسألة الظفر**: قال الشافعية: لصاحب الحق استيفاء حقه بنفسه عن أي طريق، سواء أكان من جنس حقه، أم من غير جنسه، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾ [طه: ١٢٦]. والمثلية ليست من كل وجه، وإنما في المال. ولحديث: ((من وجد عين ماله عند رجل فهو أحق به)). ووافق الحنفية الشافعية فيما إذا كان المأخوذ من جنس حقه لا من غيره، والمفتى به اليوم التعميم: (من جنس الحق أو من غيره) لفساد الذمم، والمماطلة في وفاء الديون. والمشهور عند المالكية والحنابلة أن لصاحب الحق استيفاء حقه بواسطة القضاء، لحديث: ((أدِ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك))، ولأن النبي ﷺ قضى لهند زوجة أبي سفيان بأخذ حقها ولو لم يعلم زوجها، بقوله: ((خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف)). فدل على أنه لابد من القضاء لأخذ عين الحق أو جنسه. انظر: مغني المحتاج: ١٦٢/٤، ورد المحتار: ٢١٩/٣، ٢٦٥، والشرح الكبير للدردير: ٣٣٥/٤، والمغني: ٢٥٤/٨.

(٢) قال القرطبي في قوله: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [الشورى: ٤١]. أي: المسلم إذا انتصر من الكافر فلا سبيل إلى لومه، بل يحمد على ذلك مع الكافر، ولا لوم إن انتصر الظالم من المسلم. فالانتصار من الكافر حتم، ومن المسلم مباح، والعفو مندوب. انظر: تفسير القرطبي: ٤١/١٦.

والبغي بغير الحق نوع من أنواع الظلم، خصَّه بالذكر لشدَّته، وسوء حال صاحبه. ثم توعَّدهم الله تعالى بالعذاب الأليم في الآخرة. وهو اعتراض بين كلامين.

ثم عاد في قوله: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ إلى الكلام الأول، كأنه قال: ولمَن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. ولمَن صبر وغفر.

واللام في قوله: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ يصحُّ أن يكون لام القَسَم، ويصح أن يكون لام الابتداء، و(من) ابتداء، وخبره في قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾. و﴿ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ محكمُها ومتقنها، والصبر والغفران أفضل إجماعاً.

قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان له على الله أجرٌ فليقم، فيقوم عنُقٌ من الناس كثير، فيقال: ما أجرُكم؟ فيقولون: نحن الذين عفونا عمن ظلمنا في الدنيا))[1]. والله أعلم[2]

---

(١) أخرجه العقيلي والطبراني في مكارم الأخلاق، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من طريق الفضيل ابن يسار عن غالب العطار عن الحسن بن أنس رفعه، وله طرق أخرى عن الثعلبي والبيهقي. قال البيهقي: المتن غريب والإسناد ضعيف. انظر: الكافي الشافِ في تخريج أحاديث الكشاف: ٤/٢٢٩، والدر المنثور: ٥/٧٢٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٢/١٨٤ــ١٨٥.

(سورة الزخرف)

١٨٩/ب

/ مكيَّة بإجماع[١].

وفيها وعد الله عباده الصابرين المؤمنين بالجنة، ونفى عنهم خوف يوم القيامة وحزنَهُ، وجعل الجنة لهم على سبيل الميراث، فقال تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ[٢] ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾ الأصدقاء، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني: يوم القيامة، والعامل[٣] فيه: ﴿ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ العاملين بطاعة الله. فإنَّ خُلَّتهم تزداد يوم القيامة، وتُقرِّبَهُم إلى الله تعالى. قال مقاتل: نزلت في أمية بن خلف[٤] بن أبي معيط[٥]. وقال المعتمر[٦] بن سليمان:

---

(١) هي ثمان وثمانون في عدّ الشامي. وتسع وثمانون في عدّ الباقين. واختلافها في آيتين: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾ عدّها الكوفي فقط. و﴿ هُوَ مَهِينٌ ﴾ لم يعدّها الكوفي والشامي وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٢٣، وبصائر ذوي التمييز: ٤٢١/١.

(٢) وردت المفردة في الأصل: (ما تشتهي)، وهو خطأ في النسخ.

(٣) أي: خبر المبتدأ فيه..

(٤) نزلت في أمية بن خلف الحجمي وعقبة بن أبي معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي ﷺ فقالت قريش: قد صبأ عقبة بن أبي معيط. فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام، إن لقيت محمداً ولم تتفل في وجهه، ففعل عقبة ذلك، فنذر النبي ﷺ قتله، فقتله يوم بدر صبراً. (أي نُصِبَ للقتل). وقتل أمية في المعركة، وفيهم نزلت هذه الآية. انظر: تفسير القرطبي: ١٠٩/١٦، وزاد المسير: ١٤٣/٧.

(٥) سقط في الأصل اسم (عقبة)، وهو عقبة بن أبي معيط.

(٦) المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، أبو محمد البصري. كان يلقب بالطفيل، وكان مولى لبني مرة، ثقة صدوق، روى له الجماعة، ولد سنة ١٠٦هـ، ومات سنة ١٨٧هـ بالبصرة في خلافة هارون. انظر: تهذيب الكمال: ٢٥٠/٢٨، رقم الترجمة: ٦٠٨١.

قال أبي[١]: سمعت أن الناس حين يُبعَثون ليس منهم أحد إلا يفزع، فينادي منادٍ: ﴿ يَٰعِبَاد لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾. فيرجوها الناس كلُّهم، فيُتبِعُهَا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ فييْأَس الناس منها غير المسلمين[٢].

وفي لفظٍ آخر: ينادي منادٍ يوم القيامة: ﴿ يَٰعِبَاد لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ فيرفع الخلائقُ/ رؤوسهم، فيقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾، فينكس الكفارُ رؤوسهم[٣]. ١٩٠/أ

و:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ في محل النصب صفةً لـــ: (عبادي). ﴿ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾.

وقوله: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ جمع كوب، وهو إناء مستدير لا عروةَ له ولا خرطوم. قاله الفراء[٤].

قال بعض أهل العلم: إنما كانت بغير عُرىً، ليشرب الشارب من أي ناحيةٍ منها شاء.

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن أدنى أهل الجنة منزلةً لمَن له سبع درجات، وهو على السادسة، وفوقه سبعة، وإنَّ له لثلاثمئة خادم، ويُغدَى عليه ويُرَاح بثلاثمئة صحفة، ــ ولا أعلمه قال: إلا من ذهب ــ في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوَّله كما يُلذ آخره، وإنه ليقول: يا ربِّ

---

(١) أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي: لم يكن من بني تيم، وإنما نزل فيهم. له نحو مئتي حديث. تابعي ثقة من العباد المجتهدين، ومن خيار أهل البصرة وحفاظها. روى له الجماعة، توفي بالبصرة سنة ١٤٣هـ. انظر: تهذيب الكمال: ١٢/١٢، رقم الترجمة: ٢٥٣١.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري. انظر: تفسير الطبري: ٥٧/٢٥، والدر المنثور: ٧٣١/٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٤٣/٧.

(٤) قال الفراء: قوله أكواب: الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له. قال عدي:

خير لها إن خشيت حجرة ... من ربّها زيد بن أيــوب

متكئــاً تصفق أبــوابــه ... يَسقِي عليه العبد بالكوب

انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٧/٣.

لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم، لا ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة، سوى أزواجه اللاتي[١] في الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض))[٢].

وروى الرُمَّاني عن أبي هريرة ﷺ، قال: ((أدنى أهل الجنة منزلة، وما منهم دانٍ لَمَن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم، مع كل واحد منهم ظريفة ليست مع صاحبه))[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾/ ١٩٠/ب قرأ نافع، وابن عامر، وحفص: ﴿ تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾، وقرأ الباقون: (تشتهي) بحذف الهاء[٤].

قال عبد الرحمن[٥] بن سابط: قال رجل: يا رسول الله في الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل. فقال: ((إن يُدخِلك الله الجنة أصبت فيهـــا ما اشتهت نفسك، ولذَّت عينـــك))[٦].

---

(١) وردت في الأصل: (التي)، والصواب: (اللاتي).

(٢) أخرجه أحمد وفيه فروق بسيطة في بعض ألفاظه. وإسناده حسن. ولم يروه غير أحمد من الأئمة الستة. قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات على ضعف في بعضهم، ولعله يقصد شهر بن حوشب وقد حسُناه.. انظر: مسند أحمد: ٦٠٨/٩، رقم الحديث: ١٠٨٧٤، ومجمع الزوائد: ٤٠٠/١٠.

(٣) لم أقف عليه، وقريب منه في الدر المنثور: ٧٣٤/٥.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر (تشتِي) بغير هاء. وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ﴿ تَشْتَهِيه ﴾ بهاء بعد الياء. انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٨٨، والكشف: ٢٦٢/٢، والنشر: ٢٧٦/٢. وكذلك هو في المصاحف المدينة والشامية.

(٥) عبد الرحمن بن سابط، ويقال: عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط القرشي الجمحي المكي، تابعي أرسل عن النبي ﷺ. مات سنة ١١٨هـــ. قال محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث، روى له النسائي في اليوم والليلة، وفي الخصائص. وروى له الباقون سوى البخاري. انظر: تهذيب الكمال: ١٢٦/١٧، رقم الترجمة: ٣٨٢٢.

(٦) حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة عن أبيه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحب الخيل ففي الجنة خيل؟ قال: ((إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت إلا ركبت))، وأتاه رجل آخر فقال: يا رسول الله أفي الجنة إبل؟ فقال: ((يا

ومعنى قوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ قال الزمخشري: ﴿ تِلْك ﴾ إشارة إلى الجنة المذكورة، وهي مبتدأ خبره ﴿ ٱلْجَنَّةُ ﴾. ﴿ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا ﴾ صفة الجنة والجنة صفة للمبتدأ، و﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الخبر. والباء تتعلق بمحذوف، كما في الظروف التي تقع أخباراً.

ومعنى قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ مِن للتبعيض، أي: لا تأكلون إلا بعضها، وأعقابها باقية في شجرها، فهي مزيَّنة بالثمار أبداً، مورقة[1] بها، لا ترى شجرة عُريانة من ثمرها، كما في الدنيا.

قال ثوبان[2]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها، إلا نبت مكانها مثلاها))[3]

عبد الله لن يدخلك الله الجنة كان لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك)). إسناده صحيح. انظر: مسند أحمد: ١٦/ ٤٨٨، رقم الحديث: ٢٢٨٧٨.

(١) وردت في الأصل: (موقرة)، وهي خطأ إذ لا معنى لها. والصواب: (مورقة)، كما في الكشاف: ٤/٢٦٣.

(٢) ثوبان مولى رسول الله ﷺ وصحابي مشهور، يقال: إنه من العرب حكَمَي من حكَم بن سعد بن حمير، وقيل: من السراة. اشتراه رسول الله ﷺ ثم أعتقه فخدمه إلى أن مات، ثم تحول إلى الرملة، ثم حمص، ومات بها سنة ٥٤ هـ. روي أن النبي ﷺ قال: ((من يتكفَّل لي ألا يسأل الناس وأتكفَّل له الجنة؟ فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً)). انظر: الإصابة: ١/٤١٣، رقم الترجمة: ٩٦٨.

(٣) انظر: الكشاف: ٤/٢٦٣.

(سورة الدخان)

سبع وخمسون آية(١).

وهي مكيَّة بإجماع.

روى أبو بكر بن السُنِّي/ بسنده عن أبي هريرة [ﷺ] عن النبي ﷺ قال: ((من قرأ سورة الدخان في ليلةِ جمعة أصبح مغفوراً له))(٢). | ١٩١/أ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ هذا جواب القسم، وضمير الهاء يعود على الكتاب، وهو القرآن.

والليلة المباركة ليلة القدر في قول الأكثرين.

وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان.

قال ابن الجوزي: الرواية بذلك عن عكرمة مضطربة(٣).

وفيها وعد الله الصابرين على التقوى بالحور العين، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم

---

(١) هي تسع وخمسون آية في عدّ الكوفي، وسبع وخمسون في عدّ البصري، وست وخمسون في عدّ الباقين. واختلافها في أربع آيات ﴿ حمٓ ۝١ ﴾ ، و ﴿ إِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ ﴾ عدّهما الكوفي فقط. ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ ﴾ لم يعدّها المدني الآخر والمكي فقط. ﴿ فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ ﴾ لم يعدّها المدني الأول والشامي، وعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٢٥، وبصائر ذوي التمييز: ١/٤٢٤.

(٢) انظر: عمل اليوم والليلة لابن السني: باب ما يستحب أن يقرأ في اليوم والليلة: ص: ٦٢٩، رقم: ٦٧٩. وأخرج الترمذي في سننه بسنده عن هشام أبي المقدام عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قرأ (حم الدخان) في ليلة الجمعة غفر له)). قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعَّف، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة. هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد. انظر: سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل (حم الدخان): ٥/١٥٠، رقم الحديث: ٢٨٨٩. وأخرجه الدارمي في سننه بروايتين: الأولى: بسنده عن عبد الله بن عيسى قال: ((أُخبرت أنه من قرأ (حم الدخان) ليلة الجمعة إيماناً وتصديقاً بها أصبح مغفوراً له)): ٢/٥٤٩، رقم الحديث: ٣٤٢٠، والثانية: بسنده عن أبي رافع قال: ((من قرأ (الدخان) في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له، وزوج من الحور العين)): كتاب فضائل القرآن، باب في فضل: (حم الدخان)، و(الحواميم)، و(المسبحات): ٢/٥٥٠، رقم الحديث: ٣٤٢١.

(٣) انظر: زاد المسير: ٧/١٥٠.

بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٢﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٤﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: (مُقام) بضمِّ الميم، وقرأ الباقون بفتحها[1].

و﴿ أَمِين ﴾: بمعنى: مأمون. وقرأ عاصم: ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ بكسر العين، والباقون بضمها. فالسندس رفيق الحرير، والإستبرق غليظُهُ.

وقوله تعالى: ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ وصفٌ لمجالس أهل الجنة، لأن بعضهم لا يستدير بعضاً في المجالس.

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي: الأمر كذلك./ ١٩١/ب

و: ﴿ عِينٍ ﴾ جمع عيناء[2]. وعن النبي ﷺ أنه قال: ((إخراج القمامة من المسجد مُهُور الحُور العِين))[3].

وقوله: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ أي: يدعون الخدمة.

وقوله: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي: سوى الموتة الأولى. وضعَّف ذلك الطبري، وقدَّرها بِبَعْد.

---

(١) انظر: كتاب السبعة: ص: ٥٩٣، والكشف: ٢/٢٦٥، والنشر: ٢/٢٧٧.

(٢) العِيْن جمع عيناء، وهي واسعة العين. يقال: أعين بيّن العينةِ، وإنه لأعين إذا كان ضخم العين واسعها، والأنثى عيناء، والجمع منها عِيْنٌ. انظر: لسان العرب: ١٣/٣٠٢.

(٣) عن أبي قرصافة أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة ــ أي الكناسة ــ منها، فمن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة. فقال رجل: يا رسول الله وهذه المساجد التي تبنى في الطريق قال: نعم. وإخراج القمامة منها الحور العين)). رواه الطبراني في الكبير. انظر: مجمع الزوائد: ٢/٩. وفي إسناده مجاهيل. وأبو قرصافة هو جندرة بن خيشنة بن نفير الكناني له صحبة. روى عن النبي ﷺ وروى عنه شداد أبو عمار، وزياد بن سيار، ويحيى بن حسان. سكن فلسطين، وقيل: أرض تهامة. قال ابن حبان: قبره بعسقلان. انظر: الاستيعاب: ٤/١٧٣٣، وتهذيب التهذيب: ٢/١١٩.

وبكل حال نفى عنهم ذوقَ موتٍ، وأنهم لا ينالهم من ذلك غير ما تقدَّم في الدنيا[١]. والضمير في قوله: ﴿ يَسَّرْنَٰهُ ﴾ عائد على القرآن.

وقوله: ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ معناه: بلغة العرب، ولم يُرِد الجارحة، كذا قال ابن عطية ــ رحمه الله ــ[٢].

وقوله: ﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ معناه: فارتقب نصرنا لك بصبرك على أذى كفار قريش، إنهم مرتقبون فيما يظنون الدوائر عليك.

وفي هذه الآية وعدٌ لنبيِّنا ﷺ، ووعيد لهم. وفيها متاركة[٣]. وهذا وما جرى مجراه منسوخ بآية السيف[٤]، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٢٩٠/١٢ــ٢٩١ .

(٣) المتاركة: الترك: ودعك الشيء. تركت الشيء تركاً: خلَّيته، وتاركته البيع متاركة. انظر: لسان العرب: ١٠/ ٤٠٥، والصحاح: ١٥٧٧/٤.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٢٩١/١٢.

(سورة الجاثية)

وتسمَّى سورة الشريعة[١]، وهي ست وثلاثون آية[٢].

مكيَّة في قول الأكثرين. وقيل: إلا آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ مدنية.

وفيها كسر أمر الأصنام والأنصاب، حيث قال/ تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ١٩٢/أ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

في قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ تحميد لله تعالى، وتحقيق للإلاهية . وفي ذلك كسر لأمر الأصنام والأنصاب. قرأ الناس بالخفض ﴿ رَبِّ ﴾ في الثلاث مواضع، وقرأ ابن محيصن بالرفع فيها على معنى (هو).

و﴿ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ ﴾ بناء مبالغة. وفي الحديث: يقول الله تعالى: ((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئاً منها قصمته))[٣].

---

(١) انظر: زاد المسير: ٧/١٦٠.

(٢) هي سبع وثلاثون آية في عدِّ الكوفي، وست وثلاثون في عدِّ الباقين. واختلافها في آية: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾، حيث عدَّها الكوفي فقط. انظر: البيان: ص: ٢٢٦، وبصائر ذوي التمييز: ١/٤٢٦.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: ((العزُّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذَّبته)). انظر: صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر: ٤/٢٠٢٣، رقم الحديث: ١٣٦/٢٦٢٠. وأخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عزَّ وجلَّ: ((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفتـــه في النـــار)). انظر: سنن أبي داود: كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر: ٢/٤٥٦، رقم الحديث: ٤٠٩٠ وفي رواية عند ابن ماجه: ((من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم)). انظر: سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع: ٢/١٣٩٧، رقم الحديث: ٤١٧٤.

سورة الأحقاف

أربع وثلاثون آية[1]، وهي مكيَّة. وقيل: إلا آيتين؛ قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ ، وقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾. وفيها قصة الجنِّ، ووفودهم على النبي ﷺ، وأمر النبي ﷺ أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قصة مؤمني الجنِّ عليهم السلام، قوله تعالى/: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

ب/١٩٢

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ اختلف العلماء في سبب صرفهم إليه ﷺ. فقال قوم: كان ذلك بسبب رَجمِهم بالشُّهُب.

روينا في صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن عباس [رضي الله عنهما]، قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عُكاظ[2]، وقد

---

(١) هي خمس وثلاثون آية في عدِّ الكوفي، وأربع وثلاثون في عدِّ الباقين. واختلافها في آية: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾ حيث عدَّها الكوفي، ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٢٧، وبصائر ذوي التمييز: ٤٢٨/١.

(٢) عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، كانت قبائل العرب تجتمع فيه كل سنة، ويتفاخرون فيها، ويحضر شعراؤهم، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون. ويقع في وادٍ بين نخلة والطائف. انظر: معجم البلدان: ١٤٢/٤.

حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسِلَت عليهم الشهب، فرُجَّت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حِيل بيننا/ وبين خبر السماء، وأرسلت. قالوا: ما ذاك إلا من شيءٍ قد حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر. فمرَّ النفر الذين توجَّهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، وهو يصلِّي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمَّعوا له، يعني: قصدوا سماعَه. فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ... ﴾[الجن: ١-٢]. فأنزل الله على نبيِّه: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[الجن: ١]. وقال قوم: صُرِفوا إليه لينذرهم، وأمر أن يُقرأ عليهم القرآن(١).

أ/١٩٣

قال قتادة: ذُكر لنا أن رسول ﷺ قال: ((إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيُّكم يتبَعني؟ فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فاتَّبعه عبد الله بن مسعود، قال: فدخل رسول الله ﷺ شِعباً يقالُ له: شِعبُ الحجون، وخطَّ على عبد الله خطَّاً ليثبِّتَه، قال: فسمعتُ لغطاً شديداً، حتى خفتُ على نبي الله، فلما رجع قلتُ: يا نبي الله، ما اللفظ الذي سمعتُ؟ قال: اجتمعوا في قتيل كان بينهم، فقضيت بينهم بالحق)).

---

(١) الرواية فيها عدد من الألفاظ المغايرة لرواية الصحيحين. وهذا نص الحديث كما في الصحيحين: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمَّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً. وأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيه ﷺ ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾، وإنما أوحي إليه قول الجن)). أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب قال ابن عباس: لبداً أعواناً: ٣٨٢/٦، رقم الحديث: ٤٩٢١، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن: ٣٣٢/١، رقم الحديث: ٤٤٩.

وفي صحيح مسلم[١] من حديث علقمة قال: ((قلت لابن مسعود هل صحب النبيَّ ﷺ ليلةَ الجنِ منكم أحدٌ؟ قال: ما صحبه منا أحدٌ، ولكنَّا كنَّا/ مع النبي ﷺ ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب[٢]، فقلنا: استطير واغتيلَ[٣]، فبتنا بشرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قِبل حراء[٤]، قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، قال: أتاني داعي الجن، فذهبت فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا فأرانا آثار نيرانهم)).[٥] وقد تقدم أن استماع الجن كان بالحجون[٦]، قاله ابن مسعود.

١٩٣/ب

وقال ابن عباس وقتادة: كان ذلك ببطن نخلة.

---

(١) نص الحديث كما في صحيح مسلم بسنده عن عامر قال سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم. فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا يا رسول الله: فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم. فقال: ((أتاني داعي الجن، فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن. قال: فانطلق بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد. فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم. فقال رسول الله ﷺ: فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن: ١/٣٣٢، رقم الحديث: ١٥٠/٤٥٠.

(٢) الأودية جمع وادي، وهو كل منفرج بين جبال يكون منفذاً للسيل. والشعاب: جمع شِعب وهو الطريق. وقيل: الطريق في الجبل. انظر: المصباح المنير: ص: ١١٩، ٢٥٠.

(٣) استطير: ذهب بسرعة كأن الطير حملته. واغتيل: قتل سراً. والغيلة: هي القتل خفية من حيث لا يعلم ولا يشعر. ومنه الحديث: ((وأعوذ بك من أن أُغتال من تحتي)). أي: أدهى من حيث لا أشعر، يريد به الخسف. انظر: لسان العرب: ٤/٥١٠، ١١/٥١٢.

(٤) وردت في الأصل: (جري)، وهو خطأ. والصواب كما في صحيح مسلم وغيره: (حراء).

(٥) أخرجه أيضاً الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحقاف: ٥/٣٥٦، رقم الحديث: ٣٢٥٨. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي في الكبرى: كتاب التفسير، باب سورة الجن: ٦/ ٤٩٩، رقم الحديث: ١/١١٦٢٣.

(٦) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. وقال الأصمعي: هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين. انظر: معجم البلدان: ٢/٢٢٥.

واختلف العلماء في عددهم ومساكنهم؛ فقال زر[١] بن حُبيش: كانوا تسعة أحدهم زوبعة[٢]، وقال مجاهد: كانوا سبعة؛ ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل[٣] نصيبين[٤]. وقال عكرمة: من جزيرة الموصل. وقال قتادة: من أهل نينوى. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: كانوا سبعة نفر من جنّ نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رُسلاً إلى قومهم[٥].

إذا عُلم هذا، فالنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة، والجمع أنفار. قُرِئ: (وإذ صرّفنا) بالتشديد، ﴿ يَسْتَمِعُونَ ﴾ يقصدون سماع ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾، وفي هذا إيذان بأنهم قوم هداهم الله وألهمهم قصدَ النبي ﷺ لاستماع القرآن، ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ ﴾ الضمير للقرآن، ويجوز أن يكون للنبي ﷺ،/ (فلما قَضَى) بفتح القاف والضاد، كذا قرأ ابن الزبير، وفيها دليل على إرادة النبي ﷺ، أي: فلما فرغ محمد ﷺ وأتمّ قراءته، ﴿ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ داعين إلى توحيد الله بأمر النبي ﷺ. ١٩٤/أ

﴿ قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ قال عطاء: كان دين أولئك قبل الإسلام اليهودية، فلذلك قالوا: من بعـــد موسى.

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ يعنون محمداً ﷺ، وهذا يدل على أن الله أرسله إلى الجنّ والإنس. وقوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾: ﴿ مِّن ﴾ هنا صلة، وقيل: للتبعيض.

---

(١) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال بن خزيمة الأسدي، أبو مريم ويقال: أبو مطرف الكوفي. مخضرم أدرك الجاهلية، وثّقه يحيى بن معين، وعدّه ابن سعد من تابعي أهل الكوفة. وقال: ثقة كثير الحديث، روى له الجماعة. مات زمن الحجاج قبل الجماجم سنة (٨١) هـ، وله (١٢٧) سنة. انظر: تهذيب الكمال: ٩/ ٣٣٨، رقم الترجمة: ١٩٧٦.

(٢) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان: ص: ٤١.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد. انظر: آكام المرجان في أحكام الجان: ص: ٤٢.

(٤) نصيبين: مدنية عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام كثيرة البساتين عليها سور بنته الروم اشتهرت بكثرة انتشار العقارب فيها من جبل صغير داخل السور. فتحها المسلمون زمن عثمان ﷺ ينسب إليها جماعة من العلماء. انظر: معجم البلدان: ٥/٢٨٩.

(٥) ذكر الشبلي صاحب آكام المرجان في أحكام الجان أسماءهم كما ذكر ذلك ابن دريد وعددهم (٩). انظر: آكام المرجان في أحكام الجان: ص: ٤٤ــ٤٥.

وقوله: ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: من عذاب النار. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: فاستجاب لهم من قومهم نحوٌ من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فوافوه بالبطحاء(١)، فقرأ عليهم القرآن، وأمرهم ونهاهم.

واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن؛ فذهب أبو حنيفة: إلى أنه لا ثواب لهم سوى نجاتهم من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم، وهو قول الحسن البصري. وذهب مالك بن أنس، وابن أبي ليلى(٢): إلى التسوية بينهم وبين الإنس في الثواب/ والعقاب، لاستوائهم في التكليف، وهذا مذهبُ ابن عباس [رضي الله عنهما]، وبه قال: أحمد، والشافعي ﷺ أجمعين(٣)، وهو الصحيح(٤).

١٩٤/ب

---

(١) البطحاء: أصله المسيل الواسع فيه دقاق الحصى، وكل موضع متسع. وقيل: بطن الميثاء والقلعة والوادي، وهو موضع بعينه قريب من ذي قار. وبطحاء مكة وأبطحها موضع، وكذا بطحاء ذي الحليفة. انظر: معجم البلدان: ٤٤٦/١.

(٢) عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عيسى الكوفي، وابنه محمد عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي، واسمه يسار. ولد لستٍ بقين من خلافة عمر. كوفي تابعي ثقة. روى له الجماعة. مات سنة ٨٣ هـ غرقاً. انظر: تهذيب الكمال: ٣٧٢/١٧، رقم الترجمة: ٣٩٤٣.

(٣) اشتهر على ألسنة العلماء من سلف هذه الأمة الترضي عن الصحابة، والترحم على من خلفهم من تابعين ومن تبعهم بإحسان، من أئمة وأعلام، لأن الله تعالى قد خصَّهم بهذا الرضى في محكم كتابه، فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ... ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨]. وقال أيضاً: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وجرى الترضي هنا عن ابن عباس وأئمة الفقه أجمعين على وجه التغليب.

(٤) حكى ابن حزم وغيره عن أبي حنيفة أنه قال: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، لأنه جاء في القرآن فيهم: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الصف: ١٢]. والمغفرة لا تستلزم الإثابة، لأن المغفرة ستر. وروي عن ليث بن أبي سليم قال: ثواب الجن أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً. وروي عن أبي الزناد قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال الله تعالى لمؤمني الجن وسائر الأمم: كونوا تراباً، فحينئذٍ يقول الكافر: ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ: ٤٠]. والقول الثاني: أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية، وهو قول ابن أبي ليلى ومالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد، ونقل عن الشافعي وأحمد بن حنبل، وهو قول أصحابهما وأصحاب مالك. وسئل ابن عباس: هل لهم ثواب وعليهم عقاب؟ فقال: نعم لهم ثواب وعليهم عقاب. وفي الباب تفصيل وأدلة وشواهد كثيرة. انظر: آكام المرجان في أحكام الجان: ص: ٥٤ـ٥٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ أي: لم يعجز عن اختراعهن وإبداعهن.

وقوله تعالى: ﴿ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ الباء زائدة في قول أبي عبيدة، والأخفش. وقرأها عاصم بالياء، (يقدَّر) من غير ألف، جعله فعلاً مضارعاً، اختاره أبو حاتم لأن دخول الباء في خبر إن لاشتمال النفي في أول الآية، على أن وما في خبرها(١). قال الزَّجَّاج: لو قلت: ما ظننتُ أن زيداً بقائم جاز(٢). ويؤيد قراءة العامة قراءة ابن مسعود [رضي الله عنه] (قادر) بغير باء. ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ تقرير للقدرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي: فيقال لهم: أليس هذا بالحق؟ وهذا المضمر هو ناصب للظرف، وهو إشارة إلى العذاب، بدليل قوله: ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

وقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ أي: فاصبر كما صبر أولو العزم والجِدِّ، والثبات، والحزم في الأمور. فالأنبياء كلُّهم أولو عزمٍ، فتكون (من) لبيان الجنس، كما تقول: لبست الثياب من الخزِّ والجبابَ من القَزِّ. فعلى هذا يكون قوله: ﴿ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ ﴾ صفة للرسل كلِّهم./ ذهب إلى هذا ابن زيد(٣)، قال: لم يبعث الله رسولاً إلا كان من أولي العزم. ١٩٥/أ

قلت: والأظهر عند أكثر المفسرين أنها للتبعيض(٤)، ثم اختلفت عباراتهم في ذلك؛

فقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: أولو العزم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، [عليهم السلام] ومحمد ﷺ ، وهم أصحاب الشرائع.

---

(١) قرأ الجحدري والأعرج بخلاف، وعيسى وعمرو بن عبيد (يقدر) بالياء على فصل مستقبل. ورجُحها أبو حاتم وغلَّطَ الجمهور لِقَلق الباء عنده. انظر: المحرر الوجيز: ٣٧٤/١٣.

(٢) وتتمة العبارة: جاز بدخول (ما)، ودخول (إن) إنما هو توكيد للكلام، فكأنه في تقدير: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝ ﴾ [القيامة: ٤٠]، فيما ترونه وفيما تعلمونه. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٤٧/٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣٧٦/١٣.

(٤) وهو قول عطاء الخراساني وغيره. والمراد: من حُفِظتْ له مع قومه شدة ومجاهدة؛ كنوح، وإبراهيم وموسى، وغيرهم. انظر: المحرر الوجيز: ٣٧٦/١٣.

وقيل هود [عليه السلام] منهم عدَّه منهم: أبو العالية. وقيل منهم: إسماعيل، ويعقوب، وأيوب، وليس منهم آدم، ولا يونس، ولا سليمان، [عليهم السلام أجمعين]. ذكره ابن جريج.

وقال ابن السائب: هم الذين أمروا بالقتال والجهاد.

وقال الحسن بن الفضل: هم نجباء الرسل الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام، لقوله عقيب ذلك: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى[1] ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾

وقيل: هم الذين لم تصبهم فتنة، ذكره الحسن البصري. وقيل: كل الأنبياء أولو عزم إلا يونس بن متَّى عليه السلام، يشهد له قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾[القلم: ٤٨] ، فنهي أن يكون مثله لعجلةٍ ظهرت منه حين ولَّى من قومه مغاضباً، فابتلاه الله عزَّ وجلَّ بثلاث: سلَّط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله، وسلَّط الذئب على ولده فأكلهم، وسلَّط الحوت عليه حتى ابتلعه[2].

قوله: ﴿ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾ تسكين للنبي ﷺ، وتهديد لكفار قريش.

﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾/ ما نزل بهم من العذاب في الدنيا، وقيل: في الآخرة، ﴿ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ ﴾ في قبورهم، وقيل: في الدنيا ﴿ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ ﴾، استقصروا مدة لبثهم لِما أفضوا إليه من العذاب الدائم، والأهوال المتراكمة. ١٩٥/ب

وقوله: ﴿ بَلَٰغٞۚ ﴾ وقف تامّ[3]، والمعنى: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغٌ.

---

(١) ورد في الأصل: (هداهم)، وهو خطأ.

(٢) حُكي هذا التعليل عن أبي القاسم الحكيم. انظر: حاشية المحرر الوجيز: ٣٧٦/١٣.

(٣) على اعتبار (بلاغ) خبراً، على إضمار مبتدأ. أي: ذلك بلاغ، فيكون تمام الوقف لتمام المعنى. انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٧٥/٤، وتفسير الطبري: ٣٨/٢٦.

قرأ الحسن البصري: (بلاغاً) بالنصب على المصدر، واستحسنه الزَّجَّاج، إلا أنه يُخالف رسم المصحف(١).

وقرأ جماعة؛ منهم: أبو العالية، وأبو مِجْلِز، وأبو عمران، (بَلِّغْ) على الأمر للنبي ﷺ (٢).

﴿ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ قرأ ابن مُحيصن: (يَهلِك) بفتح الياء وكسر اللام(٣).

ورُوي عنه فتحها مع فتح اللام، وهي لغة شاذة(٤).

و﴿ ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ الخارجون عن طاعة الله، لأن الفسق الخروج عن الطاعة. قال الزَّجَّاج: ما في الرَّجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية(٥).

وقد روى الثعلبي بإسناد لا بأس به، أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا تعسَّر على المرأة ولدُها، فليُكتَب هاتان الآيتان، والكلمتان في صحفة، ثم تغسل وتسقى منها: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان ربِّ السماوات السبع، وربِّ العرش العظيم، ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[الأحقاف: ٣٥]، ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾[النازعات] / (٦).

أ/١٩٦

---

(١) قال الزجاج: الرفع على معنى: (ذلك بلاغٌ)، والنصب في العربية جيد بالغ. إلا أنه يخالف المصحف. وبلاغاً على معنى: (يبلغون بلاغاً)، كما قال: ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ منصوب على معنى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾ ، تأويله: كتب الله ذلك كتاباً. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤٤٨.

(٢) قاله أبو حاتم. وهي قراءة أبي مِجْلز وأبي سراج الهذلي. انظر: المحتسب: ٢/٢٦٨.

(٣) انظر: المحتسب: ٢/٢٦٨.

(٤) قال أبو الفتح: أما (يهلِك) بكسر اللام فواضحة، وهي معروفة. وأما (يَهلَك) بفتح الياء واللام جميعاً فشاذة ومرغوب عنها. وله في ذلك تعليل طويل في صرف الفعل (هلك). انظر: المحتسب: ٢/٢٦٨ــ٢٦٩.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤/٤٨٨.

(٦) الرواية كما في تفسير القرطبي: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم، سبحان الله ربِّ السماوات السبع وربِّ الأرض، وربِّ العرش العظيم، ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات] ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف]، انظر: تفسير القرطبي: ١٦/٢٢٣.

سورة محمد ﷺ

وهي أول سور المفصَّل في قول الأكثرين(١).

وفي حديث ثوبان: أن النبي ﷺ قال: ((أعطاني السبع الطِول مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضَّلني بالمفصل))(٢).

قال بعض العلماء: سُمِّي بذلك لكثرة تفصيل سوره بالبسملة(٣). وهي تسع وثلاثون آية في المدني، وثماني في الكوفي(٤). وهي مدنيَّة على الصحيح.

واستثنى ابن عباس [رضي الله عنهما] قوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ الآية. قال: نزلت على النبي ﷺ بعد حجة الوداع، حين خرج من مكة، فجعل ينظر إلى البيت، ويبكي حزناً عليه(٥).

قلت: وما كان مثل هذا فهو معدودٌ في المدني، لأن المُراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة فهو من المكي، وما كان بعد الهجرة فهو من المدني(٦)،

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ﴾، ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إشارة إلى أهل مكة الذين أخرجوا

---

(١) هذا في قول الماوردي، وعزاه للأكثرين. والمفصَّل ما ولي المثاني من قصار السور. انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢٢١/١.

(٢) لم أقف على رواية ثوبان هذه، ورواية مسند أحمد عن واثلة بن الأسقع ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((أُعطيتُ مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْتُ بالمفصل)). إسناده حسن. انظر: مسند أحمد: ٢٢٢/١٣، رقم الحديث: ١٦٩١٩.

(٣) وقيل: لقلة المنسوخ فيه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً، كما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم، وآخره سورة الناس بلا نزاع. انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢٢١/١.

(٤) هي ثمان وثلاثون آية في عدِّ الكوفي، وتسع وثلاثون آية في عدِّ المدنيين والمكي والشامي. وأربعون آية في عدِّ البصري. اختلافها آيتان: ﴿ أَوْزَارَهَا ﴾ لم يعدّها الكوفي. و ﴿ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ عدَّها البصري ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٢٨، وبصائر ذوي التمييز: ٤٣٠/١.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٣/١٦.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٣٨١/١٣.

رسول/ الله ﷺ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إشارة إلى الأنصار، وهم أهل المدينة. وقوله: ﴿ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قيل: معناه صدوا أنفسهم. (وسبيل الله): شرعُهُ وطريقه. ومعنى: ﴿ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾، لم يجعل لها عنايةَ خيرٍ. وقيل: إن هذه نزلت بعد وقعة بدر، فيكون ﴿ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ إشارة إلى الإنفاق الذي أنفقه كفار قريش في سفرتهم إلى بدر. ١٩٦/ب

ومعنى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾الآية. قرأ الناس: ﴿ نُزِّلَ ﴾ بضم النون، وشدِّ الزاي. ومعنى: ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ أي حالهم(١). وقيل: أمرَهُم(٢)، وقيل: شأنهم(٣)، وقيل: قلوبهم، فإذا صلُحت صلُح حالهم كله بإيمانهم بما نُزِّل على محمد ﷺ. وإنما أفرده فقال: ﴿ بَالَهُم ﴾ لأنه اسم جنس. قال المبرِّدُ: والبال مصدرٌ كالحال والشأن، ولا يستعمل منها فعل، ولا يثنَّى، ولا يُجمَع. وقد جاء مجموعاً لكنه شاذٌّ، فإنهم قالوا: بالات(٤). فأصلح بال الصابرين، ووصف لهم الجنَّة، وجعلها جزاءً لهم على صبرهم، فقال تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ قال مجاهد: يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها، لا/ يخطئون، كأنهم كانوا سُكَّانها منذ خُلِقوا لا يستدلون عليها. وقال مقاتل: يمشي المَلَكُ الذي كان موكَّلاً بحفظ عملهِ في الدنيا بين يديْه، فيعرّفه كلَّ شيء أعطاه الله. ١٩٧/أ

وقوله: ﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ ﴾ .

وقوله: ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾ داخل في حُكم الصلة، كالتكرار لها. ويجوز أن يكون خبر مبتدأٍ محذوفٍ تقديره هي فيها أنهار، كأنَّ قائلاً يقول: وما مثلها؟ فقيل: فيها أنهار. ويجوز أن يكون في موضع الحال، أي: مستقرة فيها أنهار.

---

(١) قاله: قتادة. انظر: المحرر الوجيز: ٢٨٣/١٢، وتفسير القرطبي: ٢٢٤/١٦.

(٢) رواه ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٤/١٦.

(٣) قاله مجاهد. انظر: المحرر الوجيز: ٣٨٣/١٢، وتفسير القرطبي: ٢٢٤/١٦.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٣٨٣/١٣.

و﴿ مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ ﴾ معناه: غير متغيِّر. يقال: أسَنَ الماء، وأسِنَ، بفتح السين وكسرها. قرأ جمهور الناس: ﴿ ءَاسِن ﴾، وقرأ ابن كثير: (أسِنٍ) على وزن فَعِلٍ[1]. والأسِنُ الذي له ريحٌ منتنةٌ من ماءٍ، ومنه قولُ الشاعر:

التَّارِكُ القَرْنَ مُصْفَرَّاً أنَامِلُهُ يَمِيْلُ في الرُّمْحِ مَيْلَ المَائِحِ الأسِنِ[2]

ومن قرأ: (آسِنْ) على وزن فاعل، فيريد أنه يكون كذلك في المستقبل، فنفى ذلك في الآية. وقرأت فرقة: (يَسِن)[3]، قال أبو علي[4]: وذلك على تخفيف الهمزة. قال أبو حاتم: كذلك كانت في المصحف، فغيَّرها الحجَّاجُ[5].

وقوله في اللبن: ﴿ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ ﴾ نفيٌ لجميع وجوه الفساد في اللبن.

وقوله: ﴿ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ جمعت طيب المطعم، وزوال الصُّداع، وغيره. و﴿ لَّذَّة ﴾ أي: ذات لذة. وتصفيةُ العسل/ مُذهِبٌ لضرره[6].

ب/١٩٧

وقوله: ﴿ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ أي: من هذه الأنواع، لكنها بعيدة الشبه عن ماء الدنيا، ولبنها، وخمرها، وعسلها، لأن خمرة الجنة لا تُذهِب عقلاً، ولا تُعقب خبلاً، في قوارير فضة تُملأ، مقدرةٌ تقديراً، فلا تسع فضلاً، قد جُعِل المسك لها ختاماً، والمعين لها أصلاً.

---

(١) انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٠٠، والكشف: ٢/٢٧٧، والنشر: ٢/٢٧٩.

(٢) هذا البيت للشاعر زهير بن أبيْ سلمى. وقد ورد في الموسوعة الشعرية بلفظ: (المائح)، ويقصد به فرس مرداس بن حوي والأسن: القوي. وليس كما جاء في أصل المخطوط: (المائج).

يغادر القرن مصفراً أنامله يميل في الرمح ميل المائح الأسن

كذلك ورد البيت في ديوان زهير:

قد أتْرُك القِرْنَ مُصفَرّاً أنامِلُه يَمِيدُ في الرَّمْحِ مَيْدَ المائحِ الأسِنِ

انظر: موسوعة زهير بن أبي سلمى: ص: (١٠٥) بعنوان كم للمنازل، القاموس المحيط: ص: ٣١١، ١٥١٧.

(٣) ذكر مكي في كتاب الكشف: حكي أن في بعض المصاحف: (غير يسن) بالياء، أبدلت من الهمزة المفتوحة لانكسار ما قبلها. انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ٢/٢٧٧.

(٤) أبو علي الفارسي في كتابه: الحجة في القراءات السبع: ٦/١٩١.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ١٣/٣٩٧.

(٦) تصفية العسل لم يخرج من بطون النحل قاله ابن عباس. تصفيته من العكر والكدر كما في الدنيا، مذهبة لبوسته وضرره. أي: ما يشوبه من أشياء. انظر: تفسير القرطبي: ١٦/٢٣٧، والمحرر الوجيز: ١٣/٣٩٧.

وقوله: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ المعنى: وتنعيم سبَّبته المغفرة، لأن المغفرة قبل الجنة(١)، والله أعلم.

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ قرأ جمهور القراء: بالنون في (نبلونَّكم)، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: بالياء (وليبلونَّكم)(٢)، وقرأ يعقوب بالرفع على القطع والإعلام بأن ابتلاءهم دائم(٣). وكان الفضيل بن(٤) عياض إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلينا، فإنك إن بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا(٥).

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ عِلْمُ اللهِ بالمجاهدين(٦) والصابرين قديم أزليٌّ، وإنما المعنى: قد خرج جهادهم إلى الوجود، وظهر صبرهم ليتعلق به ثوابهم(٧).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٧/١٣.

(٢) قرأ أبو بكر عن عاصم بالياء في: (يبلونكم حتى يعلم)، و(يبلو). والباقون بالنون فيهن جميعاً. انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٠١، والكشف: ٢٧٨/٢، والنشر: ٢٨٠/٢.

(٣) رواه رويس عن يعقوب (ونبلو). انظر: تفسير القرطبي: ٢٥٤/١٦، والمحرر الوجيز: ٤١٧/١٣.

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، أبو علي الزاهد، أحد صلحاء الدنيا وعبادها. ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد. وكتب الحديث بالكوفة، وتحوَّل إلى مكة فسكنها ومات بها. وثَّقه سفيان بن عيينة والعجلي والنسائي والدارقطني وابن سعد. روى له الجماعة إلا ابن ماجه. مات سنة ١٨٦هـ. انظر: تهذيب الكمال: ٢٨١/٢٣، رقم الترجمة: ٤٧٦٣.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٤١٨/١٣.

(٦) وردت في الأصل: (المجاهدين) بسقوط الباء. وإثباتها أصوب.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٤١٨/١٣.

سورة الفتح

١٩٨/أ

/ ثلاثون إلا آية[١]. نزلت على النبي ﷺ منصرفَهُ من الحديبية.

وفي ذلك أحاديث كثيرة عن أنس وابن مسعود [رضي الله عنهما] وغيرهما. وهي مدنيَّة. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: نزلت بالمدينة.

والصحيح أنها نزلت في تلك السفرة، يشهد لهذا قول النبي ﷺ لعمر وهما منصرفان من الحديبية من سنة ستٍ من الهجرة: ((لقد نزلت عليَّ الليلة سُورة هي أحبُّ إليَّ من الدنيا بما فيها))[٢]. قال مكيٌّ: بشرط أن تبقى الدنيا ولا تفنى[٣]. قال ابن عطية: وفيه نظر.

وكان النبي ﷺ خرج في تلك ليعتمر بمكة، فصدَّه المشركون[٤].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) تسع وعشرون آية في جميع العدد ليس فيه اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٢٩، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٤٣٢.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه ((أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري حتى كنت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي. قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن. قال: فجئت رسول الله ﷺ فسلَّمت عليه، فقال: لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحبّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس. ثم قرأ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ ﴾)). انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الفتح: ٦/٤٢٢، رقم الحديث: ٥٠١٢. وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن قتادة أن أنس بن مالك ﷺ حدثهم، قال: ((لما نزلت: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾ مرجعَه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية. فقال: لقد أنزلت عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعاً)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية: ٣/ ١٤١٣، رقم الحديث: ١٧٨٦/٩٧، وتفسير القرطبي: ١٦/٢٥٩.

(٣) لو كانت باقية، أي غير فانية. لأن الدنيا لا قدر لها، فيعرف بها الأمر العظيم الجليل. انظر: مخطوط تفسير أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المسمى: (كتاب الهداية في بلوغ النهاية): سورة الفتح.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ١٣/٤٢٨.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾/

١٩٨/ب

السبب في نزولها: ما رُوي عن ابن عباس [رضي الله عنهما] أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ ﴾[الأحقاف: ٩] قالت اليهود: كيف نتَّبع رجلاً لا يدري ما يُفعل به؟ فاشتدَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾[1]. والأكثرون على أن المراد بهذا الفتح الحديبية.

قال البراء بن عازب: نحن نعدُّ الفتحَ بيعة الرضوان[2].

وقال جابر بن عبد الله: ما كنَّا نعدُّ فتح مكة إلا يوم الحديبية[3].

وقال الشعبي: هو فتح الحديبية، غُفِر للنبي ﷺ ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وأُطعموا نخل خيبر[4]، وبلغ الهديُ محلَّه، وغَلَبت الروم على فارس، فذلك قوله

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥٩/١٦، وأسباب النزول للواحدي: ص: ٢١٧، من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قال البراء: تعدُّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً. ونحن نعدُّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا نعدُّ مع النبي ﷺ خمس عشرة مئة. والحديبية بئر. انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٦، وتفسير القرطبي: ٢٦٠/١٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٦، وتفسير القرطبي: ٢٦٠/١٦.

(٤) خيبر معناه بلسان اليهود (الحصن)، وهو موضع مذكور في غزاة النبي ﷺ، وهو ناحية على ثمانية برد من المدينة في طريق الشام. يطلق على ولاية تشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير. فتحها النبي ﷺ كلها سنة سبع للهجرة عنوة، حيث نازل أهلها قريباً من شهر ثم صالحوه. وفي خلافة عمر ظهر فيهم الزنا، وتعبثوا بالمسلمين، فأجلاهم إلى الشام. انظر: معجم البلدان: ٤١٠/٢.

تعالى في أول الروم: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾[١]. وقد ذكرت ذلك على وجه لطيف، فاطلبه هناك تجده[٢]./ أ/١٩٩

وقال الزهري: لم يكن فتح أعظم من فتح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ في قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ ﴾ قال: الحديبية. قال أصحابه: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٤].

وقيل: المراد بهذا فتح مكة، ذُكر ذلك عن عائشة رضي الله عنها. وقيل: فتح خيبر، قاله مجاهد[٥]. والصحيح أنه بشارة للنبي ﷺ وللمسلمين، بما قضى الله تبارك وتعالى لهم من الظهور والاستعلاء، بما سيفتح عليهم من مكة وخيبر وغيرهما[٦].

فإن قلتَ: كيف يكون ذلك وهو بصيغة الماضي؟ قلتُ: قد وقع الماضي والمراد به المستقبل، في كثير من آيات القرآن، لاستواء الحالتين في علمه. أو نقول: الفتح هو القضاء، وقضاءُ الله بذلك قد تقضَّى ومضى، ذكر ذلك الرسعني في تفسيره[٧].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٦٠/١٦، وزاد المسير: ١٩٩/٧.

(٢) انظر الصفحات: (٢٤٧ــ٢٤٩) من هذا الكتاب.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٩٩/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٦، وتفسير القرطبي: ٢٦٤/١٦.

(٥) وقاله العوفي أيضاً، وعن أنس بن مالك ﷺ . انظر: تفسير القرطبي: ٢٦١/١٦، وزاد المسير: ٢٠٠/٧.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٤٢٩/١٣.

(٧) الرسعني: هو أبو محمد عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي.بكر بن خلف الرسعني (نسبة إلى رأس عين الخابور) الحنبلي. محدث، مفسر، فقيه، متكلم، أديب، شاعر. ولد برأس عين من أعمال الجزيرة بسورية ٥٨٩هـ، وسمع ببغداد وبدمشق. وتوفي بسنجار. من تصانيفه: **رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز**، في ثمانية مجلدات، (وهو المخطوط الذي تم الرجوع إليه، والنقل منه في عدة مواضع)، درة القاري،

وقوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ قال صاحب الكشاف: إن قلت: كيف/ جعل فتح مكة علةً للمغفرة؟ قال: قلتُ: لم يجعل علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدَّدَ من الأمور الأربعة؛ وهي المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز. كأنه قال: يسَّرنا لك فتح مكة، ونصرناك على عدوك، لنجمع لك بين عزِّ الدارين[1]. وقيل: ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء، وما تأخَّر من ذنوب أمتك بدعوتك[2]. وفي الصحيح عن المغيرة بن شعبة أنه قال: ((قام النبي ﷺ حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: قد[3] غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر! قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟))[4].

١٩٩/ب

وقوله: ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ يعني: بالنبوة والفتح والمغفرة[5]، ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾، مثلُ قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾[الفاتحة].

﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾: قال الزَّجّاج: نصراً ذا عزٍ لا يقع معه ذُلّ [6].

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ أي: السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين بسبب الصلح، بعد القلق والانزعاج، لما ورد عليهم من صدِّ المشركين إياهم عن البيت، حتى قال عمر رضي الله عنه: علام نعطي الدنيَّةَ في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: ((أنا عبد الله ورسوله/ لم أخالف أمره، ولم يُضيِّعني))[7]. وقال

٢٠٠/أ

مطالع أنوار التنزيل ومفاتح أسرار التأويل في التفسير، مختصر الفرق بين الفرق. انظر: شذرات الذهب: ٥/ ٣٠٥، وتذكرة الحفاظ: ٢٣٥/٤، ومعجم المؤلفين: ٢١٨/٥. وقد تتبعت النص في مخطوط تفسيره المذكور، بيد أن سورة الفتح من الأجزاء المفقودة من هذا السفر الجليل. انظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ــ علوم القرآن الكريم والتفسير ــ : ٣١٤/٣ــ٣١٩.

(١) تتمة العبارة: بين عزّ الدارين وأغراض العاجل والآجل. انظر: الكشاف: ٥٤١/٣.

(٢) حكاه الثعلبي عن عطاء الخراساني. انظر: تفسير القرطبي: ٢٦٣/١٦، والمحرر الوجيز: ٤٣٢/١٣.

(٣) نص البخاري: غفر الله .. بدون لفظ: (قد).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾: ٣٤٧/٦، رقم الحديث: ٤٨٣٦.

(٥) رواه ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٢٠١/٧، وتفسير القرطبي: ٢٦٣/١٦.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٠/٥.

(٧) أخرج البخاري في صحيحه بسنده قال: ((حدثني أبو وائل قال: كنا بصفين فقام سهل بن حنيف فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم. فإنا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا. فجاء عمر بن الخطاب

سهل[1] بن حنيف: ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم. ثم أوقع الله الرضى بما جرى في قلوب المسلمين، فانقادوا راضين بقضاء الله وتدبيره. ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ يُسلِّط بعضها على بعض، على ما تقتضيه حكمته.

وقوله: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ قال أهل المعاني: كرِّرت اللام في: ﴿ لِّيُدْخِلَ ﴾ بتأويل تكرير الكلام مجازه: إنَّا فتحنا لك ليغفر لك الله، إنَّا فتحنا لك ليُدخل المؤمنين.

قال مقاتل: فلما سمع بذلك عبد الله بن أبيٍّ، انطلق إلى رسول الله ﷺ في نفر، فقالوا: يا رسول الله، ما نحن إلا كهيئتكم فما لنا؟ فنزلت: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾ الآية.

قال المفسرون: ظنُّوا أن الله تعالى لن ينصر محمداً والمؤمنين. قال الضحَّاك: ظنَّت أسَد وغَطَفَان في رسول الله ﷺ حين خرج إلى الحديبية أنه لا يعود إلى المدينة سليماً، فعاد ظافراً. فذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ .

فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ فقال: بلى. فقال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعَلامَ نعطي الدنية في ديننا؟ أنرجع ولمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: ابن الخطاب إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً. فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً، فنزلت سورة الفتح. فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها. فقال عمر: يا رسول الله أوَفتح هو؟ قال: نعم)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر: ٤/٤٠٥، رقم الحديث: ٣١٨٢. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية: ٣/١٤١١، رقم الحديث: ٩٤/١٧٨٥.

(١) سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة الأنصاري الأوسي، يكنى أبا سعد وأبا عبد الله. من السابقين، وشهد بدراً وثبت يوم أحد حين انكشف الناس، وبايع يومئذ على الموت، وشهد الخندق والمشاهد كلها، واستخلفه عليّ على البصرة بعد الجمل، ثم شهد معه صفين. وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عليّ. مات سنة ٣٨هـ بالكوفة وصلَّى عليه عليّ وكبَّر ستاً، وفي رواية خمساً، ثم قال: إنه بدري. انظر: الإصابة: ٣/١٩٨، رقم الترجمة: ٣٥٢٩.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ ﴾ أي: مبيناً لهم ما أرسلناك به إليهم،/ وهو مثل قوله: ﴿ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١ ﴾[النساء] وقوله: ﴿ وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (ليؤمنوا) بالياء في الثلاث، ويعزروه، ويوقروه. وقرأ الباقون (بالتاء) فيهن[1]. وقرأ ابن السميفع اليماني[2] (وتعزّروه) بزاءين، أي: تجعلوه عزيزاً.

٢٠٠/ب

ومعنى: ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي: تعظّموه وتبجّلوه. والضميران للرسول ﷺ. وجمهور القرّاء يختارون الوقف[3] هنا، تميُّزاً للضمير الراجع إلى الله تعالى في قوله: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ فامتثل الصحابة رضوان الله عليهم ما نُدِبُوا إليه من تعظيم النبي ﷺ وتعزيزه، حتى قال عروة بن مسعود يوم قدم على النبي ﷺ في صلح الحديبية، من جهة قريش حين رجع إليهم: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما[4] رأيت ملِكاً قطُّ يعظِّمُه أصحابُه ما رأيت أصحابَ محمدٍ يعظّمون محمداً، والله إن تنخَّم نُخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له[5]. وقيل: الضمائر كلُّها لله./

١/٢٠١

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء في الكلمات الأربع: (ليؤمنوا بالله) (ويعزروه) (ويوقروه) (ويسبحوه). وقرأ نافع وابن عباس وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء فيهن جميعاً. انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٠٣، والكشف: ٢/٢٨٠، والنشر: ٢/٢٨٠.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن السميفع أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ــ ينسب إليه ــ شذَّ فيه، كان من أفصح العرب، قراءته ضعيفة والسند بها فيه نظر، وإن صحَّ فهي شاذة لخروجها عن المشهور، على أنه قد أحسن في توجيهها الحافظ أبو العلاء وفيما ذكر لها من الشواهد والمتابعات. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ٢/١٦١، رقم الترجمة: ٣١٠٦، والمحتسب: ٢/٢٧٥.

(٣) الوقف هنا كاف. وهو للنبي ﷺ. وما بعده لله تعالى. إذ التسبيح لا يكون إلا لله عزَّ وجلَّ. انظر: إيضاح الوقف والابتداء: ٢/٩٠٠، والمكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ص: ٥٢٨.

(٤) رواية البخاري: إنْ رأيتُ.

(٥) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد: ٣/ ٢٤٦، رقم الحديث: ٢٧٣١.

قال الزمخشري: مَن فرَّق بين الضمائر فقد أبعد[١]، فيكون المراد بتعزيز الله تعزيز رسوله أيضاً. ومعنى: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ أي: تنزِّهوه وتصلُّوا له. ويُجمع أصيل على أصايل.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الآية. قرأ تمام[٢] بن العباس بن عبد المطلب: (إنما يبايعون لله)[٣]، فهذه بيعة الرضوان يوم الحديبية، وكان سببها أن رسول الله ﷺ حين نزل الحديبية، ومعه الصابرون من أصحابه، فأرسل عثمان بن عفان ﷺ إلى مكة ليقول: إنَّا لم نأت لقتال أحدٍ، وإنما جئنا زوَّاراً لهذا البيت، مَعَنَا الهديُ ننحره وننصرف، فقالوا: لا كان هذا أبداً، ولا يدخُلها العامَ، وبلغ المسلمين أن عثمان [ﷺ] قد قتل، فقالوا: لا نبرح حتى نناجزهم، فذلك حين دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى بيعة الرضوان.

وهذا هو السبب المانع في تخلُّفِ عثمان [ﷺ] عن بيعة الرضوان، لأنه لم يكن يومئذٍ أحدٌ أكرم عند النبي ﷺ من عثمان [ﷺ]، ولهذا ضرب النبي ﷺ بشماله على يمينه، وقال: هذه لعثمان. وقال: إنه ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله، ويد النبي ﷺ خيرٌ من يد عثمان، فبايعهم النبي ﷺ تحت/ الشجرة وكانوا ألفاً وأربعمئة، وقيل: ألفاً وخمسمئة. ٢٠١/ب

قال عبادة بن الصامت [ﷺ]: بايعنَا رسولَ الله ﷺ على الموت، وقال جابر ابن عبد الله [ﷺ]: بايعناه على أن لا نفرَّ. وجُعِلت الرُّسُل تختلف بينهم، حتى انتظم الصلح، فكتبوا بينهم كتاباً اشتمل على ما اتفقوا عليه من الشروط، فلما قضوا شأن الكتاب، قال رسول الله ﷺ: ((قوموا وانحروا ثم احلقوا))[٤]، وكان

---

(١) انظر: الكشاف: ٣/٥٤٢.

(٢) تمام بن العباس بن عبد المطاب الهاشمي ابن عم النبي وأصغر الإخوة العشرة، أمه أم ولد، وكان أشد قريش بطشاً، ولا يحفظ له عن النبي ﷺ رواية من وجه ثابت. وقال ابن حبان في ثقات التابعين: حديثه عن رسول الله ﷺ مرسل، وإنما رواه عن أبيه. ولي تمام المدينة زمن عليّ. والإخوة العشرة: الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وكثير وصبيح ومسهر وتمام. انظر: الإصابة: ١/٣٧٦، رقم: ٨٥٨.

(٣) انظر: المحتسب: ٢/٢٧٥.

(٤) هذا جزء من الحديث الطويل السابق، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد: ٣/٢٤٦، رقم الحديث: ٢٧٣١.

مُقام النبي ﷺ بالحديبية بضعةً وعشرين يوماً، وقيل: عشرون ليلة، ثم انصرف راجعاً.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ تنبيه لهم على الوفاء بما يبايعون عليه، وإعلامٌ لهم أن مبايعة الرسول [ﷺ] مبايعة لله تعالى بواسطة الرسول [ﷺ].

وقوله: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: يد الله بالوفاء لما وعَدَهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء، وقال ابن السائب: نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة، وقال ابن كيسان: قوةُ الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم، وقال الحسن: يد الله يعني يد محمد ﷺ فوق أيديهم، ﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾ أي: نقض البيعة ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ أي: يعود عليه وبال ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾/ قرأ حفص: ﴿ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ﴾ بضم الهاء في: ﴿ عَلَيْهُ ﴾[1]. ﴿ فَسَيُؤْتِيهِ ﴾ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر (فسنؤتيه) بالنون[2]، حملاً على قوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾. ٢٠٢/أ

وقوله: ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قال المفسرون: هو الجنة، فجعل الله جزاء الصابرين رضاه عنهم، وهو أعظم نعيم الجنة. ولهذا ورد في الحديث: ((أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط أبداً))[3]. وسخطه على أهل النار أعظم عذابهم،

---

(١) وقرأ الباقون ومعهم أبو بكر عن عاصم (عليهِ اللهُ) بكسر الهاء. انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٠٣، والكشف: ٢/٢٨٠، والنشر: ٢/٢٨٠.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ومعهم أبان عن عاصم (فسنؤتيه) بالنون. وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ورويس ﴿ فَسَيُؤْتِيهِ ﴾ بالياء. وعن أبي عمر روايتان: بالنون، والياء. انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٠٣، والكشف: ٢/٢٨١، والنشر: ٢/٢٨٠.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يارب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً)). انظر: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة: ٨/٥٦٩، رقم الحديث: ٧٥١٨، وكتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٧/ ٢٥٦، رقم الحديث: ٦٥٤٩. ومعنى (أُحِلُّ): أي أنزل.

يستغيثون عذِّبنا بما شئت، ولا تسخط علينا. اللهم لا تسخط علينا، ولا تهلكنا بغضبك.

وقوله: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ هذا تشريفٌ وإعلامٌ برضاه عنهم حين البيعة، ولذلك سُمِّيَت بيعة الرضوان، وذلك أن عثمان ﷺ حبسه بنو سعيد بن العاص[1]، حين بعثه النبي ﷺ إلى أهل مكة في أمر الصلح، على وجه المبرَّةِ، فأبطأ على رسول الله ﷺ، وكانت الحديبية من مكة على نحوٍ من عشرة أميال، فصرخ صارخ من عسكر رسول الله ﷺ: قُتِلَ عثمان، فحَمِيَ رسول الله ﷺ والمؤمنون، وقالوا: لا نبرَحُ إن كان هذا حتى نلقى القوم، فدعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، ونادى مناديه: أيها الناس: البيعةَ، البيعةَ،/ نزل روح القدس، فما تخلَّف عن البيعة أحد ممن شهد الحديبية إلا الحرُّ[2] بنُ قيس المنافق، وحينئذٍ جعل النبي ﷺ يدهُ على يدِهِ الشريفة، وقال: هذه لعثمان[3]، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالماً، والشجرة (سمُرةٌ) كانت هنالك، ذهبت بعد سنين، فمرَّ عمر ﷺ في خلافته بالموضع، فاختلف أصحابه في موضعها.

٢٠٢/ب

وقوله تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: من الإيمان وصحته، والحرص على الخيرات، فجعل جزاءهم إنزال السكينة عليهم، وأثابهم الفتوح عن قريب، ومغانم كثيرة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ أي: بصبرهم على

---

(١) وردت في الأصل: (العاصي)، وهو خطأ. والصواب: (العاص). انظر: سيرة ابن هشام: ٣٢٩/٣.

(٢) الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ابن أخي عيينة بن حصين، أتى رسولَ الله مع وفد بني فزارة حين قفل رسولُ الله ﷺ من غزوة تبوك، وكان أصغرهم. وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصين، فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين بعثهم عمر ﷺ. انظر: الإصابة: ٥٨/٢، رقم الترجمة: ١٦٩٤.

(٣) هذا جزء من حديث طويل ذكر البخاري فيه: ((وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعزُّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه. فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة. فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان. فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك)). انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ﷺ: ٥٧١/٤، رقم الحديث: ٣٦٩٨.

الهمِّ بالانصراف عن المشركين الذين صدوهم عن الحرم. والسكينة هنا تقريرُ قلوبهم، وتذليلُها لقبول أمر الله تعالى، والصبر له. والفتح القريب خيبر، وذلك أن رسول الله ﷺ انصرف بالمؤمنين إلى المدينة، وقد وعده الله بخيبر، وخرج إليها لم يلبث.

قال أبو جعفر النحاس: وقد قيل: إن الفتح القريب مكة، والمغانم الكثيرة فتح خيبر(١)، فالذين بايعوا النبي ﷺ قيل: ألف وخمسمئة، قاله قتادة. وقيل: وأربعمئة، قاله جابر بن عبد الله: وقيل: وخمسمئة وخمسة وعشرون، قاله ابن عباس [رضي الله عنهما]. وقيل: وثلاثمئة(٢). قال/ الشعبي: وأول من بايع في ذلك اليوم رجل من بني أسد يقال له: أبو سنان(٣) بن وهب. ٢٠٣/أ

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ رُوِيَ في تفسير هذه الآية أن النبي ﷺ رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه، وبعضهم محلِّقون، وبعضهم مقصِّرون.

وقال مجاهد: أُري ذلك بالحديبية، فأخبر الناس بهذه الرؤيا، ووثِق الجميع بأن ذلك يكون في وجهتهم تلك الوجهة. ورُوِيَ أن رؤياه إنما كانت: أن ملَكاً جاءه

---

(١) الأثر أخرجه كل من الطبري في تفسيره: ٨٨/٢٦، والقرطبي في تفسيره: ٢٧٨/١٦، والسيوطي في الدر المنثور: ٧٤/٦. وقيل: المراد بالفتح القريب فتح مكة، لأنها كانت بعد سنتين من الصلح، والأول أشهر. حيث إن فتح خيبر كان بعد عودته من الحديبية. انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٩٦/٤، ومعاني القرآن الكريم للنحاس: ٥٠٦/٦.

(٢) رواية قتادة أنهم كانوا ألفاً وأربعمئة، رواها البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الفتح: ١٧٠/٦ عن جابر ﷺ قال: ((كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمئة)). وروى في الصحيح أيضاً: ((أنهم كانوا ألفاً وخمسمئة)). والجمع بينهما كما قال البيهقي: أن جابراً كان في القديم يقول: كانوا خمس عشرة مئة، ثم ذكر الوهم فقال: أربع عشرة مئة. انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٧.

(٣) أبو سنان بن وهب، واسمه عبد الله، ويقال: وهب بن عبيد الله الأسدي. أول من بايع رسول الله بيعة الرضوان تحت الشجرة. قال: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك. قال: على ماذا؟ قال: على ما في نفسك وما في نفسي. قال: فتح وشهادة؟ قال: نعم. فبايعه فخرج الناس يبايعون على بيعة أبي سنان. انظر: الإصابة: ٧/ ١٩١، رقم الترجمة: ١٠٠٥٥.

فقال له: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ وأنه بهذا أعلمَ الناسَ، فلما قضى الله في الحديبية بأمر الصلح، وأخذ رسول الله ﷺ في الصَّدَرِ، قال المنافقون: وأين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾.

واللام في: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ﴾ لام القسم، الذي يقتضيه: ﴿ صَدَق ﴾ والاستثناء في هذه الآية من قول المَلك المخبر للنبي ﷺ في نومه، بذكر الله تعالى مقالته/ كما وقعت، فهو استثناء من موجب. ٢٠٣/ب

وقال أبو محمد بن عطية: ولا فرق بين أن يكون الاستثناء من قوله: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ أو من قوله: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾[1] فهو استثناء من واجب. وقيل: ﴿ إِن ﴾ بمعنى: إذ، فكأنه قال: إذ شاء الله آمنين، لكن مجيء ﴿ إِن ﴾ بمعنى: (إذ) شاذ. ولما نزلت هذه الآية، علم المسلمون أن تلك الرؤيا ستخرج فيما يستأنفونه من الزمن، واطمأنت قلوبهم بذلك وسكنت، فخرجت في العام المقبل، خرج رسول الله ﷺ إلى مكة في ذي القعدة سنة سبع، ودخلها ثلاثة أيام هو وأصحابه، وصدقت رؤياه.

وقوله: ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة، ودخول الناس فيه.

وقوله: ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ أي: من قَبْل ذلك، وفيما يدنو إليكم. والفتح القريب قيل: هو بيعة الرضوان، وقيل: الصلح بين المسلمين وكفار قريش بالحديبية، وقيل: هو فتح خيبر، وقيل: فتح مكة. قلتُ: فيه نظر، لأن فتح مكة كان بعد ذلك بعامين، لأن الفتح كان سنة ثمان من الهجرة، والله أعلم. قال ابن عطية: ويحسن أن يكون الفتح هنا اسم جنسٍ يعمُّ كلَّما وقع للنبي ﷺ فيه ظهور[2].

---

(١) انظر المحرر الوجيز: ١٣/٤٧٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٣/٤٧١.

٢٠٤/أ

وقوله تعالى:/ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ في الآية الأولى تعظيم لأمر النبي ﷺ، وإعلامٌ أنه يظهر على جميع الأديان.

وقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ أي: شاهداً على هؤلاء الكفار المنكرين لأمر النبي ﷺ، فيكون وعيداً. ويحتمل أن يكون وعداً للمؤمنين، ويكون المعنى شهيداً بهذا الأمر عند المؤمنين، بتصديق رؤيا محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ هو مبتدأ وخبر. وفيه تعظيمٌ لأمر النبي ﷺ

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ ابتداء، وخبره: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴾ و: ﴿ رُحَمَآءُ ﴾ خبر ثان. قرأ الجمهور: ﴿ أَشِدَّآءُ ﴾ وإن شئت نصبت (أشداءَ) على المدح[1]. والإشارة في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ إلى جميع الصحابة، وقيل: إلى مَن شهد الحديبية.

٢٠٤/ب

وقوله: ﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾/ أي: ترى أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام. ومعنى ﴿ يَبۡتَغُونَ ﴾ يطلبون.

وقوله: ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ أي: علاماتهم. قال مالك بن أنس [رضي الله عنه]: كانت جباههم مُتْرَبَةً من كثرة السجود في التراب. وقيل: كانوا يسجدون على التراب، لا على الأثواب، قاله عكرمة. والأحسن عندي: ما قاله ابن عباس [رضي الله عنهما]: قال: لأن الله تعالى يجعل لهم نوراً يوم القيامة من أثر

---

(١) انظر: المحتسب: ٢/٢٧٦. وهي قراءة الحسن. قال أبو الفتح: نصب على الحال، ومثلها: (رحماءَ بينهم).

السجود. يؤيده قوله تعالى: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ كأنه قال: علامتهم تحصيلهم الرضوان يوم القيامة ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾، والله أعلم.

وقيل: السيما: الحُسْنُ، وقيل: السيما بياضٌ وصفرةٌ وتهيُّجٌ يعتري الوجه من السهر. وفي الحديث: ((من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار))[1]. رواه صاحب الشهاب. وهو حديث منكر، قاله ابن عطية[2].

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ قيل: المثل هنا الوصف، وقيل: معناه الأمر كذلك، وتم الكلام. ثم قال: ﴿ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ ﴾ قال مجاهد: ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة، وتم الكلام. ثم ابتدأ ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ يعني أن النبي ﷺ / بُعِث وحده، فكان كالزرع حبَّة واحدة، ثم كثُر المسلمون، فهم كالشطأ، وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل. يُقال: أشطأت الشجرة إذا أخرجت غصونها[3]. قرأ ابن كثير، وابن ذكوان: (شَطَأَه) بفتح الطاء والهمزة دون مدٍّ[4]، وقُرِئ بسكون الطاء[5]، وقرأ الجحدري: (شَطْوَهُ) بالواو وهي لغة، أو بدل من الهمزة. ولا يكون الشطء إلا في البُرِّ والشعير[6]. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: الزرع النبي ﷺ ، فآزره

٢٠٥/أ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه. قال السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه: ومعنى الحديث ثابت بموافقة القرآن وشهادة التجربة، لكن الحفاظ على أن الحديث بهذا اللفظ غير ثابت. وقد تواردت أقوال الأئمة على عدِّ هذا الحديث في الموضوع على سبيل الغلط لا التعمد، وخالفهم القضاعي في مسند الشهاب فمال في الحديث إلى ثبوته. انتهى تعليق السندي. انظر: سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل: ١/٤٢٤، رقم الحديث: ١٣٣٣.

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ١٣/٤٧٥.

(٣) انظر: لسان العرب: ١/١٠٠، مادة (شطأ).

(٤) قرأ ابن كثير وابن عامر من رواية ابن ذكوان بفتح الطاء والهمزة (شَطَأَه). والباقون بالإسكان. انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٠٤، والكشف: ٢/٢٨٢، والنشر: ٢/٢٨٠.

(٥) ﴿ شَطْـَٔهُۥ ﴾ : وهي قراءة جمهور القراء.

(٦) قرأ عيسى الهمذاني بخلاف: (شطاءه) ممدود ومهموز، وقرأ عيسى: (شَطَاه). وقرأ الجحدري (شَطْوَهُ). ولأبي الفتح تعليل لغوي في هذه الأوجه. انظر: المحتسب: ٢/٢٧٧.

عليُّ بن أبي طالب، فاستغلظ[١] بأبي بكر الصدِّيق، فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب ﷺ أجمعين.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ أي: ساواه طولاً، وقيل: معناه أعانه وقوَّاه[٢]. فعلى الأول: الفاعل الشطء، وعلى الثاني: الفاعل الزرع، لأن كل واحد منهما يقوِّي صاحبه. ووزنه: (فاعَلَه)، وقد يكون: (أفعَله)، وصوَّبه ابن عطية[٣].

و: ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ في موضع الحال. وإذا أعجب الزرَّاع فأحرى أن يُعجِب غيرهم، لأنهم أعرف بعيوبه، ولو كان معيباً لم يعجبهم. وهنا تمَّ المثل.

وقوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ يعني: كفار قريش. قال الحسن: من غيظ الكفار قولُ عمر ﷺ: لا أعبد سرَّاً بعد اليوم[٤].

وقولـــه تعالـــى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾/ ﴿ مِنْهُم ﴾ لبيان الجنس، وليست للتبعيض[٥] لأنه وعدٌ للجميع[٦]، والله أعلم. ٢٠٥/ب

---

(١) وردت في الأصل: (فاستغل)، وهي خطأ، والصواب ما أثبتُّه. كما في المحرر الوجيز: ٤٧٨/١٣.

(٢) آزر الشيء الشيء: ساواه وحاذاه، وآزره أعانه. آزرع الزرع: قوى بعضه بعضاً. انظر: لسان العرب: ١٨/٤، مادة: (أزر).

(٣) أي وزنه: (أفعل)، ودلَّل عليه بقول الشاعر أبي العباس ثعلب:

لا مال إلا العطاف تؤزره أم ثلاثين وابنة الجبل

فالشاهد فيه قوله: (تؤزره)، دليل على أن وزن (آزر) أفعل، إذ (تؤزر) المضارع، فالماضي أفعل، مثل: أكرم يكرم، ومن هنا يظهر خطأ مجاهد في قوله: إن وزنها (فاعله). انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٧٩/١٣.

(٤) قال الحسن: من غيظ الكفار قول عمر: (لا أعبد الله عزَّ وجلَّ سرَّاً بعد اليوم). انظر: المحرر الوجيز: ٤٨٠/١٣.

(٥) فهو مثل (من) في قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ ﴾ [الحج: ٣٠]. إذ المعنى: فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان، وكذلك المعنى هنا: من جنس الصحابة. وقيل: (من) هنا للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]. لأن القرآن كله شفاء. انظر: المحرر الوجيز: ٤٧٩/١٣.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٤٧٩/١٣.

سورة الحجرات

مكيَّة بإجماع[١].

وفيها من آيات الصبر، وذمِّ العجلة قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ ﴾ نزلت هذه الآية ــ أعني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ ...﴾ الآية ــ. نزلت في وفد بني تميم، حيث كان الأقرع[٢] بن حابس، والزَّبرقان[٣] بن بدر، وعمرو[٤] بن الأهتم، وغيرهم، قد وفدوا على رسول الله ﷺ ، فدخلوا ودنوا من حُجَر رسول الله ﷺ وهي تسع[٥]، فعجِلُوا ولم ينتظروا، فنادَوا بجملتهم: يا محمد، اخرج إلينا، فكان في فعلهم ذلك جفاءٌ وقلةُ توقير، فتربَّص رسول الله ﷺ مدَّة، ثم خرج إليهم.

---

(١) وهي ثماني عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٣٠، وبصائر ذوي التمييز: ٤٣٥/١.

(٢) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، وكان حكماً في الجاهلية. وفي خبر الحجرات أنه قال: يا محمد إن مدحي لزين وإن ذمي لشين، فقال رسول الله ﷺ ((ذلكم الله)). وفي الصحيحين أن علياً بعث إلى النبي ﷺ بذهبية من اليمن فقسمها بين أربعة أحدهم الأقرع. واسمه فراس، وقيل له: الأقرع لقرع كان في رأسه، وكان شريفاً وحكمًا في الجاهلية والإسلام. استعمله عبد الله بن عامر على جيش سيَّره إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان هو والجيش، وذلك في زمن عثمان. انظر: الإصابة ١٠١/١، رقم الترجمة: ٢٣١.

(٣) الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن تميم بن مر التميمي السعدي، وكان اسمه الحصين، ولقب بالزبرقان لحسن وجهه، وهو من أسماء القمر. قدم ضمن وفد تميم، ونادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، ثم أسلموا. وسأل النبي ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان، وفيه قوله: ((إن من البيان لسحراً)). ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه، فأدَّاها في الردة إلى أبي بكر ﷺ فأقره، ثم إلى عمر ﷺ، وعاش إلى خلافة معاوية، وكفَّ بصره. انظر: الإصابة: ٥٥٠/٢، رقم الترجمة: ٢٧٨٤.

(٤) عمرو بن الأهتم بن سُمي بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن تميم التميمي المنقري، أبو نعيم، واسم أبيه الأهتم سنان، وكان عمرو خطيباً جميلاً بليغاً شاعراً شريفاً في قومه، وهو عم شيبة بن سعد، والمؤمل بن خاقان بن الأهتم، وعم خالد بن صفوان، وكلهم من البلغاء المشهورين. انظر: الإصابة: ٦٠٥/٤، رقم ٥٧٧٤.

(٥) وردت في الأصل: (تسعة)، وهذا خطأ. إذ المعدود من الثلاثة إلى التسعة يخالف العدد.

فقال الأقرع بن حابس: يا محمد إن مدحي زين، وذمِّي شين، فقال له رسول الله ﷺ: ويلك أذلَّك الله تعالى.

واجتمع الناس في المسجد، فقام خطيبهم فخطب وفخِر، فأمر رسول الله ﷺ ثابتَ[1] بن قيس فخطب/ وذكر الله والإسلام، فأزرى[2] على خطيبهم، ثم قام شاعرهم، فأنشد مفتخراً، فقام حسان بن ثابت ففخِر بالله، ثم بالرسول [ﷺ]، فكان أشعرَ من شاعرهم.

٢٠٦/أ

فقال بعضهم لبعض: والله إن هذا الرجل لَخطيبه أخطب من خطيبنا، ولَشاعره أشعر من شاعرنا. ثم نزلت هذه الآية فيهم[3]. والضمير في: ﴿ أَكۡثَرُهُم ﴾ يعود على بني تميم، و﴿ ٱلۡحُجُرَٰت ﴾ جمع حجرة[4].

---

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن الخزرج الأنصاري ــ خطيب الأنصار ــ روى ابن السكن بسنده عن أنس ﷺ قال: خطب ثابت بن قيس مَقْدِمَ رسول الله ﷺ المدينة، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا: رضينا. وفي الترمذي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً ((نِعْمَ الرجل ثابت بن قيس)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. انظر: سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت: ٥/٦٢٥. وأخرج البخاري بسنده عن موسى بن أنس، قال: وذكر يوم اليمامة، قال: أتى أنس ثابت بن قيس، وقد حسر عن فخذيه، وهو يتحنط. فقال: يا عمّ ما يحبسك أن لا تجيء؟ قال: الآن يا ابن أخي! وجعل يتحنط، يعني: من الحنوط. ثم جاء فجلس، فذكر في الحديث انكشافا من الناس، فقال هكذا عن وجوهنا حتى نضارب القوم: ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ بئس ما عودتم أقرانكم)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب التحنط عند القتال: ٣/٢٩١. وفي رواية الطبراني عن حماد عن ثابت عن أنس عن أنس ﷺ ((لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت ابن قيس: ألا ترى يا عمّ؟ ووجدته يتحنَّط، فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، بئس ما عودتم أقرانكم. وفي رواية للطبراني: ((اللَّهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ومما صنع هؤلاء، ثم قاتل حتى قتل)). انظر: الإصابة: ١/٣٩٥، رقم الترجمة: ٣٩٥.

(٢) تعبير: (أزرى عليه) غير مشهور، والمشهور: (أزرى به إزراءً) إذا قصَّر به وحقَّره وهوَّنه وأدخل عليه عيباً. ويقال: زرى عليه عمله إذا عابه وعنَّفه، وفي تفسير المحرر الوجيز: (أربى). انظر: لسان العرب: ١٤/٣٥٦، والمحرر الوجيز: ١٣/٤٩٠.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ٤/٢١٦، وأسباب النزول للسيوطي: ص: ٢٧٦، وأسباب النزول للواحدي: ص: ٢٢٣، وهو خبر طويل.

(٤) الحجْرَة من البيوت معروفة لمنعها المال، والجمع: حُجْرَات وحُجُرَات وحُجَرَات لغات كلها. انظر: لسان العرب: ٤/١٦٨.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾ أي: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ ﴾ وأعظمَ لأجرهم عند الله، وانبساط نفس النبي ﷺ وقضائه لحوائجهم، وودِّه وبرِّه لهم. وفي قوله: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ توجيه[1] لهم، وإعلام بقبوله توبة التائب إذا أناب ورجع[2]، والله أعلم.

---

(١) هكذا وردت في الأصل، ولعل الأقرب للمعنى الصواب (ترجية لهم) من الرجاء، لتناسب طلب المغفرة والرحمة، وكما هو في المحرر الوجيز: ١٣/٤٩٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٣/٤٩٠.

سورة ق

مكيَّة في قول الأكثرين. واستثنى منها ابن عباس(١) [رضي الله عنهما]: فقال: هي مدنيَّة(٢). و(ق) اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ، ذكره ابن عباس [رضي الله عنهما]. وقيل: من أسماء القرآن، ومعناه: قُضِيَ الأمر،/ ذكره الزَّجَّاج، كما في: (حم حمي الأمر)(٣). وقيل: اسم الجبل المحيط بالأرض، ذكره الضحَّاك(٤). وهو من زُمُرُّدة خضراءَ، عليه كتفَا السماء، وخضرةُ السماء منه.

٢٠٦/ب

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: خلق الله جبلاً يقال له: (قاف)، يحيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض. فإذا أراد أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فتحرَّك ذلك العِرق الذي يلي تلك القرية(٥).

وقال أبو العالية: هو افتتاح اسم قدير، وقاهر، وقريب.

وقال أبو بكر الورَّاق: معناه: قف عند أمرنا ونهينا(٦). وقيل: معناه قل يا محمد(٧).

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ

---

(١) استثنى ابن عباس رضي الله عنهما الآية (٣٨) منها، وهي: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝ ﴾ فقال: إنها مدنية. انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٢/١٣.

(٢) وهي خمس وأربعون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٣١، وبصائر ذوي التمييز: ٤٣٧/١.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤١/٥.

(٤) ذكره آنفاً ابن زيد وعكرمة ومجاهد. انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٤/١٣.

(٥) رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٧.

(٦) انظر: زاد المسير: ٢٣٣/٧.

(٧) حكاه الثعلبي. انظر: زاد المسير: ٢٣٣/٧.

وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾/ معنى: ﴿ أُزْلِفَت ﴾ قُرِّبت حتى يروها قبل أن يدخلوها إكراماً لهم، وتعجيلاً لأسباب السرور والنعيم. | أ/٢٠٧

وقوله: ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ توكيدٌ. المعنى: قربها. ونصب ﴿ غَيْرَ ﴾ على الظرف، أي: مكاناً غير بعيد. أو على

الحال، تقديره: شيئاً غير بعيد.

وقوله: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ قرأ ابن كثير: (يوعدون) بالياء[1]، والمعنى: ما يوعدون في الدنيا على ألسنة الرسل. ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ أي: حافظ لأمر الله.

وقوله: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾: ﴿ من ﴾ في موضع جرٌ بدل من ﴿ أَوَّاب ﴾. ويجوز أن يكون مرفوعاً على الابتداء، والخبر ﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾. ويجوز أن يكون منادى[2]، وقد حُذِف حرف النداء/ للقرب[3]. | ب/٢٠٧

وقوله: ﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ أي: راجع إلى طاعة الله.

وقوله: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ﴾ أي: من الهموم والعذاب، أو ادخلوها مصحوبين بالسلام من الله والملائكة.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾ أي: في الجنة. ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ قال أهل التفسير: وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم، فيُعطَونَ ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوا، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾.

---

(١) انظر: كتاب الكشف: ٢/٢٨٥، والنشر: ٢/٢٨١.

(٢) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان: ص: ٤١.

(٣) انظر: الكشاف: ٤/٣٩٠.

وعن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال: يتجلَّى لهم(١). قال أنس بن مالك [رضي الله عنه]: يتجلَّى لهم الربُّ في كل جمعة. ويُروى أن السحاب يمرُّ بأهل الجنة، فيُمطِرُ الحورَ، فتقول الحور: نحن اللواتي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾(٢).

ثم هدَّد كفار مكة بقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ قرأ الجمهور: ﴿ فَنَقَّبُوا۟ ﴾ بالتشديد مع فتح النون والقاف. وقرأ عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز [رضي الله عنهما]: (فنقَبوا) بالتخفيف(٣). وقرأ ابن عباس [رضي الله عنهما] وابن السميفع اليماني: (فنقِّبوا) بكسر القاف على الأمر(٤)، وفيه/ وعيد وتهديد لهم. قال قتادة: معناه سِيروا وطَوِّفوا. قال ابن جرير: اتخذوا فيها طرقاً ومسالك(٥). وأصله من النقب، وهو الطريق(٦). وقال الزَّجَّاج: معناه طوفوا وفتِّشوا، فلم ترَ محيصاً من الموت(٧)، على سبيل من كان قبلكم من أعداء الله، فلم يجدوا لهم مفرَّاً من الموت المفضي بهم إلى عذاب الله.

أ/٢٠٨

وقولـــه تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ أي: لمن كان له قلب واعٍ، لأن من لا يعي قلبُه فكأنه لا قلب له.

---

(١) انظر: الدر المنثور: ١٢٧/٦.

(٢) ذكره الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٧/٥، وزاد المسير: ٢٤٣/٧.

(٣) قراءة الجمهور بالتشديد: (فنقَّبوا)، وروي عن أبي عمرو روايتان؛ كالجمهور مشدداً، وبالتخفيف: (فَنقَبوا). انظر: كتاب السبعة لابن مجاهد: ص: ٦٠٧.

(٤) قراءة ابن عباس وأبي العالية ويحيى بن يعمر ونصر بن سيار: (فنقبِّوا في البلاد) بكسر القاف مشدداً. قال أبو الفتح: هذا أمر للحاضرين، ثم لمن بعدهم، فهو كقولك: قد أجلتك فانظر هل لك من منجى، أو من وزر. وهو على وزن (فعِّلوا) من النقب أي: ادخلوا وغوروا في الأرض، فإنكم لا تجدون لكم محيصاً. انظر: المحتسب: ٢٨٥/٢.

(٥) لم أقف على اللفظ ذاته عند ابن جرير الطبري، وقريب منه في تفسيره: قال: خرقوا البلاد فساروا فيها، فطافوا وتوغَّلوا إلى الأقاصي منها. انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٦.

(٦) النقب بفتح وضم النون المشددة: (الطريق)، وقيل: (الطريق الضيق في الجبل). انظر: لسان العرب: ١/ ٧٦٧، مادة: (نقب).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٨/٥.

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: لمن كان له عقل، وقيل: كنَّى عن النفس المميَّزة. ﴿ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ ﴾ أصغى إلى مواعظ القرآن وزواجره. ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ حاضر القلب، غير ساهٍ ولا لاهٍ.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ﴾ قال المفسرون: قالت اليهود: خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام؛ أوَّلها الأحد، وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت[1]، فلذلك لا نعمل فيه شيئاً، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾ أي: تعب، ولا نصب. سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: من الكذب والبهتان. لأن الصبر/ مأمور به على كل حال. والصحيح أنه لم ينسخ بآية القتال[2]. ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر. ٢٠٨/ب

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ ﴾ قال مقاتل: صلاة المغرب والعشاء.

وقوله: ﴿ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ قرأ نافع وابن كثير وحمزة: بكسر الهمزة مصدر (أدبر)، وقرأ الباقون: بفتحها جمع دُبُر[3]، وهما الركعتان بعد المغرب في قول عمر وعليٍّ والحسن بن عليٍّ وأبي هريرة [ﷺ][4]. وفي الترمذي عن ابن عباس

---

(١) كانت هذه مقالة أهل الكتاب ــ اليهود ــ في مكة قبل الهجرة. انظر: المحرر الوجيز: ٥٧١/١٣.

(٢) قيل: هي منسوخة بآية القتال للمشركين في براءة، وقيل: هي محكمة مخصوصة نزلت في قوم من اليهود سألوا النبي ﷺ بمكة عن مسائل، وتكلَّموا بكلام منكر، فأُمِر النبي ﷺ بالصبر عليهم. انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب: ص: ٤١٧، والناسخ والمنسوخ للنحاس: ص: ٦٨٠.

(٣) قرأ المدنيان وابن كثير وحمزة بكسر الهمزة (إدبار)، والباقون بفتحها (أدبار). انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٠٧، والكشف: ٢٨٥/٢، والنشر: ٢٨١/٢.

(٤) وهو قول الشعبي وإبراهيم ومجاهد والأوزاعي، وأسنده الطبري إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: ((يا ابن عباس: ركعتان بعد المغرب أدبار السجود)). انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٦.

[رضي الله عنهما] عن النبي ﷺ قال: ((إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب))[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾ أي: واستمع حديث يوم ينادي المنادي، فحذف المضاف[٢]، وهو مفعول به، لا ظرف. والمنادي: إسرافيل عليه السلام. قال المفسرون: يقف على صخرة بيت المقدس، فينادي: أيَّتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتفرِّقة، والشعور المتمزِّقة، إن الله يأمرُكُنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء. والصخرة وسَطُ الدنيا، وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً[٣]. وهذه النفخة هي النفخة الأخيرة.

وقوله:/ ﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ بالأمر الثابت الذي لا مِرية فيه، وهو البعث. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾ أي: من القبور. ٢٠٩/أ

وقوله: ﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ﴾ بدل من: ﴿ يَوۡمَ يُنَادِ ﴾. وكذلك: ﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ ﴾.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴾ أي: هيِّن.

وقوله: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ ﴾ أي: بما يقول كفار مكة من تكذيبك.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام، وإنما بُعِثت مذكِّراً، وذلك قبل الأمر بقتالهم[٤].

﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ عِظ به ﴿ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ قد كان ﷺ يذكِّر بالقرآن مَن يخاف ومَن لا يخاف، لكنه خصَّ الخائفين بالذكر لموضع انتفاعهم به، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الطور: ٣٦٦/٥، رقم الحديث: ٣٢٧٥. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين ابن كريب.

(٢) حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. انظر: مغني اللبيب: ص: ٨١٣.

(٣) انظر: الدر المنثور: ١٣٢/٦.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٤٦/٧.

سورة الذاريات

ستون آية[1]، وهي مكيَّة بإجماعهم. وفيها ذكر المتقين الصابرين، وما يلقَون من النعيم المقيم بصبرهم./

٢٠٩/ب

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ[2] لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

المعنى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ في حال أَخْذِ ﴿ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُحْسِنِينَ ﴾ موحِّدين طائعين عاملين بالفرائض التي أوجبها عليهم. فيكون التقدير: ثواب عملهم بالفرائض، ويجوز أن يكون التقدير: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ في حكمي وعلمي ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾، باعتبار ما يؤولون إليه.

وقوله: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ الهجوع النوم في الليل، وخصَّه بعضهم بالقليل من النوم[3]. و﴿ مَا ﴾ مع الفعل في تأويل المصدر. والتقدير: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، بدلاً من الواو في: ﴿ كَانُوا ﴾، و﴿ قَلِيلًا ﴾ ظرف أو صفة مصدر على معنى هجوعاً قليلاً. ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ موصولة، تقديره: كانوا قليلاً من الليل الذين يهجعون. وقيل: ﴿ مَا ﴾ نافية. ثم اختلف القائلون بذلك في

---

(١) هي ستون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٣٢، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٤٣٩.

(٢) وردت الآية في أصل المخطوط بزيادة كلمة (معلوم)، وهو خطأ. إذ تلك آية المعارج: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ ، وهذه آية الذاريات.

(٣) الهجعة: النومة الخفيفة من أول الليل، وقد يكون الهجوع بغير نوم. انظر: لسان العرب: ٣٦٧/٨، مادة: (هجع).

وقال عقبة بن صهبان[١]: سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾/ فقالت: يا بُنيَّ، كلهم في الجنةِ؛ أما السابقُ بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ، شهد له رسول الله ﷺ بالجنةِ، وأما المقتصدُ فمن اتبع أثرَهُ من أصحابه، حتى لحق به[٢]. ١٥٨/ب

وقال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته[٣]. وقيل: الظالم مَن كان ظاهره خيراً من باطنه، والمقتصد من استوى ظاهره وباطنه، والسابقُ الذي باطنه خيرٌ من ظاهره. وقيلَ: الظالمُ مَن وحَّد الله بلسانه ولم يوافق قولُه فعلَهُ، والمقتصدُ من وحَّد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابقُ من وحَّد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله. وقيل: الظالم أصحابُ الكبائر، والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق من لم يرتكب كبيرةً ولا صغيرةً.

وقال سهل بن عبد الله التُستري: السابقُ العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل[٤].

وقال جعفر بن محمد الصادق: بدأ بالظالم إخباراً أنه لا يُتقربُ إليه إلا بكرمهِ، وأن الظُلم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنىَّ بالمقتصدين/ لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره، وكلُّهم في الجنة. ١٥٩/أ

وقال أبو بكر الوراق: رتَّبهم هذا الترتيب على مقامات الناس، لأن أحوال العبد ثلاثة؛ معصية وغفلة، وتوبة، ثم قُربة. فإذا عصى دخل في حيِّز الظالمين، فإذا تاب

---

(١) عقبة بن صهبان الأزدي الحداني، وقيل: الراسبي، وقيل: الهنائي البصري. وحدان وراسب وهناءة من الأزد، روى عن عائشة وغيرها من الصحابة ﷺ. وثَّقه العجلي والنسائي وأبو داود ومحمد بن سعد، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. وروى له الشيخان وأبو داود وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال: ٢٠/٢٠٠، رقم الترجمة: ٣٩٧٧.

(٢) تتمة نص الحديث: ((وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلتْ نفسَهَا معنا)). انظر: تفسير البغوي: ٣/٤٩٣

(٣) رواه الحسن البصري. انظر: زاد المسير: ٦/٢٦٥، وتفسير البغوي: ٣/٤٩٣.

(٤) انظر قريباً من هذا المعنى في حلية الأولياء، ترجمة سهل التستري. انظر: حلية الأولياء: ١٠/١٩٥.

[رضي الله عنهما] عن النبي ﷺ قال: ((إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب))[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: واستمع حديث يوم ينادي المنادي، فحذف المضاف[٢]، وهو مفعول به، لا ظرف. والمنادي: إسرافيل عليه السلام. قال المفسرون: يقف على صخرة بيت المقدس، فينادي: أيَّتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتفرِّقة، والشعور المتمزِّقة، إن الله يأمرُكُنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء. والصخرة وسَطُ الدنيا، وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً[٣]. وهذه النفخة هي النفخة الأخيرة.

وقوله:/ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالأمر الثابت الذي لا مِرية فيه، وهو البعث. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ أي: من القبور. ٢٠٩/أ

وقوله: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ بدل من: ﴿ يَوْمَ يُنَادِ ﴾. وكذلك: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ ﴾.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ أي: هيِّن.

وقوله: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: بما يقول كفار مكة من تكذيبك.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام، وإنما بُعِثت مذكِّراً، وذلك قبل الأمر بقتالهم[٤].

﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ عِظ به ﴿ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ قد كان ﷺ يذكِّر بالقرآن مَن يخاف ومَن لا يخاف، لكنه خصَّ الخائفين بالذكر لموضع انتفاعهم به، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الطور: ٣٦٦/٥، رقم الحديث: ٣٢٧٥. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين ابن كريب.

(٢) حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. انظر: مغني اللبيب: ص: ٨١٣.

(٣) انظر: الدر المنثور: ١٣٢/٦.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٤٦/٧.

سورة الذاريات

ستون آية[1]، وهي مكيَّة بإجماعهم. وفيها ذكر المتقين الصابرين، وما يلقَون من النعيم المقيم بصبرهم./

ب/٢٠٩

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ[2] لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

المعنى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ في حال أَخْذِ ﴿ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُحْسِنِينَ ﴾ موحِّدين طائعين عاملين بالفرائض التي أوجبها عليهم. فيكون التقدير: ثواب عملهم بالفرائض، ويجوز أن يكون التقدير: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ في حكمي وعلمي ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾، باعتبار ما يؤولون إليه.

وقوله: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ الهجوع النوم في الليل، وخصَّه بعضهم بالقليل من النوم[3]. و﴿ مَا ﴾ مع الفعل في تأويل المصدر. والتقدير: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، بدلاً من الواو في: ﴿ كَانُوا ﴾، و﴿ قَلِيلًا ﴾ ظرف أو صفة مصدر على معنى هجوعاً قليلاً. ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ موصولة، تقديره: كانوا قليلاً من الليل الذين يهجعون. وقيل: ﴿ مَا ﴾ نافية. ثم اختلف القائلون بذلك في التقدير: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ في حكمي وعلمي ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾، باعتبار ما يؤولون إليه.

---

(١) هي ستون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٣٢، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٤٣٩.

(٢) وردت الآية في أصل المخطوط بزيادة كلمة (معلوم)، وهو خطأ. إذ تلك آية المعارج: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ ، وهذه آية الذاريات.

(٣) الهجعة: النومة الخفيفة من أول الليل، وقد يكون الهجوع بغير نوم. انظر: لسان العرب: ٣٦٧/٨، مادة: (هجع).

توجه[1] الآية؛ فقال الضحَّاك ومقاتل: الوقف على قوله: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا ﴾/ ثم استأنفوا، فقالوا: ﴿ مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ أي: ما ينامون البتَّة. | ٢١٠/أ

قلتُ: هو حسن من جهة المعنى، لكن لا يحسن من جهة الإعراب، لِما فيه من تقديم خبر النفي على حرف النفي. ولهذا لا يجوز: زيداً ما ضربت، والله أعلم.

وذهب قوم إلى أن المعنى: كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل، أي: كانوا يسهرون في قليل من الليل. قال أنس بن مالك [ﷺ]: كانوا يصلُّون ما بين المغرب والعشاء. والأحسن أن يكون ﴿ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ بدلاً، أو صفة زائدة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قال الحسن: مدُّوا الصلاة إلى الأسحار، ثم أخذوا في الاستغفار.

وقوله: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ[2] لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ أي نصيب للسائل، والمحروم المتعفِّف الذي لا يسأل، قاله قتادة والزهري. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هو المحارف الذي لا يكاد يكسب[3]. وقال النخعي: هو الذي ليس له شيءٌ في الفيء. وسُئِل عمر بن عبد العزيز عن المحروم، فقال الكلب. وكان الشعبي يقول: أعياني أني أعلم ما المحروم[4]؟ ولقد سألت عن المحروم منذ سبعين سنة، فما أنا اليوم بأعلم من يومئذ.

وفي الحديث أن النبي ﷺ / قال لأنس [ﷺ]: ((ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: يا ربِّ ظلمونا حقوقنا التي فرضتَ لنا عليهم، قال: فيقول: وعزَّتي | ٢١٠/ب

---

(١) هكذا وردت في الأصل، ولعل الأصوب: (توجيه الآية) تناسباً مع السياق.

(٢) تكرر ورود الآية في الأصل بزيادة: (معلوم)، وهو خطأ. إذ تلك آية المعارج رقم: (٢٤)، وهذه الذاريات. وهذا مؤشر أن الناسخ يعتمد في النقل على ذاكرته وحفظه، وهذا ما يعرِّضه للخطأ في المتشابهات.

(٣) روى الأزهري عن الشافعي أنه قال: كل من استغنى بكسبه فليس له أن يسأل الصدقة، وإذا كان لا يبلغ كسبه ما يقيمُه وعيالَه فهو الذي ذكره المفسرون أنه المحروم المحارَف الذي يحترف بيديه، قد حُرِمَ سهمه من الغنيمة، لا يغزو مع المسلمين، فبقي محروماً يعطى من الصدقة ما يسدُّ حرمانه. وقيل: المحارَف: المحروم الذي إذا طَلَبَ فلا يُرزَق، أو يكون لا يسعى في الكسب. والمحارَف الذي لا يصيب خيراً من وجه توجه إليه. ويقال للمحروم الذي قُتِّر عليه رزقه (محارَف)، وليس له في الإسلام سهم. انظر: لسان العرب: ٤٣/٩.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٥٢/٧.

لأُقَرِّبَنَّكم وأُبعدنَّهم. قال أنس [ﷺ]: وتلا رسول الله ﷺ ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾))[١].

وقوله: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾ أي: دلالات على وجوده، ووحدانيته، وعظمته، وحكمته من إجراء الأنهار، وإخراج الثمار، وإرساء الجبال.

وفي كل شيءٍ له آية تدلُّ على أنه واحد[٢]

ومعنى: ﴿ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾ أي: بالله، وقوله: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ أي: وفي أنفسكم أيضاً آيات إذ كنتم نُطَفاً، ثم علقاً، ثم مضَغاً، إلى أن نَفختُ فيكم الأرواحَ، فصِرْتُم بشراً سميعاً بصيراً فاهماً، ذوي ألسنة مختلفة، وطبائع غير مؤتلفة. ﴿ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ آيات الأرض، وآيات أنفسكم، فتستدلون[٣] بالصنعة على الصانع، وبهذه العجائب على قدرة مكوِّنها على بعثكم بعد إماتتكم.

وقوله: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ قرأ أبيٌّ بن كعب: (أرزاقكم) على الجمع، أي: سبب رزقكم أو أرزاقكم، وهو المطر الذي تخرج به الحبوب التي تقتاتونها. وقرأ ابن مسعود [ﷺ]: (رازقكم)[٤]. ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ أي: من/ الثواب والعقاب، والخير والشرِّ. ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ ﴾ قال الزَّجَّاج: المعنى: أن الذي ذُكِر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي ﷺ حقّ ﴿ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ فشبَّه تحقيق ما أخبر عنه كتحقيق نطق الآدمي الذي يعرفه ضرورة[٥]. قرأ حمزة والكسائي وأبو بكْر: (مثلُ) بالرفع صفة للحق، أي: إنه لحق مثلُ نطقكم. وقرأ

٢١١/أ

---

(١) أخرجه العسكري في المواعظ وابن مردويه عن أنس بن مالك ﷺ. انظر: الدر المنثور: ١٣٦/٦.

(٢) انظر: ديوان أبي العتاهية: الصفحة: ١٢٢، وسبق تخريجه عند الورقة (١٣/أ)، الصفحة: (٢٩)، الحاشية: (١)، من هذا الكتاب.

(٣) وردت في الأصل: (فتستدلوا)، وهو خطأ. إذ الفعل مضارع مرفوع بثبوت النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وهو متجرد عن الناصب والجازم.

(٤) انظر: إعراب القراءات الشواذ: ٥١٤/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ٤٩٢/٢. عن ابن محيصن من المبهج من رواية البزي.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٤/٥.

الباقون بالنصب[١]، والوجه فيه جعلُ ﴿ مَا ﴾ و﴿ مِثْل ﴾ اسماً واحداً، وتبنيه على الفتح.

روينا بالسند الصحيح[٢] إلى الرسعني[٣]، قال: حدثنا شيخنا الإمام أبو محمد عبد الله[٤] بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، عن محمد بن أبي بكر المديني، عن محمد بن الشرابي، عن الثعلبي، عن محمد بن الحسن المذكِّر، عن الحاكم يحيى بن منصور، عن أبي رجاء عن أبي الفضل العباس[٥] بن الفرج الرياشي، قال: سمعت الأصمعي[٦] يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي جِلفٌ جافٌّ، على قَعود له، متقلِّد سيفه، وبيده قوس. فدنا وسلَّم، وقال لي: ممَّن الرجل؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم بالرفع. وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالنصب. انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٠٩، والكشف: ٢٨٧/٢، والنشر: ٢٨١/٢.

(٢) وسند الرسعني كما في مخطوطه: أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني إجازة، أخبرنا أبو الفتح عبد الرزاق بن محمد بن الشرابي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، قال: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المذكر، حدثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور، حدثنا أبو رجاء محمد بن أحمد، حدثنا أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي.. انظر: مخطوط (**رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز**) الورقة: ٢٥/ب.

(٣) سبقت ترجمته في سورة الفتح. ارجع إلى الصفحة: (٣٨٧)، الحاشية: (٦) من الكتاب.

(٤) موفق الدين أبو محمد عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي ثم الدمشقي الصالحي، ولد سنة ٥٤١هـ، وقدم دمشق مع أهله، وحفظ القرآن ومختصر الخرقي. تنقل بين بغداد ودمشق طلباً للعلم حتى برع. وكان فقيهاً من أكابر الحنابلة، إماماً في فنون، زاهداً ورعاً. تفقَّه عليه خلق كثير. توفي سنة ٦٢٠ هـ. له تصانيف كثيرة؛ منها: المغني والمقنع والكافي والعمدة وغيرها في فقه الحنابلة، والبرهان في مسألة القرآن، وكتاب القدر. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة: ١٣٣/٢، والمقصد الأرشد: ١٥/٢.

(٥) العباس بن الفرج الرياشي، من علماء اللغة والنحو، كثير الاطلاع في أخبار العرب، لازم الأصمعي طويلاً، وروى عنه الأدب والأخبار، وتخرج على يديه عدد من شخصيات ذلك العهد مثل: إبراهيم الحراني، وابن أبي الدنيا وغيرهما. توفي عام ٢٥٧، حيث قُتِل في معركة الزنج. انظر: كتاب الأصمعي حياته وآثاره.

(٦) عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده سنة ١٢٢هـ، ووفاته سنة ٢١٦هـ. في البصرة..كثير التطواف في البوادي، يقتبس العلم والأخبار، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها. سمَّاه الرشيد شيطان الشعر. كان أتقن القوم لغة، وأحضرهم حفظاً. تصانيفه عديدة منها: الإبل، والأضداد، وخلق الإنسان، والمترادف، والخيل، وكتب كثيرة. انظر: تاريخ بغداد: ٤١٠/١٠، وإنباه الرواة: ١٩٧/٢، والأعلام: ١٦٢/٤.

الأصمعي؟ قلت: نعم، قال: ومن أين أقبلت؟ فقلت: من/ موضع يُتلى فيه كلام ٢١١/ب
الرحمن، قال: وللرحمن كلام يتلوه الأدميُّون؟ قلت: نعم، قال: اتلُ عليَّ شيئاً منه، فقلت له: انزل عن قَعودك، فنزل، وابتدأت بسورة الذريات، فلما انتهيت إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن؟ قلت: أي، والذي بعث محمداً ﷺ بالحق، إنه لكلامه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ. فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها، وقطَّعها بجلدها، وقال: أعِنِّي على تفريقها، ففرَّقها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما، وجعلهما تحت الرمل، وولَّى مُدبراً نحو البادية، وهو يقول: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ قال: فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي.

فلما حججت مع الرشيد[1] دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي، نحيل مصفرّ لونُه، فسلَّم عليَّ، وأخذ بيدي فأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتلُ عليَّ كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ صاح
الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم/ قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله ٢١٢/أ
عزَّ وجلَّ: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ فصاح الأعرابي، وقال: يا سبحان الله! مَن الذي أغضب الجليل، حتى حلف؟ ألم يصدِّقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثاً، وخرجت فيها نفْسُه[2]، والله أعلم.

---

(١) هارون الرشيد بن محمد (المهدي) بن المنصور العباسي. أبو جعفر خامس خلفاء العباسين في العراق وأشهرهم. ولد بالري سنة ١٤٩هـ، ونشأ ببغداد. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، وبويع بالخلافة بعد أخيه الهادي، وازدهرت الدولة في أيامه. كان عالماً بالأدب والحديث والتاريخ والفقه، فصيحاً، له شعر ومحاضرات مع علماء عصره، شجاعاً كثير الغزوات، حازماً كريماً متواضعاً، يحج سنة ويغزو سنة، يطوف ليلاً متنكراً. له وقائع كثيرة مع ملوك الروم، ولم تزل جزيتهم تُحمَل إليه طول حياته. مدة ولايته ٢٣ سنة، توفي في (سنا باذ) من قرى (طوس)، ودفن بها سنة ١٩٣هـ. انظر: البداية والنهاية: ٢١٣/١٠، وتاريخ الطبري: ٤٧/١٠ ــ ١١٠، والأعلام: ٦٢/٨.

(٢) انظر القصة بكاملها في مخطوط تفسير الرسعني المسمَّى: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز: الأوراق: ٢٥/ب، ٢٦/أ، ٢٦/ب.

سورة القمر

وهي خمس وخمسون آية[١]، مكيَّة.

ومعنى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ يعني: القيامة. وأمرها مجهولٌ، والتحديد لم يُعلم، إلا أنها قُرِّبت دون تحديد.

قال النبي ﷺ: ((بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى)).

وقال أنس [رضي الله عنه]: خطب النبي ﷺ وقد كادت الشمس تغيب فقال: ((ما بقي من الدنيا فيما[مضى][٢] إلا كمثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى))[٣].

أ/٢١٣

وقال عليه الصلاة والسلام: ((إني/ لأرجو أن يؤخِّر الله أمتي نصف يوم))[٤]. وهذا من النبي ﷺ على سبيل الرجاء والظنِّ، لم يجزم، فجاء الله به على أمل رسوله، وأخَّر أمته أكثر من رجائه.

وكلُّ ما يُروى في عُمر الدنيا فضعيف[٥]، والله أعلم.

---

(١) هي خمس وخمسون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٣٦، وبصائر ذوي التمييز: ١/٤٤٥.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ١٠/٦٤، رقم الحديث: ١١٠٨٦، وإسناده حسن. ولفظه: ((ألا إن مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه)).

(٤) أخرج أبو داود في سننه بسنده إلى سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: ((إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم)). قيل لسعد وكم نصف ذلك اليوم؟ قال خمسمئة سنة. انظر: سنن أبي داود: كتاب الملاحم، باب قيام الساعة: ٢/٥٢٩، رقم الحديث: ٤٣٥٠، وأحمد في المسند: ٢/٢٢٠، رقم الحديث: ١٤٦٥. وإسناده ضعيف.

(٥) ارجع إلى مقدمة هذا الكتاب: الصفحة: (١١)، الحاشية: (١)، فقد تم استيفاء تحقيق هذه المسألة فيها.

سورة الرحمن

مكيَّة في قول الأكثرين[١]. قالوا: نزلت حين قالت قريش بمكة: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وذلك قبل الهجرة[٢]، وقيل: نزلت يوم صلح الحديبية، لمَّا جاء سهيل[٣] بن عمرو، فأراد أن يكتب في الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم[٤]، والأول أصحُّ.

وفيها وَعَد مَن صبر وخاف مقام ربه بجنتين، حُورُهما كأنهن الياقوت والمرجان، فقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ ﴾ يريد بالخوف هنا مَن اتصف بالخوف الزاجر/ عن معاصي الله تعالى. قيل: كل خائف له جنتان، وقيل: جميع الخائفين لهم جنتان. والمقام هو وقوف العبد بين يدي ربه، يفسره: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[المطففين]. فالخوف هو أسرع

٢١٣/ب

---

(١) هي ست وسبعون آية عند البصري، وسبع وسبعون آية عند المدنيين والمكي. وثمانٍ وسبعون آية عند الكوفي والشامي. المختلف فيها: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ ﴾ عدَّها الكوفي والشامي دون غيرهما. ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ ﴾ الأول لم يعدّها المدنيان وعدَّها الباقون. ﴿ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ لم يعدّها المكي وعدَّها الباقون. ﴿ شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ عدَّها المدنيان والمكي ولم يعدّها الباقون. ﴿ يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ لم يعدّها البصري وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٣٧، وبصائر ذوي التمييز: ٤٤٧/١.

(٢) انظر: فتح القدير: ١٣١/٥.

(٣) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر القرشي العامري خطيب قريش، أبو يزيد. سكن مكة ثم المدينة، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، وخبره في الصحيحين، وهو الذي قال في فتح مكة: نقول خيراً، ونظنُّ خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. وذكره ابن اسحاق فيمن أعطاه رسول الله ﷺ مئة من الإبل من المؤلفة، وكان محمود الإسلام من حين أسلم. مات بالطاعون سنة ١٨هـ. وكانت له صحبة. انظر: الإصابة: ٢١٢/٣، رقم الترجمة: ٣٥٧٥.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١٥١/١٧.

المطايا إلى الله عزَّ وجلَّ. وقيل: أراد جنةً واحدةً، وثنَّى على نحو قوله: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[ق][1] ، وهو بعيد، والأول أحسن، يؤيده التثنية.

قوله: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ وهي: تثنية ذات على الأصل، والأفنان جمع فنن، وهو الغصن[2]. فمدحها بظلالها، وتكاثف أغصانها. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هو جمع فن[3]. فكأنه مدحها بكثرة أنواع فواكهها ونعيمها.

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ أي: بالماء الزلال؛ أحدهما التسنيم، والآخر السلسل. ومعنى: ﴿ زَوْجَان ﴾ نوعان.

و﴿ مُتَّكِئِين ﴾ حال من محذوف تقديره: يتنعمون متكئين. والاتكاء جِلسة المتنعم المتمتع[4]. قرأ جمهور الناس: ﴿ فُرُش ﴾ بضمِّ الراء، وقُرِئ بسكونها أيضاً[5]. رُوِي في الحديث: أنه قيل لرسول الله ﷺ هذه البطائن من إستبرق، فكيف بالظواهر؟ قال: ((هي من نور يتلألأ))[6]. والإستبرق: ما خشُن وحسُن من

---

(١) وردت الآية في الأصل بلفظ: (أثيم) بدلاً من عنيد. وهو خطأ.

(٢) الفنن: الغصن المستقيم، وقيل: القضيب، وقيل: الفرع من الشجرة. انظر: لسان العرب: ٣٢٧/١٣.

(٣) قال أبو منصور: واحد الأفنان إذا أردت بها الألوان فنّ، وإذا أردت الأغصان فواحدها فنن. انظر: لسان العرب: ٣٢٧/١٣.

(٤) المتكئ في العربية: كل من استوى قاعداً على وطاء متمكناً. والعامة لا تعرف المتكئ إلا مَن مال في قُعوده معتمداً على أحد شقَّيه. وفي الحديث: ((هذا الأبيض المتكئ المرتفق)) يريد الجالس المتمكن في جلوسه، وفي الحديث أيضاً: ((التُّكْأَةُ من النعمة)). انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٩٣/١، ولسان العرب: ٢٠٠/١.

(٥) هذه قراءة أبي حيْوة. انظر: تفسير القرطبي: ١٧٩/١٧، إعراب القراءات الشواذ: ٥٤٦/٢، وفتح القدير: ١٤١/٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه بسنده عن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه: ((ألا مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبداً، في حبرة ونضرة، في دور عالية سليمة بهية. قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله، قال: قولوا: إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحضَّ عليه)). انظر: سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة الجنة: ١٤٤٨/٢، رقم الحديث: ٤٣٣٢. قال في الزوائد: في إسناده مقال. ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: ((ألا هل من مشمر..)) الحديث. وإسناده ضعيف. انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ٣٨٩/١٦، رقم الحديث: ٧٣٨١.

الديباج[١]، والسندس: ما رقّ[٢]. ووصف ما يجتني/ من ثمار الجنة بالدنوّ، لأنه رُوِي في الحديث: ((يتناوله المرء على أي حالة كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع، لأنه يدنو إلى مشتهيه))[٣]. و ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ من الحور العين هن اللواتي قصرن ألحاظهن على أزواجهن. ٢١٤/أ

وقوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدۡهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ قرأ الكسائي: (لم يطمُثهنّ) بضم الميم، والباقون بكسرها. قال الفراء: الطمثُ الافتضاضُ، وهو النكاح

---

(١) الإستبرق: الديباج الصفيق الغليظ الحسن، وقد تكرر ذكره في الحديث، وهو ما غلظ من الحرير والإبريسم، وهو لفظ أعجمي معرَّب، أصله بالفارسية (استقره)، وكذلك الديباج. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٧/١، ولسان العرب: ٥/١٠.

(٢) السندس: ما رقّ من الديباج ورفع، وهو ضد الإستبرق ــ وقد سبق ــ.، وكذلك هو لفظ معرَّب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٠٩/٢، ولسان العرب: ١٠٧/٦.

(٣) لم أهتدِ إلى هذه الرواية. وحديث الدنو أخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة: ﴿ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾ قال: ثمارها دانية، لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك. قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: ((والذي نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة فتصل إلى فيه حتى يبدل الله مكانها خيراً منها)). انظر: الدر المنثور: ٦/٢٠٤.

بالتدمية[١]. والمعنى: لم تُفضَّ بكارتهن. قال مقاتل: لأنهن خُلِقن في الجنة، فعلى قوله: هن من حور الجنة. وقال الشعبي: هن نساء الدنيا، لم يُمسسن منذ نشأن. وفي هذه الآية دليل على أن الجنيَّ يغشى ما يغشى الإنسيُّ. وسُئِل طلق[٢] بن حبيب: هل/ تدخل الجِنَّةُ الجَنَّةَ؟ فقال: نعم، ثم تلا هذه الآية[٣].

٢١٤/ب

وقوله: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ قال: هن في صفاء الياقوت، وبياض المرجان. والمرجان اللؤلؤ الصغار، قاله أهل اللغة، وهو أشدُّ بياضاً من كبار اللؤلؤ. وقال أهل اللغة أيضاً: الياقوت فارسي فعرِّب، والجمع اليواقيت.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة [ﷺ] أن رسول الله ﷺ قال: ((أول زمرة تلج الجنة صورتهم صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخَّطون، ولا يتغوَّطون. أمشاطهم من الذهب، ومجامرهم الأُلُوَّة، ورشحهم المسك، لكل واحد منهم زوجتان، يُرى مخُّ سُوقها من وراء اللحم من الحسن))[٤].

---

(١) قال الفراء: (لم يطمثهن): لم يفتضضهن. (قال: وطئها أي: نكحها، وذلك لحال الدم). انظر: معاني القرآن: ١١٩/٣.

(٢) طلق بن حبيب العنَزي البصري، وكان من العبَّاد الثقات صدوقاً في الحديث، يرى الإرجاء. روى له البخاري في الأدب. قال مالك: وإنه وسعيد بن جبير وقرَّاء كانوا معهم، طلبهم الحجاج، فدخلوا فيها، فقتلهم الحجاج، وذلك بين التسعين والمئة. انظر: تهذيب الكمال: ١٣:٤٥١، رقم الترجمة: ٢٩٨٨.

(٣) اختلف العلماء في: **مؤمني الجنة هل يدخلون الجنة؟** على **أربعة** أقوال؛ **أحدها:** أنهم يدخلون الجنة، وعليه جمهور العلماء، وحكاه ابن حزم في الملل عن ابن أبي ليلى وأبي يوسف. **والثاني:** أنهم لا يدخلونها، بل يكونون في ربضها، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم، وهو مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد وابن تيمية، وهو خلاف ما حكاه ابن حزم عن أبي يوسف. **والثالث:** أنهم على الأعراف، وفيه حديث مسند. **والرابع:** الوقف. انظر: آكام المرجان في أحكام الجان: ص: ٥٧ــ٥٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوَّة، ورشحُهمُ المسك. ولكل واحد منهم زوجتان. يُرى مُخُّ سُوقِهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً)). انظر: صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٤/٤٢٥، رقم الحديث: ٣٢٤٥. الألوَّة: قال الأصمعي: أراها فارسية عرِّبَت، العود الهندي الذي يتبخر منه، أو المراد عود مجامرهم الألوَّة. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً: ٤/ ٢١٨٠، رقم الحديث: ٢٨٣٤. ولفظ مسلم: (صورهم على صورة القمر)، (فيها آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الألوَّة..).

ومن حديث أبي سعيد نحوه، وقال فيه: ((على كل زوجة سبعون حلة يُرى مخُّ ساقها من وراء لحمها ودمها وحللها))[1].

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ رُوِي عن أنس بن مالك [ﷺ] قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، وقال: ((هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن ربكم يقول: هل جزاء مَن أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة؟)).

وقوله: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ أي: لمن خاف مقام ربه جنتان، ودونهما جنتان في الفضل/ والدرجات، يشهد لهذا ما روى أبو موسى [ﷺ] عن النبي ﷺ أنه قال: ((جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما))[2]. أ/٢١٥

وقوله تعالى: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ قال ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم: خضراوان من الرِّيِّ، تضرب خضرتهما إلى سواد. يُقال: ادهامَّ الزرع فهو مدهامّ[3].

وقوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ يعني: فيهما أنواع الفاكهة.

---

(١) أخرجه أحمد بلفظ: ((إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على مثل صورة القمر ليلة البدر، والزمر الثانية على لون أحسن من كوكب دري في السماء، لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، يُرَى مخ ساقها من وراء لحومها ودمها وحللها)). انظر: مسند أحمد: ٥٦/١٠، رقم الحديث: ١١٠٦٨، وإسناده حسن.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن)). انظر: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ومن دونهما جنتان: ٣٦١/٦، رقم الحديث: ٤٨٧٨، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذٍ ناضرة: ٥٤٥/٨، رقم الحديث رقم: ٧٤٤٤. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة: ١٦٣/١، رقم الحديث: ٢٩٦. بلفظ: ((رداء الكبرياء)).

(٣) ادهامَّ الزرع: علاه السواد رِيّاً. وكل نبت أخضر فتمام خصبه وريِّه أن يضرب إلى السواد. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٠٣/٥، ولسان العرب: ٢٠٩/١٢.

قال الأزهري: تذكر أشياء جملة واحدة ثم تختصر شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه.

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[البقرة: ٩٨]. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: نخل الجنة جذوعها زمرُّد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة أهل الجنة، منها مقطَّعاتهم وحِللهم.

وقوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ أي: في الجنان الأربع. قرأ عاصم: (خيِّرات) بتشديد الياء. وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((خيِّرات الأخلاق حِسان الوجوه))(١).

وقوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: قُصِرْن على أزواجهن، فلا يُرِدن غيرهم. وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: الخيام درٌّ مجوَّف. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: الخيمة الواحدة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى/ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة، طولها في السماء ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون يطوفون عليهم، لا يَرى بعضهم بعضاً))(٢). ٢١٥/ب

---

(١) هذا جزء من حديث ذكره السيوطي في الدر المنثور وقال: أخرجه ابن جرير والطبري وابن مردويه عن أم مسلمة قالت: قلت: ((يا رسول الله أخبرني عن قول الله حور عين قال: حور بيض عِين، ضخام العيون، شفر الحوّراء، بمنزلة جناح النسر))، وفي لفظ لابن مردويه: ((شُفر الجفون، بمنزلة جناح النسر. قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﴿ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ قال: صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي. قلت: فأخبرني عن قول الله ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال: رقتهن كرقة الجلدة التي في داخل البيضة مما يلي القشر. قلت: يا رسول الله فأخبرني عن قول الله ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ قال: صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي. قلت: يا رسول الله فأخبرني عن قول الله ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ قال: خيرات الأخلاق حسان الوجوه...)). الحديث. وشُفر العين بالضم ما ينبت عليه الشعر. انظر: الدر المنثور: ٢١١/٦.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه أن النبي ﷺ قال: ((الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً في كل زواية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون)). قال أبو عبد الله الصمد والحارث بن عبيد عن أبي عمران: (ستون ميلاً). انظر: صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث: ٣٢٤٣، ٤٢٤/٤. وفي رواية: ((إن الجنة

وعن أنس بن مالك [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: ((مررت ليلة أسري بي بنهر حافَّتاه قباب المرجان، فنوديت منه: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال: جواري من الحور العين، استأذنَّ ربَّهنَّ أن يسلِّمنَ عليك، فأذن لهنَّ، فقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأسُ، أزواج رجال كرام. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ قال: محبوسات(١).

وقوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ قرأ عاصم: (على رفارف)، و(عباقريَّ) بالجمع، وعدم الصرف مع كسر القاف(٢). وسوَّغ الجمع مع الصرف في (عباقِري) الزمخشري، وقال: هي نسبة إلى عباقِر، كالنسبة إلى مدائن ومدائني. وأما ترك الصرف فسوَّغه بعضهم، وقال الزمخشري: لا وجه لصحته(٣). وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: الرفرف رياض الجنة. وقال الحسن: هي الوسائد.

﴿ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ قال مجاهد: هو الديباج الغليظ. وقال ابن قتيبة: العبقري الطنافس/ الثخان. وقال أبو عبيدة: يُقال لكل شيءٍ من البُسط عبقري.

أ/٢١٦

خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زواية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون..الحديث)). انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ رقم الحديث: ٤٨٧٩، ٣٦٧/٦. وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: ((إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً. للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة خيام الجنة: ٢١٨٢/٤، رقم الحديث: ٢٨٣٨/٢٣.

(١) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((لما أسري بي دخلت الجنة، فأتيت على نهر يسمى البيذخ، عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، فنوديت: السلام عليك يارسول الله، قلت يا جبريل: ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام، استأذنَّ ربَّهنَّ في السلام عليك فأذن لهنَّ، فطفقن يقلن: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات وفي لفظ: الخالدات فلا نطعن أبداً، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾)). انظر: الدر المنثور: ٢١٢/٦.

(٢) وهي قراءة النبي ﷺ وعثمان ونصر بن علي والجحدري وأبي الجلد ومالك بن دينار وأبي طعمة وابن أبي محصن وزهير الفُرقُبي. كذلك رويت عن قطرب أيضاً. انظر: المحتسب: ٣٠٦/٢.

(٣) انظر: الكشاف: ٤٥٤/٤.

وقال الزَّجَّاج: أصل العبقري في اللغة أنه وصف لكل ما بولغ في وصفه. وأصله أن (عبقر) بلد كان تؤتى منه البُسُط وغيرها، فنسب كل شيءٍ جيِّدٍ إليه(١).

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى: يُقال لكل جليل نفيس فاضل فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقري(٢). ومنه الحديث في عمر بن الخطاب [رضي الله عنه]: ((فلم أرَ عبقريًّاً يفري فَرْيَهُ))(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٠٥/٥.

(٢) لم أقف على هذا المعنى في كتاب العين: ٢٩٨/٢، للخليل بن أحمد. و(عبقري) في معناها العام تحمل هذا المعنى الذي ذهب إليه. إذ أصل العبقري صفة لكل ما بولغ في وصفه، وعبقري القوم سيدهم، كما هو الفاخر من الحيوان والجوهر. انظر: لسان العرب: ٥٣٥/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((أريت في المنام أني أنزع بدلوِ بكرةٍ على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذَنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرْباً، فلم أرَ عبقرياً يفري فريَّه حتى رَوِيَ الناسُ وضربوا بعَطن)). قال ابن جبير: العبقري عِتاقُ الزرابي، وقال يحيى: الزرابي الطنافس لها حملٌ رقيق. مبثوثة كثيرة. انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب: ٥٦٥/٤، رقم الحديث: ٣٦٨٢. وفي رواية: ((فلم أر عبقرياً من الناس يفري فَرْيَه، فنزع حتى ضرب الناسُ بعطن)). قال وهب: العطَن مبرك الإبل، يقول: حتى رويت الإبل فأناخت: ٥٦٤/٤، رقم الحديث: ٣٦٧٦. وأخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((أريت كأني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين، فنزع نزعاً ضعيفاً، والله تبارك وتعالى يغفر له، ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غرباً، فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه، حتى روي الناس وضربوا العطن)). انظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه: ١٨٦٢/٤، رقم الحديث: ٢٣٩٣/١٩. وفي رواية أن أبا هريرة رضي الله عنه: يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه والله يغفر له ضعف، ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب، فلم أرَ عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن)). انظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه: ١٨٦٢/٤، رقم الحديث: ٢٣٩٢/١٩. ودلو بكرة: الدلو التي يستقي بها، والبكرة الشابة من الإبل، وبتحريك الكاف هي الخشبة المستديرة التي يعلق فيها الدلو. وعتاق الزرابي حسانها: وهي الطنافس أي: البساط والخمل الأهداف، والمبثوثة: الكثيرة. فلم أر عبقرياً من الناس يفري فرية حتى روى الناس وضربوا العطن. ويفري فرية روى فرية بوجهين: أحدهما: فَرْيَةُ، والثاني: فَرِيَّةُ وهما لغتان صحيحتان. وأنكر الخليل التشديد وقال: هو غلط. واتفقوا على أن معناه: لم أرَ سيداً يعمل عمله ويقطع قطعه. وأصل الفَرْي: القطع. يقال: فريت الشيء أفريه. قطعته للإصلاح فهو مفريّ، وفري، وأفريته إذا شققته على جهة الافساد. وتقول العرب: تركته يفري الفَريَّ إذا عمل العمل فأجاده. ومنه حديث حسان. لأفرينهم فري الأديم. أي: أقطعهم بالهجاء كما يقطع الأديم.

وقوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ﴾ قيل: ﴿ ٱسْمُ ﴾ صلة. ﴿ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ قرأ ابن عامر: (ذو الجلال والإكرام)، وهو في مصاحف أهل الشام كثير، جعله صفة لاسم، وقرأ الباقون بالياء[1]، صفة للربِّ عزَّ وجلَّ.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في هذه السورة؟ قلنا: قرْع الأسماع بعظيم نعم الله وقدرته، تنبيهاً للخلق، وطرداً لغفلتهم، وحثّاً لهم على الشكر، وتوكيداً لإقامة الحجة عليهم، على أنه أسلوب مسلوك للعرب. قال الشاعر:

فلا تملَّنَّ من زيارته زُره وزُره وزُر وزُر وزُري[2]

وقد خرَّج الترمذي والحاكم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله، قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ/ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: ((ما لي أراكم سكوتاً؟ الجنُّ كانوا أحسن منكم ردّاً. ما قرأت هذه الآية من مرَّة إلا قالوا: ولا بشيءٍ من نِعَمِك ربَّنا نكذِّب، فلك الحمد))[3]. ٢١٦/ب

وفي الترمذي: ((لقد قرأتها على الجنِّ ليلة الجنِّ))[4]. والله أعلم.

---

(١) انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٢١، والكشف: ٣٠٣/٢، والنشر: ٢٨٦/٢.

(٢) لم أهتدِ إلى توثيقٍ وتخريجٍ له فيما اطلعت عليه.

(٣) لفظ الحاكم: (للجن كانوا..). انظر: المستدرك: ٥١٥/٢. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) عن جابر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: ((لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم. كنت كلما أتيت على قوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد)). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد. قال ابن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق، كأنه رجل آخر قلبوا اسمه، يعني لما يروون عنه من المناكير. وسمعت محمد بن إسمعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن: باب من سورة الرحمن: ٣٧٢/٥، رقم الحديث: ٣٢١٣.

سورة الواقعة

مكيَّة في قول الأكثرين ممَّن يُعتدُّ بقوله من المفسرين(١).

وقيل: فيها آيات مدنيَّة(٢)، أو مما نزل في السفر، وهو غير ثابت.

وقد رُوِي عن النبي ﷺ: ((مَن داوم قراءة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً))(٣).

ورُوِي أن عثمان ﷺ دعا ابن مسعود [ﷺ] إلى عطائه، فأبى أن يأخذ، فقال: خُذ للعيال، فقال: إنهم يقرؤون سورة الواقعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَن قرأها لم يفتقر أبداً)).

قال ابن عطية: وذلك أن فيها ذكر القيامة، وحظوظ النفس في الآخرة. وفهْمُ ذلك غنى لا فقر معه، ومَن فهمه شُغِل بالاستعداد به(٤).

والواقعة اسم من أسماء القيامة(٥)، وفيها ذكر الصابرين السابقين المقربين في جنات النعيم.

---

(١) هي ست وتسعون آية في عدِّ الكوفي. وسبع وتسعون آية في عدِّ البصري، وتسع وتسعون آية في عدِّ الباقين؛ الحجاز والشام. انظر: البيان: ص: ٢٣٩، وبصائر ذوي التمييز: ١/٤٥٠.

(٢) أما المدني فآية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ قاله ابن عباس وقتادة. وأما الذي نزل في السفر فأربع آيات: آيتان نزلتا في السفر إلى مكة وهما: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ وأيتان نزلتا في السفر إلى المدينة، هما قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ قاله الكلبي. انظر: المحرر الوجيز: ١٤/٢٢٦.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائله وابن الضريس والحارث بن أبي أسامة وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان. وذكر ابن عبد البر في التمهيد والتعليق والثعلبي أيضاً أن عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه حبسته عني في حياتي وتدفعه لي عند مماتي، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي؟ إني أمرتهن أن يقرأن من سورة الواقعة كل ليلة. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً)). انظر: المحرر الوجيز: ١٤/٢٢٧.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ١٤/٢٢٧.

(٥) قاله ابن عباس. انظر: المحرر الوجيز: ١٤/٢٢٨.

٢١٧/أ

/ قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ﴾

قوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ ابتداء، و﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ الثاني نعت للأول. ومذهب سيبويه: أنه خبر الابتداء، كما تقول: أنت أنت، على معنى تفخيم أمر وتعظيمه. والمعنى: السابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنة.

وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ ابتداء وخبر. والمعنى: ﴿ ٱلْمُقَرَّبُون ﴾ من الله.

٢١٧/ب

﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾. قال بعض العلماء بالتفسير: هذه الآية تتضمَّن/ أن العالم يوم القيامة على ثلاثة أصناف؛ مؤمنون، وهم على يمين العرش، وهنالك هي الجنة. وكافرون، وهم على شؤم العرش، وهنالك هي النار. وقد قيل: أن أصحاب الميمنة من أخذ كتابه بيمينه، وأصحاب المشأمة من أخذ كتابه بشماله، وقيل: أصحاب اليمين أطفال المؤمنين، قاله عليٌّ كرَّم الله وجهه[1].

وقيل: المراد ميمنة آدم ومشأمته المذكورتان في حديث الإسراء، في الأسورة[2] كما بينتُ ذلك في: (الفتوح المكية في بيان الإسراء بخير البرية).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١٤/٢٣٤.

(٢) أخرج مسلم في صحيه من حديث الاسراء: ((فلما علونا السماء الدنيا، فإذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة. قال: فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله بكى. قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. قال: قلت: يا جبريل! مَن هذا؟ قال: هذا آدم ﷺ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نَسَم بنيه. فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار. فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله

ومعنى السابقين: أي سبقت لهم السعادة، وقيل: هم السابقون إلى المساجد(١)، وقيل: هم الذين صلُّوا إلى القبلتين(٢)، وقيل: هم أهل القرآن(٣).

وسُئِل النبي ﷺ عن السابقين، فقال: ((هم الذين إذا أُعطوا الحق قبِلُوه، وإذا سُئِلُوه بذلوه، وحكموا للناس بحكمهم لأنفسهم))(٤). والثلَّةُ: الجماعة والفرقة قليلةً كانت أو كثيرةً.

فإن قلتَ: هذا اللفظ يعطى أن الجملة من الأولين أكثر من الجملة من الآخرين، وهي التي عبَّر عنها بالقليل، قلتُ: المراد بذلك الأنبياء، لأنهم كانوا في صدر الدنيا أكثر عدداً(٥). وقيل: المراد السابقون السابقون من الأمم، والسابقون/ من هذه الأمة، فأولئك أكثر(٦). أ/٢١٨

ورُوِيَ أن الصحابة حزنوا لقلة ما بقي من هذه الأمة على هذا التأويل، فنزلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٠ ﴾ فرضوا(٧).

بكى)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلاة: ١/ ١٤٨، رقم الحديث: ١٦٣/٢٦٣.

(١) قاله عثمان بن أبي سودة المقدسي وهو ثقة من الطبقة الثالثة. انظر: تقريب التهذيب: ص: ٣٨٤، رقم الترجمة: ٤٤٧٧، المحرر الوجيز: ٢٣٤/١٤.

(٢) قاله ابن سيرين. انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٤/١٤.

(٣) قاله كعب. انظر: زاد المسير: ٣٢٤/٧.

(٤) ذكره المهدوي. وأخرجه أحمد في مسنده. عن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ أنه قال: ((أتدرون من السابقون إلى ظل الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة؟ قالوا: الله عزَّ وجلَّ ورسوله أعلم. قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوا بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم)). إسناده حسن. انظر: مسند أحمد: ٣١٩/١٧، رقم الحديث: ٢٤٢٧٩.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٦/١٤، نقلاً عن مكي بن أبي طالب القيسي.

(٦) قاله الحسن. انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٦/١٤.

(٧) أخرج الترمذي بسنده عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ قال: ((أنزلت عليه هذه الآية وهو في سفر، فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار. فقال: يا رب وما بعث النار؟ قال: تسع مئة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. قال: فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسددوا، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين. وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبَّروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث

ورُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها: أنها تأوَّلت الفرقتين في أمة كل نبي، هي في الصدر ثُلَّةٌ، وفي آخر الأمة قليل.

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: ((الفرقتان في أمتي؛ فسابقُ أول الأمة ثلَّةٌ، وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل))[1]. والله أعلم.

قرأ الجمهور: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ ﴾ بالضم، وقرأ أبو السمال: (على سَرَرٍ) بفتح الراء. والموضونة المنسوجة بتركيب بعض أجزائها إلى بعض، كحلق الدرع. ومنه قول الأعشى:

ومِن نَسْجِ داودَ موضُونَةً تسير مع الحيِّ عِيْراً فعِيرا[2]

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هذه السرر الموضونة هي موصولة بالذهب[3].

وقال عكرمة: هي مشبكة بالدر والياقوت. و﴿ مُتَّكِئِينَ ﴾ و﴿ مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ حالان. والولدان صغار الخدم.

أهل الجنة، فكبَّروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبَّروا. قال: لا أدري قال الثلثين أم لا؟)). قال: هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ . انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج: ٣٠٢/٥، رقم الحديث: ٣١٦٨. وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ ﴾ ذكر فيها ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝ ﴾ . قال عمر: يا رسول الله: ثلة من الأولين وثلة من الآخرين. فقال رسول الله ﷺ: ((يا عمر تعال فاستمع ما قد أنزل الله ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝ ﴾ ألا وإن من آدم إلي ثلة، وأمتي ثلة. ولن نستكمل ثلتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)). وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن عروة بن رويم مرسلاً. ورواه الحافظ ابن عساكر عن جابر. انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٦/١٤.

(١) رواه سفيان عن أبان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ بلفظ: (الثلثان جميعاً من أمتي). انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٧/١٤.

(٢) هكذا ورد البيت في الأصل. وهو في ديوان الأعشى بلفظ:

ومِنْ نَسْجِ داود موضونةً تُسَاق مع الحيِّ عيراً فعيرا

والأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل، قال هذه القصيدة يمدح بها هَوْذَة بن علي الحنفي. واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن: ٢٤٨/٢. انظر: ديوان الأعشى الكبير: ص: ١٩٠، والمحرر الوجيز: ٢٣٧/١٤.

(٣) هكذا في الأصل. وفي تفسير ابن عطية مرمولة بالذهب ولعله الأقرب للصواب. ومعنى مرمولة: مزينة بالذهب. يقال: رمل السرير بمعنى زينه بالجواهر ونحوه. انظر: لسان العرب: ٢٩٤/١١.

فإن قلتَ قال: ﴿ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ ومعلوم أن جميع ما في الجنة مخلَّد، قلتُ: أشار إلى أنهم في حال الولدان مخلَّدون، ولا يكبر لهم سن ولا يموتون(١).

والأكواب ما كان من أواني الشرب لا أذنَ له ولا خرطوم، والإبريق ما له خرطوم. والكأس/ الآنية المعدَّة للشرب، بشرط أن يكون فيها خمر. ولا يُقال ذلك لآنية فيها ماء أو لبن. ٢١٨/ب

وقوله: ﴿ مِن مَّعِينٍ ﴾ أي من خمرة سائلة جارية، قاله ابن عباس [رضي الله عنهما] (٢). ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾ أي: لا يلحق رؤوسَهم الصداعُ الذي يحصل من خمر الدنيا، قاله أكثر المفسرين. وقوله: ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ أي: لا تذهب عقولهم بسكرهم(٣). والنزيف السكران، ومنه قول الشاعر:

فلثمتُ فاهَا آخِذاً بِقُرونِهَا شُرْبَ النزيفِ لبردِ ماءِ الحشرجِ(٤)

الحشرج: الرمل يُحفر ويُخرج ماؤه. ومنه قول الأبيرد:

لعمري لئن أنزفتموا أو صحوتموا لبئس الندامى أنتمُ آل أبجرا(٥)

---

(١) قاله مجاهد. انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٨/١٤.

(٢) قاله ابن عباس. انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٩/١٤.

(٣) قاله مجاهد وقتادة وابن جبير والضحاك. انظر: المحرر الوجيز: ٢٤٠/١٤.

(٤) الشاعر عمر بن أبي ربيعة والبيت مع بيتين قبله كما في اللسان وديوان ابن أبي ربيعة ص: ٨٣.

قالت: وعيشُ أبي، وحرمةُ إخوتي لأُنَبِّهَنْ الحيَّ إنْ لمْ تَخْرُجِ
فَخَرَجْتُ خوفَ يَمِيْنِهَا فَتَبَسَّمَتْ فعلمتُ أنَّ يَمينَهَا لم تُخْرجِ
فلَثَمْتُ فاهَا آخِذاً بِقُرونِهَا شُربَ النزيفِ ببَرْدِ ماءِ الحشرجِ

والقرون: ضفائر الشعر. النزيف: السكران أو الذي جف ريقه من العطش أو المحموم الذي جف ريقه الحشرج: الماء الذي يجري على الحصى صافياً. أو كوز صغير يشرب منه. أو النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو للشراب. انظر: المحرر الوجيز: ٢٤١/١٤.

(٥) أبجر: هو أبجر بن جابر العجلي وكان نصرانياً. والبيت كما في الصحاح: ١٤٣١/٤، ولسان العرب: ٩/ ٣٢٧، وتاج العروس: ٣٩٧/٢٤، وبعده يقول الأبيرد:

شربتمْ ومدَّرتمْ وكان أبوكمُ كذاكم إذا ما يشرب الكأس مدّراً

ونص الصحاح ولسان العرب وتاج العروس: (كنتم) بدلاً من (أنتم). والشاهد: أن أترف بمعنى سكر بدليل مقابلتها بقوله: صحا. يقول: سواء سكرتم أو لم تسكروا فأنتم بئس الندامى يا آل أبجرا. ولم أقف عليه في ديوان الأبيوردي لأبي المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق.

وقرأ بكسر الزاي الجحدري[١]، وعطف الفاكهة على الكأس والأباريق. ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾. رُوِيَ فيه أن العبد يرى الطائر يطير فيشتهيه، فينزل له كما اشتهاه، وربَّما أكل منه ألواناً، بحسب تصرف شهوته[٢]. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية المفضل عنه: (حورِ عينٍ) بالخفض، وقرأ بقية السبعة: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ بالرفع[٣]، وقرأ ابن مسعود وأبيٌّ بن كعب [رضي الله عنهما] بالنصب: (وحوراً عيناً)[٤]، فوجه قراءة الخفض: يتنعمون بهذا كله، وبحورِ عينٍ. ووجه النصب: يعطون هذا كلَّه، وحوراً عيناً. ووجه الرفع: لهم هذا/ كلُّه وحورٌ عينٌ. ٢١٩/أ

وخصَّ المكنون من اللؤلؤ لأنه أصفى.

وسألت أم سلمة [رضي الله عنها] رسول الله ﷺ عن هذه التسمية، فقال: ((صفاؤهن كصفاء دُرِّ الأصداف الذي لا تمسه الأيدي))[٥] ﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، أي هذه الرتب لهم بحسب أعمالهم[٦].

قال ابن الجوزي: يكون المقصِّر في نقصانٍ درجةٍ عن غيره مخلَّداً في النقصان.

وقوله: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ اللغو: سقْط الكلام من الفحش وغيره[٧]، والتأثيم: مصدر بمعنى لا يأثم أحدٌ هناك، لأنها ليست بدار تكليف. ﴿ إِلَّا قِيلًا ﴾ استثناء متصل. وقال قوم: هو منقطع.

---

(١) هي قراءة ابن أبي اسحاق بفتح الياء وكسر الزاي. قال أبو الفتح: يقال: أنزف عبرته إذا أفنى دمعه بالبكاء. ونزف البئر ينزفها نزفاً إذا استقى ماءها. وأنزفتُ الشيءَ إذا أفنيته. انظر: المحتسب: ٣٠٨/٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٢٤٢/١٤.

(٣) وقرأ بالخفض أيضاً أبو جعفر. انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٢٢، والكشف: ٣٠٤/٢، والنشر: ٢٨٦/٢.

(٤) انظر: المحتسب: ٣٠٩/٢.

(٥) هذا تفسير للؤلؤ المكنون وهو الذي لم تمسُّه الأيدي، ولم تقع عليه الغبار، فهو أشد ما يكون صفاءً وتلألؤاً. انظر: تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٧.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٢٤٣/١٤.

(٧) انظر: لسان العرب: ٢٥٠/١٥.

و﴿ سَلَـٰمًا ﴾ نعت لِقِيلَ، كأنه قال: إلا قيلاً سلاماً من هذه العيوب وغيرها(١).

وقال أبو إسحاق الزَّجَّاج:﴿ سَلَـٰمًا ﴾ مصدر، وناصبه: ﴿ قِيلًا ﴾، كأنه يذكر أنهم يقول بعضهم لبعض ﴿ سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴾. وقيل: ﴿ سَلَـٰمًا ﴾ منتصب بفعل مضمر تقديره: سلِّموا سلاماً(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ هم أصحاب الميمنة. ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ أي: خُضِد شوكه، قُطِع. ومنه الحديث في المدينة: ((لا يُخضد شوكها))(٣). وقال مجاهد والضحَّاك: ﴿ مَّخْضُود ﴾ موقَر تنثني أغصانه لكثرة حمله، من قولهم: خُضِد الغصنُ إذا انثنى وهو رطب(٤).

وقوله:/ ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ قال عليٌّ وابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأكثر المفسرين: الطلح شجر الموز(٥). وقيل: الطلح شجر أم غيلان، جُعل في الجنة، لطيب ريحه، وامتداد ظلِّه، مع أن شجر الجنة لا يُشبه شجر الدنيا. والمنضود المتراكم الذي نُضِّد بالحمل من أوله إلى آخره(٦). قال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمرٌ كلُّه. ٢١٩/ب

وقوله: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ أي: دائم لا تنسخه الشمس.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١٤/٢٤٤.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥/١١٢.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ((لكل نبي حرم وحرمي المدينة. اللهم إني أحرمها بحرمك أن لا يؤوى فيها محدث، ولا يختلى خلاها، ولا يعضد شوكها، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمنشد)). انظر: مسند أحمد: ٥/٩٠، رقم الحديث: ٢٩٢٠. والحديث حسن لغيره دون قوله: ((لكل نبي حرم)). وهذا إسناد ضعيف، وحسَّن الهيثمي إسناده في مجمع.الزوائد: ٣/٣٠١.

(٤) رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد والضحاك. انظر: زاد المسير: ٧/٣٢٨.

(٥) وقاله أيضاً: عطاء وعكرمة ومجاهد وقتادة. انظر: زاد المسير: ٧/٣٢٩.

(٦) انظر: لسان العرب: ٣/٤٢٤.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة [ﷺ]، يبلغُ به النبي ﷺ قال: ((إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلِّها مئة عامٍ لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾))[1].

وقوله: ﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ أي: دائم الجرية لا ينقطع.

وقوله: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أي: لا مقطوعة في بعض الأحايين كثمار الدنيا، ولا ممنوعة من تناولها بوجه من الوجوه.

وقوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قيل: المراد بالفرش النساء، رُفِعن بالجمال على نساء الدنيا، أو مرفوعة على السرر[2].

والأكثرون على أن المراد بالفرش المعروفة.

وفي الترمذي من حديث أبي سعيد [ﷺ] أن رسول الله ﷺ قال: ((ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة ما بينهما خمسمئة/ عام))[3]. أ/٢٢٠

وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ قال ابن عباس [ﷺ]: يريد النساء الآدميات، أنشأناهنَّ إنشاءً جديداً من غير أن تشتمل عليهن أصلاب الفحول، وأرحام الطوامث.

وقوله: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ أي: عذارى. قال ابن عباس [ﷺ]: لا يأتيها زوجها إلا وجدها بكراً عُرُبَاً[4]. قرأ حمزة: (عُرْبَاً) بإسكان الراء[5]، والجمع عَرُوبٌ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ : ٣٦٣/٦، رقم الحديث: ٤٨٨١. ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها: ٢١٧٥/٤، رقم الحديث: ٢٨٢٦/٦. بدون زيادة ((واقرؤوا إذا شئتم)).

(٢) والعرب تسمي المرأة فراشاً وإزاراً ولباساً. انظر: زاد المسير: ٣٣٠/٧، والمحرر الوجيز: ٢٤٧/١٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة: ٣٧٤/٥، رقم الحديث: ٣٢٩٤. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

(٤) انظر: زاد المسير: ٣٣٠/٧.

(٥) قرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي (عُرُباً) بالضم للراء. وقرأ حمزة وأبو بكر (عُرْباً) بسكون الراء. وعن عاصم ونافع وأبي عمرو وأبو بكر (عُرْباً). وروى حفص عن عاصم (عُرُبَاً). قرأ حمزة وخلف وأبو

قال الشاعر[١]:

وفي الحُدُوج[٢] عروبٌ غير فاحشة رَيَّا الروادف يغشى دونها البصرُ

وهي المتحببة إلى زوجها[٣]، الحسنة التبعُّل[٤]. وقيل: هنَّ الغنجات العواشق لأزواجهن[٥]. لأن عشقهنَّ لهم يزيدهم ميلاً إليهنَّ.

واللام في قوله: ﴿ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴾ تقديره: إنا خلقناهنَّ خلقاً جديداً، بعد أن كنَّ عجائز عُمشاً[٦]، ثم صِرْنَ في القبور تراباً، ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابًا ۝٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨ ﴾.

بكر عن عاصم (عُرْباً). والضم هو الأصل، لأنه جمع عَرُوب وهي الحسنة، وقيل: المتحببة إلى زوجها. وقيل: الغنجة. انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٢٢، والكشف: ٣٠٤/٢ــ٣٠٥، والنشر: ٢٨٦/٢.

(١) الشاعر هو لبيد. انظر: ديوان لبيد: ص: ٦١.

(٢) الحدوج جمع حِدج وهو مركب للنساء كالهودج يوضع على ظهر الإبل. ويروى (وفي الخدور)، ويروى (وفي الخباء)، كما يروى (وفي الحروج) جمع الحرج، وهو الهودج. والعروب: المرأة التي تحببت إلى زوجها بشكل وغُنْجٍ وحسن كلام. وهو موضع الشاهد. ريا الروادف ممتلئة العجيزة يعش: يكل ويضعف البصر من شدة الضوء. انظر: تفسير القرطبي: ٢١١/١٧، ولسان العرب: ٢٣٠/٢.

(٣) رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وابن قتيبة والزجاج. انظر: زاد المسير: ٣٣٠/٧.

(٤) رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال أبو عبيدة. انظر: زاد المسير: ٣٣٠/٧.

(٥) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة ومقاتل والمبرد وعكرمة. انظر: زاد المسير: ٣٣٠/٧ ــ ٣٣١.

(٦) أخرج الترمذي بسنده عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إن من المنشآت التي كن في الدنيا عجائز عُمْشاً رُمْصاً)). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة: ٣٧٥/٥، رقم الحديث: ٣٢٩٦. ومعنى العمش: ضعف بصر العين مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. والرمص: قذىً تلفظه العين. وقيل: وسخ أبيض يتجمع في موق العين، فإن سال فهو غمص. انظر: لسان العرب: ٣٢٠/٦، ٤٣/٧.

سورة الحديد

ثمانية وعشرون آية(١)، مكيَّة(٢).

وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ ((كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقُد، يقول:/ إن فيهن آيةً أفضلَ من ألف آية))(٣).

٢٢٠/ب

فأخبر الله بقوله: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ... ﴾ [الحديد: ١] أن أهل سماواته وأرضه من جنٍّ وإنس ناطق وصامت يسبحونه ويعظمونه.

---

(١) هي تسع وعشرون آية في عدِّ الكوفي والبصري، وثمان وعشرون آية في عدِّ الباقين. انظر: البيان: ص: ٢٤١، وبصائر ذوي التمييز: ٤٥٣/١.

(٢) قاله ابن السائب وهو أحد قولين. والثاني أنها مدنية. رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل. وقال النقاش وغيره هنا بإجماع من المفسرين. ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً لكن يشبه صدرها أن يكون مكياً. انظر: المحرر الوجيز: ٢٨٢/١٤، وزاد المسير: ٣٤٣/٧.

(٣) أخرج أحمد في المسند: ٢٨٥/١٣، رقم الحديث: ١٧٠٩٥، وإسناده صحيح، وأبو داود في سننه: كتاب الأدب: ٣١٣/٤، رقم الحديث: ٥٠٥٧، والترمذي في سننه: كتاب فضائل القرآن: ١٦٦/٥، رقم الحديث: ٢٩٢١، وقال: حديث حسن غريب. والنسائي وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال: ((إن فيهن آية أفضل من ألف آية)). ولكن في اسناده بقية بن الوليد وفيه مقال معروف. وقد أخرجه النسائي عن خالد بن معدان ولم يذكر العرباض بن سارية فهو حديث مرسل. وأخرجه ابن الضريس عن يحيى ابن أبي كثير. وقد قال ابن كثير في تفسيره. والآية المشار إليها ــ والله أعلم ــ هي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ . وكان يحيى بن أبي كثير يقول: فنراها الآية التي في آخر سورة الحشر. انظر: المحرر الوجيز: ٢٨٢/١٤ ــ ٢٨٣.

سورة المجادلة

إحدى وعشرون[١]، وهي مدنيَّة.

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((الحمد لله الذي وَسِعَ سمْعُهُ الأصوات[٢]. لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ، وكلَّمته في جانب البيت، وما أسمعُ ما تقول، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[المجادلة: ١])).[٣]

و﴿ قَدْ ﴾ هنا للتوقع، لأن الرسولَ والمجادلةَ خولةَ توقَّعا أن يسمع الله مجادلتَهما وشكواهما، وينزل فيها ما عساه أن يكون راحةً لها.

واختلفوا في اسم أبي خولة؛

فقال عكرمة وقتادة: خولة بنت ثعلبة[٤]، وقيل: خولة بنت مالك ابن ثعلبة، وقيل: بنت خويلد.

قال الماوردي: وليس هذا بمختلفٍ، لأن أحدهما أبوها والآخر جدها[٥].

---

(١) هي إحدى وعشرون آية في عدّ المدني الأخير والمكي، واثنتان وعشرون في عدّ الباقين. واختلافها آية: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ لم يعدّها المدني الأخير والمكي، وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٤٢، وبصائر ذوي التمييز: ٤٥٦/١.

(٢) رواية البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: ((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾)): كتاب التوحيد، باب قول الله وكان الله سميعاً بصيراً: ٥٢٤/٨.

(٣) هذه الرواية أقرب الروايات إلى ما أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة قالت: ((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلِّمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ إلى آخر الآية)). انظر: مسند أحمد: ٢٥٧/١٧، رقم الحديث: ٢٤٠٧٧.

(٤) خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة. ويقال: خولة بنت حكيم. وذكرها أبو عمر بنت خليد بن دعلج عن قتادة. ويقال: بنت دليج ذكره ابن منده. ويقال: خويلة بنت خويلد. وقيل: بنت الصامت. وفي رواية إبراهيم خويلة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة. قالت: فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله عزَّ وجلَّ صدر سورة المجادلة. فذكرت الحديث. انظر: الإصابة: ٦١٨/٧، رقم الترجمة: ١١١١٢.

(٥) انظر: النكت والعيون: تفسير الماوردي: ٤٨٧/٥.

وقيل: خولة بنت حكيم[١]، وقيل: بنت دُليج، وقيل: جميلة امرأة أوس بن الصامت/ أخي عبادة بن الصامت. أ/٢٢١

والصحيح من هذا. أنها خولة بنت ثعلبة، وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليَّ كظهر أمي حَرُمَتْ عليه، وكان أولَّ من ظاهر[٢] في الإسلام أوسُ بن الصامت، ثم ندمَ، وقال لامرأته: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فسليه، فأتته ﷺ، فسألته عن ذلك، وقالت: يا رسول الله أوس بن الصامت أبو ولدي، وابن عمي، وأحبُّ الناس إليَّ، وقد ظاهر منِّي، وقد نسخ الله سنن الجاهلية، فقال: ما أراك إلا قد حَرُمْتِ عليه، فهتفتْ وشكتْ إلى الله، وجعلت تراجع رسول الله ﷺ وتقول: إن لي صبيةً صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، فبينا هي في ذلك أخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه عند نزول الوحي، فلما قُضي الوحيُ قال: ادعي لي زوجَك، فجاء فتلا عليه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ وبيَّن له حكم الظهارِ[٣]. وزوجها أوس ابن الصامت أخو عبادة بن الصامت. ورُوِيَ عن قتادة: أنها خولة بنت حكيم امرأةُ عبادة بن الصامت.

قال الحافظ ابن عبد البر: هذا وهْمٌ، وإنما هي خولة امرأة أوس بن الصامت على الاختلاف في اسم أبيها[٤]، والله أعلم.

---

(١) خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة. امرأة عثمان بن مطعون كنيتها أم شريك. وكانت صالحة فاضلة روت عن النبي ﷺ وهي من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ ، وكان عثمان بن مطعون مات عنها. انظر: الإصابة: ٦٢١/٧، رقم الترجمة: ١١١١٣.

(٢) **الظهار**: لغة: مأخوذ من الظهر، لآن صورته الأصلية أن يقول الرجل لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أمي. وفي الاصطلاح: هو تشبيه الرجل زوجته، أو جزءاً شائعاً منها، أو جزءاً يعبر به عنها بامرأة محرمة عليه تحريماً مؤبداً، أو بجزء منها يحرم عليه النظر إليه، كالظهر والبطن والفخذ. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٨٩/٢٩، نقلا عن: مغني المحتاج: ٣٥٣/٣، وفتح القدير على الهداية: ٢٢٥/٣، وحاشية الدسوقي: ٤٣٩/٢، وكشاف القناع: ٣٦٧/٥.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى: ٣٨٣/٧. من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) عن قتادة قال: خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدي فإذا امرأة بَرْزَةً على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام فقالت: هيها يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تروع الصبيان بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر. ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت. فقال الجارود: قد أكثرت على أمير المؤمنين أيتها المرأة. فقال: فعمر أحق والله أن يسمع لها. قال أبو عمر: هكذا في الخبر خولة بنت حكيم

سورة الحشرِ

٢٢١/ب

/ مكيَّة، وعدد آيها أربع وعشرون(١).

قال المفسرون: نزلت جميعها في بني النضير.

وكان ابن عباس [رضي الله عنهما] يسمِّيها سورة بني النضير(٢)، وذلك أن النبي ﷺ لمَّا قدم المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه، فقبل النبي ﷺ ذلك منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً، وظهر على المشركين، قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي نجد نعتَهُ في التوراة، لا تردُّ له راية، ثم قالوا: استأنُوا(٣) به حتى ننظر ما يكون من أمره في وقعة أخرى.

فلما كانت أُحد، وانهزم المسلمون، ارتابت بنو النضير، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين. فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة، وحالف قريشاً على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ. ونزل جبريل على النبي ﷺ، وأخبره بذلك، فأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف لنقضه العهد. فانتدب له أخوه من الرضاعة محمد(٤) بن مسلمة الأنصاري ﷺ، فقتله.

امرأة عبادة، وهو وهم يعني في اسم أبيها وزوجها. وخليد ضعيف سيء الحفظ. وإنما هي امرأة أوس بن الصامت على الاختلاف في اسم أبيها. انظر: الاستيعاب: ١٨٣١/٤، رقم الترجمة: ٣٣٢٠، والإصابة: ٧/ ٦٢٠، رقم الترجمة: ١١١١٢.

(١) هي أربع وعشرون آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٤٣، وبصائر ذوي التمييز: ٤٥٨/١.

(٢) انظر: نظم الدرر: ٤٠٢/١٩.

(٣) استأنوا به أي: لا تعجلوا. يقال: استأنيت بكم أي: انتظرت وتربَّصت. انظر: لسان العرب: ٤٩/١٤.

(٤) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري الحارثي أبو عبد الرحمن المدني، حليف بني عبد الأشهل. ولد قبل البعثة بـــ: ٢٢ سنة. وهو ممن سمِّي في الجاهلية محمداً. روى أحاديث عن الرسول الكريم. شهد بدراً وصحب النبي ﷺ هو وأولاده جعفر وعبد الله وسعد وعبد الرحمن وعمر. قال: أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً فقال: ((قاتل به المشركين ما قاتلوا، فإذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضاً فائت به أحداً فاضرب به حتى ينكسر، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة، أو منيَّة قاضية)) ففعل. أسلم على يدي مصعب بن عمير، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة. تخلَّف عن تبوك بإذن النبي ﷺ، وممن ذهب إلى قتل كعب بن الأشرف، وإلى ابن أبي حقيق، وقد اعتزل الفتنة يوم الجمل وصفين. ولاه عمر على صدقات جهينة، وكان عنده للمهمات المعضلة في البلاد. مات بالمدينة سنة ٤٦هـــ، وهو ابن ٧٧ سنة. وقيل قتله أهل الشام في داره. انظر: الإصابة: ٣٣/٦، رقم الترجمة: ٧٨١١.

أ/٢٢٢ وبعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة إليهم أن اخرجوا/ من بلدي فلا تُساكنوني، وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجَّلتكم عشراً، فمن رُؤِيَ بعد ذلك منكم ضربت عُنُقَه. فأخذوا في التجهيز، فدسَّ إليهم ابن أُبيّ المنافق يقول: لا تخرجوا، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم، وتمُدُّكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فاغتروا بقوله.

فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يقولون: إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك. فكبَّر رسول الله ﷺ، وكبَّر المسلمون لتكبيره، وقالوا: حاربت يهود.

ثم سار إليهم في أصحابه، فلما رأوه قاموا على حصونهم، معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخذلهم ابن أبيٍّ وحلفاؤهم من غطفان، وحاصرهم النبي ﷺ إحدى وعشرين ليلة، وقطع نخلهم، فضرعوا إلى الله تعالى، وإلى رسوله، في طلب الصلح فأبى عليهم، إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به. فقالوا: ذلك لك. فصالحهم على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلَّتْ إبِلُهم من أموالهم إلا الحلقة[1]، وهي السلاح.

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: صالحهم على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ما بقي. فخرجوا من المدينة إلى الشام، إلى أذرعات[2] وأريحا[3]،

---

(١) الحلْقَة: اسم لجملة السلاح والدروع وما أشبهها، وإنما ذلك لمكان الدروع، وغلَّبوه لشدة غَنائه. انظر: لسان العرب: ١٠/٦٤.

(٢) أذرعات: بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمان، وقد ذكرتها العرب في أشعارها، لأنها لم تزل من بلادها في الإسلام وقبله. وينسب إليها طائفة من أهل العلم، منهم: إسحاق بن إبراهيم الأذرعي، وأبو بكر الأذرعي، ومحمد بن زُعيزعة الأذرعي وغيرهم. انظر: معجم البلدان: ١/١٥٨.

(٣) أريحا: لغة عبرانية، وهي مدينة الجبارين، تقع في الغور من أرض الأردن بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك. سمِّيت فيما قبل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. انظر: معجم البلدان: ١/١٦٥.

ولحقت طائفةٌ/ منهم بالحيرة[١]، إلا أهل بيتين منهم؛ آل أبي الحُقيق، وآل حُيي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر. ٢٢٢/ب

فوجد النبي ﷺ خمسين درعاً، وخمسين بيضة[٢]، وثلاثمئة وأربعين سيفاً، فذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ... ﴾[الحشر: ٢] يعني: يهود بني النضير.

قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير مرجع رسول الله ﷺ من أُحد، وكان فتح قريظة مرجعه من الأحزاب، وبينهما سنتان. وقال ابن السائب: هم أول من نُفِيَ من أهل الكتاب، وهذا أول حشرهم، والحشر الثاني يوم القيامة إلى جهنم.

. قال ابن عباس وعكرمة: من شكَّ أن أرض المحشر الشام فليقرأ هذه الآية. وإن النبي ﷺ قال لهم: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر[٣].

وفي هذه السورة إشعار بأن الله تعالى أورث الأنصار والمؤمنين ديارهم وأموالهم بصبرهم، وصدقهم مع النبي ﷺ، وبإيثارهم على أنفسهم وقُوا الشحَّ، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ ﴾ قرأ ابن السميفع اليماني: (يوقَّ) بتشديد القاف. وأضيف الشحُّ إلى النفس لأنه غريزةٌ فيها.

قال المفسرون:/ هو أن لا يأخذ شيئاً مما نهاه الله عنه، ولا يمنع شيئاً أمره الله به[٤]. وإذا أردت أن تعلم فضيلة السخاء، وأنه جماع كل خير، ورذيلة الشحِّ، ٢٢٣/أ

---

(١) الحيرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له: النجف، زعموا أن بحر فارس يتصل به. وقد اشتهرت بحسن العمارة. وفي سبب تسميتها أقوال؛ منها أن تُبَّعاً لما أقبل بجيوشه ضلَّ دليله وتحيَّر فيها فسمِّيت الحيرة. انظر: معجم البلدان: ٣٧٦/٢.

(٢) البيضة: الخوذة وهي من حديد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٣/١.

(٣) أخرجه البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ ﴾. قال لهم رسول الله ﷺ: يومئذٍ اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر)). انظر: حاشية المحرر الوجيز: ٣١٦/١٤.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٤/٨.

وأنه جماع كل شرّ، فانظر قوله عليه الصلاة والسلام: ((وأي داءٍ أدوى من البخـــل))[١].

وتلمح هذه الآية كيف حكم بفلاح من وُقِيَ شحَّ نفسه، وجزم به وأكَّده، فقال: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠٠ ﴾[آل عمران]. فجاء بصيغة الترجي، ولم يأتِ بها ههنا نظراً إلى ما ذكرناه من المعنى.

وفي مسند الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ أن النبي ﷺ قال: ((لا يجتمع الإيمان والشحُّ في قلب عبد))[٢]، أو كما قال.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ يقول: قال لي رسول الله ﷺ: ((لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً)). فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ. فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى مَن كان له عند رسول اللهﷺ دَين أو عِدَةٌ فليأتني. قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أن النبي ﷺ قال: ((لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً))، قال: فأعطاني. قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني، ثم أتيته فلم يعطني، ثم أتيته الثالثة فلم يعطني، فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، فإما أن تعطني وإما أن تبخل عني. فقال: أقلت تبخل عني؟ وأي داء أدوأ من البخل؟ قالها ثلاثاً، ما منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك. وعن عمرو عن محمد بن علي سمعت جابر بن عبد الله ﷺ يقول: جئته فقال لي أبو بكر: عُدَّها، فعددتها فوجدتها خمسمئة فقال: خذ مثلها مرتين. انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قصة عمان والبحرين: ١٤٣/٥، رقم الحديث: ٤٣٨٣. وأخرجه أيضاً في: كتاب فرض الخمس، باب إذا بعث الإمام رسولاً في حاجة: ٣٨٧/٤، رقم الحديث: ٣١٣٧. وأحمد في المسند: ٤٠٨/١١، رقم الحديث: ١٤٢٣٥. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة: ((لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعاً، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعاً)): ٣٥٩/٨، رقم الحديث: ٨٥٧٧. والرواية: ((لا يجتمع الشح والإيمان في جوف رجل مسلم، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم)): ٩/ ٢٨٤، رقم الحديث: ٩٦٥٤. وإسناده حسن. ورواية: ((لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في وجه عبد)). ٣٣٥/٨، رقم الحديث: ٨٤٩٣. حديث صحيح. وأخرج النسائي في السنن الكبرى بروايات مختلفة أيضاً: ((لا يجتمع غبار في سبيل الله ولا دخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً)). انظر: السنن الكبرى للنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدميه: ١٠/٣، الروايات رقم: ٤٣١٨، ٤٣١٩، ٤٣٢٠، ٤٣٢٢.

وقد فرَّق النبي ﷺ بين الشحِّ والبخل في حديث أنس بن مالك [رضي الله عنه]: قال: ((برئ من الشحِّ من أدَّى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النائبة))[١].

وقال أبو الشعثاء[٢]: جاء رجل إلى ابن مسعود [رضي الله عنه] فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكتُ، قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال: ليس ذاك بالشحِّ الذي ذكره الله في القرآن، الشحُّ: أن تأكل مال أخيك ظُلماً. إنما ذاك البخل، وبئس الشيء البخل[٣].

/ وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ ٢٢٣/ب

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل؛ الفقراء، والمهاجرون الذين تبؤوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم. فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل.

وقال الزَّجَّاج: المعنى ما أفاء الله على رسوله فللَّه، ولرسوله، ولهؤلاء المسلمين والذين يجيؤون من بعدهم إلى يوم القيامة، ما أقاموا على محبة أصحاب رسول الله ﷺ. دليله قوله تعالى: ﴿ ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ فمن ترحَّم على أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يكن في قلبه عليهم غلٌّ، فله حظٌّ من فَيءِ المسلمين. ومن شتمهم، ولم يترحَّم عليهم، أو كان في قلبه غلٌّ لهم، فما جعل الله له حقاً في شيء من فَيءِ المسلمين بنص الكتاب[٤].

---

(١) أخرج ابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأدى في النائبة)). انظر: الدر المنثور: ٢٩١/٦، وزاد في الجامع الصغير نسبته إلى أبي يعلى في مسنده، والطبراني في الكبير، ثم رمز له الإمام السيوطي بأنه حديث حسن. انظر: فيض القدير: ١٩٨/٣، رقم الحديث: ٣١٣٢.

(٢) هو سليم بن أسود بن حنظلة أبو الشعثاء المحاربي الكوفي والد أشعث بن أبي الشعثاء. وثَّقه ابن حنبل وابن معين والنسائي والعجلي. وذكره ابن عدي من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. شهد مع علي رضي الله عنه كل شيء، ومات بعد الجماجم سنة ٨٢ هـ. روى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال: ٣٤٢/١١، رقم الترجمة: ٢٤٨٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٥/٨.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٤٦/٥ ــ ١٤٧.

وكذلك قال مالك ــ رحمه الله ــ: فمن تنقَّص أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، أو كان في قلبه عليهم غلٌّ، فليس له حق في فَيءِ المسلمين، ثم تلا هذه الآيات[1]، فقبَّح الله.الرافضة من طائفةٍ ما أخسَّها/ وأهونها على الله. أ/٢٢٤

روى الشعبي عن بعض أشياخه، قال: فُضِّلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سُئِلت اليهود: مَن خير أهل ملَّتِكم؟ فقالوا: أصحاب موسى. وسُئِلت النصارى: مَن خير أهل ملَّتِكم؟ فقالوا: حواريو عيسى. وسُئِلت الرافضة مَن شرُّ أهل ملَّتِكم؟ فقالوا: أصحاب محمد، وأمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة إلى يوم القيامة. ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ ﴾، [المائدة: ٦٤].

وقد رُوِيَ عن الإمام أحمد ﷺ أنه قال: السنَّة كسفينة نوح، من لم يكن في السفينة غرق، والله أعلم. والغلُّ[2]: الحقد الكامن في الصدر، وقيل: هو الغش.

---

(١) انظر: زاد المسير: ٢٥/٨.

(٢) انظر: لسان العرب: ٤٩٩/١١.

سورة الممتحنة

مدنيَّة، وهي عشر آيات[١].

وسبب نزولها فيما ذكره أكثر المفسرين: أنها نزلت في حاطب[٢] بن أبي بلتعة، وكان من حديثه أن سارة[٣] مولاة عمرو بن صيفيٍّ بن هاشم بن عبد مناف أتت النبي/ ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين. ٢٢٤/ب

فقال لها رسول الله ﷺ أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: أنت كنت الأهل والعشيرة والموالي، وقد ذهبت مواليَّ، واحتجتُ حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطوني، وتكسوني، وتحملوني.

قال لها: فأين أنت من شباب أهل مكة؟ وكانت مغنيَّة، فقالت: ما طُلِب مني شيءٌ بعد وقعة بدر.

فحثَّ عليها رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب، فكسوها، وأعطوها نفقة، وحملوها.

فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العُزَّى، فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير على أن تُوصل الكتاب إلى أهل مكة. وفيه: أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم.

فنزل جبريل، وأخبر النبي ﷺ بذلك بعد خروج سارة.

---

(١) هي ثلاث عشرة آية، وليست عشرة، وليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٤٤، وبصائر ذوي التمييز: ١/٤٦٠.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة حليف بني أسد بن عبد العزى، حالف الزبير وكان مولى عبيد الله بن حميد فكاتبه فأدى مكاتبته. اتفقوا على شهوده بدراً، وفيه نزلت آية الممتحنة. وقد برر صنيعه في الكتاب إنه امرؤ غريب. وشهد رسول الله ﷺ له شهوده بدراً. وليس له في مكة عشيرة تدفع عن أهله فقبل عذره. انظر: الإصابة: ٢/٤، رقم الترجمة: ١٥٤٠.

(٣) سارة مولاة عمر بن هاشم بن المطلب. كان معها كتاب حاطب. أمنّها النبي ﷺ يوم الفتح كذا في التجريد. انظر: الإصابة: ٧/٦٩٠، رقم الترجمة: ١١٢٦٨.

فأرسل النبي ﷺ عليَّاً وعمَّاراً والزبير وطلحة والمقداد[١] وأبا مرثد[٢] في طلب الكتاب، فكان من أمر ذلك ما رويناه بالسند الصحيح إلى عُبيد بن أبي رافع، قال: سمعت عليَّاً ﷺ يقول: ((بعثنا رسول الله ﷺ/ أنا والمقداد والزبير، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[٣]، فإن بها ظعينة معها كتاب[٤]. فخرجنا تتعادى بنا خيلنا[٥]، فإذا نحن بظعينة[٦]، فقلنا لها: أخرجي الكتاب، أو لنلقينَّ الثياب[٧].

٢٢٥/أ

فأخرجته من عقاصها[٨]، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبر ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا يا حاطب؟ فقال: لا تعجل عليَّ، فإني كنت امرءاً ملصقاً[٩] في قريش، ولم أكن من أنفَسها، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون بها قراباتهم[١٠]، ولم

---

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك المعروف بالمقداد بن الأسود. ويقال له: المقداد الكندي. من السابقين في الإسلام، هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ إليها. شهد بدراً وله فيها مقام مشهور، ولم يكن فيها صاحب فرس غيره. وشهد أحداً والمشاهد كلها، ومناقبه كثيرة. عدَّه النبي ﷺ ضمن أربعة أمره الله تعالى بحبهم في حديث الترمذي. شهد فتح مصر، ومات في المدينة في خلافة عثمان، وعمره سبعون بعد أن فتق بطنه فخرج منه الشحم. انظر: أسد الغابة: ٤/٤٥٨، رقم الترجمة: ٥٠٦٩.

(٢) أبو مرثد الخولاني: له إدراك. ذكر أبو إسماعيل الأزدي عن الصعب بن زهير عن المهاجر بن صيفي عن راشد بن عبد الرحمن عنه أنه رأى رؤيا فيها بشرى للمسلمين، وهو باليرموك. انظر: الإصابة: ٧/٣٩٦، رقم الترجمة: ١٠٥٩٥.

(٣) خاخ: موضع بين الحرمين، يقال له: روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة. وذكر في أحماء المدينة التي حماها النبي ﷺ. وهي جمع حمى، وقد أكثر الشعراء من ذكره. انظر: معجم البلدان: ٢/٣٣٥.

(٤) روايات البخاري عن الحميدي: (معها كتاب فخذوه منها).

(٥) روايات البخاري: (فذهبنا تتعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة). وتتعادى أي: تتباعد وتجري.

(٦) الظعينة: المرأة في الهودج، وإذا لم تكن فيه فليست بظعينة. ويطلق على الجمل الذي يُركب، وتسمى المرأة ظعينة لأنها تركبه. انظر: لسان العرب: ١٣/٢٧١.

(٧) روايات البخاري: فقلنا لها: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتُخرِجَنَّ الكتاب أو لنلقينَّ الثياب.

(٨) العقيصة: الخصلة، وهي الضفيرة. والجمع عقائص وعِقاص. وعقص الشعر: ضفره. وفي صفته ﷺ إن انفرقت عقيصته فرق، وإلا تركها. انظر: لسان العرب: ٧/٥٦.

(٩) ملصقاً: أي مضافاً إليهم، ولا نسب لي فيهم.

(١٠) روايات البخاري: (يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة).

يكن لي بمكة قرابة، فأحببت إذ فاتني ذلك[١] أن أتخذ عندهم يداً[٢]، والله ما فعلته شكّاً في ديني، ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: إنه قد صدق.

فقال عمر ﷺ: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. ونزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ.. ﴾ الآية.[الممتحنة: ١]. أخرجه البخاري عن الحميدي، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وغيره، كلُّهم/ عن سفيان[٣].

٢٢٥/ب

وفي رواية: أن النبي ﷺ لمَّا قال لعمر ﷺ: وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر ﷺ وقال: الله ورسوله أعلم[٤].

وفي رواية: قال حاطب بن أبي بلتعة: أردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمتُ أن الله منزلٌ بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً. فصدَّقه رسول الله ﷺ وعذره.

وفي حديث جابر بن عبد الله : أن عبداً لحاطب جاء يشتكي حاطباً إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ليدخلنَّ حاطبٌ النارَ، فقال النبي ﷺ: كذبت لا

---

(١) رواية البخاري: (إذ فاتني ذلك من النسب).

(٢) رواية البخاري: (يحمون بها قرابتي).

(٣) يقصد بسفيان هذا: سفيان بن عيينة. والحديث أخرجه البخاري في سبعة مواضع؛ منها رواية الحميدي هذه، مع فوارق متقاربة في الألفاظ. انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾: ٣٦٧/٦، رقم الحديث: ٤٨٩٠، وكذا في الجهاد والسير، والمغازي، واستتابة المرتدين والمعاندين، والاستئذان. وأخرجه مسلم في الصحيح: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ﷺ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة: ١٩٤١/٤، رقم الحديث: ٢٤٩٤/١٦١. وانظر: زاد المسير: ٣٥/٨.

(٤) هذه رواية البخاري: كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، بلفظ: (فدمعت): ١٣/٥، رقم الحديث: ٣٩٨٢.

يدخلها أبداً، إنه قد شهد بدراً والحديبية[١]، فشهد له النبي ﷺ بالجنة، ولأنه كان من كبار الصحابة.

ألا يُرى أن النبي ﷺ كان إذا قصد غزوة ورَّى بغيرها، إلا أن تكون غزوة بعيدة، فيُعلِم بذلك أكابرَ الصحابة ليتزوَّدوا لذلك. فلهذا علم حاطب قصدَ النبي ﷺ مكة، والله أعلم.

وفيها من آيات التوكل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝١ ﴾ حكاية عن قول إبراهيم والذين معه، أنهم هكذا[٢].

وقوله تعالى:/ ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٣ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: المعنى لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن أديانناً. والمعنى في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾ راجع إلى أمة محمد ﷺ[٣]. ٢٢٦/أ

وقوله: ﴿ لِمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾. ﴿ لِمَن ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿ لَكُمْ ﴾ ثم أعلم تعالى أنه غنيٌّ عن عباده، وأنه الحميد في ذاته وأفعاله، لا يُنقِص ذلك كفرُ كافر، ولا نفاقُ منافق.

ورُوِيَ أنه لما نزلت هذه الآيات امتثل المؤمنون أمرها، وصرموا حبال الكفرة، وأظهروا عداوتهم، لحقَهم تأسُّفٌ على قراباتهم الذين لم يؤمنوا، حتى يكون بينهم الودُّ والتواصل، فنزلت: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ ﴾ مؤنسة في ذلك، موجبة وقوع ذلك بإسلامهم في الفتح، وصار الجميع إخواناً.

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر ﷺ أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله ليدخلنَّ حاطبٌ النار، فقال رسول الله: ﷺ ((كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية)). انظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر: ١٩٤٢/٤، رقم الحديث: ٢٤٩٥/١٦٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٤٠٣/١٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٤٠٥/١٤.

وقد ذكر بعض المفسرين[١]: أن هذه المودة تزويج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وإن كانت بعد الفتح وهو وهمٌ، لأن النبي ﷺ تزوَّجها وقت هجرة الحبشة[٢]، وهذه الآية/ نزلت سنة ست من الهجرة، ولا يصح نقله عن ابن عباس [رضي الله عنهما][٣]، والله أعلم.

٢٢٦/ب

---

(١) ذكر القرطبي في تفسيره هذا الخبر: قيل المودة تزويج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان، واسترخت شكيمته في العداوة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وكانت تحت عبد الله بن جحش، وكانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة. فأما زوجها فتنصَّر، وسألها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها. ومات زوجها على النصرانية، فبعث النبي ﷺ إلى النجاشي فخطبها، فقال النجاشي لأصحابه: مَن أولاكم بها؟ قالوا: خالد بن سعيد بن العاص. قال: فزوّجها من نبيِّكم، ففعل، وأمهرها النجاشي من عنده أربعمئة دينار. انظر: تفسير القرطبي: ٥٨/١٨.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله ثلاث أعطنيهن، قال: نعم. قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها، قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم قال وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم قال أبو زميل ولولا أنه طلب ذلك من النبي ﷺ ما أعطاه ذلك لأنه لم يكن يسأل شيئا إلا قال نعم)). انظر: صحيح مسلم: ١٩٤٥/٤، رقم الحديث: ٢٥٠١/١٦٨. قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على هذا الحديث: واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال. ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة، سنة ثمان من الهجرة، وهذا مشهور لا خلاف فيه. وكان النبي ﷺ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل. تزوجها سنة ست، وقيل: سنة سبع. واختلفوا أين تزوجها؟ فقيل: بالمدينة بعد قدومها من الحبشة، وقال الجمهور: بأرض الحبشة. انظر: المحرر الوجيز: ٤٠٦/١٤.

(٣) قال ابن عطية: مَن ذكر أن هذه المودة تزوّج النبي ﷺ أم حبيبة فقد أخطأ، لأن النبي ﷺ تزوّجها وقت هجرة الحبشة، وهذه الآيات نزلت سنة ثمان من الهجرة، ولا يصح ذلك عن ابن عباس إلا أن يسوقه مثالاً، وإن كان متقدماً لهذه الآية، لأنه استمر بعد الفتح كسائر ما نشأ من المودات. و(عسى) من الله واجبة الوقوع إن شاء الله تعالى. انظر: المحرر الوجيز: ٤٠٦/١٤.

سورة الصف

مدنيَّة على الصحيح، وقيل: مكيَّةٌ[١]. وعدد آيها أربع عشرة[٢].

والسبب في نزولها فيما رُوِيَ عن ابن[٣] عباس [رضي الله عنهما]: أن ناساً من المؤمنين كانوا يقولون قبل أن يفرض الجهاد: وَدِدنا أن الله تعالى دلَّنَا على أحب الأعمال إليه، فلما نزل الجهاد كرهه بعض القائلين، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ ﴾.

وقيل: نزلت في قوم كانوا يقولون: صبرنا في القتال ولم يصبروا.

واللام في قوله: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ ﴾ لام الإضافة، دخلت على (ما) الاستفهامية، كما دخل عليها غيرها من حروف الجر. كقولك: بِمَ، وممَّ، وعمَّ، وإلامَ، وعلامَ. وإنما حذفت الألف لأن (ما) والحرف كشيء واحد، ذكره الزمخشري[٤].

وفي هذه السورة وَعَد الله المؤمنين الصابرين بنصر منه، وفتح قريب. فقال تعالى: ﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣ ﴾ قال الفراء: وخصلةٌ أخرى تحبونها في العاجل، مع ثواب الآخرة[٥].

ثم فسَّر الخصلة فقال: ﴿ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ ﴾[٦]/ أي: عاجل، وهو فتح مكة. وقيل: فتح فارس والروم. أ/٢٢٧

ومعنى قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ يا محمد بشِّر المؤمنين بالنصر في الدنيا، والتمكين وحسن المكانة في الآخرة.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٤٢٣/١٤.

(٢) هي أربع عشرة آية، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٤٥، وبصائر ذوي التمييز: ٤٦٢/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/١٤.

(٤) انظر: الكشاف: ٩٦/٤.

(٥) انظر: معاني القرآن: ١٥٤/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/١٤.

سورة الجمعة

مدنيَّة، إحدى عشرة آية بإجماعهم(١).

روينا بالسند الصحيح عن أبي هريرة [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: ((خير يوم طلعت فيه الشمس يومُ الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أُهبِط منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعةٌ لا يوافقها مسلم يصلي يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه. وقال: بيده يقلِّلها(٢)، فقال عبد الله(٣) بن سلام: قد علمت أيةَ ساعةٍ هي، آخر ساعات الجمعة(٤)، هي الساعة التي خلق الله فيها آدم. قال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنبياء])). هذا حديث صحيح(٥).

---

(١) إحدى عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٤٥، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٤٦٤.

(٢) هذه رواية مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: ((فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه)). زاد قتيبة في روايته وأشار بيده يقللها. انظر: صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة: ٥٨٣/١، رقم الحديث: ٨٥٢

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية النبي يوسف عليه السلام، حليف القوافل من الخزرج، الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليفاً لهم ومن بني قينقاع، واسمه الحصين فغيَّره النبي ﷺ إلى عبد الله. أسلم أول قدوم النبي ﷺ المدينة، وقيل: سنة ثمان للهجرة. وقصة إسلامه في البخاري حين سأله عن ثلاث خصال لا يعلمها إلا نبي، فحين أجابه شهد أنه رسول الله حقاً. وقد بشره النبي ﷺ بالجنة. مات بالمدينة سنة ٤٣هـ. انظر: الإصابة: ١١٨/٤، رقم الترجمة: ٤٧٢٨.

(٤) أخرج أبو داود في السنن قريباً من هذه الرواية: قال أبو هريرة ﷺ ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، قال أبو هريرة: فقلت له فأخبرني بها، فقال عبد الله بن سلام: هي آخر ساعة من يوم الجمعة. فقلت: كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقد قال رسول الله ﷺ: ((لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي))، وتلك الساعة لا يُصلَّى فيها؟ فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ: ((من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي))؟ قال: فقلت: بلى، قال: هو ذاك. انظر: سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة: ٣٤١/١، رقم الحديث: ١٠٤٦.

(٥) أقرب الروايات إلى هذه الرواية المذكورة ما أخرج الترمذي في سننه بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي فيسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه)). قال أبو هريرة ﷺ: فلقيت عبد الله بن سلام فذكرت له هذا الحديث، فقال: أنا أعلم بتلك الساعة. فقلت: أخبرني بها ولا تضنن بها عليَّ. قال:

وقال الإمام أحمد: الساعة التي تستجاب فيها الدعوة في يوم الجمعة، أكثر الحديث أنها بعد العصر، وترجى بعد زوال الشمس. ويروى عن النبي ﷺ: أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة. وعن ابن عباس [رضي الله عنهما]: أنها ما بين الأذان إلى انصراف الإمام./

ب/٢٢٧

ويستحب التبكير إلى الجمعة، لما روى أبو هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشاً[١]، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)). متفق عليه[٢].

قال الخليل بن أحمد ــ رحمه الله ــ: التهجير إلى الجمعة التبكير[٣]، واختلفوا في الساعات؛ فذهب بعضهم إلى أنها ساعات لطيفة بعد الزوال، لا يريد بها حقيقة الساعات التي يدور عليها حساب الليل والنهار، لأن الرواح لا يكون إلا بعد الزوال، فهو كقول القائل: جلست عند فلان ساعة، لا يريد به التحديد. وقيل: المراد به ساعات النهار. وقيل: المراد بقول: من راح إلى الجمعة، أي: من أسرع إليها. يقال: تروَّح القوم إذا راحوا سراعاً في أي وقت كان[٤].

هي بعد العصر إلى أن تغرب الشمس. فقلت: كيف تكون بعد العصر، وقد قال رسول الله ﷺ: ((لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي))، وتلك الساعة لا يُصلّى فيها؟ فقال: عبد الله بن سلام: أليس قد قال رسول الله ﷺ: ((من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة))؟ قلت: بلى، قال: فهو ذاك. قال أبو عيسى: وفي الحديث قصة طويلة. قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح. قال ومعنى قوله: أخبرني بها ولا تضنن بها عليَّ: لا تبخل بها عليَّ. والضنُّ: البخل، والظنين: المتهم. انظر: سنن الترمذي: أبواب الجمعة، ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة: ٣٦٢/٢، رقم الحديث: ٤٩١.

(١) في رواية الصحيحين: (كبشاً أقرن).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة: ٢٦٤/١، رقم الحديث: ٨٨١. ومسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة: ٥٨٢/١، رقم الحديث: ٨٥٠.

(٣) لم أقف على هذا المعنى في كتابه (العين)، وقد ذكره ابن منظور في اللسان، وعزا سماعه إلى الخليل. انظر: لسان العرب: ٢٥٥/٥.

(٤) انظر: لسان العرب: ٤٦٤/٢.

سورة المنافقين

آيها إحدى عشرة أيضاً[١]، مدنيَّة بإجماعهم.

وسبب نزولها أن عبد الله بن أبيٍّ خرج مع النبي ﷺ/ في جماعة من المنافقين في غزوة المريسيع[٢] ــ وهو ماء لبني المصطلق ــ طلباً للغنيمة، لا رغبةً في الجهاد، لأنه كان سفراً قريباً. ٢٢٨/أ

فلما قضى رسول الله ﷺ غزوته، أقبل رجل [من][٣] جهينة يقال له: سنان[٤]، وهو حليفٌ لعبد الله بن أبيٍّ، ورجل من غِفارٍ يقال له: جهجاه[٥] بن سعيد، وهو أجير لعمر بن الخطاب ﷺ، فدار بينهما كلام، فرفع الغفاري يده فلطم الجهنيَّ فأدماه، فنادى الجُهنيُّ: يا للأنصار فأقبلوا، ونادى الغفاريُّ: يا للمهاجرين فأقبلوا، وأصلح الأمر قومٌ من المهاجرين.

فبلغ الخبرُ عبدَ الله بن أبيٍّ، فقال لجماعة عنده من المنافقين: والله ما مثَلكم ومثَل هؤلاء إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كلبَك يأكلْك، ولكن هذا فعلكم بأنفسكم،

---

(١) إحدى عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٤٧، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٤٦٥.

(٢) المريسيع: تصغير مُرَسَّع، وهو الذي انسلقت عينه من السهر. وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل. سار النبي ﷺ في سنة خمس إلى بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعاً، فوجدهم على ماء يقال له المريسيع، فقاتلهم وسباهم. وفي السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي زوجة النبي ﷺ . وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك. انظر: معجم البلدان: ٥/١١٨، ولسان العرب: ٨/١٢٣.

(٣) سقطت من الأصل، وأُثبتت لتمام معنى الجملة.

(٤) سنان بن وبرة أو وبر الجهني حليف بني الحارث بن الخزرج. روي عنه أنه كان مع النبي ﷺ في غزاة بني المصطلق، وكان شعارهم: يا منصور أمت. وقال أبو عمر بن عبد البر: هو سنان بن تميم، ويقال: ابن وبرة، وهو الذي نازع جهجاه الغفاري على الماء فاقتتلا. والحق أن الحديث في الصحيح بدون تسمية الرجلين. انظر: الإصابة: ٣/١٩٠، رقم الترجمة: ٣٥١٤.

(٥) جهجاه بن سعيد، وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود الغفاري. شهد بيعة الرضوان بالحديبية. ذكره الترمذي وابن أبي شيبة أنه قدم في نفر من قومه يريدون الإسلام فحضروا المغرب، فلما أن أسلم قال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فذكر الحديث في شربه قبل أن يسلم حلاب سبع شياه، فلما أسلم لم يستتم حلب شاة. عاش جهجاه إلى خلافة عثمان، حيث قدم إلى عثمان وهو على المنبر، فأخذ عصاه فكسرها، فما حال عليه الحول حتى أرسل الله في يده الأكلة فمات منها بعد عثمان بأقل من سنة. انظر: الإصابة: ١/٥٢٠، رقم الترجمة: ١٢٤٧.

آويتموهم في منازلكم، وأنفقتم عليهم أموالكم، فقووا وضعفتم. وايم الله، لو أمسكتم أيديكم لتفرَّقت عن هذا جموعُه، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ.

وكان في القوم زيد[١] بن أرقم، وهو غلامٌ لا يؤبَه له، فقال لعبد الله: أنت والله الذليل القليل المبغَضُ في قومك، ومحمد ﷺ في عزٍّ من الرحمن ومودة من المسلمين. فقال عبد الله: اسكت، فإنما كنت العي[٢]. فأقبل زيدٌ بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر رضي الله/ عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله، فقال: إذاً يَرعُدُ أأنُفٌ[٣] كثيرة، فقال: إن كرهت أن يقتله رجل من المهاجرين فمُرْ سعد بن عبادة، أو محمد بن مسلمة، أو عبَّاد بن بشر فليقتله، فقال: إذاً يتحدَّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

٢٢٨/ب

فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيٍّ، فأتاه. فقال: أنت صاحب هذا الكلام؟ فقال: والذي أنزل عليك ما قلت شيئاً من هذا، وإن زيداً لكذَّاب. فقال حصنُ: يا رسول الله لا تصدِّق عليه، غلامٌ عسى أن يكون قد وهِم. فعذره رسول الله ﷺ، ففشت الملامة في الأنصار لزيد بن الأرقم، وكذَّبوه. فقال له عمه: ما وددت إلا أن كذَّبك رسول الله ﷺ والناس ومقتوك، فاستحيا زيدٌ، ووقع عليه من الغمِّ ما لم يقع على أحد، وجعل لا يسير قريباً من النبي ﷺ حياءً منه.

---

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن كعب بن الخزرج، قيل: أبو عمر، وقيل: أبو عامر. استصغر يوم أحد. أول مشاهده الخندق، وقيل: المريسيع. غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وله حديث كثير. له قصة في نزول سورة المنافقين في الصحيح. شهد صفين مع علي، ومات بالكوفة سنة ٦٦هـ. وثبت في الصحيح ــ كما سيأتي ــ قول النبي ﷺ له: ((إن الله قد صدقك يا زيد)). انظر: الإصابة: ٥٨٩/٢، رقم الترجمة: ٢٨٧٥.

(٢) العي: الجهل، وخلاف البيان، ومنه الحديث: ((شفاء العي السؤال)). ويقال: عيي في الأمر، وقد عيَّ في منطقه، إذا لم يهتد لوجه عمله. وعيي فلان بالأمر إذا عجز عنه. انظر: لسان العرب: ١١١/١٥، وتهذيب اللغة: ٢٥٨/٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٣٤/٣.

(٣) رعد من الارتعاد، وهو الرجفة والاضطراب من الخوف والفزع. ويقصد به: اشتداد الغيظ والغضب. ومن الكنايات: (ورم أنفه): إذا اغتاظ وأخذته الحمية من الغيرة والغضب. انظر: لسان العرب: ١٧٩/٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٧٦/١، ٢٣٤/٢.

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ ما كان من خبر رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، بلغني أنك تريد قتل أبي لِمَا بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمُرني به حتى أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجلٌ أبرَّ بوالديه منِّي، وإني أخشى أن تأمر بهَ غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخلَ النار./ فقال رسول الله ﷺ: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا. أ/٢٢٩

فلما قاربوا المدينة، وقف له ابنه على فُوَّة الطريق، وقال: وراءك، فقال له أبوه: ما لك ويلك! قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ لتعلم اليوم مَن الأعزُّ ومَن الأذلُّ. فشكاه إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: خلِّ عنه.

قال زيد بن أرقم: فلمَّا وافى رسول الله ﷺ المدينة جلستُ بالبيت لِمَا بي من الهمِّ والحياء، فأنزل الله سورة المنافقين.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى زيدٍ، فقال: ((إن الله قد صدَّقك، وكذَّب عبد الله ابن أبيٍّ، فقرأ عليه سورة المنافقين))[1].

وفي رواية الترمذي: وكان ذلك في غزوة تبوك[2].

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبيّ يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذَّبك رسولُ الله ﷺ ومقَتَك فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ فبعث إليَّ النبي ﷺ فقرأ فقال: ((إن الله قد صدقك يا زيد)). انظر صحيح البخاري: ٣٧١/٦، رقم الحديث: ٤٩٠٠، وله أطراف في الصحيح رقم: ٤٩٠١، ٤٩٠٢، ٤٩٠٤.

(٢) رواية الترمذي عن زيد بن أرقم ﷺ أن عبد الله بن أبيّ قال في غزوة تبوك: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال: فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فحلف ما قاله، فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلا هذه، فأتيت البيت ونمت كئيباً حزيناً، فأتاني النبي ﷺ أو أتيته فقال: ((إن الله قد صدقك)) قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المنافقين: ٣٨٧/٥، رقم: ٣٣١٢.

سورة التغابن

ثماني عشرة آية[١]، مدنيَّة في قول الأكثرين. وقيل مكيَّة، وقيل مكيَّة إلا ثلاث آيات؛ قولَه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ... ﴾[١٤] واللتان[٢] بعدها.

وسمِّيت سورةَ التغابن لأن أسباب التغابن في يوم القيامة كثيرة؛ منها: ما روى ابن عباس [رضي الله عنهما] عن النبي ﷺ أنه قال: ((ليس من كافر إلا وله منزلة وأهل في الجنة لو أسلم، فيرث المؤمن ذلك منه بعد أن يوقف عليه،/ ويقال له هذا لك لو كنت أحسنت، فيغبُنُ حينئذ غبناً شديداً))[٣]. ٢٢٩/ب

وقال مجاهد: هو غبنُ أهل الجنة أهلَ النار، فذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ..﴾[٩] ونصب ﴿ يَوْمَ ﴾ بإضمار: اذكر يوم التغابن.

وفي هذه السورة مدح الله الصابرين على المصائب، فقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ...﴾[١١] قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وفي الحديث: ((واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً))[٤].

---

(١) ثماني عشرة آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٤٨، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٤٦٧.

(٢) وردت في الأصل: (واللتان)، وهو خطأ. وصوابه: (واللتين) منصوب بالياء والنون لأنه مثنى اسم معطوف على البدل (قولَه) من المستثنى بإلا (ثلاثَ) المنصوبين بالفتحة.

(٣) لم أهتدِ لتخريج هذه الرواية فيما بحثت فيه من كتب الحديث. وقد ذكر معناها ابن الجوزي في تفسيره رواية لأبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ٨/٦٥.

(٤) أخرج أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كنت رديف النبي ﷺ فقال: يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلى، فقال: ((احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جفَّ القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً)). انظر: مسند أحمد: ٥/١٨، رقم الحديث: ٢٨٠٣.

وقال ابن السائب: المؤمن إذا ابتُلِي صبر، وإذا أُنعِم عليه شكر، وإذا ظُلِم غفر.

وقال أبو ظبيان[١]: كنَّا نَعْرِضُ المصاحف عند علقمة، فمرَّ بهذه الآية: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ... ﴾[١١] فسألناه، فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم[٢]. وقرأ أبو بكر الصدِّيق [ﷺ]، وعاصم الجحدري: (يُهدَ قلبُه) بفتح الياء والدال،(قلبُه) بالرفع.

قال الزَّجَّاج: هو من هدأ يهدأ إذا سكن. فالمعنى: استسلم لأمر الله، وسكن قلبُه[٣]. وقرأ عثمان بن عفَّان [ﷺ]: (نهدِ قلبَه) بالنون وكسر الدال./ وقرأ علي بن أبيْ طالب [ﷺ]: (يُهدَ قلبُه) على ما لم يُسمَّ فاعله، والله أعلم. أ/٢٣٠

ثم حرَّض المؤمنين على مكافحة الكفار، والصبر على دين الله، فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

---

(١) هو حصين بن جندب بن عمرو بن الحارث أبو ظبيان الجنبي الكوفي، والد قابوس بن أبي ظبيان المدحجي، وثَّقه ابن معين والعجلي والنسائي والدارقطني. قال مؤمل بن إسماعيل بن سفيان: روى أبو ظبيان عن علقمة أربعة أشياء. مات سنة ٨٩هـ. انظر: الإصابة: ٥١٤/٦، رقم الترجمة: ١٣٥٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٨.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٨١/٥.

سورة الطلاق

النساء القصرى[١]، وعدد آيها اثنتا[٢] عشرة آية[٣]، وهي مدنيَّة بإجماع.

وفي هذه السورة جعل الله لمن اتقاه مخرجاً، ورزق مَن توكَّل عليه من حيث لا يحتسب، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ... ﴾.

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: معنى: ﴿ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ يخلِّصه من كُربِ الدنيا والآخرة. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: وإن كانت هذه للمطلِّق، لكن هذا هو المعنى.

قال بعض رواة الأخبار: نزلت هذه الآية في عوف[٤] بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أُسِرَ ولدُه، و ﴿ قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ ﴾ أي: ضُيِّق، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فقيل: لم يلبثْ أن تفلَّت ولدُهُ، وأخذ قطيع غنم للقوم الذين أسروه، فجاء أباه، فسأل عوفٌ رسول الله ﷺ، أتطيبُ لك تلك الغنم؟ ونزلت الآية في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ... ﴾ قال ابن مسعود [رضي الله عنه]: هذه أكثر الآيات حضّاً على التفويض. والحسْبُ: الكافي المرضي.

وروي أن رجلاً قال/ لعمر رضي الله عنه: ولِّني مما ولاَّك الله، فقال له عمر: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قال: فإني لا أولِّي من لا يقرأ القرآن، فتعلَّم الرجل وجاء الولاية، فلما حفظ كثيراً القرآن تخلَّف، فلَقِيَه عمر [رضي الله عنه] يوماً، فقال: ما أبطأ بك عني؟ قال: ٢٣٠/ب

---

(١) قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: بصائر ذوي التمييز: ٤٦٩/١.

(٢) وردت في الأصل: (اثنتي)، وهو خطأ. والصواب: (اثنتا) خبر مرفوع بالألف لأنه مثنى.

(٣) هي إحدى عشرة آية في عدّ البصري، واثنتا عشرة في عدّ الباقين. واختلافها في ثلاث آيات؛ ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ عدَّها الشامي، ولم يعدّها الباقون، ﴿ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ عدَّها المدني الأخير والمكي والكوفي، ولم يعدّها الباقون، ﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ عدَّها المدني الأول، ولم يعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٤٩، وبصائر ذوي التمييز: ٤٦٩/١.

(٤) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، قيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد. أسلم عام خيبر، ونزل حمص، وشهد الفتح، وكانت معه راية أشجع، وسكن دمشق، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي الدرداء. مات سنة ٧٣هـ. انظر: الإصابة: ٧٤٢/٤، رقم الترجمة: ٦١٠٥.

تعلَّمت القرآن فأغناني الله [عن][1] عمر وعن بابه، ثم قرأ هذه الآيات من هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ بيانٌ وحضٌّ على التوكل، ولا بدَّ من نفوذ أمر الله، توكَّل أم لم يتوكَّل. فإن توكَّلت كفاك، وتعجَّلت لك الراحة والبركة، وإن لم تتوكَّل وكَلَك إلى عجزك، وأمره في الوجهين نافذ.

قرأ جمهور السبعة: (بالغٌ أمرَه) بنصب الأمر، وقرأ حفص والمفضَّل عن عاصم: ﴿ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ على الإضافة، وترك التنوين في (بالغ)، ورُوِيَت عن أبي عمرو[2]. وهذا كلُّه حضٌّ على التوكُّل[3].

---

(١) سقطت من الأصل، ولا تستقيم العبارة بدونها. وهي مثبتة في المحرر الوجيز: ١٤/٤٩٥.

(٢) كلهم قرؤوا بالتنوين: (بالغٌ أمره)، وروى حفص والمفضل عن عاصم بالإضافة: (بالغُ أمره). انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٣٩، والكشف: ٢/٣٢٤، والنشر: ٢/٢٩٠.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١٤/٤٩٥ــ٤٩٧.

سورة المتحرّم[١]

وهي اثنتا عشرة آية[٢]، وهي مدنيَّة بإجماع. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ... ﴾[١].

أخرجا في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحبُّ العسل والحُلوَ، وكان إذا انصرف/ من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهنَّ، فدخل على حفصة[٣] بنت عمر، فاحتبس أكثر مما كان يحتبس، فغرتُ، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة[٤] عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلتُ: أما والله لنحتالنَّ له[٥]. وفي رواية أخرى قال: كان رسول الله ﷺ يمكث عند زينب[٦] بنت جحش، فيشرب عندها عسلاً، قالت: فتواصينا أنا وحفصة أنَّ أيَّتُنَا دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح

أ/٢٣١

---

(١) سميت سورة التحريم والمتحرِّم لمفتتحه: ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾. انظر: بصائر ذوي التمييز: ٤٧١/١.

(٢) اثنتا عشرة آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان في عدِّ آي القرآن: ص: ٢٥٠، وبصائر ذوي التمييز: ٤٧١/١.

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ، وهي أم المؤمنين، وأمها زينب بنت مظعون، وكانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند خُنَيْس بن حذافة، وكان ممن شهد بدراً، ومات بالمدينة، وتزوجها رسول الله ﷺ بعد عائشة سنة اثنتين من الهجرة، وقيل: ثلاث. وقد وُلِدَت قبل المبعث بخمس، وقد طلقها رسول الله ﷺ تطليقة ثم ارتجعها، وذلك أن جبريل قال له: أرجع حفصة، فإنها صوَّامة قوَّامة، وأنها زوجتك في الجنة. ماتت سنة ٤١هـ. انظر: الإصابة: ٥٨١/٧، رقم الترجمة: ١١٠٤٧.

(٤) العكة للسمن: كالشكوة للبن. وقيل: العكة أصغر من القربة للسمن، وهي زُقَيْق صغير. وجمعها عُكك وعِكاك. وهي وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن والعسل، وهو بالسمن أخص. وفي الحديث: ((إن رجلاً كان يهدي للنبي ﷺ العكة من السمن أو العسل)). انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٨٤/٣، ولسان العرب: ٤٦٩/١٠.

(٥) هذه رواية البخاري في صحيحه: كتاب الطلاق، باب ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ : ٥٠٢/٦، رقم الحديث: ٥٢٦٨. وهو جزء من حديث طويل. ورواية مسلم في صحيحه: كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته ولم ينو الطلاق: ١١٠١/٢، رقم الحديث: ١٤٧٣/٢١.

(٦) زينب بنت جحش الأسدية، أم المؤمنين وأمها أمية عمة النبي ﷺ تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث، وقيل: خمس، وهي بنت خمس وثلاثين، ونزلت بسببها آية الحجاب. وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، وكانت تفخر أن الله زوجها من السماء. تميزت بصلاحها وتقواها. ماتت سنة عشرين للهجرة، وهي بنت خمسين. وهي أول نساء النبي ﷺ موتاً بعده. انظر: الإصابة: ٦٦٧/٧، رقم الترجمة: ١١٢٢١.

مغافير[١]. فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: بل شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له[٢]، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحداً[٣]. فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ... ﴾[١][٤]. هذا أصحُّ وأشبه ما رُوِيَ في ذلك.

فعائشة رضي الله عنها أفضل النساء وأحبُّ أزواج رسول الله ﷺ إليه، بدليل ما روينا بالسند الصحيح في صحيح البخاري عن أبي موسى[٥] الأشعري [ﷺ] قال: قال رسول الله ﷺ: ((كمُل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام))[٦]. وأخرجه مسلم أيضاً[٧].

قال المفسرون: كانت آسية قد آمنت بموسىٰ عليه السلام. قال أبو هريرة [ﷺ]: ضرب فرعون لامرأته أوتاداً/ في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرَّقوا عنها أظلَّتها الملائكة، فقالت: ﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ... ﴾[١١]، فكشف الله عن بيتها في الجنة، حتى رأته قبل موتها[٨] ــ رضوان الله عليها وعلى صالح نساء المؤمنين ــ. ٢٣١/ب

---

(١) المغافير والمغافر: صمغ شبيه بالناطف حلو يؤكل، ورائحته ليست طيبة. ينضحه شجر العرفط، فيوضع في ثوب، ثم ينضح بالماء فيشرب. انظر: لسان العرب: ٢٨/٥.

(٢) إلى هنا رواية البخاري. انظر: صحيح البخاري: كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك: ٥٠١/٦، رقم الحديث: ٥٢٦٧.

(٣) هذه العبارة غير موجودة في نص البخاري.

(٤) هذه رواية النسائي في سننه: كتاب الأيمان والنذور، باب تحريم ما أحل الله عزَّ وجلَّ: ١٣/٧، رقم الحديث: ٣٧٩٥، وأبي داود في سننه: كتاب الأشربة، باب في شرب العسل: ٣٣٥/٣، رقم الحديث: ٣٧١٤، وأحمد في المسند: ٧١/١٨، رقم الحديث: ٢٥٧٢٨، وإسناده صحيح.

(٥) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى الأشعري، وأمه ظبية بنت وهب بن عك. حالف سعيد بن العاص ثم أسلم، وهاجر إلى الحبشة. قدم المدينة بعد فتح خيبر، واستعمله النبي ﷺ على بعض اليمن، وعمر على البصرة، وعثمان على الكوفة. ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين. كان حسن الصوت بالقرآن. مات سنة اثنتين وأربعين للهجرة. انظر: الإصابة: ٢١١/٤، رقم الترجمة: ٤٩٠١.

(٦) انظر: صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب فضل عائشة: ٥٩٢/٤، رقم الحديث: ٣٧٦٩.

(٧) انظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: ٤/ ١٨٨٦، رقم الحديث: ٢٤٣١/٧٠.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٤٤/٤.

سورة الملك

وهي ثلاثون آية[١]، مكيَّة بإجماعهم.

قال ابن مسعود [ﷺ] هي المانعة من عذاب القبر[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((في القرآن سورة ثلاثون آية، شفعت لصاحبها حتى غُفر له، تبارك الذي بيده الملك))[٣].

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أن رسول الله ﷺ قال: ((ودِدتُ أن تبارك الذي بيده الملك في قلب كل عبد مؤمن))[٤].

---

(١) هي إحدى وثلاثون آية في عدِّ المدني الأخير والمكي، وثلاثون آية في عدِّ الباقين. واختلافها آية: ﴿ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾ عدَّها المدني الأخير والمكي، ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٥١، وبصائر ذوي التمييز: ٤٧٣/١.

(٢) أخرج الترمذي والحاكم وابن مردويه وابن نصير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها. فأتى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله ﷺ: إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: ((هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر)). قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. انظر: سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك: ١٦٤/٥، رقم الحديث: ٢٨٩٠، والدر المنثور: ٣٨٠/٦. ولفظ الحاكم: ((فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب)). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انظر: المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملك: ٥٤٠/٢، رقم الحديث: ٩٧٦/٣٨٣٩.

(٣) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له، تبارك الذي بيده الملك)). أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن: ١٢٤٤/٢، رقم الحديث: ٣٧٨٦.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده واللفظ له والطبراني والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى. قال: اقرأ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾، وعلِّمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها. وتطلب له أن تنجيَّه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر. قال رسول الله: ((لَوَدِدْتُ أنها في قلب كل إنسان من أمتي)). انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٦، وقال الحاكم: هذا إسناد عند اليمانيين صحيح ولم يخرجاه. انظر: المستدرك: كتاب فضائل القرآن، ذكر فضائل سور وآي متفرقة: ٧٥٤/١، رقم الحديث: ٥٧/٢٠٧٦.

وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: ((تبارك الذي بيده الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة))[١]. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: المراد بالملك السلطان، فهو يُعِزُّ ويُذِلُّ[٢].

وفيها من آيات التوكُّل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ قيل: كان كفار قريش يدعون على محمد وأصحابه بالهلاك، فقال لهم النبي ﷺ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣]. يعني:/ أن المؤمن دائر بين خيرين؛ إن أصابته سرَّاء فشكر فهو خير له، وإن أصابته ضرَّاءُ فصبر فهو خير له. والكافر إن أصابته في الدنيا نعمة، فهي في الحقيقة نقمة، يستدرجه بها إلى نِقَم الآخرة.

أ/٢٣٢

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ولفظه: عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه أخبره أنه قال: ((قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وإن تبارك الذي بيده الملك تجادل عن صاحبها)). انظر: الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في قراءة قل هو الله أحد، وتبارك الذي بيده الملك: ٢٠٩/١.

(٢) انظر: زاد المسير: ٨٦/٨.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٢٢/١٥.

سورة (ن)[١]

ثنتان وخمسون آية[٢]، وهي مكيَّة بإجماع.

ونون اسم الدواة[٣]، وقيل: الحوت[٤]، وقيل: آخر حروف الرحمن[٥].

وفي الحديث: ((أول ما خلق الله القلم[٦]، ثم خلق (نون)، وقيل: نون لوح من نور)). رُوِيَ مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٧].

وقيل: نهر في الجنة، والله أعلم.

وفيها من آيات الصبر قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ أمر الله تعالى نبيَّه بالصبر لحكمه، وأن يمضي لِمَا أمره به من التبليغ، واحتمال الأذى، والمشقة، ونهاه عن الضجر والملل والعجلة التي وقع فيها يونس[٨] ﷺ.

---

(١) وتسمى سورة القلم، وهذا أشهر. انظر: بصائر ذوي التمييز: ٤٧٦/١.

(٢) آيتان وخمسون في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٥٢، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٤٧٦.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري وقتادة والضحاك. انظر: المحرر الوجيز: ٢٥/١٥.

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد. انظر: المحرر الوجيز: ٢٥/١٥.

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما (ن) حرف من حروف الرحمن، وقالوا: إنه تقطَّع في القرآن إلى (الر)، و(حم)، و(ن). انظر: المحرر الوجيز: ٢٥/١٥.

(٦) أخرج الترمذي في سننه بسنده عن عطاء قال: لقيت الوليد بن عبادة بن الصامت قال: حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد)). وفي الحديث قصة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وفيه عن ابن عباس. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ن: ٤٢٤/٥، رقم الحديث: ٣٣١٩، وهو جزء من حديث أخرجه الترمذي أيضاً في سننه: كتاب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرضا: ٣٩٨/٤، رقم الحديث: ٢١٥٥.

(٧) روى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة)). وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير، وبه قال الحسن وقتادة. انظر: زاد المسير: ٩٢/٨. وأخرج ابن جرير عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: رسول الله: ((﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ قال: لوح من نور، وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة)). انظر: الدر المنثور: ٣٨٨/٦، وتفسير الطبري: ١٦/٢٩

(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤/١٥.

ومعنى: ﴿ مَكۡظُومٞ ﴾ أي: مكظومٌ غيظه في قلبه. وحقيقة المكظوم هو الغيظ والندم والحزن[١]. وقد نُبِذ يونس بالعراء، وهي أرض بالموصل، ولكن غير مذموم، ﴿ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ ﴾ أي: اختاره واصطفاه[٢]، وقد تقدَّم ذكر قصته[٣]،/ والله أعلم.

٢٣٢/ب

---

(١) الكظم: التجرع والرد والحبس. وكظم الغيظ: تجرُّعه واحتمال سببه والصبر عليه. والأصل فيه: الإمساك على غيظ وهم. انظر: لسان العرب: ٥٢١/١٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٥/١٥.

(٣) تقدم ذكر قصته في سورة الأنبياء: الورقة: ٩٤/ب ــ ٩٧/أ.

سورة الحاقة

كالتي قبلها في العدد[١]، وموضع النزول[٢].

ومعنى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ ﴾ الساعة، سميت بذلك لأن فيها حواقّ[٣] الأمور، وقيل: يُحَقُّ كل إنسان بعمله من خير وشر. والرفع على الابتداء، والخبر: ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ ﴾.

وفيها يقول الله تعالى لمن صبر في الدنيا على المكاره، وخمصت بطونهم من الجوع: طال ما نظرت إليكم في الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وقد غارت أعينُكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، و ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ ﴾ ﴿ هَا ﴾ صوت يُصوَّتُ به يُفهم منه خُذ. قال الكسائي: العرب تقول: للواحد (ها)، وللاثنين (هآؤما)، وللثلاثة (هآؤم).

وقال الزَّجَّاج: هآؤم أمرٌ للجماعة بمنزلة هاكم[٤].

وقال ابن قتيبة: هآؤم بمعنى هاكم، فأُبدِلت الواو من الكاف[٥].

---

(١) هي إحدى وخمسون آية في عدِّ البصري والشامي، واثنتان وخمسون في عَدِّ الباقين. واختلافها في آية: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾ الأولى، فقد عدَّها الكوفي، ولم يعدّها الباقون.﴿ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴾ عدَّها المدنيان والمكي، ولم يعدُّها الباقون. وكلهم لم يعدّ ﴿ هَٰؤُمُ ﴾ ، ﴿ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ، من حيث لم يشاكل ما قبله ولا ما بعده في رؤوس الآي.

انظر: البيان: ص: ٢٥٣، وبصائر ذوي التمييز: ٤٧٨/١.

(٢) أي: مكية نزلت في مكة.

(٣) انظر: لسان العرب: ٥٤/١٠.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢١٧/٥.

(٥) قوله تعالى: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ ، يقال للاثنين: هاؤما اقرءا، وفيها لغات. والأصل: هاكم اقرؤوا، فحذفوا الكاف، وأبدلوا الهمزة، وألقوا حركة الكاف عليها. انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص: ٤٢٠.

قال المفسرون: إنما يقول: هذا سرور بنجاته، وثقةٌ بسلامته[١]. ومعنى: ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ ﴾ أيقنت في الدنيا، وآمنت بالحساب والبعث بعد الموت، فكان ذلك سبب نجاتي، وإعطائي كتابي/ بيميني. أ/٢٣٣

ومعنى قوله: ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي: في حالة من العيش مرضية.

قال أبو هريرة وأبو سعيد رضي الله عنهما: يرفعانه إلى النبي ﷺ ((إنهم يعيشون فلا يموتون، ويصِحُّون فلا يمرضون أبداً، وينعمون فلا يرون بؤساً أبداً، ويشبُّون فلا يهرمون أبداً))[٢].

﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾، مرتفعةِ المكان والمنازل والدرجات والأشجار.

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ ثمارها قريبة ينالها القاعد.

يقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا ﴾ صفةُ مصدر محذوف تقديره أكلاً وشرباً.

﴿ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ أي بما قدَّمتم في الأيام الماضية من الأعمال الصالحة.

وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد من زيادات ابنه عبد الله بإسناده، عن أبي يوسف[٣] يعقوب الحنفي صاحب أبي حنيفة قال: بلغنا أن الله تعالى يقول يوم

---

(١) وذكر مقاتل أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد. انظر: زاد المسير: ١١١/٨.

(٢) لم أهتدِ إلى تخريج هذا الخبر. وقد ذكره القرطبي حديثاً صحيحاً مرفوعاً دون إسناد. والذي في صحيح مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً. فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾)). انظر: صحيح مسلم: كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب في دوام نعيم أهل الجنة: ٢١٨٢/٤، رقم الحديث: ٣٨٣٧، تفسير القرطبي: ٢٧١/١٨.

(٣) وردت في الأصل: (يوسف بن يعقوب)، وهو خطأ. والصحيح أنه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب. القاضي الإمام. من ولد سعد بن حبتة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ. أخذ الفقه عن أبي حنيفة ﷺ، وهو المقدم من أصحابه جميعاً. ولي القضاء للهادي والمهدي والرشيد. وهو أول من سمِّي قاضي القضاة، وأول من اتخذ للعلماء زياً خاصاً. وثَّقه أحمد وابن معين والمديني. روي عنه أنه قال: ما قلت قولاً خالفت فيه أبا حنيفة إلا وهو قول قاله ثم رغب عنه. قيل: إنه أول من وضع الكتب في أصول الفقه. من تصانيفه: الخراج، أدب القاضي، الجوامع. انظر: الجواهر المضية: ص: ٢٢٠ــ٢٢٢، وتاريخ بغداد: ٢٤٢/١٤، والبداية والنهاية: ١٨٠/١٠.

القيامة: يا أُولاءِ طال ما نظرت إليكم في الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وقد غارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية[1]، والله أعلم.

---

(١) لم أقف على توثيق هذا النص من زيادات عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب الزهد.

سورة المعارج

وهي أربعة وأربعون آية[١]، مكيَّة بإجماعهم.

٢٣٣/ب

قال الله تعالى:/ ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ ﴾

قال أكثر المفسرين: السائل النضر[٢] بن الحارث، والذي سأله قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢ ﴾[الأنفال][٣].

وقال الربيع بن أنس: هو أبو جهل، وكان ذلك على وجه الاستهزاء، ولمَّا كان السؤال متضمِّناً معنى الدعاء عدّاهُ تعديتَهُ[٤]، فقال: ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ كأنه قيل: دعا داعٍ بعذاب نازلٍ لأجلهم. فعلى هذا تكون الباء زائدة[٥].

وقيل: هي بمعنى عن، كقوله: ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩ ﴾[الفرقان] أي عنه[٦].

قال الحسنُ وقتادةُ: كان هذا بمكة، لمَّا بعث الله تعالى محمداً ﷺ إليهم، وخوَّفهم

---

(١) هي ثلاث وأربعون آية في عدِّ الشامي، وأربع وأربعون آية في عدِّ الباقين. واختلافها آية: ﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ، لم يعدّها الشامي وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٥٤، وبصائر ذوي التمييز: ١/٤٨٠.

(٢) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار القرشي العبدري، مِن مسلمة الفتح، وليست له رواية. ذكر ابن الأثير في أسد الغابة أن النضر قتل كافراً بإجماع أهل السير حين أمر رسول الله ﷺ علياً بقتله بالصفراء بعد قفوله من بدر، حيث كان شديداً على المسلمين. وهو أخو النضير بن الحارث الذي أعطاه النبي ﷺ مئة من الإبل يوم حنين، والذي هاجر إلى الحبشة، ثم قدم مكة فارتد، ثم أسلم يوم الفتح أو بعده، واستشهد باليرموك. وهذا مسلك مَن جمع بين الاسمين وبيَّن أنهما واحد. انظر: الإصابة: ٦/٤٣٠، رقم الترجمة: ٨٧١٧، و: ٦/٤٣٦، رقم الترجمة: ٨٧٢٦. وأسد الغابة: ٤/٥٢٠، رقم الترجمة: ٥٢١١، و: ٤/٥٢٦، رقم الترجمة: ٥٢٢٢.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١٥/٨٥.

(٤) أي تعدَّى الفعل إلى معمول بحرف الجر.

(٥) اشتهر اصطلاح حرف الصلة في القرآن الكريم للحرف الزائد لغة وإعراباً، كما في هذه الباء. وهو من باب الأدب مع كلام الله عزَّ وجلَّ. إذ لا يوجد في القرآن الكريم حرف زائد.

(٦) وكقول علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب

بالعذاب، فقال بعضهم لبعض: مَن أهل هذا العذاب؟ سَلُوا محمداً لمَن هو؟ فقال الله: للكافرين.

وقوله: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: بعذاب واقع من الله، أو يتصل بدافع، على معنى: ﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ من الله إذا جاء وقته، ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ جمع معرجٍ. قال قتادة: ذي الفضائل العالية. وقيل: ذي الدرجات العالية يُعطيهنَّ من يشاء من خلقه.

و ﴿ ٱلرُّوحُ ﴾ هو جبريل في قول جمهور أهل التفسير(١).

﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾/ قال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش، ساروا خمسين ألف سنة، قبل أن يقطعوه. ٢٣٤/أ

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما] وجمهور المفسرين: يعني: يوم القيامة.

قلتُ: يؤيده ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري [ﷺ]، قال: ((قيل لرسول الله [ﷺ] في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن، حتى يكون أخفَّ عليه من صلاةٍ مكتوبةٍ يصليها في الدنيا))(٢).

وهذا مقدار ما بين البعث إلى الفصل بين العباد، وإلا فهو يوم لا آخر له، والله أعلم.

وقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ ﴾ لأن ذلك كان منهم لرسول الله ﷺ على سبيل التهكُّم والهُزْءِ، وذلك مما يوجب ملالته وتألُّمَه، فأمره بالصبر عليه.

والشاهد في الباء: (بالنساء)، بمعنى (عن). والمعنى: فإن تسألوني عن النساء. والبيت من قصيدته المشهورة التي قالها في مدح الحارث ملك الغساسنة بعد وقعة يوم حليمة، والتي بدأها بقوله:

(طحا بك قلب في الحِسان طروب)

والأدواء جمـــع داء. ويريد هنا: طباعهن الخفية التي هي بمنزلة المرض فيهن. يقول: إنه خبير بطباع النساء وبوسائل معالجتهن. انظر: المحرر الوجيز: ٨٥/١٥.

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٨٨/١٥.

(٢) انظر: مسند أحمد: ٢٣٧/١٠، رقم الحديث: ١١٦٥٧، وإسناده ضعيف لتفرد ابن لهيعة ودراج، ولذا قال عنه الترمذي في سننه: (حديث غريب). انظر: سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر: ٤٢٨/٥، رقم الحديث: ٣٣٧٦. عن قتيبة عن ابن لهيعة عنه به بلفظه.

ثم وصف ذلك الصبر بالصبر الجميل، هو الذي لا جزع فيه ولا أذى معه، ولا شكوى إلى الناس.

وقد فسرناه في سورة يوسف عليه السلام[1]، والله أعلم.

---

(١) انظر: الصفحة: ١٠٤ــ١١٥ من الكتاب.

سورة نوح عليه السلام

ثلاثون آية[١]، وهي مكيَّة بإجماعهم.

فإن قلت: كيف قال نوح: ﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾/ والجهر هو الإعلان[٢]. ٢٣٤/ب

قلت: ﴿ جِهَارًا ﴾ مصدر في موضع الحال، أو صفة مصدر تقديره: دعوتهم دعاءً جهاراً. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: بأعلى صوتي.

﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ ﴾ ، قال بعض أهل المعاني: افتتح المناصحة في السرِّ، فلمَّا لم يقبلوا ثنَّى بالمجاهرة، فلمَّا لم تؤثِّر ثلَّث بالجمع بين الإسرار والإعلان. ومعنى: ﴿ ثُم ﴾ الدلالة على تباعد الأحوال[٣]، والله أعلم.

ومعنى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ توبوا إليه من المعاصي، ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ أي: كثيرة الدرِّ.

قال الشعبي: خرج عمر بن الخطاب ﷺ يستسقي، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقالوا له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح[٤] السماء التي بها يُستنزل القطر. ثم قرأ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ الآية.

---

(١) هي ثمان وعشرون آية في عدّ الكوفي، وتسع وعشرون آية في عدّ البصري والشامي، وثلاثون آية في عدّ المدنيين والمكي. واختلافها أربع آيات؛ ﴿ وَلَا سُوَاعًا ﴾ ، لم يعدّها الكوفي، وعدَّها الباقون. ﴿ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ، عدَّها المدني الأخير، ولم يعدّها الباقون. ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾ ، عدَّها المدني الأول والمكي، ولم يعدَّها الباقون. ﴿ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ ، لم يعدّها الكوفي، وعدَّها الباقون. انظر: البيان ص: ٢٥٥، وبصائر ذوي التمييز: ٤٨١/١.

(٢) انظر: لسان العرب: ١٥٠/٤.

(٣) انظر: الكشاف: ٦١٦/٤.

(٤) مجاديح السماء: أنواؤها. يقال: أرسلت السماء مجاديحها، والمفرد: مجدح، وهو نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنها تمطر به. وعمر ﷺ أراد بقوله أن يبطل الأنواء، وأن يكذب بها، وأن يقول لهم: إن الاستغفار هو الذي يستسقى به، وليست النجوم. انظر: المحرر الوجيز: ١١٥/١٥، ولسان العرب: ٤٢١/٢.

وشكا رجل إلى الحسن[١] الفقر، وآخرُ قِلَّةَ ريع أرضه، وآخرُ الجدبَ، فأمرهم كلَّهم بالاستغفار، فقيل له في ذلك، فتلا هذه الآية[٢].

وقوله: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ قال أهل التفسير: حبس الله القطر عنهم، وقطع نسلهم ونسل دوابهم أربعين سنة[٣].

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ أبدل بساتينكم وأنهاركم، فإنها كانت قد/ هلكت ويبست.

أ/٢٣٥

---

(١) أي: الحسن البصري.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١١٦/١٥.

(٣) انظر: تفسير الكشاف: ٦١٧/٤.

سورة قل أوحي[١]

ثماني وعشرون آية[٢]، مكية بإجماعهم. وقد ذكرتُ قصة الجنِّ في آخر الحواميم[٣].

---

(١) واسمها المشهور: سورة الجن، لاشتمالها على أخبار الجن. انظر: بصائر ذوي التمييز: ١/٤٨٤.

(٢) هي ثمان وعشرون آية في جميع العدد. واختلافها في آيتين؛ ﴿ لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾ ، عدَّها المكي دون غيره. ﴿ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ ، لم يعدَّها المكي، وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٥٦، وبصائر ذوي التمييز: ١/٤٨٤.

(٣) ارجع إلى الصفحات: ٣٧٤ــ٣٧٨ من الكتاب، (سورة الأحقاف)، حيث ذُكِرَت قصة الجن مفصلاً. وارجع أيضاً إلى الورقة: ١٨٢/أ ــ١٨٢/ب، حيث ذكر فيها معنى الحواميم.

سورة المزمل عليه السلام

عشرون آية[١]، وهي مكيَّة إلا قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ إلى آخر السورة.

والمزمِّل هو الذي تزمَّل في ثيابه، أي: تلفَّف فيها[٢]. وقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ ما كان تزميله ذلك؟ قالت: كان مرطاً[٣] أربع عشرة ذراعاً؛ نصفه عليَّ وأنا نائمة، ونصفه على رسول الله ﷺ وهو يصلِّي. قال أبو عبد الله الجدلي[٤]: فسألتها: ما كان؟ فقالت: والله ما كان خزّاً ولا من عزٍّ[٥] ولا إبريسم، ولا صوف. كان سداه شعراً، ولُحمته وبراً.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ...﴾ أي: قمه مصلياً. والأمر به يقتضي وجوب قيام الليل عليه ﷺ.

وقوله: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ...﴾ تقديره: قم الليل نصفه إلا قليلاً. فنصفه بدل من الليل، كما تقول: ضربت زيداً رأسه. و﴿ قَلِيلًا ﴾ استثناء منه، قدَّم المستثنى

---

(١) هي ثماني عشرة آية في المدني الأخير، وتسع عشرة في المكي بخلاف عنه وفي البصري، وعشرون في عدِّ الباقي، وفي المكي من رواية أبي عمرو الداني. واختلافها أربع آيات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ، عدَّها الكوفي والمدني الأول والشامي، ولم يعدّها الباقون. ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ ﴾ عدَّها المكي فقط. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ ، لم يعدَّها المكي بخلاف عنه، وعدَّها الباقون، وهو الصحيح عن المكي.﴿ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ لم يعدّها المدني الأخير، وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٥٧، وبصائر ذوي التمييز: ٤٨٦/١.

(٢) انظر: لسان العرب: ٣١١/١١.

(٣) المِرْط: كساء من خزٍّ أو صوف أو كتان، وقيل: هو الثوب الأخضر، وقيل: كل ثوب غير مخيط. وفي الحديث: ((أنه كان ﷺ يصلّي في مروط نسائه)). أي: أكسيتهن. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣١٩/٤، ولسان العرب: ٤٠١/٧.

(٤) أبو عبد الله الجدلي الكوفي واسمه عبد بن عبد، وقيل: عبد الرحمن بن عبد. روى عن عائشة وغيرها، وثّقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي، وقال ابن حجر: ثقة رُمِي بالتشيع، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة، وقال: يستضعف في حديثه، وكان شديد التشيع. انظر: تهذيب الكمال: ٢٤/٣٤، رقم الترجمة: ٧٤٧١، وتقريب التهذيب: ص: ٦٥٤.

(٥) هكذا وردت في الأصل: (عزّ)، ولم أهتدِ لمعناها، ولا إلى ما يقربها من السياق. ولعلها: (بزٌّ)، لأن الكلمتين غالباً ما تذكران مع بعضهما. والبزُّ: الثياب، أو متاع البيت من الثياب. انظر: لسان العرب: ٣١٢/٥

٢٣٥/ب

على المستثنى منه، والضمير/ في: ﴿ مِنْهُ ﴾ و﴿ عَلَيْهِ ﴾ للنصف، والتخيُّر بين أمرين؛ هما: القيام أقل من نصف الليل، أو الزيادة على النصف.

﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝٤ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: بيِّنه تبيُّناً.

وسُئِلَت عائشة ــ رضي الله عنها ــ عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: ((لا كسردكم هذا، لو أراد السامع أن يعدَّ حروفه لعدَّها))(١).

قال سعيد بن هشام: قلت لعائشة ــ رضي الله عنها ــ، أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ ؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أولِ هذه السورة، فقام نبي الله وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أتى أمر الله في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضةٍ(٢).

وقوله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥ ﴾ يريد القرآن. وثقلُهُ ما كان يجده عند نزول الوحي. وقوله: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ يعني: ساعاتِه.

قال أهل التفسير واللغة: الليل كلُّه ناشئة(٣).

وقالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ: الناشئة القيام بعد النوم. وإلى هذا المعنى ذهب الإمام أحمد(٤).

---

(١) في رواية لأبي داود: ((كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل وترسيل)). انظر: سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام: ٤/٢٦٠، رقم الحديث: ٤٨٣٨. وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن أبي مليكة عن بعض أزواج النبي ﷺ أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ فقالت: ((إنكم لا تستطيعونها، فقيل لها: أخبرينا بهذا، فقرأت قراءة ترسلت فيها)). وروى أنس أن النبي ﷺ ((كان يمدُّ صوته بالقراءة مدّاً)). انظر: المحرر الوجيز: ١٥/١٥٧.

(٢) هذا جزء من حديث طويل جداً أخرجه مسلم. انظر: صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض: ١/٥١٢، رقم الحديث: ٧٤٦.

(٣) انظر: زاد المسير: ٨/١٣٩، والقاموس المحيط: ص: ٦٨.

(٤) هذا قول عائشة وابن الأعرابي، وقد نص عليه الإمام أحمد في رواية المروذي. انظر: تفسير القرطبي: ١٩/٤٠، وزاد المسير: ٨/١٣٩.

وقوله: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦ ﴾ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو: (وِطْئَاً) بكسر الواو[١]، مصدر واطأ يُواطئُ وِطئاً.

والمعنى:/ إن ناشئة الليل هي خاصة دون ناشئة النهار، أشد مواطاةً، يُواطئ قلبُهُ لسانَهُ. ٢٣٦/أ

وفي الحديث: ((اللهم اُشدد وطأتك على مضر))[٢].

ومعنى: ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ أشدُّ مقالاً، وأصحُّ قراءة، لهدوء الأصوات، وسكون القلوب، وعدم الشواغل.

وقوله: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝٨ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: فراغاً لنَوْمك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك.

وقرأ ابن مسعود [ﷺ]: (سبخاً) بالخاء المعجمة[٣]، وهو قريب من معنى (السبْح).

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها: (وِطَاءً)، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: (وَطْئاً) بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة من غير مد. وإذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة إلى الطاء فحركها على أصله. (وكلهم هَمَز) انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٥٨، والكشف: ٣٤٤/٢، والنشر: ٢٩٣/٢.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ ((كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول: اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف. وإن النبي ﷺ قال: غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله)). قال ابن أبي الزناد عن أبيه: هكذا كله في الصحيح. انظر: صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء وخروج النبي ﷺ في الاستسقاء: ٣٠٤/٢، رقم الحديث: ١٠٠٦، وفي كتب أحاديث الأنبياء والجمعة والأذان والدعوات والأدب والجهاد وتفسير القرآن والإكراه. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة: ٤٦٧/١، رقم الحديث: ٦٧٥.

(٣) وكذا قرأها يحيى بن معمر. انظر: المحرر الوجيز: ١٥٩/١٥.

ومنه قول النبي ﷺ لعائشة ــ رضي الله عنها ــ، وقد دعت على سارق سرقها: ((لا تسبِّخي بدعائك عليه))[١]، أي: لا تخففِّي[٢].

والتسبيخ[٣]: توسيع القطن والصوف، ونفشها. يُقال للمرأة: سبِّخي قطنك. ويُقال لقطع القطن إذا نُدِف: (سبايخ).

قال الأخطل يصف القنَّاصَ والكلاب:

فأرسلوهُنَّ يُذْرِين التُرابَ كما تذري سبايخَ قُطنٍ نَدْفُ أوتارِ[٤]

قال ثعلب: ومنه قول النبي ﷺ: ((إن الحمَّى من فيح جهنَّم/، فسبِّخوها بالماء))[٥]. ٢٣٦/ب

ومعنى: ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ أي: انقطع إلى الله في العبادة. ومنه قيل لمريم: (البتول)[٦].

---

(١) الحديث جاء بروايتين: عن عائشة قالت سرقت ملحفة لها فجعلت تدعو على من سرقها فجعل النبي ﷺ يقول: ((لا تُسَبِّخِي عنه)). قال أبو داود: لا تسبخي أي لا تخففي عنه حساب الآخرة، لأنه إذا عجل له الحساب في الدنيا خفف عنه في الآخرة. أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب الدعاء: ٢/٨٠، رقم الحديث: ١٤٩٧، وكتاب الأدب، باب فيمن دعا على ظالم: ٤/٢٧٨، رقم الحديث: ٤٩٠٩. وعن عائشة قالت سرقت مخنقتي فدعوت على صاحبها فقال النبي ﷺ: ((لا تُسَبِّخِي عليه دعيه بذنبه)). إسناده صحيح. انظر: مسند أحمد: ١٨/٥٦، رقم الحديث: ٢٥٦٧٤. ومنه قول الشاعر:

فسبِّخ عليك الهمَّ واعلم أنه إذا قدَّر الرحمن شيئاً فكائن

(٢) لا تخففي عنه الإثم الذي استحقه بالسرقة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/٣٣٢.

(٣) انظر: لسان العرب: ٣/٢٣.

(٤) الشاعر: الأخطل التغلبي. انظر: شرح ديوان الأخطل التغلبي: في وصف الصيد: ص: ٧٨.

(٥) أخرجه الشيخان بروايات عديدة بلفظ: ((الحمى من فيح جهنم، فابرُدُوها بالماء)). وفي رواية: ((فأطفئوها بالماء)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم: ٧/٢٦، رقم الحديث: ٥٧٢٣، ٥٧٢٥. وكتاب بدء الخلق، باب صفة النار: ٤/٤٢٩، رقم الحديث: ٣٢٦١، ٣٢٦٣، ٣٢٦٤. ورواية مسلم بلفظ: (فابْرُدُوها)، بهمزة وصل وضم الراء. قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيق صحيح مسلم: وهذا الذي ذكرناه من كونه بهمزة وصل وضم الراء هو الصحيح الفصيح المشهور في الروايات وكتب اللغة وغيرها. وحكى القاضي عياض في المشارق أنه يقال: بهمزة قطع وكسر الراء: (فأبْرِدوها) في لغة. وقد حكاها الجوهري وقال: هي لغة رديئة. انظر: صحيح مسلم: كتاب السلام، باب لكل داء دواء: ٤/١٧٣١، رقم الحديث: ٢٢٠٩.

(٦) البتول من النساء: العذراء المنقطعة عن الرجال لا أرب لها فيهم. وسميت مريم أم المسيح عليه السلام العذراء البتول لتركها التزويج، والانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ عن الدنيا. وقد ردَّه الإسلام لمنافاته الفطرة

وقوله: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: (ربِّ) بالجرِّ على البدل من ربِّك.

وقرأ الباقون بالرفع على المدح(١).

وقوله: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ ﴾ أي: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ من الأذى، ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ لا جزع فيه. وهذا قبل الأمر بالقتال(٢)، والله أعلم.

البشرية. أخرج الترمذي عن سمرة ﷺ: ((أن النبي ﷺ نهى عن التبتل)). قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، وروى عن عائشة عن النبي ﷺ نحوه، ويقال: كلا الحديثين صحيح. انظر: سنن الترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في النهي عن التبتل: ٣٩٣/٣، رقم الحديث: ١٠٨٢، ورواه النسائي في السنن: كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل: ٦٠/٦، رقم الحديث: ٣٢١٢، ٣٢١٣، ٣٢١٤،٣٢١٦. وأخرجه الدارمي في سننه عن عائشة رضي الله عنها. كما أخرج أيضاً عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: لما كان من أمر عثمان ابن مظعون ﷺ الذي كان من ترك النساء، بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: ((يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟ قال: لا يا رسول الله، قال: إن من سنتي أن أصلي وأنام، وأصوم وأطعم، وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني. يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً)). قال: سعد فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أن رسول الله ﷺ إن هو أقرَّ عثمان على ما هو عليه أن نختصي فنتبتل. انظر: سنن الدارمي: كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل: ١٧٨/٢ــ١٧٩، رقم الحديث: ٢١٦٨، ٢١٦٩، ولسان العرب: ٤٣/١١.

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم: (ربُّ المشرق)، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بكسر الباء: (ربِّ المشرق). انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٥٨، والكشف: ٣٤٥/٢، والنشر: ٢٩٤/٢.

(٢) قوله: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ قيل: هي موادعة منسوخة بآية السيف، والمراد بالآية قريش. وقال بعض العلماء: قوله تعالى: ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ منسوخ، وأن الصبر على ما يقولون فقد يتوجه أحياناً، ويبقى حكمه فيما يتوجه من الهجر الجميل بين المسلمين. قال أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه قوم، وإن قلوبنا لتلعنهم.. والقول الأول أظهر، لأن الآية إنما هي في كفار قريش، وردِّهم لرسالته، وإعلامهم بذلك، ولا يمكن أن يكون الحكم في هذا المقام باقياً. وقال أبو جعفر النحاس: كان هذا قبل أن يؤمر بالقتال، ثم أُمِر بعدُ بقتالهم وقتلهم، فنسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك. وقال ابن العربي: نسخ الصبر والترك بآيات القتال، ونسخ الهجر والإعراض وأمر بالإقبال بالقتال والقتل، والهجر الجميل الذي كان مأموراً بها هو الإعراض المجرد من غير تعرض لإذاية، ولا إشارة إلى ولاية. انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ص: ٧٥٥، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن العربي: ٤٠٣/٢، والمحرر الوجيز: ١٦١/١٥.

سورة المدَّثِّر[١]

روينا في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((جاورت بِحِرَاء[٢] شهراً، فلما قضيت جواري[٣] نزلت فاستبطنت[٤] بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء ــ يعني جبريل [عليه السلام] ــ، فقلت: دثِّروني دثِّروني، فصبُّوا عليَّ ماءً، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ ﴾))[٥].

وهذه السورة من أول ما نزل.

---

(١) خمس وخمسون آية في عدّ المدني الأخير والمكي والشامي، وست وخمسون في عدد الباقين. اختلافها في آيتين: ﴿ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ ، لم يعدّها المدني الأخير، وعدَّها الباقون. ﴿ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ ، لم يعدّها المكي والشامي وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٥٨، وبصائر ذوي التمييز: ٤٨٨/١.

(٢) حراء: جبل معروف من جبال مكة على بعد ثلاثة منها، كان النبي ﷺ يتعبد في غار من هذا الجبل، قبل أن يأتيه الوحي. وفيه أتاه جبريل، ويقابله ثبير، وهو جبل شامخ يقابل حِراء. وحراء أرفع من ثبير، في أعلاه قلة شامخة زلوج، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله: ﷺ ((اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم)). وليس به نبات ولا في جميع جبال مكة إلا شيء يسير من الضهياء يكون في الجبل الشامخ، وليس في شيء منها ماء. ويليها جبال عرفات، ويتصل بها جبال الطائف، وفيها مياه كثيرة. انظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير: ١٨٨٠/٤، رقم الحديث: ٢٤١٧، ومعجم البلدان: ٢٣٣/٢.

(٣) جواري: أي: مجاورتي. والمجاورة: الاعتكاف في المسجد. وكان ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان، أي: يعتكف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣١٣/١، ولسان العرب: ١٥٦/٤.

(٤) استبطنت: أي دخلت إلى بطن الوادي. انظر: لسان العرب: ٥٥/١٣.

(٥) أخرج الشيخان في الصحيحين بسندهما عن يحيى قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن نزل أوّل؟. فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ . فقلت: أُنبئت أنه ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ . فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ ، فقلت: أُنبئت أنه ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ . قال رسول الله ﷺ: ((جاورت في حراء، فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، وصبُّوا عليَّ ماءً بارداً، وأنزل عليَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾)). انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب وربك فكبر: ٣٨٤/٦، رقم الحديث: ٢٩٢٤. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بدء الوحي: ١٤٣/١، رقم الحديث: ١٦١/٢٥٥.

واختلف العلماء في الشهر الذي ابتدأ فيه رسول الله ﷺ بالوحي؛ فقال أبو هريرة [رضي الله عنه]: نزل جبريل على النبي ﷺ بالرسالة يوم سبعة وعشرين من رجب[١]،/ وهو أول يوم هبط فيه. وقال ابن إسحاق: ابتدأ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان[٢]. أ/٢٣٧

فأما اليوم الذي ابتدأ فيه الوحي؛ فقد روى مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: ((فيه وُلِدت وفيه أُنزِل عليَّ))[٣].

وفي هذه أمر الله نبيَّه بالصبر، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾ الأكثرون: على أنه من التدثير بالثياب. ﴿ قُم ﴾ من مضجعك، وشمِّر في الإنذار لكفار مكة وغيرهم، وحذِّرهم عقوبة ربهم إن لم يؤمنوا. ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴾ أي: عظِّم. ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾ قال مجاهد وقتادة: نفسك فطهِّر من الذنوب[٤].

قال ابن قتيبة: كنَّى عن الذنوب إلى الجسم بالثياب، لأنها تشتمل عليه[٥]، واستدلوا بقول عنترة:

فشككتُ بالرُّمحِ الأَصَمِّ ثيابَه ... ليسَ الكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ[٦]

---

(١) روي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصح شيء من ذلك. فروي أن النبي ﷺ ولد ول ليلة منه، وأنه بعث في السابع والعشرين منه، وقيل: في الخامس والعشرين. ولا يصح شيء من ذلك. انظر: لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي: ص: ١٤٢ــ١٤٣.

(٢) انظر: تهذيب سيرة ابن هشام: ٦٢/١.

(٣) انظر: صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر: ٨١٨/١، رقم الحديث: ١١٦٢/١٩٨.

(٤) انظر: زاد المسير: ١٤٦/٨، وتفسير ابن كثير: ٦٩٠/٤.

(٥) قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ ﴾ أي: طهِّر نفسك من الذنوب. فكنَّى عن الجسم بالثياب، لأنها تشتمل عليه. انظر: تأويل مشكل القرآن: ص: ١٠٧.

(٦) البيت من البحر الكامل. ويروى: **فشككت بالرمح الطويل إهابه**

ومعنى فشككت: أي انتظمت. وثيابه: أي درعه، وقيل: قلبه، وقيل: بدنه. انظر: شرح ديوان عنترة: ص: ١٢٤.

وهذا قريب من قول من قال: وعملك فاصلح. قال السُدِّيُّ: يقال للرجل إذا كان صالحاً: إنه لطاهر الثياب. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: المعنى: لا تكن ثيابك من كسب غير طاهر.

وقيل: أمَرَه بتطهير ثيابه من النجاسات التي لا تجوز معها الصلاة. وقيل: المعنى: وقلبك/ وإن كان طاهراً فزده تطهيراً. وقيل: معناه: وثيابك فقصِّر، ﴿ وَٱلرُّجْزَ﴾ الأوثان. ﴿ فَٱهْجُرْ﴾. وقيل: الرجز الإثم.

٢٣٧/ب

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ قال المفسرون: المعنى: لا تُعطِ شيئاً لتُعطى أكثر منه. وهو من خصائص النبي ﷺ[1]، وليس على إنسان إثمٌ أن يُهدي هدية يرجو بها ما هو أكثر منها.

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ أي: لأجل ربك، ولثواب ربك فاصبر على أذى المشركين، والقيام بأعباء الرسالة، وكلِّ ما شُرِع الصبر عليه.

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة. انظر: زاد المسير: ١٤٧/٨، والمحرر الوجيز: ١٥/ ١٧٦.

سورة القيامة[١]

قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ ﴾.

نزلت في عمر[٢] بن ربيعة، وذلك أنه أتى النبي ﷺ، فقال: حدِّثني عن يوم القيامة، متى يكون؟ وكيف يكون؟ وكيف هولها؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك، فقال: لو عاينت ذلك اليومَ لم أصدِّقك، ولم أُومن. أوَ يجمع الله[٣]؟ فنزلت، والله أعلم.

---

(١) أربعون آية في عدِّ الكوفي، وتسع وثلاثون في عدِّ الباقي. اختلافها في آية: ﴿ لِتَعۡجَلَ بِهِۦ ﴾، عدَّها الكوفي، ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٥٩، وبصائر ذوي التمييز: ١/٤٩٠.

(٢) وردت في الأصل: (عمير)، وهو تصحيف. والصواب: (عمر). انظر: أسباب النزول للواحدي: ص: ٣٢١.

(٣) تتمة العبارة في أسباب النزول: (أوَ يجمع الله هذه العظام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية).

سورة الإنسان[١]

٢٣٨/أ

وفيها ذكر للصابرين الأبرار، فقال تعالى:/ ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ ﴾.

﴿ ٱلْأَبْرَار ﴾ جمع بَرٍّ. قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرَّ، ولا يرضَون الشرَّ. قال ابن كيسان: لا يُقال: كأس إلا لِمَا فيه نبيذ، ولا مائدة إلا وعليها طعام، وإلا فهي خوان.

والمزاج: ما يُمزج به الخمر[٢]، وهي أيضاً مزاج[٣] لهم. قال بعض الناس: المزاج نفس الكافور، وتختم بالمسك.

وقوله: ﴿ عَيْنًا ﴾ هو بدل من قوله: ﴿ كَافُورًا ﴾ وقيل: مفعول بقوله: يشربون ماء هذه العين من كأس عطرة كالكافور. وقيل: نَصْبُ (عين) على المدح، أو بإضمارٍ (أعني).

﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ هو خصوص للمؤمنين المتنعمين في الجنة. ﴿ يُفَجِّرُونَهَا ﴾ قال الثعلبي: قيل: عينٌ في دار النبي ﷺ تفجِّر إلى دور الأنبياء والمؤمنين في الجنة. وهذا أحسن ما قيل في ذلك[٤].

---

(١) إحدى وأربعون آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. وتسمى أيضاً: سورة الدهر، وسورة هل أتى. انظر: البيان: ص: ٢٦٠، وبصائر ذوي التمييز: ٤٩٣/١.

(٢) انظر: لسان العرب: ٣٦٧/٢.

(٣) وردت في الأصل: (مراج) بالراء مرتين، ولم أقف على معنى لها. والصواب: (مزاج) بالزاي. قال في التاج: ومزاج الخمر كافوره: يعني ريحها لا طعمها. انظر: تاج العروس: ٢١٤/٦.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٦/١٥.

ثم وصف تعالى الأبرار بأنهم كانوا: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ أي: بكل النذر. واليوم المشار إليه هو يوم القيامة. و﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾/ معناه: متصلاً شائعاً. ٢٣٨/ب

والضمير في قوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ يعود على الطعام، أي وهو محبوب للفاقة والحاجة. قاله ابن عباس [رضي الله عنهما]. وقيل: على الله، والأول أمدح، لأن فيه الإيثار(١).

والإطعام لمرضاة الله قد يفعله الأغنياء. ﴿ مِسْكِينًا ﴾ وهو الطوَّاف. و(اليتيم) الذي لا أب له من الناس، والذي لا آمر له(٢) من البهائم. وهي صفة قبل البلوغ(٣). و(الأسير) معروف(٤).

وهذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب [كرم الله وجهه] استؤجر بشيء من الشعير لسقي نخل ليلةً، حتى أصبح وقبض الشعير، وطحن ثلثه، وجعل منه شيئاً يقال له: (الحريرة). فلما تمَّ نضاجُه، جاء مسكين فأخرجه إليه، ثمَّ تمَّ نضاج الثلث الثاني، فجاء يتيم فأخرجه إليه، ثمَّ تمَّ عمل الثلث الثالث، فجاء أسير من المشركين فسأله، فأخرجه إليه(٥).

---

(١) انظر: زاد المسير: ١٦٨/٨.

(٢) أي: لا راعي له.

(٣) أخرج أبو داود في سننه بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: ((لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل)). انظر: سنن أبي داود: كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتيم: ٣/ ١١٤، رقم الحديث: ٢٨٧٣. ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بأنه حسن. انظر: فيض القدير: ٤٤٤/٦، رقم الحديث: ٩٩٤٧.

(٤) الأسير: الأخيذ، وكل محبوس في قيد أو سجن أسير. وقد فسره النبي ﷺ بالمملوك والمسجون في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وقال قتادة: أراد أسرى الكفار وإن كانوا على غير الإسلام، لأن في كل كبد رطبة أجر. انظر: الدر المنثور: ٤٨٥/٦، والمحرر الوجيز: ٢٣٦/١٥ــ٢٣٨، ولسان العرب: ١٩/٤.

(٥) رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: زاد المسير: ١٦٨/٨، وأسباب النزول للواحدي: ص: ٣٢٢، والدر المنثور: ٢٩٩/٦.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ يقول لهم ذلك عند الإطعام؛ إما نطقاً، أو ينوي ذلك، ليقع أجره على الله بالنية الصالحة(١).

ثم وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازاً، أي: فيه عبسٌ ﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ أي: فيه غضبٌ. يقال: قمطر الرجل إذا جمع بين عينيه غضباً(٢)، ومنه قول الشاعر:

أ/٢٣٩

بَنِي عَمِّنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلاَءَنَا عليكُم إذا ما كان يَوْمٌ قُماطِرُ(٣) /

ففِرُّوا(٤) إذا ما الحرب ثار غبارها ولجَّ بها اليوم العبوس القماطِرُ(٥)

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ من الوقاية التي تُتقى بها المكاره، و(النضرة) جمال البشرة(٦).

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ على الطاعات، ومنعوا نفوسهم عن المحذورات ﴿ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ على السُّرر، وقد مضى تفسيره(٧)، والله أعلم.

---

(١) اتفق الفقهاء على أن النية والتمليك شرطان لصحة أداء الزكاة في كل أصنافها من مال أو طعام أو كساء أو نحوه. والنية محلها القلب، والتمليك شرط عملي، فلا تكفي الإباحة أو الإطعام إلا بطريق التمليك. ولا يلزم أن يُشعَر بها الفقير حفظاً لكرامته، ومراعاة لمشاعره، بل يملِّكه إياها ناوياً. انظر: رد المحتار على الدر المختار: ٨٥/٢، وأحكام القرآن لابن العربي: ٩٤٧/٢، والمهذب: ١٧١/١، والمغني: ٦٦٥/٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٢٤٠/١٥.

(٣) هذا البيت ذكره الفراء شاهداً على أن القماطر هو الشديد، وعنه ذكره المفسرون كالطبري: ٢١١/٢٩، والقرطبي: ١٣٥/١٩، وابن كثير: ٤٥٥/٤، وزاد المسير: ١٦٩/٨، والشوكاني في فتح القدير: ٣٤٨/٥. ولم ينسبه أحد إلى قائل معين. ويُروى: (هل تدركون) بدلاً من (تذكرون). والبلاء الاجتهاد وحسن الصنيع في الحرب. واليوم القماطر والمقمطر، والقمطرير هو الذي يقبِّض ما بين عينيه لشدته. انظر: معاني القرآن: ٣/ ٢١٦، ولسان العرب: ١١٧/٥، وتاج العروس: ٤٧٤/١٣.

(٤) وردت في الأصل: (نفروا)، وهو خطأ لا معنى له. والصواب: (ففروا).

(٥) (ثار غبار الحرب) كناية عن اشتداد المعركة، واحتدام القتال. (ولجَّ في الأمر): تمادى عليه، وأبى أن ينصرف عنه. ونسبة العبوس إلى اليوم تجوُّز. وهذا البيت في تفسير القرطبي: ١٣٥/١٩، وفتح القدير: ٥/ ٣٤٨، والبحر المحيط: ٣٩٢/٨. والمحرر الوجيز: ٢٤٠/١٥. وورد البيت أيضاً بلفظ:

ففروا إذا ما الحرب ثار غبارها وبجَّ بها اليوم الشديد القماطر

(٦) النضرة: النعمة والعيش والغنى والحسْن والرونق. وقال الحسن: النضرة في الوجوه، والسرور في القلوب. انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٦/١٥، وزاد المسير: ١٦٩/٨، ولسان العرب: ٢١٢/٥.

(٧) ارجع إلى الصفحة: (٣٣٢) من الكتاب عند شرح معنى (الأرائك).

سورة المرسلات

مكيَّة[1].

وفيها ذكرَ سبحانه وتعالى ما أعد الله تعالى للمؤمنين الصابرين من ظلالِ شجرِ الجنةِ وقصورِها.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾. يعني: ظلال شجر الجنة، وأكنان القصور، ﴿ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

يُقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ في الدنيا بطاعة الله، فمن أطاع الله كان مُحسناً إلى نفسه، بحُسن سيرته مع ربه، لأن نفع العبادة يعود على العابد، والمعبود غني/ عن خلقه، والله أعلم.

٢٣٩/ب

---

(١) خمسون آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٦١، بصائر ذوي التمييز: ١/٤٩٥.

سورة النبأ

أربعون آية[١] مكيَّة.

وفيها ذكر تعالى للمتقين الصابرين موضع فوزهم ونزهتهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾. يعني: إن للمتقين فوزاً وظفراً.

قال قتادة: فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة. ثم فسَّر ذلك الفوز؛ فقال: ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴾.

قال ابن قتيبة: الحدائق بساتينُ النخل، واحدها حديقة. وقال غيره: البساتين فيها أنواع الشجر المثمر.

والكواعب: النواهد، وقيل: العذارى.

قلت: وأيُّما كان فهو بُغية المتمنِّي.

قال ابن فارس اللغوي: يقال: كعبت المرأة كعابةً، فهي كاعبٌ، إذا نتأ ثديُها[٢]. والأتراب: اللدات[٣].

ومعنى: ﴿ دِهَاقًا ﴾ أي: وكأساً مملوءة صافيةً وأنشدوا:

لأنت إلى الفؤاد أحبُّ قوتاً ... من الصادي إلى كأسٍ دهاقِ

---

(١) إحدى وأربعون آية في البصري، وأربعون في عدِّ الباقين. اختلافها: ﴿ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ عدَّها البصري ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٦٢، وبصائر ذوي التمييز: ٤٩٧/١.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ١٨٦/٥، وتهذيب اللغة: ٣٢٥/١، ولسان العرب: ٧١٩/١.

(٣) التِّرب: اللدة والسن. يقال: هذه تِرْب هذه أي: لِدَتُهَا، وتِرْب الرجل الذي ولد معه، والجمع أتراب. وفسَّره ثعلب فقال: الأتراب هنا الأمثال، وهو حسن. إذ ليست هناك ولادة. انظر: لسان العرب: ٢٣١/١.

سورة عبس[١]

مكيَّة بإجماع.

قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ: نزلــت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾، في ابن[٢] أم مكتوم الأعمى، أتى إلى النبي ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجال من عظماء المشركين، فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخرين. فنزلت هذه الآية[٣].

فكان رسول الله ﷺ يكرمه، وإذا رآه قال: ((مرحباً بمن عاتبني فيــه ربــي))[٤].

---

(١) أربعون في عدّ الشامي، وإحدى وأربعون في عدّ أبي جعفر والبصري، واثنتان وأربعون في عدّ الباقين. اختلافها في ثلاث آيات؛ ﴿ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ لم يعدّها البصري والشامي، وعدَّها الباقون. ﴿ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ لم يعدّها أبو جعفر وحده، وعدَّها شيبة والباقون. ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ لم يعدّها الشامي وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٦٤، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٠٠.

(٢) عمرو بن أم مكتوم القرشي، ويقال: اسمه عبد الله. وعمرو الأكثر، وهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم. ويقال: كان اسمه الحصين فسمَّاه النبي ﷺ عبد الله. واسم أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله، وكان من المهاجرين الأولين بعد مصعب بن عمير، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في عامة غزواته يصلي بالناس . خرج إلى القادسية فشهد القتال، واستشهد هناك، وكان معه اللواء حينئذ، وقيل: بل رجع إلى المدينة فمات بها. روى عن النبي ﷺ. وحديثه في كتب السنن، وهو المذكور في سورة عبس، ونزلت فيه: ﴿ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ . انظر: الإصابة: ٤/٦٠٢، رقم الترجمة: ٥٧٦٨.

(٣) أخرجه الحاكم، وفيه: ((فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ . قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. انظر: المستدرك: ٢/٥٥٨، رقم الحديث: ١٠٣٤/٣٨٩٦.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ١٥/٣١٥، وزاد المسير: ٨/٢٠٠، وأسباب النزول للواحدي: ص: ٣٢٣.

سورة التكوير

مكيَّة[١] بإجماعهم.

روينا في صحيح الحاكم من حديث ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أحب أن ينظر في يوم القيامة فليقــرأ: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ ﴾[٢].

واختلفوا في معنى: ﴿ كُوِّرَتْ ﴾؛ فقال الأكثرون: هو من كورِ العمامة إذا لففتها[٣]، فالمعنى يلفُّ ضوؤُها فيذهب انبساطه في الآفاق، وهو أصح الأقوال، وقيل: يُرمى بها في البحر فتصير ناراً، وقيل: يُرمى بها في النار، وقيل: تُعاد إلى ما خُلقت منه، وقيل: هو من قولهم طعنه فكوَّرَه إذا ألقاه، فالمعنى: تُلقَى وتطرح من فَلَكِهَا.

---

(١) تسع وعشرون آية في جميع العدد إلا في عدِّ أبي جعفر فإنها ثمان وعشرون. اختلافها في آية: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ لم يعدّها أبو جعفر وحده، وعدَّها الباقون وشيبة. انظر: البيان: ص: ٢٦٥، وبصائر ذوي التمييز: ٥٠٣/١.

(٢) رواه الترمذي وحسنه، وأحمد والحاكم وصححاه، وابن المنذر والطبراني، وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾، و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾، و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾)). انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة إذا الشمس كورت: ٤٣٣/٥، رقم الحديث: ٣٣٣٣، والمستدرك: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾: ٥٦٠/٢، ومسند أحمد: ٤٥٥/٤، رقم: ٤٩٣٣، وفيه زيادة: ((وأحسبه قال: وسورة هود)).

(٣) الكور: لوث العمامة، يعني إدارتها على الرأس. انظر: لسان العرب: ١٥٥/٥.

سورة الانفطار

٢٤٠/ب

/ مكيَّة أيضاً[١].

ومعنى قوله: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ ﴾ أي انشقت، كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ... ﴾[الفرقان: ٢٥] .

---

(١) تسع عشرة آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٦٦، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٥٠٥.

سورة المطففين[١]

وهل هي مكيَّة أو مدنيَّة؟ على قولين؛ قال هبة الله[٢] المفسِّر: نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة[٣]، نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة.

والمطفِّف الذي لا يوفي الكيل. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾ فأحسنوا.

وقال السُّدِّيُّ: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان، يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر. فأنزل الله هذه الآية[٤].

ورُوِيَ عن ابن عباس [رضيْ الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: ((خمس بخمس، قالوا: يا رسول الله، وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلَّط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله عزَّ وجلَّ إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طفَّفوا الكيل إلا مُنِعوا من النبات، وأخذوا/ بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا احتبس عنهم القطرُ))[٥].

٢٤١/أ

---

(١) ست وثلاثون آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٦٧، وبصائر ذوي التمييز : ٥٠٦/١.

(٢) هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم. مفسر ضرير من أهل بغداد، وبها وفاته سنة ٤١٠هـ، ودفن في مقبرة جامع المنصور، حيث كانت له حلقة فيه. له كتب منها: الناسخ والمنسوخ في القرآن، الناسخ والمنسوخ في الحديث، المسائل المنثورة في النحو. انظر: غاية النهاية: ٣٥١/٢، وتاريخ بغداد: ٧٠/١٤، والأعلام: ٧٢/٨.

(٣) وهو قول الكلبي وجابر بن زيد. انظر: تفسير القرطبي: ٢٥٠/١٩، وفتح القدير للشوكاني: ٣٩٧/٥.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٣٥١/١٥، وأسباب النزول للواحدي: ص: ٣٢٦.

(٥) أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأُخذوا بالسِّنِينَ، ولا منعوا الزكـــاة إلا حبس عنهم القطـــر)). انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤٥٢/٣، رقم الحديث: ٣٩٤٥. ورمز له السيوطي بالصحيح.

وقال مالك بن دينار: دخلت على جارٍ لي، وقد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار، جبلين من نار، قلت: ما تقول أتهجرُ[١]؟ قال: يا أبا يحيى إن لي مكيالين، كنت أكيل بأحدهما، وأكتال بالآخر، قال: فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر، فقال: يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد وجعه عِظماً، فمات في مرضه.

وقال الفضيل بن عياض ــ رحمه الله ــ: بخسُ الميزان سواد الوجه يوم القيامة.

وقال نافع: كان ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ يمرُّ بالبائع فيقول: اتق الله وأوفِ الكيل والوزن، فإن المطففين، يوقَفُون يوم القيامة، حتى إن العرق ليلجمُهم إلى أنصاف آذانهم.

وفيها ذكرُ تشريف الأبرار بأنواع الكرامة، فقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ ﴾ روى البراء بن عازب ﷺ، أن النبي ﷺ قال: ((عليِّين في السماء السابعة تحت العرش))[٢]./

٢٤١/ب

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هو لوح من زبرجدة خضراء، معلق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيه.

وقال كعب [ﷺ]: في علوٍّ وصعودٍ إلى الله عزَّ وجلَّ. قال الزَّجَّاج: أعلى الأمكنة[٣]،

و ﴿ كَلَّآ ﴾ هنا متصل بما بعده بمعنى: حقاً. وفي: ﴿ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ.. ﴾[٧] ، معناه الردع[٤].

---

(١) يقال: هجر في نومه ومرضه هُجْراً وهِجِّيرَى وإهْجِيرَى: أي هذى. انظر: القاموس المحيط: ص: ٦٣٧، وتفسير القرطبي: ٢٥٣/١٩.

(٢) الحديث أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ﷺ بلفظ: ((عليون فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى)). انظر: الدر المنثور: ٥٤١/٦، ولم أقف عليه في مصنف عبد الرزاق.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٩٩/٥.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٩٨/٥.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ ﴾ قال صاحب الكشاف: ﴿ عِلِّيُّونَ ﴾ عَلَمٌ لديوان الخير الذي دُوِّن فيه كلُّ ما عملته الملائكة، وصُلَحَاءُ الثقلين، منقول من جمع عِلِّي، فِعِّيل من العلوِّ؛ كسجِّين من السجن. سُمِّي بذلك؛ إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة، حيث يسكن الأبرار(١).

وقيل: المراد بهذا الكتاب، كتاب أعمالهم، ككتاب الفجَّار، وقيل: هو كتابٌ في عليِّين، كتب هناك، فيه ما أعدَّ الله لهم من الكرامة، وهو معنى قول قتادة، مكتوب لهم بالخير في ساق العرش، يدلُّ على صحته.

قوله تعالى: ﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ ﴾ يعني الملائكة الذين هم في عليِّين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ ﴾ الأرائك: السرر، كما تقدم تفسيره(٢).

ومعنى ينظرون:/ أي: إلى ما أعد الله لهم من الكرامة، وقيل: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون في النار، لأن أهل الجنة لهم طاقات ورواشن(٣) يطَّلعون منها إلى أهل النار. قال الله تعالى: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥ ﴾ أي في وسط جهنم. | ٢٤٢/أ

وقوله: ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ ﴾ يعني بهجته ورونقه. ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ ﴾ الرحيق: الخمر الجيد في قول الجمهور.

وقال الحسن: هو أعين في الجنة مشوبة بالمسك. ومعنى: ﴿ مَّخْتُوم ﴾ أي: خُتِم ومُنِع من أن يمسَّه ماسٌ، أو تتناوله يد، حتى يفكّ(٤) ختمَه الأبرارُ في الجنة. وقيل: يمزج بالكافور، ويختم مزاجه بالمسك.

---

(١) انظر: الكشاف: ٢٣٢/٤.

(٢) سبقت الإحالة إليه. انظر: الصفحة: (٣٣٢) من الكتاب في تفسير معنى (الأرائك).

(٣) الرواشن مفردها: الروشن، وهي الكوَّة. انظر: الكشاف: ٢٣٣/٤، ولسان العرب: ١٨١/١٣.

(٤) وردت في الأصل: (يفتك)، وهو خطأ. والصواب: (يفك).

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ أي: فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة الموصلة إلى هذا النعيم المقيم.

وقوله: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨ ﴾ قال ابن مسعود [ﷺ]: هو عين في الجنة، يشرب بها المقربون صرفاً، ويمزج لأصحاب اليمين. قال حذيفة ﷺ: هي عين في جنة عدن، وعدن دار الرحمن، فأهل عدن جيرانه./

ب/٢٤٢

و﴿ تَسْنِيمٍ ﴾ علمٌ لعين بعينها. سُمِّيت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه؛ إما لأنه أرفع شراب في الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوقهم، على ما رُوِيَ أنها تجري في الهوى متسنِّمة، فتنصبُّ في أوانيهم. و﴿ عَيْنًا ﴾ نصب على المدح، ذكره الزمخشري[1].

وقوله: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨ ﴾ مرَّ تفسيره في: ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾[2]، والله أعلم.

---

(١) انظر: الكشاف: ٤/٢٣٣.

(٢) ارجع إلى الصفحة: (٤٨٠) من الكتاب عند تفسير (العين).

سورة الانشقاق

مكيَّة بإجماع[١].

قوله: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ ﴾ قال أهل التفسير: انشقاقها من علامات الساعة.

فإن قلتَ: أين جواب ﴿ إِذَا ﴾؟ قلتُ: المختار أنه محذوف، ليذهب الذهن كل مذهب من أنواع الأهوال والانفطار.

وقيل: حذف الجواب اكتفاءً بما عُلِمَ في نظيرتيها؛ وهما التكوير، والانفطار.

وقيل: جوابها ما دلَّ عليه قوله: ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾ أي: إذا السماء انشقت لاقَى الإنسان كدحه، اختاره الزَّجَّاج[٢].

وقال المبرِّد: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه، إذا السماء انشقت، والله أعلم.

---

(١) ثلاث وعشرون آية في عدِّ البصري والشامي، وخمس وعشرون في عدِّ الباقين. اختلافها في آيتين؛ ﴿ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ، ﴿ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴾ لم يعدّهما البصري والشامي، وعدَّهما الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٦٨، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٠٨.

(٢) أي: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥/٣٠٣.

٢٤٣/أ

/ سورة البروج

مكيَّة بإجماع(١).

و﴿ ٱلۡبُرُوجِ ﴾ هي البزوج الاثنا عشر(٢). و﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ ﴾ يوم القيامة. و(الشاهد) هو يوم الجمعة. و(المشهود) يوم عرفة. ذكر ذلك الترمذي مرفوعاً إلى النبي ﷺ(٣).

وجواب القسم قوله: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ﴾ أي: لُعِنُوا كما لُعِنَ كفار قريش.

و﴿ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ الشقُّ المستطيل في الأرض، ويجمع على أخاديد. وهم قوم كفرة، حفروا حفائر، وأوقدوا فيها ناراً، وألقوا فيها مَن لم يُجبهُم إلى الكفر. قال وهب بن منبه: كانوا اثني عشر ألفاً.

واختلفوا في أصحاب الأخدود؛ مَن كانوا؟ وأين كانوا؟ فقال عليٌّ ــ عليه السلام ــ : كانوا في الحبش(٤). وقيل: في اليمن، ذكره الحسن. وقال الضحاك:

---

(١) اثنتان وعشرون آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٦٩، وبصائر ذوي التمييز: ٥١٠/١.

(٢) قال الجمهور وابن عباس: البروج هي المنازل التي عرفتها العرب، وهي اثنا عشر، وهي التي تقطعها الشمس في سنة، والقمر في ثمانية وعشرين يوماً. انظر: المحرر الوجيز: ٣٨٤/١٥.

(٣) أخرج عبد بن حميد والترمذي وابن أبي الدنيا في الأصول وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة. وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه. فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شرٍّ إلا أعاذه الله منه)). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة الربذي، وموسى بن عبيدة يضعَّف في الحديث. ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه. وقال ابن كثير: روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف. وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه. كذلك قال الحافظ ابن حجر في التقريب عن موسى بن عبيدة الربذي إنه ضعيف. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج: ٤٣٦/٥، رقم الحديث: ٣٣٣٩، والمحرر الوجيز: ٣٨٤/١٥.

(٤) الحبش: جنس من السودان، وهم الأحبش والحبشان. والحبشة خطأ في القياس، ولكن لما تُكُلِّمَ به سار في اللغات، وهو في اضطرار الشعر جائز. انظر: لسان العرب: ٢٧٨/٦.

كانوا نصارى اليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة. وقال مجاهد: من أهل نجران(١). وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: من بني إسرائيل.

وكان النبي ﷺ إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوَّذ بالله من البلاء. اللهم إنَّا نعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك(٢)، فلك الحمد حتى ترضى.

---

(١) نجران في عدة مواضع؛ منها: نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة، نسبة إلى نجران بن زيدان بن سبأ، أول من عمرها. كان أهلها على دين النصرانية. روى عن النبي ﷺ أنه قال: ((القرى المحفوظة أربع: مكة والمدينة وإيلياء ونجران. وما من ليلة إلا وينزل على نجران سبعون ألف ملك يسلمون على أصحاب الأخدود ولا يرجعون إليها بعد هذا أبداً)). وقال ﷺ: ((لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً)). قال: فأخرجهم عمر. وكان من آخر ما تكلم به. ((أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب)). وقد وفد على النبي ﷺ وفد نجران، وأراد مباهلتهم فامتنعوا. وصالحوا النبي ﷺ فكتب لهم كتاباً. وفي عهد عمر أجلاهم، واشترى منهم أموالهم. وهناك موضع بالبحرين، وموضع بحوران. انظر: معجم البلدان: ٥/٢٦٦.

(٢) هذا من دعائه ﷺ، وقد ورد بألفاظ متقاربة. عن أبي هريرة عن عائشة ﷺ قالت: ((فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع: ١/٣٥٢، رقم الحديث: ٢٢٢/٤٨٦. وسنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد: ٥/٥٢٤، رقم الحديث: ٣٤٩٣، وباب في دعاء الوتر: ٥/٥٦١، رقم الحديث: ٣٥٦٦.

سورة الطارق

٢٤٣/ب

/ مكيَّة[١]. وهو النجم، لأنه يطرق ليلاً.

قال الزَّجَّاج وابن قتيبة: كل من أتاك ليلاً فقد طرقك[٢]. وقيل: يريد جنس النجوم[٣].

وقال عليٌّ [ﷺ]: هو رجل.

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هو نجم مسكنه في السماء السابعة، لا يسكنها غيرُه من النجوم.

وقال ابن زيد: يريد الثريا[٤].

---

(١) ست عشرة آية في جميع المدني الأول، وسبع عشرة في عدِّ الباقين. اختلافها آية: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ لم يعدّها المدني الأول، وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٧٠، وبصائر ذوي التمييز: ٥١٢/١.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣١١/١٥.

(٣) ومنه نهي النبي ﷺ الناس في أسفارهم أن يأتي الرجل أهله طروقاً. أخرج مسلم في صحيحه عن جابر ﷺ قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم، أو يلتمس عثراتهم)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول لمن ورد من سفر: ١٥٢٨/٤، رقم الحديث: ١٨٤/ ١٩٢٧.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٤٠٧/١٥.

سورة الأعلى

مكيَّة بإجماعهم أيضاً كالطارق[١].

روينا بالسند الصحيح في مسند الإمام أحمد من حديث عليٍّ ــ عليه السلام ــ، قال: ((كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾))[٢].

قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: صلِّ بأمر ربك[٣].

وقيل: معناه نزِّه ربَّك الأعلى. نهى رسول الله ﷺ أن يسمَّى به أحد سواه.

---

(١) تسع عشرة آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٧١، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٥١٤.

(٢) انظر: مسند أحمد: ١/٤٨٩، رقم الحديث: ٧٤٤. وإسناده ضعيف جداً لضعف ثوير بن أبي فاختة، وهو متروك.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١٥/٤٠٧.

سورة الغاشية

مكيَّة بإجماع(١).

و﴿ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾ القيامة، تغشى الناس بالأهوال. وقيل: هي النار تغشى وجوه الكفار(٢).

ومعنى قوله: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ ﴾ أي: ذات بهجة وحسنِ مقابلة، لأن وجوه الكفار يومئذٍ خاشعة، أي: ذليلة لا بهجة لها ولا حسن، ووجوه المؤمنين ناعمة ذات جمال وبهاء.

وقوله: ﴿ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ ﴾ أي: راضية بعملها حين/ شاهدت ما صارت إليه من الكرامة، ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ ﴾ أي: عالية المكان والمقدار. ٢٤٤/أ

﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ۝١١ ﴾ يعني: كلمةً ذات لغوٍ، لأن أهل الجنة منزهون عن العبث. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (يُسمع) بياءٍ مضمومةٍ، (لاغيةٌ) بالرفع، ومثلهما قرأ نافع، إلا أنه قرأ (تُسمع) بالتاء، وقرأ الباقون بتاء مفتوحةٍ، ﴿ لَٰغِيَةٗ ﴾ بالنصب(٣).

﴿ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ ﴾ أي: عيون جارية، وقد مضى تفسيره.

﴿ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ ﴾. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: ألواحها من ذهب مكلَّلة بالزبرجد والدرِّ والياقوت، مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها، تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى موضعها.

---

(١) ست وعشرون آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٧٢، وبصائر ذوي التمييز: ٥١٦/١.

(٢) قاله ابن جبير ومحمد بن كعب. قال تعالى: ﴿ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠ ﴾ [إبراهيم]. انظر: المحرر الوجيز: ٤١٨/١٥.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس: (لا يُسمع) بياء مضمومة على التذكير: (لاغيةٌ) بالرفع. وكذا نافع إلا أنه بتاء التأنيث، والباقون بتاء مفتوحة: (لاغيةً). انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٨١، والكشف: ٣٧١/٢، والنشر: ٢٩٩/٢.

﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ كلما أرادوها وجدوها حاضرة عندهم، وقيل: موضوعةٌ على حافَّات العيون.

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: وسائد ومساند قد صُفَّ بعضها إلى بعض، أينما أراد أن يجلس جلس على مِسوَرة، واستند إلى أخرى. وواحدها نُمرُقة بضم النون والراء. وسمع الفرَّاء من بعض العرب نِمرِقة بكسرهما(١).

﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ الزرابي: الطنافس ذوات الخمل الرقيق، الواحد زربية. ومعنى: ﴿ مَبْثُوثَة ﴾ مبسوطةً مفرقةً في المجالس.

قال/ أهل التفسير: لما نعت الله ما في الجنة، عجب من ذلك كفار قريش، فذكَّرهم من عجائب مخلوقاته ما يشاهدونه وهو حاضر عندهم ليعتبروا الغائب بالشاهد، فقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾(٢). ٢٤٤/ب

قال قتادة: ذكر الله ارتفاع سرر الجنة، فقالوا: كيف نصعدها؟ فنزلت: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾.

وإنما خصَّ الإبل لأنها من ذوات الأربع، تبرك فتحمل عليها الحمولة وما سواها من ذوات الأربع، لا يُحملُ عليها إلا وهي قائمة، وباقي السورة بيِّن، والله أعلم.

---

(١) نمارق وهي الوسائد، واحدها: نُمْرُقَة. قال: وسمعت بعض بني كلب يقول: نِمْرِقَة بكسر النون والراء. انظر: معاني القرآن: ٢٥٨/٣.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٥٢/٨.

سورة الفجر

مكيَّة أيضاً بإجماع(١).

قيل: أقسم بالفجر، وهو انفجار الظلمة عن الصبح، كما أقسم بالصبح إذا تنفَّس. وقيل: تقديره وصلاة الفجر. وهل هو فجر معلوم، أو فجر كل يوم، كما قال ابن عباس [رضي الله عنهما]؟ وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر أول يوم من محرَّم تتفجر منه السنة، وقيل: فجر ذي الحجة، وقيل: العشر الآخر من رمضان.

﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ ﴾

قلت: للمفسرين في ذلك عشرون قولاً أحسنها ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن الشفع والوتر/ فقال: هي الصلاة بعضها شفعٌ وبعضها وترٌ(٢). ٢٤٥/أ

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ ﴾ أثبت الياء في الحالين ابن كثير، ووافقه نافع وأبو عمرو، وحذفها الباقون في الحالين اكتفاءً بالكسرة، أي: والليل إذا يسري ذاهباً مدبراً، كقوله: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ ﴾[المدثِّر] وقيل: إذا يسرِ مقبلاً، والأول أصح.

﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ ﴾ أي: ذي عقلٍ. وجواب القسم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾ وما بين القسم وجوابه اعتراض.

وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ ﴾ قيل: لِعَقب عاد بن عُوص بن إرم بن سام بن نوح، عاد. كما قيل: لبني هاشم، هاشم. ثم قيل: للأوَّلين منهم عاد الأولى، وإرم تسميةٌ لهم باسمِ جدِّهم،

---

(١) تسع وعشرون آية في عدّ البصري. وثلاثون في عدّ الكوفي والشامي. واثنتان وثلاثون في عدّ المدنيين والمكي. اختلافها في أربع آيات و ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ عدَّهما المدنيان والمكي، ولم يعدُّهما الباقون. ﴿ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ لم يعدّهما الكوفي والبصري، وعدَّها الباقون. ﴿ فِى عِبَٰدِى ﴾ عدَّها الكوفي، ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٧٣، وبصائر ذوي التمييز: ٥١٨/١.

(٢) أخرج الترمذي بسنده عن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال: ((هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر)). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس الحداني عن قتادة أيضاً. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الفجر: ٤٤٠/٥، رقم الحديث: ٣٣٤٢، وأخرجه أحمد في مسنده بلفظ: ((منها شفع ومنها وتر)): ٩٠/١٥، رقم الحديث: ١٩٨٢٠، وإسناده صحيح.

ولمَن بعدهم عاد الأخيرة. فـــ: (إرم) عطف لعاد، ولم ينصرف. (إرم) قبيلة كانت أو أرضاً للتعريف والتأنيث[١].

وقيل: (إرم) بلدتهم التي كانوا فيها. فإن قلنا: (إرم) تسميةً لعاد باسمِ جدِّهم على ما قاله: قتادة ومقاتل. وأنه عطف بيان، كان قوله: ﴿ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ وصفاً لهم بالطول المفرط. قال الكلبي: طول الرجل منهم أربعمئة ذراع. وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: يعني طولهم مثل العماد. وقيل: كانوا أهل عُمُد.

٢٤٥/ب

وكان معنى قوله:/ ﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ ﴾ أي: مثل تلك القبيلة في الطول والقوة. وهم الذين قالوا: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[فصلت: ١٥]. وإن قلنا: (إرم) اسم بلدتهم، وهو قول كثير من أهل التفسير، كان قوله: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ﴾ صفةً لبلدتهم، المعنى ذات الأساطين، أو ذات البناء الرفيع[٢].

وقد اختلفوا فيها؛ فقيل: هي دمشق، وقيل: الإسكندرية، وقيل: هي المدينة التي بناها شدَّاد[٣] بن عاد، فكان من حديثه ما رويناه بالسند الصحيح في تفسير الرسعني وغيره بسنده عن ابن لَهِيْعَة عن خالد ابن أبي عمران عن وهب بن منبِّه عن عبد الله بن أبي قلابة: أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينا هو في صحاري عدن، إذ هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات، عليها حصن، وحول الحصن قصور كثيرة، وأعلامٌ طوال، فلما دنا منها ظنَّ أن فيها أحداً، فلم يرَ خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته، وعقَلَها، وسلَّ سيفه.

ودخل باب الحصن، فلما خلَّف الحصن ورأوه، إذا هو ببابين عظيمين لم يُرَ أعظم منهما، والبابان مُرصَّعان بالياقوت الأبيض والأحمر، فلما رأى ذلك دهش

---

(١) انظر: معجم البلدان: ١/١٥٥ ــ ١٥٧. ففيه توسع في (إرم ذات العماد).

(٢) انظر: لسان العرب: ٣/٣٠٣.

(٣) شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن حِميَر، من قحطان. ملك يماني جاهلي قديم. من ملوك الدولة الحميَرية. اتفقت عليه كلمة أولي الرأي من حميَر وقحطان، بعد وفاة النعمان بن يعفر، فولوه الملك في صنعاء. وكان حازماً مغواراً. غزا البلاد إلى أن بلغ أرمينية، وعاد إلى الشام فزحف إلى المغرب، يبني المدن ويتخذ المصانع. ولما رجع إلى اليمن مضى إلى مأرب فبنى فيه قصراً بجانب السد، لم يكن في الدنيا مثله. ولما مات نقبت له مغارة في جبل (شبام)، ودفن بها، ومعه جميع أموالـــه. انظر: التيجان: ص: ٦٥، الأعلام: /١٥٨.

٢٤٦/أ

وأعجبه، ففتح أحد البابين، فإذا هو بمدينة لم يَرَ أحدٌ مثلَها، وإذا/ قصورٌ، كل قصر منها معلَّق[١] تحته أعمدة من زبرجد وياقوت، وفوق كل قصر منها غرف، وفوق الغرف غرفٌ مبنيَّة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت. ومصاريع[٢] تلك الغرف مثل مصاريع[٣] المدينة، يقابل بعضها بعضاً، مفروشة كلها باللؤلؤ، وبنادق من مسك وزعفران.

فلما عاين الرجلُ ما عاين، ولم يرَ فيها أحداً، هَالَه ذلك، ثم نظر إلى الأزقَّة، فإذا هو بشجر في كل زقاق منها، قد أثمرت تلك الأشجار، وتحت الشجر أنهار مطردة، يجري ماؤها من قنوات من فضةٍ، كل قناة أشد بياضاً من الشمس. فقال الرجل: والذي بعث محمداً بالحق، ما خلق الله مثل هذا في الدنيا، وإنَّ هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه، فحمل معه من لؤلؤها، ومن بنادق المسك والزعفران، ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها شيئاً، فأخذ ما أراد وخرج ورجع إلى اليمن، فأظهر ما كان معه، وعلم[٤] الناس أمره، وباع بعض ما حمل، فلم يزل أمره ينمى[٥]، حتى بلغ معاويةَ خبرُه فأرسل في طلبه، حتى قدم عليه فخلا به، وقص عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار، فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق: هل في الدنيا من مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم،

٢٤٦/ب

أُخبرك/ بها وبمن بناها؟ إنما بناها شدَّاد بن عاد.

فأما المدينة: فإرمُ ذات العماد التي وصفها الله عزَّ وجلَّ في كتابه وهي: ﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ قال معاوية: فحدِّثْني حديثها، فقال: إن عاداً

---

(١) وردت في الأصل: (مغلق)، والأقرب للصواب: (معلَّق) كما في مخطوط تفسير الرسعني (معلق)، ويدلُّ عليه ما بعده: (تحته أعمدة من ..).

(٢) مصراعا الباب: بابان منصوبان ينضمان جميعاً، ومدخلهما في الوسط من المصراعين. انظر: لسان العرب: ١٩٩/٨.

(٣) في مخطوط تفسير الرسعني (مصراع).

(٤) وردت في الأصل: (وعلم)، والأقرب للصواب: (وأعلم) كما في مخطوط الرسعني (وأعلم). لأنها تتوافق مع قوله قبلها: (وأظهر ما كان معه).

(٥) ينمى: من النماء أي: الزيادة. يقال: نمى ينمي نَمياً ونُمياً ونماء: زاد وكثر. ونمى الحديث: أي رفعه وأبلغه. انظر: لسان العرب: ٣٤١/١٥.

الأولى ليس عادَ قومِ هود، وإنما هود وقوم هود ولد ذلك، وكان عاد له ابنان: شدَّاد وشديد. فهلك عاد، فبقيا وملكا وقهرا البلاد، وأخذاها عِنوةً، ثم مات شديد وبقي شدَّاد، فملك وحده، ودانت له ملوك الأرض، وكان مولعاً بقراءة الكتب، كلَّما مرَّ فيها بذكر الجنة دعته نفسه إلى بناء مثلها عُتُوَّاً على الله عزَّ وجلَّ.

فأمر بصنعة تلك المدينة ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ﴾ وأمَّر على صنعتها مئة قهرمان، مع كل قهرمان ألف من الأعوان. وكتب إلى كل ملِك في الدنيا أن يجمع ما في بلاده من الجواهر، وكان تحت يده مئتان وستون ملِكاً، فخرج القهارمة وتبدَّدوا في الأرض ليجدوا ما يوافقوه، حتى وقعوا على صحراء عظيمة نقية من التلال، وإذا بعيون مطردة، قالوا: هذه التي أمر الملِك، فقدَّروها العرض والطول، ثم وضعوا أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمئة سنة حتى فرغوا منها.

وكان عُمرُ شداد تسعمئة سنة، فلما أتوه فارغين منها، قال: انطلقوا واجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول/ الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألفُ عَلَم، يكون في كل قصر من تلك القصور وزيرٌ من وزرائي، ويكون فوق كل عَلَمٍ ناطور، فرجعوا وعملوا ما أمرهم به، فأمر ألفَ وزير أن يتهيؤوا للنقلة إلى ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ﴾.

٢٤٧/أ

وكان الملك وأهله عشر سنين في جهازهم، ثم ساروا إليها، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحةً من السماء فأهلكتهم جميعاً، ولم يبق منهم واحدٌ. وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك، أحمرُ، أشقرُ، قصيرٌ، على حاجبه خال، وعلى عنقه خال، يخرج في طلب إبلٍ له، إنه في تلك الصحاري، والرجل عند معاوية، فالتفت إليه كعب فقال: هذا والله ذلك الرجل.

وروى الشعبي: عن دغْفَلَ الشيباني، عن علماء حمير[١]، قالوا: لمَّا هلك شدَّاد بن عاد ومن معه من الصيحة، ملك بعده ابنه مَرْثَد بن شَدَّاد، وقد كان أبوه خلَّفَه بحضرموت على ملكهِ وسلطانهِ، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت[٢]، فحُمِل مطلياً بالصبر والكافور، وأمر فحفرت له حفيرة في مغارة، فاستودعه فيها على سريرٍ من ذهب، وألقى عليه سبعين حُلَّةً منسوجة بقضبان[٣] الذهب، ووضع عنده[٤] لوحاً/ عظيماً من ذهب وكتب فيه: ٢٤٧/ب

اعتبر بـــي أيُّهـــا المغرور بالعمـــر المديـــدِ
أنا شَدَّادُ بـــن عـــادٍ صاحبُ الحصن المشيـــدِ
وأخـــو القـــوَّة والبأْســـاءِ والمُلْـــك الحشيـــدِ
دان أهل الأرض لي من خوف وعدي ووعيدي
وملكـــت الشـــرق والغـــرب بسلطـــان شديـــدِ
وبفضـــل المُلْـــك والعـــدَّة فيـــه والعـــديـــدِ
فأتـــى هـــود وكنَّـــا فـــي ضلال قبـــل هـــودِ
فدعـــانـــا لو قبِـــلنـــاه إلـــى الأمـــر الرشيـــدِ
فعصينـــاه ونـــاديـــتُ ألا هـــل مـــن محيـــدِ؟
فأتتنـــا صيحـــةٌ تهـــوي مـــن الأفـــق البعيـــدِ

---

(١) حمير: منازل باليمن لحمير بن سبأ الأصغر وحمير الأكبر وحمير الغوث وهو الأدنى. وهي غربي صنعاء وهم أهل غُتمة، يقول أهل صنعاء: إذا أرادوا غتمياً من أغتام بادية صنعاء هو حميري يريدون من حمير بن الغوث ولا يريدون حمير الأكبر ولا حمير بن سبأ الأصغر، وهم يعلمون أن فيهم الفصاحة والشعر. وإلى حمير بن الغوث هذا ينسب أكثر هذه اللغة الحميرية. انظر: معجم البلدان: ٣٠٧/٢.

(٢) حضرموت: ناحية واسعة شرقي عدن قرب البحر حولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام. راسل رسول الله ﷺ أهلها فدخلوا في طاعته. وقدم عليه الأشعث بن قيس فأكرمه رسول الله ﷺ وولى عليهم زياد بن لبيد، ثم ارتد بنو وليعة بعد وفاة النبي ﷺ، وقام زياد بن لبيد يدعوهم لبيعة أبي بكر ﷺ، وامتنع الأشعث بن قيس من البيعة، وخلقٌ من كندة، وقاتلهم زياد ثم استنجد أبو بكر بالمهاجر بن أمية حيث حاصروا الأشعث وقبضوا عليه، وأتوا به إلى أبي بكر حيث تاب، وزوجُه أخته أم فردة. انظر: معجم البلدان: ٢٧١/٢.

(٣) في مخطوط تفسير الرسعني: (قضبان).

(٤) في مخطوط تفسير الرسعني: (عند رأسه).

فتوافينـــا كـــزرعٍ وسْـــطَ بَيْـــداءَ حصيـــدِ[1]

قلت: ثم خاطب الله تعالى النفس المطمئنة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ قيل:﴿ ٱلْمُطْمَئِنَّة ﴾ بالإيمان، وقيل: الراضية بقضاء الله، التي علمت أن ما أصابها، لم يكن ليخطئها، وما أخطأها، لم يكن ليصيبها. وقيل: الموقنة بما وعد الله. يقال لها ذلك: عند خروجها من الدنيا.

وفي الحديث: إن هذه الآية قُرِئت عند رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إن هذا لحسن، فقال النبي/ ﷺ لأبي بكر: ((أما إن المَلَكَ سيقولها لك عند الموت))[2]. أ/٢٤٨

وقيل: يقال لها ذلك عند البعث، حين يأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد.

وقيل: يقال لها عند الموت: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ فإذا كان يوم القيامة، قيل لها: ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

---

(١) انظر: مخطوط تفسير الرسعني من ورقة: ٢٣١/ب إلى ٢٣٣/أ.

(٢) لم أهتدِ إلى سند وتخريج لهذا الحديث. وقد ذكره القرطبي في تفسيره عن سعيد بن زايد. انظر: تفسير القرطبي: ٥٨/٢٠.

(٣) انظر: مخطوط تفسير الرسعني: ورقة: ٢٣٥/أ.

سورة البلد

مكيَّة بإجماع[١].

قوله: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ أقسم الله بالبلد الحرام، وهو مكة شرَّفها الله تعالى. وبما بعده على [أن][٢] الإنسان، خُلِقَ مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد.

فإن قلتَ: ما فائدة الاعتراض بقوله: ﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ قلتُ: إن قلنا: إن هذه بشارةٌ للنبي ﷺ على ما قاله ابن عباس [رضي الله عنهما]، أي: وأنت حِلٌّ بهذا البلد، تصنع فيه ما تشاء من قتل وأسر. وقد ظهر أثر ذلك يوم الفتح، أحلَّها الله له ساعةً من النهار[٣]، فقتل ابْن خطل[٤] وهو متعلق بأستار الكعبة[٥]،

---

(١) عشرون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٧٤، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٢٠

(٢) سقطت من الأصل، وبها يتضح المعنى.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرِّف)). وقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا. فقال: ((إلا الإذخر)). وعن خالد عن عكرمة قال: هل تدري ما ((لا ينفر صيدها))؟ هو أن ينحيه من الظل ينزل مكانه. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤/٥٥، رقم الحديث: ١٨٣٣.

(٤) وردت في الأصل: (فقتل بن أخطل)، وهو خطأ. والصواب: ابن خطل، وهو عبد الله بن خطل.

(٥) إنما أمر رسول الله ﷺ بقتل ابن خطل لأنه أسلم قبل الفتح، وسماه النبي ﷺ عبد الله وكان اسمه عبد العزَّى. وبعثه رسول الله ﷺ لأخذ الصدقة ومعه مولى مسلم يخدمه. فنزل منزلاً وأمره أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام، ثم استيقظ فوجده نائماً لم يصنع له طعاماً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً. وكان شاعراً يهجو رسول الله ﷺ في شعره، وله قينتان تغنيانه بهذا الهجاء. وقيل: إنه ركب فرسه لابساً للحديد، وأخذ بيده قناة، وصار يقسم: لا يدخلها محمد عنوة. فلما رأى خيل الله دخله الرعب، فانطلق إلى الكعبة، فنزل عن سلاحه، ودخل تحت أستارها. فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله ﷺ بالحجون، فأخبره خبره، فأمر بقتله. وقيل: لما طاف النبي ﷺ الكعبة قيل: هذا ابن خطل معلقاً بأستار الكعبة، فقال: ((اقتلوه فإن الكعبة لا تعيذ عاصياً ولا تمنع من إقامة حد واجب)). فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي. وقيل: قتله الزبير ﷺ، وقيل: سعيد بن ذؤيب، وقيل: سعد بن زيد. والظاهر اشتراكهم فيه جميعاً. انظر: السيرة الحلبية: ٣/١٠٥.

ومقيس[١] بن صُبابة وغيرهما، فتكون البشارة بأنه سيُفتَح عليك هذا البلد العظيم، وتحكم/ فيه على أهله، بما تشاء ليشفي بذلك صدور قوم مؤمنين. ٢٤٨/ب

فإن قلنا: إنَّ الواو في قوله: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ ﴾ حاليَّه، فيكون مقسماً بالبلد الحرام على أكمل أوصافه، وأحسن أحواله، مخرجَ الأصنام وعابديها، مُحَلَّىً بزينة أهل الإيمان. فإنه لما ظهر النبي ﷺ على مكة، وجد حول الكعبة ثلاثمئة وستين صنماً، فجعل يطعُنُ فيها، ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾[سبأ]، وأذَّن بلال على الكعبة رافعاً[٢] صوته بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله. فأعزَّ الله الإسلام في ذلك اليوم، وأذلَّ سلطان الشرك. فيكون ذلك خارجاً مخرج التقريب والتحقيق، لِما أقسم الله عليه من خلق الإنسان في كبد.

فإن قيل: هلاَّ اكتفى بالكناية عن البلد، فقال: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ ﴾ ؟ قلنا: كرَّره تفخيماً لشأنه، ذكره الرسعني[٣]، والله أعلم.

---

(١) كان مقيس قد دفع له النبي ﷺ دية أخيه الذي قتله رجل من الأنصار، لكنه عدا على الأنصاري بعدها فقتله، ثم لحق بمكة مرتداً. وقد قتله ابن عمه نميلة بن عبد الله الليثي بعد أن علم أن مقيساً مع جماعة من كبار قريش يشربون الخمر. وقيل: قتل وهو معلق بأستار الكعبة. انظر: السيرة الحلبية: ٣/١٠٥ــ١٠٦.

(٢) وردت في الأصل: (رافع)، على أنه خبر لمبتدأ مرفوع تقديره: (وهو رافع). والجملة الإسمية في محل نصب حال. والأشهر (رافعاً)، على أنه حال منصوبة بالفتحة.

(٣) انظر: مخطوط تفسير الرسعني: الورقة: ٢٣٧/أ.

سورة الشمس

٢٤٩/أ

/ مكيَّة[١].

أقسم الله بضوء الشنمس إذا أفرط في الاستتارة، وذلك عند ارتفاع الشمس.

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ ﴾

قال الزَّجَّاج: إذا استدار فكان يتلو الشمس في الضياءِ والنور[٢]، وقال غيره: وذلك في الليالي البيض[٣].

والكناية في قوله: ﴿ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ ﴾ للشمس، والنهار يجلِّيها غاية التجلِّي[٤].

---

(١) ست عشرة آية في المدني الأول، ويقال في المكي كذلك. وخمس عشرة في عدّ الباقين. اختلافها في آية ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ عدَّها المدني الأول والمكي بخلاف عنه. ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٧٥، وبصائر ذوي التمييز: ٥٢٢/١.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٣١/٥.

(٣) يقصد بالليالي البيض: ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربي، حين يكون القمر في أكمل حالة البدر. وهن الليالي التي ندبنا رسول الله ﷺ إلى صيام نهارهن. أخرج أبو داود في سننه بسنده عن ابن ملحان القيسي عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نصوم البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة قال: وقال: ((هن كهيئة الدهر)). انظر: سنن أبي داود: كتاب الصوم، باب في صوم الثلاث من كل شهر: ٧٤٤/١، رقم الحديث: ٢٤٤٩.

(٤) هذا قول مجاهد. وقال الفراء والكلبي وغيرهما: الكناية للظلمة لا للشمس. وهي كناية عن غير مذكور، لأن المعنى معروف. تقول: أصبحت باردة، تريد أصبحت غداتنا باردة. وهبت شمالاً، أي ريحاً. انظر: زاد المسير: ٢٧١/٨، وتفسير القرطبي: ٧٤/٢٠.

سورة الليل

مكيَّة[١].

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾

قال قتادة: هما آيتان عظيمتان، كررهما الله على الخلائق. أي: يغشى بظلمته النهار، وتجلِّي النهار هو بزوال ظلمة الليل[٢].

---

(١) إحدى وعشرون آية في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٧٦، وبصائر ذوي التمييز: ٥٢٣/١.

(٢) روى سعيد عن قتادة قال: أول ما خلق الله النور والظلمة، ثم ميَّز بينهما، فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً، والنور نهاراً مضيئاً مبصراً. انظر: تفسير القرطبي: ٨٠/٢٠.

سورة الضُحى

مكيَّة[١].

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: اتفق المفسرون على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدةً.

ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على **ثلاثة** أقوال؛

أحدها: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وعن الروح، فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي.

والثاني: لقلَّةِ النظافةِ/ في بعض أصحابه[٢]. ٢٤٩/ب

الثالث: لأجل جروٍ كان في بيته[٣].

وفي مدة انقطاع الوحي **أقوال**؛

قيل: **ثلاثة** أيام، وقيل: **اثنا عشر** يوماً، وقيل: **شهراً**، وقيل: **أربعون** يوماً.

وفي الصحيحين من حديث جندب بن جُنادة [رضي الله عنه] قال: ((قالت امرأة من قريش لرسول الله ﷺ: ما أرى شيطانك إلا قد ودعك، فنزلت ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾))[٤]. والمرأةُ هي أم جميل امرأة أبي لهب.

---

(١) إحدى عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٧٧، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٥٢٥.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره. انظر: زاد المسير: ٨/ ٢٧٩، ٥/١٨٤.

(٣) أخبر حفص بن سعيد القرشي قال: حدثتني أمي عن أمها خولة، وكانت خادمة رسول الله ﷺ، إن جرواً دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث نبي الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيتي؟ جبريل عليه السلام لا يأتيني؟ قالت خولة: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء ثقيل، فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياه، وكانت إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال: يا خولة دثرني، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾. انظر: أسباب النزول للواحدي: ص: ٣٣١، وتفسير القرطبي: ٢٠/٩٣.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه: عن الأسود بن قيس. قال: سمعت جندباً يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾. انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي: ٦/٤١٤، رقم الحديث: ٤٩٨٣، وأسباب النزول للواحدي: ص: ٣٣١.

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ ﴾ صدر النهار وقت الضحى.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ أي: استقر ظلامه، فلا يزداد بعد ذلك. ويقال: ليلةٌ ساجيةٌ ساكنة الريح. وقيل: المعنى سكون الناس والأصوات فيه. وسجى البحر إذا سكنت أمواجه.

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾: جواب للقسم. ومعناه: ما قطع وحيَه عنك قطْع الوادعِ لك. وقال أبو عبيدة: ما ودعك من التوديع. وقرأ عمر بن الخطاب ﷺ: (ما ودَعَك ربك) بالتخفيف، على معنى ما تركك. ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي: ما أبغضك. وهذا مُؤذِنٌ بمكانته عند الله عزَّ وجلَّ، وأنه مواصلُه ومحبُّه، وهو نهاية ما يكون من الإكرام.

قال: ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ ﴾ أي: ما أعددت لك من الكرامة في الآخرة، وقربِ/ المنزلةِ أعظمُ وأكملُ مما أعطيتك في الدنيا. ٢٥٠/أ

﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾ قال عليٌّ ــ عليه السلام ــ: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى[1]. وقيل: ظهور أمته ودينه على سائر الأديان[2].

---

(١) انظر: زاد المسير: ٨/٢٧٩ــ٢٨١.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: عُرِض على رسول الله ﷺ ما يُفتَح على أمته من بعده كَفْرَاً كَفْرَاً، فسُرَّ بذلك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾ . والكَفْر من الأرض: ما بعُد عن الناس. رواه ابن جرير الطبري: ٣٠/٢٣٢ من رواية الإمام الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عبد الله بن عباس. ورواه ابن أبي حاتم من طريقه به. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال عن توقيف. ورواه الواحدي في أسباب النزول: ص: ٣٣٨، ورواه الحاكم في المستدرك: ٢/٥٢٦. ورواه الطبراني في المعجم الكبير. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١٣٩: وإسناد الطبراني في الكبير حسن. وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/٣٦١، وانظر: القاموس المحيط: ص: ٦٠٥.

سورة ألم نشرح

مكيَّة[١].

وقد ذكرت في (الفتوح المكية في بيان الإسراء بخير البرية) أن شرح الصدر وقع ثلاث مِرارٍ؛ بعد فطامِهِ[٢]، وعند كمالهِ عشر سنين[٣]، وليلةَ أُسري به، كما في حديث مالك بن صعصعةَ[٤].

---

(١) ثماني آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٧٨، وبصائر ذوي التمييز: ٥٢٦/١.

(٢) هذه المرة الأولى التي شرح الله تعالى فيها صدر نبيه ﷺ جاء خبرها في السيرة. وقد أورد الخبر ابن إسحاق قال: حدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكَلاعي: أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم وبُشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرجَ منها نور أضاء لها قصورَ الشام، واسترُضِعت في بني سعد ابن بكر. فبينا أنا مع أخٍ لي خلفَ بيوتنا نرعى بَهْماً لنا، إذ أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بيض بَطستٍ من ذهب مملوءة ثلجاً، ثم أخَذَاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقّاه، فاستخرجا منه علَقَةً سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقيَاه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنْه بعشرة من أمّته. فوزنني بهم فوزنتهم. ثم قال: زنه بمئةٍ من أمّته. فوزنني بهم فوَزَنتهم. ثم قال: زنه بألفٍ من أمّته. فوزنني بهم فوزنتهم. فقال: دعه؛ فو الله لو وزنته بأمته لوَزَنها!. انظر: تهذيب سيرة ابن هشام: ٤٠/١.

(٣) المرة الثانية لشق الصدر وهو في العاشرة من عمره ذكرها الألوسي في تفسيره روح المعاني نقلاً عن ابن حجر المكي في شرح الهمزية؛ وفيه: ((إني لفي صحراء واسعة ابن عشر حجج، إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه ..)). إلى آخر ما فيه. انظر: تفسير روح المعاني: ١٦٧/٣٠. بيد أن السيوطي في الدر المنثور يذكر قصة شق الصدر بعد بلوغه كما أخرجه عن عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن أبي ابن كعب أن أبا هريرة ﷺ قال: يا رسول الله ما أول ما رأيتَ من أمر النبوة، فاستوى رسول الله ﷺ جالساً، وقال: لقد سألت أبا هريرة ﷺ إني لفي صحراء ابن عشرين سنة وأشهر إذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل: أهو هو؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها بخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أجدها على أحد قط، فأقبلا إليَّ يمشيان، حتى إذا دنيا أخذ كل واحد منهما بعضدي، لا أجد لأحدهما مسّاً، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع. فقال له: أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثم نبذها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة، ثم حزَّ إبهام رجلي اليمنى، وقال: اغدوا سلم. فرجعت أغدو بها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير. انظر: الدر المنثور: ٦١٤/٦ــ٦١٥.

(٤) أخرجه الشيخان في روايات عديدة منها ما أخرجه البخاري بسنده عن مالك بن صعصعة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، وذكر يعني رجلاً بين الرجلين، فأُتيت بطست من ذهب مُلِئَ حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم مُلِئَ حكمة وإيماناً. وأُتيتُ بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار، البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء...)). الحديث.

ومعنى قوله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ ﴾ استفهامٌ في معنى التقرير، أي قد فعلنا ذلك.

والمعنى: فتحناه وفسحناه، حتى احتمل أثقال النبوةِ، ودعوةَ الثقلين، والصبر عليهم، وَوَسِعَ ما استودعناك من العلم، والحِلْم، واليقين، والرضا.

انظر: صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٣٤٨/٦، رقم الحديث: ٣٢٠٧. وأخرجه مسلم بسنده عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال: قال نبي الله ﷺ: ((بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأُتيت فانطلق بي فأُتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا قال قتادة فقلت للذي معي ما يعني قال إلى أسفل بطنه فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيمانا وحكمة ثم أتيت بدابة أبيض يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا فاستفتح جبريل...)) الحديث. انظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ: ١٤٩/١، رقم الحديث: ١٦٤/٢٦٤. وأخرج الدارمي بسنده عن أبي إدريس الخولاني عن ابن غنم قال: نزل جبريل على رسول الله ﷺ، فشق بطنُه ثم قال جبريل: قلب وكيع، فيه أذنان سميعتان، وعينان بصيرتان، محمد رسول الله المقفى الحاشر، خلقك قيِّم، ولسانك صادق، ونفسك مطمئنة. قال أبو محمد: وكيع: يعني شديداً. انظر: سنن الدارمي: كتاب المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل: ٤٢/١، رقم الحديث: ٥٣.

سورة التين

مكيَّةٌ[١]، وقيل: هي مدنية.

قال الله: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ ﴾ قال ابن عباس [ﷺ]: هو تينكم هذا وزيتونكم، أقسم الله بهما لامتيازهما بالفضل على سائر الثمار؛ فالتين فاكهة مستلذَّة خالية من العجم[٢]، وأما الزيتون فإنه قد سبق ذكره في شرح حديث الإسراء./ ٢٥٠/ب

وذكرت أن أصل منبته على الجبل الذي تجلَّى له الربُّ سبحانه وتعالى، فنبت بعد التجلِّي من بركةِ التجلِّي عند قوله ــ عليه السلام ــ: وقد سُئِلَ كيف رأيت ربك؟ قال: رأيتُ نوراً[٣].

وقال كعب الأحبار: التين: دمشق، والزيتون: بيت [المقدس]. وقال قتادة: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس. وقال ابن زيد: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس. وقيل: التين: جبال ما بين حلوان[٤] وهمذان[٥]، والزيتون: جبال الشام[٦]. قال بعض العلماء: سُمِّيَا بذلك لأنهما منبتا التين والزيتون.

---

(١) ثماني آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٧٩، وبصائر ذوي التمييز: ٥٢٧/١.

(٢) العَجَم: النَّوَى نوى التمر والنبق. ومفردها: العَجَمَة. قال أبو ذر: أهدي للنبي ﷺ سلُّ تين، فقال: كلوا، وأكل منه، ثم قال: ((لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عَجَم، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس)). انظر: لسان العرب: ٣٩١/١٢، وتفسير القرطبي: ١١٠/٢٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت فقال: ((رأيت نوراً)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله: نور أنَّى أراه، وفي قوله: رأيت نوراً: ١٦١/١، رقم الحديث: ١٧٨/٢٩١، وأخرجه أحمد بلفظ: ((قد رأيته نوراً أنَّى أراه)). وإسناده صحيح. انظر: مسند أحمد: ٤٨٧/١٥، رقم الحديث: ٢١٢١٠.

(٤) حلوان: مدينة عامرة بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد، وسرّ مَن رأى أكبر منها. وأكثر ثمارها التين وهي بقرب الجبال. فتحها المسلمون بقيادة جرير بن عبد الله صلحاً. سنة ١٩ ينسب إليها خلق كثير من أهل العلم منهم: الحسن بن علي الخلال. انظر: معجم البلدان: ٢٩١/٢.

(٥) همذان: نسبة إلى بانيها همذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام. فتحها المغيرة بن سفيان سنة ٢٤ هـ. وهي أكبر مدينة بالجبال، من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها وأرفهها. شتاؤها مفرط البرد، وهي محل الملوك، ومعدن لأهل الدين والفضل. انظر: معجم البلدان: ٤١٠/٥.

(٦) انظر هذه الأقوال في المحرر الوجيز: ٥٠٢/١٥.

وقوله: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾ هو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى [عليه السلام][1]، و(سنين) لغةٌ في سيناء.

قال مقاتل: كل جبل فيه شجرٌ مثمرٌ فهو سنين[2]. و(سيناء) بلغةِ القبطِ.

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ يعني: مكة شرَّفها الله تعالى، يأمن فيها الخائف.

وجواب القسم قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ أي: في أحسن صورة[3].

قال المفسرون: خلق الله كل ذي روحٍ مكبَّاً على وجهه، إلا الإنسان خلقه مستدير القامة، يتناول ما يأكله بيده[4].

---

(١) قال بعض أهل اللغة: لا يسمى طوراً حتى يكون ذا شجر. ويقال: لجميع بلاد الشام الطور. والطور: جبل بعينه مطل على طبرية الأردن على رأسه بيعة واسعة محكمة البناء موثقة الأرجاء، وعليه كان الخطاب الثاني لموسى عليه السلام. انظر: معجم البلدان: ٤/٤٧.

(٢) سيناء جبل بقرب أيلة، وعنده بُلَيْد فتح صلحاً سنة تسع. والسينين شجر. انظر: معجم البلدان: ٤/٤٨.

(٣) قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله تعالى خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً. وهذه صفات الرب سبحانه. وعنها عبَّر بعض العلماء. ووقع البيان بقوله: ((إن الله خلق آدم على صورته)). يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها. وفي رواية: ((على صورة الرحمن)). ومن أين تكون للرحمن صورة متشخصة، فلم يبق إلا أن تكون معاني. انظر: تفسير القرطبي: ٢٠/١١٤.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠/١١٤.

/ سورة القلم

وتسمى سورة العلق[١]، مكيَّة بإجماعهم[٢].

وهي أول ما نزل من القرآن إلى قوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ وباقيها نزل في أبي جهل لعنه الله تعالى.

وكُرِّر: ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ للتوكيد. ثم استأنف فقال: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ يعني: الذي لا نظير له في كرمه.

وفي قوله: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ عقيب قوله: ﴿ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ تنبيه على أن إفادة العلم كرمٌ محضٌ، إذ هو موروث عن الأنبياء، وتنبيهٌ على فضل علم الكتابة، إذ به انتظام علم الدنيا والآخرة.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواةُ))[٣].

وقيل: نون الحوت الذي عليه ظهر الأرض، قاله مجاهد.

وقيل: نون آخر حروف الرحمن، وقد ذكرتُ ذلك في سورة نون[٤].

والمراد بالقلم الذي يُكتبُ به الذكر في اللوح المحفوظ.

قال ابن جرير: هو من نورٍ يكتبُ به الناس، لأنه نعمةٌ عظيمةٌ، ومنَّةٌ جسيمةٌ، ومنفعةٌ شاملةٌ.

---

(١) تسمى: سورة القلم، وسورة اقرأ، وسورة العلق. انظر: زاد المسير: ٨/٢٩١.

(٢) ثماني عشرة آية في عدّ الشامي، وتسع عشرة في عدّ الكوفي والبصري، وعشرون في عدّ المدنيين والمكي. اختلافها آيتان: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ ، عدَّها المدنيان والمكي، ولم يعدّها الباقون، ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝١٠ ﴾ ، لم يعدّها الشامي، وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٨٠، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٢٩.

(٣) لم أقف على رواية لأبي هريرة بهذا اللفظ. والروايتان عن علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال: أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم خلق اللوح فكتب الدنيا وما يكون فيها حتى تفنى من خلق مخلوق أو عمل معمولٍ برٍّ أو فجور، وما كان من رزق حلال أو حرام، أو رطب أو يابس، ثم وكَّل بذلك الكتاب ملائكة، ووكَّل بالخلق ملائكة. انظر: مصنف ابن أبي شيبة: ١٤/١٠١، رقم الحديث: ١٧٧٢٢، ١٤/ ١٣٢، رقم الحديث: ١٧٨٥٢. وكنز العمال: ٦/١٦١٠، ١٦١، رقم الترجمة: ١٥٢٢٠، ١٥٢٢٣.

(٤) ارجع إلى الصفحة: (٤٥٧)، الحاشية: (٤).

قال ابن الهيثم[١]: من جلالة القلم أنه لم يكتُبِ/ الله[٢] كتاباً إلا به، فلذلك أقسم الله به. ٢٥١/ب

وقيل: الأقلام مطايا الفِطَنِ، ورسل الكرام[٣].

وقال بعض الحكماء: قوامُ الدين والدنيا القلم والسيف، والسيف تحت القلم، وفيه يقول ابن الرومي[٤]:

إنْ يخدم القلمَ السيفُ الذي خَضَعَتْ ... لَـــهُ الرقابُ ودانَتْ دونَهُ الأمَمُ

فالموتُ والموتُ لا شيءٌ يُغالبُـــهُ[٥] ... ما زال يتبعُ ما يجري به القلمُ

كذا قضى الله للأقلامِ مُذ بُرِيَـــتْ ... أن السيوفَ لها مُذ أُرهِفت خدمُ[٦]

وله أيضاً[٧]:

في كفه قلمٌ ناهيك مـــن قلمٍ ... نبلاً وناهيك من كفٍ به[٨] اتشحا

يمحو ويثبت أرزاقَ العباد به ... فما المقاديرُ إلا مـــا وحـــا ومحا

---

(١) ابن الهيثم: داود بن الهيثم بن إسحاق، أبو سعد التنوخي الأنباري، فاضل من اللغويين النحاة من أهل الأنبار مولداً في ٢٢٨هـــ، ووفاة في ٣١٦هـــ. له كتاب في النحو على مذهب الكوفيين، وكتاب خلق الإنسان، وشعر. انظر: الأعلام: ٣٣٦/٢، وبغية الوعاة: ٢٤٦، والجواهر المضية: ٢٤٠/١.

(٢) وردت عبارة مخطوط تفسير الرسعني: (لم يُكتَب لله كتابٌ إلا به). انظر: الورقة (١٣٩/أ) من المخطوط.

(٣) انظر: مخطوط تفسير الرسعني: ورقة: (١٣٩/أ).

(٤) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي، شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل. ولد ونشأ ببغداد سنة ٢٢١هـــ، ومات فيها مسموماً سنة ٢٨٣هـــ. يقال: أنه ما مدح أحداً إلا وعاد إليه فهجاه، لذا قلّت الفائدة من شعره، وكان سبباً لوفاته. له ديوان باسمه مطبوع. انظر: تاريخ بغداد: ٤٣٦/١١، والأعلام: ٢٩٧/٤.

(٥) ورد الشطر في ديوان ابن الرومي: **فالموت والموت شيئ لا يغالبه.**

(٦) انظر: ديوان ابن الرومي: ٥٩/٦، في تفضيل القلم على السيف.

(٧) انظر: ديوان ابن الرومي: ٥٠٩/٢.

(٨) وردت في ديوانه أيضاً: (بها اتشحا) على تأنيث الكف. انظر: ديوان ابن الرومي: ٥٠٩/٢.

ولأبي تمام[١] [في][٢] محمد بن عبد الملك الزيَّات:

له القلـــم الأعلى الذي بشباتـــــه[٣] يُصابُ من الأمر الكُلى والمفاصلُ
فصيـــحٌ إذا استنطقتَهُ وهـــو راكـــبٌ وأعجمُ إن خاطبته وهو راحلُ[٤]/ أ/٢٥٢
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأُفرغَت عليه شِعابُ الفكر وهي حوافلُ[٥]
أطاعته أطرافُ الرمـــاح وفوَّضـــت لنجواه تفويض الخيام الجحافلُ[٦]

وما أحسن قول المتنبي[٧] في وصفه:

نحيف الشَّوى يعدو[٨] على أمِّ رأسه ويحفى فيقوى عدْوُه حين يُقطعُ
يمجُّ[٩] ظلاماً في نهارٍ لسانـــــهُ ويفهم عمن قال ما ليس يسمعُ[١٠]

---

(١) أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، شاعر أديب وأحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) سنة ١٨٨هـ، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأقام بها، ثم ولي أمر بريد الموصل سنتين، وتوفي بها سنة ٢٣١هـ. يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع. وفي شعره قوة وجزالة. له ديوان الحماسة، ومختار أشعار العرب. انظر: تاريخ بغداد: ٢٤٨/٨، الأعلام: ١٦٥/٢

(٢) [في] سقطت في أصل المخطوط المحقق، وهي مثبتة في مخطوط تفسير الرسعني: ورقة: ١٣٩/ب.

(٣) هكذا وردت في الأصل: (شباته)، ومعنى الشبت: النبت. انظر: لسان العرب: ٢٠/٢ـ٤٨/٢.

(٤) هكذا وردت في الأصل. وفي مخطوط تفسير الرسعني: (راجل) من المشي على الأرجل، ولعله الأصوب

(٥) الحوافل جمع مفرده حافل وحافلة. وأصل الحفل: اجتماع الماء في مَحْفَلِه. يقال: ناقة حافل، وشاة حافل وهي التي لا يحلبها صاحبها أياماً حتى يجتمع لبنها في ضرعها. انظر: لسان العرب: ١٥٦/١١.

(٦) الجحافل: مفرده الجحفل: وهو السيد الكريم. يقال: رجل جحفل: أي سيد عظيم القدر. انظر: لسان العرب: ١٠٢/١١.

(٧) أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، ويعدُّ من أشعر الإسلاميين. ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ، ونشأ بالشام، ثم تنقل بالبادية وتنبَّأ فيها، فتبعه كثيرون، لكن أمير حمص سجنه حتى تاب. ثم وفد على سيف الدولة في حلب فمدحه وحظي عنده، ثم مضى إلى كافور في مصر، فلما لم يولِّه هجاه، وكثر أعداؤه من كثرة هجائه إلى أن قتله فاتك بن أبي جهل الأسدي قرب بغداد سنة ٣٥٤هـ. وديوان شعره مشهور. انظر: تاريخ بغداد: ١٠٢/٤، والأعلام: ١١٥/١.

(٨) وردت في الأصل: (يغدو)، والأصوب: (يعدو) كما في ديوان المتنبي: (يعدو)، من الجري. ويقوي هذا تتمة البيت: (فيقوى عدوُه ..).

(٩) مجَّ: رمى ولفظ وألقى ورشَّ. انظر: لسان العرب: ٣٦١/٢.

(١٠) قالها في صباه يمدح علي بن أحمد الخراساني. وهي من البحر الطويل. ومعناهما: يريد أن القلم دقيق شكله. وهو يعدو على رأسه، فإذا حفي من الكتابة قطع رأسه بالقط فيقوى عدوُه، أي يحسن الخط به بعد القط. والقلم يعبر عن ضمير الكاتب. وهو يقذف الظلال: والمقصود به المداد. في نهار: أي القرطاس. ولسانه:

وما أحسن ما أوضح الوزير ضياء الدين أبو الفتح بن الأثير[١] نشر هذا النظم [فقرطس في البلاغة بالإصابة][٢]، وجلاه[٣] إذ حلَّهُ، فأَنِست به الأسماع مع الغرابة، فقال: أخرس وهو فصيح الإيراد، أصمُّ وهو يسمع مناجاة الفؤاد، ومن عجيب شأنه، أنه لا ينطق إلا إذا قُطِع لسانهُ، ولا يضحك إلا إذا بكَت[٤] أجفانُهُ[٥].

طرفه المحدد. ويفهم عمن قال: أي يعبر عن الكاتب. ولم يسمع منه لفظاً: أي أن هذا القلم يعبر عما يريده الكاتب من غير سماع منه. انظر: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان: ٢/٢٤٤.

(١) نصر الدين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير الكاتب. وزير من العلماء الكتَّاب المترسلين. ولد في جزيرة ابن عمر سنة٥٥٨هـ، وتعلم بالموصل، حيث نشأ أخواه ابن الأثير المؤرخ (علي بن محمد)، وابن الأثير المحدث (المبارك بن محمد). ولي الوزارة للملك الأفضل ابن صلاح الدين في دمشق، ولم تحمد سيرته، ثم تحول إلى حلب، ومنها إلى الموصل، فبغداد الذي توفي فيها سنة ٦٣٧هـ. من تآليفه: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، كفاية الطالب، وديوان رسائل. انظر: وفيات الأعيان: ٢/١٥٨، ومفتاح السعادة: ١/١٧٨، والأعلام: ٨/٣١.

(٢) سقطت من الأصل، وهي مثبتة في مخطوط تفسير الرسعني: ورقة: ١٣٩/ب.

(٣) هكذا في الأصل، وفي مخطوط تفسير الرسعني: (وحلاّه إذ حلّه). والمعنيان جائزان. فجلاه بمعنى أوضحه، وحلاه بمعنى كساه وألبسه الحلية. وإذ حلَّه أي: وقع ووجب من الحلول وهو الوقوع. انظر: لسان العرب: ١١/١٧٠.

(٤) وردت في الأصل: (بلَّت). والأقرب للصواب كما في مخطوط تفسير الرسعني: (بكت أجفانه). لما فيها من المقابلة.

(٥) انظر: مخطوط تفسير الرسعني: من ورقة: ١٣٩/أ ــ ١٣٩/ب.

سورة القدر

مكيَّة[١] في قول ابن عباس، ومدنيَّة في قول مقاتل والضحاك.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ يعني القرآن وإن لم يجرِ له ذكرٌ ثقةً بعلم السامع به، لموضع نباهته وشهرته. وقيل: سمِّيت ليلة القدر من القدر الذي هو العظمة، لِعَظم/ قدرها عند الله. وقيل: هو من القدر الذي هو بمعنى الضيق، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾[الطلاق: ٧] أي: ضُيِّق عليه. ٢٥٢/ب

فالمعنى: هي ليلة تضيق الأرض فيها بالملائكة الذين يتنزَّلون من عند الله بالخير والرحمة.

وقيل: لأن الأمور تُقدَّر فيها.

وقيل: أُنزل فيها كتابٌ له قدرٌ، ورحمةٌ ذو قدر، وملائكة ذوو أقدارٍ[٢].

واختلفوا: هل هي باقية، أو كانت في زمن النبي ﷺ ورُفِعَت؟ على قولين؛ الصحيح أنها باقية.

واختلفوا: هل هي مخصوصة بشهر رمضان، أو تكون في جميع السنة؟ على قولين؛ الصحيح اختصاصها بشهر رمضان.

والأكثرون على اختصاص الأفراد من العشر الأخير بها، بدليل الأحاديث الصحيحة[٣].

---

(١) ست آيات في عدِّ المكي والشامي. وخمس في عدِّ الباقين. اختلافها آية ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ الثالثة عدَّها المكي والشامي ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٨١، وبصائر ذوي التمييز: ٥٣١/١.

(٢) هكذا وردت العبارة في الأصل. والأقرب للصواب أن نقول: رحمة ذات قدر، ملائكة ذوو قدر. انظر: زاد المسير: ٢٩٦/٨، ولسان العرب: ٧٤/٥.

(٣) تواترت الأحاديث الصحيحة في فضل ليلة القدر، والدعوة إلى التماسها وتحرِّيها في العشر الأواخر من رمضان. منها: ما أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى)). انظر: صحيح البخاري: كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر: ٦٢٢/٢، رقم الحديث: ٢٠٢١. وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: ((التمسوها في العشر الأواخر ــ يعني ليلة القدر ــ، فإن ضعُف أحدكم أو عجَز فلا يُغلَبَنَّ على السبع البواقي)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها: ٨٢٢/١، رقم الحديث: ١١٦٥/٢٠٩.

واختلفوا في أي لياليهِ أخص بها؟

فذهب الأكثرون إلى أنها ليلة سبع وعشرين، وبه قال عليٌّ، وابن عباس، وعائشة، وجمهور الصحابة والتابعين [رضي الله عنهم].

وكان أبيُّ بنُ كعبٍ يحلفُ، ولا يستثني أنها[1] ليلة سبع وعشرين. وإليه ذهب الإمام أحمد[2]، وأبو حنيفة[3] ــ رحمهما الله ــ[4].

وقيل: هي ليلة إحدى وعشرين، وهو مذهب الشافعي[5].

وقيل: ليلة ثلاث[6] وعشرين، وهي الليلة التي أمر النبي ﷺ عبد الله[7] بن أنيس أن يُصليها في المسجد[8].

أ/٢٥٣ وقيل:/ ليلة خمس وعشرين، قاله الصدِّيق رضي الله عنه، رواه عن النبي ﷺ[9].

وقيل: هي أول ليلة من شهر رمضان، لأنها فاتحة الشهر.

وقيل: ليلة أربع عشرة منه.

---

(١) وردت في الأصل: (أنه). والصواب: (أنها)، لأن الضمير يعود على (ليلة القدر).

(٢) انظر: المغني: ١١٥/٣.

(٣) انظر: الدر المختار: ١٣٧/٢.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٩٨/٨.

(٥) انظر: المجموع: ٤٤٩/٦ــ٤٥٠.

(٦) وردت في الأصل: (ثلاثة) وهو خطأ. والصواب: (ثلاث).

(٧) عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري حليف بني سلمة، وقال الواقدي: هو من البَرَك بن وَبَرَ. كان مهاجرياً أنصارياً عقبياً. شهد بدراً وأحداً وما بعدهما. ويكنى: أبا يحيى. روى عنه أولاده. وهو الذي سأل النبي ﷺ عن ليلة القدر. وهو أحد الذين كانوا يكسرون أصنام بني سلمة. توفي سنة أربع وسبعين للهجرة. انظر: أسد الغابة: ١٧٨/٣، رقم الترجمة: ٢٨٢٤، والاستيعاب: ٨٦٩/٣، رقم الترجمة: ١٤٧٧.

(٨) أخرجه أبو داود في سننه بسنده عن محمد بن إبراهيم عن ابن عَبد الله بن أنيس الجهني عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: إن لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله، فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد، فقال: ((انزل ليلة ثلاث وعشرين)). فقلت لابنه: كيف كان أبوك يصنع؟ قال: كان يدخل المسجد إذا صلى العصر، فلا يخرج منه لحاجة حتى يصلي الصبح، فإذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد، فجلس عليها فلحق ببادیته. انظر: سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في ليلة القدر: ٥٢/٢، رقم الحديث: ١٣٨٠.

(٩) لدى التحري لم أقف على سند لهذه الرواية لأبي بكر رضي الله عنه وراوي هذا المعنى أبو بكرة عن النبي ﷺ وليس أبا بكر الصديق رضي الله عنه. انظر: زاد المسير: ٢٩٨/٨. وقال الحافظ ابن حجر: حكاه ابن العربي في العارضة، وعزاه ابن الجوزي في المشكل لأبي بكرة. انظر: فتح الباري: ٣١١/٤.

وقال الحسن البصري: هي ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وبها تنزلت الملائكة(١).

وقيل: ذكر عند النبي ﷺ رجل من بني إسرائيل، حمل السلاح في سبيل الله على عاتقه ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خيرٌ من الألف شهر الذي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله عزَّ وجلَّ. رواه ابن عباس [رضي الله عنهما] (٢). وقيل: ما كان يقال للرجل فيما مضى عابدٌ، حتى يعبد الله ألف شهر. فأعطيت هذه الأمة ليلة القدر، وجُعِلَ إحياؤها خيراً(٣) من ألف شهر من عبادة أولئك.

قلت: ولكل قولٍ من هذه الأقوال الثابتة، والأحاديث الصحيحة، ما يدل عليه، تركنا ذكرها اختصاراً.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة [رضي الله عنه] أن رسول الله ﷺ قال: ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر لهُ ما تقدم من ذنبه))(٤).

وخرَّج الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((يا رسول الله إن وافقتُ ليلةَ القدر فبمَ (٥) أدعو؟، قال: قولي: اللهم/ إنك عفوٌ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني))(٦). | ٢٥٣/ب

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة وابن منيع والبخاري في تاريخه والطبراني وأبو الشيخ والبيهقي عن الحوط الخزاعي قال: سألت زيد بن أرقم رضي الله عنه عن ليلة القدر فقال: فما تماري ولا شك، قال: ليلة تسع عشرة ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان. انظر: المصنف لابن أبي شيبة: ٧٦/٣، والدر المنثور: ٦٣٦/٦.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٩٨/٨، وتفسير القرطبي: ١٣٢/٢٠.

(٣) وردت في الأصل: (خيرُ) وهو خطأ. والصواب (خيراً)، لأنه مفعول به منصوب.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية. وقالت عائشة رضي الله عنها: عن النبي ﷺ: ((يُبعثون على نياتهم)): ٥٨٦/٢، رقم الحديث: ١٩٠١. وأخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من يقم ليلة القدر فيوافقها ــ أراه قال ــ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له)). انظر: صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح: ١/ ٥٢٤، رقم الحديث: ١٧٦.

(٥) وردت في الأصل: (فبما)، وهو خطأ صوابه: (فبمَ) كما في المسند.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده: ٦١٠/١٧، رقم الحديث: ٢٥٣٧١. وإسناده صحيح.

سورة لم يكن[١]

وهل هي مكيَّة أو مدنيَّة؟ على قولين[٢].

وهي [ثماني][٣] آيات[٤].

---

(١) وتسمى: سورة البيِّنة، وسورة القيِّمة، وسورة المنفكين. انظر: بصائر ذوي التمييز: ٥٣٣/١، والمحرر الوجيز: ٥٢٦/١٥، وزاد المسير: ٣٠١/٨.

(٢) مكية في قول جمهور المفسرين، قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، واختاره يحيى بن سلام. وقال ابن الزبير وعطاء: هي مدنية. والأول أشهر. انظر: زاد المسير: ٣٠١/٨، والمحرر الوجيز: ١٥ /٥٢٦.

(٣) وردت في الأصل: (ثمان)، وهو خطأ. والصواب: (ثماني)، كما أثبتُّه في المتن.

(٤) تسع آيات في البصري والشامي بخلاف عنه، وثمانٍ في عدِّ الباقين. انظر: البيان: ص: ٢٨٢، وبصائر ذوي التمييز: ٥٣٣/١.

سورة الزلزلة

تسع آيات[١].

وهل هي مكيَّة أو مدنيَّة؟ فيها قولان أيضاً[٢].

قال عبد الله بن عمرو: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ، فقال: أقرئني سورةً جامعة، فأقرأه ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝ ﴾ حتى فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً، فقال رسول الله ﷺ: ((أفلح الرويجل، أفلح الرويجل))[٣].

والزلزلة: حركة شديدة تكون عند قيام الساعة[٤]، قيل: هي من شدة صوت إسرافيل، حتى ينكسر كل ما عليها، ولا تسكن حتى تُلقي ما على ظهرها من جبل، وبناءٍ، وشجر. ثم تتحرك وتضطرب، فتُخرج ما في جوفها من كنزٍ، وغيره، ذكره مقاتل[٥].

---

(١) ثماني آيات في عدِّ المدني الأول والكوفي. وتسع في عدِّ الباقين. واختلافها في آية: ﴿ أَشۡتَاتٗا ﴾ ، لم يعدّها المدني الأول والكوفي، وعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٨٣، وبصائر ذوي التمييز: ١٠/٥٣٥.

(٢) مكية. قاله ابن مسعود وجابر وعطاء. وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل والجمهور: هي مدنية، لأن آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة. انظر: المحرر الوجيز: ١٥/٥٣٣، وزاد المسير: ٨/٣٠٤.

(٣) أخرج أبو داود في سننه بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: ((اقرأ ثلاثاً من ذوات الر)). فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني. قال: ((فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم)). فقال مثل مقالته. فقال: ((اقرأ ثلاثاً من المسبحات)). فقال مثل مقالته. فقال الرجل: يا رسول الله أقرئني سورة جامعة. فأقرأه النبي ﷺ ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ حتى فرغ منها. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً. ثم أدبر الرجل. فقال النبي ﷺ: ((أفلح الرويجل مرتين)). انظر: سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن: ٢/٥٧، رقم الحديث: ١٣٩٩.

(٤) أصل الزلزلة تحريك الشيء حركة عظيمة شديدة، تتجلى فيها معاني التخويف والتحذير والإزعاج والاضطراب. انظر: لسان العرب: ١١/٣٠٧.

(٥) انظر: زاد المسير: ٨/٣٠٤.

سورة العاديات[١]

وهل هي مكيَّة أو مدنيَّة؟ على قولين[٢].

قال مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سريَّة إلى حنين من كنانة[٣]، واستعمل عليهم المنذر[٤] بن عمرو الأنصاري، فأبطأ عنه خبرها، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول/ الله ﷺ تناجَوا، فيظن الرجل أنه قُتِل أخوه، أو أبوه، أو عمُّه، فيجد من ذلك، فنزلت: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ ﴾ فأخبره الله كيف فُعل بهم. ٢٥٤/أ

قال ابن عباس [رضي الله عنهما] والأكثرون[٥]: هي الخيل في سبيل الله، تعدو فتضبح. والضبح: صوت أنفاسها إذا عدون، ليس بصهيل ولا حمحمة[٦]. وعن ابن عباس [رضي الله عنهما]: أنه حكاه فقال: اخْ، اخْ. وانتصاب ﴿ ضَبْحًا ﴾ على أنه مصدر ضبح ضبحاً، أو على الحال. يعني: ضابحات ضبحاً. ورُوِيَ عن

---

(١) إحدى عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٨٤، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٥٣٧.

(٢) مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة ومقاتل. انظر: تفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠، وفتح القدير للشوكاني: ٤٨١/٥، والمحرر الوجيز: ١٥/ ٥٤٣، وزاد المسير: ٣٠٧/٨.

(٣) بنو كنانة قبيلة عربية. وإليهم ينسب خَيْف بني كنانة، وهو مسجد منى بمكة، وكذا شعب بني كنانة وهو موضع بين الحجون وصُفيّ السباب في مكة. انظر: معجم البلدان: ٤٨/٤.

(٤) منذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، عَقَبِي بدري نقيب، استشهد يوم بئر معونة، وكان يلقب المعنِق ليموت. انظر: الإصابة: ٢١٧/٦، رقم الترجمة: ٨٢٣٠.

(٥) قاله ابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وأبو العالية وعكرمة وقتادة وعطية والربيع واللغويون. انظر: زاد المسير: ٣٠٨/٨، وتفسير البغوي: ٤٨٥/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٨/٢٠.

(٦) الصهيل: صوت الفرس في أكثر أحواله، والضبح: صوت نفَسه إذا عدا. وهو الذي ذكره القرآن الكريم: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾. والقبع: صوت يردده من منخره إلى حلقه إذا نفر من شيئ أو كرهه. والحمحمة: صوته إذا طلب العلف، أو رأى صاحبه فاستأنس إليه. والخضيعة والوقيب: صوت بطنه، وكذلك البقبقة والقبقبة. والرعاق والرعيق: صوت يسمع من قنبه، كما يسمع الوعيق من ثفر الرمكة. وهي التي تُتخذ للنسل. انظر: فقه اللغة: ص: ١٩٥.

عليٌّ وابن مسعود [رضي الله عنهما]: أنها الإبل في الحجِّ. قال عليٌّ ــ عليه السلام ــ: والعاديات من عرفة إلى مزدلفة، ومن مزدلفة إلى منى(١).

قال الشعبي: تمارى عليٌّ وابن عباس [رضي الله عنهما] في قوله: ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴾ فقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هي الخيل، ألا ترى يقول: ﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝ ﴾ فهل تُثيره إلا بحوافرها؟ وهل تضبح الإبل؟ إنما تضبح الخيل. فقال عليٌّ: ليست كما قلت، لقد رأيتنا يوم بدر، وما معنا إلا فرسٌ أبلق للمقداد(٢) بن الأسود، وفي رواية، وفرس لمرثد(٣) بن أبي مرثد الغنوي، وفي رواية، فرس للمقداد وفرس للزبير(٤).

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣٠٧/٨، وتفسير القرطبي: ١٥٥/٢٠.

(٢) المقداد بن الأسود الكندي، وهو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني، وقيل: الحضرمي. يكنى أبا الأسود، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو سعيد. تزوج ضباعة بنت الزبير ابنة عم النبي ﷺ وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها. وكان فارساً يوم بدر، وأول من قاتل على فرس في سبيل الله، ومن السبعة الأوائل الذين أظهروا إسلامهم. كان طويلاً، أدم، كثير الشعر، أعين مقروناً، عظيم البطن. نصحه غلامه الرومي شق بطنه ليخرج من شحمه ويتلطف، فشق بطنه ثم خاطه، فمات المقداد، وذلك سنة ٣٣هـ، وهو ابن سبعين. ذكره النبي ﷺ ضمن أربعة أمره الله بحبهم. وروى عنه أحاديث. انظر: الإصابة: ٢٠٢/٦، رقم الترجمة: ٨١٨٩.

(٣) مرثد بن أبي مرثد الغنوي، صحابي وأبوه صحابي واسمه كناز، وهما ممن شهد بدراً. واستشهد في صفر سنة ثلاث في غزاة الرجيع. انظر: الإصابة: ٧٠/٦، رقم الترجمة: ٧٨٨٣.

(٤) رواه ابن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴾، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب ﷺ وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن: ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عباس فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه إليَّ، فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به؟ والله لكانت أول غزوة في الإسلام لَبَدر، وما كان معنا إلا فرسان؛ فرس للزبير، وفرس للمقداد. فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى مزدلفة إلى منى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي ﷺ. انظر: تفسير الطبري: ٢٧٣/٣٠، والمحرر الوجيز: ٥٤٧/١٥، وتفسير القرطبي: ١٥٥/٢٠.

قال صاحب الكشاف: إن صحت الرواية عن عليٍّ ــ كرَّم الله وجهه ــ، فقد استُعير الضبحُ للإبل كما استُعير/ المشافر[١] والحافر للإنسان. قال[٢]: وقيل: الضبح لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب. وقيل: الضبح: بمعنى الضبعُ، يقال: ضبعت[٣] الإبل إذا مدت أعناقها في السير، وليس بثبتٍ[٤]، والله أعلم. ٢٥٤/ب

وقوله: ﴿ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ ﴾ قال قتادة: هي الخيل تهيِّجُ للحرب نارَ العدواة بين أصحابها وفرسانها.

وقال الأكثرون: هي الخيل تُصيب بحوافرها الحجارة، فتوري النار بقدحها[٥]. وتسمَّى هذه النار نار الحُباحب.

والحُباحب: رجل شحيح من جاهلية مضر، من أبخل الناس، وكان لا يوقد ناراً حتى تنام الناس، فيوقد نويرةً ضعيفة، توقد مرةً وتُطفأ أخرى، كراهية أن ينتفع بها أحدٌ. فشبَّهت العرب هذه النار بناره، لأنه لا ينتفع بها[٦].

وقوله: ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ ﴾ هي الخيل، تَغير على العدو صُبحاً[٧]، إذا لم يسمعوا لهم أذاناً[٨].

---

(١) وردت في الأصل: (المسافر). ولا معنى لها إلا أن تكون: (المشافر) كما في تفسير الكشاف: ٢٧٨/٤، يقال للإنسان مشافر على الاستعارة. والمشفر للبعير كالشفة للإنسان، والجحفلة للفرس. انظر: لسان العرب: ٤١٩/٤.

(٢) أي الزمخشري في تفسير الكشاف.

(٣) هكذا في الأصل. وقال الزمخشري: يقال: ضبحت الإبل وضبعت، إذا مدت أعناقها. انظر: تفسير الكشاف: ٢٧٨/٤.

(٤) انظر: الكشاف: ٢٧٨/٤.

(٥) هذا رأي الجمهور، ورجحه الطبري. انظر: تفسير الطبري: ٢٧٤/٣٠، وزاد المسير: ٣٠٨/٨.

(٦) انظر: لسان العرب: ٢٩٨/١.

(٧) (تُغِيْرُ) هنا: من الفعل: (أغار)، أي: شدَّ العدوَ وأسرع. والمُغيرة والمِغيرة: الخيل التي تغير. انظر: لسان العرب: ٣٦/٥، وزاد المسير: ٣٠٨/٨.

(٨) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن حميد قال سمعت أنسا ﷺ يقول: ((كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار بعد ما يصبح. فنزلنا خيبر ليلاً. حدثنا قتيبة حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة: ٣٢٤/٤، رقم الحديث: ٢٩٤٣، ٢٩٤٤.

وعلى قول عليٍّ [رضي الله عنه]: هي الإبل تَغيرُ صبحاً من المزدلفة إلى منى[1]، والله أعلم.

---

(١) العرب تقول: أغار إذا عَدَا حرباً. انظر: المحرر الوجيز: ١٥/٥٤٦.

سورة القارعة

مكيَّة[١] بإجماعهم.

والقارعة: القيامة، سمِّيت بذلك، لأنها تقرع القلوب بشدةِ هولها[٢].

---

(١) ثماني آيات في عدِّ البصري والشامي، وعشر في المدنيين والمكي، وإحدى عشرة في الكوفي. اختلافها في ثلاث آيات؛ ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ الأولى عدَّها الكوفي، ولم يعدّها الباقون.﴿ ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ و﴿ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ لم يعدّهما البصري والشامي، وعدّهما الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٨٥، وبصائر ذوي التمييز: ٥٣٩/١.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٥٢/١٥، وزاد المسير: ١٠٦/٨.

سورة التكاثر

مكيَّة[١] بإجماع.

والسبب في نزولها ــ على ما ذكره ابن السائب ومقاتل ــ/ أن حيَّين من | ٢٥٥/أ
قريش: بني عبد مناف، وبني سهم، جرى بينهما لِحَاءٌ[٢]، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيداً، وأعزُّ نفراً. وقال أولئك مثلَ هذا. فتعادُّوا السادة والأشراف أيُّهم أكثر؟ فكثرتُهم بنو عبد مناف. ثم قالوا: نعدُّ موتانا، فزاروا القبور، فعدُّوا موتاهم، فكثرتُهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية. فنزلت: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾[٣].

قرأ أبو بكر الصديق [رضي الله عنه]: (أألهاكم) بهمزتين مقصورتين على الاستفهام[٤]، بمعنى الإنكار والتوبيخ. والمعنى: شغلكم التفاخرُ بكثرة الرجال الأشراف، والتفاخرُ بالأموال والأولاد.

﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ فعددتم مَن فيها من أشرافكم[٥].

---

(١) ثماني آيات في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٨٦، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٤٠

(٢) اللحاء: المنازعة والسباب والشتم واللعان. يقال: لاحيته ملا حاة ولِحَاءً: إذا نازعته، وتلاحى الرجلان إذا تشاتما. انظر: لسان العرب: ١٥/٢٤٣.

(٣) انظر: أسباب النزول: ص: ٣٣٧، وزاد المسير: ٨/٣١٣، وتفسير القرطبي: ٢٠/١٦٨، والبحر المحيط: ٨/٥٠٧، وتفسير البغوي: ٤/٤٨٨، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٣.

(٤) وهي قراءة ابن عباس والشعبي وأبو العالية وأبو عمران وابن أبي عبلة. انظر: زاد المسير: ٨/٣١٣.

(٥) انظر: زاد المسير: ٨/٣١٤.

وروينا في الصحيح من حديث عبد الله[١] بن الشخيِّر [رضي الله عنه]: أنه قال: ((انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾ قال: يقول ابنُ آدم: مالي مالي، ومالَك من مالِك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت))[٢]

---

(١) عبد الله بن الشخِّير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن عامر العامري ثم الحرشي، له صحبة، سكن البصرة. روى له أحمد في المسند بسنده عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه أنه وفد إلى النبي ﷺ في رهط من بني عامر قال: فأتيناه فسلَّمنا عليه فقلنا: أنت ولينا، وأنت سيدنا، وأنت أطول علينا. قال يونس: وأنت أطول علينا طولاً، وأنت أفضلنا علينا فضلاً، وأنت الجَفْنَة الغرَّاء فقال: قولوا قولكم، ولا يستجرنَّكم الشيطان)). قال: وربما قال: ((ولا يستهوينكم)). انظر: مسند أحمد: ٥٢١/١٢، رقم الحديث: ١٦٢٦٣، وإسناده صحيح. انظر: الإصابة: ١٢٧/٤، رقم الترجمة: ٤٧٤٦، وأسد الغابة: ٢٧٥/٣، رقم الترجمة: ٣٠٠٥.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه بسنده قال: حدثنا قتادة عن مطرف عن أبيه (وهو عبد الله بن الشخير) قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ . قال: ((يقول ابن آدم: ما لي ما لي قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق: ٢٢٧٣/٤، رقم الحديث: ٢٩٥٨/٣٠.

سورة العصر

ثلاث آيات(١).

وهل هي مكيَّة أو مدنيَّة؟ على قولين(٢).

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ ﴾ الدهر. أقسم الله به لما فيه من العبر، ومروره على نظام بديع لا ينخرم. وقال الزَّجَّاج: العصر: الدهر، والعصر: اليوم، والعصر:/ الليلة. ٢٥٥/ب
قال الشاعر(٣):

ولن يلْبَث العصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا(٤)

وقال مقاتل: صلاة العصر، أقسم الله بها لفضلها، كونها الصلاة الوسطى(٥). وجواب القسم ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ وهو اسم جنس. ﴿ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾.

قال أهل المعاني: الخسر: هلاك رأس المال أو نقصانه. فإذا لم يعمل بطاعةِ الله، فقد خسر نفسه، وأضاع عمره، وهما أعظم رأس ماله(٦).

---

(١) ثلاث آيات في جميع العدد. اختلافها في آيتين؛ ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾ لم يعدّها المدني الأخير، وعدُّها الباقون. ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ﴾ عدَّها المدني الأخير، ولم يعدَّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٨٧، وبصائر ذوي التمييز: ٥٤٢/١.

(٢) قال قتادة مدنية. ورُوِيَ هذا أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: المحرر الوجيز: ٥٦٣/١٥.

(٣) الشاعر: حميد بن ثور الهلالي، وهو من بني عامر بن صعصعة، وهو شاعر إسلامي مُجيد. انظر: لسان العرب: ٥٧٦/٤، وتفسير القرطبي: ١٧٩/٢٠، والبحر المحيط: ٥٠٩/٨، والمحرر الوجيز: ٥٦٤/١٥، والشعر والشعراء: ص: ٢٥٢. والشاهد أن العصر هو اليوم وهو الليلة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٥٩/٥.

(٥) **الصلاة الوسطى** صلاة العصر عند جمهور العلماء. وقد أقسم الله تعالى بها لفضلها. أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن علي قال قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: ((شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً)). ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء. انظر: صحيح مسلم: كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر: ٤٣٧/١، رقم الحديث: ٦٢٧/٢٠٥، وأخرج البخاري في الصحيح بسنده عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِرَ أهله وماله)). قال أبو عبد الله: (يتركم أعمالكم) وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً، أو أخذت له مالاً. انظر: صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فاتته العصر: ١٧٢/١، رقم الحديث؛ ٥٥٢، وزاد المسير: ٣١٦/٨.

(٦) انظر: زاد المسير: ٣١٦/٨.

قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ أي: تواصوا بالتوحيد، وتواصوا بالصبر على الحق، من ملازمة الطاعةِ، وترك المعصية.

قال إبراهيم النخعي: أراد أن الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا لفي نقصٍ وضعفٍ، إلا المؤمنين، فإنهم تُكتب لهم أجورهم، ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم، وقوَّتهم، وصحتهم[1].

وروى عليٌّ[2] بن رفاعة عن أبيه، قال: حججتُ، فوافيت ابن عباس [رضي الله عنهما] يخطب على منبر رسول الله ﷺ، فقرأ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾ أبو جهل ابن هشام، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أبو بكر الصديق، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ، ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ﴾ عثمان بن عفان، ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ علي بن أبي/ طالب ــ رضي الله عنهما ــ. ويروى مثل هذا التفسير مرفوعاً إلى النبي ﷺ [3].

٢٥٦/أ

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣١٧/٨.

(٢) علي بن رفاعة القرظي، ذكره علي بن سعيد العسكري. وروى بسند فيه محمد بن حميد الرازي من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن علي بن رفاعة، قال محمد بن حميد الرازي قال: كان أبي من الوفد الذين أسلموا من أهل الكتاب. قال أبو موسى: فعلى هذا الصحبة لأبيه. قال ابن حجر: ولكن ذكر ابن أبي حاتم حديثاً آخر من طريق ابن مجمع عن عمرو بن دينار قال: قال لي طاووس: سلْ مَن هنا مِن الأنصار عن المخابرة؟ فسألت علي بن رفاعة القرظي، فقال: هو كراء الأرض بالثلث أو الربع. انظر: الإصابة: ٥٦٣/٤، رقم الترجمة: ٥٦٨٩.

(٣) لم أقف على تخريج لهذا الحديث فيما اطلعت عليه من كتب الحديث، وقد ذكره القرطبي والرسعني في تفسيريهما. انظر: مخطوط تفسير الرسعني ورقة: (٢٥٧/ب)، (٢٥٨/أ)، تفسير القرطبي: ١٨٠/٢٠.

سورة الهمزة[١]

مكيَّة بإجماع[٢].

قال ابن عباس [رضي الله عنه]: نزلت في الأخنس[٣] بن شريق.

وقال عروة: في العاص بن وائل[٤].

وقال ابن إسحاق: في أميَّة بن خلف[٥].

وقال مقاتل: في الوليد بن المغيرة[٦].

---

(١) الهمزة: فيها وفي اللمزة أقوال. أشهرها: المغتاب العيَّاب الطعَّان. وقد روى أحمد في المسند بسنده عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ: ((خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البرآءَ العنتَ)). انظر: مسند أحمد: ٣١/١٤، رقم الحديث: ١٧٩٢١. وإسناده حسن. وحسَّنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩٣/٨، ولفظه: ((الباغون للبرآء العيب)). والمنذري في الترغيب والترهيب: ٤٩٩/٣.

(٢) تسع آيات في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٨٨، وبصائر ذوي التمييز: ٥٤٣/١.

(٣) الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي، أبو ثعلبة حليف بني زهرة، واسمه أبي. ولقب بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما علم بنجاة عير أبي سفيان، ثم أسلم فكان من المؤلفة، وشهد حنيناً، ومات أول خلافة عمر. ذكر السدي أنه جاء إلى النبي ﷺ فأظهر الإسلام، وقال: الله يعلم أني صادق، ثم هرب فمرَّ بقوم من المسلمين، فحرَّق لهم زرعاً، وقتل حُمُراً، فنزلت: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ . ورجَّح ابن حجر صحبته، على أنه أسلم ثم ارتد، ثم رجع إلى الإسلام. انظر: الإصابة: ٣٩/١، رقم الترجمة: ٦١.

(٤) العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي، أحد الحكام في الجاهلية، أدرك الإسلام وظل مشركاً، ويعدُّ من المستهزئين والزنادقة الذين ماتوا على الكفر والوثنية. وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار. منع عمر من قريش حين أظهر إسلامه. مات من لدغة في الأرض انتفخت رجله منها. انظر: نسب قريش: ص: ٤٠٨، والمحبر: ص: ١٣٣، والأعلام: ٢٤٧/٣.

(٥) أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي أحد جبابرة قريش في الجاهلية، وهو من ساداتهم. أدرك الإسلام ولم يسلم. وهو الذي عذب بلالاً الحبشي في بداءة ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس يحرِّضهم على قتله، فقتلوه. انظر: سيرة ابن هشام: ٥٢/٢، والكامل لابن الأثير: ٤٨/٢، والأعلام: ٢٢/٢.

(٦) وهو قول ابن جريج أيضاً. انظر: زاد المسير: ٣١٨/٨. الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش وزنادقتها، ويقال له لعدل لأنه كان عدل قريش كلها، كانت قريش كلها تكسو البيت، وهو يكسوه وحده. وكان ممن حُرِّم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها. أدرك الإسلام وهو هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهلك بعد الهجرة بثلاثة

وقال مجاهد: هي عامَّةٌ[1].

ولا منافاة بين الأقوال، لأنه يحتمل أنها نزلت بسبب المذكورين، ولفظها عامٌّ، والله أعلم.

أشهر. ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد. انظر: الكامل لابن الأثير: ٢/٢٦، والمحبر: ص: ١٦١، والأعلام: ٨/١٢٢.

(١) ذكر هذه الأقوال الخمسة ابن الجوزي في تفسيره. انظر: زاد المسير: ٨/٣١٨.

سورة الفيل

مكيَّة[١].

قال محمد بن إسحاق وغيره ــ ومعظم السياق لابن إسحاق ــ: فكان من حديث أصحاب الفيل، فيما ذكر بعض أهل العلم: عن سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس [رضي الله عنهما]، وعن من لقي من علماء اليمن وغيرهم، أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن، بنى كنيسة بصنعاء اليمن، وسمَّاها (القُليس)[٢]، وأراد أن يصرف إليها حجَّ العرب. فخرج رجل من كنانة فقعد[٣] فيها ليلاً، فبلغ ذلك أبرهةَ، فقال: من اجترأ عليَّ؟ فقيل: له رجل من العرب، من أهل ذلك البيت، سمع بالذي قلتَ، فصنع هذا. فحلف ليسيرنَّ إلى الكعبة حتى يهدمها، فخرج سائراً في الحبشة، وخرج معه بفيل[٤] يقال له: محمود، وكان قوياً/ عظيماً. ٢٥٦/ب

وقيل: استصحب معه أيضاً اثني عشر فيلاً، حتى إذا بلغ الطائف، خرج إليه مسعود بن مغيث الثقفي في رجال من ثقيف، فقال له: أيُّها الملك، إنما نحن عبيدك، ليس لك عندنا خلاف. وبعثوا معه أبا رِغال، مولىً لهم ليدلَّه على البيت. فلما بلغ (المُغمَّسِ)[٥] مات أبو رِغال، وهو الذي يُرجَم قبره[٦].

فبعث أبرهة من المغمَّسِ رجلاً من الحبشة، يُقال له: الأسود[٧] بن ينط على مقدمة خيله، فجمع له أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مئتي بعير.

ثم إن أبرهة بعث رجلاً إلى أهل مكة، فقال: سل عن شريفها، ثم قل له: إني لم آت لقتال أحدٍ إلا أن يقاتلني، إنما جئت لأهدم هذا البيت، ثم أنصرف.

---

(١) خمس آيات في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٨٩، وبصائر ذوي التمييز: ٥٤٤/١

(٢) انظر الخبر بتوسع في معجم البلدان: ٤٤٨/٤.

(٣) أي: تغوَّط. قال ابن هشام: يعني أحدث فيها. انظر: سيرة ابن هشام: ٥٠/١.

(٤) العبارة ركيكة في سبكها وصياغتها. والأقرب للوضوح: (وأخرج معه فيلاً يقال له..).

(٥) موضع قرب مكة في طريق الطائف. مات فيه أبو رغال، وقبره يرجم، لأنه كان دليل صاحب الفيل وهو من غمست الشيء إذا غطيته، وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب أو بعضاه. وكان ﷺ لما كان بمكة إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمَّس، وهو على ثلثي فرسخ من مكة. انظر: معجم البلدان: ١٦٢/٥.

(٦) انظر سيرة ابن هشام: ٥٢/١.

(٧) ورد اسمه في السيرة: الأسود بن مقصود أرسله على طليعة من جيشه مع الفيلة. انظر: سيرة ابن هشام: ٥٢/١.

فلما أتى مكة سأل عن شريفها، فدُلَّ على عبد المطلب فأبلغه الرسالة، فقال له عبد المطلب: قل له ما له عندنا قتال، وما لنا به يدان[١]، سنُخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه.

قال: فانطلق معي إلى الملك، فخرج معه، فلما دخل على الملك عظَّمه وأكرمه، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً، وقال الملك لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملِك؟ فقال/ له عبد المطلب: حاجتي أن تردَّ عليَّ إبلي. فقال لترجمانه: قل له: كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتُكم لأهدمَه، فلم تكلمني فيه، وكلمتني في مئتي بعير أصبتها، فقال عبد المطلب: قل له: أنا ربُّ هذه الإبل، وإن لهذا البيت رباً سيمنعه منه، فأمر بإبله فرُدَّت عليه[٢].

٢٥٧/أ

قال ابن إسحاق: وكان فيما زعم بعض أهل العلم، قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة بسيِّد بني كنانة، وسيد بني هُذيل، فعرضوا على أبرهة ثُلثَ أموال أهل تهامة[٣] على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم، فلما رُدَّت الإبلُ على عبد المطلب رجع فأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب، ويتحرَّزوا[٤] في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرّةِ[٥] الجيش إذا دخل، ففعلوا.

---

(١) اليد هنا بمعنى القوة. والمعنى: ليس لنا سلطة أو قوة تمنعه من قصده الذي يبغيه. قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ ﴾ [ص: الآية٤٥]. انظر: لسان العرب: ٧٦/٣.

(٢) انظر سيرة ابن هشام: ٥٤/١.

(٣) تهامة: وردت أقوال عديدة في تحديد أطرافها، وهي في جزيرة العرب تساير البحر، ومنها مكة، وسمي الحجاز حجازاً لأنه يحجز بين تهامة ونجد. وسميت تهامة لشدة حرِّها وركود ريحها. انظر: معجم البلدان: ٢ /٧٤.

(٤) يقصد بالتحرّز: التحصُّن في الموضع الحصين. وهو الخروج بأهليهم والاعتصام بهم في المواضع الصعبة المرتقى والممرات في أعالي الجبال والمرتفعات بعيداً عن أذى جيش الحبشة وتطاوله على أعراض الناس وحرماتهم وأموالهم. انظر سيرة ابن هشام: ٥٤/١، ولسان العرب: ٣٣٣/٥.

(٥) معرَّة الجيش: أن ينزل بقوم فيأكلوا من زروعهم شيئاً بغير علم. وهي التي تبرأ منها عمر ﷺ في قوله: اللهم إني أبرأ إليك من معرة الجيش. وهي وطأتهم مَن مرُّوا به من مسلم أو معاهد، وإصابتهم إياهم في حريمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه. انظر: سيرة ابن هشام: ٥٤/١، ولسان العرب: ٥٥٦/٤.

وأتى عبد المطلب، وأخذ بحلقة الباب، وجعل يقول:

يَا رَبِّ لا أَرْجُو لهم سِوَاكَا ... يَا رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكَا

إنَّ عَدُوَّ البيت مَــنْ عَادَاكا ... امْنَعْهُمُ أن يُخْرِبُــوا قِرَاكا

٢٥٧/ب

وقال أيضاً:/

لاَهُمَّ[١] إنَّ المرْءَ يمْنَعُ ... رَحْلَه فامنــعْ حِلاَلَــكْ[٢]

لاَ يَغْلِبَــنَّ صَلِيبُهُــمْ ... وَمِحَالُهــم غدْواً مِحَالَــكْ[٣]

جَــرُّوا جميعَ بلادهــم ... والفيــلَ كي يَسْبُوا عِيَالَكْ

عَمِدُوا حِمَــاك بكيدِهــم ... جهلاً ومــا رَقَبُوا جَلاَلَــكْ

إنْ كنتَ تاركهم وكعــ ... ــبَتَنَا فَأَمْرٌ مَــا بَدَا لَــكْ[٤]

ثم إن أبرهة أصبح متهيئاً للدخول، فقدّمَ الفيلَ، فكانوا كلما وجَّهوه إلى الحرم، برك ولم يبرح، فإذا وجَّهوه إلى اليمن، أو إلى غيره من الجهات هرول.

فأرسل الله عليهم طيراً من البحر، أمثال الخطاطيف[٥]، مع كل طير منها ثلاثة أحجار؛ حجران في رجليه، وحجر في منقاره، أمثال الحمّص والعدس، فلما غشين القوم أرسلتها عليهم، فلم تصب أحداً إلا هلك. ولم تصب كل القوم، فخرج

---

(١) أصله: اللهم. والعرب تحذف الألف واللام وتكتفي بما بقي. وكذلك تقول: لاه أبوك، تريد لله أبوك، وهذا لكثرة دَوْر هذا الاسم على الألسنة. انظر: الروض الأنف: ٢٦٧/١.

(٢) الرَّحْل: مأوى الشخص في الحضر، ثم أطلق على أمتعة المسافر لأنها هناك مأواه. والحِلال جمع حِلة وهي جماعة بيوت الناس لأنها تُحَلّ. وقال السهيلي: الحِلال هنا: القوم الحُلول في المكان. والحِلال مركب من مراكب النساء، والحِلال أيضاً: متاع البيت. انظر: سبيل الهدى والرشاد: ٢٦٢/١، والروض الأنف: ٢٦٧/١، ولسان العرب: ١٦٥/١، ٢٧٥.

(٣) المِحَال: القوة والشدة والكيد. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد: الآية ١٣]. غدواً: أصل الغدو: اليوم الذي يأتي بعد يومك. ولا ريب أن أبرهة كان قد أخبره أنه سيهاجم البيت ليهدمه في صباح اليوم التالي. ولم يُرِدْ عبد المطلب الغد بعينه، إنما أراد تقريب الزمان. والمعنى: لا تغلبنَّ يارب قوتُهم، فأنت وحدك القوي. انظر: سبيل الهدى والرشاد: ٢٦٣/١، ولسان العرب: ٦١٨/١١.

(٤) ما هنا زائدة مؤكدة أو موصولة. أي الذي بدا لك من المصلحة في تركهم. فإن تركتهم يغلبون على البيت، ويهدمونه فليس هذا لقوتهم، بل لأمر أردته ونحن لا نعلمه. انظر: سبيل الهدى والرشاد: ٢٦٣/١.

(٥) جمع مفرده: خُطَّاف. وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة. انظر: لسان العرب: ٧٧/٩.

مَن لم تصبه الحجارة يبتدرون الطريق الذي جاءوا منه، وماج بعضهم في بعض، وهلكوا في كل طريق ومنهل.

وبعث الله على أبرهة شيئاً في جسده، فجعلت أنامله تتساقط، كلما سقطت أنمُلة تبعتها أنمُلة من قيح ودمٍ. فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير، فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه(١).

أ/٢٥٨ قالوا: فلما رأى عبد المطلب الطير قد/ أقبلت من ناحية البحر، قال: إن هذه الطير غريبة. وبعث ابنه عبد الله أبا النبي ﷺ ينظر أمر القوم، فرجع يركض فرسه، ويقول: هلك القوم جميعاً.

فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم.

وقيل: لم ينج من القوم إلا وزير أبرهة أبو يكسوم، فسار وطائر يحلق فوقه، حتى دخل على النجاشي، وهو الملك الأعظم، وكان أبرهة دونَهُ، فلما أخبره الخبر، أرسل الطائر عليه الحجر فهلك، فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه(٢).

قلت: وأصح الأقوال: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وببركته عليه الصلاة والسلام هلكوا، وهذا قول أكثر العلماء(٣).

وقيل: كان الفيل قبل مولد رسول الله ﷺ بثلاث وعشرين سنة(٤)، وقيل: قبل مولده بأربعين سنة(٥).

---

(١) أي انشق صدره عن قلبه، لأن لحمه تساقط. انظر: لسان العرب: ١٩٤/٨، وسبيل الهدى والرشاد: ١/ ٢٦٤.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣٢٣/٨.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٢٠٣/١، وسبيل الهدى والرشاد: ٤٠٢/١.

(٤) رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده. انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٢٠٣/١.

(٥) قاله أبو زكريا العجلاني. ورواه عنه ابن عساكر. قال الحافظ ابن كثير: وهذا غريب جداً. انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٢٠٣/١. وهذه الأقوال مع غيرها كثيرة في ثنايا كتب السيرة. وهي في مجموعها ضعيفة، وردت بصيغة التمريض والتضعيف. قال الحافظ ابن كثير: كونه في عام الفيل هو المشهور عند الجمهور. وقال إبراهيم بن المنذر شيخ البخاري رحمه الله: لا يشك فيه أحد من العلماء، ونقل غير واحد فيه الإجماع. وقال: كل قول يخالفه وهمٌ. انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٢٠٣/١، والسيرة الحلبية: ٦٥/١.

وقال عبد الملك بن مروان لِقباث[١] بن أشيم: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر[٢]، وأنا أسنُّ منه. ولد النبي ﷺ عام الفيل، ووقفتْ بي/ أمي على روث الفيل. ٢٥٨/ب

ويروى أن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: ((رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان[٣]))[٤].

وقال الواقدي: كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) قباث بن أشْيَم بن عامر بن الملوح بن يعمر وهو الشداخ الليثي، وقيل: هو تميمي، وقيل: كندي. وفي الترمذي حديثه. قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ، وذكر ابن حجر خبر مروان في النص عن عثمان ابن عفان ﷺ أنه سأل قباب بن أشيم: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله أكبر مني. شهد بدراً مع المشركين، وكان له فيها ذكر، ثم أسلم وشهد حنيناً، وأثبت صحبته ابن أبي حاتم. وأخرج أبو نعيم في الدلائل قصة إسلامه بعد الخندق مطولة. انظر: الإصابة: ٤٠٧/٥، رقم الترجمة: ٧٠٦١، وتفسير القرطبي: ٢٠/ ١٩٥.

(٢) وردت العبارة في الأصل: (رسول الله صلى رسول الله أكبر..)، وهو خطأ.

(٣) ذكر هذه الرواية ابن كثير وابن هشام في سيرتيهما عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عائشة رضي الله عنها. انظر: سيرة ابن كثير: ٣٨/١، وسيرة ابن هشام: ٩٠/١.

(٤) يغرب احتمال وقوع هذه الرواية عند السيدة عائشة رضي الله عنها، إلا أن يكون قائد الفيل هذا وسائسه معاً من المعمّرين. إذ السيدة عائشة رضي لله عنها ولدت بعد حادثة الفيل بخمس وأربعين سنة تقريباً، سنة أربع أو خمس من البعثة، ــ هذا على اعتبار أن حادثة الفيل وقعت في عام ولادة النبي ﷺ، على القول الصحيح الذي مرَّ ــ. وكانت وفاتها سنة ٥٨ هـ. وعاشت ٦٦ سنة. ورؤيتها لهما هذه لابد أن تكون متأخرة. فكم يكون عمرهما متوقعاً حين رأتهما؟ ويبقى الحكم بصحة الخبر مرهوناً بثبوته. وقد ذكر القرطبي هذا الخبر في تفسيره عن عتاب بن أسيد. انظر: تفسير القرطبي: ١٩٥/٢٠.

(٥) لدى تقصّي الأخبار لم أقف على توثيق لخبر الواقدي هذا في كتابه المغازي، ولا في كتبه المطبوعة الأخرى. ويبدو ــ والله أعلم ــ أن درجة القرابة هذه بينهما ليس لها وجود أصلاً، فضلاً عن أنها بعيدة الاحتمال. إذ إنَّ ابن كثير في تفسيره قد ذكر قصة الفيل مختصراً معتمداً على الواقدي في توثيقها، ويبدو من خلال تتبع أحداثها أن أبرهة أحد أميرين بعثهما قيصر ملك الشام حين استغاث به ذَوس ذو ثعلبان الذي أفلت من ذي نُوَاس المشرك آخر ملوك حمير، الذي قتل أصحاب الأخدود وكانوا نصارى. وحين توجه إليه الأميران أبرهة وأرياط في جيشهما، دخلا اليمن، واستلبا الملك من حمير، ثم اختلفا، فاقتتلا، فقتل أبرهةُ أرياطَ. فأرسل إليه النجاشي يلومه ويتوعَّده. فترقَّق له يستسمحه، فلما رضي النجاشي عن أبرهة وعده ببناء كنيسة مميزة في صنعاء تصرف حج العرب إليها. ثم كان من أمر البيت وقصة الفيل ما كان. انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٤ــ٥٥٢.

سورة قريش

مكيَّة[١] في قول الأكثرين، وقيل: مدنيَّة.

قرأ ابن عامر: (لإِلاف) بغير ياء بعد الهمزة، جعله مصدر ألف بألف.

قال أبو طالب يوصي أبا لهب بالنبي ﷺ:

ولا تتركنهُ ما حَييتَ لِمُعْظَمٍ ... وكُن رجُلاً ذا [٢] نَجدةٍ وعفافِ

تذودَ العِدا عن ربوةٍ هاشميةٍ ... إلافُهمُ في النـــاسِ خيــرُ إلافِ

وقرأ الباقون: بياء بعد الهمزة[٣]. واتفقوا على إثبات الهمزة في: ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ ﴾.

واختلفوا في متعلّق اللام من: ﴿ لِإِيلَٰفِ ﴾؛ فذهب الأكثرون إلى أنه متعلّق بقوله: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥ ﴾ أي: أهلكهم الله لتبقى قريش وما قد ألفوه من رحلة الشتاء والصيف. فتكون هذه السورة مرتبطة بما قبلها.

أ/٢٥٩

وقيل: هما في/ مصحف أبيٍّ سورة واحدة من غير فصل. ورُوِيَ عن عمر ﷺ أنه قرأهما في الركعة الثانية من صلاة المغرب.

وقال الأعمش والكسائي: هذه لام التعجب، كأن المعنى: أَعَجِبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف؟ وكانوا إذا جاء الصيف رحلوا من مكة إلى الطائف، لشدَّة حر مكَّة، وتركوا عبادة رب البيت. فإذا جاء الشتاء رحلوا إلى اليمن[٤]. وكانوا في الرحلتين آمنين.

---

(١) أربع آيات في عدِّ الكوفي والبصري والشامي، وخمس في عدِّ المدنيين والمكي. اختلافها في آية: ﴿ مِّن جُوعٖ ﴾ عدَّها المدنيان والمكي، ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٩٠، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٤٥.

(٢) وردت في الأصل: (ذي)، وهو خطأ. إذ: (ذا) صفة (رجلاً) منصوب بالألف لأنه من الأسماء الخمسة.

(٣) انظر: كتاب السبعة: ص: ٦٩٨، والكشف: ٢/٣٨٩ـ٣٩٠، والنشر: ٢/٣٠٢.

(٤) اختلفت الروايات في تحديد جهة هاتين الرحلتين؛ بين مكة في الشتاء والطائف في الصيف، وبين اليمن في الشتاء والشام في الصيف. انظر: تفسير القرطبي: ٢٠/٢٠١، ٢٠٥.

فلم يكن يومئذٍ أعزّ من قريش، ولا أكرم، ولا أكثر مالاً. كانوا يقسمون الربح بين فقيرهم وغنيهم، وفيهم يقول الشاعر(١):

الخالِطون فقيرَهُم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

وقال الزَّجَّاج: معنى هذه اللام متصل بما بعدها. المعنى: فليعبدوا ربَّ هذا البيت لإِلْفِهم رحلة الشتاء والصيف(٢). فكل من كان من ولد النضر بن كنانة، فهو من قريش.

وسُمُّوا قريشاً لجمعهم المال بالمتجر، ولم يكونوا أصحاب زرع ولا ضرع، والقرش: الكسب، هذا قول الأكثرين(٣).

وقال معاوية لابن عباس [ﷺ]: لِمَ سُمِّيت قريش قريشاً؟ فقال: بدابةٍ تكون في البحر من أعظم دوابِّه، يقال لها: قريش(٤)، لا تمر بشيء من الغَثِّ والسمين إلا أكلته.

---

(١) الشاعر عبد الله بن الزبعري بن قيس السهمي القرشي أبو سعد ١٥هـ ـ ٦٣٦م وهو شاعر قريش في الجاهلية، وكان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسان أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة، وسجل في سفره حادثة الفيل. انظر: الأغاني: ج١ و٤ و١٤، والأعلام: ٨٧/٤.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٦٥/٥.

(٣) القرش: الجمع والكسب. انظر: لسان العرب: ٣٣٤/٦.

(٤) هكذا وردت في الأصل. وفي القرطبي: (القِرْش)، وهي التي تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلى. وهي المعروفة بسمكة القرش. انظر: تفسير القرطبي: ٢٠٣/٢٠.

٢٥٩/ب

وأنشد شعر الجمحي[١][٢]:/

وقريش هي التي تسكن البحـــر بها سميت قريشٌ قريشا
تأكل الغَثَّ والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين[٣] ريشا
وكذا[٤] في البلاد حتى قريشٍ يأكلون البـــلاد أكلاً كميشا[٥]
ولهم آخـــر الزمـــان نبيٌّ يُكثرُ القتل فيهم والخُمُوشا[٦]

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سلاّم بن عبد الله الجمحي بالولاء، إمام في الأدب، من أهل البصرة، ولد سنة ١٥٠هـ، ومات ببغداد سنة ٢٣٢هـ. وكان يقول بالقدر، فقال أهل الحديث عنه: يُكتب عنه الشعر، أما الحديث فلا. له كتب منها: طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، وبيوتات العرب، وغريب القرآن. انظر: تاريخ بغداد: ٣٢٧/٥، والأعلام: ١٤٦/٦.

(٢) هذه الأبيات تنسب إلى تبَّع. كما ذكر ذلك الأزرقي في أخبار مكة. قال: حدثني أبو الحسن الوليد بن أبان الرازي عن علي بن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام، قال: قيل لابن عباس رضي الله عنهما: لِمَ سمِّيت قريش قريشاً؟ قال: بأمر بيِّن مشهور بدابة في البحر تسمى قريشاً، والدليل على ذلك قول تبَّع حين يقول: .. وأنشد هذه الأبيات.. أما الجمحي فقد استشهد ببعضها في طبقات فحول الشعراء ناسباً إياها إلى الفضل بن العباس بن عتبة اللهبي نسبة إلى ابن أبي لهب بن عبد المطلب. انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: ١/ ١٠٩، وطبقات فحول الشعراء: ٧٥/١.

(٣) في رواية أخبار مكة البيت كالتالي: **تأكل الغَثَّ والسميـــن ولا تترك فيه لذي جناحين ريشا**
وهو من البحر الخفيف. انظر: أخبار مكة: ١٠٩/١.

(٤) وردت في الأصل: (وهكذا)، والصواب: (وكذا) لصحة الوزن.

(٥) في رواية أخبار مكة: (كشيشاً). انظر: أخبار مكة: ١٠٩/١.

(٦) الخُمُوش مفرده الخَمْش وهو الخدش في الوجه، وقد يستعمل في سائر الجسد. يقال: خمشه يخمشه خمشاً وخموشاً، ومنه الخُماش وهي الجراحات التي لا قصاص فيها. انظر: لسان العرب: ٢٩٩/٦.

سورة أرأيت [١]

مكيَّة في قول الجمهور[٢].

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: هي مدنيَّة[٣].

وقيل: نصفها مكيٌّ، نزل في العاص بن وائل، ونصفها الآخر مدنيٌّ، نزل في عبد الله بن أبيّ، المنافق[٤].

ومعنى ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ هل عرفت ﴿ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ﴾؟ ــ والدِّين: الجزاء[٥] ــ. مَن هو؟ هو ﴿ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾.

والدَّعُّ: دفع الشيء بعُنف وجفوةٍ وأذى[٦].

---

(١) واسمها المختار في المصحف الشريف: (سورة الماعون) لمفتتحها. انظر: بصائر ذوي التمييز: ١/٥٤٦.

(٢) سبع آيات في عدّ الكوفي والبصري، وست في عدّ الباقين. واختلافها في: ﴿ يُرَآءُونَ ﴾ عدُّها الكوفي والبصري، ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص:٢٩١، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٤٦.

(٣) روي عن ابن عباس وقتادة. انظر: زاد المسير: ٨/٣٢٨.

(٤) قاله هبة الله المفسِّر. انظر: زاد المسير: ٨/٣٢٨.

(٥) الدين: الجزاء والمكافأة. انظر: لسان العرب: ١٣/١٦٩.

(٦) الدعُّ: الطرد والدفع بعنف وانتهار. انظر: لسان العرب: ٨/٨٥.

سورة الكوثر

ثلاث آيات.

مكيَّة[١] في قول الأكثرين، وقال قتادة وعكرمة: هي مدنيَّة[٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝ ﴾ قرأ الحسنُ: (أنطيناك)، وهما بمعنى واحد[٣]. والكوثر: نهرٌ في الجنة في قول الجمهور.

روينا في صحيح البخاري: عن أبي حمزة أنس بن مالك ﷺ قال: ((لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء، قال:/ أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوَّف. فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر))[٤]. ١/٢٦٠أ

وفي لفظ غير البخاري: ((هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك))[٥].

---

(١) ثلاث آيات في جميع العدد، ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٩٢، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٤٧

(٢) وهو قول الحسن البصري أيضاً. انظر: زاد المسير: ٨/٣٣١.

(٣) ورد التعبير: (أنطى) بدلاً من أعطى في بعض الأحاديث؛ منها ما أخرجه أبو داود والدارمي في الصلاة، ومسند أحمد، عن أبيٍّ بن كعب ﷺ قال: ((كان رجل لا أعلم أحداً من الناس ممن يصلي القبلة من أهل المدينة أبعد منزلاً من المسجد من ذلك الرجل، وكان لا تخطئه صلاة في المسجد. فقلت: لو اشتريت حماراً تركبه في الرمضاء والظلمة. فقال: ما أحب أن منزلي إلى جنب المسجد. فنمي الحديث إلى رسول الله ﷺ فسأله عن قوله ذلك، فقال: أردت يا رسول الله أن يكتب لي إقبالي إلى المسجد ورجوعي إلى أهلي إذا رجعت. فقال: أعطاك الله ذلك كله، أنطاك الله جلَّ وعزَّ ما احتسبت كله أجمع)). انظر: سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة: ١/١٥٦، رقم الحديث: ٥٧٢، سنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب في فضل الخطا إلى المساجد: ١/٣٣٢، رقم الحديث: ١٢٨٤، ومسند أحمد: ١٥/٤٤٩، رقم الحديث: ٢١١١٣، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب سورة ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝ ﴾ : ٦/٤٠٧، رقم الحديث: ٤٩٦٤.

(٥) هذه رواية صحيح البخاري في حديث طويل: كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ : ٨/ ٥٦٧ــ٥٦٩، رقم الحديث: ٧٥١٧. ولم أقف عليها في غيره من كتب الحديث فيما بحثت.

وروينا أيضاً في صحيح البخاري، عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ فيما سألها أبو عُبيدة عن قوله: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝ ﴾ فقالت: ((نهرٌ أُعطيَه نبيُّكم ﷺ شاطئاه عليه درٌّ مجوَّف، آنيته كعدد النجوم))[1].

وروينا في البخاري أيضاً عن أنس [رضي الله عنه] قال: ((بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءةً، ثم رفع رأسه متبسِّماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليَّ آنفاً سورةٌ، فقرأ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ ثم قال: هل[2] تدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهرٌ وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ خير[3] كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عددَ النجوم))[4].

ومعنى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ ﴾:

قيل: صلاة الأضحى[5].

وقيل: صلاة الصبح بالمزدلفة[6].

وقيل: الصلوات الخمس[7].

ومعنى ﴿ وَٱنۡحَرۡ ﴾ أي: اذبح يوم النحر، هذا قول الأكثرين[8].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب سورة ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝ ﴾ : ٤٠٧/٦، رقم الحديث: ٤٩٦٥. وشاطئاه: جانباه، وقوله: (عليه) أي على جنس الشاطئ. وحافتاه: أي جانباه.

(٢) نص رواية مسلم: (أتدرون).

(٣) نص رواية مسلم: (عليه خير كثير).

(٤) هذه رواية مسلم، وليست في البخاري. وتتمة نص مسلم: ((فيختلج العبد منهم فأقول: ربِّ إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك)). انظر: صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة سوى براءة: ٣٠٠/١، رقم الحديث: ٤٠٠/٥٣.

(٥) قاله قتادة. انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٨.

(٦) قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٨.

(٧) قاله مقاتل. انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٨.

(٨) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال عطاء ومجاهد والجمهور. انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٨.

وقوله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: قالت قريش: ليس لمحمد ولد، فسيموتُ/ وينقطع أثره. فأنزل الله قوله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾. ٢٦٠/ب

قيل: شانئه: أبو جهل(١).

وقيل: أبو لهب(٢).

وقيل: عُقبة بن أبي مُعيط(٣).

والأبتر: المنقطع عن كل خير(٤)، والله أعلم.

---

(١) قال عكرمة: مات ابن النبي ﷺ فخرج أبو جهل يقول: (بُتِرَ محمد)، فنزلت السورة. انظر: المحرر الوجيز: ٥٨٦/١٥.

(٢) قاله عطاء. انظر: زاد المسير: ٣٣٣/٨.

(٣) قاله شمر بن عطية. انظر: زاد المسير: ٣٣٢/٨.

(٤) قال ابن كثير: قال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بتر محمد، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ . وأصل البتر: القطع. والأبتر: المقطوع الذي لا عقب له، أو النقطع عن كل خير. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٤، ولسان العرب: ٣٨/٤.

سورة الكافرين

مكيَّة[١] في أظهر القولين[٢].

روينا بالسند الصحيح في النسائي، عن فروة[٣] بن نوفل عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له: ((ما جاء بك؟ قال: جئت لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي، قال: إذا أخذت مضجعك، فاقرأ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءةٌ من الشرك))[٤].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من قرأ في ليلة: ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ ﴾ كانت له كعدل نصف القرآن، ومن قرأ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ كانت له كعدل ربع القرآن، ومن قرأ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ كانت له كعدل ثلث القرآن))[٥].

---

(١) روى ابن مسعود والحسن وعكرمة أنها مكية. وعن قتادة والضحاك أنها مدنية. وهذا أيضاً أحد قولي ابن عباس. انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٤/٢٠، وحاشية المحرر الوجيز: ٥٨٧/١٥، وزاد المسير: ٣٣٤/٨.

(٢) ست آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٩٣، وبصائر ذوي التمييز: ٥٤٨/١.

(٣) فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي تابعي، ذكره ابن حبان في الثقات. وروى له الجماعة سوى البخاري. وقال فيه الذهبي في الميزان: مختلف فيه ليس بقوي، وقال ابن حجر في التقريب: مقبول. واختلف في صحبته، والصواب أن الصحبة لأبيه. انظر: تهذيب الكمال: ١٧٩/٢٣، رقم الترجمة: ٤٧٢٢.

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة في خمس روايات متقاربة في اللفظ: ص: ٢٣٧ــ٢٣٨ أرقام الأحاديث: ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩. وأقربها لرواية المتن الرواية رقم: ٨٠٦، وبدايتها: (مجيءٌ ما جاء بك؟..). وهي التي أخرجها الدارمي في سننه: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل قل يا أيها الكافرون: ٥٥١/٢، رقم الحديث: ٣٤٢٧. والحديث أيضاً عند الحاكم والترمذي وأبي داود وأحمد بألفاظ متقاربة. انظر: المستدرك: كتاب فضائل القرآن، باب ذكر فضائل سور وآي أخرى: ٧٥٤/١، رقم الحديث: ٥٩/٢٠٧٨، قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وسنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام: ٤٤٢/٥، رقم الحديث: ٣٤٠٣، وذكر أبو عيسى أكثر من رواية لفروة وأخيه عبد الرحمن. وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم: ٣١٣/٤، رقم الحديث: ٥٠٥٥، ومسند أحمد: ١٣٠/١٧، رقم الحديث: ٢٣٦٩٧، وإسناده صحيح.

(٥) لم أقف عليه في سنن النسائي، ولا في كتاب عمل اليوم والليلة له أيضاً. إنما أخرج الترمذي قريباً منه في سننه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن)). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم. انظر: سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إذا زلزلت الأرض: ١٦٦/٥، رقم الحديث: ٢٨٩٣.

وسبب نزولها أن النبي ﷺ لمَّا قرأ سورة النجم بمكَّة على المشركين، وألقى الشيطان في قراءته ما ألقى[1]، طمع مشركو قريش فأتوه، فقالوا له: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنةً. فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أشرك بالله غيره/ فأنزل الله هذه السورة، فأتى المسجد وفيه صناديد قريش، فقرأها عليهم فأيسوا منه[2].

١/٢٦١ أ

---

(١) راجع تفسير القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝ ﴾ [الحج: ٥٢ــ٥٤] حول قضية تمنِّي النبي، وإلقاء الشيطان في أمنيته. ففيه توسع مطوّل مهم في استعراض روايات المفسرين والمحدثين، وتأويلها وترجيحها في حقيقة إلقاء الشيطان في أمنية النبي ﷺ ونوع هذا الإلقاء ومضمونه وحكمه، وذلك حين عرض عليه المشركون ــ ضمن سياسة المفاوضات ــ أن يعبدوا إلهه سنة، ويعبد آلهتهم سنة. انظر: تفسير القرطبي: ١٢/٧٩ــ٨٦.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤/٥٠٥.

سورة النصر

هي ثلاث آيات[١] مدنيَّة بالإجماع.

وهي آخر سورة نزلت جميعاً[٢].

والمعنى: إذا جاءك يا محمد نصرُ الله على أعدائك من قريش، وفتح مكة. وكان لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة،

﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ ﴾ قال أبو عبيدة: جماعات متفرقة.

قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، قالت العرب: أمَا إذ ظفر محمدٌ بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان[٣]، فدخلوا في دين الله أفواجاً. والعامل في: ﴿ إِذَا ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ ﴾ أي: فصلِّ، أو قل: سبحان الله، حيث ردَّك إلى مكة ظاهراً عزيزاً قاهراً، تجرُّ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب.

وقوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ أي: اطلب منه المغفرة، خضوعاً لجلاله، وإظهاراً لعظمته. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ أي: لم يزل. وكان ابن مسعود [رضي الله عنه] يقول: إن هذه السورة تسمَّى سورة التوديع[٤]. قال قتادة: عاش رسول الله ﷺ بعد نزولها سنتين[٥]، والله أعلم.

---

(١) ثلاث آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٩٤، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٥٠.

(٢) المقصود: نزلت سورة كاملة.

(٣) هو من اليد: بمعنى القوة. أي ليس لكم به طاقة وقوة. قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝ ﴾ [ص: الآية٤٥]. وأولو الأيدي: أصحاب القوة. انظر: لسان العرب: ٣/٧٦.

(٤) لما فيه من بيان نعي المصطفى ﷺ. قال المفسرون: نعيت إليه نفسُه بنزول هذه السورة، وأُعلِمَ أنه قد اقترب أجله، فأُمِر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمره بالزيادة في العمل الصالح. قال ابن عباس: إذا جاء نصر الله والفتح: داعٍ من الله، ووَدَاع من الدنيا. انظر: زاد المسير: ٨/٣٣٦، وتفسير البغوي: ٤/٥١٠، وبصائر ذوي التمييز: ١/٥٥٠.

(٥) انظر: زاد المسير: ٨/٣٣٦. وذكر القرطبي في تفسيره: قال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنىً في حجة الوداع، ثم نزلت: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، فعاش بعدها النبي ﷺ ثمانين يوماً. ثم نزلت آية الكلالة، فعاش بعدها خمسين يوماً. ثم نزل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾،

سورة تبَّت[١]

٢٦١/ب

خمس آيات[٢]./

والسبب في نزولها ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس [رضي الله عنهما]: أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد[٣] الجبل فنادى: (يا صباحاه)، فاجتمعت إليه قريش، فقال: ((أرأيتم إن أخبرتكم[٤] أن العدو مصبِّحُكم، أو ممسِّيكم، أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لك!. فأنزل الله[عزَّ وجل]: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾ إلى آخرها))[٥].

والتبُّ: الخسران[٦].

فإن قلتَ: أبو لهب عمُّ النبي ﷺ واسمه عبد العُزَّى، كُنِّيَ (أبو لهب) لتوقُّد وجهه حُسناً. والسورة وردت في معرض الذمِّ، فلِمَ كُنِّيَ بذلك؟ قلتُ: إنما كنَّاه الله بذلك لاشتهاره به، فسجَّلَه عليه، بأنه لا يُراد بهذا الأمر سواه به غيره[٧]، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَتَبَّ ﴾ الأول: دعاء عليه، والثاني: خبر أنه قد وقع عليه[٨].

فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً. ثم نزل: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، فعاش بعدها أحداً وعشرين يوماً. وقال مقاتل: سبعة أيام. وقيل غير هذا مما تقدم في سورة (البقرة) بيانه. انظر: تفسير القرطبي: ٢٠/ ٢٣٣.

(١) واسمها المختار في المصحف الشريف: سورة المسد، وتسمى سورة أبي لهب. انظر: بصائر ذوي التمييز: ٥٥٢/١.

(٢) خمس آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٩٥، وبصائر ذوي التمييز: ٥٥٢/١.

(٣) نص رواية البخاري: (فصعد إلى الجبل).

(٤) نص رواية البخاري: (أرأيتم إن حدثتكم).

(٥) أخرج البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ ﴾: ٤١٠/٦، رقم الحديث: ٤٩٧٢. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ ﴾ : ١٩٣/١، رقم الحديث: ٢٠٨/٣٥٥ .

(٦) التبُّ: الخسار، والتباب: الخسران والهلاك. انظر: لسان العرب: ٢٢٦/١.

(٧) انظر هذا الاعتراض والرد عليه في تفسير زاد المسير: ٣٣٨/٨.

(٨) قاله الفراء. انظر: معاني القرآن: ٢٩٨/٣.

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝ ﴾ ﴿ مَآ ﴾ نافية[١]، ﴿ وَمَا ﴾ الثانية موصولة.

وكان أبو لهب يقول: إن كان ما يقول محمدٌ حقاً، فإنني أفتدي بمالي وولدي[٢]، فتوعَّده الله بقوله: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝ وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾ أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ﴿ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝ ﴾ قرأ عاصم: ﴿ حَمَّالَةَ ﴾ بالنصب على الذمِّ، وقرأ الباقون: بالرفع على الصفة[٣].

قيل: كانت تمشي بالنميمة./ والعرب تقول: فلان يحطُبُ على فلان، إذا كان يُغري به، ويفسد أمره[٤]. ٢٦٢/أ

قال الشاعر يذكر امرأةً:

من البيض لم تُصطر على ظهر سوءةٍ
ولم تمش بين الحيِّ بالحطب الرَّطب[٥]

ذكر ذلك مجاهد والسُّدِّيُّ[٦].

---

(١) في إعرابها قولان: النفي أو الاستفهام. انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ١٣٠٨/٢.

(٢) ذكره البغوي عن ابن مسعود بغير سند، والقرطبي عن ابن عباس أيضاً بغير سند. انظر: تفسير البغوي: ٥١٢/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٨/٢٠.

(٣) انظر: كتاب السبعة: ص: ٧٠٠، والكشف: ٣٩٠/٢، والنشر: ٣٠٢/٢، ﴿ حَمَّالَةَ ﴾ بالنصب عن عاصم.

(٤) انظر: لسان العرب: ٣٢٢/١، وتاج العروس: ٢٩٢/٢.

(٥) وردت في الأصل: (تصطر)، وهي خطأ. والصواب: (تصطر). ولم أهتدِ إلى قائله. وقد استشهد به الزجاج والزمخشري وأصحاب اللغة. ورواية الزجاج بلفظ:

من البيض لم تَصطَدْ على ظهر لأمَةٍ ولم تمس بين الحي بالحَطَب الجزل

ومعنى لم تصطد: لم تُلِفَ ولم تُرَ. ومعمى الحطب الرطب: النميمة. والشاهد في المشاء بالنميمة المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم، أي: يوقد بينهم النائرة، ويورِّث الشر. وهو من المجاز. يقال: حطب فلان بفلان أي: سعى به. انظر: الكشاف: ٨١٥/٤، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣٧٦/٥، ولسان العرب: ٣٢٢/١، وتاج العروس: ٢٩٢/٢.

(٦) وهو قول الفراء أيضاً. انظر: زاد المسير: ٣٣٨/٨.

وقال الضحَّاك وابن زيد: كانت تحتطب الشوك، فتلقيه في طريق رسول الله ﷺ ليلاً[١]. والقولان عن ابن عباس [رضي الله عنهما].

قلت: والأول: أحسن، لأن الله تعالى وصفهم بكثرة المال والولد، والاحتطاب مع كثرة المال، دناءةٌ وخِسَّةٌ، يأباها ذو الأنفة.

وقوله: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾ الجيد[٢]: العنق. والمسد[٣]: ما أُحكم فتلُهُ من أي شيء كان. ذكر الله تعالى ذلك تحقيراً لشأنها.

وقيل: المعنى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾ وهي سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعاً، قد أُحكم فتلها، تعذَّب بها في النار[٤]، والله أعلم.

---

(١) ورواه عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الذي رجحه الطبري لأن ذلك أظهر في المعنى. انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٣٠، وزاد المسير: ٣٣٨/٨.

(٢) الجيد: العنق. وقيل: مقلَّده، وقيل: مقدَّمه. وقد غلب على عنق المرأة. انظر: لسان العرب: ١٣٩/٣.

(٣) أصل المسد: الفتل والإحكام من أي شيءٍ كان. يقال: مسد الحبل: إذا أجاد فتله. انظر: لسان العرب: ٣/ ٤٠٣.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو حبل جمع من أنواع مختلفة. وقال ابن كثير: قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾ في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها، ثم ترمي إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً. انظر: تفسير الطبري: ٣٤١/٢٠، وتفسير ابن كثير: ٤٩٤/٤. كذا قاله مجاهد. انظر: زاد المسير: ٣٣٩/٨.

سورة الإخلاص

مكيَّة وقيل مدنيَّة.

وهي أربع آيات(١).

روينا في الترمذي من حديث أبيّ ابن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: ((انسب لنا ربك))، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾(٢)./ أي: لم يكن له شبيه ولا عديل، ليس كمثله شيء.

٢٦٢/ب

روينا بالسند الصحيح إلى الحافظ أبي بكر بن محمد بن أحمد بن السُنِّي بسنده إلى أنس بن مالك [رضي الله عنه] أن رجلاً قال: يا رسول إني أحب ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾، قال: ((حبُّك إيَّاها أدخلك الجنة))(٣).

---

(١) خمس آيات في عدِّ المكي والشامي، وأربع في عدِّ الباقين. اختلافها ﴿ لَمۡ يَلِدۡ ﴾ عدُّها المكي والشامي ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٩٦، وبصائر ذوي التمييز: ٥٥٣/١.

(٢) أخرج الترمذي في سننه بسنده قال: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو سعد هو الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، ولا شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عزَّ وجلَّ لا يموت ولا يورث، ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾. قال: ((لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء)). حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله ابن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن النبي ﷺ ذكر آلهتهم فقالوا: انسب لنا ربك قال فأتاه جبريل بهذه السورة ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فذكر نحوه ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب وهذا أصح من حديث أبي سعد. وأبو سعد اسمه محمد بن ميسر وأبو جعفر الرازي اسمه عيسى وأبو العالية اسمه رفيع وكان عبداً أعتقته امرأة سابية. انظر: سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص: ٥/ ٤٢١، رقم الحديث: ٣٣٦٤، ٣٣٦٥. ولم يعلق عليه وإنما أشار إلى أنه مرجوح. ورواه أحمد في المسند: ١٥ /٤٥١، رقم الحديث: ٢١١١٨. وإسناده ضعيف لأجل محمد بن ميسر الصاغاني اتفقوا على ضعفه. وصححه الحاكم في المستدرك: ٥٨٩/٢، من طريق محمد بن سابق عن أبي جعفر الرازي، وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) عمل اليوم والليلة لابن السني، باب ثواب من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . رقم الحديث: ٦٩٠، ص: ٦٣٧.

وروينا أيضاً بالسند تركنا ذكره اختصاراً، عن ابن السُنِّي بسنده، عن ابن مسعود [رضي الله عنه] عن النبي ﷺ قال: ((أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن كل ليلة؟ قالوا: من يستطيع ذلك؟ قال: بلى، ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾))[١].

وروينا عنه أيضاً بسنده، عن سهل[٢] بن معاذ عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ حتى ختمها عشر مرات، بُنِيَ له بها قصرٌ في الجنة))[٣].

وفي البخاري عن النبي ﷺ: ((أن ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل القرآن))[٤] ﴿ هُوَ ﴾ ابتدأ، و﴿ ٱللَّهُ ﴾ خبره، و﴿ أَحَدٌ ﴾ بدلٌ منه. وحذف أبو عمروٍ التنوين من ﴿ أَحَدٌ ﴾ لالتقاء الساكنين، (أحدُ) (اللهُ)، وأثبتها الباقون مكسورة للالتقاء[٥]. والوقف بسكون الدال عند الجميع. وقد رُوِيَ عن أبي عمروٍ الوصل بسكون الدال، ورُوِيَ عنه أيضاً تنوينها[٦].

و﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ السيد، في كلام العرب. وبهذا تتفسَّر الآية، لأن الله تعالى موجد الموجودات،/ وإليه يُصمدُ. أ/٢٦٣

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني، باب ثواب من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . رقم الحديث: ٦٩٢، ص: ٦٣٨.

(٢) سهل بن معاذ بن أنس الجهني شامي نزل مصر. روى عن أبيه وله صحبة. أورده ابن شاهين في الصحابة، وهو وهم نشأ عن سقط. قال عبد الله بن لهيعة: هو من أهل الشام. وقال يحيى بن معين: ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات، وكرره في المجروحين. وقال ابن حجر في التقريب: لا بأس به إلا في روايات زبان. روى له البخاري في الأدب، والترمذي وأبو داود وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال: ٢٠٨/١٢، رقم الترجمة: ٢٦٢١.

(٣) عمل اليوم والليلة لابن السني، باب ثواب من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . رقم الحديث: ٦٩٣، ص: ٦٣٨.

(٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالُّها. فقال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ: ٢٨٢/٧، رقم الحديث: ٦٦٤٣.

(٥) انظر: كتاب السبعة: ص: ٧٠١، والكشف: ٣٩١/٢، والنشر: ٣٠٢/٢.

(٦) انظر: إعراب القراءات الشواذ: ٧٥٨/٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣٧٦/٥، والكشاف: ٨١٨/٤، وفتح القدير للشوكاني: ٥١٦/٥.

وقال كثير من المفسرين: ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الذي لا جوف[١] له. وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل ولا يشرب[٢].

قلت: والأول أصح، لِبُعْدِه من الجسمية[٣] التي لا تليق بذي الجلال والإكرام. وذكر نحوه ابن عطية[٤]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ ﴾ ردٌّ على إشارة الكفار على ما بيَّنَّاه. قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: تفكروا في كل شيء، ولا تتفكروا في ذات الله. قال ابن عطية: لأن الأفهام تقف دون ذلك حسيرة[٥].

وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ معناه ليس له ضِدٌّ، ولا نِدٌّ، ولا شبيه، ولا نظير. و﴿ كُفُوًا ﴾ حالٌ، والله أعلم.

---

(١) وردت في الأصل: (خوف)، وهي خطأ. والصواب: (جوف) كما في معنى الصمد: هو المصمت الذي لا جوف له، وهذا لا يجوز على الله عزَّ وجلَّ. وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي. انظر: زاد المسير: ٣٤٢/٨. وقيل: الصمد: الذي لا يَطعم.

(٢) وهو المعنى اللغوي. انظر: لسان العرب: ٢٥٨/٣.

(٣) الجسم: هو المركب المؤلف من الجوهر. واختلفوا في تحديده ومعناه؛ فقيل: الجسم هو القائم بنفسه، ورُدَّ بالجوهر الفرد وبالباري تعالى، فإنه قائم بنفسه وليس بجسم. فمعنى الجسمية والتجسيم في غاية البعد عن الله تعالى وعن صفاته تنزهت ذاته عن ذلك، وتعالى علواً كبيراً. قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الآية: ١١]. انظر: الكليات: ص:٣٤٤، والتعريفات: ص: ١٠٣.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠٢/١٥ــ٦٠٣.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠٤/١٥.

سورة الفلق

خمس آيات[١].

وهل هي وأختها[٢] من المكيِّ أو من المدنيِّ؟ فيه قولان[٣].

والسبب في نزولها أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ، فدبَّتْ[٤] إليه اليهود، فلم يزالوا به، حتى أخذ مُشاطةَ رأس النبي ﷺ فأعطاها اليهود، فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له: لبيد بن أعصم، وجعله في بئر لبني زريق، يُقال لها: (بئر ذروان) [٥] فمرض/ رسول الله ﷺ، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، فبينا هو نائم أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب[٦]، قال: ومن طبَّهُ؟ قال: لبيد بن أعصم، قال: وبم طبَّهُ، قال: بمُشطٍ ومشاطة، قال: وأين هو؟ قال: في جُفٍّ[٧] طلعةٍ تحت راعوفة[٨] في بئر ذروان.

٢٦٣/ب

فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً، فقال: يا عائشة أشَعرتِ أن الله أخبرني بدائي؟ ثم بعث رسول الله ﷺ علياً، والزبير، وعمار[٩] بن ياسر، فنزحوا ماء تلك

---

(١) خمس آيات في جميع العدد وليس فيها اختلاف. انظر: البيان: ص: ٢٩٧، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٥٥٦.

(٢) أي: سورة الناس.

(٣) قال ابن عباس: مدنية. وقال قتادة: هي مكية. انظر: المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٧.

(٤) دبَّ من الدبيب، أي: مشوا ودرجوا إليه رويداً شعياً بالنميمة. انظر: لسان العرب: ١/٣٦٩.

(٥) بئر ذروان: هي بئر في منازل بني ذريق بالمدينة. وقيل: هي بئر ذي أروان. وقيل: ذو أروان موضع آخر على ساعة من المدينة، وفيه بني مسجد ضرار. انظر: معجم البلدان: ١/٢٩٩.

(٦) المطبوب: المسحور. وكنُوا بالطبِّ عن السحر تفاؤلاً بالبرء، كما كنُوا عن اللديغ فقالوا: سليمٌ، وعن المفازة وهي مهلكة تفاؤلا بالفوز والسلامة. انظر: لسان العرب: ١/٥٥٤.

(٧) الجف: نصف قِربَة تقطع من أسفلها فتجعل دلواً. وهو شيئ من جلود الإبل كالإناء أو الدلو يؤخذ فيه ماء السماء. وجف الطلعة وعاؤها الذي تكون فيه. انظر: لسان العرب: ٩/٢٨.

(٨) راعوفة البئر: حجر ناتئ على رأس البئر لا يُستطاع قلعه يقوم عليه المستقي، وقيل: هو في أسفلها. وقيل: صخرة تترك أسفل البئر إذا احتفرت تكون ثابتة إذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقِّي عليها. انظر: لسان العرب: ٩/١٢٣.

(٩) عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين. وأمه سمية، من السابقين الأولين. هو وأبواه كانوا ممن تعذب في سبيل الله، فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول: ((صبراً آل ياسر موعدكم الجنة)).

البئر، كأنه نُقاعة الحنَّاء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجُفُّ. والجُفُّ: قشر الطلع. وإذا فيه مشاطة رأسه، وأسنان من مُشطه. وإذا وترٌ معقَدٌ فيه إحدى عشرة عقدة، مغروزة بالإبر. فأنزل الله هاتين السورتين. فجعل كلَّما قرأ آية انحلت عقدة. ووجد رسول الله ﷺ خِفَّةً، حتى انحلت العُقدة الأخيرة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل يقول: بسم الله أرقيك، والله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله ألا تأخذ هذا الخبيث فتقتله؟ فقال: ((أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على/ الناس شراً)). روى ذلك عن النبي ﷺ عائشةُ[1] وابن عباس[2] ﷺ.

٢٦٤/أ

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾ أي: أعوذ وألجأ[3]. والفلق: الصبح في قول الأكثرين، وقيل: الفلق: الخلق كُلهُ، وقيل: هو سجن في جهنم[4]، إذا فتح صاح الناس كلهم من شدة حره.

واختلف في هجرته إلى الحبشة، وقد هاجر إلى المدينة. وشهد المشاهد كلها ثم اليمامة فقطعت أذنه بها، ثم استعمله عمر على الكوفة. وهو من أوائل سبعة أظهروا إسلامهم. شهد له النبي ﷺ بالإيمان، وأن من عاداه أو أبغضه عاداه الله وأبغضه. وتواترت الأحاديث أن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا أنه قتل مع علي بصفين سنة ٨٧هـ. وله ٩٣ سنة. واتفقوا على أنه نزل فيه: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ . انظر: الإصابة: ٥٧٦/٤، رقم الترجمة: ٥٧٠٨.

(١) أخرج البخاري في صحيحه: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ طبَّ حتى إنه ليخيل إليه أنه قد صنع الشيء وما صنعه، وإنه دعا ربه ثم قال: ((أشعرتِ أن الله أفتاني فيما أستفتيه فيه؟ فقالت عائشة: فما ذاك يا رسول الله؟ قال: مَن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فبماذا؟ قال: في مُشط ومُشاطة وجُفُّ طلعة، قال: فأين هو؟ قال: في ذروان، (وذروان بئر في بني زريق). قالت: فأتاها رسول الله ﷺ ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لكأن ماءها نُقاعة الحِنَّاء. ولكأن نخلها رؤوس الشياطين. قالت: فاتى رسول الله ﷺ فأخبرها عن البئر. فقلت: يا رسول الله فهلا أخرجته؟ قال: أما أنا فقد شفاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً)). زاد عيسى بن يونس والليث بن سعد عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر النبي ﷺ فدعا ودعا وساق الحديث. و(طبَّ): أي سحر، و(مطبوب) مسحور، و(طبَّه) سحره. و(مشاطة): ما يخرج من الشعر بالمشط. و(جف طلعة): هو وعاء طلع النخلة. و(نقاعة): هو الماء الذي ينقع فيه الحناء. انظر: صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء: ٢١١/٧، رقم الحديث: ٦٣٩١. وأخرجه أيضاً في: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: ٤٣١/٤، رقم الحديث: ٣٢٦٨.

(٢) لم أقف على رواية لابن عباس رضي الله عنهما في هذا الموضوع ـ فيما اطلعت ـ. والله تعالى أعلم.

(٣) انظر: لسان العرب: ٤٩٨/٣.

(٤) ورد في ذلك حديث مرفوع منكر، إسناده غريب لا يصح رفعه. قاله ابن كثير. وأخرجه ابن جرير عن أبي هريرة ﷺ. والصواب أنه فلق الصبح. وقال ابن كثير: وهذا هو الصحيح. وهو اختيار البخاري في

وقوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ يعني: من الجن، والإنس، وسائر المخلوقات.

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ الغاسق: القمر، فإذا دخل في الخسوف قيل: وقب. وقال ابن زيد: يعني الثُريَّا[١] إذا سقطت، وكأنَّ الأسقام تكثر عند وقوعها، وتُرفع عند طلوعها.

وقال الأكثرون من أهل التفسير واللغة: الغسق الليل. ومعنى غسق: أظلم. وقال الزَّجَّاج: الغاسق البارد. قيل للَّيل: غاسق، لأنه أبرد من النهار[٢].

ومعنى قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾ قرأ الكسائي في رواية ابن أبي شريح عنه: (النافثات) بتقديم الألف على الفاء[٣]، وهُنَّ اللاتي يعقدن عُقداً في خيوط، وينفثن عليها، ويرقين.

قال بعض المفسرين: يُريد بهنَّ بنات لبيد بن الأعصم[٤]. والمعنى: استعذ بالله من سحرهنَّ.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ لأن اليهود إنما عادَوا رسول الله ﷺ عناداً، مع علمهم أنه نبيٌّ حقاً، حيث كان/ من ولد إسماعيل، وهم من ولد إسحاق. ب/٢٦٤

فإن قلت: عرَّف بعض المستعاذ، ونكرَ بعضه.

صحيحه. وقال مجاهد والفراء: (الفلق) الصبح. و (غاسق) الليل. (إذا وقب) غروب الشمس. يقال: أبيَنُ من فَرَق وفَلَق الصبح. (وقب) إذا دخل في كل شيء وأظلم. انظر: صحيح البخاري: سورة قل أعوذ برب الفلق: ٤١١/٦، وتفسير المحرر الوجيز: ٦٠٨/١٥، ولسان العرب: ٣١٠/١٠

(١) **الثريا**: من الكواكب، سميت لغزارة نوئها. وقيل: سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، ولا يتكلم به إلا مصغراً. وهو تصغير على جهة التكبير. وفي الحديث: أنه ﷺ قال للعباس: ((يملك من ولدك بعدك بعدد الثريا)). والثريا: النجم المعروف. ويقال: إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد. انظر: لسان العرب: ١١٢/١٤.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥.

(٣) النافثات: انظر: النشر: ٣٠٢/٢ ــ ٣٠٣.

(٤) بنات لبيد بن الأعصم اليهودي كن ساحرات، وهن اللواتي سحرن النبي ﷺ وعقدن له إحدى عشرة عقدة. فأنزل الله تعالى إحدى عشرة آية بعدد العقد، هي المعوذتان. فشفي النبي ﷺ. وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن..)). الحديث. وهو حديث طويل جاء في آخره: فقال: ((أما والله فقد شفاني)). انظر: صحيح البخاري: كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر؟ : ٣٧/٧، رقم الحديث: ٥٧٦٥. ورواه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب السحر: ١٧١٩/٤، رقم الحديث: ٢١٨٩/٤٣.

قال صاحب الكشاف: قلتُ: عرَّف ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾، لأن كل نفُاثة شرِّيرة، ونكَّر ﴿ غَاسِقٍ ﴾، لأنه لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض. ولذلك نُكِّر حاسد، لأن كل حاسد لا يضر.

وقد يُحمد الحسدُ، وهو الحسدُ في الخيرات، كما في الحديث: ((لا حسد إلا في اثنتين))[1] [2].

وروينا عن أبي بكر بن السُّنِّيِّ بالسند الصحيح المتصل، إلى عقبة[3] بن عامر، قال: تبعتُ رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني سورة هود، وسورة يوسف. فقال: ((لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله عزَّ وجلَّ من: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾))[4].

---

(١) انظر: الكشاف: ٤/٣٠١.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها)). انظر: كتاب الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة: ٨/٤٤٥، رقم الحديث: ٧١٤١. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلَّمها: ١/٥٥٩، رقم الحديث: ٨١٦/٢٦٨.

(٣) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن قيس بن جهينة الجهني. صحابي مشهور. روى عن النبي ﷺ كثيراً، وكان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً كاتباً، وأحد من جمع القرآن. شهد الفتوح، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق. وشهد صفين مع معاوية، وأمَّره على مصر بعدها. ومات في خلافته على الصحيح. انظر: الإصابة: ٤/٥٢١، رقم الترجمة: ٥٦٠٥.

(٤) انظر: عمل اليوم والليلة لابن السني: باب من قرأ المعوذتين. رقم الحديث: ٦٩٦، ص: ٦٣٩.

سُورةُ الناس

ست آيات[١].

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾.

قال أهل المعاني: لمَّا كانت الاستعاذة من شرِّ الموسوس في صدور الناس، اقتطعهم من بين سائر الخلق، بإضافةِ الربِّ إليهم، تحقيقاً لمعنى استحقاق الاستعاذة به، وتنبيها لهم على الالتجاء إليه، والخضوع بين يديه، لأنه ربهم، ومالكهم الذي يقدر على دفع شرِّهم، وما يضرُّهم عنهم.

و﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ عطف بيان، لأنه قد يقال لغيره: رب.

و﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾ / زيادة في البيان، لأنه قد يُقال لغيره: ربٌّ، ملكٌ. و ﴿ إِلَٰهِ ﴾ لا يُشَارَك فيه جلَّ وعلا.

أ/٢٦٥

وقوله: ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ وهو الشيطان. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ ((إنَّ الشيطان جاثِمٌ على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوَسَ))[٢]. والخَنُوس: الناخس في خفية[٣].

قوله: ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ ﴾ صفة للوسواس، فيكون في محل الجرِّ، ويحتمل أن يكون في محل النصب، والرفع على الذمِّ.

وقوله: ﴿ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ ﴿ مِنَ ﴾ متعلِّقٌ بـــ: ﴿ يُوَسۡوِسُ ﴾ وقيل: ﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ بيان للناس، فإن الجن يُسمَّون ناساً[٤]،

---

(١) سبع آيات في المكي والشامي. وست في عدِّ الباقين. اختلافها آية ﴿ ٱلۡوَسۡوَاسِ ﴾ عدُّها المكي والشامي ولم يعدّها الباقون. انظر: البيان: ص: ٢٩٨، وبصائر ذوي التمييز: ٥٥٧/١.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه قال: ويذكر عن ابن عباس: الوسواس إذا وُلِدَ خنَسَه الشيطانُ، فإذا ذكر الله عزَّ وجلَّ ذهب، وإذا لم يُذكَر الله ثبتَ على قلبه. انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، سورة قل أعوذ برب الناس: ٤١١/٦.

(٣) الخنوس: الانقباض والاستخفاء. انظر: لسان العرب: ٧١/٦.

(٤) وردت في الأصل: (ناس)، وهو خطأ صوابه (ناساً) مفعول به للفعل المبني للمجهول.

لأن اشتقاق الناس من نَوسَ إذا تحرك[١]. وقيل: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ ﴾ بيان للوسواس، أي: الوسواس الذي هو من الجِنَّةِ.

قولُهُ: ﴿ وَٱلنَّاسِ ﴾ معطوفٌ على: ﴿ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ والمعنى: من شر الوسواس، ومن شر الناس، وهذا اختيار الزَّجَّاج[٢]. وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: ﴿ ٱلْخَنَّاسِ ﴾، وما بعده استئناف مضمونه البيان بأن الموسوس من هذين النوعين؛ الجن والإنس.

قلت: قد ذكرت في (الفتوح المكيَّة في بيان الإسراء بخير البرية) أن شيطان الإنس إذا دخل بيتاً فيه نورُ سراج اجتنبَه، فكذلك شيطان/ الجنِّ الذي هو اللص[٣] في القُلوب إذا دخل القلبَ المنوَّرَ بذكرِ الله فرَّ منه. ٢٦٥/ب

وروينا أيضاً عن ابن السنِّيِّ بسنده إلى عُقبة بن عامر الجُهني قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((يا عقبة، ألا أعلمك من خير سورتين قرأ بهما الناسُ؟ قلتُ: بلى بأبي أنت يا رسولَ الله وأمي، فقرأ عليَّ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ فلما أقيمت الصلاةُ صلاةُ الصبح، قرأ بهما رسول الله ﷺ، ثم مرَّ بي، فقال: كيف رأيت يا عُقبة؟ اقرأ بهما كلما نِمتَ وقُمتَ[٤]).

وروينا أيضاً عن أبي بكر ابن السُنِّيِّ بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ ((كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم يقرأ فيهما: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ ثم يمسح بهما

---

(١) النَّوْس: تذبذب الشيء وتحكه وتدلّيه واضطرابه. انظر: لسان العرب: ٦/٢٤٥.

(٢) ورد قريب من هذا المعنى في معاني القرآن وإعرابه للزجاج. حيث إن الزجاج لم يفسر سورة الناس، وإنما شرحها محقق الكتاب الدكتور عبد الجليل عبده شلبي شرحاً لغوياً قريباً من طريقته، كما نبه لذلك في الحاشية. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥/٣٨١.

(٣) وردت في الأصل: (اللظن)، ولا معنى لها إلا أن تكون تصحيفاً لكلمة: (اللصّ)، وهي الأقرب للسياق. أو تكون: (اللظى) بمعنى النار أو اللهب الخالص. فشيطان الجن نار لا يقوى على اختراق قلب المؤمن، وتحمّل نور قلبه الذاكر، الذي عمر بالإيمان وذكر الله تعالى، فيفرُّ منه. والله أعلم. انظر: لسان العرب: ١٥/٢٤٨.

(٤) وفي بدايته عن عطية بن عامر الجهني قال: بينما أنا أقود برسول الله ﷺ إذ قال: ((يا عقبة، ألا أعلمك من خير سورتين قرأ بهما الناس؟ قلت: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله ..)). الحديث. انظر: عمل اليوم والليلة: باب ما يقول إذا تعارّ من الليل: ص: ٦٨٤، رقم الحديث: ٧٥٩.

ما استطاع من جسده، يمُر بهما على رأسِهِ ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مِرارٍ))[١].

وروينا أيضاً عن ابن السُنِّيِّ بسنده قال أخبرنا أبو عبد الرحمن يعني النسائي، أخبرنا عمرو بن علي، حدَّثنا أبو عاصم، حدثنا ابن أبي ذئب، حدَّثنا أُسيد ابن أبي أُسيد، عن معاذ بن عبد الله[٢] بن أبي حبيب، عن أبيه، قال: أصابنا عطشٌ[٣] وظلمةٌ، فانتظرنا رسولَ الله ﷺ ليُصلِّي بنا، ثم ذكر كلاماً معناه[٤]، فخرج فقال: قُل. قُلتُ: ما أقول؟ قال: ((﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾/ والمعوذتين حين تُمسي، وحين تُصبح ثلاثاً، يكفك[٥] كلَّ شيءٍ))[٦].

أ/٢٦٦

---

(١) انظر: كتاب عمل اليوم والليلة: باب من قرأ المعوذتين ص: ٦٤٠، رقم الحديث: ٦٩٧، وأخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات: ٦/٤٢٤، رقم الحديث: ٥٠١٧، ولفظه: ((ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات)). قال: هذا حديث حسن غريب صحيح. انظر: سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام: ٥/٤٤١، رقم الحديث: ٣٤٠٢. وانظر الحديث في: سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح: ٤/٣٢٢، رقم الحديث: ٥٠٨٢.

(٢) عبد الله بن حبيب الأسلمي ذكره البارودي وأخرج من طريق يزيد بن رومان عن عمار بن عقبة عن عبد الله بن حبيب الأسلمي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في عمرة حتى إذا كنا ببطن رابغ استقبلنا ضبابة، فأضللنا الطريق. فذكر الحديث، وفيه ذكر المعوذتين. وأخرج البزار هذا الحديث من هذا الوجه لكن قال: عبد الله الأسلمي لم يسم أباه وقال بعده: رواه غير يزيد بن رومان عن غير عبد الله. قال ابن حجر: هو معروف من رواية معاذ بن عبد الله بن حبيب الجهني عن أبيه، واسم الجهني خُبيب. انظر: الإصابة: ٤/٥٣، رقم الترجمة: ٤٦٢٠.

(٣) رواية ابن السني: (عطش وطش وظلمة). والطش والطشة داء يصيب الناس كالزكام، وسميت طشة لأنه إذا استنثر صاحبها طش كما يطش المطر، وهو الضعيف القليل منه. انظر: لسان العرب: ٦/٣١٢.

(٤) نص مسند أحمد: ((فأخذ بيدي فقال: قل: فسكت، قال: قل. قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً يكفيك كل يوم مرتين)). انظر: مسند أحمد: ١٦/٣٨٣، رقم الحديث: ٢٢٥٦٣. وإسناده صحيح.

(٥) رواية ابن السني: (تكفيك).

(٦) انظر: كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني : باب ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى. ص: ٧٤، رقم الحديث: ٨١.

COLLAMER LIBRARY

نجز الكتاب، والحمد لله ربِّ العالمين، حمداً كثيراً طيِّباً، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه، وعزِّ جلاله. والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

وهذه أول نسخة بُيِّضت من الأصل، بخطِّ مؤلِّفه بالمدرسة الجوزية، ببغداد المحروسة، بالجانب الشرقي منها، نهار السبت سادس جمادى الآخر من سنة أربع عشرة وثمانمئة، على يد مؤلفه الضعيف، الواثق بالخبير اللطيف عبد العزيز بن العزِّ قاضي القدس الشريف، ردَّه الله إليه ردَّاً جميلاً على أحسن وجه وأكمله، بمنِّه وكرمه. إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

نهاية الكتاب المحقق

وتليه الفهارس الفنية

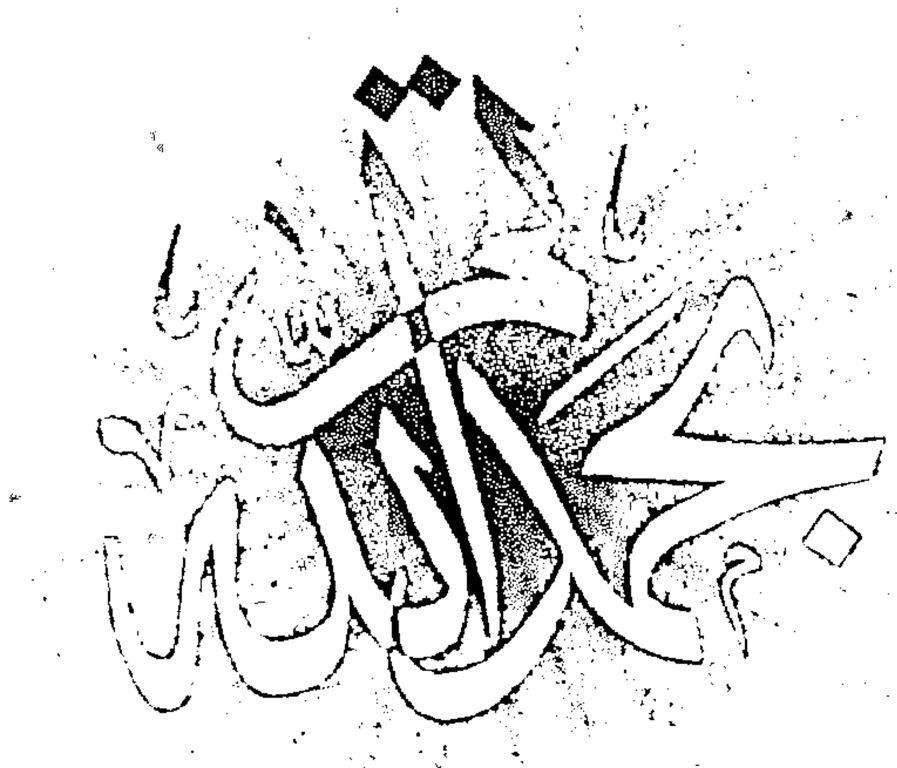

الفهارس الفنية للكتاب

المادة	الصفحات
أ ــ فهرس الآيات القرآنية	٦١١ ــ ٦١٥
٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية، والآثار الشريفة	٦١٦ ــ ٦٢٠
٣ ــ فهرس الأشعار	٦٢١ ــ ٦٢٤
٤ ــ فهرس الأمثال	٦٢٥ ــ ٦٢٥
٥ ــ فهرس الأعلام المترجم لهم	٦٢٦ ــ ٦٣٨
٦ ــ فهرس موارد المؤلف	٦٢٩ ــ ٦٣٠
٧ ــ فهرس المصطلحات والتعريفات	٦٣١ ــ ٦٣٦
٨ ــ فهرس الأحكام الفقهية والشرعية.	٦٣٧ ــ ٦٣٧
٩ ــ فهرس المصادر والمراجع	٦٣٨ ــ ٦٦٦
١٠ ــ فهرس المحتوى	٦٦٧ ــ ٦٦٩

أ ـ فهرس الآيات القرآنية

بداية الآية القرآنية	السورة	الآية	الصفحة
(الهمزة)			
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾	الزمر	٢٣	١٩
﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾	المزمل	٥	٢٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ... ﴾	إبراهيم	٢٢	٦٣
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ	الزمر	٢٣	١٠٩
﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾	الحجر	٩٥	١٣٠
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ ﴾	النحل	١٢٦	١٣٣
﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ۖ ﴾	الصافات	٩١	١٦٩
﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۖ ﴾	يوسف	٧٠	١٧٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۖ ﴾	المطففين	٢٩	٢١٧
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾	المائدة	٤٤	٢١٨
﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ... ﴾	الجن	١ــ٢	٤١٧
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۖ ﴾	الفاتحة	٦	٤٣١
﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۖ ﴾	ق	٢٤	٤٥٩
﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾	الأنفال	٣٢	٥٠٩
(الباء)			
﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	الفاتحة	١	٢٣
(التاء)			
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۖ ﴾	اللهب	١	٢٢٨
(الثاء)			
﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	البلد	١٧	٣٣٧
(الجيم)			
﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۖ ﴾	الإسراء	٨١	٥٥١
﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۖ ﴾	سبأ	٤٩	٥٥١
(الخاء)			
﴿ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ ﴾	الحج	١٩	٣٦٤
﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۖ ﴾	الأنبياء	٣٧	٤٩١

(الراء)

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	الصافات	١٠٠	١٧٧

(السين)

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ ﴾	الأنعام	٥٤	٢٩
﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾	الصافات	١٨٠	٣٠
﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ... ﴾	الحديد	١	٤٧٦

(العين)

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾	النجم	١٥	٣٨
﴿ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾	الصافات	٩٣	١٦٩

(الفاء)

﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾	البقرة	٢٥٦	٢٠
﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾	البقرة	١٧٥	٣٤
﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾	التوبة	٥	٧٢
﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾	الحجر	٩٤	١٢٩
﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾	الكهف	٦٥	١٤٣
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ ﴾	الكهف	٧١	١٤٤
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾	الكهف	٧٤	١٤٥
﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾	المعارج	٥	٢٠٣
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	يوسف	١٨	٢٠٣
﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ... ﴿٣٥﴾ ﴾	الأحقاف	٣٥	٢١٠
﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ .... ﴿١٤٥﴾ ﴾	الصافات	١٤٥	٢١٢
﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾	البقرة	١٧	٢١٨
﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾	الشعراء	١٦	٢٢٤
﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي ﴾	الشعراء	٧٧	٢٢٤
﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾	الفرقان	٥٩	٥٠٩

(القاف)

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾	النمل	٥٩	٣٠
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ... ﴿١١٠﴾ ﴾	الإسراء	١١٠	١٣٧
﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾	الكهف	٦٦	١٤٣
﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ ﴾	الكهف	٧٢	١٤٥

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾	الكهف	٧٦	١٤٧
﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾	المائدة	١٥	٢١٨
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ ﴾	آل عمران	٢٦	٢٩٦
﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾	الجن	١	٤١٧
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	المجادلة	١	٤٧٧

(الكاف)

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾	آل عمران	١٨٥	١٦٠
﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ .. ﴾	الأحقاف	٣٥	٤٢٣
﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝ ﴾	النازعات	٤٦	٤٢٣
﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ ﴾	المائدة	٦٤	٤٨٤

(اللام)

﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ ﴾	إبراهيم	٥	٣٦
﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾	الأحزاب	٨	٦٤/٦٣
﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا... ﴾	الحشر	٨	٦٤
﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ ﴾	هود	٨٨	١٠٣
﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ ﴾	يوسف	٥	١١٢
﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ﴾	يوسف	٧	١١٣

(الميم)

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا .. ﴾	البقرة	٢٤٥	٩٥
﴿ مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ﴾	الأنبياء	٤٣	٢٠٣
﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾	ص	٤١	٢٠٣
﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾	فصلت	٤٣	٢٢٣
﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾	البقرة	٩٨	٤٦٣
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ...﴾	التغابن	١١	٤٩٦
﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ ﴾	فصلت	١٥	٥٤٥

(النون)

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾	يوسف	٣	١٩

(الهاء)

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾	لقمان	١١	٢٥
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ ﴾	التغابن	٢	٣٠

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾	الذاريات	٢٤	٣٦٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ... ﴾	الحشر	٢	٤٨١

(الواو)

﴿ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ ﴾	الإسراء	٤٦	٢٣
﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ ﴾	الأنعام	١٢١	٢٦
﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾	الصافات	١٨١	٣٠
﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾	الصافات	١٨٢	٣٠
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ .. ﴿٢٨١﴾ ﴾	البقرة	٢٨١	٣٣
﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾	الكهف	٢٨	٣٥
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	القصص	٥	٦٨
﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ ﴾	الأنفال	٣٠	٨٩
﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾	الكهف	٢٢	٩٨
﴿ وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾	الزمر	٧٣	٩٨
﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾	هود	١١٤	١٠٤
﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ ﴾	هود	١٢٣	١٠٧
﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾	النحل	١٢٧	١٣٦
﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ... ﴿٢٨﴾ ﴾	الكهف	٢٨	١٣٩
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ ﴾	الكهف	٥٩	١٤٠
﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾	الكهف	٦٠	١٤٠
﴿ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ ﴾	الكهف	٦٨	١٤٤
﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ ٱللَّهَ ... ﴾	النساء	٩	١٥٢
﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ ... ﴾	الأنبياء	٣٤	١٥٣
﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾	الفرقان	٦٣	١٥٦
﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾	طه	٢٩ــ٣٠	١٥٧
﴿ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾	الحجر	٤٨	١٦٠
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا ... ﴾	القصص	٧	١٦٤
﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾	الأنفال	٤١	١٦٧
﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾	مريم	١٢	١٦٧
﴿ وَخُذۢ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ ﴿٤٤﴾ ﴾	ص	٤٤	٢٠٣
﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ... ﴿٤٨﴾ ﴾	القلم	٤٨	٢١٠

﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ... ۝٧ ﴾	الطلاق	٧	٢١١
﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾	الأعراف	١٥٧	٢١٨
﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾	الزمر	٦٩	٢١٨
﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾	نوح	١٦	٢١٩
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ... ۝٥٩ ﴾	الأنعام	٥٩	٢٦٣
﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ..﴾	البقرة	٢٦٩	٢٣٨
﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾	الزمر	٧٣	٣٥١
﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾	القلم	٤٨	٤٢٢
﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ ﴾	الأحقاف	٩	٤٢٩
﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١ ﴾	النساء	٤١	٤٣٣
﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ... ﴾	الفرقان	٢٥	٥٣٢
﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ ﴾	المدثر	٣٣	٥٤٤
﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾	الطلاق	٧	٥٦٤

(الياء)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴾	آل عمران	٢٠٠	٣٤
﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾	يوسف	٨٤	٤٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩ ﴾	التوبة	١١٩	٦٤
﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾	القصص	٣٠	١٥٧
﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾	الحديد	١٢	٢١٨
﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾	التحريم	٨	٢١٩
﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾	سبأ	١٣	٣٧٦
﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾	المطففين	٦	٤٥٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ ... ﴾	آل عمران	٢٠٠	٤٨٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ.. ﴾	الممتحنة	١	٤٨٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ... ﴾	التغابن	١٤	٤٩٦
﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ..﴾	التغابن	٩	٤٩٦

انتهى فهرس الآيات القرآنية، ويليه فهرس الأحاديث النبوية والآثار الشريفة

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية والآثار الشريفة

بداية الحديث	الصفحة
(الهمزة)	
إن هذا القرآن أنزل على سبعةِ	١٩
الذي يقرأ ولا يُفسِّرُ	٢٠
أول ما نزل جبريل عليه السلام	٢٣
إذا قرأ العبد الفاتحة	٣٠
إذا قال الإمام: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٣١
أنه نهى عن قتل شيء	٣٤
الصبر بمنزلة الرأس من الجسد	٣٥
الصبر عند الصدمة الأولى	٣٥
إن صبرتَ مضى أمر الله	٣٦
الإيمان نصفان؛ نصفه صبر	٣٦
اذكرني في الرخاء أذكرك في الشدة	٣٧
إذا ذكر الكافرُ اللهَ ذكره الله باللعنة	٣٧
أن أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ	٣٨
أن أرواح المؤمنين تتشكل	٣٨
إنه في الفردوس	٣٩
ألا أخبركم بما يمحو الله	٥٧
أربع خلالٍ إذا أعطيتَهُنَّ فلا يضرك	٦٣
الحمد لله الذي جعل في أمتي	٦٥
أصبحوا سحرةً، وأمسوا شُهداء	٦٧
أيها الناس لا تتمنَّوا لقاء العدو	٧٠
إن الله قد جعل لكم الأنصار إخواناً	٨٤
اتق الله حيثُ ما كنت	١٠٦
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة	١٣٤
أول مَن يُدعى إلى الجنة يوم القيامة	١٣٨
الحمد رأس الشكر	١٣٨
إن أفضل الدعاء الحمد لله	١٣٨

بداية الحديث	الصفحة
(السين)	
ستكون فتن كقطع الليل المظلم	١٩
سلمان منَّا أهل البيت	٢٩٤
سابقُنا سابق، ومقتصدُنا ناجٍ	٣٣٨
(الشين)	
شيبتني هود وأخواتها	١٠٢
(الصاد)	
صنع رسولُ الله ﷺ شيئاً فتنزه	٣٣٦
صفاؤهن كصفاء دُرِّ الأصداف	٤٧٢
(العين)	
عليك بالقناعة تكن من أغنى	٣٨٥
على كل زوجة سبعون حلة يُرى	٤٦٢
عليِّين في السماء السابعة تحت	٥٣٤
(الفاء)	
في قُبَّةٍ خضراء	٣٨
في قناديلَ من ذهبٍ	٣٨
فإنهم لا يعلمون	٢٨٧
فلما فرغ سليمان عليه السلام من	٣٢٤
فتلَّهُ رسول الله ﷺ في يده	٣٥١
فحاصوا حيصةَ حُمُر الوحشِ إلى	٤٠٤
فمن كظم غيظه فقد كُفِي همَّاً	٤٠٤
فلم أرَ عبقريَّاً يفري فَرْيَهُ	٤٦٥
في القرآن سورة ثلاثون آية	٥٠٢
فيه وُلِدت وفيه أُنزِل عليَّ	٥٢١
(القاف)	
قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله	٢٢٨
قولوا: اللهم صلِّ على محمد	٣١٧

أحب الكلام إلى الله أربع ١٣٨
الحمد لله الذي جعل في أمتي مَن ١٣٩
إن موسى قام خطيباً في بني ١٤٠
انجاب الماء عن مسلك الحوت ١٤١
إنما سُمِّيَ الخضر لأنه كان إذا ١٤٣
إن الغلام الذي قتله الخضرُ طُبِعَ ١٤٦
أطعمتهما امرأةٌ من أهل بربر ١٤٨
إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء ١٥٢
أريتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس ١٥٣
إنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا ١٧٣
إنها ستكون هجرة بعد هجرة ١٦٧
أن ناقة البراء بنِ عازب دخلت ١٨٠
إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله ١٨١
إن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله ١٨٢
إذا اجتهد فأخطأ فله أجر ١٨٢
أجدني مغموماً، أجدني مكروباً ٢٠٥
أوحى الله إلى الحوت أن خذه ٢١١
اصبروا، لم تؤمروا بالقتال ٢١٤
إن النار تقول للمؤمن وهو على ٢١٩
إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه ٢٢٣
أعطيت طه والطواسين من ألواح ٢٢٦
اغتنم خمساً قبل خمس ٢٦٥
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ٢٨٧
إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا ٣٠٦
إن أولى الناس بشفاعتي يوم القيامة ٣١٨
إن في القرآن سورة يُشفّعُ قارئها ٣٤٢
أكثر أهل الجنة البُلُه ٣٤٤
الرؤيا من الله، والحُلُمُ من الشيطان ٣٥٢
أن الله تعالى أوحى إلى إسحاق أني ٣٥٣

قل آمنت بالله ثم استقم ٣٩٦
قام النبي ﷺ حتى تورَّمت قدماه ٤٣١
قوموا وانحروا ثم احلقوا ٤٣٥
قالت امرأةَ من قريش لرسول الله ٥٥٤
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ والمعوذتين ٦٠٧

(الكاف)

كمُل من الرجال كثير ١٤
كيف تستفتح الصلاة يا جابر ٢٤
كل أمر لم يذكر اسم الله عليه ٢٦
كان ذهباً وفضَّة ١٥١
كانت امرأتان معهما ابناهما ١٨٢
كلوا الزيت وادَّهنوا به ٢٢١
كان رجلاً له عشر من البنين ٢٤٢
كرامة الكتاب ختمه ٢٤٦
كُلاًّ عنَيت ٢٨٣
كنت أول النبيِّين في الخلق ٢٩٠
كان رجلاً من العرب ولد عشرةً ٣٢٩
كلهم من هذه الأمة ٣٣٧
كان داود عليه السلام قد قسم ٣٥٩
كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقُد ٤٧٦
كمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل ٥٠١
كان رسول الله ﷺ يحب هذه ٥٤١
كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ٦٠٦

(اللام)

لو أنكم كنتم توكَّلون على الله ٥٥
لا راحة لمؤمنٍ دون لقاء ربهِ ١٣٤
لبث أيوب في بلائه ثماني عشرة ١٩٨
لما نزل﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ٢٢٨
لا ينظر الله يوم القيامة إلى من ٢٦٣

الزُّرقة يُمنٌ، وكان داود أزرق ٣٥٧
أُعطيتُ جوامع الكلم، واختصر لي ٣٥٩
الخيل معقود في نواصيها الخير إلى ٣٦٨
الحواميم ديباج القرآن ٣٩١
أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخُن ٤٠٥
إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ٤٠٧
إن أدنى أهل الجنة منزلةً لمَن له ٤٠٩
أدنى أهل الجنة منزلة، وما منهم ٤١٠
إن يُدخِلك الله الجنة أصبت فيها ٤١٠
إخراج القمامة من المسجد مُهُور ٤١٣
الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري ٤١٥
إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيُّكم ٤١٧
أتاني داعي الجن، فذهبت فقرأت ٤١٨
أعطاني السبع الطِول مكان التوراة ٤٢٤
أنا عبد الله ورسوله لم أخالف أمره ٤٣٢
أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط ٤٣٥
إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر ٤٤٩
إني لأرجو أن يؤخِّر الله أمتي ٤٥٧
أول زمرة تلج الجنة صورتهم ٤٦١
إن للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة ٤٦٣
الفرقتان في أمتي؛ فسابقُ أول الأمة ٤٧٠
إن في الجنة شجرة يسير الراكب ٤٧٤
ارتفاعها كما بين السماء والأرض ٤٧٤
الحمد لله الذي وَسِعَ سمْعُهُ ٤٧٧
إن الله قد صدَّقك، وكذَّب عبد الله ٤٩٥
أول ما خلق الله القلم ٥٠٤
إنهم يعيشون فلا يموتون ٥٠٧
اللهم اُشدد وطأتك على مضر ٥١٧
إن الحمَّى من فيح جهنَّم، فسبِّخوها ٥١٨
أما إن الملَكَ سيقولها لك عند ٥٤٩
ليس على أهل لا إله إلا الله وحشةٌ ٣٤٠
لكل شيء قلبٌ، وقلبُ القرآن يس ٣٤٢
لا تغضب، فردَّد مراراً، قال: ٤٠٥
لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها ٤١١
لقد نزلت عليَّ الليلةَ سُورةٌ هي ٤٢٨
لقد قرأتها على الجنِّ ليلة الجنِّ ٤٦٦
لا يُخضد شوكها ٤٧٣
لا يجتمع الإيمان والشحُّ في قلب ٤٨٢
ليس من كافر إلا وله منزلة ٤٩٦
لا كسردكم هذا، لو أراد السامع ٥١٦
لا تسبِّخي بدعائك عليه ٥١٨
لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء ٥٨٩
لا حسد إلا في اثنتين ٦٠٤
لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله عزَّ ٦٠٤

(الميم)

من قَرأ القُرآن فقد أُدرجتِ ٢٠
من قال في القُرآن برأيه ٢١
ما أخذتُ منه فمن عليٍّ ٢١
من مات مرابطاً أمِنَ من الفتَّان ٥٧
من توضأ وُضوئي هذا ثم صلَّى ١٠٦
من أحب دُنياه أضرَّ بآخرته ١٣٣
مررت بك وأنت تقرأ القرآن ١٣٨
من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة ١٣٩
ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ٢٣٨
مَن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم ٢٧٨
مَن صلَّى عليَّ مرَّةً صلَّى الله عليه ٣١٨
مَن صلَّى عليَّ مرَّةً صلَّت عليه ٣١٩
من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ٣٩٧
ما تشاور قومٌ قطُّ إلا هُدُوا لأحسن ٤٠٥
من قرأ سورة الدخان في ليلةٍ ٤١٢

أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون ٥٦٠
أفلح الرويجل، أفلح الرويجل ٥٦٨
أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو ٥٩٥
انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك ٥٩٨
أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن ٥٩٩
أن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل القرآن ٥٩٩
أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن ٦٠٢
إنَّ الشيطان جاثِمٌ على قلب ابن آدم، ٦٠٥

(الباء)

بل نتلطَّف به، ونحسن عشرته ١٤
بها أول نزول جبريل ٢٤
بل أنا وارأساه ٢٠٥
بعثت أنا والساعة كهاتين ٤٥٧
برئ من الشحِّ من أدَّى الزكاة ٤٨٣
بعثنا رسول الله ﷺ أنا والمقداد ٤٨٦
بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين ٥٩٠

(التاء)

تسوَّموا فإن الملائكة قد سوَّمت ٥١
تهادوا تحابوا ٢٤٧
تبارك الذي بيده الملك تجادل ٥٠٣

(الجيم)

جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ٤٦٢
جاورت بِحِرَاء شهراً، فلما قضيت ٥٢٠

(الحاء)

حبُّك إيَّاها أدخلك الجنة ٥٩٨

(الخاء)

خيِّرات الأخلاق حِسان الوجوه ٤٦٣
خير يوم طلعت فيه الشمس يومُ ٤٩١
خمس بخمس، قالوا: يا رسول الله ٥٣٣

من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ ٤٤٠
ما بقي من الدنيا فيما مضى ٤٥٧
مررت ليلة أسري بي بنهر حافَتاه ٤٦٤
ما لي أراكم سكوتاً؟ الجنُّ كانوا ٤٦٦
مَن داوم قراءة سورة الواقعة لم ٤٦٧
مَن قرأها لم يفتقر أبداً ٤٦٧
من اغتسل يوم الجمعة غُسل ٤٩٢
مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ٥٣٠
من أحب أن ينظر في يوم القيامة ٥٣١
من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ٥٦٦
ما جاء بك؟ قال: جئت لتعلمني ٥٩٢
من قرأ في ليلة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ ٥٩٢
من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ حتى ٥٩٩

(النون)

نصرت بالصبا، وأُهلكت عادٌ ٢٩١
نهرٌ أُعطيَهِ نبيُّكم ﷺ شاطئاه عليه ٥٩٠

(الهاء)

هل ترون قبلتي ههنا؟ ٢٣٠
هي من نور يتلألأ ٤٥٩
هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: ٤٦٢
هم الذين إذا أُعطوا الحق قبِلُوه ٤٦٩
هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ٥٨٩

(الواو)

وهي السبع المثاني ٢٨
وإذا ذكرني في ملأٍ ذكرته ٣٧
واعلم أن النصر مع الصبر ٦٨
ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله ٢٧٢
ويل للأغنياء من الفقراء يوم ٤٥١
وأي داءٍ أدوى من البخل ٤٨٢

(الدال)

دعوها فإنها مأمورة ٩١

دياركم تكتب آثاركم ٣٤٢

(الراء)

رباط يوم في سبيل الله ٥٧

رحمة الله عليك، ما كنت إلا فاعلاً ١٣٥

رحمة الله علينا وعلى موسى ١٤٧

رأيت نوراً ٢٢١

رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين ٥٨٤

— —

واعلم أن النصر مع الصبر ٤٩٦

وددتُ أن تبارك الذي بيده الملك ٥٠٢

والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن ٥١٠

(الياء)

يارحمن ١٣٧

يرحم الله موسى لو صبر لقصَّ ١٥٣

يتناوله المرء على أي حالة كان ٤٦٠

يا رسول الله إن وافقتُ ليلةَ القدر ٥٦٦

يقول ابنُ آدم: مالي مالي، ومالَك ٥٧٥

يا عقبة، ألا أعلمك من خير ٦٠٦

انتهى فهرس الأحاديث النبوية والآثار الشريفة، ويليه فهرس الأشعار

٣ـً فهرس الأشعار

القافية	اسم الشاعر	رقم الصفحة
	(الهمزة)	
الأعداء	أبو الهدى الصيادي	٨٥، ٨٦/ح
الظلماء	الإمام أحمد بن حنبل	٣٨٩
	(الباء)	
ومعرب	الكميت.	٩/ح، ٣٩٣
طبيب	علقمة بن عبيدة	٥١٣/ح
المطلب	النبي ﷺ	١٣٤/ح
أيوب	عدي	٤١٢/ح
الرطبِ	ــ	٦٠٠
	(التاء)	
المهاجرة	النبي ﷺ	١٣٤/ح،٢٩٧
	(الجيم)	
الحشْرَجِ	عمر بن أبي ربيعة	٤٧٥
تخرجِ	عمر بن أبي ربيعة	٤٧٥/ح
	(الحاء)	
المتملّح	الطرماخ	٢٥/ح
اتشحا	ابن الرومي	٥٦٥
	(الدال)	
واحد	أبو العتاهية	٢٩، ٤٥٦
حامد	أبو العتاهية	٢٩
أبداً	الأنصار	١٣٤/ح،٢٩٧
الفندِ	النابغة الذبياني	١٨٨،١٨٨/ح
المديد	ــ	٥٥٢
	(الراء)	
الصبر	ــ	٣٥
كسيرا	ابن الأعرابي	٣٦٩
نارُ	الخنساء	٤٠٥

فعِيرَا	الأعشى	٤٧٤،٤٧٤/ح
المستحر	امرؤ القيس	٤٤، ٤٤/ح
صبرُ	أبو تمام	٣٤/ح
مدَّراً	الأبيرد	٤٧٥/ح
البصرُ	لبيد	٤٧٩
قماطرُ	—	٥٣٠،٥٣٠/ح
أبجرا	الأبيرد	٤٧٥
	(الزاي)	
مبارز	عمرو بن عبد ود العامري	٣٠٤/ح
عاجز	علي بن أبي طالب	٣٠٤/ح
	(الشين)	
قريشا	محمد بن سلام الجمحي، أو تُبَّع	٥٩١
	(العين)	
يجزع	أبو ذؤيب	٨٥/ح
ضعوا	—	٨٨/ح
رتغ	سويد بن أبي كاهل، أو شبيب اليشكري	١١٧،١١٧/ح
يقطعُ	المتنبي	٥٦٦
	(الفاء)	
عفافِ	أبو طالب	٥٨٩
	(القاف)	
دهاق	—	٥٣٢
	(الكاف)	
حماكا	عبد المطلب	٥٨٦
حلالك	عبد المطلب	٥٨٦
	(اللام)	
الغوافل	حسان بن ثابت	٣٩، ٣٩/ح
العسلَ	—	٣٥/ح
زائل	لبيد	٦٥/ح
والأهلِ	المنخّل	١١٥
معقولاً	الراعي النميري	١٢١

مُبْتَلَى	—	١٢١/ح
الأجل	حسان بن ثابت	٣٠٥،٣٠٥/ح
بالرَّجُلِ	أبو دلامة، وأبو بكر الصديق	٣٧٨
الجبلِ	ثعلب	٤٤٤/ح
المفاصلُ	أبو تمام	٥٦٦
الجزل	—	٦٠٠

(الميم)

الرحيم	جرير	٩٩، ٩٩/ح
الغشوم	—	١٧٨
أقْدِمِ	عنترة	٢٧٢،٢٧٢/ح
العَرِمَا	ابن بري الجعدي	٣٣٤/ح
التَقدُّمِ	شريح بن أبي أوفى العبسي	٣٩٤،٣٩٤/ح
وصميمِ	الكسائي	٣٩٧/ح
عظيمُ	أبو الأسود الدؤلي	٤٠٦/ح
محرَّمِ	عنترة	٥٢٥
الأممُ	ابن الرومي	٥٦٥
تيمما	—	٥٨٠

(النون)

يختلفان	—	١٥٥/ح
صلينا	الرسول ﷺ	٢٩٧
ياسينا	السيد الحميري	٣٤٥
دينِ	علي بن أبي طالب	٣٧٨/ح
الأسَنِ	زهير بن أبي سلمى	٤٢٩،٤٢٩/ح
فكائن	—	٥٢٢/ح

(الهاء)

كاهِنَهْ	—	٣٨٤/ح

(الياء)

أبكاني	—	٨٧
أجفاني	—	٨٧/ح
ثيابي	شاعر من بني خزاعة	٢١٢/ح

وزري	—	٤٧٠
كالكافي	عبد الله بن الزبعري	٥٩٠

انتهى فهرس الأشعار، ويليه فهرس الأمثال

٤ـ فهرس الأمثال

المَثَل	الصفحة
(الهمزة)	
أجْوَرُ من قاضي سدوم.	١٧٨
أضْيَق السجون معاشرة الأضداد.	٢٤٠/ح
أكْذَب من فاختة.	٢٣٢
إن أردبت المناجزة فقبل المحاجزة.	٩٣
(الذال)	
ذهب القوم أيدي سبأ، وأيادي سبأ.	٢٤٥
ذهب القوم أيدي سبأ، وأيادي سبأ.	٣٣٤
(الغين)	
غرثان فأربكوا له.	٣٩

المَثَل	الصفحة
(الكاف)	
كأنه علم.	٤٠٤
كانت بين القوم زمعاً ثم حجيزى.	٩٣
(اللام)	
لتكفئ ما في صحفتها.	٣٠٩
(الواو)	
وعد الكريم ألزم من دين الغريم.	٣١
—	—
—	—
—	—

انتهى فهرس الأمثال، ويليه فهرس الأعلام المترجم لهم

هـ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
(الألف)		(العين)	
أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم	١٢	عبد الله بن سلام بن الحارث	١٣
الأرقم بن أبي الأرقم، واسمه عبد	٦٦	عبد الله بن عبد الله بن أبيّ	١٤
أبو سفيان بن الحارث بن قيس	٧٩	عباد بن بشر بن وقش بن زغبة	٥٦
أسعد بن زرارة بن عُدَس	٨٢	عثمان بن مطغون بن حبيب بن	٦٥
أسماء بنت أبي بكر الصديق	٩٠	عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي	٧٠
أم شريك القرشية العامرية	١٧٣	عبد الله بن شبرمة بن الطفيل	٧٤
أبيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد	١٧٥	عامر بن فهيرة التيمي	٨٧
أوس بن قيظي بن عمرو	٣١١	عبد الله بن الزبير بن العوام	٩٠
إسماعيل بن محمد بن يزيد	٣٤٣	عبد الله بن رواحة بن ثعلبة	٩٥
الأصبغ بن نباتة التميمي	٣٨٥	عمرو بن غزية بن عمرو	١٠٤
أبو سنان بن وهب، واسمه عبد الله	٤٣٧	عطاء بن يسار الهلالي	١٧٤
الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد	٤٤٢	عبد الله بن عمرو بن العاص	١٧٦
أبو مرثد الخولاني	٤٨٦	عروة بن الزبير بن العوام	٢٠٩
أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي	٥٦٢	عامر بن شراحبيل الشعبي	٢٣٧
الأخنس بن شريق بن عمرو	٥٧٨	عون بن عبد الله بن عتبة	٢٦٠
أمية بن خلف بن وهب	٥٧٨	عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر	٢٩٤
(الباء)		عمرو بن عبد ود العامري	٣٠١
البراء بن عازب بن الحارث	٧٥	عكرمة بن أبي جهل عمرو	٣٠١
البراء بن معرور بن صخر	٨٣	عطاء بن أبي رباح	٣١٦
بكر بن عبد الله المزني	٤٠١	عبد الرحمن بن أبي ليلى	٣١٧
(التاء)		عبد الله بن عامر بن ربيعة	٣١٨
تمام بن العباس بن عبد المطاب	٤٣٤	عامر بن ربيعة بن كعب	٣١٨
(الثاء)		عقبة بن صهبان الأزدي الحداني	٣٣٩
ثابت بن أسلم البُناني	٣٢٦	علي بن عيسى بن علي	٣٤٦
ثوبان مولى رسول الله ﷺ	٤١١	عبيد بن عمير بن قتادة الليثي	٣٥٤
ثابت بن قيس بن شماس بن زهير	٤٤٣	عبد الرحمن بن سابط	٤١٠
(الجيم)		عبد الرحمن بن أبي ليلى	٤٢٠

جميلة امرأة أوس ابن الصامِت ١٢
جعفر بن سليمان الضبعي ٣٢٦
جهجاه بن سعيد ٤٩٣
(الحاء)
حاطب بن أبي بلتعة بن عمر اللخمي ١٢
الحارث بن أوس بن معاذ بن ٥٦
الحسن بن يسار البصري ١٧٠
الحارث بن عوف بن أبي حارثة ٣٠٠
حذيفة بن اليمان ٣٠٨
الحسن بن الحكم النخعي ٣٢٩
الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة ٤٣٦
حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو ٤٨٥
حصين بن جندب بن عمرو ٤٩٧
حفصة بنت عمر بن الخطاب ﵂ ٥٠٠
حبيب بن أوس بن الحارث أبو تمام ٥٦٢
(الخاء)
خولة بنت ثعلبة بن أصرم ١١
خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ٩٢
خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم ٤٧٧
خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة ٤٧٨
(الدال)
داود بن الهيثم بن إسحاق ابن الهيثم ٥٦١
(الراء)
الرسعني هو أبو محمد عز الدين ٤٣٠
(الزاي)
زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي ٢٨٨
زيد بن أرقم بن زيد بن قيس ٣١٤
زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ٣٨٦
زر بن حبيش بن حباشة بن أوس ٤١٩
الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس ٤٤٢
عمرو بن الأهتم بن سُمي بن خالد ٤٤٢
عبد الله أحمد بن محمد موفق ٤٥٣
العباس بن الفرج الرياشي ٤٥٣
عبد الملك بن قُريب بن علي ٤٥٣
عبد الله بن سلام بن الحارث ٤٩١
عوف بن مالك بن أبي عوف ٤٩٨
عبد الله بن قيس بن سليم ٥٠١
عبد بن عبد أبو عبد الله الجدلي ٥١٥
عمرو بن أم مكتوم القرشي ٥٣٠
علي بن العباس بن جريج ٥٦١
عبد الله بن أنيس الجهني ٥٦٥
عبد الله بن الشخير بن عوف ٥٧٥
علي بن رفاعة القرظي ٥٧٧
العاص بن وائل بن هاشم السهمي ٥٧٨
عمار بن ياسر بن مالك ٦٠١
عقبة بن عامر بن عبس ٦٠٤
عبد الله بن حبيب الأسلمي ٦٠٧
(الفاء)
فروة بن مسيك بن الحارث ٣٢٩
الفضيل بن عياض بن مسعود ٣٩٨
فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي ٥٩٢
(القاف)
قثم بن العباس بن عبد المطلب ٣٣
قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح ٥٨٤
(الكاف)
كعب بن مالك بن أبيّ بن كعب ٨٣
كعب بن عجرة بن أمية ٣١٧
كعب بن ماتع الحميري ٣٤٨
(الميم)
محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد ٥٦

زينب بنت جحش الأسدية ٥٠٠

(السين)

سارة مولاة عمرو بن هاشم ١٢

سلطان بن سلامة بن وقش بن زغبة ٥٦

سعيد بن جبير بن هشام الأسدي ٧٣

سفيان بن سعيد بن مسروق ٧٤

سفيان بن عيينة بن أبي عمران ٧٧

سعد بن معاذ بن النعمان ٨٣

سعد بن عبادة بن دُليَم بن حارثة ٨٣

سفيان بن عيينة بن أبي عمران ٢٠٤

سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ٣٣٠

سفيان بن عبد الله بن ربيعة ٣٩٦

سليمان بن طرخان التيمي ٤٠٩

سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم ٤٣٢

سهيل بن عمرو بن عبد شمس ٤٥٨

سليم بن أسود بن حنظلة أبو الشعثاء ٤٨٣

سارة مولاة عمر بن هاشم ٤٨٥

سنان بن وبرة أو وبر الجهني ٤٩٣

سهل بن معاذ بن أنس الجهني ٥٩٩

(الشين)

شهر بن حوشب الأشعري ٢٦٣

شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم ٥٤٥

(الضاد)

ضرار بن الخطاب بن مرداس ٣٠٢

(الطاء)

طلق بن حبيب العنَزي البصري ٤٦١

— —

— —

المقداد بن الأسود الكندي

مصعب بن عمير بن هاشم ٨٢

مالك بن التيهان بن مالك الأوسي ٨٤

محمد بن مسلم بن سوسن ١٢٠

مالك بن صعصعة بن وهب ١٥٨

المنهال بن عمرو الأسدي ١٧٤

مُعَتِّب بن قُشَيْر بن مُلَيل بن زيد ٢٩٩

محمد بن زياد ٣٣١

مسروق بن الأجدع بن مالك ٣٣٦

المنذر بن سعيد بن عبد الله ٣٤٥

يوسف بن عبد الرحمن الجوزي ٣٥٢

المعتمر بن سليمان بن طرخان ٤٠٨

محمد بن عبد الرحمن بن السميفع ٤٣٣

محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد ٤٧٩

المقداد بن عمرو بن ثعلبة ٤٨٦

منذر بن عمرو بن خنيس ٥٦٩

المقداد بن الأسود الكندي ٥٧٠

مرثد بن أبي مرثد الغنوي ٥٧٠

محمد بن سلاّم أبو عبد الله ٥٨٧

(النون)

نُعَيم بن مسعود بن عامر ٣٠٦

النضر بن الحارث بن علقمة ٥٠٩

نصر الدين بن محمد بن محمد ٥٦٣

(الهاء)

هارون الرشيد بن محمد (المهدي) ٤٥٤

هبة الله بن سلامة بن نصر ٥٣٣

(الياء)

يحيى بن أبي كثير الطائي ٣٤٣

انتهى فهرس الأعلام المترجم لهم، ويليه فهرس موارد المؤلف

٦ـ فهرس موارد المؤلف.

اسم المورد	اسم المؤلف
إعراب القرآن	النحاس
تأويل مشكل القرآن	ابن قتيبة
تفسير المحرر الوجيز	ابن عطية
تفسير الهداية في بلوغ النهاية	مكي بن أبي طالب القيسي
تفسير زاد المسير	ابن الجوزي
تفسير الكشاف	الزمخشري
تفسيرمعالم التنزيل	البغوي
جامع البيان	الطبري
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
الدر المنثور في التفسير بالمأثور	السيوطي
دواوين الشعر المنوعة	الشعراء
رموز الكنوز في تفسير كتاب الله العزيز	الرسعني
سنن أبي داود	أبو داود
سنن ابن ماجه	ابن ماجه
سنن الترمذي	الترمذي
سنن النسائي	النسائي
السيرة النبوية	ابن كثير
السيرة النبوية	ابن هشام
صحيح البخاري	الإمام البخاري
صحيح مسلم	الإمام مسلم
عمل اليوم والليلة	ابن السني
كتاب الزهد	الإمام أحمد بن حنبل
كتاب سيبويه	سيبويه
المستدرك	الحاكم
مسند الإمام أحمد	الإمام أحمد بن حنبل
مسند الدارمي	الدارمي
معادن الإبريز في تفسير القرآن العزيز	محي الدين بن الجوزي
معاني القرآن	الفراء

معاني القرآن وإعرابه — الزجاج
موطأ مالك — الإمام مالك بن أنس

انتهى فهرس موارد المؤلف، ويليه فهرس المصطلحات والتعريفات

٧ـ فهرس المصطلحات والتعريفات

الحديث	الصفحة
(الهمزة)	
الإبريسم	١٨٦
الأثل	٣٣٣
الأخمص	١٣١
الإدلاء	١١٩
الأدم	١٦٣
الأدواء	٥١٠
الإرجاء	١١٩
الأرجوان	٢٦٦
الأرسال	٨٤
الأرَضَة	٢٥١
الأساطين	٣٢٤
الأسباط	٢٠٨
الإستبرق	١١٠
الأسنان	١٩٤
الأسوة	٣١٥
الإشمام	١١٧
الإصحار	١١٩
الأقبية	٢٤٨
الأقنى	١٦٣
الأكحل	٣٠٤
الأكلب	٤٦
الأكناف	١٩٧
الإنجاء	٦٧
الأنفة	٢٠٩
الائتفاك	١٧٧
الاتكاء	٤٥٩
الاحتجاز	٣٠٥

الحديث	الصفحة
الشنف	٢٤٨
(الصاد)	
الصبر	٣،٤٣
الصحفة	٣٠٨
الصدم	٣٦
صريف القلم	١٥٧
الصفاح	١٨٨
الصلوات	٢١٥
الصهيل	٥٦٩
الصوامع	٢١٥
(الضاد)	
الضبع	١٧٣
الضرع	١٣٩
الضغث	٢٠٣
(الطاء)	
الطمث	٤٦٠
الطمي	٤٢
الطنفسة	١٤٣
الطنفسة	١٧٤
(الظاء)	
الظريف	١٤٥
الظعينة	٤٨٦
(العين)	
العثكال	٣٨٠
العَجم	٥٥٨
العَرَصات	٣٨٧
العَرَض	١٩٦
العرِم	٣٣١

الاختتاث ٢٤٩
الادّهام ٤٦٢
الاستبطان ٥٢٠
الاصطلاء ٣١٠
الافتضاض ٨

(الباء)

الباع ٨٨
البتول ٥١٨
البراح ٢٦٩
البرذون ٢٤٩
البريد ٨٨
البطر ٢٦٤
البكم ١٩٥
البلغة ١٩٠
البلق ٥٠
البيضة ٤٨١
البِيَع ٢١٥
النبق ٣٣٣

(التاء)

التبّ ٥٩٥
تبقير البطون ١٣٥
التبكيت ١٩٤
تجادب أهداب الرأي ٨٥
التحرز ٥٨١
التخوم ٢١١
الترب ٥٢٨
التسجية ١٤٣
التشعث ٣٨٩
التمرغ ١٠٦
التوشح بالثوب ٨٨
العروب ٤٧٥
العزم ٥٤
العس ٢٢٧
العقال ٣١٠
العقد ١٦٢
العقر ١٨٦
العقيصة ٤٨٦
العكة ٥٠٠
العلم ٣٠٣
علم الحساب ١٥٨
علم النجوم ١٥٨
العلوفة ٢٥٠
العهن ٥٠
العي ١٩٥
العين ٤١٣

(الغين)

الغاسق ١٨
الغبوق ٨٨
الغدوة ١٤٢
الغُرَف ٢٧٥
الغرفة ٤٢
الغصص ٩
الغل ٤٨٤
الغيلة ١٢٢

(الفاء)

الفتق ١٩٧
الفدان ١٩٠
الفرس المضمَّر ٧٠
الفرسخ ١١٦
الفقه ١٦٢

التوكل ٣، ٥٤

(الثاء)

الثآليل ١٩٤

الثريا ٦٠٣

(الجيم)

الجائحة ٣٩

الجبّ ١١٥

الجحافل ٥٦٢

الجَذْب ٣٩

الجذاذ ١٦٩

الجَذبة ٢٢٧

الجراثيم ٣٨٧

الجران ٩٢

الجريرة ٣٧٤

الجزماء ٢٦

الجسم ٦٠٠

الجعد ١٦٣

الجف ٦٠١

الجفنة ٣٢٥

جلّ الدابة ٢٤٩

الجندل ١٩٣

الجيد ٥٩٧

(الحاء)

الحبش ٥٣٨

الحبو ٢

الحجْرة ٤٤٣

الحجلة ٣٤٦

الحدوج ٤٧٥

الحشرج ٤٧١

الحَصان ٣٩

الفلق ١٨

الفور ٥٠،٩٠

الفيروزج ٣٢٤

(القاف)

الفرسخ ٨٨

القار ١٥٠

القاصّ ١١٠

القبط ١٦٥

القدّ ١٣٢

القدوم ٣٦٢

القرّ ٣١١

القرح ٥١

القرحة ١٩٩

القرش ٥٨٦

القِرَى ٣٠١

القصر ٣٨٢

القِطْر ٣٢٢

القَعود ١٩١

القلائص ٢٧٧

القلانس ٥١

القلص ١٥

القوارير ٢٥٩

القيلولة ١٨٧

(الكاف)

الكراع ٣١٠

الكردوس ٢٥١

الكظم ٥٠٥

الكعّ ٤٢

الكَلْم ١٩٢

الكناسة ١٩٤

الحلة ٢٠١
الحلقة ٤٨٠
الحِمام ٣٠٩
الحمدلة ٢٤
الحميم ٤٠٠
الحوافل ٥٦٢

(الخاء)

الخبء ٢٤٤
الخد ٢٥٥
الخريت ٨٨
الخطاطيف ٥٨٢
الخفارة ٨٨
الخُلَّة ١٥٩
الخمط ٣٣٣
الخموش ٥٨٧
الخنوس ٦٠٥

(الدال)

الدَّعّ ٥٨٨
الدويرات ١٥١
الديباج ٤٦٠

(الذال)

ذُباب السيف ٤٦
الذبيلة ١٣٢
الذراع ٨٨
الذكر ١٣٥
الذمام ١٩٤
الذوائب ٢٠٥

(الراء)

الرَّأي ٣٩٥
راعوفة البئر ٦٠١
الكور ٥٣١

(اللام)

اللأمة ٤٦
اللابة ٢٩٥
اللبوس ١٨١
لجة الماء ٢٥٩
اللحاء ٥٧٤
اللحن ٢٩٩

(الميم)

المئون ١٠
المتاركة ٤١٤
المثاني ١٠
المثلة ١٩٣
مجاديح السماء ٥١٢
المجالدة ١٣٣
المحاجزة ٩٣
المحال ٥٨٢
المحيص ٤٠٤
المداولة ٥٢
مذهب الصوفية، وعلم التصوف ١٥٣
المردة ١٩١
المرط ٥١٥
المريسيع ٤٩٣
المزاج ٥٢٤
المسافرة ٢٠٩
المسح ٣٦٩
المسد ٥٩٧
مشكاة ١١٠
المطبوب ٦٠١
معرة الجيش ٥٨٢

الرباط ٥٨
الربض ٣٢٣
الرُّبَع ٢١٠
الرتع ١١٧
الرحل ٥٨٢
الرخاء ١٨٤
الرضخ ١٤٥
الرعاء ١٩١
الركايا ٢٤٤
الرمكة ٢٤٨
الرهج ٢٥٣
الرواشن ٥٣٥
الرواق ٩٣
الروج ١٤١
الروغان ٣٩٧
الرَّوم ١١٧
ريب المنون ٨٥
الريح ١٨٤

(الزاي)

الزبرجد ٢٢٥
الزلزلة ٤١
الزلفة ١٠٥
الزمنى ١٤٩

(السين)

السبح ٥١٧
السَبَخة ٣٠٢
السبع الطول ١٠
سجال ٥٢
السجسج ٣٤٥
سجيل ١١٠
المغافر ٥١
المغافير ٥٠١
المُغْرِث ٣٩
المفصّل ١٠
المقلاع ٤٢
المكالبة ٣٠١
المكتل ١٤١
المُلَح ٢٥
الملوان ١٥٥
الممرد ٢٥٩
المناطق ٢٤٨
المنجنيق ١٧٢
المها ٣٢٤
الميل ٨٨

(النون)

النبل ١٣١
النرجس ١٧٤
النِّزال ٣٠٣
النزيف ٤٧١
النَّصَب ١٩٦
النضرة ٥٢٦
النغل ١٩٤
النقَب ٤٤٧
النمارق ٥٤٣
النَّوء ٢٦٣
النَّورة ٢٦١
النوس ٦٠٦
النَّول ١٤٤

(الهاء)

الهجعة ٤٥٠

السرب ١٤٢
السفرة ٨٨
السكر ١٩٧
السلَب ٣٠٦
السلف ٢١١
السندس ٤٦٠

(الشين)

الشخوص ١٨٨
الشدخ ١٩٣
الشطط ٣٦١
الشظية ١٣١
الشِّعب ٤٧
الشمراخ ٣٨٠

الهَمَل ١٧٩
الهَوي ٣٠٩
الهيم ٤٢

(الواو)

الوبق ٤٠٣
الوزغ ١٧٢
الوسيم ١٦٣
الوصاء والوصايف ٢٤٩
الوطيس ٨٠
الوله ٢٧

(الياء)

الياقوت ٢٢٥
اليمّ ١٦٤

انتهى فهرس المصطلحات والتعريفات، ويليه فهرس الأحكام الفقهية والشرعية

٨ـ فهرس الأحكام الفقهية والشرعية

الحديث	الصفحة	الحديث	الصفحة
أحكام الاستفتاح في الصلاة	٤٥٥	الحكم الفقهي للاستعاذة	٢٣
أحكام الجن	٤١٩	حكم النية والتمليك لصحة الزكاة	٥٢٦
أحكام ليلة القدر	٥٦٦	حكم دخول مؤمني الجن الجنة	٤٦١
الاجتهاد وأحكامه	١٨١	حكم صيام الأيام البيض	٥٥٢
تفصيل حكم النظر	٢٥٩	الحكم في:(شرع مَن قبلنا شرع لنا)	١٨١
حكم التبكير لصلاة الجمعة	٤٩٢	حكم مشروعية التسمية	٢٦
حكم التفسيق حالة تعمد تركها	٢٦	حكم نسخ آيات الصبر بآية القتال	٥١٩
الحكم التكليفي للجهاد	٩٧	ضمان ما أفسدته البهائم	١٨٠
حكم الحنث باليمين	٣٨٠	مسألة الظفر	٤٠٦
حكم الظهار	٤٧٨	مشروعية سجود التلاوة	٣٦٥

انتهى فهرس الأحكام الفقهية والشرعية، ويليه فهرس المصادر والمراجع

٩ : فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم:

وقد اعتمدت نسخة (**مصحف المدينة المنورة**) برواية حفص عن عاصم في الرسم والقراءة. لطبعة عام ١٤١١ هـ بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة

ثانياً: أقراص الليزر المدمجة (CD):

(وقد اعتبرتها مفاتيح للمراجع الأصلية، حيث فتحت لي الطريق، وذللت لي الرجوع إلى الأصول بيسر، واختصار وقت). وأهمها:

١ـ المصحف للنشر المكتبي ـ إنتاج شركة حرف.

٢ـ برنامج القرآن الكريم ـ إنتاج شركة صخر.

٣ـ موسوعة الحديث الشريف ـ إنتاج شركة صخر.

٤ـ الموسوعة الشعرية ـ إنتاج المجمع الثقافي ـ أبو ظبي.

٥ـ برنامج المحدث.

٦ـ الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) للاتصال بالمكتبات والمراكز العلمية ذات الصلة بموضوع البحث، وللدخول على مواقع علمية وإسلامية متخصصة.

ثالثاً: المصادر والمراجع المخطوطة:

١ـ مخطوط تفسير مكي بن أبي طالب المسمى: (كتاب الهدايةَ في بلوغ النهاية).

تأليف: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي.

وهو مصور ضمن مخطوطات مركز جمعة الماجد في دبي، نقلاً عن مخطوطات المغرب.

٢ـ مخطوط تفسير الرسعني المسمى: (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز).

تأليف: عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر خلف بن أبي الهيجاء الرسعني الحنبلي.

وهو مصور ضمن مخطوطات مركز جمعة الماجد في دبي، نقلاً عن مخطوطات الظاهرية بدمشق.

رابعاً: المصادر والمراجع المطبوعة: وقد رتَّبْت تسلسلها ألفبائياً، وهي:

١- **آثار البلاد وأخبار العباد.**

المؤلف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني.

الناشر: دار صادر، بيروت. ١٩٦٠. تم الطبعة غير موجود

٢- **آكام المرجان في أحكام الجان.**

تأليف: الشيخ بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي.

ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: الطبعة الأولى: ١٤٠٨ــ١٩٨٨.

٣- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر.**

تأليف: العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي.

وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٩ــ١٩٩٨.

٤- **الإتقان في علوم القرآن.**

المؤلف: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

تعليق: الدكتور مصطفى ديب البغا.

الناشر: نشر دار ابن كثير، دمشق. الطبعة الأولى: ١٤٠٧ ــ ١٩٨٧ .

٥- **إحكام الفصول في أحكام الأصول.**

تأليف: الفقيه الأصولي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي.

تحقيق: الدكتور عبد الله محمد الجبوري

الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى: ١٤٠٩ ــ ١٩٨٩.

٦- **أحكام القرآن.**

تأليف: أبي بكر أحمد الرازي الجصاص.

مراجعة: صدقي جميل.

الناشر: دار الفكر، بيروت. ومكتبة الباز، مكة المكرمة: ١٤١٣ ــ ١٩٩٢. لا يوجد تم الطبعة

٧- **أحكام القرآن.**

تأليف: أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي.

تحقيق: علي محمد البجاوي.

الناشر: دار الفكر، بيروت. لا يوجد تم التاريخ للطبعة

٨- إحياء علوم الدين.

وبذيله: كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للإمام زين الدين العراقي.

تأليف: الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٢١ــ٢٠٠١. لايوجد رقم طبعة

٩- **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار.**

تأليف: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي.

تحقيق: رشدي الصالح ملحس.

الناشر: دار الأندلس، بيروت. ١٩٦٥. لايوجد رقم طبعة

١٠- **أساس البلاغة.**

تأليف: الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

تحقيق: عبد الرحيم محمود.

الناشر: دار المعرفة للطباعة، بيروت: ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩م. لايوجد رقم طبعة

١١- **أسباب النزول.**

تأليف: الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

مراجعة وضبط وتعليق: الشيخ محي الدين محمد بعيون.

الناشر: دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: الطبعة الأولى. لايوجد تاريخ للطبعة

١٢- **أسباب النزول.**

تأليف: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.

الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت. الطبعة الثانية: ١٩٨٥.

١٣- **أسد الغابة في معرفة الصحابة.**

تأليف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري.

الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. ١٤١٤ ــ ١٩٩٣. لايوجد رقم الطبعة

١٤- **الإصابة في تمييز الصحابة.**

تأليف: ابن حجر العسقلاني،

ومعه: **الاستجابة في أسماء الصحابة**

تأليف: الفقيه الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النميري القرطبي.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت: ١٣٥٩هـ. لايوجد رقم الطبعة

١٥- الأصمعي، حياته وآثاره.

تأليف: الدكتور عبد الجبار جرمود.

الناشر: دار الكشاف، بيروت: ١٩٥٥. لا يوجد رقم طبعة

١٦- أصول السرخسي.

تأليف: أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي.

تحقيق: أبي الوفا الأفغاني.

الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. ١٣٩٣ــ١٩٧٣. لا يوجد رقم طبعة

١٧- أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل المسمى: إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي.

تأليف: الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني.

تحقيق: الدكتور زهير بن ناصر الناصر.

الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق ــ بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٤ــ ١٩٩٣.

١٨- إعراب القراءات الشواذ.

تأليف: لأبي البقاء العكبري.

تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز.

الناشر: عالم الكتب، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٧ ــ ١٩٩٦.

١٩- إعراب القرآن.

تأليف: أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس.

تحقيق: زهير غازي زاهد.

الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٠٥ــ١٩٨٥.

٢٠- الأعلام.

تأليف: خير الدين الزركلي.

الناشر: دار العلم للملايين، بيروت. لا يوجد رقم وتاريخ الطبعة

٢١- الأغاني.

تأليف: الإمام أبي الفرج الأصفهاني.

الناشر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت. لا يوجد رقم وتاريخ الطبعة

٢٢- الأنساب.

تأليف: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني.

تعليق: عبد الله بن عمر البارودي.

الناشر: دار الجنان، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٨ــ ١٩٨٨.

٢٣- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن (التبيان)

تأليف: أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري.

الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. الطبعة: ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.

٢٤- إنباه الرواة على أنباء النحاة.

تأليف: الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القرطبي.

تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

الناشر: دار الفكر، القاهرة / مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

٢٥- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

تأليف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرداوي.

تحقيق: أبي عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٩٩٧.

٢٦- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه.

تأليف: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي.

تحقيق: الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات.

الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، الرياض. طبعة ثانية: ١٩٩٠

٢٧- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ.

تأليف: أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري.

تحقيق: الدكتور محيي الدين عبد الرحمن رمضان.

الناشر: مجمع اللغة العربية، دمشق. ١٣٩١ــ١٩٧١. بدون رقم طبعة

٢٨- الاختيار لتعليل المختار.

تأليف: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي.

تعليق: الشيخ محمود أبو دقيقة.

الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية: ١٣٧٠ــ١٩٥١.

٢٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

تأليف: الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي.

تحقيق: علي محمد البجاوي.

الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة. ١٩٨٠م. بدون رقم الطبعة

٣٠- البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين ابن نجيم الحنفي.

تأليف: العلامة فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي.

الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. الطبعة الثانية. بدون تاريخ الطبعة

٣١- البرهان في علوم القرآن.

تأليف: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.

تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

الناشر: مكتبة دار التراث، القاهرة. ١٣٣٥ هـ. بدون رقم الطبعة

٣٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.

تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.

تحقيق: محمد علي النجار.

الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. الطبعة الثانية: ١٤٠٦ ــ ١٩٨٦.

٣٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

تأليف: حافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت: ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م. بدون رقم الطبعة

٣٤- البيان في عدّ آي القرآن:

تأليف: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

تحقيق: غانم الدوري الحمد.

الناشر: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت.

الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.

٣٥- تأويل مشكل القرآن.

تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

شرح: السيد أحمد صقر.

الناشر: دار التراث، القاهرة. الطبعة الثانية: ١٣٩٣ ــ ١٩٧٣.

٣٦- تاج العروس من جواهر القاموس.

تأليف: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي.

تحقيق: عبد الكريم العزباوي.

الناشر: وزارة الأعلام ــ الكويت. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٣٧- تاريخ ابن خلدون المسمَّى:

(كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر).

تأليف: العلامة ابن خلدون

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٣ - ١٩٩٢م .

٣٨- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي.

تأليف: الدكتور حسن إبراهيم حسن.

الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٨٧. بدون رقم الطبعة

٣٩- تاريخ بغداد أو مدينة السلام.

تأليف: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي.

الناشر: مكتبة الخانجي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٤٠- تاريخ الطبري/ تاريخ الأمم والملوك.

تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

الناشر: دار سويدان، بيروت. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٤١- التبصرة في القراءات.

تأليف: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي.

تحقيق: محي الدين رمضان.

الناشر: معهد المخطوطات العربية، الكويت. الطبعة الأولى: ١٤٠٥ــ١٩٨٥.

٤٢- التبصرة والتذكرة.

شرح: ألفية العراقي.

الناشر: دار الكتب العلمية. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٤٣- تذكرة الحفاظ.

تأليف: الإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي.

الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند: ١٣٩٠ــ١٩٧٠ بدون رقم الطبعة

٤٤- الترغيب والترهيب.

تأليف: الحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.

تحقيق: مصطفى محمد عمارة.

الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. ١٤٠٥ــ١٩٨٧. بدون رقم الطبعة

٤٥- التعريفات.

تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني.

تحقيق: إبراهيم الأبياري.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٥ــ١٩٨٥.

٤٦- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل.

تأليف: الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٤ــ١٩٩٣.

٤٧- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم.

تأليف: أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.

تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور زكريا عبد المجيد المنوتي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٣ ــ ١٩٩٣.

٤٨- تفسير القرآن العظيم.

تأليف: الإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي.

تحقيق: حسين إبراهيم زهران.

الناشر: دار الفكر: ١٤١٢ــ١٩٩٢ . بدون رقم الطبعة

٤٩- التفسير الكبير المسمى البحر المحيط.

تأليف: أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان.

وبهامشه: النهر الماد من البحر، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط.

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الثانية: ١٤١١ــ١٩٩٠.

٥٠- تقريب التهذيب.

تأليف: الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي.

عناية: محمد عوامة.

الناشر: دار الرشيد، حلب. الطبعة الرابعة: ١٤١٢ــ١٩٩٢.

٥١- تهذيب التهذيب.

تأليف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٥ــ١٩٩٤.

٥٢- تهذيب سيرة ابن هشام.

تأليف: عبد السلام هارون.

الناشر: دار سعد مصر بالقاهرة. ١٣٧٤هـ ــ١٩٥٥م. بدون رقم الطبعة

٥٣- تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

تأليف: الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي.

تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف.

الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الرابعة: ١٤٠٦ــ١٩٨٥.

٥٤- تهذيب اللغة.

تأليف: أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري.

تحقيق: عبد السلام محمد هارون ومحمد علي نجار.

الناشر: المؤسسة المصرية العامة، والدار المصرية للتأليف والنشر: ١٣٨٤ ــ ١٩٦٤. بدون رقم الطبعة

٥٥- جامع البيان في تفسير القرآن.

تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

الناشر: دار الجيل، بيروت. دار الحديث، القاهرة: ١٤٠٧هـ ــ١٩٨٧م. بدون رقم الطبعة

٥٦- الجامع لأحكام القرآن.

تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م. بدون رقم الطبعة

٥٧- جمال القراء وكمال الإقراء.

تأليف: الشيخ أبي الحسن علم الدين علي بن محمد السخاوي.

تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة.

الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق. الطبعة الأولى: ١٤١٨ــ١٩٩٧.

٥٨- جمهرة أنساب العرب.

تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي.

تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

الناشر: دار المعارف، القاهرة. الطبعة الخامسة. بدون تاريخ الطبعة

٥٩- جواهر الإكليل شرح مختصر الشيخ خليل.

تأليف: العلامة الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري.

الناشر: المكتبة الثقافية ــ بيروت. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٦٠- الجواهر المضية في طبقات الحنفية.

تأليف: محي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي.

تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو.

الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر.

الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ ــ١٩٩٣م.

٦١- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير. تأليف: العالم الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي.

تحقيق: محمد عبد الله شاهين.

وبالهامش: تقريرات العلامة المحقق محمد بن أحمد بن محمد الملقب بعليش.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٧ ــ ١٩٩٦.

٦٢- حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح.

تأليف: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي.

الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر. الطبعة الثانية: ١٣٨٩ــ١٩٧٠.

٦٣- الحجة في القراءات السبع.

تأليف: الإمام أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان.

تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم.

الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة السادسة: ١٤١٧ــ١٩٩٦.

٦٤- الحجة للقراء السبعة.

تأليف: أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي.

تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي.

مراجعة: عبد العزيز رباح.

الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق.

الطبعة الأولى: ١٤١٣ــ١٩٩٣.

٦٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

تأليف: الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الثالثة: ١٤٠٠ــ١٩٨٠.

٦٦- **حياة الحيوان الكبرى.**

تأليف: كمال الدين محمد بن موسى الدميري.

ويليه: **عجائب المخلوقات، وغرائب الموجودات.**

تأليف: زكريا بن محمد القزويني.

الناشر: دار الألباب للطباعة والنشر، بيروت ــ دمشق. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٦٧- **الدارس في تاريخ المدارس.**

تأليف: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي.

تحقيق: جعفر الحسني.

الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ــ ١٩٨٨. بدون رقم الطبعة

٦٨- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن.**

تأليف: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

الناشر: الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١١ــ١٩٩٠.

٦٩- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة.**

تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٥ ــ ١٩٨٥.

٧٠- **ديوان ابن الرومي.**

تأليف: أبي الحسن علي بن العباس بن جريج.

تحقيق: حسين نصار.

الناشر: وزارة الثقافة، الهيئة المصرية، القاهرة. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٧١- **ديوان أبي دلامة الأسدي.**

تأليف: الدكتور رشدي على حسن.

الناشر: مؤسسة الرسالة، ودار عمار، عمان. الطبعة الأولى: ١٤٠٦ــ١٩٨٥.

٧٢- **ديوان أبي ذؤيب**

تأليف: أبي ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث الهذلي.

الناشر: دار صادر، بيروت. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٧٣- **ديوان أبي العتاهية.**

تأليف: أبي العتاهية.

الناشر: دار صادر، بيروت. ١٤٠٠ــ١٩٨٠. بدون رقم الطبعة

٧٤- ديوان الأعشى الكبير.
تأليف: ميمون بن قيس.
قدم له وشرحه وضبطه ووضع فهارسه: الدكتور محمد أحمد قاسم.
الناشـــر: المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ دمشق ــ عمان. الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـــ ــ ١٩٩٤م.
٧٥- ديوان حسان بن ثابت.
تحقيق: الدكتور وليد عرفات.
الناشر: دار صادر، بيروت. طبعة عام: ١٩٧٤م. بدون رقم الطبعة
٧٦- شرح ديوان عنترة.
تأليف: عنترة.
تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي.
الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت ــ دمشق.
الطبعة الثانية: ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣.
٧٧- ديوان الراعي النميري.
جمعه: راينهرت فاييرت.
الناشر: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت. ١٤٠١ــ١٩٨٠. بدون رقم الطبعة
٧٨- ديوان زهير بن أبي سلمى.
تأليف: زهير بن أبي سلمى.
الناشر: دار صادر، بيروت: ١٩٨٠. بدون رقم الطبعة
٧٩- ديوان لبيد بن ربيعة العامري.
تأليف: لبيد بن أبي ربيعة العامري.
الناشر: دار صادر، بيروت. بدون رقم وتاريخ الطبعة
٨٠- الذيل على طبقات الحنابلة.
تأليف: أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.
تحقيق: محمد حامد الفقي.
الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
الطبعة الأولى: ١٩٥٢.
٨١- رد المحتار على الدر المختار(حاشية ابن عابدين).
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٨٢- الرسالة القشيرية في علم التصوف.

تأليف: العلامة أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري.

تحقيق: معروف زريق.

الناشر: دار الجيل، بيروت. الطبعة الثانية: ١٤١٠ــ١٩٩٠.

٨٣- رسالة المسترشدين.

تأليف: أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري.

تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، حلب. الطبعة الرابعة: ١٤٠٢ــ١٩٨٢.

٨٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي.

الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان. بدون رقم ورقم الطبعة

٨٥- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية.

تأليف: أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي ومعه **السيرة النبوية** للإمام أبي محمد عبد الملك ابن هشام المعافري.

تعليق: طه عبد الرؤوف سعد.

الناشر: نشر مكتبة الكليات الأزهرية، مصر. بدون رقم ورقم الطبعة

٨٦- الروض المعطار في خبر الأقطار. معجم جغرافي مع فهارس شاملة.

تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري.

تحقيق: إحسان عباس.

الناشر: مكتبة لبنان، بيروت: ١٩٨٤. بدون رقم الطبعة

٨٧- روضة الطالبين.

تأليف: الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي.

ومعه: منتقى اليبوع للحافظ جلال الدين السيوطي.

تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٢ ــ ١٩٩٢.

٨٨- زاد المسير في علم التفسير.

تأليف: الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.

عناية: أحمد شمس الدين.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٤ــ١٩٩٤.

٨٩- سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.

تأليف: الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي.

تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد.

الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ــ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: ١٤١٠ ــ ١٩٩٠. بدون رقم الطبعة

٩٠- سنن ابن ماجه.

جمع: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه).

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

الناشر: دار الريان للتراث، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، بيروت. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٩١- سنن أبي داود السجستاني.

دراسة وفهرسة: كمال يوسف الحوت.

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

الناشر: دار الجنان، دار إحياء التراث، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٨م.

٩٢- سنن الترمذي.

الناشر: المكتبة التجارية مصطفى الباز.

طبع: دار الفكر، بيروت. ١٤١٤ ــ ١٩٩٤. بدون رقم وتاريخ الطبعة

٩٣- سنن الدارقطني.

تأليف: شيخ الإسلام الحافظ علي بن عمر الدارقطني.

ومعه: التعليق المغني على الدارقطني.

تأليف: أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي.

الناشر: دار إحياء التراث العربي ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م. بدون رقم الطبعة ومكانها

٩٤- السنن الكبرى.

تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد شعيب النسائي.

تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

الطبعة الأولى: ١٤١١ــ١٩٩١.

٩٥- السيرة الحلبية المعروفة بإنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون.

تأليف: الإمام علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي.

الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة. ١٣٨٢ــ١٩٦٢. بدون رقم الطبعة

٩٦- السيرة النبوية.

تأليف: ابن هشام.

تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي.

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٥ــ١٩٩٥.

٩٧- السيرة النبوية.

تأليف: أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة المكرمة.

اعتنى بتصحيحها: الشيخ ناجي السويد.

الناشر: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى: ١٤١٦ــ١٩٩٥.

٩٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

تأليف: ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العسكري الحنبلي الدمشقي.

تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط.

الناشر: دار ابن كثير، بيروت ــ دمشق. الطبعة الأولى: ١٤٠٦ــ١٩٨٦.

٩٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبد الحميد.

تأليف: قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري.

الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. طبعة منقحة: ١٤٠٩ــ١٩٨٨.

١٠٠-شرح ديوان أبي تمام.

تأليف: الخطيب التبريزي.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الأولى: ١٩٩٢.

١٠١-شرح ديوان الأخطل التغلبي.

تأليف: غياث بن غوث التغلبي.

شرح: راجي الأسمر.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٩٢. بدون رقم الطبعة

١٠٢-شرح ديوان امرئ القيس.

شرح وتحقيق: حجر عاصي.

الناشر: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأولى: ١٩٩٤.

١٠٣-شرح ديوان جرير.

تحقيق: الدكتور محمد إسماعيل عبد الله الصاوي.

الناشر: مطبعة الصاوي، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر. الطبعة الأولى. بدون تاريخ الطبعة

١٠٤-شرح ديوان النابغة الذبياني.

قدم له وعلق حواشيه: سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب.

الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت: ١٩٨٩. بدون رقم الطبعة

١٠٥-شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي لشيخ الإسلام برهان الدين علي ابن أبي بكر المرغيناني.

تأليف: الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري المعروف بابن الهمام الحنفي.

تعليق: الشيخ عبد الرزاق غالب المهدي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٥ ــ ١٩٩٥.

١٠٦-شعب الإيمان.

تأليف: الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٧ــ ١٩٩٦.

١٠٧- الشعر والشعراء.

تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

راجعه وأعد فهارسه: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، **وقدم له:** الشيخ حسن تميم.

الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت. الطبعة السادسة: ١٤١٧ ــ ١٩٩٧.

١٠٨-شمائل النبي ﷺ.

تأليف: الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي.

تحقيق: الشيخ ماهر ياسين فحل. **وأشرف عليه وراجعه:** الدكتور بشار عواد معروف.

الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة الأولى: ٢٠٠٠.

١٠٩- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية.

تأليف: إسماعيل حماد الجوهري.

تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

الناشر: دار الكتاب العربي، مصر. الطبعة: ١٣٩٧ ــ ١٩٧٧. بدون رقم الطبعة

١١٠-صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان.

تأليف: الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي.

تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤١٤ ــ ١٩٩٣.

١١١- **صحيح البخاري.**

جمع: الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

الطبعة الأولى: ١٤١٢ ــ ١٩٩٢.

١١٢- **صحيح مسلم.**

جمع: الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: ١٣٧٦ــ١٩٥٦.

١١٣- **صحيح مسلم بشرح النووي.**

تأليف: الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الدمشقي.

الناشر: دار إحياء التراث العلمي، بيروت. الطبعة الثالثة: ١٤٠٤ ــ ١٩٨٤.

١١٤- **طبقات الشافعية الكبرى.**

تأليف: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي.

تحقيق: عبد الفتاح الحلو ــ محمود محمد الطناحي.

الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة. الطبعة: ١٣٨٣ــ١٩٦٤.

١١٥- **طبقات الشعراء.**

تأليف: محمد بن سلام الجمحي.

تحقيق: الشيخ محمد سويد.

الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت.

الطبعة الأولى: ١٤١٨ ــ ١٩٩٨.

١١٦- **الطبقات الكبرى.**

تأليف: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد.

تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

الطبعة الأولى: ١٤١٠ــ١٩٩٠.

١١٧- **العبر في خبر من غبر.**

تأليف: مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي.

تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٥ــ١٩٨٥. بدون رقم الطبعة

١١٨- عمل اليوم والليلة.

تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.

راجعه وعلق عليه: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية.

الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. ١٩٨٦. بدون رقم الطبعة

١١٩- عمل اليوم والليلة.

تأليف: أحمد بن محمد بن السني.

الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. ١٩٨٨. بدون رقم الطبعة

١٢٠- عوارف المعارف.

تأليف: عمر بن محمد السهروردي.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٦٦. بدون رقم الطبعة

١٢١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير.

تأليف: ابن سيد الناس أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجزري.

الناشر: دار القلم، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٤ ــ ١٩٩٣.

١٢٢- غاية النهاية في طبقات القراء.

تأليف: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري.

عني بنشره: ج. برجستراستر.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٣٥١ــ١٩٣٢.

١٢٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

تأليف: ابن حجر العسقلاني.

الناشر: دار الريان، القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤٠٧ ــ ١٩٨٧.

١٢٤- فضائل القرآن ومعالمه.

تأليف: أبي عبيد القاسم بن سلام.

تحقيق: الشيخ وهبي سليمان غاوجي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٩٩١.

١٢٥- فقه اللغة وسر العربية.

تأليف: أبي منصور الثعالبي.

تعليق: خالد فهمي.

الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

الطبعة الأولى: ١٤١٨ ــ ١٩٩٨.

١٢٦- الفهرست.

تأليف: أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنديم.

تحقيق: الدكتور يوسف علي طويل.

فهرسة: أحمد شمس الدين.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان. الطبعة الأولى: ١٤١٦ــ١٩٩٦.

١٢٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي.

جمع: العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي.

الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر. الطبعة الأولى: ١٣٥٧ــ١٩٣٨.

١٢٨- في ظلال القرآن.

تأليف: سيد قطب.

الناشر: دار الشروق، بيروت والقاهرة. ١٣٩٥ــ١٩٧٥. بعدة أرقام الطبعة

١٢٩- القاموس المحيط.

تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي.

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: ١٤١٢ ــ ١٩٩١.

١٣٠- القراءات العشر المتواترة.

فكرة: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه.

إعداد: الشيخ محمد كريم راجح.

الناشر: دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة. الطبعة الثالثة: ١٤١٤ــ١٩٩٤.

١٣١- قصص الأنبياء.

تأليف: الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي

تحقيق: الدكتور عبد الحي الفرماوي.

الناشر: دار اليقين، مصر ــ دار طيبة. الطبعة الثانية: ١٤١٧ــ ١٩٩٦.

١٣٢- القواعد في الفقه الإسلامي: (القواعد الفقهية).

تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب بن أحمد الحنبلي.

الناشر: دار المعرفة، بيروت: ١٩٨٠. بعدة أرقام الطبعة

١٣٣- الكامل في التاريخ.

تأليف: الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير.

الناشر: دار صادر، بيروت. الطبعة السادسة: ١٤١٥ ــ ١٩٩٥.

١٣٤- كتاب الاشتقاق.

تأليف: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد.

تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون.

الناشر: دار الجيل، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١١ ــ ١٩٩١.

١٣٥- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل.

تأليف: شيخ الإسلام الحافظ المفسِّر محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان.

الطبعة الثانية: ١٣٩٣ــ١٩٩٣.

١٣٦- كتاب الزهد.

تأليف: الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الثانية: ١٤١٤ــ١٩٩٤.

١٣٧- كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق.

تأليف: شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك المرزوي.

تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. بدون تاريخ الطبع

١٣٨- كتاب السبعة في القراءات.

تأليف: ابن مجاهد.

تحقيق: الدكتور شوقي ضيف.

الناشر: دار المعارف القاهرة. الطبعة الثانية: ١٤٠٠ــ١٩٨٠.

١٣٩- كتاب سيبويه.

تأليف: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.

تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

الناشر: دار الجيل، بيروت. الطبعة الأولى: ١٣٨٥ــ١٩٦٦.

١٤٠- كتاب الشكر لله عزَّ وجلَّ.

تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدنيا.

تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية،

الطبعة الأولى: ١٤١٣ ــ ١٩٩٣.

١٤١- كتاب عمل اليوم والليلة سلوك النبي ﷺ مع ربه عزَّ وجلَّ، ومعاشرته مع العباد.

تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي المعروف بابن السني.

تحقيق: أبي محمد عبد الرحمن كوثر البرني.

الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ــ مؤسسة علوم القرآن، بيروت: ١٤١٠هـ. بدون رقم الطبعة

١٤٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ويليه الكافي الشافِ في تخريج أحاديث الكشاف. لابن حجر العسقلاني.

تأليف: الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي.

ضبط: مصطفى حسين أحمد.

الناشر: دار الريان للتراث، الطبعة: ١٤٠٧ــ١٩٨٧.

١٤٣- كشاف القناع على متن الإقناع.

تأليف: منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي.

راجعه وعلق عليه: هلال مصيلحي مصطفى هلال.

الناشر: دار الفكر، بيروت: ١٩٨٢. بدون رقم الطبعة

١٤٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

تأليف: العلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلبي، والمعروف بحاجي خليفة.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤١٣ــ١٩٩٢. بدون رقم الطبعة

١٤٥- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها:

تأليف: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي.

تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان.

الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق. الطبعة: ١٣٩٤ــ ١٩٧٤.

١٤٦- الكليات.

تأليف: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي.

تحقيق: الدكتور عدنان درويش ــ ومحمد المصري.

الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤١٣ــ١٩٩٣.

١٤٧- الكنز في القراءات العشر.

تأليف: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الوجيه الواسطي.

تحقيق: هناء الحمصي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٩ــ١٩٩٨.

١٤٨-لسان العرب.

المؤلف: ابن منظور.

الناشر: دار صادر، بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤١٤ــ١٩٩٤.

١٤٩- لسان الميزان.

المؤلف: الإمام ابن حجر العسقلاني.

تحقيق: محمد عبد الرحمن مرعشلي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

الطبعة الأولى: ١٤١٥ــ١٩٩٤.

١٥٠-مجاز القرآن.

صنعة: أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي.

تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سزكين.

الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. ١٣٧٤ــ١٩٥٤. بدون رقم الطبعة

١٥١- مجمع الأمثال.

تأليف: أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الجدافي.

الناشر: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت.

الطبعة: ١٤١٥ ــ ١٩٩٥.

١٥٢-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

تأليف: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٨ــ١٩٨٨. بدون رقم الطبعة

١٥٣- المجموع شرح المهذب.

تأليف: الإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي.

تحقيق: محمد نجيب المطيعي.

الناشر: مكتبة الإرشاد، جدة.

١٥٤-مجموع الفتاوى.

تأليف: شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية.

جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي النجدي الحنبلي.

الناشر: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، السعودية. بدون رقم وتاريخ الطبعة

١٥٥- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني.

تحقيق: علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم نجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي.

الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

الطبعة الثانية: ١٤١٥ ــ ١٩٩٤.

١٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

تأليف: القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.

الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة. بدون رقم الطبعة وتاريخها

١٥٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر.

تأليف: الرحالة والمؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي.

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت. الطبعة: ١٤٠٨ ــ ١٩٨٨.

١٥٨- المستدرك على الصحيحين.

تصنيف: الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

الطبعة الأولى: ١٤١١ــ١٩٩٠.

١٥٩- مسند الإمام أحمد حنبل.

شرحه ووضع فهارسه: أحمد محمد شاكر.

الناشر: دار الحديث، القاهرة.

الطبعة الأولى: ١٤١٦ــ١٩٩٥.

١٦٠- مسند الدارمي.

تأليف: الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي.

تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

الناشر: دار الريان للتراث، القاهرة. دار الكتاب العربي،بيروت.

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

١٦١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي.

تأليف: العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي.

الناشر: دار القلم، بيروت ــ لبنان. بدون رقم الطبعة

١٦٢- المصنف.

تأليف: الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني.

تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

الناشر: المجلس العلمي، بيروت. ١٣٩٠ ــ ١٩٧٠. بدون رقم الطبعة

١٦٣- المصنف في الأحاديث والآثار.

تأليف: الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي.

ضبط وتعليق: الأستاذ سعيد اللحام.

الناشر: دار الفكر، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٩ ــ ١٩٨٩.

١٦٤- معاني القرآن.

تأليف: أبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء.

تحقيق: محمد علي النجار.

الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة. الطبعة الثانية: ١٩٥٥.

١٦٥- معاني القرآن الكريم.

تأليف: أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس..

تحقيق: محمد علي الصابوني.

الناشر: جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة. الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ

١٦٦- معجم البلدان.

تأليف: ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي.

تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٠ ــ ١٩٩٠.

١٦٧- معجم الصحابة.

تأليف: أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي.

تحقيق: محمد أمين بن محمد محمود الجكني.

الناشر: دار البيان، الكويت. الطبعة الأولى: ٢٠٠٠.

١٦٨- المعجم الصغير.

تصنيف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

عناية: كمال يوسف الحوت.

الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٦ــ١٩٨٦ .

١٦٩- المعجم الكبير.

تصنيف: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

الناشر: إحياء التراث الإسلامي وزارة الأوقاف العراق. الطبعة الثانية: ١٤٠٤ ــ ١٩٨٣.

١٧٠- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية).

المؤلف: عمر رضا كحالة.

إخراج: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٤ ــ ١٩٩٣.

١٧١- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف عن الكتب الستة ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل.

تأليف: لفيف من المستشرقين.

الناشر: د. أي. ونسنك. ليدن: ١٩٣٦. بدون رقم الطبعة

١٧٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي.

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. ١٣٦٤ــ١٩٤٥. بدون رقم الطبعة

١٧٣- المعجم الوسيط.

تأليف: د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد.

الناشر: المجمع اللغوي، القاهرة. الطبعة الثانية: ١٣٩٢ ــ ١٩٧٢.

١٧٤- المغني.

تأليف: الشيخ موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة على مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي.

ويليه: الشرح الكبير.

تأليف: أبي الفرج ابن قدامة المقدسي.

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. بعناية جماعة من العلماء: ١٤٠٣ ــ ١٩٨٩. بدون رقم الطبعة

١٧٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

تأليف: جمال الدين بن هشام الأنصاري.

تحقيق: الدكتور مازن مبارك، ومحمد علي حمد الله.

مراجعة: الأستاذ سعيد الأفغاني.

الناشر: دار الفكر، بيروت.

الطبعة السادسة: ١٩٨٥.

١٧٦- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج شرح الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين.

تأليف: الإمام أبي زكريا بن شرف النووي.

تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٥ـ١٩٩٤.

١٧٧- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم.

تأليف: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان. بدون رقم وتاريخ الطبعة

١٧٨- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد.

تأليف: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح.

تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العيثمين.

الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.

الطبعة الأولى: ١٩٩٠.

١٧٩- المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه.

تأليف: الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي.

الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، السعودية: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م. بدون رقم الطبعة

١٨٠- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ومعه كتاب النقط.

تأليف: الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي.

تحقيق: محمد أحمد دهمان.

تصوير: دار الفكر، بيروت.

الطبعة الأولى: ١٩٨٣ .

١٨١- المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ.

تأليف: الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي.

تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

الطبعة الثانية: ١٩٨٧.

١٨٢- مناهل العرفان في علوم القرآن.

تأليف: محمد عبد العزيز الزرقاني.

الناشر: دار إحياء التراث العربي. بدون رقم وتاريخ الطبعة

١٨٣- منية المصلي وغنية المبتدي.

تأليف: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي السلفي الرباني.

تحقيق: مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز.

الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة. الطبعة الأولى. بدون تاريخ الطبعة

١٨٤- المهذب في فقه الإمام الشافعي.

تأليف: أبي إسحاق الشيرازي.

تحقيق: الأستاذ الدكتور: محمد الزحيلي.

الناشر: دار القلم، دمشق ــ الدار الشامية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٢ ــ ١٩٩٢.

١٨٥- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل.

تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني.

وبأسفله: التاج والأكليل لمختصر خليل.

ضبطه وخرّج آياته: الشيخ زكريا عميرات.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٦ ــ ١٩٩٥.

١٨٦- موسوعة الملل والنحل.

تأليف: مؤرخ الأديان والمذاهب في القرون الوسطى: أبي الفتح الشهرستاني.

الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت. الطبعة الأولى: ١٩٨١.

١٨٧- الموطأ.

تأليف: الإمام مالك بن أنس.

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

الناشر: موسوعة السنة ــ دار سحنون، تونس. الطبعة الثانية. بدون تاريخ الطبعة

١٨٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد عثمان الذهبي.

تحقيق: علي محمد البجاوي.

الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الجديدة. ١٣٨٢ــ١٩٦٣. بدون رقم الطبعة

١٨٩- الناسخ والمنسوخ.

تأليف: أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس.

تحقيق: محمد أمين الخانجي الحلبي.

الناشر: مطبعة السعادة، القاهرة. الطبعة الأولى: ١٩٠٥.

١٩٠- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

تاليف: القاضي أبي بكر بن العربي المعافري.

تحقيق: الدكتور عبد الكبير العلوي المدعري.

الناشر: مكتبة الثقافة الدينية. ١٤١٣ــ١٩٩٢. بمدرتم الطبعة

١٩١- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وما فيه من الفرائض والسنن.

تأليف: أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي.

تحقيق: محمد بن صالح المديفر.

الناشر: مكتبة الرشد، وشركة الرياض للنشر، الرياض. الطبعة الثانية: ١٤١٨ــ ١٩٩٧.

١٩٢- النشر في القراءات العشر.

تأليف: الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري.

تخريج: الشيخ زكريا عميرات.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٩٩٨.

١٩٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

تأليف: الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي.

تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٥ــ١٩٩٥.

١٩٤- النكت والعيون (تفسير الماوردي).

تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري.

راجعه وعلّق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

الناشر: دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. بعد رقم ولا تاريخ الطبعة

١٩٥- النهاية في غريب الحديث والأثر.

تأليف: (ابن الأثير) مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري.

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. ١٣٨٣ــ١٩٦٣. بعد رقم الطبعة

١٩٦- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي. ومعه حاشية السيراملسي، وحاشية المغربي.

تأليف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير.

الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأخيرة: ١٤٠٤ــ١٩٨٤.

١٩٧-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
تأليف: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلطان.
تحقيق: الدكتور إحسان عباس.
الناشر: دار الثقافة، بيروت. طبعة عام: ١٩٦٩م . بدون رقم الطبعة

خامساً: الدوريات:

١ـ (قواعد تحقيق النصوص).
تأليف: الدكتور صلاح الدين المنجد.
الناشر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً).
الصفحات: (٣٢٥ـ٣٤٣) الجزء (٢)، المجلد (٤٧)، صفر ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

سادساً: المصادر والمراجع الأجنبية:

١- THE HOLY QUR-AN
English translation of the meanings and commentary.
Revised & Edit By
THE PRESIDENCYOF ISLAMIC RESEARCHES, IFTA,
Call and Guidance.
King Fahad Holy Qur-an Printing Complex.

٢- The Oxford Dictionary
٤th edition, Edited by Elaine Pollard, Published by Oxford University
Press in ١٩٩٤

انتهى فهرس المصادر والمراجع، ويليه ختام الفهارس فهرس المحتوى

١٠أ ـ فهرس المحتوى

اسم السورة	الصفحة	اسم السورة	الصفحة
المقدمة	٢	سورة القمر	٤٥٧
سورة الفاتحة	١٩	سورة القمر	٤٥٧
سورة الفاتحة	٢٨	سورة الرحمن	٤٥٨
سورة البقرة	٣٣	سورة الواقعة	٤٦٧
سورة آل عمران	٤٤	سورة الحديد	٤٧٦
سورة النساء	٥٩	سورة المجادلة	٤٧٧
سورة المائدة	٦١	سورة الحشر	٤٧٩
سورة الأنعام	٦٥	سورة الممتحنة	٤٨٥
سورة الأعراف	٦٧	سورة الصف	٤٩٠
سورة الأنفال	٦٩	سورة الجمعة	٤٩١
سورة براءة	٧٥	سورة المنافقون	٤٩٣
فصل: عرضه نفسه على القبائل	٨٢	سورة التغابن	٤٩٦
فصل: في مسيرة ﷺ إلى المدينه	٨٧	سورة الطلاق	٤٩٨
سورة يونس	١٠٧	سورة التحريم	٥٠٠
سورة هود	١٠٢	سورة الملك	٥٠٢
سورة يوسف	١٠٩	سورة القلم	٥٠٤
سورة الرعد	١٢٦	سورة الحاقة	٥٠٦
سورة ابراهيم	١٢٨	سورة المعارج	٥٠٨
سورة الحجر	١٢٩	سورة نوح	٥١١
فصل: ذكر ما أهلكهم الله به	١٣١	سورة الجن	٥١٣
سورة النحل	١٣٣	سور المزمل	٥١٤
سورة بنى اسرائيل	١٣٧	سورة المدثر	٥١٩
سورة الكهف	١٣٩	سورة القيامة	٥٢٢
سورة مريم	١٥٥	سورة الإنسان	٥٢٣
سورة طه	١٦١	سورة المرسلات	٥٢٦
سورة الأنبياء	١٦٧	سورة النبأ	٥٢٧
سورة الحج	٢١٢	سورة النازعات	٥٢٨
سورة المؤمنين	٢١٦	سورة عبس	٥٣٠

سورة النور	٢١٨	سورة التكوير	٥٣١
سورة الفرقان	٢٢٣	سورة الإنفطار	٥٣٢
سورة الشعراء	٢٢٦	سورة المطففين	٥٣٣
سورة النمل	٢٣١	سورة الإنشقاق	٥٣٧
سورة القصص	٢٦٢	سورة البروج	٥٣٨
سورة العنكبوت	٢٧٤	سورة الطارق	٥٤٠
سورة الروم	٢٧٦	سورة الأعلى	٥٤١
سورة لقمان	٢٨١	سورة الغاشية	٥٤٢
سورة الم تنزيل السجدة	٢٨٥	سورة الفجر	٥٤٤
سورة الأحزاب	٢٨٧	سورة البلد	٥٥٠
ذكر قصة الأحزاب	٢٩٢	سورة الشمس	٥٥٢
سورة سبأ	٣٢٠	سورة الليل	٥٥٣
قصة سبأ	٣٢٩	سورة الضحى	٥٥٤
سورة الملائكة	٣٣٦	سورة الشرح	٥٥٦
سورة يس	٣٤٧	سورة التين	٥٥٨
سورة الصافات	٣٤٧	سورة العلق	٥٦٠
سورة ص	٣٥٦	سورة القدر	٥٦٤
ومن الصابرين أيوب	٣٧٨	سورة البينة	٥٦٧
سورة الزمر	٣٨٤	سورة الزلزلة	٥٦٨
سورة المؤمن	٣٩١	سورة العاديات	٥٦٩
سورة حم السجدة	٣٩٥	سورة القارعة	٥٧٣
سورة الشورى	٤٠١	سورة التكاثر	٥٧٤
سورةالزخرف	٤٠٨	سورة العصر	٥٧٦
سورة الدخان	٤١٢	سورة الهمزة	٥٧٨
سورة الجاشية	٤١٥	سورة الفيل	٥٨٠
سورة الأحقاف	٤١٦	سورة قريش	٥٨٥
سورة محمد ﷺ	٤٢٤	سورة الماعون	٥٨٨
سورة الفتح	٤٢٨	سورة الكوثر	٥٨٩
سورة الحجرات	٤٤٢	سورة الكافرون	٥٩٢
سورة ق	٤٤٥	سورة النصر	٥٩٤

سورة الذاريات	٤٥٠	سورة المسد	٥٩٥
سورة الطور	٤٥٥	سورة الإخلاص	٥٩٨
سورة النجم	٤٥٦	سورة الناس	٦٠٥

تمت بحمد الله تعالى الفهارس الفنية للكتاب

وبذلك يكون قد اكتمل هذا الإنتاج العلمي بكامل فروعه وأقسامه حسب الخطة المقدمة، وأسأل الله تعالى القبول والتوفيق، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم،

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.